

# مراح لبيد - تفسير النووى

التفسير المنير لمعالم التنزيل . المسفر عن وجوه محاسن التأويل . المسمى
طبقا لمعناه مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد لجامعه العالم
النحرير . وعلم الفضل الشهير . المتحلى بكريم الشيم
ومهابة الاعزاز . العلامة الشيخ محمد نووى الجاوى
سيد علماء الحجاز . نفع الله تعالى به
المسلمين . وجعلنا وإياه من
خيار أحبته المقبولين
آمين

﴿ وبهامشه كتاب الوجيز . فى تفسير القرآن العزيز . للامام أبى الحسن على بن
أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه آمين ﴾

## الجزء الأول

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذى له الأقضية والأحكام وصلاته على المبعوث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا محمد النبى خير الورى وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى ماابتلج الليل عن الصباح ونادى المنادى بحى على الفلاح وسلم كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان لكل زمان نشوا ولكل نشو علما يتعاطونه على قدر هممهم وأفهامهم ومددهم فى العمر وأيامهم وفيما سلف من الأيام وخلا من الشهور والأعوام كانت الهمم الى العلوم مصروفه والرغبات عليها موقوفه يتوفر عليها طلاب المراتب فى الدنيا والراغبون فى مثوبة العقبى ثم لم تزل على مر الليالى تنخفض الهمم وتتراجع حتى عادوابلها قطرة ولم نشاهد مما كانت عليه ذرة ذلك قضاء من الله تعالى مبرم ووعد من الرسول محكم بانتزاع العلم وقبضه فيما أخبرنا به الاستاذ أبو طاهر محمد بن محمش الزيادى رضى الله عنه قراءة عليه فى شهور سنة تسع وأربعمائة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ المعروف بابن الأخرم قال أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساجهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا صدق صلى الله عليه وسلم فقد قبضت الفحول وهلكت الوعول وانقرض زمان العلم وخمدت جمرته وهزمته كرة الجهل وعلت دولته ولم يبق الاصبابة تتجرعها يوم وأظهار نجتابها وتتدرعها وعليها يحال فانى كنت قد ابتدأت بابداع كتاب فى التفسير لم أسبق الى مثله وطال على الأمر فى ذلك لشرائط تقلدتها ومواجب لحق النصيحة لكتاب الله تحملتها ثم استعجلنى قبل اتمامه والتفصى عما لزمنى من عهدة أحكامه نفر متقاصرو الرغبات منخفضو الدرجات أولو البضائع المزجاة الى ايجاز كتاب فى التفسير يقرب على من يتناوله و يسهل على من يتأمله من أوجز ما عمل فى بابه وأعظم عائدة على متحفظيه وأصحابه وهذا كتاب أنافيه نازل الى درجة أهل زماننا تعجيلا لمنفعتهم وتحصيلا للمثوبة فى افادتهم بما تمنوه طويلا فلم يغن عنهم أحد فتيلا وتارك ماسوى قول واحد معتمد لابن عباس رحمة الله عليه أو من هو فى مثل درجته كما يترجم عن الالفاظ الغريبة بأسهل منه وهذا حين أفتتحه فأقول

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

---

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته واستسلم كل شئ لقدرته وخضع كل شئ لملكه فسبحان الله شارع الأحكام المميز بين الحلال والحرام أحمده على مافتح من غوامض العلوم باخراج الافهام والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ببيانه كل ابهام وعلى آله وأصحابه أولى المناقب والأحلام صلاة وسلاما دائمين مادامت الأيام ﴿أما بعد﴾ فيقول أحقر الورى محمد نووى قد أمرنى بعض الأعزة عندى أن أكتب تفسيرا للقرآن المجيد فترددت فى ذلك زمانا طويلا خوفا من الدخول فى قوله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفى قوله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فأجبتهم الى ذلك للاقت[illegible] فى تدوين العلم ابقاء على الخلق وليس على فعلى مزيد ولكن لكل زمان تجديد وليكو[illegible] نالى وللقاصرين مثلى وأخذته من الفتوحات الالهية ومن مفاتيح الغيب ومن السراج المنير ومن تنوير المقباس ومن تفسير أبى السعود (وسميته) مع الموافقة لتاريخه مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد وعلى الكريم الفتاح اعتمادى واليه تفويضى واستنادى والآن أشرع بحسن توفيقه وهو المعين لكل من لجأ به

﴿سورة الفاتحة مكية أومدنية سبع آيات﴾

والسابعة صراط الذين الى آخرها ان كانت البسملة منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وهى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم أحدها علم الأصول وقد جمعت الالهيات فى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والنبوات فى الذين أنعمت عليهم والدار الآخرة فى مالك

يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهى مالية وبدنية وهما مفتقرتان الى أمور المعاش من المعاملات والمناكحات ولابد لها من الأحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى وثالثها علم تحصيل الكمالات وهو علم الأخلاق ومنه الاستقامة فى الطريقة والى ذلك الاشارة بقوله واياك نستعين وقد جمعت الشريعة كلها فى الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم الخالية وقد جمعت السعداء من الأنبياء وغيرهم فى الذين أنعمت عليهم والأشقياء من الكفار فى غير المغضوب عليهم ولا الضالين (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء بهاء الله والسين سناؤه فلا شئ أعلى منه والميم ملكه وهو على كل شئ قدير والباء ابتداء اسمه بارئ بصير والسين ابتداء اسمه سميع والميم ابتداء اسمه مجيد مليك والألف ابتداء اسمه الله واللام ابتداء اسمه لطيف والهاء ابتداء اسمه هادى والراء ابتداء اسمه رزاق والحاء ابتداء اسمه حليم والنون ابتداء اسمه نافع ونور (الحمد لله) والشكر لله بنعمه السوابغ على عباده الذين هداهم للايمان (رب العالمين) أى خالق الخلق ورازقهم ومحولهم من حال الى حال (الرحمن) أى العاطف على البار والفاجر بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم (الرحيم) أى الذى يستر عليهم الذنوب فى الدنيا ويرحمهم فى الآخرة فيدخلهم الجنة (مالك يوم الدين) باثبات الألف عند عاصم والكسائى ويعقوب أى متصرف فى الأمر كله يوم القيامة كما قال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وعند الباقين بحذف الألف والمعنى أى المتصرف فى أمر القيامة بالأمر والنهى (اياك نعبد) أى لا نعبد أحدا سواك (واياك نستعين) أى بك نستعين على عبادتك فلا حول عن المعصية الا بعصمتك ولا قوة على الطاعة الا بتوفيقك (اهدنا الصراط المستقيم) أى زدنا هداية الى دين الاسلام أو المعنى أدمنا مهديين اليه (صراط الذين أنعمت عليهم) أى دين الذين مننت عليهم بالدين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (غير المغضوب) أى غير دين اليهود الذى غضبت (عليهم ولا الضالين) أى غير دين النصارى الذين ضلوا عن الاسلام ويقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون لأن الله تعالى ذكر المؤمنين فى أول البقرة فى أربع آيات ثم ثنى بذكر الكفار فى آيتين ثم ثلث بذكر المنافقين فى ثلاث عشرة آية ويسن للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين وهو اسم بمعنى فعل أمر وهو استجب

﴿سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكلماتها ثلاث آلاف ومائة وحروفها خمس وعشرون ألفا وخمسمائة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبى وجماعة الم وسائر حروف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونفوض العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأنبياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أى هذا الكتاب الذى يقرؤه عليكم رسولى محمد لا شك فى أنه من عندى فان آمنتم به

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أى ابتدؤا وافتتحوا بحمد الله تيمنا وتبركا والله اسم تفرد به البارى سبحانه يجرى فى وصفه مجرى الأسماء الأعلام لا يعرف له اشتقاق وقيل معناه ذو العبادة التى بها يقصد الرحمن الرحيم صفتان لله تعالى معناهما ذو الرحمة وهى ارادته الخير ولا فرق بينهما نحو ندمان ونديم (الحمد لله) الثناء لله والشكر له بانعامه (رب العالمين) مالك المخلوقات كلها (مالك يوم الدين) مأخوذ من الملك والملك مأخوذ من الملك أى قاضى يوم الجزاء والحساب لانه منفرد فى ذلك اليوم بالحكم (اياك نعبد) أى نخصك ونقصدك بالعبادة وهى الطاعة مع الخضوع (واياك نستعين) ومنك نطلب المعونة (اهدنا الصراط المستقيم) أى دلنا عليه واسلك بنا فيه وثبتنا عليه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية وهم قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا نعم الله عز وجل وقيل هم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية (غير المغضوب عليهم) أى غير الذين غضب عليهم وهم اليهود ومعنى الغضب من الله تعالى ارادة العقوبة (ولا الضالين) أى ولا الذين ضلوا وهم النصارى وكأن المسلمين سألوا الله تعالى أن يهديهم طريق الذين أنعم عليهم ولم يغضب عليهم كما غضب على اليهود ولم يضلوا عن الحق كما ضلت النصارى ﴿تفسير سورة البقرة﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الم) أنا الله أعلم (ذلك الكتاب) هذا الكتاب يعنى القرآن (لا ريب فيه) لا شك فيه أى انه صدق وحق وقيل لفظه لفظ خبر ويراد به النهى عن الارتياب قال فلا رفث ولا فسوق ولا ريب فيه أنه

(هدى للمتقين) بيان ودلالة وفي تخصيصه كتابه بالهدى للمتقين دلالة على أنه ليس بهدى لغيرهم وقد قال والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الآية للمتقين الذين يتقون الشرك (الذين يؤمنون) يصدقون (بالغيب) بما غاب عنهم من الجنة والنار والبعث (ويقيمون الصلاة) يديمونها ويحافظون عليها (ومما رزقناهم) أعطيناهم مما ينتفعون به (ينفقون) يخرجونه في طاعة الله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) نزلت في أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن (وما أنزل من قبلك) يعني التوراة



هديتكم وان لم تؤمنوا بعذبتكم (هدى للمتقين) أي رحمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما غاب عنهم من الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والحساب وغير ذلك وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (ويقيمون الصلاة) أي يتمون الصلوات الخمس بالشروط والأركان والهيئات (ومما رزقناهم ينفقون) أي مما أعطيناهم من الأموال يتصدقون لطاعة الله تعالى وهو أبو بكر الصديق وأصحابه (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الأنبياء من التوراة والانجيل والزبور وغيرها من سائر الكتب السابقة على القرآن (وبالآخرة هم يوقنون) أي وهم يصدقون بما في الآخرة من البعث بعد الموت والحساب ونعيم الجنة وهو عبد الله بن سلام وأصحابه (أولئك) أي أهل هذه الصفة (على هدى) أي كرامة نزل (من ربهم وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من السخط والعذاب وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي الذين كفروا في علم الله متساو لديهم انذارك اياهم بالقرآن وعدمه وهم لا يريدون أن يؤمنوا بما جئت به فلا تطمع يا أشرف الخلق في ايمانهم ثم ذكر الله سبب تركهم الايمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أي طبع الله على قلوبهم فلا يدخلها ايمان وعلى سمعهم فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ووحد السمع لوحدة المسموع وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتدأ وخبر أي على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون الحق (ولهم عذاب عظيم) أي شديد في الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وجدي بن أخطب ويقال هم مشركو أهل مكة عتبة وشيبة والوليد بن المغيرة وأبو جهل (ومن الناس من يقول آمنا) في السر (بالله وباليوم الآخر) أي بالبعث بعد الموت الذي فيه جزاء الأعمال (وما هم بمؤمنين) في السر (يخادعون الله) أي يكذبونه في السر (والذين آمنوا) أبا بكر وسائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخدعون) أي يكذبون (الا أنفسهم) وهذه الجملة حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ذلك والحال أنهم ما يضرون بذلك الا أنفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الخاء مع المد وكسر الدال ولا اختلاف في قوله يخادعون الله فالجميع قرؤا بضم الياء وفتح الخاء وبالألف بعدها وكسر الدال وأما الرسم فبغير ألف في الموضعين (وما يشعرون) أن الله يطلع نبيه على كذبهم (في قلوبهم مرض) أي شك وظلمة (فزادهم الله مرضا) أي شكا وظلمة بما أنزله من القرآن لأنه كلما أنزل آية كفروا بها فازدادوا شكا وخلافا

(وبالآخرة) وبالدار الآخرة (هم يوقنون) يعلمونها علما باستدلال (أولئك) يعني الموصوفين بهذه الصفات (على هدى) بيان وبصيرة (من ربهم) أي من عند ربهم (وأولئك هم المفلحون) الباقون في النعيم المقيم (ان الذين كفروا) ستروا ما أنعم الله عليهم من الهدى والآيات فجحدوها وتركوا توحيد الله (سواء عليهم) معتدل ومتساو عندهم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أعلمتهم وخوفتهم أو تركت ذلك (لا يؤمنون) نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال (ختم الله على قلوبهم) أي طبع على قلوبهم واستوثق منها حتى لا يدخلها الايمان (وعلى سمعهم) حتى لا ينتفعوا بما يسمعون (وعلى أبصارهم) أعينهم (غشاوة) غطاء فلا يبصرون الحق (ولهم عذاب عظيم) متواصل لا تتخلله فرجة (ومن الناس من يقول) الآية نزلت في المنافقين حين أظهروا كلمة الايمان وأسروا الكفر فنفى الله عنهم الايمان بقوله (وما هم بمؤمنين) فدل على أن حقيقة الايمان ليس الاقرار فقط (يخادعون الله والذين آمنوا) يعملون عمل المخادع باظهار غير ما هم عليه ليدفعوا عنهم أحكام الكفار (وما يخادعون الا أنفسهم) لأن وبال خداعهم عاد عليهم باطلاع الله نبيه على أسرارهم وافتضاحهم (وما يشعرون) وما يعلمون ذلك (في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادهم الله مرضا) أي بما أنزل من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله (ولهم

(ولهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانو يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أى بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقون بتخفيف الذال أى بكذبهم فى قولهم آمنا فى السر وهم المنافقون عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب ابن قشير (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المنافقين (لاتفسدوا فى الأرض) بتعويق الناس عن دين محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا انما نحن مصلحون) وانما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض قال الله تعالى ردا عليهم أبلغ رد (الا) أى بلى (أنهم هم المفسدون) لها بالتعويق (ولكن لايشعرون) أن الله تعالى يطلع نبيه على فسادهم (واذا قيل لهم آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أى ان المؤمنين نصحوا المنافقين من وجهين أحدهما النهى عن الافساد وهو التخلى عن الرذائل وثانيهما الأمر بالايمان وهو التحلى بالفضائل (كما آمن الناس) أى الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل كأصحاب النبى أو كعبدالله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم (قالوا) فيما بينهم لابحضرة المسلمين (أنؤمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كما آمن السفهاء) أى الجهال وانما سفهوا المؤمنين لتحقير شأنهم لأن أكثرهم فقراء و بعضهم موال كصهيب و بلال أولعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبدالله بن سلام وأصحابه قال الله تعالى ردا عليهم أبلغ رد (ألا) أى بلى (انهم هم السفهاء) أى الجهال الخرق (ولكن لايعلمون) أنهم سفهاء (واذا لقوا) أى المنافقون (الذين آمنوا) أبا بكر وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر كايمانكم (واذا خلوا) أى عادوا (الى شياطينهم) أى أكابرهم الذين يقدرون على الافساد فى الأرض وهم خمسة نفر كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبدالله بن الأسود بالشام (قالوا) لهم لئلا يتوهموا فيهم المباينة (انا معكم) أى على دينكم فى السر (انما نحن) فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزئون) بهم من غير أن يخطر ببالنا الايمان حقيقة (الله يستهزئ بهم) أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فلأنه تعالى أطلع الرسول على أسرارهم مع أنهم كانوا يبالغون فى اخفائها عنه وأما فى الآخرة فقال ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا خرجوا من الجحيم و يتوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (و يمدهم فى طغيانهم) أى يزيدهم فى ضلالتهم (يعمهون) أى يترددون فى الكفر وتركه متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الايمان (فما ربحت تجارتهم) أى فلم يربحوا فى تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم العقل الصرف وربحه الهدى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) أى صفة المنافقين فى حال نفاقهم كصفة الذى أوقد نارا فى ظلمة لكى يأمن بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضاءت ماحوله) أى فلما أضاءت النار المكان الذى حول المستوقد

(ولهم عذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكذبون) بتكذيبهم آيات الله ونبيه ومن قرأ يكذبون فمعناه بكذبهم فى ادعائهم الايمان (واذا قيل لهم) لهؤلاء المنافقين (لاتفسدوا فى الأرض) بالكفر وتعويق الناس عن الايمان (قالوا انما نحن مصلحون) الذى نحن عليه هو صلاح عند أنفسنا فرد الله عليهم ذلك فقال (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) لا يعلمون أنهم مفسدون (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) أى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أى لانفعل كما فعلوا وهذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم فأخبر الله به عنهم (واذا لقوا الذين آمنوا) اذا اجتمعوا مع المؤمنين ورأوهم (قالوا آمنا واذا خلوا) من المؤمنين وانصرفوا (الى شياطينهم) كبرائهم وقادتهم (قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون) مظهرون غير ما نضمر (الله يستهزئ بهم) يجازيهم جزاء استهزائهم (ويمدهم) يمهلهم ويطول أعمارهم (فى طغيانهم) فى اسرافهم ومجاوزتهم القدر فى الكفر (يعمهون) يترددون متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أخذوا الضلالة وتركوا الهدى (فما ربحت تجارتهم) ما ربحوا فى تجارتهم واضافة الربح الى التجارة على طريق الاتساع كاضافة الضياء الى النار (وما كانوا مهتدين) فيما فعلوا (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت) أنارت أى حالهم فى نفاقهم وإبطانهم الكفر كحال من أوقد نارا فاستضاء بها وأضاءت النار (ماحوله) مما يخاف ويحذر فأمن فبيناهو

كذلك اذ طفئت ناره فبقى مظلما خائفامتحيرا فـذلك قوله (ذهب الله بنورهـم) الآية كذلك المنافقون لما أظهروا كلة الايمان اغتروا بها وأمنوا من الآفات فلماماتواعادوا الى الخوف والعذاب(صم) لتركهم قبول مايسمعون( بكم) لتركهم القول بالخير (عمى) لتركهم مايبصرون من الهداية (فهم لايرجعون) عن الجهل والعمى الى الاسلام ثم ذكر تمثيلا آخر فقال(أوكصيب) يعنى أوكأصحاب مطر شديد (من السماء) من السحاب(فيه) فى ذلك السحاب (ظلمات ورعـد) وهوصوت ملك موكل بالسحاب (وبرق) لمعان سوطه الذى يزجر به (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) يعنى أهل هذا المطر (من الصواعق) من شدة صوت الرعد



يسدون آذانهم بأصابعهم كيلايموتوا بشدةمايسمعون من الصوت والمطرمثل للقرآن لما فيه من حياة القلوب والظلمات مثل لما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن ومافيه من البيان وجعل الأصابع فى الآذان (حذر الموت) مثل لجعل المنافقين أصابعهم فى آذانهم كيلايسمعوا القرآن مخافة ميل القلب الى القرآن فيؤدى ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر والكفر موت (والله محيط بالكافرين) مهلكهم وجامعهم فى النار (يكاد البرق يخطف أبصارهم) هذا تمثيل يقول يكاد مافى القرآن من الحجج يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر فى أمردينهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) كلما سمعوا شيئا مما يحبون صدقوا واذا سمعوا ما يكرهون وقفوا وذلك قوله (واذا أظلم عليهم قاموا ولوشاء الله لذهب بسمعهم) أى بأسماعهم الظاهرة (وأبصارهم) الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة حتى صاروا صما عميا فليحذروا عاجل عقوبة الله وآجلها فـ(ـان الله على كل شىء قدير) من ذلك (يأيها الناس) يعنى أهل مكة (اعبدوا ربكم) اخضعوا له بالطاعة (الذى خلقكم) ابتدأكم ولم تكونوا شيئا (والذين من قبلكم) أى ان عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوق وهو الصنم (لعلكم تتقون

فأبصر وأمن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود بالايقاد فبقى المستوقدون فى ظلمة وخوف (وتركهم) أى المستوقدين (فى ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم الغمام فيه وظلمة انطفاء النار (لايبصرون) ماحولهم فكذلك هؤلاء المنافقون أمنوا على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بسبب اظهار كلة الايمان فاذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب وهم فى القبر وما بعده (صم) عن الحق فلايسمعونه سماع قبول (بكم) عن الخير فلا يقولونه قولا مطابقا للواقع لما سبق انهم مؤمنون ظاهرا (عمى) عن طريق الهدى فلايرونه رؤية نافعة (فهم لايرجعون) عن كفرهم وضلالتهم (أو كصيب) أوصفة المنافقين كصفة أصحاب مطر نازل (من السماء) أى السحاب ليلاوهم فى مفازة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب اذا أخذتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد (وبرق) وهو مايلمع من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد يكون معها قطعة نار (حذر الموت) من سماعها فكذلك هؤلاء المنافقون اذا نزل القرآن المشبه بالمطر فى أن كلا سبب الحياة وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات وعدم الاهتداء وذكر الوعيد على الكفر المشبه بالرعد فى ازعاجه وارهابه وذكر الحجج البينة المشبهة بالبرق فى ظهوره يسدون آذانهم من سماع القرآن حذر الميل الى الايمان الذى هو بمنزلة الموت عندهم فان ترك الدين موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلايفوتونه تعالى لأن المحاط لايفوت المحيط (يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء) أى البرق (لهم مشوا فيه) أى فى ضوء البرق (واذا أظلم عليهم قاموا) أى بقوا فى الظلمة وهذا تمثيل لازعاج مافى القرآن قلوبهم باختطاف البرق بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل الغنيمة وعصمة الدماء والأموال بمشيهم فى البرق ولوقوفهم لما يكرهون من التكاليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم بوقوفهم فى الظلمة (ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم (لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق كذلك لوشاء الله لذهب بسمع المنافقين بزجر مافى القرآن و وعيد مافيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شىء) أى ممكن من ذهاب السمع والبصر (قدير) قال الفخر الرازى وأضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم مسلكا أخذوه واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا فيه بطرح نوره ويقويه قراءة ابن أبى عبلة كلما ضاء (يأيها الناس) أى ياأهل مكة أو ياأيها اليهود (اعبدوا ربكم) أى وحدوه بالعبادة (الذى خلقكم) نسما من النطفة (والذين من قبلكم) أى أنشأهم ولم يكونوا شيئا (لعلكم

تتقون) لكي تتقوا بعبادته عقوبته أن تحل بكم (الذي جعل لكم الارض فراشا) بساطا لم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها (والسماء بناء) سقفا (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) يعني حمل الأشجار وجميع ما ينتفع به مما يخرج من الارض (فلا تجعلوا لله أندادا) أمثالا من الأصنام التي تعبدونها (وأنتم تعلمون) أنهم لا يخلقون والله الخالق وهذا احتجاج عليهم في اثبات التوحيد ثم احتج عليهم في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بما قطع  عذرهم فقال (وان كنتم في ريب)

في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم لا ندري هو من عند الله أم لا (فأتوا بسورة من مثله) في الاعجاز وحسن النظم والاخبار عما كان وعما يكون (وادعوا شهداءكم) فاستعينوا بآلهتكم التي تدعونها (من دون الله ان كنتم صادقين) أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من نفسه (فان لم تفعلوا) هذا فيما مضى (ولن تفعلوا)ه أيضا فيما يستقبل أبدا (فاتقوا) فاحذروا أن تصلوا (النار التي وقودها) ما توقد به (الناس والحجارة) يعني حجارة الكبريت وهي أشد لا يقادها (أعدت للكافرين) بتكذيبهم ثم ذكر جزاء المؤمنين فقال (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الاعمال الصالحات أي أخبرهم خبرا يظهر به أثر السرور على بشرتهم وعملوا

الصالحات يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم) بأن لهم (جنات) حدائق ذات الشجر (تجري من تحت) أشجار (ها) ومساكنها (الأنهار كلما رزقوا) أطعموا من تلك الجنان ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) تشابه ما يؤتون به وأرادوا هذا من نوع ما رزقنا من قبل (وأتوا به متشابها) في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك أبلغ في باب الاعجاب (ولهم فيها أزواج) من الحور والآدميات (مطهرة) من كل أذى وقذى مما في نساء الدنيا ومساوي الأخلاق وآفات الشيب والهرم (وهم فيها

تتقون) أي لكي تتقوا السخط والعذاب بعبادته ولعل للاطماع لكن الكريم الرحيم اذا أطمع أجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى بمعنى كي (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي بساطا (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا وعبر عنه بالبناء لاحكامه (وأنزل من السماء ماء) وعن خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا فيجتمع في موضع فتجيء السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الثمرات طعاما لكم ولسائر الخلق (فلا تجعلوا لله أندادا) أي شركاء في العبادة (وأنتم تعلمون) أن الأنداد لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال وأنتم تعلمون أنه ليس في التوراة والانجيل جواز اتخاذ الأنداد (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن في أنه من عند نفسه (فأتوا بسورة من مثله) أي مما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم والاخبار بالغيوب (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي ادعوا أكابركم من غيره تعالى ممن يوافقكم في انكار أمر محمد ليعينوكم على المعارضة وليحكموا لكم وعليكم فيما يمكن ويتعذر وقد كان في العرب أكابر يشهدون على المتنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلى درجة من الآخر (ان كنتم صادقين) في مقالتكم أن محمدا يقول من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أي لم تأتوا بسورة من مثل المنزل (ولن تفعلوا) أي لن تقدروا أن تجيئوا بمثله (فاتقوا النار) والمعنى اذا ظهر عجزكم عن المعارضة صح عندكم صدق محمد عليه السلام واذا صح ذلك فاتركوا العناد واذا لزمتم العناد استوجبتم العقاب بالنار (التي وقودها الناس) أي حطبها الكفار (والحجارة) المعبودة لهم قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (أعدت) أي هيئت تلك النار (للكافرين) بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي بساتين ذات شجر ومساكن والمأمور بالبشارة اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كل أحد يقدر على البشارة وهذا أحسن كما قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بذلك واحدا بعينه وقرأ زيد بن علي وبشر بلفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت (تجري من تحتها) أي من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أي أنهار الخمر واللبن والعسل والماء وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا مرزوقا من الجنات من نوع ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر الينا قال تعالى تصديقا في تلك الدعوى (وأتوا به متشابها) أي أتتهم الملائكة والولدان برزق الجنة متشابها بعضه بعضا في اللون مختلفا في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الحور والآدميات (مطهرة) من الحيض وجميع الأقذار ومن دنس الطبع وسوء الخلق (وهم فيها

خالدون) لأن تمام النعمة الخلود (ان الله لايستحيي) الآية لما ضرب الله المثل للمشركين بالذباب والعنكبوت فى كتابه ضحكت اليهود وقالوا مايشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى ان الله لايستحيي لايترك ولايخشى (أن يضرب مثلا) أى يبين شبها بالبعوضة (ما) زائدة والبعوض صغار البق الواحدة (بعوضة فمافوقها) يعنى فما هو أكبر منها والمعنى ان الله لايترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها اذا علم أن فيه عبرة لمن اعتبر وحجة على من جحد (فأما الذين آمنوا فيعلمون) أن المثل وقع فى حقه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا) أى شئ (أراد الله بهذا مثلا) من الأمثال والمعنى انهم يقولون أى فائدة فى ضرب المثل بهذا فأجابهم الله سبحانه



خالدون) أى دائمون لايموتون ولايخرجون (ان الله لايستحيي أن يضرب مثلاما) أى ان الله لايترك أن يبين للخلق مثلا أى مثل كان (بعوضة فمافوقها) فى الذات كالذباب والعنكبوت أو فى الغرض المقصود من التمثيل كجناح البعوضة وكيف يستحى الله من ذكر شئ لو اجتمع الخلائق كلهم على تخليقه ماقدروا عليه والمراد بالبعوضة هنا الناموس وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه فى غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه فى جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه) أى ضرب المثل (الحق) أى الثابت (من ربهم) فلا يسوغ انكاره لأنه ليس عبثا بل هو مشتمل على الأسرار والفوائد (وأما الذين كفروا) من اليهود (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) تمييز نسبة من اسم الاشارة أى أى فائدة فى هذا المثل قال الله تعالى فى جوابهم (يضل به) أى بهذا المثل عن الدين (كثيرا) من اليهود (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين (ومايضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد الايمان (الذين ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده ووحدانيته وعلى وجوب صدق رسله (من بعد ميثاقه) أى توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فالله أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار (ويفسدون فى الأرض) بتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) الموصوفون بنقض العهد ومابعده (هم الخاسرون) أى المغبونون بذهاب حسناتهم التى عملوها وبذهاب نعيم الجنة الذى لو أطاعوا الله لوجدوه (كيف تكفرون بالله و) الحال أنكم (كنتم أمواتا) أجساما لاحياة لها نطفا وعلقا ومضغا (فأحياكم) بنفخ الأرواح فيكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر والمعنى ثم اليه تنشرون من قبوركم للحساب (هو الذى خلق لكم) أى لأجل انتفاعكم فى الدين والدنيا بالاستدلال على موجدكم واصلاح الأبدان (مافى الأرض جميعا ثم استوى) أى قصد (الى) خلق (السماء) أى ثم تعلقت ارادته تعلقا حادثا بترجيح وجود السماء على عدمها فتعلقت القدرة بايجادها (فسواهن) أى فجعل السماء (سبع سموات) والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط فى يومين ثم خلق السموات السبع مبسوطة فى يومين ثم خلق مافى الأرض مما ينتفع به فى يومين وعن ابن مسعود قال ان الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين فى الأحد والاثنين فجعل الأرض على حوت والحوت

فقال (يضل به كثيرا) أى أراد الله بهذا المثل أن يضل به كثيرا من الكافرين وذلك أنهم ينكرونه ويكذبونه (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين لأنهم يعرفونه ويصدقون به (ومايضل به الا الفاسقين) الكافرين الخارجين عن طاعته (الذين ينقضون) يهدمون ويفسدون (عهد الله) وصيته وأمره فى الكتب المتقدمة بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ميثاقه) من بعد توكيده عليهم بايجابه ذلك (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى الرحم وذلك أن قريشا قطعوا رحم النبى بالمعاداة ومعنى (ويفسدون فى الأرض) بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أولئك هم الخاسرون) بفوت المثوبة والمصير الى العقوبة (كيف تكفرون بالله) معنى كيف هاهنا استفهام فى معنى التعجب للخلق أى اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله

فى

وحالهم أنهم كانوا ترابا فأحياهم بأن خلق فيهم الحياة فالخطاب للكفار والتعجب للمؤمنين وقوله (ثم يميتكم) فى الدنيا (ثم يحييكم) فى الآخرة للبعث (ثم اليه ترجعون) تردون فيفعل بكم مايشاء فاستعظم المشركون أمر البعث والاعادة فاحتج الله عليهم بخلق السموات والأرض فقال تعالى (هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا) بعضها للانتفاع وبعضها للاعتبار (ثم استوى الى السماء) أقبل عليها وقصد اليها (فسواهن سبع سموات) مستويات لاشقوق فيها ولافطور ولا تفاوت

(وهو بكل شيء عليم) اذ بالعلم يصح الفعل المحكم (واذ قال ربك) واذ كر لهم يا محمد اذ قال ربك (للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) يعنى آدم جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن والمراد بذكر هذه القصة ذكر بدء خلق الانسان (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) كما فعل بنو الجان قاسوا على الغائب (ونحن نسبح بحمدك) نبرئك



من كل سوء ونقول سبحان الله وبحمده (ونقدس لك) وننزهك عما لا يليق بك (قال انى أعلم مالا تعلمون) من اضمار ابليس العزم على المعصية فلما قال الله هذا للملائكة قالوا فيما بينهم لن يخلق الله خلقا أعلم منا ففضل الله آدم عليهم بالعمل وعلمه اسم كل شيء حتى اسم القصعة والمغرفة وذلك قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) أى خلق فى قلبه علما بالأسماء على سبيل الابتداء (ثم عرضهم) أى عرض المسميات بالأسماء من الحيوانات والجمادات وغير ذلك (على الملائكة فقال أنبئونى) أخبرونى (بأسماء هؤلاء) وهذا أمر تعجيز أراد الله أن يبين عجزهم عن علم ما يرون و يعاينون (ان كنتم صادقين) أنى لا أخلق خلقا أعلم منكم فقالت الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا (سبحانك) تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك (لاعلم لنا الاما

فى الماء على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة على الريح فتحرك الحوت فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفتخر على الارض (وهو بكل شيء عليم) فلا يمكن أن يكون خالقا للأرض ومافيها وللسموات ومافيها من العجائب والغرائب الا اذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها (واذ قال ربك للملائكة) فاذ نصب باضمار اذكر وقيل زائدة وقيل بمعنى قد ويجوز أن ينتصب بقالوا أتجعل أى قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم انى جاعل فى الارض خليفة روى الضحاك عن ابن عباس انه تعالى انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا فى الأرض محاربين مع ابليس لأن الله تعالى لما أسكن الجن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس فى جند من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوهم من الارض وألحقوهم بجزائر البحر وهؤلاء خزان الجنان أنزلهم الله من السماء الى الأرض لطرد الجن الى الجزائر والجبال وسكنوا الأرض فخفف الله عنهم العبادة وكان ابليس يعبد الله تارة فى الأرض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك الا لأنى أكرم الملائكة عليه فقال تعالى له ولجنده (انى جاعل فى الأرض خليفة) أى بدلا منكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد به آدم عليه السلام (قالوا) استكشافا عما خفى عليهم من الحكمة لا اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا فى بنى آدم على طريق الغيبة (أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصى بمقتضى القوة الشهوانية (ويسفك الدماء) بالظلم بمقتضى القوة الغضبية فغفلوا عن مقتضى القوة العقلية التى بها يحصل الكمال والفضل (ونحن نسبح) أى ننزهك عن كل مالا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما أنعمت به علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام (ونقدس لك) أى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك أى فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (انى أعلم مالا تعلمون) من مصلحة استخلاف آدم عليه السلام (وعلم آدم الأسماء كلها) أى أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولد آدم اليوم (ثم عرضهم) أى ذوات الأشياء (على الملائكة) بأن صور الله الأشياء فى قلوبهم فصارت كأنهم شاهدوها أو خلق الله تعالى معانى الأسماء التى علمها آدم حتى شاهدتها الملائكة (فقال) تعالى لهم توبيخا (أنبئونى بأسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم صادقين) فى زعمكم أنكم أحق بالخلافة ممن استخلفته (قالوا) اقرارا بالعجز (سبحانك) أى تبنا اليك من ذلك القول (لاعلم لنا الا ما علمتنا) أى وانما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك فكأنهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون فى الأرض و يسفكون الدماء فقلنا لك أتجعل فيها من يفسد فيها وأما هذه الأسماء فانك ما أعلمتنا كيفيتها فكيف نعلمها (انك أنت العليم) أى الذى لا يخرج عن علمه شيء (الحكيم) أى المحكم لصنعته (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أى أخبر الملائكة (بأسمائهم) أى المسميات (فلما أنبأهم بأسمائهم) مفصلة و بين لهم أحوال كل من المسميات وخواصه وأحكامه

علمتنا) اعترفوا بالعجز عن علم ما لم يعلموا (انك أنت العليم) العالم (الحكيم) الحاكم تحكم بالحق وتقضى به فلما ظهر عجز الملائكة (قال) الله تعالى لآدم (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) أخبرهم بأسمائهم فسمى كل شيء باسمه وألحق كل شيء بجنسه (فلما أنبأهم بأسمائهم)

المتعلقة بالمعاش والمعاد (قال) الله تعالى لهم موبخا (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض) أى أعلم غيب مايكون فيهما (وأعلم ماتبدون) أى تظهرون من قولكم أتجعل فيها الى آخره (وما كنتم تكتمون) أى من استبطانكم أنكم أحقاء بالخلافة وروى الشعبى عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد بقوله تعالى ماتبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها و بقوله وما كنتم تكتمون ما أسر ابليس فى نفسه من الكبر ومن أن لايسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ماشاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا أكرم عليه منه فهذا الذى كتموه (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تعظيم لآدم من غير وضع الجبهة على الأرض (فسجدوا الا ابليس أبى) عن أمر الله (واستكبر) أى تعاظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى صار من الكافرين باباءه عن أمر الله و يقال ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كافرا وهذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى ان بنى آدم عشر الجن والجن و بنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل فى مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارضون ومافيها ومابينها فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا ومامن مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ولايعلم عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذى هم جنود جبريل عليه السلام وكلهم مشتغلون بعبادته تعالى لايحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفية عبادتهم الا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) حواء (الجنة وكلا منها) أكلا (رغدا) أى واسعا لذيذا (حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتما منها (ولاتقربا هذه الشجرة) روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هى الشجرة المباركة السنبلة وعن مجاهد وقتادة هى التين وعن يزيد بن عبدالله هى الاترج وعن ابن عباس هى شجرة العلم عليها من كل لون وفن (فتكونا من الظالمين) أى فتصيرا من الضارين لأنفسكما و يقال من الذين وضعوا أمر الله تعالى فى غير موضعه (فأزلهما الشيطان) أى أزلقهما ابليس (عنها) أى الجنة وقرأ حمزة بألف بعد الزاى والباقون بغير ألف وتشديد اللام (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الرغد (وقلنا) لآدم وحواء وابليس (اهبطوا) انزلوا الى الارض فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من أعمال البصرة (بعضكم لبعض عدو) قال الله تعالى ان الشيطان لكما عدو مبين (ولكم فى الارض مستقر) أى منزل (ومتاع) أى منفعة ومعاش (الى حين) أى الى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى حفظ آدم من ربه كلمات لكى تكون سببا له ولأولاده الى التوبة وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءته عن الله تعالى كلمات

(قال) الله تعالى للملائكة (ألم أقل لكم) وهذا استفهام يتضمن التوبيخ لهم على قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها (انى أعلم غيب السموات والارض) أى ماغاب فيهما عنكم (وأعلم ماتبدون) علانيتكم (وما كنتم تكتمون) بسركم لايخفى على شئ من أموركم (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تعظيم وتسليم وتحية وكان ذلك انحناء يدل على التواضع ولم يكن وضع الجبهة على الارض (فسجدوا الا ابليس أبى) امتنع (واستكبر وكان من الكافرين) فى سابق علم الله (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذاها مأوى ومنزلا (وكلا منها رغدا) واسعا (حيث شئتما) كيف شئتما (ولاتقربا هذه الشجرة) لاتحوما حولها بالأكل منها يعنى السنبلة (فتكونا من الظالمين) العاصين الذين وضعوا أمر الله فى غير موضعه (فأزلهما الشيطان) نحاهما و بعدهما (عنها فأخرجهما مما كانا فيه) من الرتبة ولين العيش (وقلنا) لآدم وحواء والحية وابليس (اهبطوا) انزلوا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) يعنى العداوة التى بين بنى آدم وحواء والحية و بين ذرية آدم من المؤمنين و بين ابليس (ولكم فى الأرض مستقر) موضع قرار (ومتاع) ماتتمتعون به مما تنبته الأرض (الى حين) الموت

(فتلقى آدم من ربه) أخذ وتلقى (كلمات) هو أن الله تعالى ألهم آدم حين اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا الآية

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس انها لااله الا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا وظلمت
نفسى فاغفرلى انك أنت خير الغافرين لااله الا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا وظلمت
نفسى فارحمنى إنك أنت خير الراحمين لااله الا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى
فتب على انك انت التواب الرحيم وقال مجاهد وقتادة هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين (فتاب عليه) أى رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة (انه هو التواب) أى
الرجاع على عباده بالمغفرة (الرحيم) أى البالغ فى الرحمة لمن مات على التوبة (قلنا اهبطوا منها)
أى الجنة (جميعا) اما فى زمان واحد أوفى أزمنه متفرقة وفائدة تكرير الأمر بالهبوط أن آدم وحواء
لما أتيا بالزلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر به ووقع فى قلبهما أن الأمر به لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة
لا يبقى الأمر به فأعاد الله الأمر به مرة ثانية ليعلما أن الأمر به باق بعد التوبة لأن الأمر به
كان تحقيقا للوعد المتقدم فى قوله تعالى انى جاعل فى الأرض خليفة وعلى هذا فالجمع لاثنين فقط آدم
وحواء و يحتمل كون الجمع لهما ولولديهما قابيل واقليما بناء على القول بأنهما ولدا فى الجنة ولعل
عدم ذكرهما كونهما تابعين لأبويهما وكان قابيل قد غضبه أبواه لقتله هابيل (فاما يأتينكم)
ياذرية آدم (منى هدى) دلالة كدليل العقل والنقل وان الشرطية أدغمت فى ما الزائدة
للتأكيد (فمن تبع هداى) بأن تأمل الأدلة بحقها واستنتج المعارف منها (فلا خوف عليهم)
فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على مافاتهم من الدنيا و يقال فلا خوف عليهم اذا
ذبح الموت ولاهم يحزنون اذا أطبقت النار و زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات
و زوال الحزن يقتضى الوصول الى كل اللذات والمرادات وهذا يدل على أن المكلف الذى أطاع الله
تعالى لا يلحقه خوف فى القبر وعند البعث وعند حضور الموقف وعند تطاير الكتب وعند
نصب الميزان وعند الصراط (والذين كفروا) برسلنا المرسلة اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة
عليهم سواء كانوا من الانس أومن الجن (أولئك أصحاب النار) أى أهل النار وملازموها بحيث
لايفارقونها (هم فيها خالدون) أى دائمون لايخرجون منها ولايموتون فيها (يابنى اسرائيل)
أى يا أولاد يعقوب وهذا خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من اولاد يعقوب عليه
السلام فى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى على آبائكم
من الانجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام فى التيه وانزال المن والسلوى فيه واعطاء الحجر
الذى كان كرأس الرجل يسقيهم ماشاؤا من الماء متى أرادوا واعطاء عمود من النور ليضئ لهم بالليل
وجعل رؤسهم لاتتشعث وثيابهم لاتبلى وجعلهم أنبياء وملوكا بعد أن كانوا عبيدا للقبط وانزال
الكتب العظيمة التى ماأنزلها الله على أمة سواهم أى أقيموا بشكر تلك النعمة (وأوفوا بعهدى)
أى أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصى ومن الوفاء بالأمر الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم (أوف بعهدكم) أى أرض عنكم وأدخلكم الجنة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتتركون
واعلم أن كل من كان خوفه فى الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر و بالعكس روى أنه ينادى
مناد يوم القيامة وعزتى وجلالى انى لاأجمع على عبدى خوفين ولا أمنين من أمننى فى الدنيا خوفته
يوم القيامة ومن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقا) أى

(فتاب عليه) فعاد عليه بالمغفرة حتى اعترف بالذنب واعتذر (انه هو التواب الرحيم) يتوب على عبده
بفضله اذا تاب اليه من ذنبه (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرر الأمر بالهبوط للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فان يأتكم منى شريعة ورسول و بيان ودعوة (فمن تبع هداى) أى قبل أمرى واتبع ما أمر به (فلا خوف عليهم) فى الآخرة ولاحزن والخطاب لآدم وحواء وذريتهما أعلمهم الله تعالى أنه يبتليهم بالطاعة و يجازيهم الجنة عليها و يعاقبهم بالنار على تركها وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) وكتبنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يابنى اسرائيل) أولاد يعقوب (اذكروا) اشكروا وذكر النعمة هو شكرها (نعمتى) يعنى نعمى (التى أنعمت عليكم) يعنى فلق البحر والانجاء من فرعون وتظليل الغمام الى سائر ماأنعم الله عليهم والمراد بقوله عليكم على آبائكم والنعمة على آبائهم نعمة عليهم وشكرهم هذه النعمة طاعتهم فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم صرح بذلك فقال (وأوفوا بعهدى) فى
محمد صلى الله عليه وسلم (أوف بعهدكم) أدخلكم الجنة (واياى فارهبون) فخافون فى نقض العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا

لما معكم) موافقا للتوراة فى التوحيد والنبوة (ولاتكونوا أول كافر) من يكفر (به) من أهل الايمان لانكم اذا كفرتم كفر أتباعكم فتكونوا أئمة فى الضلال والخطاب لعلماء اليهود (ولاتشتروا) ولاتستبدلوا (بآياتى) ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم و بعثه (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من الدنيا يعنى ما كانوا يصيبونه من سفلتهم يخافون أنهم ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة (واياى فاتقون) فاخشون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم لامايفوتكم من الرئاسة (ولاتلبسوا الحق بالباطل) أى لاتخلطوا الحق الذى أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذى تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وتبديل نعمته (وتكتموا الحق) أى ولا تكتموا الحق وهو عطف على النهى (وأنتم تعلمون) أنه نبى مرسل قد أنزل عليكم ذكره فى كتابكم فجحدتم نبوته مع العلم به (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة فى المال (واركعوا مع الراكعين) وصلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جماعة (أتأمرون الناس) كانت اليهود تقول لاقربائهم المسلمين اثبتوا على ما أنتم عليه ولاترجعوا عنه فأنزل الله تعالى توبيخا أتأمرون الناس (بالبر) أى بالايمان بمحمد ﷺ (وتنسون) وتتركون (أنفسكم) فلاتأمرونها بذلك (وأنتم تتلون الكتاب) تقرأون التوراة وفيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (أفلا تعقلون) أنه حق فتتبعونه

ثم أمرهم الله بالصوم والصلاة لأنهم انما كان يمنعهم عن الاسلام الشره وخوف ذهاب مأكلتهم فأمروا بالصوم الذى يذهب الشره و بالصلاة التى تورث الخشوع وتنفى الكبر وأريد بالصلاة الصلاة التى معها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال (واستعينوا بالصبر يعنى الصوم (والصلاة) لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر (وانها لكبيرة) لثقيلة

موافقا بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم و بعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول كافر به) أى بالقرآن من اليهود فان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها قريظة والنضير فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت سائر اليهود على ذلك الكفر و يقال ولاتكونوا أول من جحد مع المعرفة لأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة (ولا تشتروا بآياتى) أى بكتمان صفة محمد (ثمنا قليلا) أى عوضا يسيرا وذلك لأن رؤساء اليهود مثل كعب بن الاشرف وحيي ابن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من سفلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمدا لانقطعت عنهم تلك الهدايا فأصروا على الكفر لئلاينقطع عنهم ذلك القدر المحقر وذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدا ثم تلك الهدايا كانت فى نهاية القلة بالنسبة الى الدنيا (واياى فاتقون) أى فخافونى فى شأن هذا النبى صل الله عليه وسلم (ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تخلطوا الحق بسبب الشبهات التى توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة فى التوراة والانجيل فى أمر محمد كانت نصوصا خفية يحتاج فى معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها و يشوشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات (وأنتم تعلمون) مافى اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيامة وذلك لأن التلبيس صار صارفا للخلق عن قبول الحق الى يوم القيامة وداعيا لهم الى الاستمرار على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (وأقيموا الصلاة) أى أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا الصلوات الخمس مع المصلين محمد وأصحابه فى جماعتهم وخص الله الركوع بالذكر تحريضا لليهود على الاتيان بصلاة المسلمين فان اليهود لاركوع فى صلاتهم فكأنه تعالى قال صلوا الصلاة ذات الركوع فى جماعة (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس أنه قال ان أحبار المدينة اذا جاءهم أحد فى الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه وهم كانوا لايتبعونه لطمعهم فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من أتباعهم و يقال ان جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركى العرب أن رسولا سيظهر منكم و يدعو الى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أى التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه وسلم (أفلا تعقلون) أى أتتلونه فلاتعقلون مافيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ماتحبون من الدنيا وعلى الدخول فيما تستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أى بحبس النفس عن اللذات (والصلاة) فانها جامعة لأنواع العبادات (وانها) أى الصلاة (لكبيرة)

أى

(الا على الخاشعين) الساكنين الى الطاعة وقال بعضهم رجع هذا القول الى خطاب المسلمين فأمرهم أن يستعينوا على مايطلبونه من رضاء الله ونيل جنته بالصبر على أداء فرائضه الصوم والصلاة (الذين يظنون) يستيقنون (أنهم ملاقوا ربهم) أنهم مبعوثون وأنهم يحاسبون وأنهم راجعون الى الله أى يصدقون بالبعث والحساب (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) مضى تفسيره (وأنى فضلتكم على العالمين) أعطيتكم الزيادة على عالم زمانكم وهو ماذكر فى قوله اذ جعل فيكم أنبياء والمراد بهذا التفضيل سلفهم وهذا التفضيل بالاشراف لأن تفضيل الآباء شرف للأبناء (واتقوا يوما) واحذروا واجتنبوا عقاب يوم (لاتجزى) لاتقضى ولا تغنى (نفس عن نفس شيئا ولاتقبل منها شفاعة) أى لا تكون شفاعة فيكون لها قبول وذلك أن اليهود كانوا يقولون يشفع لنا آباؤنا الأنبياء فآيسهم الله من ذلك (ولا يؤخذ منها عدل) فداء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (واذ نجيناكم) واذكروا ذلك (من آل فرعون) أتباعه من كان على دينه (يسومونكم) يكلفونكم (سوء العذاب) شديد العذاب وهو قوله (يذبحون) يقتلون (أبناءكم ويستحيون نساءكم) يستبقونهن أحياء (وفى ذلكم) الذى كانوا يفعلونه بكم (بلاء) اختبار وامتحان (من ربكم عظيم) وقيل فى تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة والبلاء النعمة والبلاء الشدة (واذ فرقنا بكم البحر) فجعلناه اثنى عشر طريقا حتى خاض فيه بنو اسرائيل (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى انطباق البحر عليهم وانجائكم منه

أى لشاقة (الا على الخاشعين) أى المائلين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالموت فى كل لحظة وذلك لأن كل من كان منتظر الموت فى كل لحظة لايفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون الى التوبة لأن خوف الموت مما يقوى دواعى التوبة (وأنهم اليه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا أنى فضلت آباءكم على الموجودين فى زمانهم لاعلى من مضى ولا على من يوجد بعدهم وأيضا معنى تفضيلهم على جميع العوالم أن الله تعالى بعث منهم رسلا كثيرة لم يبعثهم من أمة غيرهم ففضلوا لهذا النوع من التفضيل على سائر الأمم (واتقوا) أيها اليهود ان لم تؤمنوا (يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبى عمرو وبالتذكير على قراءة الباقين (منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم القيامة لاتنوب نفس عن نفس شيئا ولاتحمل عنها شيئا مما أصابها بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه النيابة أن طاعة المطيع لاتقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه (واذ نجيناكم) وقرئ أنجيناكم ونجيتكم فاذ فى موضع نصب عطفا على نعمتى عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظروف الآتية فى الكلام المتعلق ببنى اسرائيل وينقضى عند قوله تعالى سيقول السفهاء والخطاب للموجودين فى زمن نبينا تذكيرا لهم بما أنعم الله على آبائهم لأن انجاء الآباء سبب فى وجود الأبناء والمعنى ويابنى اسرائيل اذكروا اذ نجينا آباءكم (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وعمر فرعون أكثر من أربعمائة سنة وهو الوليد بن مصعب بن ريان (يسومونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صغارا وقرئ يذبحون بالتخفيف (ويستحيون نساءكم) أى يتركونهن أحياء صغارا ويقال يستخدمونهن كبارا وذلك أن فرعون رأى فى منامه نارا أقبلت من بيت المقدس حتى أحاطت ببيوت مصر وأحرقت كل قبطى وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يولد فى بنى اسرائيل ولد يكون هلاك القبط وزوال ملكك على يده فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثنى عشر ألف صبى (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) والبلاء ههنا هو المحنة ان أشير بلفظ ذلكم الى صنع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء وحمل البلاء على النعمة أحسن لأنها هى التى صدرت من الله تعالى ولأن موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على أسلافهم ثم ان كون استبقاء نسائهم على الحياة محنة مع انه ترك للعذاب لما أن ذلك كان للاستعمال فى الأعمال الشاقة وكان سببا لانقطاع النسل ولفساد أمر معيشتهن (واذ فرقنا بكم البحر) أى واذكروا اذ فلقناه بسببكم أى لأجل أن يتيسر لكم سلوكه (فأنجيناكم) من الغرق باخراجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) التطام أمواج البحر بفرعون وقومه وترون بعد ثلاثة أيام جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل وفرعون معهم طافين

روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببني اسرائيل وكانوا اثنى عشر سبطا كل سبط خمسون ألفا فلما خرج موسى ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لاتتبعوهم حتى يصيح الديك ثم اجتمع الى فرعون ألف ألف ومائتا ألف كل واحد منهم على فرس فتبعوا موسى وقومه نهارا وصادفوهم على شاطىء البحر فضرب موسى بعصاه البحر فانشق البحر اثنى عشر جبلا فى كل واحد منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يابسا فأخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا لموسى ان بعضنا لايرى صاحبه فضرب موسى عصاه على البحر فصار بين الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بعضا فلما وصل فرعون شاطىء البحر رأى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فجاء جبريل على حجرة فتقدم فرعون وهو على فحل فتبعها فرس فرعون فلما دخل فرعون البحر صاح ميكائيل بهم من خلفهم وهو على فرس فقال ألحقوا آخركم بأولكم فلما دخلوا البحر ولم يبق واحد منهم التطم البحر عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفى البحر أربعة فراسخ وهو بحر القلزم طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى (واذ واعدنا موسى) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير ألف فى هذه السورة وفى الأعراف وطه وقرأ الباقون بالألف فى المواضع الثلاثة (أربعين ليلة) باعطاء الكتاب (ثم اتخذتم العجل) أى عبدتم العجل المسمى بهموت (من بعده) أى بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أى ضارون لأنفسكم * قيل وعد موسى عليه السلام بنى اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان مايأتون ومايذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره أن يجىء الى الطور ويصوم فيه ذا القعدة وعشر ذى الحجة فذهب اليه واستخلف هرون على بنى اسرائيل ومكث فى الطور أربعين ليلة وأنزلت عليه التوراة فى ألواح من زبرجد فلما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى الذى استعاروه من القبط لعمل عرس قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلى لاتحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا وأحرقوها وكان موسى السامرى فى مسيره مع موسى عليه السلام فى البحر نظر الى حافر دابة جبريل عليه السلام حين تقدم على فرعون فى دخول البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى أخذ ما كان معه من الذهب والفضة وصور منه عجلا فى ثلاثة أيام مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشى فقال للقوم هذا إلهكم وإله موسى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى عليه السلام وقعوا فى الفتنة فعبدوا كلهم العجل الا هرون مع اثنى عشر ألف رجل وكان موسى السامرى رجلا صائغا من جماعة يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من بنى اسرائيل من قوم يعبدون البقر (ثم عفونا عنكم) أى محونا ذنوبكم حين تبتم (من بعد ذلك) أى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أى لكى تشكروا نعمة عفوى وتستمروا بعد ذلك على طاعتى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) أى واذكروا اذ أعطينا موسى التوراة وبينا فيها الحلال والحرام والأمر والنهى وغير ذلك (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بتدبر الكتاب من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم) أى انكم نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (باتخاذكم العجل) أى بعبادتكم العجل فقالوا لموسى فماذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا الى بارئكم) أى الى خالقكم ولو أظهرتم التوبة

(واذ واعدنا موسى أربعين ليلة) أى انقضاءها وتمامها للتكلم معه (ثم اتخذتم العجل) معبودا وإلها (من بعده) أى من بعد خروجه عنكم للميقات (وأنتم ظالمون) واضعون العبادة فى غير موضعها وهذا تنبيه على أن كفرهم بمحمد ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل فى زمن موسى (ثم عفونا) محونا ذنوبكم (عنكم من بعد ذلك) عبادة العجل (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمتى بالعفو (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى التوراة الفارق بين الحلال والحرام (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بذلك الكتاب (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) إلها (فتوبوا الى بارئكم) خالقكم قالوا كيف قال

بالبدن دون القلب فأنتم ماتبتم الى الله وانما تبتم الى الناس قالوا كيف تتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم) أي سلموا أنفسكم للقتل وارضوا به فأجابوا فأخذ عليهم المواثيق ليصبروا على القتل فأصبحوا مجتمعين فكل قبيلة على حدة وأتاهم بالاثنى عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل البتة وبأيديهم السيوف فقال التائبون ان هؤلاء اخوانكم قد أتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه أومد طرفه اليهم أواتقاهم بيد أورجل فيقولون آمين فجعلوا يقتلون من الصبح الى المساء وقام موسى وهرون عليهما السلام يدعوان الله تعالى و يقولان البقية البقية يا الهنا فأوحى الله اليهما انى قد غفرت لمن قتل وتبت على من بقي وكان القتلى سبعين ألفا (ذلكم) أي القتل في التوبة (خير لكم عند بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (فتاب عليكم) أي قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل من بقية المجرمين وعفا عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أي المتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على التوبة (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) وذلك لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ماهم عليه من عبادة العجل حرق العجل وألقاه في البحر واختار من قومه سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فأجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لايستطيع أحد من بني آدم النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول له افعل كذا ولاتفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لانصدق لك بأن مانسمعه كلام الله حتى نرى الله معاينة فأحرقتهم نار من السماء وماتوا جميعا وقام موسى رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول ياالهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فأرجع اليهم وليس معي منهم واحد فما الذي يقولون فلم يزل موسى مشتغلا بالدعاء حتى رد الله أرواحهم و بطلت توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لاأقبل الا أن يقتلوا أنفسهم (وأنتم تنظرون) الى النار الواقعة من السماء (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي ثم أحييناكم بعد حرقكم بالنار و بعد موتكم يوما وليلة وذلك لاظهار آثار القدرة وليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولوماتوا بانقضاء آجالهم لم يحيوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا احيائي (وظللنا عليكم الغمام) أي جعلنا السحاب الرقيق يظلكم من حر الشمس أي وكان يسير بسيرهم وكانوا يسيرون ليلا ونهارا و ينزل عليهم بالليل عمود من نور يسيرون في ضوئه وثيابهم لاتتسخ ولاتبلى وذلك في التيه وهو واد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين لايهتدون الى الخروج منه وسبب ذلك مخالفتهم أمر الله تعالى بقتال الجبارين الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال (وأنزلنا) في التيه (عليكم المن) وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد وكان يقع على أشجارهم من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت والسلوى وهو طائر ليس له ذنب ولايطير الا قليلا و يموت اذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد فيلهمه الله أن يسكن جزائر البحر التي لايكون فيها مطر ولارعد الى انقضاء أوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر و ينتشر في الأرض

من اقامتكم على عبادة العجل ثم فعلتم ما أمرتم به (فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) يعني الذين اختارهم موسى ليعتذروا الى الله تعالى من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله وفرغ موسى من مناجاة الله قالوا لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) عيانا لايستره عنا شيء (فأخذتكم الصاعقة) وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت وانما أخذتهم الصاعقة لأنهم امتنعوا من الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يريهم ربهم جهرة والايمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزتهم ولايجوز اقتراح المعجزات عليهم فلهذا عاقبهم الله وهذه الآية توبيخ لهم على مخالفة الرسول مع قيام معجزته كما خالف أسلافهم موسى مع ماأتى به من الآيات الباهرة (ثم بعثناكم) نشرناكم وأعدناكم أحياء (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث (وظللنا عليكم الغمام) سترناكم عن الشمس في التيه بالسحاب الرقيق (وأنزلنا عليكم المن) وهو الترنجبين كان يقع على أشجارهم بالأسحار (والسلوى) وهو طير أمثال السماني وقلنا

(كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باباتهم على موسى دخول قرية الجبارين
ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم فى التيه فلما انقضت مدة حبسهم وخرجوا من التيه قال الله لهم (واذقلنا ادخلوا



هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) وهى أريحا (وادخلوا الباب) يعنى بابا من أبواب المسجد (سجدا) منحنين متواضعين (وقولوا حطة) وذلك أنهم أصابوا خطيئة باباتهم على موسى دخول القرية فأراد الله تعالى أن يغفر حالهم أى مسئلتنا حطة وهى أن تحط عنا ذنوبنا (وسنزيد المحسنين) الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة احسانا وثوابا (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) وغيروا تلك الكلمة التى أمروا بها وقالوا حنطة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا) ظلمة وطاعونا فهلك فى ساعة واحدة سبعون ألفا لفسقهم بتبديل ماأمروا به من الكلمة (واذ استسقى موسى لقومه) فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل (فانفجرت) أى فضرب فانشقت (منه اثنتا عشرة عينا) فكان يأتى كل سبط عينهم التى كانوا يشربون منها وذلك قوله (قد علم كل أناس مشربهم) وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من الماء هذا كله (من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) أى لاتسعوا فيها بالفساد فملوا ذلك العيش وذكروا عيشا كان لهم بمصر وقالوا (ياموسى لن نصبر على طعام واحد) يعنى المن الذى يأكلونه والسلوى وكان طعاما واحدا

وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم) أى من مستلذات مارزقناكموه ولا تدخروا لغد فادخروا فقطع الله ذلك عنهم ودود ماادخروه (وما ظلمونا) أى وما نقصونا بما ادخروا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى يضرون لنقص أنفسهم حظها من النعيم (واذقلنا) لهم بعد خروجهم من التيه على لسان موسى أو على لسان يوشع (ادخلوا هذه القرية) روى أن موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الأربعين سنة بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء قرية الجبارين وهى بين القدس وحوران وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض فيها وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبى وأن الله تعالى أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل (فكلوا منها) أى تلك القرية (حيث شئتم رغدا) أى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) أى باب القرية أى من أى باب كان من أبوابها السبعة أو من باب يسمى باب الحطة أو باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام (سجدا) أى منحنين متواضعين كالراكع (وقولوا حطة) أى ان القوم أمروا بأن يدخلوا الباب على وجه الخضوع وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن أبى عبلة بالنصب والمعنى حط عنا ذنوبنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) وقرأ نافع بالتذكير وابن عامر بالتأنيث على البناء للمجهول والباقون بالنون المفتوحة (وسنزيد المحسنين) بالطاعة فى حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) أنفسهم (قولا غير الذى قيل لهم) أى أمر لهم أى فدخلوا الباب زاحفين على أدبارهم قائلين حنطة على شعيرة استخفافا بأمر الله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا) أى غيروا الأمر (رجزا) أى طاعونا مقدرا (من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم أى خروجهم عن الطاعة روى أنه مات بالطاعون فى ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا فهذا الوباء غير الذى حل بهم فى التيه (و) اذكروا (اذ استسقى موسى لقومه) فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها لموسى وروى أن ذلك الحجر حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة جوانب وكان ذراعا فى ذراع ينبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى ذلك السبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثناعشر ميلا وقيل كان حجرا أعطاه الله عليه اثنى عشر ثديا كثدى المرأة يخرج من كل ثدى نهر اذا ضرب عصاه عليه (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) أى نهرا (قد علم كل أناس) أى سبط (مشربهم) أى موضع شربهم من نهرهم روى أنه كان لكل سبط عين من اثنتى عشرة عينا لايشركه فيها غيره وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) أى كلوا واشربوا من رزق الله الذى يأتيكم بلاتعب (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) أى لاتتمادوا فى الفساد فى الأرض فى حالة افسادكم ويقال لاتمشوا فى الأرض على خلاف أمر موسى (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد

(فادع لنا ربك) سله وقل له (يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها) وهو كل نبات لا يبقى له ساق (وقثائها) وهو نوع من الخضراوات
(وفومها) وهو الحنطة فقال لهم موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أخس وأوضع (بالذى هو خير) أرفع وأجل فدعا موسى فاستجبنا له
وقلنا لهم (اهبطوا مصرا) انزلوا بلدة من البلدان فان الذى سألتم  لا يكون الا فى القرى والامصار (وضربت
عليهم) أى على اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم (الذلة) يعنى الجزية وزى اليهودية ومعنى ضرب الذلة الزامهم اياها الزاما لا يبرح (والمسكنة) زى الفقر والبؤس (وباءوا) احتملوا وانصرفوا (بغضب من الله) أى (ذلك) الضرب والغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) التى أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين) أى يتولون أولئك الذين يفعلون (ذلك) بغير حق أى قتلا (بغير الحق) يعنى بالظلم ذلك الكفر والقتل بشؤم ركوبهم المعاصى وتجاوزهم أمر الله (ان الذين آمنوا) بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك (والذين هادوا) دخلوا فى دين اليهودية (والنصارى والصابئين) الخارجين من دين الى دين وهم قوم يعبدون النجوم (من آمن) من هؤلاء (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن الدليل قد قام أن من لم يؤمن به لم يكن عمله صالحا
(فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. واذ أخذنا ميثاقكم) بالطاعة لله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال رفع الطور فوقكم يعنى الجبل وذلك أنهم أبوا قبول شريعة التوراة فأمر الله جبلا فانقلع من أصله حتى قام على رءوسهم فقبلوا خوفا من أن يرضخوا بالجبل وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) اعملوا بما أمرتم فيه

أى على أكل طعام واحد وهو المن والسلوى (فادع لنا) أى اسأل لاجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها) أى من أطايبه التى تؤكل كالكرفس والكراث والنعناع (وقثائها وفومها) أى ثومها كما هو مروى عن ابن عباس ومجاهد وهو اختيار الكسائى لأن الثوم بالثاء فى حرف عبد الله بن مسعود (وعدسها وبصلها قال) أى موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أى أخس وهو الثوم والبصل (بالذى هو خير) أى أشرف وهو المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى (اهبطوا مصرا) أى اخرجوا من هذا المكان الى المكان الذى خرجتم منه (فان لكم) هناك (ما سألتم وضربت عليهم الذلة) أى جعلت على فروع بنى اسرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أى زى الفقر (وباءوا بغضب) أى استحقوا الغضب أى اللعنة (من الله ذلك) أى الذلة والمسكنة واللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أى بسبب أنهم كانوا يجحدون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآية الرجم التى فى التوراة وبالانجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) أى ظلما روى أن اليهود قتلت سبعين نبيا فى أول النهار ولم يغتموا حتى قاموا فى آخر النهار يتسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا ٧ وغيرهم من الأنبياء (ذلك) الغضب (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى يتجاوزون الحد بقتل الأنبياء واستحلال المعاصى وهذا الذل الذى أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى فى زعمهم وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة عده بعض العلماء من باب المعجزات لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقد وقع الأمر كذلك فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وهذا الكلام الى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض فى خلال القصص المتعلقة بحكاية أحوال بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام لأن قتل الأنبياء انما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أى الذين تهودوا (والنصارى) أى الذين تنصروا (والصابئين) أى الخارجين من دين الى دين وهم قوم من النصارى يحلقون وسط رءوسهم ويقرءون الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صبأت قلوبنا أى رجعت قلوبنا الى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فيما بينهم وبين ربهم (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تفويت الثواب والمعنى ان الذين آمنوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فى زمن الفترة بعيسى عليه السلام مثل قس بن ساعدة وبحيرة الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى ووفد النجاشى والذين كانوا على الدين الباطل الذى لليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم أجرهم عند ربهم أو المعنى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالايمان الحقيقى صار من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثورى (واذ أخذنا ميثاقكم) أى اقراركم بقبول التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفعنا فوق رؤسكم الجبل مقدار قامة كالظلة وكان فرسخا فى فرسخ حتى أعطيتم الميثاق وقلنا (خذوا ما آتيناكم) أى اعملوا

(بقوة) و بجد ومواظبة على طاعة الله (واذ كروا مافيه) من الثواب والعقاب (لعلكم تتقون ثم توليتم) أعرضتم عن أمر الله وطاعته (من بعد ذلك) أى أخذ الميثاق (فلولا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب عنكم (لكنتم من الخاسرين) الهالكين في العذات (ولقد عملتم) عرفتم (الذين) جاوزوا ماحد لهم فى ترك الصيد (فى السبت فقلنا لهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) مطرودين مبعدين (فجعلناها) أى تلك العقوبة والمسخة (نكالا) عبرة (لمابين يديها) الأمم التى ترى تلك الفرقة الممسوخة (وما خلفها) والأمم التى تأتى بعدها (وموعظة) عبرة (للمتقين) المؤمنين من هذه الأمة (واذقال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وذلك قد وجد قتيل فى بنى اسرائيل ولم يدروا قاتله فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) تستهزىء بنا حين نسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة (قال أعوذ بالله) أمتنع بالله (أن أكون) من المستهزئين بالمؤمنين فلما علموا أن ذلك عزم من الله سألوا الوصف فـ(ـقالوا ادع لنا ربك) سله بدعائك اياه (يبين لناماهى) ماتلك البقرة وكيف هى وكم سنها وهذا تشديد منهم على أنفسهم (قال انه يقول انها بقرة لافارض) لا كبيرة (ولا بكر) فتية صغيرة (عوان) نصف بين السنين والفتية

بما أعطينا كموه من الكتاب (بقوة) أى بجد (واذ كروا مافيه) من الثواب والعقاب واحفظوا مافيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أى لكى تتقوا المعاصى (ثم توليتم) أى أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أى رفع الطور وايتاء التوراة (فلولا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته) بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليكم (لكنتم من الخاسرين) أى لصرتم من المغبونين بالعقوبة و بالانهماك فى المعاصى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) أى و بالله لقد عرفتم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت فى زمن داود عليه السلام روى أنهم أمروا بأن يتمحضوا يوم السبت للعبادة و يتركوا الصيد وهؤلاء القوم كانوا فى زمن داود عليه السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل أرض فى شهر من السنة حتى لايرى الماء لكثرتها وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم أخذوا السمك وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استسن الابناء بسنة الآباء فمشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ أزمان فمازادنا الله به الاخيرا فقيل لهم لاتغتروا فربما نزل بكم العذاب فأصبح القوم قردة خاسئين فمكثوا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم كونوا) أى صيروا (قردة خاسئين) أى ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (فجعلناها) أى المسخة أو القردة أو قرية أصحاب السبت أو هذه الأمة (نكالا لمابين يديها وماخلفها) أى عقوبة رادعة للأمم التى فى زمانها و بعدها الى يوم القيامة أو لما قرب من تلك القرية وماتباعد عنها أو عقوبة لأجل ماتقدم على هذه الأمة من ذنوبهم وماتأخر منها (وموعظة للمتقين) أى لكل متق سمع تلك الواقعة فانه يخاف ان فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل مانزل بهم والمراد بقوله تعالى كونوا سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد الله بهم (واذ قال موسى لقومه) أى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاصولكم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلا فقيرا فى بنى اسرائيل قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكى يرثه ثم رماه فى مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عليه السلام فاجتهد موسى فى تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على أنفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا فى طلب الوصف فلما تعينت البقرة لم يجدوها بذلك النعت الا عند انسان معين ولم يبعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها فذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فصار المقتول حيا وعين لهم قاتله وهو الذى ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا (قالوا أتتخذنا هزوا) أى أتستهزىء بنا ياموسى فان سؤالنا عن أمر القتيل وأنت تأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لأنهم لم يعلموا أن الحكمة هى حياة القتيل بضربه ببعض البقرة واخباره بقاتله (قال) أى موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أى المستهزئين بالمؤمنين لأن الهزء فى أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل فلما علموا أن الأمر بالذبح حق (قالوا ادع لنا) أى لأجلنا (ربك يبين لناماهى) أى ماسنها أصغيرة أو كبيرة (قال انه) أى الله تعالى (يقول انها بقرة لافارض) أى كبيرة فى السن (ولا بكر) أى صغيرة (عوان بين ذلك) أى وسط بين المسنة

والفتية (فافعلوا ماتؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه) تعالى (يقول انهـا بقرة صفراء فاقع لونها) أى صاف لونها (تسر الناظرين) اليها بسبب حسنها وتعجبهم من شدة صفرتها لغرابتها وخروجها عن المعتاد (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أعاملة هى أم لا (ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها أو الى القاتل (قال انه) تعالى (يقول انها بقرة لاذلول) أى غير مذللة (تثير الأرض) أى تقلبها للزراعة (ولاتسقى الحرث) أى الزرع (مسلمة) من كل عيب (لاشية فيها) أى لاخلط فى لونها قال مجاهد لابياض فيها ولاسواد (قالوا الآن جئت بالحق) أى نطقت بالبيان المحقق ففتشوا عليها فوجدوها عند الفتى البار لأمه فاشتروها بملء جلدها (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أى ماقاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ويقال وما كادوا أن يذبحوها لأجل غلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له ابن طفل وله عجلة فأتى بها الى الغيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر فكانت من أحسن البقر وأسمنها فلما كبر الابن كان بارا لوالدته فكان يقسم الليل أثلاثا يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فلما أصبح احتطب على ظهره فيبيع الحطب فى السوق ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه ثم أمرته أمه أن يأخذ تلك العجلة من الغيضة فلما أخذها قالت له أمه انك فقير يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فبع هذه البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولاتبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة اذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليختبر الفتى كيف بره بوالدته فقال الملك له بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير بشرط رضى والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولاتستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذها الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأذنت أمك فقال الفتى انها أمرتنى أن لاأنقصها عن ستة دنانير على أن استأذنها فقال الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لاتستأذنها فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا فافعل فقال الملك له اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلاتبيعيها الا بملء مسكها ذهبا دنانير فأمسكتها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة للفتى على بره بوالدته فضلا من الله تعالى (واذ قتلتم نفسا) اسمه عاميل وقيل نكار (فادارأتم فيها) أى تخاصمتم فى شأنها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تكتمون) من قتلها وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم وقوله (فقلنا اضربوه) أى القتيل (ببعضها) أى بعضو من أعضاء البقرة قيل بذنبها وقيل بلسانها وقيل بفخذها الأيمن ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل قاتله فحرم الميراث وفى الحديث ماورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كما أحيا الله عاميل فى الدنيا (يحيي الله الموتى) فى الآخرة من غير احتياج الى آلة (ويريكم آياته) أى يجعلكم مبصرين دلائل قدرته واحيائه للميت (لعلكم تعقلون) أى لكى تعلموا أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء نفوس كثيرة فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود فلم تقبل الحق (من

---

(فافعلوا ماتؤمرون) وقوله (فاقع لونها) أى شديد الصفرة (تسر الناظرين) تعجبهم بحسنها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أسائمة أم عاملة (ان البقر) يعنى جنس البقر (تشابه) اشتبه واستشكل (علينا وانا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الأبد (قال انه يقول انها بقرة لاذلول) مذللة بالعمل (تثير الأرض) تقلبها للزراعة أى ليست تقلب لأنها ليست ذلولا (ولا تسقى الحرث) الأرض المهيئة للزراعه (مسلمة) من العيوب والآثار (لاشية فيها) لا لون فيها يفارق سائر لونها (قالوا الآن جئت بالحق) بالوصف التام الذى تتميز به من أجناسها فطلبوها فوجدوها (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها (واذ قتلتم نفسا) هذا أول القصة ولكنه مؤخر فى الكلام (فادارأتم) فاختلفتم وتدافعتم (والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من أمر القتل (فقلنا اضربوه ببعضها) بلسانها فيحيا فضرب فحيي (كذلك يحيي الله الموتى) كما أحيا هذا القتيل (ويريكم آياته) قدرته فى خلق الحياة فى الأموات (ثم قست قلوبكم) يامعشر اليهود أى اشتدت وصلبت (من

بعد ذلك) من بعد هذه الآيات التى تقدمت من المسخ ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من حجر وأحياء الميت بضرب عضو
وهذه الآيات بما يصدقون بها (فهى كالحجارة) فى القسوة وعدم المنفعة بل (أشد قسوة) وانما عنى بهذه القسوة تركهم الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ماعرفوا صدقه وقدرة الله على عقابهم بتكذيبهم اياه ثم عذر الحجارة وفضلها على قلوبهم فقال
(وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) (٢٠)

بعد ذلك) أى احياء عاميل واخباره بقاتله أو من بعد الأمور التى جرت على أجدادكم (فهى كالحجارة)
فى القساوة (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قال الحكماء ان الأنهار
انما تنشأ عن أبخرة تجتمع فى باطن الأرض فان كان ظاهر الأرض رخوا انشقت تلك الأبخرة وانفصلت
وان كان ظاهر الأرض حجريا اجتمعت تلك الابخرة حتى تكثر كثرة عظيمة فتنشق الأرض وتسيل
تلك المياه أنهارا (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) أى العيون الصغار التى هى دون الانهار
(وان منها لما يهبط) أى يتدحرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) أى من انقياد أمر الله
وقلوبكم أيها اليهود لا تتحرك من خوف الله واللام فى لما لام الابتداء دخلت على اسم ان وهو ما بمعنى الذى
والضمير منه و يشقق و يهبط يعود عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أى ان الله محافظ لأعمال
القاسية قلوبهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) أى أفتطمعون أيها
النبى والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتكم و يستجيبوا لكم والحال أن طائفة منهم وهم أحبارهم
يسمعون كلام الله فى التوراة ثم يغيرونه من بعد المعنى الذى فهموه بعقولهم وهم يعلمون أنهم مفترون
وذلك كنعت محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة أكحل العين ربعة جعد
الشعر حسن الوجه فكتبوا بدلها طويلا أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والمعنى أفترجو
يا أشرف الخلق أن تؤمن بك اليهود والحال أن أسلافهم وهم السبعون المختارون للميقات الذين كانوا مع
موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ماعلموه و يقينا وهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك
أنهم قالوا سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وان شئتم أن
لا تفعلوا فلا بأس (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أى ان منافقى أهل الكتاب كانوا اذا لقوا أصحاب
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وأن قوله حق ونجد
نعته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم) أى رجع الساكتون الذين لم ينافقوا (الى بعض) آخر منهم وهو
منافقوهم (قالوا) أى الساكتون موبخين للمنافقين (أتحدثونهم) أى المؤمنين (بما فتح الله
عليكم) أى بما بين الله لكم فى التوراة من صفة النبى صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم به عند ربكم)
أى ليقيموا الحجة عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه فى ترك اتباع محمد مع اقراركم بصدقه وقوله تعالى
ليحاجوكم متعلق بالتحديث والمراد بهذا تشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لأجل هذا الغرض
مما لا يكاد يصدر عن العاقل أى أتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم بكتاب الله وحكمه و يقال عند الله
كذا معناه فى كتابه وحكمه (أفلا تعقلون) ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) أى اللائمون
أو المنافقون أو كلاهما (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء

الله) يهبط من علو الى سفل من خشية الله قال مجاهد كل حجر ينفجر منه الماء أو يشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل فهو من خشية الله نزل به القرآن ثم أوعدهم فقال (وما الله بغافل عما تعملون) ثم خاطب النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقطع طمعهم عن ايمانهم فقال (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) وحالهم ان طائفة منهم كانوا (يسمعون كلام الله) يعنى التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه عن وجهه يعنى الذين غيروا أحكام التوراة وغيروا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ماعقلوه) أى لم يفعلوا ذلك على نسيان وخطأ بل فعلوه عن تعمد (وهم يعلمون) أن ذلك يكسب الأوزار (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى منافقى اليهود (قالوا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو نبى صادق نجده فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) رجع هؤلاء المنافقون الى رؤسائهم لاموهم و (قالوا أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (بما فتح الله عليكم) من صفة النبى صلى الله عليه وسلم المبشر به (ليحاجوكم) ليجادلوكم ويخاصموكم (به) بما قلتم لهم (عند ربكم) فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد ما وقفتم على صدقه (أفلا تعقلون) ليس لكم ذهن الانسانية فقال الله تعالى (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون) من التكذيب يعنى هؤلاء المنافقين (وما يعلنون) من التصديق

واخفاء ماقتح الله عليهم واظهار غيره فيرعوا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أميون) أي جهلة (لايعلمون الكتاب) أي لايعرفونه بقراءة ولا كتابة وطريقتهم التقليد (الأماني) أي الاماهم عليه من أمانيهم في أن الله لايؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ومما تحملهم أخبارهم على تمني قلوبهم من أن النار لاتمسهم الاأياما معدودة ومن أن الجنة لايدخلها الا من كان هودا وقال الأكثرون الابقدر مايتلى عليهم فيسمعونه أولايقرءون الاقراءة عارية عن معرفة المعنى (وان هم إلايظنون) أي ماهم يعرفون الكتاب الابأن يذكر لهم تأويله فظنوه (فويل) أي عذاب أليم أومسيل صديد أهل جهنم أوشدة الشر (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا) في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به) أي ليأخذوا لأنفسهم بمقابلة الكتاب المحرف (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرها فغيروا آية الرجم بالجلد والتحميم أي تسويد الوجه (فويل لهم) أي فشدة العذاب لهم (مما كتبت أيديهم) أي فيما غيرت أيديهم (وويل لهم مما يكسبون) أي يصيبون من الحرام والرشوة (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أي قليلة قال مجاهد ان اليهود كانت تقول عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فالله تعالى يعذبهم مكان ألف سنة يوما فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وحكى الأصمعي عن بعض اليهود أنهم عبدوا العجل سبعة أيام فكانوا يقولون الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وذلك كما أخرجه الطبراني وغيره بسند حسن عن ابن عباس وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طرق ضعيفة عنه أنها أربعون يوما (قل) لهم ياأشرف الخلق (أتخذتم عند الله عهدا) أي خبرا فان خبره تعالى أوكد من العهود المؤكدة منا بالقسم والنذر (فلن يخلف الله عهده) أي فان الله تعالى منزه عن الكذب في وعده ووعيده لأن الكذب صفة نقص والنقص على الله محال (أم تقولون) مفترين (على الله مالا تعلمون) وقوعه أي أم لم تتخذوا من الله عهدا بل تتقولون عليه تعالى (بلى) تمسكم النار أبدا (من كسب سيئة) أي كفرا (وأحاطت به خطيئته) أي كبيرته بأن مات على الكفر (فأولئك) أي أهل هذه الصفة (أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة (هم فيها خالدون) أي لايخرجون منها أما أصحاب الكبائر غير الكافرين فانا نقطع بأنه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ولكنا نتوقف في حق كل أحد على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بأنه تعالى اذا عذب أحدا منهم مدة فانه لايعذبه أبدا بل يقطع عذابه وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وقرأ نافع خطيآته بالجمع والمراد بالخطيآت أنواع الكفر المتجددة في كل وقت (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لايموتون فيها ولايخرجون منها (واذ أخذنا) في التوراة (ميثاق بني اسرائيل) الذين كانوا في زمن موسى (لاتعبدون الا الله) أي لاتشركون به شيئا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة وقرأ عبد الله وأبي لاتعبدوا بصريح النهي وهذه قراءة شاذة (وبالوالدين احسانا) وهو متعلق بمحذوف أي وتحسنون أو وأحسنوا بالبر بهما وان كانا كافرين بأن لايؤذيهما البتة ويوصل اليهما من المنافع قدر مايحتاجان اليه فيدخل فيه دعوتهما الى الايمان ان كانا كافرين وأمرهما

(للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) أي من قبل أنفسهم من غير أن يكون أنزل (ثم يقولون هذا من عند الله) الآية يعني اليهود عمدوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة وأخذوا عليه الأموال فذلك قوله (وويل لهم مما يكسبون) فلما أوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار عند تكذيبهم إياه (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) قليلة يعنون الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل فكذبهم الله تعالى فقال (قل) يامحمد (أتخذتم عند الله عهدا) أخذتم بما تقولون من الله ميثاقا لاينقض ميثاقه (أم تقولون على الله) الباطل جهلا منكم ثم رد على اليهود قولهم لن تمسنا النار (بلى) أعذب (من كسب سيئة) يعني الشرك (وأحاطت به خطيئته) سدت عليه مسالك النجاة وهو أن يموت على الشرك (فأولئك) الذين يخلدون في النار ثم أخبر عن أخذ الميثاق عليهم بتبيين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فقال (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) في التوراة (لاتعبدون) بأن لاتعبدون (الا الله وبالوالدين) أي وصيناهم بالوالدين (احسانا

بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين (وذى القربى) أى أحسنوا بالأقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الحاء والسين وقرئ قراءة شاذة حسنا بضمتين وحسنى كبشرى والقول الحسن هو الذى يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم فى ملتهم فقبلتم ذلك الميثاق المذكور (ثم توليتم) أى أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (الا قليلا منكم) أى آباءكم وهو من أقام اليهودية على طريقها قبل النسخ ويقال الا قليلا منكم وهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) عن الطاعة كآبائكم (واذ أخذنا ميثاقكم) أى واذكروا يأيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آبائكم فى التوراة (لا تسفكون دماءكم) أى لا يقتل بعضكم بعضا (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من منازلكم يابنى قريظة والنضير (ثم أقررتم) بوجوب المحافظة على الميثاق (وأنتم تشهدون) أى تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) أى هؤلاء الحاضرون بعد ذلك (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) أى من منازلهم ذلك الفريق (تظاهرون عليهم) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الظاء والباقون بالتشديد أى يعاون بعضكم بعضا (بالاثم) أى المعصية (والعدوان) أى التجاوز فى الظلم (وان يأتوكم أسارى) أى أسارى أهل دينكم (تفادوهم) بالمال أو غيره أى وان يقع ذلك الفريق الذى تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيرا فى يد حلفائكم تفدوه قرأ حمزة أسرى بفتح الهمزة وسكون السين مع الامالة وقرأ عاصم والكسائى تفادوهم بضم التاء وفتح الفاء والباقون بفتح التاء وسكون الفاء (وهو) أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) قال السدى ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير أخوين كالأوس والخزرج فافترقوا فكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم اذا أسر رجل من الفريقين فدوه كما لو أسر واحد من النضير ووقع فى يد الأوس افتدته قريظة منهم بالمال وهكذا يقال فى عكس ذلك فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدوهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحى أن تذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى تفعلون بعض الواجبات وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) أى فلم تتركوا المحرم وهو القتال والاخراج والمعاونة (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى) أى ذم عظيم وتحقير بالغ (فى الحياة الدنيا) فكان خزى قريظة القتل والسبى وقد قتل صلى الله عليه وسلم منهم سبعمائة فى يوم واحد وخزى بنى النضير بالاجلاء الى أذرعات وأريحا وقيل هو ضرب الجزية على النضير فى الشام وعلى من بقى من قريظة الذين سكنوا خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أى عذاب جهنم لما أن معصيتهم أشد المعاصى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بتاء الخطاب فى يعملون وأما فى يردون فالسبعة بالغيبة فقط وأما بتاء الخطاب فشاذة وهذه الجملة زجر عظيم عن المعصية و بشارة عظيمة على الطاعة

صلى الله عليه وسلم (وأنتم معرضون) عما عهد اليكم كأوائلكم (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) بأن لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا من داره و يغلبه عليها (ثم أقررتم) أى قبلتم ذلك (وأنتم) اليوم (تشهدون) على اقرار أوائلكم ثم أخبر أنهم نقضوا هذا الميثاق فقال (ثم أنتم هؤلاء) أراد ياهؤلاء (تقتلون أنفسكم) يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم) تتعاونون على أهل ملتكم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم) مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) أى واخراجهم عن ديارهم محرم عليكم (أفتؤمنون ببعض الكتاب) يعنى فداء الأسير (وتكفرون ببعض) يعنى القتل والاخراج والمظاهرة قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء اسرائهم فأعرضوا عن كل ما أمروا الا الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى) فضيحة وهوان فى الحياة الدنيا

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا) أي استبدلوها (بالآخرة) بأن اختاروا الكفر على الايمان (فلا يخفف عنهم العذاب) لابالانقطاع ولابالقلة في كل وقت أوفي بعض الأوقات (ولاهم ينصرون) فلا يدفع أحد هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي التوراة (وقفينا من بعده بالرسل) أي أتبعناهم اياه مترتبين وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم وجميع الأنبياء بين موسى وعيسى على شريعة موسى قيل هم سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف ومدة مابينهما ألف وتسعمائة سنة وخمسة وعشرون سنة (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي المعجزات كاحياء الموتى وابراء الأكمه سواء كان كمهه خلقيا أوطارئا وابراء الأبرص وكالاخبار بالمغيبات وكالانجيل ثم عيسى بالسريانية أيشوع ومعناه المبارك ومريم بالسريانية بمعنى الخادم وفي كتاب لسان العرب هي المرأة التي تكره مخالطة الرجال (وأيدناه) قرأه ابن كثير بمد الهمزة وتخفيف الياء أي قويناه (بروح القدس) وهو جبريل وهو الذي بشر مريم بولادتها وانما ولد عيسى عليه السلام من نفخة جبريل وهو الذي رباه في جميع الأحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (أفكلما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بمالاتهوى أنفسكم) أي بما لايوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أي تعظمتم عن الايمان به والأتباع له (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) أي كذبت طائفة محمدا صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام وقتل فريق يحيي وزكريا (وقالوا) أي اليهود (قلوبنا غلف) أي مغشاة بأغطية عن قولك يامحمد أو قلوبنا أوعية لكل علم وهي لاتعي علمك وكلامك (بل لعنهم الله بكفرهم) أي ليس عدم قبولهم للحق لخلل في قلوبهم ولكن الله أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم فأبطل استعدادهم عن القبول (فقليلا مايؤمنون) أي لا يؤمنون الابالقليل مما كلفوا به لأنهم كانوا يؤمنون بالله الا أنهم كانوا يكفرون بالرسل وقال قتادة والأصم وأبو مسلم أي لايؤمن منهم الا القليل وذلك نظير قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلايؤمنون الاقليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما معهم) أي موافق لكتابهم التوراة بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل مبعث محمد ونزول القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفتح أي النصرة (على الذين كفروا) أي مشركي العرب أسد وغطفان ومزينة وجهينة وهم عدوهم يقولون اذا دهمهم عدو اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي الأمي (فلما جاءهم ماعرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وقال ابن عباس وقتادة والسدى نزلت هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد قرب زمانه ينصرنا عليكم (فلعنة الله على الكافرين) أي ابعاد الله من خيرات الآخرة عليهم (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بئس الشيء شيئا اشتروا به أنفسهم كفرهم بالقرآن المصدق للتوراة أي ان هؤلاء اليهود لما اعتقدوا أنهم بما فعلوه خلصوا أنفسهم من العقاب وأوصلوها الى

وقوله (لايخفف عنهم العذاب) معناه في الدنيا والآخرة وقيل هذه الحالة مختصة بالآخرة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعد بالرسل) وأرسلنا رسولا بعد رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) يعني ماأوتي من المعجزة (وأيدناه) وقويناه (بروح القدس) بجبريل وذلك انه كان قرينه يسير معه حيث سار يقول كل هذا فما استقمتم لانكم (كلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم (وفريقا تقتلون) مثل يحيي وزكريا (وقالوا قلوبنا غلف) وهو أن اليهود قالوا استهزاء وانكارا لما أتى به محمد قلوبنا غلف عليها غشاوة فهي لاتعي ولا تفهم مايقول فكل شيء في غلاف فهو أغلف وجمعه غلف ثم أكذبهم الله تعالى فقال (بل لعنهم الله بكفرهم) أي أبعدهم من رحمته وطردهم (فقليلا مايؤمنون) أي بقليل يؤمنون بما في أيديهم وقال قتادة فقليلا مايؤمنون أي مايؤمن منهم الا القليل كعبد الله بن سلام (ولما جاءهم كتاب) يعني القرآن (مصدق) موافق لما معهم (وكانوا) يعني اليهود من قبل نزول هذا الكتاب (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) بمحمد ﷺ وكتابه ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان (فلما جاءهم ماعرفوا) يعني الكتاب وبعثة النبي (كفروا به) ثم ذم صنعهم فقال (بئسما اشتروا به أنفسهم) أي بئس ماباعوا به حظ أنفسهم من الثواب بالكفر بالقرآن

(بغيا) أى حسدا (أن ينزل الله) انزال الله (من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن كفر اليهود لم يكن من شك ولا اشتباه وانما كان حسدا حيث صارت النبوة فى ولد اسمعيل (فباءوا) فانصرفوا واحتملوا



(بغضب) من الله عليهم لأجل تضييعهم التوراة (على غضب) لكفرهم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واذا قيل) لليهود (آمنوا بما أنزل الله) بالقرآن (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة (ويكفرون بما وراءه) سواه (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) موافقا للتوراة ثم كذبهم الله تعالى فى قولهم نؤمن بما أنزل الله علينا بقوله (قل فلم تقتلون أنبياء الله) أى كتاب جوز فيه قتل نبى ثم ذكر أنهم كفروا بالله مع وضوح الآيات فى زمن موسى فقال (ولقد جاءكم موسى بالبينات) يعنى اليد والعصا وفلق البحر (ثم اتخذتم العجل من بعده) إلها (واذ أخذنا ميثاقكم) الى قوله واسمعوا قد مضى ومعنى واسمعوا أى ما فيه من حرامه وحلاله (قالوا سمعنا) ما فيه (وعصينا) ما أمرنا به (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى سقوا حب العجل وخلطوا بحب العجل حتى اختلط بهم والمعنى حبب اليهم العجل (بكفرهم) باعتقادهم التشبيه لأنهم طلبوا ما يتصور فى نفوسهم (قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان

الثواب فقد اشتروا أنفسهم به فى زعمهم وقال الأكثرون الاشتراء ههنا بمعنى البيع لان المذموم لا يكون الا لما كان حاصلا لهم لا لما كان زائلا عنهم والمعنى باعوا أنفسهم بكفرهم لان الذى حصلوه على منافع أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان الغرض بالبيع والشراء ابدال ملك بملك صلح أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتر لوقوع هذا المعنى من كل واحد منهما (بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أى حسدا على أن ينزل الله النبوة بفضله على محمد وطلبا لما ليس لهم أى فانهم ظنوا أن هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل فى قومهم فلما وجدوه فى العرب حملهم ذلك على الحسد وقد أجاز العلماء أن يكون بغيا مفعولا له ناصبه أن يكفروا وأن ينزل الله مفعولا له وناصبه بغيا (فباءوا بغضب على غضب) أى فاستحقوا لعنة بعد لعنة لأمور صدرت عنهم (وللكافرين عذاب مهين) أى يهانون بالعذاب الشديد بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم) أى واذا قال المؤمنون لليهود الموجودين فى زمن نبينا (آمنوا بما أنزل الله) أى بكل ما أنزل الله من الكتب الالهية جميعا (قالوا) فى جواب هذا القيل (نؤمن بما أنزل علينا) أى بما أنزل على أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الأنبياء الذين أتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما وراءه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم يكفرون بما بعده وهو الانجيل والقرآن (وهو) أى ما وراء ما أنزل على نبيهم من الانجيل والقرآن (الحق مصدقا لما معهم) أى موافقا بالتوحيد لكتبهم (قل) لهم يا أشرف الخلق الزاما وبيانا لكفرهم بالتوراة التى ادعوا الايمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) والمعنى ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلأى شىء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل لان فى التوراة تحريم القتل وذلك لان التوراة دلت على أن المعجزة تدل على الصدق ودلت على أن من كان صادقا فى ادعاء النبوة فان قتله كفر واذا كان الأمر كذلك كان السعى فى قتل زكريا ويحيى وعيسى كفرا فلم سعيتم فى ذلك ان صدقتم فى ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة والمعنى أنهم لو آمنوا بالتوراة لما قتلوا الأنبياء فآل أمرهم الى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى لا بالبعض كما ادعوا فان قيل قوله تعالى آمنوا خطاب لهؤلاء الموجودين وقوله فلم تقتلون حكاية فعل أسلافهم فكيف وجه الجمع بينهما قلنا معناه انكم بهذا التكذيب للانجيل والقرآن خرجتم من الايمان بما آمنتم كما خرج أسلافكم بقتل بعض الأنبياء عن الايمان بالباقين (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالآيات التسع وهى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر (ثم اتخذتم العجل) أى عبدتم العجل (من بعده) أى من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) أى كافرون بعبادته (واذ أخذنا ميثاقكم) أى اقراركم (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفعنا فوق رءوسكم الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى اعملوا بما أعطيناكم من الكتاب بجد (واسمعوا) أى أطيعوا ما تؤمرون (قالوا سمعنا) قولك بآذاننا (وعصينا) أمرك بقلوبنا وغيرها (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أى وأدخلوا فى قلوبهم حب عبادة العجل بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك (قل) لهم يا أشرف الخلق (بئسما يأمركم به ايمانكم) بما أنزل عليكم من التوراة قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل

ان كنتم مؤمنين) هذا تكذيب لقولهم نؤمن بما أنزل علينا وذلك أن آباءهم ادعوا الايمان ثم عبدوا العجل فقيل لهم بئس الايمان ايمان يأمر بالكفر والمعنى لو كنتم مؤمنين ماعبدتم العجل يعنى آباءهم كذلك اليهود تقول لن يدخل الجنة الا من كان هودا فقيل لهم أنتم لو كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ما كذبتم محمدا ﷺ



(قل ان كانت لكم الدار الآخرة )

(ان كنتم مؤمنين) بالتوراة كما زعمتم فان يجوز فيها الوجهان من كونها نافية وشرطية وجوابها محذوف تقديره فبئسما يأمركم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى نعيم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خالصة من دون الناس) أى خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق بأن صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ( فتمنوا الموت ) كأن تقولوا ليتنا نموت (ان كنتم صادقين) فى مقالتكم لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم (ولن يتمنوه) أى لن يسألوا الموت ( أبدا بما قدمت أيديهم ) أى بسبب ماعملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وكتحريف التوراة (والله عليم بالظالمين) أى الكافرين فيجازيهم (ولتجدنهم) أى والله لتجدن اليهود يامحمد (أحرص الناس على حياة) أى بقاء فى الدنيا (ومن الذين أشركوا) أى وأحرص من مشركى العرب المنكرين للبعث لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) أى يتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) والمراد بألف سنة التكثير لا خصوص هذا العدد وليس المراد بها قول الاعاجم عش ألف سنة لو مصدرية وهى مع صلتها فى تأويل مصدر مفعول يود ( وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) فاعل لمزحزح أى وما أحدهم بمن يبعده من النار تعميره ألف سنة (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به قرأ السبعة بالياء التحتية و يعقوب من العشرة بالفوقية روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا فقال يامحمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم الذى يجىء فى آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبى قال صدقت يامحمد فأخبرنى عن الولد أمن الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت فما بال الرجل يشبه أعمامه دون أخواله و يشبه أخواله دون أعمامه فقال أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت أخبرنى أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفى التوراة أن النبى الأمى يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن على نفسه أحب الطعام والشراب وهو لحمان الابل وألبانها فقالوا نعم فقال له بقيت خصلة واحدة ان قلتها آمنت بك أى ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ان ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتى بالبشر والرخاء فلو كان هو الذى يأتيك آمنا بك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل) لأنه ينزل القرآن على محمد فقد خلع ربقة الانصاف (فانه) أى جبريل (نزله) أى القرآن (على قلبك باذن الله) أى بأمره وخص القلب بالذكر لأنه خزانة الحفظ و بيت الرب (مصدقا لما بين يديه) أى لماقبل القرآن من الكتب الالهية لأن الشرائع التى تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقدرة بالأوقات ومنتهية فى هذا الوقت فان النسخ بيان انتهاء مدة العبادة وحينئذ لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف فى الشرائع (وهدى) أى بيان ما وقع التكليف به من أعمال

الآية كانت اليهود تقول لن يدخل الجنة الا من كان هودا فقيل لهم ان كنتم صادقين فتمنوا الموت فانه من لايشك أنه صائر الى الجنة فالجنة آثر عنده (ولن يتمنوه أبدا) لأنهم عرفوا أنهم كفرة ولا نصيب لهم فى الجنة وهو قوله (بما قدمت أيديهم ) أى بما عملوا من كتمان أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والله عليم بالظالمين) فيه معنى التهديد (ولتجدنهم) يامحمد يعنى علماء اليهود أنهم (أحرص الناس على حياة) لأنهم علموا أنهم صائرون الى النار اذا ماتوا لما أتوا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ( ومن الذين أشركوا ) أى وأحرص من منكرى البعث ومن أنكر البعث أحب العمر لأنه لايرجو بعثا فاليهود أحرص منهم لأنهم علموا ماجنوا فهم يخافون النار (يود أحدهم) أى أحد اليهود (لو يعمر ألف سنة ) لأنه يعلم أن آخرته قد فسدت عليه (وماهو بمزحزحه) بمبعده (من العذاب) تعميره (قل من كان عدوا لجبريل) الآية سألت اليهود نبى الله عمن يأتيه من الملائكة فقال جبريل فقالوا هو عدونا ولو أتاك ميكائيل آمنا بك فأنزل الله هذه الآية والمعنى قل من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا (فانه نزله) أى القرآن (على قلبك باذن الله) بأمر الله (مصدقا) موافقا لما قبله من الكتب (وهدى

و بشرى للمؤمنين) رداعلى اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل لهم ان كان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فانه ينزل بالهدى والبشرى للمؤمنين (من كان عدوا لله) الآية أى من كان عدوا لأحد من هؤلاء فان الله عدو له لأن عدو الواحد عدو الجميع وعدو محمد صلى الله عليه وسلم عدو لله والواو ههنا بمعنى أو وقوله (فان الله عدو للكافرين)

القلوب وأعمال الجوارح (و بشرى) أى بيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذكر رداعلى اليهود فى دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الاجساد كما أن جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب والأرواح وقدم جبريل لشرفه لأن العلم أشرف من الأغذية وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتنزيل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حمزة والكسائى بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة وقرأ شعبة كذلك الا أنه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الا أن ابن كثير فتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الألف واللام وقرأ نافع بهمزة بعد الألف ولا ياء بعد الهمزة والباقون بهمزة بعد الألف و ياء قال ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ ابن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ماجاءنا بشئ من البينات وماهو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا اليك) يا أشرف الخلق (آيات بينات) أى آيات القرآن الذى لايأتى بمثله الجن والانس (وما يكفر بها الا الفاسقون) وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا فى محمد عهدا فأنزل الله هذه الآية (أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) أى أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا الله عهدا كقولهم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم لئن خرج النبى لنؤمنن به ولنخرجن المشركين من ديارهم وككونهم عاهدوا الله على أن لايعينوا عليه صلى الله عليه وسلم أحدا من المشركين ثم أعانوا عليه قريشا يوم الخندق نبذه فريق منهم (بل أكثرهم لايؤمنون) أى لايصدقون بك أبدا لحسدهم وقيل لايصدقون بكتابهم لأنهم كانوا فى قومهم كالمنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون لهم الايمان بكتابهم ورسولهم ثم لايعملون بمقتضاه (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى أعطوه وتمسكوا به (كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) أى أنه كتاب الله أى فكفروا عنادا والكتاب مفعول ثان لأوتوا وكتاب الله مفعول نبذ وقال السدى لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لها وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أى اليهود وهو معطوف على نبذ (ماتتلوا) أى تكذب (الشياطين على ملك سليمان) من السحر وكانت الشياطين دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك

أى أنه تولى تلك العداوة بنفسه وكفى رسله وملائكته أمر من عاداهم (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) بدلالات واضحات وهذا جواب لابن صوريا حين قال يا محمد ما أنزل اليك من آية حتى نؤمن بها (وما يكفر بها الا الفاسقون) الخارجون عن أديانهم واليهود خرجت بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة موسى ولما ذكر محمد لهم ما أخذ الله عليهم من العهد فيه قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا فى محمد صلى الله عليه وسلم عهد ولا ميثاق فأنزل الله هذه الآية وقوله (نبذه فريق منهم) يعنى الذين نقضوه من علمائهم (بل اكثرهم لايؤمنون) لأنهم بين ناقض العهد وجاحد لنبوته معاند له وقوله (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) يعنى علماء اليهود (كتاب الله) التوراة (وراء ظهورهم) أى تركوا العمل به حين تركوا الايمان بمحمد ﷺ و بالقرآن (كأنهم لايعلمون) أنه حق وان ما أتى به صدق وهذا اخبار عن عنادهم ثم أخبر الله تعالى أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر فقال (واتبعوا) يعنى علماء اليهود (ماتتلوا) أى ما كانت (الشياطين) تحدث وتقص من السحر (على ملك سليمان) فى عهده و زمان ملكه وذلك أن سليمان لما نزع ملكه دفنت الشياطين فى خزانته سحرا ونيرنجات فلما مات

سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة على سليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان ومدة نزع ملكه أربعون يوما وسبب ذلك أن احدى زوجاته عبدت صنما أربعين يوما وهو لا يشعر بها فعاتبه الله تعالى بنزع ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان فى خاتمه وهو من الجنة وكان اذا دخل الخلاء نزعه ووضعه عند زوجة له تسمى الأمينة ففعل ذلك يوما فجاء جنى اسمه صخر وتصور بصورة سليمان ودخل على الأمينة وقال اعطينى خاتمى فدفعته له فسخرت له الجن والانس والطير والريح وجلس على كرسى سليمان فجاء سليمان للأمينة وطلب الخاتم فرأت صورته غير الصورة التى تعرفها منه فقالت له ما أنت سليمان وهو قد أخذ الخاتم فلما تم الأربعون طار الجنى من فوق الكرسى ومر على البحر وألقى الخاتم فيه فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فأخذه من بطنها ولبسه ورجع له الملك فأمر الجن باحضار صخر فأتوا به فحبسه فى صخرة وسد عليه بالرصاص والحديد ورماها فى قعر البحر (وما كفر سليمان) أى ما كتب سليمان السحر وما عمل به لأن العمل بالسحر كفر فى شريعته وأما فى شرعنا فان اعتقد فاعله حل استعماله كفر والا فلا وأما تعلمه فان كان ليعمل به فحرام أو ليتوقاه فمباح أولا ولا فمكروه (ولكن الشياطين كفروا) أى كتبوا واستعملوا السحر وقرأ لكن ابن عامر وحمزة والكسائى بتخفيف النون مع الكسر ورفع الشياطين (يعلمون) أى الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به اضلالهم (وما أنزل على الملكين) عطف على السحر أى ويعلمونهم ما ألهماه من السحر وقيل عطف على ما تتلو واختار أبو مسلم أن ما فى محل جر عطف على ملك سليمان وذلك أن الملكين أنزلا لتعليم السحر امتحانا من الله للناس هل يتعلمونه أولا كما امتحن قوم طالوت بالشرب من النهر وقيل انما أنزلا لتعليمه للتمييز بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس لأن السحرة كثروا فى ذلك الزمن واستنبطوا أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين واظهار أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد فى سواد العراق (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين لانهما ملكان نزلا من السماء كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل ما أنزل نفى معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين سحر لأن السحرة كانوا يسندون السحر الى سليمان وزعموا أنه مما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فكذبهم الله تعالى على ذلك وقيل ان الملكين هما جبريل وميكائيل أخرجه البخارى فى تاريخه وابن المنذر عن ابن عباس وابن أبى حاتم عن عطية وحينئذ يكون هاروت وماروت مرفوعين بدل من الشياطين بدل البعض كما هو قراءة الزهرى وعلى هذا كما قاله الحسن والضحاك فهما علجان من بابل يعلمان السحر وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام فهما داود وسليمان كما أخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن ابزى وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك (وما يعلمان من أحد) أى وما يعلم الملكان أحدا السحر (حتى يقولا) أولا (انما نحن فتنة) أى امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أى فلا تتعلم ولا تعمل به أى لا يصفان السحر لأحد الا أن يقولا يبذلا النصيحة له فيقولان له هذا الذى نصفه لك وان كان الغرض منه أن يتميز به الفرق بين السحر والمعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به الى المفاسد والمعاصى فاياك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به الى شئ من الأغراض العاجلة (فيتعلمون) أى الأحد والمراد به السحرة (منهما) أى الملكين أو السحر والمنزل على الملكين أو الفتنة والكفر

سليمان دلت الشياطين عليه الناس حتى استخرجوها وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأقبل بنو اسرائيل على تعلمها ورفضوا كتب أنبيائهم فبرأ الله سليمان فقال (وما كفر سليمان) أى لم يكن كافرا ساحرا بسحر (ولكن الشياطين كفروا) بالله (يعلمون الناس السحر) يريد ما كتبت لهم الشياطين من كتب السحر (وما أنزل على الملكين) أى ويعلمونهم ما أنزل عليهما أى علما وألهما وقذف فى قلوبهما من علم التفرقة وهو رقية وليس بسحر وقوله (وما يعلمان) يعنى الملكين السحر (من أحد) أحدا (حتى يقولا انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار (فلا تكفر) وذلك أن الله عز وجل امتحن الناس بالملكين فى ذلك الوقت وجعل المحنة فى الكفر والايمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكفر فتعلمه ويؤمن بترك التعلم ولله أن يمتحن عباده بما شاء وهذا معنى قوله انما نحن فتنة فلا تكفر أى محنة من الله نخبرك أن عمل السحر كفر بالله وننهاك عنه فان أطعتنا نجوت وان عصيتنا هلكت وقوله (فيتعلمون منهما) أى فيأتون فيتعلمون من الملكين

(مايفرقون به بين المرء و زوجه) وهوأن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه و يبغض كل واحد منهما الى الآخر (وماهم) أى السحرة الذين يتعلمون السحر (بضارين به) بالسحر (من أحد) أحدا (الاباذن الله) بارادته كون ذلك أى لايضرون بالسحر الامن أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر (ويتعلمون  مايضرهم) فى الآخرة (ولاينفعهم ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) اختار السحر (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب ثم ذم صنعهم فقال (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى بئس شئ باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله (لو كانوا يعلمون) كنه ما يصيرون اليه من تحسر الآخرة من العقاب (ولو أنهم آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) اليهودية والسحر لاثيبوا ماهو خير لهم من الكسب بالسحر وهوقوله (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وكان هذا بلسان اليهودية شيئا قبيحا فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم أعجبتهم فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم فنهى الله المؤمنين عن ذلك فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا انظرنا أى انظر الينا حتى نفهمك مانقول (واسمعوا) اى أطيعوا واتركوا هذه الكلمة (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته) بنبوته (من يشاء * مانسخ من آية أو ننسها) أى مانرفع آية من جهة النسخ بأن نبطل حكمها والا ننساء لها بمحوها عن القلوب (نأت بخير منها) أى أصلح لمن تعبدها وأنفع لهم وأسهل عليهم وأكثر لأجرهم (أومثلها) فى المنفعة والمثوبة

قرأ

(مايفرقون به بين المرء و زوجه) امابأن يعتقد أن ذلك السحر مؤثر فى هذا التفريق فيصير كافرا واذا صار كافرا بانت منه امرأته فيحصل تفرق بينهما واما بالتمويه والحيل فيبغض كل منهما فى الآخر (وما هم) أى السحرة أو اليهود أو الشياطين (بضارين به) أى باستعمال السحر (من أحد الاباذن الله) أى بايجاد الله وارادته وعلمه (ويتعلمون) أى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (مايضرهم) فى الآخرة (ولاينفعهم) فى الدنيا ولافى الآخرة وهو السحر (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ماتتلوا الشياطين (ماله فى الآخرة) أى فى الجنة (من خلاق) أى نصيب أومأواه فى النار من خلاص أى ان اليهود لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأقبلوا على التمسك بما تتلو الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله (ولبئس ماشروا به أنفسهم) أى و بالله لبئس شيئا باعوا به حظ أنفسهم فى الآخرة الكفر أو تعلم السحر (لوكانوا يعلمون) قبحه على اليقين (ولوأنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد المشار اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل اليه من الآيات المذكورة بقوله تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات بينات أو بالتوراة التى أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم (واتقوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لمثوبة من عند الله خير) أى لشئ من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (يأيها الذين آمنوا لاتقولوا) للنبى صلى الله عليه وسلم (راعنا) وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم شيئا من العلم راعنا يارسول الله أى تأن بنا حتى نفهم كلامك واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها فيما بينهم فلما سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خاطبوا به النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعنون بها تلك السبة و يضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه قالوا أولستم تقولونها فنهى المؤمنون عنها وأمروا بلفظة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظرنا) أى انظر الينا والمقصود منه أن المعلم اذا نظر الى المتعلم كان اتيانه للكلام على نعت الافهام أقوى وقيل لاتعجل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) أى أحسنوا اسماع مايقوله النبى صلى الله عليه وسلم بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لاتحتاجون الى الاستعادة (وللكافرين) أى اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا المشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى مايحب اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركو العرب أبو جهل وأصحابه أن ينزل عليكم وحى من ربكم لأنهم يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أى بوحيه (من يشاء) أى من كان أهلا لذلك وهو محمد ﷺ (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه وما يقوله الا من تلقاء نفسه نزل قوله تعالى (مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها)

قرأ ابن عامر ننسخ بضم النون الأولى وكسر السين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ننسأ بفتح النون الأولى والسين و بهمزة ساكنة بعد السين أى ما نبدل آية اما بأن نبدل حكمها فقط أو تلاوتها فقط أو نبدلها معا أو نتركها كما كانت فلا نبدلهـا نأت بأنفع من المنسوخ وأخف فى العمل بها أو نأت بمثلها فى الثواب والنفع والعمل أو يقال ما نمح من آية قد عمل بها أو نؤخر نسخها فلا نرفع تلاوتهـا ولا نزيل حكمها نأت بمـا هو أنفع للعباد فى السهولة كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة من الأعداء بوجوب مصابرته لاثنين أو فى كثرة الأجر كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم أو نأت بمثلها فى التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال صخرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فهما متساويان فى الأجر (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) وهذا تنبيه للنبى ﷺ وغيره على قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وانه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى انما حسن منه التكليف لمحض كونه مالكا للخلق مستوليا عليهم لا لثواب يحصل ولا لعقاب يندفع (ومالكم) يامعشر اليهود (من دون الله) أى غيره (من ولى) أى قريب ينفعكم (ولا نصير) يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولى والنصير بأن الولى قد يعجز عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور ولمـا قالت اليهود يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة نزل قوله تعالى (أم تريدون) أى أتريدون (أن تسألوا رسولكم) أى الرسول الذى جاءكم (كما سئل موسى) أى سأله بنو اسرائيل رؤية الرب وغير ذلك (من قبل) أى من قبل هذا الرسول (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) أى ومن يختر الكفر على الايمان أى بأن يأخذ الكفر بدل الايمان فقد أخطأ الطريق المستوى أى الحق (ود كثير من أهل الكتاب) أى من أحبار اليهود كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب (لو يردونكم) ياعمار و ياحذيفة و يامعاذ بن جبل (من بعد ايمانكم) بمحمد والقرآن (كفارا) أى تمنى كثير من اليهود ان يصير وكم من بعد ايمانكم مرتدين روى ان فنحاص بن عاذوراء و زيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا أمر شديد قال فانى قد عاهدت الله تعالى أنى لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا و بالقرآن اماما و بالكعبة قبلة و بالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بذلك فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت هذه الآية (حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فى كتابهم ان محمدا هو الحق وقالت صفية بنت حيى للنبى ﷺ جاء أبى وعمى من عندك فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول انه النبى الذى بشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة فهذا حكم الحسد (فاعفوا) أى اتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أى أعرضوا عنهم فلا تلوموهم (حتى يأتى الله بأمره) فيهم أى بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية

( ألم تعلم أن الله على كل شئ ) من النسخ والتبديل وغيرهما (قدير) نزلت هذه الآية حين قال المشركون بأن محمدا ﷺ يأمر أصحابه أمرا ثم ينهاهم عنه و يأمرهم بخلافه و يقول اليوم قولا و يرجع عنه غدا ما هذا القرآن الا كلام محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله واذا بدلنا آية مكان آية الآية (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) يعمل فيهما مايشاء وهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ (ومالكم من دون الله من ولى) وال يلى أمركم و يقوم به (ولا نصير) ينصركم و فى هذا تحذير من عذابه اذ لا مانع منه (أم تريدون) أى بل تريدون (ان تسألوا رسولكم) محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا و وسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا أرنا الله جهرة وذلك ان السؤال بعد قيام البراهين كفر ولذلك قال (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) قصده و وسطه (ود كثير من أهل الكتاب) الآية نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فذلك قوله عز وجل (لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) أى فى حكمهم وتدينهم بما لم يؤمروا به (من بعد ما تبين لهم الحق) فى التوراة ان قول محمد ﷺ صدق ودينه حق (فاعفوا واصفحوا) واعرضوا عن مساوى أخلاقهم وكلامهم وغل قلوبهم (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال

عليهم أو باذنه فى القتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والاجلاء (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الواجبتين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى عمل صالح أى أى شئ من التطوعات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أى تجدوا ثوابه مدخرا عند الله (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل (وقالوا) عطف على ود (لن يدخل الجنة الامن كان هودا أونصارى) أى قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت نصارى نجران لن يدخل الجنة الا النصارى ولا دين الا دين النصرانية وقرأ أبى ابن كعب الامن كان يهوديا أونصرانيا أى قالوا ذلك لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (تلك) أى الأمانى الباطلة وهى أمنيتهم أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم ان يردوا المؤمنين كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم (أمانيهم) أى متمنياتهم على الله ماليس فى كتابهم (قل) ياأشرف الخلق (هاتوا برهانكم) أى أحضروا احتجتكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) فى مقالتكم (بلى) يدخل الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أى من أخلص نفسه (لله) لايشرك به شيئا (وهو محسن) فى جميع أعماله (فله أجره) الذى وعده على عمله (عند ربه) أى فى الجنة (ولا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتخاصموا فى الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ من الدين وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود) أى يهود المدينة (ليست النصارى على شئ) أى أمر يعتد به من الدين قاله رافع بن حرملة فكفر بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) قاله رجل من أهل نجران فكفر بموسى والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم و يقولون ماليس فيه وكان حق كل منهم أن يقر بحقيقة دين خصمه بحسب ماينطق به كتابه فان فى كتاب اليهود تصديق عيسى و فى كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به (قال الذين لايعلمون) كتاب الله قال السدى هم العرب وقال عطاء هم أمم كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما ابن جرير (مثل قولهم) بدل من كذلك بيان للكاف أى لأهل كل دين أنهم ليسوا على شئ يصح (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه وقال الحسن أى فالله يكذبهم جميعا و يدخلهم النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى) أى عمل (فى خرابها) بالهدم أو التعطيل بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الساعون فى خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوا المساجد الا بخشية وخضوع وقيل معنى هذه الجملة النهى عن تمكين الكفار من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فى ذلك فجوزه أبو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس انهم قريش كما قيل ان هذه الآية نزلت فى شأن مشركى العرب الذين منعوا رسول الله ﷺ عن الدعاء الى الله بمكة و ألجأوه الى الهجرة فصاروا

يدخلها (من أسلم وجهه لله) انقاد لأمره و بذل له وجهه فى السجود (وهو محسن) مؤمن مصدق بالقرآن (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) الآية قدم وفد نجران فتنازع عوام اليهود وكفر كل واحد من الفريقين الآخر وقوله (وهم يتلون الكتاب) يعنى أن الفريقين يتلون التوراة وقد وقع بينهما هذا الاختلاف وكتابهما واحد فدل بذلك على ضلالتهم (كذلك قال الذين لايعلمون) يعنى كفار الأمم الماضية وكفار هذه الأمة (مثل قولهم) فى تكذيب الأنبياء والاختلاف عليهم فسبيل هؤلاء الذين يتلون الكتاب كسبيل من لايعلم الكتاب من المشركين فى الانكار لدين الله (فالله يحكم بينهم) الآية أى يريهم عيانا من يدخل الجنة و يدخل النار (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) يعنى بيت المقدس ومحاربته نزلت فى الروم حين خربوا بيت المقدس (أولئك) يعنى أهل الروم (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) لم يدخل بيت المقدس بعد ان عمره المسلمون رومى الا خائفا لو علم به قتل

فصاروا مانعين له ولأصحابه أن يذكروا الله فى المسجد الحرام وقد كان الصديق رضى الله عنه بنى مسجدا عند داره فمنع وكان ممن يؤذيه ولدان قريش ونساؤهم وقيل ان أبا بكر رضى الله عنه كان له موضع صلاة فخربته قريش لما هاجر ومن طريق الغنوى عن ابن عباس أنهم النصارى كما نقل عن ابن عباس ان طيطيوس بن اسبيانوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل بيت المقدس خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر رضى الله عنه ومعنى هذه الآية حينئذ ولا أحد أظلم فى كفره ممن خرب بيت المقدس لكيلا يذكر فيه اسمه بالتوحيد والأذان وعمل فى خرابه من القاء الجيف فيه أولئك أى أهل الروم ما كان لهم أمن فى دخوله الا مستخفين من المؤمنين مخافة القتل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى أى مسجد كان (لهم فى الدنيا خزى) أى هوان بالقتل والسبى وضرب الجزية عليهم (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله المشرق والمغرب) أى له تعالى كل الارض فان منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما تولوا) وجوهكم فى الصلاة بأمره (فثم) أى هناك (وجه الله) أى قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء واللام أى فأينما توجهوا الى القبلة فثم مرضاة الله (ان الله واسع) برحمته يريد التوسعة على عباده (عليم) بمصالحهم وأعمالهم فى الأماكن كلها أى ان الله تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فبين تعالى ان المشرق والمغرب وجميع الجهات مملوكة له تعالى فأينما أمركم الله باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل ان الله تعالى جعلها قبلة فان جعل الكعبة قبلة فلا تنكروا ذلك لانه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر اليهود ذلك فنزلت هذه الآية ردا عليهم وقال أبو مسلم ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا أن الله تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى انما استقبلوا المشرق لان عيسى عليه السلام ولد هناك فرد الله عليهم بهذه الآية (وقالوا اتخذ الله) أى صنع (ولدا) وقرأ ابن عامر قالوا بغير واو قبل القاف أى قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله فقال الله تعالى ردا عليهم (سبحانه) وهى كلمة تنزيه ينزه الله تعالى بها نفسه عما قالوه (بل له ما فى السموات والأرض) والملكية تنافى الولدية أى ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملائكة (كل له قانتون) أى كل ما فى السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى شئ منهم على تكوينه ومشيئته فالطاعة هنا طاعة الارادة لا طاعة العبادة (بديع السموات والأرض) أى موجدهما بلا مثال (واذا قضى أمرا) أى اذا أراد ايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) أى أحدث فيحدث وقوله كن تمثيل لسهولة حصول المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها من غير توقف كطاعة المأمور المطيع للآمر القوى المطاع ولا يكون من المأمور الاباء وقرأ ابن عامر كن فيكون بالنصب فى كل القرآن الا فى موضعين فى أول آل عمران فى قوله تعالى كن فيكون الحق من ربك وفى الأنعام فى قوله تعالى كن فيكون الحق فانه رفعها وقرأ الكسائى بالنصب فى النحل ويس وبالرفع فى سائر القرآن والباقون بالرفع فى كل القرآن أما النصب فعلى جواب الأمر وأما الرفع فاما على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من حيث المعنى كما هو قول الفارسى (وقال الذين لا يعلمون) للنبى صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن حرملة كما

من الصحابة سافروا فأصابهم الضباب فتحروا القبلة وصلوا الى أنحاء مختلفة فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) أى فأينما تولوا وجوهكم فثم هناك وجه الله قبلة الله وجهته التى تعبدكم بالتوجه اليها (ان الله واسع) أى واسع الشريعة يوسع على عباده فى دينهم (وقالوا اتخذ الله ولدا) يعنى اليهود فى قولهم عزير ابن الله والنصارى فى قولهم المسيح ابن الله والمشركين فى قولهم الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه بل) أى ليس الأمر كذلك (له ما فى السموات والأرض) عبيدا أو ملكا (كل له قانتون) أى مطيعون يعنى أهل طاعته دون الناس أجمعين (بديع السموات والأرض) أى خالقهما وموجدهما لا على مثال سبق (واذا قضى أمرا) دبره وأراد خلقه (فانما

يقول له كن فيكون) انما يكونه فيكون (وقال الذين لا يعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم

لن نؤمن لك حتى يكلمنا الله أنك رسوله (أو تأتينا آية) يعنى ماسألوه من الآيات الأربع فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات ومعنى لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله أنك رسوله (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى كفار الأمم الخالية



كفروا من التعنت بطلب الآيات كهؤلاء قالوا (مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى أشبه بعضها بعضا فى الكفر والقسوة ومسألة المحال (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى من أيقن وطلب الحق فقد أتته الآيات لان القرآن برهان شاف (انا أرسلناك بالحق) بالقرآن والاسلام أى معك الحق (بشيرا) مبشرا للمؤمنين (ونذيرا) مخوفا ومحذرا للكافرين (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أى لست بمسؤل وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن الله عز وجل أنزل بأسه باليهود لآمنوا فأنزل الله هذه الآية أى ليس عليك من شأنهم عهدة ولا تبعة (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) الآية نزلت فى تحويل القبلة وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرجون أن يرجع محمد صلى الله عليه وسلم الى دينهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وتصلى الى قبلتهم (قل ان هدى الله هو الهدى) أى الصراط الذى دعا اليه وهدى اليه وهو طريق الحق (ولئن اتبعت أهواءهم) يعنى ما كانوا يدعونه اليه من المهادنة والامهال (بعد الذى جاءك من العلم) أى البينات بأن دين الله هو الاسلام وانهم على الضلالة (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى مؤمنى اليهود

أخرجه جرير عن ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغى أوهم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهى كما يكلم الملائكة أو موسى وهلا ينص على نبوتك وهذا منهم استكبار (أو تأتينا آية) أى فان كان الله تعالى لا يفعل ذلك فلم لا يخصك بآية ومعجزة تأتينا وهذا منهم انكار فى كون القرآن آية ومعجزة لانهم لو أقروا بكونه معجزة لاستحال أن يقولوا ذلك ثم أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أى مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين من قبلهم) أى من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) فى التشديد وطلب الآيات فقالوا أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا اجعل لنا الها وقالوا هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) أى توافقت قلوبهم مع آبائهم واستوت كلمتهم فى الكفر والعناد (قد بينا الآيات) أى نزلناها بينة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين وحاصل هذا الجواب من الله تعالى أنا قد أيدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات و بينا صحة قوله بالآيات وهى القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوائد من باب التعنت واذا كان كذلك لم يجب اجابتها (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى انا أرسلناك ملتبسا بالقرآن والدين لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذرا لمن كفر بك وضل عن دينك أو المعنى انا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أى ولست بمسؤل عنهم مالهم لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعد ما بلغت ما أرسلت به وقرأ نافع بالجزم وفتح التاء على النهى أى لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التى تكون لهم فى القيامة ولا يمكنك فى هذه الدار الاطلاع عليها وذلك اعلام بكمال شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أى لن ترضى عنك يهود المدينة ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبلتهم (قل ان هدى الله هو الهدى) أى قل لهم يا أشرف الخلق ردا لقولهم لك لن نرضى عنك حتى تتبع ديننا ان دين الله هو الاسلام وان قبلة الله هى الكعبة (ولئن اتبعت) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء النفس وهى المعبر عنها أولا بقوله تعالى ملتهم اذهم الذين ينتسبون اليها أما الشريعة الحقيقية من الله فقد غيروها تغييرا أى والله لئن اتبعت ملتهم وقبلتهم (بعد الذى جاءك من العلم) أى من الدين المعلوم صحته فى أن دين الله هو الاسلام وقبلة الله هى الكعبة (مالك من الله) أى من عذاب الله (من ولى) أى قريب ينفعك (ولا نصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه و بحيرا الراهب وأصحابه والنجاشى وأصحابه

يتلونه

(يتلونه حق تلاوته) أي يقرأونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخضعون عند تلاوته ويبينون أمره ونهيه لمن سألهم (أولئك يؤمنون به) أي بكتابهم و بمتشابهه و يتوقفون فيما أشكل عليهم منه و يفوضونه الى الله تعالى و يعملون بمحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب المؤتى بأن يغيره (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايمان (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن لازم الايمان بها الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن نعت النبي من جملة ما فيها (وأني فضلتكم) بالاسلام (على العالمين) أي الموجودين في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (لاتجزي نفس عن نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) أي يمنعون مما يريد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة ابراهيم توبيخا لأهل الملل المخالفين وذلك لأن ابراهيم يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فالمشركون كانوا متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بأنهم من أولاده فحكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله تعالى على ابراهيم جاء به محمد كأفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواه قيل قال ابن عباس وقتادة هي مناسك الحج كالاحرام والطواف والسعي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس أي فرق شعره الى الجانب الايمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقرأ ابن عباس وأبو حيوة ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى ان ابراهيم دعا ربه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن أم لا (فأتمهن) أي قام بها حق القيام وأداها أحسن التأدية من غير تفريط (قال) تعالى له (اني جاعلك للناس اماما) أي قدوة في الدين الى يوم القيامة والذي يكون كذلك لابد وأن يكون رسولا من عند الله مستقلا بالشرع وأن يكون نبيا اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه في الجملة (قال) أي ابراهيم (ومن ذريتي) أي واجعل من بعض أولادي أئمة يقتدى بهم في الدين (قال) الله (لاينال عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالامامة والنبوة الكافرين وكل عاص فانه ظالم لنفسه وقرأ قتادة والأعمش وأبو رجاء الظالمون رفعا بالفاعلية وعهدي مفعول به وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر مطلقا (واذ جعلنا البيت) أي جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم فانهم يثوبون اليه كل عام بأعيانهم أو بأمثالهم كما قاله الحسن أو المراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتمنى العود اليه كما قاله ابن عباس ومجاهد أو المعنى جعلنا الكعبة موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره (وأمنا) أي موضع أمن لمن يسكنه ويلجأ اليه من الاعداء والخسف والمسخ أو آمنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله وحمل بعضهم هذه الكلمة على الامر على سبيل التأويل والمعنى ان الله تعالى أمر الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع آمنا من الغارة والقتل فكان البيت

هي عشر خصال خمس في الرأس وهي الفرق والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وخمس في الجسد وهي تقليم الأظفار وحلق العانة والختان والاستنجاء ونتف الابطين (فأتمهن) أي أداهن تامات غير ناقصات فقال الله تعالى (اني جاعلك للناس اماما) تقتدي بك الصالحون فقال ابراهيم (ومن ذريتي) أي ومن أولادي أيضا فاجعل أئمة يقتدى بهم فقال الله تعالى (لاينال عهدي الظالمين) يريد من كان من ولدك ظالما لا يكون اماما ومعنى عهدي نبوتي (واذ جعلنا البيت) يعني الكعبة (مثابة للناس) معادا يعودون اليه لايقضون منه وطرا كلما انصرفوا اشتاقوا اليه (وأمنا) أي مأمنا وكانت العرب يرى الرجل منهم قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له فأما اليوم فلا يهاج الجاني اذا التجأ اليه عند أهل العراق وعند الشافعي الأولى أن لا يهاج فان أخيف باقامة الحد عليه جاز فقد قال كثير من المفسرين من شاء أمن ومن لم يشأ لم يؤمن كما أنه لما جعله مثابة من شاء ثاب ومن لم يشأ لم يثب

محترما بحكم الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان يبنى البيت واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم والكسائى واتخذوا بكسر الخاء على صيغة الأمر قال قتادة والسدى أمروا أن يصلوا عنده وعلى هذا فهذه الجملة كلام اعترض فى خلال ذكر قصة ابراهيم عليه السلام فكأنه تعالى قال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا أنتم يا أمة محمد من مقام ابراهيم مصلى والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنا فاتخذوه قبلة لانفسكم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على صيغة الماضى فهو اخبار عن ولد ابراهيم انهم اتخذوا من مقامه مصلى (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أى أمرناهما (أن طهرا بيتى) أى بأن أسساه على التقوى وقيل معناه عرفا الناس أن بيتى طهرة لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه (للطائفين والعاكفين والركع السجود) جمع راكع وساجد فالمراد بالطائفين من يقصد البيت حاجا أو معتمرا فيطوف به وبالعاكفين من يقيم هناك ويجاور وبالركع السجود من يصلى هناك قال عطاء فاذا كان الشخص طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء فحينئذ تدل الآية على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لأهل الأمصار أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلدا آمنا) أى كثير الخصب فان الدنيا اذا طلبت ليتقوى بها على الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين فاذا كان البلد آمنا وحصل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله تعالى وأيضا ان الخصب مما يدعو الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله فى الطاعة (وارزق أهله) أى الحرم (من الثمرات) وقد حصل فى مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى أن الطائف كانت من مدائن الشام فى أردن فلما دعا ابراهيم بهذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الآن فمنها أكثر ثمرات مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البعض خصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة لحسن الأدب وفى ذلك ترغيب لقومه فى الايمان (قال) تعالى (ومن كفر) أى أرزقه (فأمتعه) بالرزق (قليلا) أى مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (ثم أضطره) أى ألجئه فى الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) هى النار (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) أى واذ يرفع ابراهيم واسماعيل الجدران التى هى من البيت أى التى هى بعضه المستترمن الأرض قيل بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وأسسه من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من السماء وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض فى الجاهلية اسود يقولان (ربنا تقبل منا) بناءنا بيتك (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا فى جميع أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أى مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة لا نعبد الا اياك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أى واجعل بعض أولادنا جماعة مخلصة لك (وأرنا مناسكنا) أى علمنا سنن حجنا (وتب علينا) أى تجاوز عن تقصيرنا والعبد وان اجتهد فى طاعة ربه فانه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه اما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الدعاء لأجل ذلك (انك أنت التواب) أى المتجاوز لمن تاب (الرحيم) به (ربنا وابعث فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا

(واتخذوا) أى الناس (من مقام ابراهيم مصلى) وهو الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم وهو موضع قدميه وقوله مصلى وهو أنه تسن الصلاة خلف المقام (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أمرناهما وأوصينا اليهما (أن طهرا بيتى) من الأوثان والريب (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) أى هذا المكان وهذا الموضع (بلدا) أى مسكنا (آمنا) ذا أمن لا يصاد طيره ولا يقطع شجره (وارزق أهله من الثمرات) أى أنواع حمل الشجر (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) خص ابراهيم بطلب الرزق المؤمنين قال الله تعالى (ومن كفر فأمتعه قليلا) فسأرزقه الى منتهى أجله (ثم اضطره) ألجئه فى الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) هى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) أى أصول الاساس (واسمعيل) ويقولان (ربنا تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا البيت (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بما فى قلوبنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أى مطيعين منقادين لحكمك (ومن ذريتنا أمة) أى جماعة (مسلمة لك) وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم باحسان (وأرنا مناسكنا) عرفنا متعبداتنا (ربنا وابعث فيهم) فى الأمة المسلمة (رسولا منهم)

منهم) أى من أنفسهم وهو النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنا دعوة أبى ابراهيم أخرجه أحمد من حديث العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أى يذكرهم بالآيات ويدعوهم اليها ويحملهم على الايمان بها (ويعلمهم الكتاب) أى يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معانى الكتاب وحقائقه (والحكمة) قال الشافعى رضى الله عنه الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة (ويزكيهم) أى يطهرهم من شركهم (إنك أنت العزيز) أى القادر الذى لا يغلب (الحكيم) أى العالم الذى لا يجهل شيئا ههنا سؤال ما الحكمة فى ذكر ابراهيم مع محمد فى باب الصلاة حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فجوابه أن ابراهيم دعا لمحمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على ألسنة أمة محمد الى يوم القيامة أداء عن حق واجب على محمد لابراهيم والجواب الثانى أن ابراهيم سأل ربه بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى أبق لى ثناء حسنا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله تعالى فقرن بين ذكرهما ابقاء للثناء الحسن على ابراهيم فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أبا الملة ومحمدا كان أبا الرحمة وفى قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد أى فى الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الابوة من وجه قرن بين ذكرهما فى باب الثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة فى الحج ومحمدا كان منادى الايمان فجمع الله تعالى بينهما فى الذكر الجميل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أى لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أى فلم يفكر فى نفسه فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته ثم يستدل بذلك على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) أى اخترناه فى الدنيا للرسالة من دون سائر الخليقة وعرفناه الملة التى هى جامعة للتوحيد والعدل والشرائع (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى مع آبائه المرسلين فى الجنة (اذ قال له ربه) عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه أمارات الحدوث فيها وذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أى فرد فى مقالتك وقل لا اله الا الله (قال أسلمت لرب العالمين) ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد أسلم أى أخلص دينك وعملك لله قال أسلمت أى أخلصت دينى وعملى لله رب العالمين ويقال قال له ربه حين ألقى فى النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسى لله رب العالمين أى فوضت أمرى اليه وقد حقق ذلك حيث لم يستغن بأحد من الملائكة حين ألقى فى النار (ووصى) وقرأ نافع وابن عامر وأوصى بهمزة مفتوحة قبل الواو ساكنة (بها) أى باتباع الملة (ابراهيم بنيه) وكانوا ثمانية اسماعيل وهو أول أولاده وأمه هاجر القبطية واسحاق وأمه سارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران وأشبق وشوح أمهم قنطوراء الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة (ويعقوب) والأشهر أنه معطوف على ابراهيم ويجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر والمعنى أن يعقوب وصى كوصية ابراهيم وقرئ بالنصب عطفا على بنيه والمعنى وصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يابنى) هو على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لأنه فى معنى القول (ان الله اصطفى) أى اختار (لكم الدين) أى دين الاسلام الذى هو صفوة الأديان (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى فاثبتوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين له تعالى بالتوحيد والعبادة روى أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أى أكنتم يا معشر اليهود حضراء

منهم) يريد محمدا صلى الله عليه وسلم (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (انك أنت العزيز) الغالب القوى الذى لا يعجزه شىء ومضى تفسير الحكيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) أى وما يرغب عنها وما يتركها (الا من سفه نفسه) أى جهلها بان لم يعلم أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادة خالقها (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اخترناه للرسالة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) من الأنبياء (اذ قال له ربه أسلم) أخلص دينك لله بالتوحيد وقيل أسلم نفسك الى الله (قال أسلمت) بقلبى ولسانى وجوارحى (لرب العالمين و وصى) أى أمر (بها) بالملة وقيل بكلمة الاخلاص (ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى) أراد أن يابنى (ان الله اصطفى لكم الدين) أى الاسلام دين الحنيفية (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى ألزموا الاسلام دين الحنيفية حتى اذا أدرككم الموت صادفكم عليه (أم كنتم شهداء) ترك الكلام الأول وعاد الى مخاطبة اليهود والمعنى بل كنتم شهداء أى خضورا

(اذحضر يعقوب الموت) بماذا أوصى بنيه باليهودية أوالاسلام أى حضره أسباب الوت (اذقال لبنيه ماتعبدون من بعدى) أى أى شئ تعبدونه بعد موتى (قالوانعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الهاواحدا ونحن له مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد (تلك) أى ابراهيم و يعقوب و بنوهما (أمة) أى جماعة (قد خلت) أى مضت بالموت (لها) أى لتلك الأمة (ما كسبت) من الخير أى جزاؤه (ولكم) أى يامعشر اليهود (ما كسبتم) أى جزاء ما كسبتموه من العمل (ولاتسئلون) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) كما لايسئلون عن عملكم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ياصفية عمة محمد يافاطمة بنت محمد ائتونى يوم القيامة بأعمالكم لابأنسابكم فانى لاأغنى عنكم من الله شيئا وقال ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (وقالوا كونوا هودا أونصارى) أى قالت يهود المدينة للمؤمنين كونوا هودا أى اتبعوا اليهودية وقالت نصارى نجران للمؤمنين كونوا نصارى أى اتبعوا النصرانية (تهتدوا) من الضلالة (قل بل ملة ابراهيم) أى قل ياأشرف الخلق بل اتبعوا ملة ابراهيم أى بل نكون أهل ملة ابراهيم (حنيفا) أى مستقيما مخالفا لليهود والنصارى منحرفا عنهما (وما كان من المشركين) أى ما كان ابراهيم على دينهم وهذا اعلام ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله (قولوا) أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آمنا بالله وما أنزل الينا) وهو القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسمعيل واسحق و يعقوب والأسباط) وهم بنو يعقوب وكانوا اثنى عشر رجلا وهم يوسف و بنيامين ورو بيل و يهوذا وشمعون ولاوى ودان ونقتالى وجادور بالون و يشسجر ودان والصحف انما أنزلت على ابراهيم لكن لما كانوا متعبدين بتلك الصحف كانوا داخلين تحت أحكامها فكانت منزلة اليهم أيضا كما أن القرآن منزل الينا (وما أوتى موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتى النبيون من ربهم) من كتبهم والمعجزات (لانفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بجميعهم (ونحن له) أى لله (مسلمون) أى مخلصون (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) أى فان آمنوا بالتوراة من غير تصحيف وتحريف كما أنكم آمنتم بالقرآن من غير تصحيف وتحريف فقد اهتدوا لأنهم يتوصلون بذلك الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى فان صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا من الضلالة بدين محمد وابراهيم (وان تولوا) أى أعرضوا عن الايمان بالنبيين وكتبهم (فانما هم فى شقاق) أى فانما هم مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيكهم الله) أى سيكفيك الله شقاقهم وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم (وهو السميع العليم) فيدرك مايقولون ومايضمرون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله) أى اطلبوا صبغة الله وهى دين الاسلام عبر بها عن الدين لكونه تطهيرا للمؤمنين من أوضار الكفر وحلية تزينهم بآثارهم الجميلة ومتداخلا فى قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك كما قيل انما

(اذحضر يعقوب الموت) وذلك أن اليهود قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأكذبهم الله تعالى وقال أكنتم حاضرين وصيته (اذقال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة) يعنى ابراهيم و بنيه و يعقوب و بنيه (قدخلت) أى مضت (لها ما كسبت) أى من العمل (ولكم) يعنى معشر اليهود (ما كسبتم) أى حسابهم عليهم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) وانما تسألون عن أعمالكم (وقالوا كونوا هودا أونصارى) ونزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فقال الله (قل بل ملة ابراهيم) أى بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) أى مائلا عن الأديان كلها الا دين الاسلام ثم أمر المؤمنين أن يقولوا (آمنا بالله وما أنزل الينا) يعنى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء لذلك قال وما أنزل اليهم وقوله (لانفرق بين أحد منهم) أى لانكفر ببعض ونؤمن ببعض كما فعلت اليهود والنصارى (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) أى ان أتوا بتصديق مثل تصديقكم وكان ايمانهم [سمى] كايمانكم (فقد اهتدوا) أى فقد صاروا مسلمين (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما هم فى شقاق) أى خلاف وعداوة فسيكفيكهم الله) ثم فعل ذلك فكفاه أمر اليهود بالقتل والسبى فى قريظة والجلاء والنفى فى بنى النضير والذلة والجزية فى نصارى نجران (صبغة الله) أى ألزموا دين الله

سمى دين الله بصبغة الله لأن اليهود تصبغ أولادها يهودا والنصارى تصبغ أولادها نصارى بمعنى انهم يلقنونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون فى قلوبهم فقال تعالى صبغة الله أى اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) أى لاصبغة أحسن من صبغته تعالى لأنه تعالى يصبغ عباده بالايمان و يطهرهم به من أوساخ الكفر (ونحن له) أى لله الذى أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرا لها ولسائر نعمه (قل أتحاجوننا فى الله) أى فى شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لا منكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل عليكم وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا و ربكم) فانه أعلم بتدبير خلقه و بمن يصلح للرسالة و بمن لا يصلح لها فلا تعترضوا على ربكم فان العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لا يرجع الينا من أفعالكم ضرر وانما مرادنا نصحكم وارشادكم (ونحن له مخلصون) فى العبودية ولستم كذلك فنحن أولى بالاصطفاء (أم تقولون) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالتاء على المخاطبة فأم يحتمل أن تكون متصلة معادلة للهمزة والتقدير بأى الحجتين تتعلقون فى أمرنا بالتوحيد أم باتباع دين الأنبياء وأن تكون منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وقرأه الباقون بالياء على صيغة الغيبة فأم منقطعة غير داخلة تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا لهم لا من جهة رسول الله ﷺ على نهج الالتفات (ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط) أى أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزول التوراة والانجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف الخلق لهم (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) فان الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر فى التوراة والانجيل و فى القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لابراهيم عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بغافل عما تعملون) أى تكتمون من الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) هذا تكرير ليكون وعظا لليهود و زجرا لهم حتى لا يتكلموا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ بعمله (سيقول السفهاء) أى الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لانكار النسخ وكراهة التوجه الى الكعبة والقائل منهم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبى الحقيق وقيل هم المنافقون كما قاله السدى لمجرد الاستهزاء والطعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم للطعن فى الدين (ماولاهم) أى أى شىء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) وهى بيت المقدس (قل) لهم يا أشرف الخلق (لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا يختص به مكان وانما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) أى موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث أمرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أى كما هديناكم الى قبلة هى أوسط القبل (جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أى خيارا عدولا ممدوحين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس)

---

(ومن أحسن من الله صبغة) أى ومن أحسن من الله دينا (قل) يا محمد لليهود والنصارى (أتحاجوننا فى الله) أى أتخاصموننا فى دين الله وذلك انهم قالوا ان ديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق ولو كنت نبيا لكنت منا (ولنا أعمالنا) نجازى بحسنها وسيئها وأنتم فى أعمالكم على مثل سبيلنا (ونحن له مخلصون) أى موحدون (أم تقولون ان) الأنبياء من قبل ان تنزل التوراة والانجيل (كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) أى قد أخبرنا الله ان الأنبياء كان دينهم الاسلام ولا أحد أعلم منه (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) هذا توبيخ لهم وهو ان الله تعالى أشهدهم فى التوراة والانجيل انه باعث فيهم محمدا من ذرية ابراهيم فأخذ مواثيقهم على أن يبينوه للناس ولا يكتموه ثم ذكر تحويل القبلة فقال (سيقول السفهاء من الناس) يعنى مشركى مكة ويهود المدينة (ماولاهم) ماصرفهم يعنون النبى والمؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) وهى الصخرة (قل لله المشرق والمغرب) يأمر بالتوجه الى أى جهة شاء (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) أى دين مستقيم يريد أنى قد رضيت هذه القبلة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مدح أمته فقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى كما هديناكم صراطا مستقيما جعلناكم أمة وسطا أى عدلا خيارا (لتكونوا شهداء على الناس) أى لتشهدوا على الأمم بتبليغ الأنبياء

(ويكون الرسول) على صدقكم (شهيدا) وذلك ان الله تعالى يسأل الأمم يوم القيامة فيقول هل بلغتكم الرسل فيقولون مابلغنا أحد عنك شيئا فيسأل الرسل فيقولون بلغناهم رسالتك فعصوا فيقول هل لكم شهيد فيقولون نعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم اياهم فتقول الأمم بم عرفوا ذلك وكانوا بعدنا فيقولون أخبرنا بذلك نبينا فى كتابه ثم يزكيهم محمد ﷺ (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى التى أنت عليها اليوم وهى الكعبة قبلة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فى تصديقه بنسخ القبلة (ممن ينقلب على عقبيه) أى يرتد ويرجع الى الكفر وذلك ان الله تعالى جعل نسخ القبلة عن الصخرة الى الكعبة ابتلاء لعباده المؤمنين فمن عصمه صدق الرسول فى ذلك ومن لم يعصمه شك فى دينه وتردد عليه أمره وظن أن محمدا فى حيرة من أمره فارتد عن الاسلام وهذا معنى قوله تعالى (وان كانت لكبيرة) أى وقد كانت التولية الى الكعبة لثقيلة (الا على الذين) عصمهم الله بالهداية به فلما حولت القبلة قالت اليهود فكيف بمن مات منكم وهو يصلى الى القبلة الأولى لقد مات على الضلالة فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى تصديقكم بالقبلة الأولى (ان الله بالناس) يعنى بالمؤمنين (لرءوف رحيم) والرأفة أشد الرحمة (قدنرى تقلب وجهك) الآية كانت الكعبة أحب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى أن الصلاة اليها أدعى لقومه الى الاسلام فقال لجبريل وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر الى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذى سأل فأنزل الله عزوجل قدنرى تقلب وجهك فى السماء أى فى النظر الى السماء (فلنولينك) أى فلنصيرنك تستقبل (قبلة ترضاها) أى تحبها وتهواها (فول وجهك) أى أقبل بوجهك (شطر المسجد الحرام) أى نحوه وتلقاءه



يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى يشهد بعدالتكم روى أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم الماضية من أين عرفتم وأنتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه صلى الله عليه وسلم اذا ادعى على أمته أنه بلغهم تقبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهيد يشهد له فسميت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شىء آخر (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وماصيرنا لك القبلة الآن الجهة التى كنت عليها أولا وهى الكعبة الا لنعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول فى التوجه الى ماأمر به ممن يرتد عن دين الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يصلى الى الكعبة فلما هاجر أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس تألفا لليهود فصلى اليها سبعة عشر شهرا ثم حول الى الكعبة وارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان) هى المخففة من الثقيلة أى وانها (كانت) أى التولية الى الكعبة (لكبيرة) أى شاقة على الناس (الا على الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم على الايمان بل أعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها أى فان الله لايضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (ان الله بالناس) أى بالمؤمنين (لرءوف رحيم) فلا يدع صلاتهم الى بيت المقدس (قدنرى تقلب وجهك فى السماء) فقد للتكثير أى كثيرا نرى تصرف نظرك فى جهة السماء انتظارا للوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يترجى من ربه أن يحوله الى الكعبة لأنها قبلة ابراهيم أبيه وأدعى للعرب الى الايمان لأنها مفخرة لهم ولمخالفة اليهود فكان ينتظر نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة ترضاها) أى فلنحولنك فى الصلاة الى قبلة تحبها لأغراضك الصحيحة التى أضمرتها فى قلبك (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى فاصرف جملة بدنك تلقاء الكعبة أى استقبل عينها بصدرك فى الصلاة وان كنت بعيدا عنها والمراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة كما هو فى أكثر الروايات وقال آخرون المراد بالمسجد الحرام جميع المسجد الحرام

(وحيث ما كنتم) في بر أو بحر وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره) فلما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما أمرت بهذا وانما هو شيء تبتدعه من نفسك فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) أي أن المسجد الحرام قبلة ابراهيم وأنه حق (وما الله بغافل عما تعملون) يا معشر المؤمنين من طلب مرضاتي (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة ودليل (ما تبعوا قبلتك) لانهم معاندون جاحدون نبوتك مع العلم بها (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم بهذا أطماع اليهود في رجوع النبي صلى الله عليه وسلم الى قبلتهم لانهم كانوا يطمعون في ذلك (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) أخبر انهم وان اتفقوا في التظاهر على النبي صلى الله عليه وسلم مختلفون فيما بينهم فلا اليهود تتبع قبلة النصارى ولا النصارى تتبع قبلة اليهود (ولئن اتبعت أهواءهم) أي صليت الى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم أي أن قبلة الله الكعبة (انك اذا لمن الظالمين) أي انك اذا مثلهم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وهو في المعنى لأمته (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي يعرفون محمدا بنعته وصفته (كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق) من صفته في التوراة (وهم يعلمون) لان الله بين ذلك في كتابهم (الحق من ربك) أي هذا الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين في الجملة التي أخبرتك من أمر القبلة وعناد اليهود وامتناعهم عن الايمان بك (ولكل) أي ولكل أهل دين (وجهة) قبلة ومتوجه اليه في الصلاة (هو موليها) وجهه أي هو مستقبلها

---

الحرام وقال آخرون والمراد به الحرم كله روي عن ابن عباس أنه قال البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أي في أي موضع كنتم يا أمة محمد منه بر أو بحر مشرق أو مغرب فاصرفوا وجوهكم تلقاء المسجد الحرام الذي هو يعني الكعبة (وان الذين أوتوا الكتاب) هم أحبار اليهود وعلماء النصارى (ليعلمون أنه) أي التولي الى الكعبة (الحق من ربهم) لمعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين ولكن يكتمونه (وما الله بغافل عما يعملون) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء اما خطاب للمسلمين أي وما الله بساه عما تعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة واما خطاب لأهل الكتاب أي وما الله بغافل عما تكتمون يا أهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبلة وقرأ الباقون بالياء على أنه راجع لهؤلاء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) أي والله لئن جئت الذين أعطوا الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدقك في أن تحولك بأمر من الله ما صاروا الى قبلتك وما دخلوا في دينك (وما أنت بتابع قبلتهم) أي اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبلة لا تصير منسوخة وحسم أطماع أهل الكتاب وقرئ بتابع قبلتهم بالاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فلليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق (ولئن اتبعت أهواءهم) أي الأمور التي يحبونها منك (من بعد ما جاءك من العلم) أي الوحي في أمر القبلة بأنك لا تعود الى قبلتهم (انك اذا) أي انك لو فعلت ذلك على سبيل تقدير المستحيل وقوعه (لمن الظالمين) لأنفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أي أعطيناهم علم التوراة (يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه و بين غيره (كما يعرفون أبناءهم) لا تشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن سلام رضي الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة في هذه الآية فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقا وقد نعته الله تعالى في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأسه وقال وفقك الله يا أبا سلام فقد صدقت (وان فريقا منهم) أي من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أي أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة في التوراة والانجيل وان كتمان الحق معصية (الحق من ربك) مبتدأ وخبر أي الحق الذي أنت عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كائن من ربك و يحتمل أن الحق خبر مبتدا محذوف أي ما كتموه هو الحق وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك بالنصب على أنه بدل من الاول أو مفعول ليعلمون (فلا تكونن من الممترين) أي الشاكين في أن علماء أهل الكتاب علموا صحة نبوتك وشريعتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أي لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة يصلي اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية وقال آخرون ولكل واحد من الرسل وأصحاب الشرائع جهة قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام بيت المقدس وقبلتك الكعبة وهي قبلة ابراهيم (هو) أي الله (موليها) أي أمر بان يستقبلها وفي قراءة عبد الله بن عامر النخعي هو مولاها وهي قراءة ابن عباس وأبي جعفر محمد بن علي الباقر

(فاستبقوا الخيرات) فبادروا الى القبول من الله وولوا وجوهكم حيث أمركم الله (أينما تكونوا) يجمعكم الله للحساب فيجزيكم بأعمالكم
ثم أكد عليه استقبال القبلة أينما كان بآيتين وهما قوله (ومن حيث خرجت) الآية وقوله أيضا ومن حيث خرجت الى قوله تعالى (لئلا
يكون للناس عليكم حجة) يعني اليهود وذلك انهم كانوا يقولون مادرى محمد أين قبلته حتى هديناه
ويقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا وهذه حجتهم التي كانوا يحتجون بها تمويها على الجهال فلما صرفت القبلة الى الكعبة بطلت هذه الحجة ثم قال تعالى (الا الذين ظلموا منهم) من الناس وهم المشركون فانهم قالوا قد توجه محمد الى قبلتنا وعلم أنا أهدى سبيلا منه فهؤلاء يحتجون بالباطل ثم قال (فلا تخشوهم) يعني المشركين في تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة (واخشوني) في ترك الملة ومخالفتها (ولأتم) أي ولكي أتم عطف على قوله لئلا يكون (نعمتي عليكم) بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم فتتم لكم القبلة الحنيفية (ولعلكم تهتدون) أي ولكي تهتدوا الى قبلة ابراهيم (كما أرسلنا فيكم) المعنى ولأتم نعمتي عليكم كارسالي اليكم رسولا أي أتم هذه كما أتممت تلك (رسولا منكم) تعرفون صدقه ونسبه (يتلوا عليكم آياتنا) يعني القرآن وهذا احتجاج عليهم لانهم عرفوا انه امي لايقرأ ولا
يكتب فلما اقرأ عليهم القرآن تبين صدقه في النبوة (ويزكيكم) أي يعرضكم لما تكونون به
أزكياء من الأمر بطاعة الله (فاذكروني) بالطاعة (أذكركم) بالمغفرة (واشكروا لي) نعمتي (ولا تكفرون) أي ولا تكفروا نعمتي
وعلى
(يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على طلب الآخرة (بالصبر) على الفرائض

---

والمعنى هو أي كل قوم مولى لتلك الجهة وقرئ ولكل وجهة بالاضافة (فاستبقوا الخيرات) أي فبادروا
يا أمة محمد الى الطاعات وقبول أوامرها (أينما تكونوا) أي في أي موضع تكونوا من بر أو بحر
(يأت بكم الله جميعا) أي يجمعكم الله يوم القيامة فيجزيكم على الخيرات (ان الله على كل شيء قدير)
من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت اليه للسفر (فول وجهك) عند
صلاتك (شطر المسجد الحرام وانه) أي هذا الأمر (للحق) أي الثابت الموافق للحكمة (من
ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمرو بالياء على الغيبة وهو راجع للكفار أي من انكار
أمر القبلة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفارك ومغازيك من المنازل
القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام) أي تلقاءه (وحيث ما كنتم)
من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة من محالكم
(شطره) أي المسجد الحرام وكرر الله تعالى أمر التولي لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات لتأكيد
أمر القبلة لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة مع أنه تعالى علق بكل آية فائدة أما في الآية الأولى
فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة
والانجيل وأما في الآية الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقا مغايرة لعلم
أهل الكتاب بكونه حقا وأما في الآية الثالثة فبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين وذلك قوله
تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود والمشركين (عليكم حجة) أي مجادلة في التولي والمعنى ان
التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن محمدا يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن
المنعوت في التوراة قبلته ﷺ الكعبة وتدفع احتجاج المشركين بأنه صلى الله عليه وسلم
يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) أي الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم
فانهم لا يضرونكم (واخشوني) أي احذروا عقابي فلا تخالفوا أمري (ولأتم نعمتي عليكم)
بالقبلة كما أتممت عليكم بالدين (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أي
من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اما متعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة
كما أتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول واما متعلق بما بعده أي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني
(يتلوا عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالأمر والنهي (ويزكيكم) أي يطهركم من الذنوب بالتوحيد
والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي السنة (ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الأنبياء وأخبار الحوادث المستقبلة
(فاذكروني) باللسان والقلب والجوارح فالصلاة مشتملة على الثلاثة فالأول كالتسبيح والتكبير
والثاني كالخشوع وتدبر القراءة والثالث كالركوع والسجود (أذكركم) بالاحسان والرحمة
والنعمة في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعمتي بالطاعة (ولا تكفرون) أي لا تتركوا شكرها
(يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على تمحيص الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي

(و) (بالصلاة) الحمس على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) انى معكم أنصركم ولا أخذلكم (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) نزلت فى قتلى بدر من المسلمين وذلك أنهم كانوا يقولون لمن يقتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا فقال تعالى ولا تقولوا للمقتولين فى سبيلى هم أموات (بل) هم (أحياء) وأرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تسرح فى الجنة (ولكن لا تشعرون) ما هم فيه من النعيم والكرامة (ولنبلونكم) أى ولنعاملنكم معاملة المبتلى (بشىء من الخوف) يعنى خوف العدو (والجوع) يعنى القحط (ونقص من الأموال) يعنى الخسران والنقصان فى المال وهلاك المواشى (والأنفس) يعنى الموت والقتل والمرض والشيب (والثمرات) يعنى الجوائح فمن صبر على هذه الأشياء استحق الثواب ومن لم يصبر لم يستحق يدل على هذا قوله (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) مما ذكر (قالوا انا لله وانا اليه راجعون) أى أموالنا لله ونحن عبيده يصنع بنا ما يشاء ثم وعدهم على هذا القول المغفرة والرحمة فقال (أولئك عليهم صلوات) أى مغفرة (من ربهم ورحمة) أى نعمة (وأولئك هم المهتدون) أى الى الجنة والثواب والحق والصواب (ان الصفا والمروة) وهما جبلان معروفان بمكة (من شعائر الله) أى متعبداته (فمن حج البيت) أى من زاره معظما له (أو اعتمر) قصد البيت للزيارة (فلا جناح عليه) أى فلا إثم عليه (أن يطوف بهما) أى بالجبلين وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان يمسحونهما فكره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن تطوع خيرا) أى فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة وطاعة (فان الله شاكر) أى مجاز له بعمله (عليم) بنيته (ان الذين يكتمون ما أنزلنا) يعنى علماء اليهود (من البينات) أى من الرجم والحدود والأحكام (والهدى) أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (من بعد ما بيناه للناس) أى لبنى اسرائيل (فى الكتاب) أى فى التوراة (أولئك يلعنهم الله)

---

وعلى المرازى (والصلاة) أى بكثرة صلاة التطوع فى الليل والنهار (ان الله مع الصابرين) بالنصر (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) كسائر الأموات (بل أحياء) أى بل هم كأحياء أهل الجنة فى الجنة يرزقون من التحف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وحالهم قال ابن عباس نزلت الآية فى قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فالمهاجرون عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمرو بن أبى وقاص وذو الشمالين وعمرو بن نفيلة وعامر بن بكر ومهجع بن عبد الله والأنصار سعيد بن خيثمة وقيس بن عبد المنذر وزيد بن الحرث وتميم بن الهمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة ومعوذ بن عفراء وعوف بن عفراء وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى أن يقال فيهم انهم ماتوا وقال آخرون ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبلونكم) أى والله لنصيبنكم اصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا (بشىء) أى بقليل (من الخوف) من العدو (والجوع) فى قحط السنين (ونقص من الأموال) بالهلاك (والأنفس) بالقتل والموت (والثمرات) بالجوائح قال الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات والنقص من الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد (وبشر الصابرين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلب معا (انا لله) أى نحن عبيد الله (وانا اليه راجعون) بعد الموت قال أبو بكر الوراق انا لله اقرار منا بالملك له تعالى وانا اليه راجعون اقرار على أنفسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات) أى مغفرة (من ربهم ورحمة) أى لطف (وأولئك هم المهتدون) للاسترجاع حيث سلموا لقضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أى من علامات مواضع العبادات لله بالحج والعمرة (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أى فلا إثم عليه فى أن يسعى بينهما سبعا قال ابن عباس كان على الصفا صنم اسمه اساف وعلى المروة صنم آخر اسمه نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما و يتمسحون بهما فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله لا من شعائر الجاهلية (ومن تطوع خيرا) أى زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة حتى طاف بالصفا والمروة تطوعا (فان الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى يعلم قدر الجزاء فلا يبخس المستحق حقه (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) هى كل ما أنزله الله على الأنبياء (والهدى) أى ما يهدى فى وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايمان به من الدلائل العقلية والنقلية (من بعد ما بيناه للناس) أى لبنى اسرائيل (فى الكتاب) أى التوراة (أولئك يلعنهم الله) أى يبعدهم من رحمته

و يلعنهم اللاعنون) أى كل شئ الاالانس والجن (الاالذين تابوا) أى رجعوامن بعدالكتمان (وأصلحوا) السريرة (و بينوا) صفة
محمد (فأولئك أتوب عليهم) أى أعود



عليهم بالمغفرة (ان الذين كفروا) الى قوله والناس أجمعين يعنى
المؤمنين (خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) لايمهلون أى للرجعة والتوبة والمعذرة ( والهكم اله واحد) الآية كان للمشركين ثلثمائة صنم يعبدونها من دون الله فبين الله أنه الههم وأنه واحد فقال والهكم اله واحد أى ليس له فى الالهية شريك ولاله فى ذاته نظير (لااله الاهو الرحمن الرحيم) كذبهم الله عز وجل فى اشراكهم معه آلهة فعجب المشركون من ذلك وقالوا ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله ( ان فى خلق السموات والأرض) مع عظمهما وكثرة أجزائهما (واختلاف الليل والنهار ) أى ذهابهما ومجيئهما (والفلك) أى السفن ( التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) من التجارات (وما أنزل الله من السماء من ماء) أى من مطر ( فأحيا به الأرض) أى أخصبها بعد جدوبتها (و بث) أى فرق (فيها من كل دابة وتصريف الرياح) أى تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا و باردة وحارة
(والسحاب المسخر) أى المذلل لأمر الله (بين السماء والأرض لآيات) أى لدلالات على وحدانية الله (لقوم يعقلون) فعلمهم بهذه الآية
كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر فى آياته والنظر فى مصنوعاته ثم اعلم أن قوما بعد هذه الآية والبيان يتخذون

(و يلعنهم اللاعنون) أى يسألون الله أن يلعنهم و يقولون اللهم العنهم وهؤلاء دواب الأرض كذا قال مجاهد أخرجه سعيد بن منصور وغيره وقال قتادة والربيع هم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (الا الذين تابوا) أى ندموا على مافعلوا (وأصلحوا) بالعزم على عدم العود (و بينوا) ماكتموه (فأولئك أتوب عليهم) أى أقبل توبتهم (وأنا التواب) أى القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أى المبالغ فى نشر الرحمة لمن مات على التوبة (ان الذين كفروا) بالكتمان وغيره (وماتوا وهم كفار) بالله ورسوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فانهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) أى اللعنة (لايخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولاهم ينظرون) أى يؤجلون من العذاب فاذا استمهلوا لايمهلون واذا استغاثوا لايغاثون (والهكم) أى المستحق منكم العبادة (اله واحد) أى فرد فى الالهية (لااله إلا هو) أى لامعبود لنا موجود الا الاله الواحد (الرحمن الرحيم) خبران آخران للمبتدا فالرحمن المبالغ فى النعمة والرحيم كثير النعمة (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكم بالوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التى يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى براءته من الانداد النوع الأول السموات والأرض والآيات فى السماء هى سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة ومايرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآيات فى الأرض مدها و بسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار النوع الثانى الليل والنهار والآيات فيهما تعاقبهما بالمجئ والذهاب واختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد فى معاشهم بالراحة فى الليل والسعى فى الكسب فى النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جريانها على وجه الماء وهى موقرة بالأثقال والرحال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والحمل عليها فى التجارة والآيات فى ذلك أن الله تعالى لولم يقو قلوب من يركب هذه السفن لماتم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وأيضا فان الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الأخطار فى الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس نزول المطر من السماء والآيات فى ذلك أن الله جعل الماء سببا لحياة جميع الموجودات من حيوان ونبات وانه ينزله عند الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء و ينزله بمكان دون مكان النوع السادس انتشار كل دابة فى الأرض والآيات فى ذلك أن جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم مع مافيهم من الاختلاف فى الصور والأشكال والألوان والألسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان النوع السابع الريح والآيات فيه أنه جسم لطيف لايمسك ولا يرى وهو مع ذلك فى غاية القوة بحيث يقلع الشجر والصخر و يخرب البنيان وهو مع

الأنداد مع علمهم أنهم لايأتون بشئ مما ذكر فقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) يعنى الأصنام التى هى أنداد بعضها لبعض أى أمثال (يحبونهم كحب الله) كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) لأن الكافر يعرض عن معبوده فى وقت البلاء والمؤمن لايعرض عن الله فى السراء والضراء والشدة والرخاء (ولو يرى الذين ظلموا) أى  كفروا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرة اتخاذ الأنداد وجواب لو محذوف وهو ماذكرنا (اذ تبرأ الذين اتبعوا) هذه الآية تتصل بما قبلها لأن المعنى وان الله شديد العذاب حين تبرأ المتبوعون فى الشرك من أتباعهم عند رؤية العذاب يقولون لم ندعكم الى الضلالة والى ما كنتم عليه (وتقطعت بهم) عنهم (الأسباب) الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا من الأرحام والمودة وصارت مخالتهم معاداة (وقال الذين اتبعوا) وهم الأتباع (لو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك) أى كتبرؤ بعضهم من بعض (يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) يعنى عبادتهم الأوثان رجاء أن تقربهم الى الله فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) نزلت هذه الآية فى الذين حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر فأعلم الله تعالى أنها يحل أكلها وأن تحريمها من عمل الشيطان فقال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى سبله وطرقه ثم بين عداوة الشيطان فقال (انما يأمركم بالسوء والفحشاء) أراد بالسوء المعاصى وبالفحشاء البخل وقيل كل ذنب فيه حد (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم الأنعام والحرث (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء الذين حرموا من الحرث والأنعام أشياء (اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا) ماوجدنا (عليه آباءنا) فقال الله تعالى منكرا عليهم

---

ذلك حياة الوجود فلو أمسك طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ما على وجه الأرض النوع الثامن السحاب والآيات فى ذلك أن السحاب مع مافيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده قال القاضى زكريا ان السحاب من شجرة مثمرة فى الجنة والمطر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أى ومن الكفار من يعبد من غير الله أوثانا (يحبونهم) حبا كائنا (كحب الله) أى كحبهم لله تعالى أى يسوون بينه تعالى وبين الأصنام فى الطاعة والتعظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة (والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لأصنامهم فان المؤمنين لايتضرعون الا الى الله تعالى بخلاف المشركين فانهم يعدلون الى الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون الى الأصنام (ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قرأ الجمهور ولو يرى بالياء المنقوطة من تحت مع فتح الهمزة من أن عند القراء السبع والمعنى ولو يعلم الذين أشركوا بالله شدة عذاب الله وقوته لما اتخذوا من دونه أندادا وعلى قراءة بعض القراء غير السبع بكسر الهمزة من ان كان التقدير ولو يعلم الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مشاهدتها عذاب الله لقالوا ان القوة لله وقرأ نافع وابن عامر ترى بالتاء المنقوطة من فوق مع فتح الهمزة على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب والمعنى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهمزة كان المعنى ولو ترى الذين أشركوا اذ يرون العذاب لقلت ان القوة لله جميعا وقرأ ابن عامر يرون بضم الياء (اذ تبرأ الذين اتبعوا) أى القادة وهم الرؤساء من مشركى الانس (من الذين اتبعوا) أى السفلة (ورأوا العذاب) أى وقد رأى القادة والسفلة العذاب فى الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أى تقطعت عنهم المواصلات والأرحام والأعمال والعهود والألفة بينهم أى أنكر القادة اضلال السفلة يوم القيامة حين يجمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أى السفلة (لو أن لنا كرة) أى ليت لنا رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى القادة هناك (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك) أى كما أراهم الله شدة عذابه (يريهم الله أعمالهم حسرات) أى ندامات شديدة (عليهم) أى على تفريطهم (وماهم) أى القادة والسفلة (بخارجين من النار) بعد دخولها (يأيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية فى الذين حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر وهم قوم من ثقيف وبنى عامر بن صعصعة وخزاعة وبنى مدلج (كلوا مما فى الأرض) أى من الحرث والأنعام (حلالا طيبا) أى مباحا بأن لايكون متعلقا به حق الغير (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لاتقتدوا طرق وساوس الشيطان فى تحريم الحرث والأنعام (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة (انما يأمركم بالسوء) أى القبيح من الذنوب التى لاحد فيها (والفحشاء) أى المعاصى التى فيها حد (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) أى وبأن تفتروا على الله مالا تعلمون أن الله تعالى حرم هذا وذاك (واذا قيل لهم) أى لمشركى العرب (اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لانتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أى ماوجدناهم

(أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) يتبعونهم والمعنى أيتبعون آباءهم وان كانوا جهالا ثم ضرب للكافرين مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) فى وعظهم ودعائهم الى الله عز وجل (كمثل) الراعى (الذى) يصيح بالغنم وهى لاتسمع ومعنى (ينعق) يصيح (بما لا يسمع) وأراد بما لا يسمع (الا دعاء ونداء) البهائم التى لاتعقل ولا تفهم مايقول الراعى انما تسمع صوتا ولا تدرى ماتحته كذلك الكفار يسمعون كلام النبى صلى الله عليه وسلم وهم كالغنم اذ كانوا لايستعملون ما يأمرهم به ومضى تفسير قوله (صم بكم عمى) ثم ذكر أن ماحرمه المشركون حلال فقال (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم)



أى حلال ما رزقناكم من الحرث والنعم وماحرمه المشركون على أنفسهم منها (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) أى وان كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه الحكم فالشكر له واجب بأنه محسن اليكم ثم بين المحرم ماهو فقال (انما حرم عليكم الميتة) وهى كل مافارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح (والدم) يعنى الدم السائل كقوله فى موضع آخر أو دما مسفوحا وقد دخل هذين الجنسين الخصوص بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان الحديث وقوله (ولحم الخنزير) يعنى الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وما أهل به لغير الله) يعنى ماذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله عز وجل (فمن اضطر) أى أحوج وألجئ فى حال الضرورة (غير باغ) أى قاطع مفارق أى للائمة مشاق للأمة (ولا عاد) أى ولا ظالم متعدفأكل (فلا اثم عليه) وهذا يدل على أن العاصى بسفره لايستبيح أكل الميتة عند الضرورة (ان الله غفور) للمعصية فلا يأخذ بما جعل فيه الرخصة (رحيم) حيث رخص للمضطر (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) يعنى رؤساء اليهود (ويشترون به) أى بما أنزل الله من نعت محمد فى كتابهم (ثمنا قليلا) يعنى مايأخذون من الرشا على كتمان نعته (أولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) أى الا ما عاقبته النار (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى كلاما يسرهم (ولا يزكيهم)

عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) أى أيتبعونهم وان كان آباؤهم (لايعقلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) الى الحق (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء) أى وصفة الذين كفروا فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كصفة الراعى الذى يصوت على مالا يسمع من البهائم فانها لاتسمع الا صوت الراعى من غير فهم لكلامه أصلا فكما أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذا التقليد ويقال مثل الذين كفروا فى قلة عقلهم فى عبادتهم الأوثان كمثل الراعى الذى يتكلم مع البهائم فكما يحكم على الراعى بقلة العقل فكذا هؤلاء (صم) لانهم لم يسمعوا الحق (بكم) لانهم لم يستجيبوا لما دعوا اليه (عمى) لأنهم أعرضوا عن الدلائل (فهم لايعقلون) أى لايفقهون أمر الله ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم كما لاتفهم البهائم كلام الراعى (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) أى كلوا من حلالات ما أعطيناكم من الحرث والأنعام (واشكروا لله) على مارزقكم من الطيبات (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه تعالى هو المنعم لاغير فان الشكر رأس العبادات (انما حرم عليكم الميتة) أى أكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت على غير ذكاة أما السمك والجراد فهما خارجان عنهما باستثناء الشرع كخروج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) أى جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وما أهل به لغير الله) فما موصول و به نائب الفاعل والباء بمعنى فى مع حذف مضاف والمعنى وماصيح فى ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لآلهتهم عند الذبح وقال الربيع بن أنس وابن زيد والمعنى وماذكر عليه غير اسم الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد (فمن اضطر) أى أحوج الى أكل ماذكر بأنه أصابه جوع شديد ولم يجد حلالا يسد به الرمق أو أكره على تناول ذلك (غير باغ) أى غير طالب للذة (ولا عاد) أى متجاوز سد الجوعة كما نقل عن الحسن وقتادة والربيع ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لايباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما الله (فلا اثم عليه) فى أكل ماذكر (ان الله غفور) لمن أكل فى حال الاضطرار (رحيم) حيث أباح فى تناول قدر الحاجة (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على الأحكام من المحللات والمحرمات وعلى نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أى بالكتمان (ثمنا قليلا) أى عوضا حقيرا (أولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) أى الا الحرام الذى هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يزكيهم)

أى ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة) أى استبدلوها (بالهدى والعذاب بالمغفرة) حين جحدوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا نعته (فما أصبرهم) أى فأى شىء صبرهم (على النار) حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا استفهام معناه التوبيخ لهم (ذلك) أى ذلك العذاب الأليم لهم (بأن الله نزل الكتاب بالحق) يعنى القرآن فاختلفوا فيه (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) فقالوا انه رجز وشعر وكهانة وسحر (لفى شقاق بعيد) أى لفى خلاف للحق طويل (ليس البر) الآية كان الرجل فى ابتداء الإسلام اذا شهد الشهادتين وصلى الى أى ناحية كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله عز وجل هذه الآية فقال (ليس البر) كله (أن تولوا وجوهكم) أى ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك (ولكن البر) أى ذا البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه) أى على حب المال (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وهو المنقطع الذى يمر بك والضيف ينزل بك (وفى الرقاب) أى و فى ثمنها يعنى المكاتبين (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) أى اذا عاهدوا الله أو الناس (والصابرين فى البأساء) يعنى الفقر (والضراء) يعنى المرض (وحين البأس) يعنى القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى إيمانهم (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) نزلت فى حيين من العرب أحدهما أشرف من الآخر فقتل الأوضع من الأشرف قتلى

---

أى لا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) يخلص ألمه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) أى أولئك الكاتمون اختاروا ما تجب به النار على ما تجب به الجنة (فما أصبرهم على النار) أى فما أجرأهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد معلوم لهم بسبب أن الله نزل الكتاب بالصدق أو ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ببيان الحق وهم قد حرفوا تأويله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها (لفى شقاق بعيد) أى لفى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق) أى جهة الكعبة (والمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرأ حفص وحمزة بنصب البر على أنه خبر مقدم (ولكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه) أى مع حب المال وهو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر (ذوى القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المحاويج منهم (والمساكين وابن السبيل) أى مار الطريق (والسائلين) أى الذين ألجأتهم الحاجة الى السؤال (وفى الرقاب) أى فى المكاتبين وقيل فى اشتراء الرقاب لاعتاقها (وأقام الصلاة) المفروضة منها (وآتى الزكاة) أى المفروضة (والموفون بعهدهم) عطف على من آمن (اذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (والصابرين) مفعول لفعل محذوف كاذكر (فى البأساء) أى الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) أى الأمراض والأوجاع والجوع (وحين البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) فى الدين وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر ﴿تنبيه﴾ قوله ليس البر هو اسم جامع لكل طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والأصل برر بكسر الراء الأولى فلما أريد الادغام نقلت كسرة الراء الى الباء بعد سلب حركتها أو هو مصدر بمعنى اسم الفاعل الذى هو البار كما هو القراءة الشاذة واختلف فى المخاطب بهذه الآية فقال بعضهم المراد مخاطبة اليهود لما شددوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقال بعضهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم قد نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخوطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم بل هو خطاب للكل وقال الله تعالى ان صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا عند مجموع أمور أحدها الايمان بالله فأهل الكتاب أخلوا بذلك فان اليهود قالوا بالتجسيم و وصفوا الله تعالى بالبخل وقالوا عزير ابن الله وان النصارى قالوا المسيح ابن الله وثانيها الايمان باليوم الآخر فاليهود أخلوا بهذا الايمان حيث قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة والنصارى أنكروا المعاد الجسمانى وثالثها الايمان بالملائكة فاليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام ورابعها الايمان بكتب الله فاليهود والنصارى قد أخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن وخامسها الايمان بالنبيين واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الأنبياء وطعنوا فى نبوة محمد ﷺ وسادسها بذل الأموال على وفق أمر الله تعالى واليهود أخلوا بذلك لأنهم يلقون الشبهات لطلب المال القليل وسابعها اقامة الصلوات والزكوات فاليهود كانوا يمنعون الناس منهما وثامنها الوفاء بالعهد واليهود نقضوا العهد (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) أى فرض عليكم المماثلة وصفا وفعلا (فى القتلى) أى بسبب قتل

فقال الأشرف لنقتلن الحر بالعبد والذكر بالأنثى ولنضاعفن الجراح فأنزل الله هذه الآية وقوله كتب أى أوجب وفرض عليكم القصاص اعتبار المماثلة والتساوى بين القتلى حتى لايجوز أن يقتل حر بعبد ولا مسلم بكافر فاعتبار المماثلة واجب وهو قوله (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالانثى) ودل قوله فى سورة المائدة ان النفس بالنفس على أن الذكر يقتل بالأنثى (فمن عفى له) أى ترك له (من) دم (أخيه) المقتول (شئ) وهو أن يعفو بعض الأولياء فيسقط القود (فاتباع بالمعروف) أى فعلى العافى الذى هو ولى الدم أن يتبع القاتل بالمعروف وهو أن يطالب بالمال من غير تشديد وأذى (وأداء اليه) وعلى



المطلوب منه أداء تأدية المال الى العافى (باحسان) وهو ترك المطل والتسويف (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) هو أن الله تعالى خير هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو ولم يكن ذلك الا لهذه الامة (فمن اعتدى) أى ظلم بقتل القاتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم ولكم فى القصاص) أى فى اثباته (حياة) وذلك أن القاتل اذا قتل ارتدع عن القتل كل من يهم بالقتل فكان القصاص سببا لحياة الذى يهم بقتله ولحياة الهام أيضا لأنه ان قتل قتل (ياأولى الألباب) أى ياذوى العقول (لعلكم تتقون) اراقة الدماء مخافة القصاص (كتب عليكم) الآية كان أهل الجاهلية يوصون بمالهم للبعداء رياء وسمعة ويتركون أقاربهم فقراء فأنزل الله هذه الآية كتب عليكم أى فرض عليكم وأوجب (اذا حضر أحدكم الموت) أى أسبابه ومقدماته (ان ترك خيرا) أى مالا (الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) يعنى لايزيد على الثلث (حقا) أى حق ذلك حقا (على المتقين) أى الذين يتقون الشرك وهذه الآية منسوخة بآية المواريث ولاتجب الوصية على أحد (فمن بدله) أى بدل الايصاء وغيره من وصى وولى وشاهد (بعد ماسمعه) عن الميت (فانما اثمه) أى اثم التبديل (على الذين يبدلونه) وبرئ الميت (ان الله سميع) يسمع ماقاله الموصى (عليم) بنيته وما أراد فكانت الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وان استغرقت المال فأنزل الله (فمن خاف) أى علم (من موص)

---

القتلى عند مطالبة الولى بالقصاص (الحر بالحر) أى الحر يقتل بقتل الحر لا بقتل العبد (والعبد بالعبد) وبالحر من باب أولى (والأنثى بالأنثى) وبينت الأحاديث أنه يقتل أحد النوعين الذكر والأنثى بالآخر ويعتبر أن لايفضل القاتل القتيل بالدين والأصلية والحرية (فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) أى فمن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذى هو القاتل شئ من المال فعلى ولى الدم مطالبة ذلك المال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وعلى القاتل أداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة وبخس بل على بشر وطلاقة وقول جميل ومعنى هذه الآية ان الله تعالى حث الأولياء اذا دعوا الى الصلح من الدم على الدية كلها أو بعضها أن يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أى الحكم من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) فى حقكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لأن العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على النصارى بل فرض عليهم العفو على الاطلاق وفى ذلك تضييق على كل من الوارث والقاتل وهذه الأمة مخيرة بين الثلاث القصاص والدية والعفو تيسيرا عليهم (فمن اعتدى) أى جاوز الحد (بعد ذلك) أى بعد بيان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أى شديد الألم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) أى ولكم فى مشروعية القصاص حياة لأن من أراد قتل الشخص اذا علم القصاص ارتدع عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولأن الجماعة يقتلون بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم (ياأولى الألباب) أى ذوى العقول الخالية من الهوى (لعلكم تتقون) أى لكى تتقوا المساهلة فى أمره وترك المحافظة عليه (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) أى فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما قاله عبد الرحمن بن زيد أو الرحم غير الوالدين كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث اذا ظهرت على أحدكم أمارات الموت كالمرض المخوف ان ترك مالا قال الأصم انهم كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الأقارب فى الفقر والمسكنة فأوجب الله تعالى فى أول الاسلام الوصية لهؤلاء منعا للقوم عما كانوا اعتادوه (حقا على المتقين) أى حق ذلك حقا على الموحدين (فمن بدله) أى الوصية من وصى وشاهد اما بانكار الوصية من أصلها أو بالنقص فيها أو بتبديل صفتها أو غير ذلك (بعد ماسمعه) أى بعد علم الوصية (فانما اثمه) أى التبديل (على الذين يبدلونه) أى الوصية لا على الميت لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع (ان الله سميع) لوصية الميت (عليم) بالمبدل فيجازى الميت بالخير والمبدل بالشر (فمن خاف من موص) قرأه شعبة وحمزة والكسائى

جنفا) أى خطأ فى الوصية من غير عمد وهو أن يوصى لبعض ورثته أو يوصى بماله كله خطأ (أو اثما) أى قصد الميل (فأصلح) بعد موته بين
ورثته وبين الموصى لهم (فلا اثم عليه) أى ليس بمبدل آثم بل هو متوسط للاصلاح وليس عليه أثم



والكسائى بفتح الواو وتشديد الصاد أى من علم من ميت (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطأ فى
الوصية (أو اثما) أى عمدا فى الميل فى الوصية (فأصلح بينهم) أى فعل ما فيه الصلاح بين الوصى
والموصى لهم برده الى الثلث والعدل (فلا اثم عليه) أى على من علم ذلك فى هذا الصلح وان كان فيه
تبديل لانه تبديل باطل بحق بخلاف الاول (ان الله غفور) للميت ان جار وأخطأ للوصى (رحيم)
للوصى حيث رخص عليه الرد الى الثلث والعدل ومعنى الآية أن الميت اذا أخطأ فى وصيته أو جار فيها
متعمدا فلا اثم على من علم ذلك أن يغيره ويرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة
والربيع (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام والأمم من لدن آدم عليه السلام (لعلكم تتقون) أى تتقون الله بصومكم
وترككم للشهوات فالرغبة فى الطعوم والمنكوح أشد من الرغبة فى غيرهما والاتقاء عنهما أشق فاذا
سهل عليكم اتقاء الله بتركهما كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف أو المعنى لعلكم تتقون ترك
المحافظة على الصوم بسبب عظم درجاته (أياما معدودات) أى فى أيام مقدرات بعدد معلوم ثلاثين
يوما وهى رمضان (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ولو فى أثناء اليوم (أو على سفر)
أى مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أى فعليه ان أفطر صوم عدة أيام المرض والسفر
أى بقدر ما أفطر من رمضان ولو مفرقا وعن أبى عبيدة بن الجراح أنه قال ان الله تعالى لم يرخص لكم فى
فطره وهو يريد أن يشق عليكم فى قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبى
صلى الله عليه وسلم على أيام من رمضان أفيجزينى أن أقضيها متفرقة فقال له أرأيت لو كان عليك دين
فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزيك قال نعم قال فالله أحق أن يعفو ويصفح وعن عائشة أن حمزة
الأسلمى سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل أصوم على السفر فقال ﷺ صم
ان شئت وأفطر ان شئت وروى الشافعى أن عطاء قال لابن عباس اقصر الى عرفة فقال لا فقال الى مر
الظهران فقال لا لكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة
برد (وعلى الذين يطيقونه) أى وعلى المطيقين للصيام ان أفطروا (فدية طعام مسكين) أى
قدر ما يأكله فى يوم وهو مد من غالب قوت بلده وقرأ نافع وابن عامر باضافة فدية وجمع مساكين قال ابن
عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما ان هذه الآية منسوخة وذلك انهم كانوا فى صدر الاسلام مخيرين بين
الصيام والفدية وانما خيرهم الله تعالى بينهما لانهم كانوا لم يتعودوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم
فى الافطار وقيل ان هذه الآية نزلت فى حق الشيخ الهرم والمعنى وعلى الذين يقدرون على الصوم مع
المشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن زاد فى الفدية على القدر الواجب أو صام مع اخراج الفدية (فهو)
التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أيها المرخصون لكم فى الافطار من المرضى والمسافرين
والذين يقدرون على الصوم مع المشقة (خير لكم ان كنتم تعلمون) ما فى الصوم من الفضيلة ومن المعانى
المورثة للتقوى وبراءة الذمة فان العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذى
أنزل فيه القرآن) أى ان جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة فى ليلة القدر وكانت ليلة أربع وعشرين
من رمضان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فأملاه جبريل على السفرة فكتبوه فى صحف وكانت
تلك الصحف فى محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) يعنى صيام شهر رمضان (كما كتب) أى أوجب (على الذين من قبلكم) أى أنتم متعبدون بالصيام كما تعبد من قبلكم (لعلكم تتقون) أى تتقون الأكل والشرب والجماع فى وقت وجوب الصيام (أياما معدودات) يعنى شهر رمضان (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) فأفطر (فعدة) أى فعليه عدة أى صوم عدة يعنى بعدد ما أفطر (من أيام أخر) سوى أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) هذا كان فى ابتداء الاسلام من أطاق الصوم جاز له أن يفطر ويطعم لكل يوم مسكينا مدا من طعام فنسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه (فمن تطوع خيرا) أى زاد فى الفدية على مد واحد (فهو خير له وأن تصوموا خير لكم) أى والصوم خير لكم من الافطار والفدية وهذه انما كانت نزلت قبل النسخ (شهر رمضان) أى هى شهر رمضان أى تلك الأيام المعدودات شهر
رمضان (الذى أنزل فيه القرآن) أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء
الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد عليهما السلام نجوما نجوما عشرين سنة

عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة مدة النبوة بحسب الحاجة يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) أى بيانا للناس من الضلالة (و بينات من الهدى) أى واضحات من أمر الدين فالهدى الاول محمول على أصول الدين والهدى الثانى على فروع الدين (والفرقان) أى من الفرق بين الحق والباطل و بين الحلال والحرام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من شهد منكم أول الشهر فى الحضر فليصم كل الشهر وشهود الشهر اما بالرؤية واما بالسماع فاذا رأى انسان هلال رمضان وقد انفرد بتلك الرؤية ورد الامام شهادته لزمه أن يصوم لانه قد حصل شهود الشهر فى حقه فوجب عليه الصوم واذا شهد عدلان على رؤية الهلال حكم به فى الصوم والفطر جميعا واذا شهد عدل واحد على رؤية هلال شوال لايحكم به أما اذا شهد على هلال رمضان فيحكم به احتياطا لأمر الصوم أى يقبل قول الواحد فى اثبات العبادة ولايقبل فى الخروج منها الاقول الاثنين لكى يصوموا ولايفطروا احتياطا (ومن كان مريضا) فى شهر رمضان وان كان مقيما (أوعلى سفر) أى متلبسا بالسفر وقت طلوع الفجر وان كان صحيحا (فعدة) أى فعليه عدة (من أيام أخر) أى فليصم منها بقدر ماأفطر (يريد الله بكم اليسر) أى رخصة الافطار فى السفر (ولايريد بكم العسر) أى لم يرد أن يوجد لكم العسر فى الصوم فى السفر (ولتكملوا العدة) أى لكى تصوموا فى الحضر عدة ماأفطرتم فى السفر وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الكاف وتشديد الميم (ولتكبروا الله) عند انقضاء الصوم (على ماهداكم) الى هذه الطاعة قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعى وأحب اظهار التكبير فى العيدين و به قال مالك وأحمد واسحق وأبو يوسف ومحمد (ولعلكم تشكرون) الله على رخصته قال الفراء قوله تعالى ولتكملوا العدة علة للامر بمراعاة العدة وقوله تعالى ولتكبروا الله علة ماعلمكم الله من كيفية القضاء وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة التسهيل (واذا سألك عبادى عنى) أى عن قربى و بعدى (فانى قريب) أى فقل لهم ياأشرف الخلق انى قريب منهم بالعلم والاجابة (أجيب دعوة الداع اذا دعان) قيل المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة واجابة الدعاء هو قبول التوبة وقيل المراد من الدعاء العبادة قال ﷺ الدعاء هو العبادة ومما يدل على ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع الداعى اذا دعانى باثبات الياء فيهما فى الوصل والباقون بحذفها على الوصل فى الاولى وعلى التخفيف فى الثانية (فليستجيبوا لى) أى فلينقادوا لى وليستسلموا لى (وليؤمنوا بى) وهذا الترتيب يدل على أن العبد لايصل الى نور الايمان وقوته الابتقدم الطاعات والعبادات (لعلهم يرشدون) أى يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم اذا استجابوا لى وآمنوا بى وسبب نزول هذه الآية قيل ان أعرابيا جاء الى النبى ﷺ فقال أقريب ربنا فندعوه سرا أم بعيد فندعوه جهرا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى عن قتادة وغيره أن الصحابة قالوا كيف ندعو ربنا يانبى الله أى أبالمناجاة أو بالمناداة فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وغيره انهم سألوا فى أى ساعة ندعو الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أين ربنا وقال ابن عباس ان يهود أهل المدينة قالوا يامحمد كيف يسمع ربك دعاءنا فنزلت هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام

---

(هدى للناس) أى هاديا للناس (و بينات من الهدى) وآيات واضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام (والفرقان) الفرق بين الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر) أى فمن حضر منكم بلده فى الشهر (فليصمه ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر) أعاد ههنا تخيير المريض والمسافر لان الآية الأولى وردت فى التخيير للمريض والمسافر والمقيم وفى هذه الآية نسخ تخيير المقيم فأعيد ذكر تخيير المريض والمسافر ليعلم أنه باق على ما كان (يريد الله بكم اليسر) أى الرخصة للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم والمعنى يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ليسهل عليكم (ولتكملوا العدة) أى ولتكملوا عدة ما أفطرتم بالقضاء اذا أقمتم و برأتم (ولتكبروا الله) يعنى التكبير ليلة الفطر اذا رؤى هلال شوال (على ماهداكم) أى أرشدكم له من شرائع الدين (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) الآية سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية وقوله فانى قريب أى قريب بالعلم (أجيب) أسمع (دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى) أى فليجيبونى بالطاعة وتصديق الرسل (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) أى ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد (أحل لكم ليلة الصيام) الآية كان فى ابتداء الاسلام لاتحل المجامعة فى ليالى الصوم ولا الأكل والشرب بعد عشاء الآخرة فأحل الله

الرفث

الرفث الى نسائكم) أى المجامعة مع نسائكم قال المفسرون كان فى أول شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اذا أفطر الصائم حل له الأكل والشرب والوقاع بشرط أن لا ينام ولا يصلى العشاء الأخيرة فاذا فعل أحدهما بأن نام أو صلى العشاء حرم عليه هذه الأشياء الى الليلة القابلة فواقع عمر بن الخطاب أهله بعد صلاة العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بالجماع بعد العشاء فنزلت هذه الآية ناسخة لتلك الشريعة (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) هذا مبين لسبب احلال الوقاع وهو صعوبة اجتنابهن وستر أحدهما الآخر عن الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أى تظلمونها لانكم تسرون بالمعصية فى الجماع بعد صلاة العتمة والأكل بعد النوم (فتاب عليكم) أى قبل توبتكم (وعفا عنكم) أى محا ذنوبكم ولم يعاقبكم فى الخيانة (فالآن) أى حين أحل الله لكم (باشروهن) أى جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) أى اطلبوا ما وضع الله لكم بالنكاح من التناسل وقصد العفة أى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها وقيل هذا نهى عن العزل قال الشافعى لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا بأس أن يعزل عن الأمة وقيل معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة فان ذلك هو الذى كتب الله لكم أى قسم الله لكم (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) أى حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل حال كون الخيط الأبيض بعضا (من الفجر) الصادق وسمى الصبح الصادق فجرا لأنه يتفجر منه النور (ثم أتموا الصيام الى الليل) أى الى دخوله بغروب الشمس نزلت هذه الآية فى شأن صرمة بن مالك بن عدى وذلك أنه كان يعمل فى أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله فقال هل عندك طعام فقالت لا وأخذت تصنع له طعاما فأخذه النوم من التعب فأيقظته فكره أن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما مجهودا فى عمله فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع فأنزل الله هذه الآية (ولا تباشروهن) أى لا تجامعوهن ليلا ونهارا (وأنتم عاكفون) أى ماكثون (فى المساجد) بنية الاعتكاف للتقرب الى الله تعالى (تلك) أى المباشرة (حدود الله) أى معصية الله (فلا تقربوها) أى فلا تقربوا المعصية واتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرغوا من الاعتكاف (كذلك) أى هكذا (يبين الله آياته) أى أمره ونهيه (للناس) أو المعنى كما بين الله ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك يبين سائر أدلته على دينه (لعلهم يتقون) أى لكى يتقوا معصية الله نزلت هذه الآية فى حق نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وعمار بن ياسر وغيرهما فكانوا معتكفين فى المسجد فيأتون الى أهاليهم اذا احتاجوا ويجامعون نساءهم ويغتسلون فيرجعون الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى لا يأخذ بعضكم مال بعض بالطريق الحرام شرعا (وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم) أى ولا تدخلوا بالأموال الى الحكام لتأخذوا جملة من أموال الناس متلبسين بالاثم أى بالحلف الكاذب (وأنتم تعلمون) أنكم مبطلون فالاقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق روى أن عبدان بن الأسوع الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف

---

ذلك كله الى طلوع الفجر وقوله أيضا (الرفث الى نسائكم) يعنى الافضاء اليهن بالجماع (هن لباس لكم) أى فراش (وأنتم لباس) أى لحاف (لهن) عند الجماع (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تخونون أنفسكم فى ليالى رمضان بالجماع وذلك أن عمر بن الخطاب وغيره فعلوا ذلك ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فنزلت الرخصة (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالترخيص (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) أى جامعوهن (وابتغوا) أى اطلبوا (ما كتب الله لكم) أى ما قضى الله لكم من الولد (وكلوا واشربوا) الليل كله (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) يعنى بيان الصبح (من الخيط الأسود) من سواد الليل (من الفجر) بيان أن هذا الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره (ثم أتموا الصيام الى الليل) بالامتناع من هذه الأشياء (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) نهى للمعتكف عن الجماع فانه يفسده (تلك) أى هذه الأحكام التى ذكرها (حدود الله) يعنى ممنوعاته (فلا تقربوها) أى فلا تأتوها (كذلك) أى مثل هذا البيان (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أى يتقون المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل فى الشرع من الخيانة والغصب والسرقة والقمار وغير ذلك (وتدلوا بها الى الحكام) أى ولا تصانعوا بأموالكم الحكام لتقطعوا حقا لغيركم (لتأكلوا فريقا) أى طائفة (من أموال الناس بالاثم) أى بأن ترشوا الحاكم ليقضى لكم (وأنتم تعلمون) أنكم مبطلون وأنه لا يحل لكم

(يسألونك عن الأهلة) سأل معاذ بن جبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيادة القمر ونقصانه فأنزل الله تعالى يسألونك عن الأهلة وهي جمع هلال (قل هي مواقيت للناس والحج) أخبر الله سبحانه أن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه زوال الالتباس عن أوقات الناس في حجهم ومحل ديونهم وعدد نسائهم وأجور أجرائهم ومدد حواملهم وغير ذلك (وليس البر) بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كان الرجل في الجاهلية اذا أحرم نقب في بيته نقبا من مؤخره يدخل منه ويخرج فأمرهم الله بترك سنة الجاهلية وأعلمهم أن ذلك ليس ببر (ولكن البر من اتقى) مخالفة الله (وأتوا البيوت من أبوابها) الآية (وقاتلوا في سبيل الله) الآية نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الحديبية الى المدينة حين صده المشركون عن البيت صالحهم على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش وأن يصدوهم عن البيت ويقاتلوهم وكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله أي في دين الله وطاعته (الذين يقاتلونكم) يعني قريشا (ولا تعتدوا) أي ولا تظلموا فتبدأوا في الحرم بالقتال (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) يعني من مكة (والفتنة أشد من القتل) (فان
يعني وشركهم بالله أعظم من قتلكم اياهم في الحرم (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) نهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدئ المشركون (فان قاتلوكم) أي ابتدأوا بقتالكم عند المسجد الحرام فلكم القتال على سبيل المكافأة ثم بين أنهم ان انتهوا أي كفوا عن الكفر والشرك والقتال وأسلموا

امرؤ القيس فهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وأقر بالحق وسلم الأرض الى عبدان فنزلت هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم عالم بالخصومة وجاهل بها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يارسول الله والذي لا اله الا هو اني محق فقال ان شئت أعاوده فعاوده فقضى للعالم فقال المقضي عليه مثل ماقال أولا ثم عاوده ثالثا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فانما اقتطع قطعة من النار فقال العالم المقضى له يارسول الله ان الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجدله حق غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخذ وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لايزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان لماذا (قل) يا أشرف الخلق (هي مواقيت للناس والحج) أي هي علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية وللحج كعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم وافطارهم وقضاء ديونهم وأوقات زرعهم ومتاجرهم ودخول وقت الحج وخروجه ثم نزل في شأن نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كنانة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الاحرام من خلفها أو من سطحها كما فعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) في الاحرام (ولكن البر من اتقى) محارمه تعالى كالصيد وتوكل على الله تعالى في جميع أموره (وأتوا البيوت) أي ادخلوها (من أبوابها) في الاحرام كغيره (واتقوا الله) في تغيير الأحكام أو في جميع أموركم (لعلكم تفلحون) لكي تفوزوا بالخير في الدين والدنيا أو لكي تنجوا من السخط والعذاب (وقاتلوا) أي جاهدوا (في سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يبدأونكم بالقتال من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بابتداء القتال في الحرم (ان الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير للمتجاوزين الحد (واقتلوهم) ان بدأوكم (حيث ثقفتموهم) أي وجدتموهم في الحل والحرم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والمحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها و بقاء تألم النفس بها وقيل وشركهم بالله وعبادة الأوثان في الحرم وصدهم لكم عنه أشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) أي لاتبدأوهم بالقتل في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) أي الحرم بالابتداء (فان قاتلوكم) فيه بالابتداء (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا أشد العذاب قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كله بغير ألف (كذلك) أي مثل هذا الجزاء الواقع منكم بالقتل والاخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل مافعلوا (فان انتهوا) عن الكفر

(فان الله غفور) لهم ماقد سلف (رحيم) بهم (وقاتلوهم) بالابتداء منهم فى الحل والحرم (حتى لاتكون فتنة) أى كى لاتوجد فتنة عن دينكم أى وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حتى ذهبوا الى الحبشة ثم واظبوا على ذلك الايذاء حتى ذهبوا الى المدينة وكان غرضهم من اثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم حتى تعالوا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا فى الشرك (ويكون الدين) أى وكى يوجد الاسلام والعبادة (لله) وحده لايعبدون فى الحرم سواه (فان انتهوا) عن قتالكم فى الحرم (فلا عدوان) أى فلا سبيل لكم بالقتل (الا على الظالمين) أى المبتدئين بالقتال أو المعنى فان انتهوا عن الأمر الذى يوجب قتالهم وهو اما كفرهم أو قتالهم فلا قتل الا على الذين لاينتهون عن الكفر فانهم باصرارهم على كفرهم ظالمون أنفسهم (الشهر الحرام) الذى دخلت يا محمد فيه لقضاء العمرة وهو ذو القعدة من السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرام) الذى صدوك عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة أى من استحل دمكم من المشركين فى الشهر الحرام فاستحلوه فيه (والحرمات) أى الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام (قصاص) أى يجرى فيها بدل (فمن اعتدى عليكم) بالقتال فى الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) أى فجازوه بمثل مااعتدى عليكم به (واتقوا الله) أى اخشوه بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والحفظ (وأنفقوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أى ولا تلقوا أنفسكم الى الهلاك بمنع النفقة فى سبيل الله أو بالاسراف فى النفقة أو بتضييع وجه المعاش (وأحسنوا) فى الانفاق على من تلزمكم مؤنته بأن يكون ذلك الانفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقتروا ويقال وأحسنوا الظن فى الله (ان الله يحب المحسنين) أى يريد بهم الخير ويثيبهم نزلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الى ههنا فى حق المحرمين مع النبى صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية لأنهم خافوا أن يقاتلهم الكفار فى الحرم والاحرام أو الشهر الحرام وكرهوا ذلك لأن القتال فى ذلك الوقت كان محرما فى تلك الأحوال الثلاثة (وأتموا الحج والعمرة لله) أى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانهما وشروطهما لله بأن تخلصوهما للعبادة ولا تخلطوهما بشئ من التجارة والأغراض الدنيوية (فان أحصرتم) أى منعتم عن اتمامهما بعدو (فما استيسر من الهدى) أى فعليكم اذا أردتم التحلل ماتيسر من الهدى من بدنة أو بقرة أو شاة لترك الحرم واذبحوها حيث أحصرتم فى حل أو حرم (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى وقت مجئ ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعى لكن يندب ارساله الى الحرم خروجا من خلاف أبى حنيفة فاذا ذبحتم فاحلقوا ويجب نية التحلل عند الذبح والحلق وبهما يحصل الخروج من النسك قال الشافعى كل ماوجب على المحرم فى ماله لايجزئ الا فى الحرم لمساكين أهله الا فى نوعين أحدهما من ساق هديا فعطب فى طريقه فيذبحه ويخلى بينه وبين المساكين وثانيهما دم المحصر بالعدو فانه يذبح حيث حبس لأن هذا الدم انما وجب لازالة الخوف وزوال الخوف انما يحصل اذا قدر عليه حيث أحصر (فمن كان منكم مريضا) فى بدنه محتاجا الى المداواة واستعمال الطيب واللباس (أو) كان (به أذى من رأسه) أى ألم فى رأسه بسبب القمل والصئبان أو بسبب

(فان الله غفور رحيم) أى يغفر لهم كفرهم وقتالهم من قبل وهو منعم عليهم بقبول توبتهم وايمانهم بعد كفرهم وقتالهم (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنه) يعنى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلن يقبل من المشرك الوثنى جزية (ويكون الدين) أى الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبدونه شئ (فان انتهوا) أى عن الكفر (فلا عدوان) أى لاقتل ولانهب (الا على الظالمين) الكافرين (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أى ان قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فى مثله (والحرمات قصاص) أى ان انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا منهم مثل ذلك أعلم الله أنه لايكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء ولكن على سبيل القصاص وهو معنى قوله (فمن اعتدى عليكم) الآية (وأنفقوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله من الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ولا تمسكوا عن الانفاق فى الجهاد (وأحسنوا) أى الظن بالله فى الثواب والاخلاف عليكم (وأتموا الحج والعمرة لله) بمناسكهما وحدودهما وسننهما وتأدية كل مافيهما (فان أحصرتم) حبستم ومنعتم دون تمامهما (فما استيسر) أى فواجب عليكم ماتيسر (من الهدى) وهو مايهدى الى بيت الله الحرام أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة أى فعليه ماتيسر له من هذه الأجناس (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى ولا تتحللوا من احرامكم حتى ينحر الهدى بمكة فى بعض الأقوال وهو مذهب أهل العراق وفى قول غيرهم محله حيث يحل ذبحه ونحره وهو حيث حبس وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه)

فحلق (ففدية من صيام) وهو صيام ثلاثة أيام (أو صدقة) وهى اطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان (أو نسك) أى ذبيحة (فاذا أمنتم)
أى من العدو أو كان حج ليس فيه



خوف من عدو (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) أى قدم مكة محرما واعتمر فى أشهر
الحج وأقام حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج عامه ذلك واستمتع بمحظورات الاحرام لأنه حل بالعمرة فمن فعل هذا فعليه (مااستيسر من الهدى فمن لم يجد) ثمن الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى أشهر الحج وسبعة اذا رجعتم) أى بعد الفراغ من الحج (تلك عشرة كاملة ذلك) أى ذلك الفرض الذى أمرنا من الهدى أو الصيام (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) أى لمن لم يكن من أهل مكة (الحج أشهر) أى أشهر الحج أشهر (معلومات) مؤقتة معينة وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة (فمن فرض) أى أوجب على نفسه (فيهن الحج) بالاحرام والتلبية (فلا رفث) أى لاجماع (ولا فسوق) أى لامعاص (ولا جدال) وهو أن يجادل صاحبه حتى يغضبه والمعنى لاترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا (فى الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله) أى يجازيكم به الله العالم (وتزودوا) نزلت فى قوم كانوا يحجون بلا زاد و يقولون نحن متوكلون فكانوا يسألون الناس
ور بما ظلموهم وغضبوهم فأمرهم الله أن يتزودوا فقال وتزودوا ماتبلغون به (فان خير الزاد التقوى) يعنى من
ماتكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن الظلم (ليس عليكم جناح) الآية كان قوم يزعمون أنه لاحج لجمال ولا تاجر فأعلم الله أنه
لاحرج فى ابتغاء الرزق بقوله ليس عليكم جناح (أن تبتغوا فضلا) أى رزقا من ربكم) بالتجارة فى الحج (فاذا أفضتم) أى دفعتم

---

الصداع أو كان عنده خوف من حدوث مرض أو ألم واحتاج الى الحلق أبيح له ذلك بشرط بذل
الفدية كما قال تعالى (ففدية) أى فعليه فدية (من صيام) فى ثلاثة أيام (أو صدقة) بثلاثة آصع
من غالب قوت مكة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) أى ذبح شاة
(فاذا أمنتم) من العدو (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) أى فمن تلذذ بمحظورات الاحرام كالطيب
واللباس والنساء بسبب اتيانه بالعمرة الى الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فعليه ماتيسر
من الدم للجبران بخمسة شروط الأول أن يقدم العمرة على الحج الثانى أن يحرم بالعمرة فى أشهر
الحج الثالث أن يحج فى هذه السنة الرابع أن لايكون من حاضرى المسجد الحرام الخامس أن
يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة ووقت وجوب هذا الدم بعد ما أحرم بالحج
و يستحب أن يذبح يوم النحر و يجوز تقديم الذبح على الاحرام بالحج بعد الفراغ من العمرة لأن
دم التمتع عندنا دم جبران كسائر دماء الجبرانات وعند أبى حنيفة هو دم نسك كدم الأضحية فيختص
بيوم النحر فلا يجوز عنده الذبح قبله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى فمن لم يجد الهدى
لفقده أو فقد ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام فى حال اشتغاله باحرام الحج أى فى أيام الاشتغال بأعمال الحج
بعد الاحرام وقبل التحلل (وسبعة اذا رجعتم) الى أهليكم و وطنكم مكة أو غيرها وقرأ ابن أبى
عبلة سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة كاملة) فى البدل عن الهدى قائمة مقامه (ذلك)
أى لزوم الهدى و بدله على التمتع (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم
على مسافة القصر عند الشافعى ومن كان مسكنه وراء الميقات عند أبى حنيفة وأهل الحل عند
طاوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) فيما فرض عليكم (واعلموا أن الله شديد العقاب)
لمن تهاون بحدوده (الحج أشهر معلومات) أى أشهر الحج معروفات بين الناس وهى شوال
وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع فجر يوم النحر عند الشافعى (فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) أى فمن أوجب الحج على نفسه بالاحرام فيهن فلا
جماع ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات ولا خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما فى أيام
الحج وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال بالنصب والباقون
قرءوا الكل بالنصب والمعنى على هذا لايكونن رفث ولا فسوق ولا خلاف فى الحج وذلك أن قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا بعرفات كسائر
العرب واستدل على أن المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج
فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه فانه صلى الله عليه وسلم لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من
خير) كصدقة وكترك المنهى (يعلمه الله) أى يقبله و يجزى به خير جزاء (وتزودوا فان خير الزاد التقوى)
أى تزودوا من التقوى لمعادكم فانها خير زاد وهى فعل الواجبات وترك المحظورات و يقال وتزودوا
ماتعيشون به لسفركم فى الدنيا فان خير الزاد ماتكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن
الظلم (واتقون ياأولى الألباب) أى ذوى العقول (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)
أى ليس عليكم حرج فى أن تطلبوا رزقا من ربكم بالتجارة فى الحج (فاذا أفضتم) أى رجعتم

(من عرفات فاذكروا الله) بالتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل (عند المشعر الحرام) وهو جبل يقف عليه الامام وسمى قزح وهو آخر حد المزدلفة وقال بعضهم المشعر الحرام هو المزدلفة لأن الذكر المأمور به عنده يحصل عقب الافاضة من عرفات وما ذاك الا بالمبيت بالمزدلفة (واذكروه) أي الله (كما هداكم) أي لأجل هدايته اياكم لمعالم دينه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وانكم كنتم من قبل الهدى لمن الجاهلين بالايمان والطاعة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي ثم ارجعوا من المزدلفة الى منى قبل طلوع الشمس للرمي والنحر كما رجع منها ابراهيم واسمعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول ﷺ وكان العرب الذين وقفوا بالمزدلفة يرجعون الى منى بعد طلوع الشمس وهذا كما اختاره الضحاك (واستغفروا الله) باللسان مع التوبة بالقلب وهو أن يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم على أن لا يقصر فيما بعد ويقصد بذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (ان الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم) أي منعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم) وكان العرب بعد الفراغ من الحج يقفون بمنى بين المسجد والجبل فيبالغون في الثناء على آبائهم في ذكر مناقبهم وفضائلهم فقال الله تعالى هذه الآية فالمعنى فاذا فرغتم من عباداتكم المتعلقة بالحج كأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى فابذلوا جهدكم في الثناء على الله وذكر نعمائه كما بذلتم جهدكم في الثناء على آبائكم في الجاهلية (أو أشد ذكرا) أي بل أكثر ذكرا من ذكر آبائكم لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (فمن الناس) أي المشركين أو المؤمنين (من يقول) في الموقف (ربنا آتنا) أي أعطنا (في الدنيا) ابلا وبقرا وغنما وعبيدا وإماء ومالا (وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب في الجنة بحجه (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) أي علما وعبادة وعصمة من الذنوب وشهادة وغنيمة وصحة وكفافا وتوفيقا للخير (وفي الآخرة حسنة) أي جنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) أي ادفع عنا العذاب (أولئك) أي أهل هذه الصفة (لهم نصيب) أي حظ وافر في الجنة (مما كسبوا) أي من حجهم (والله سريع الحساب) أي سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وعالم بجملة سؤالات السائلين (واذكروا الله) أي بالتكبير والتهليل والتمجيد (في أيام معدودات) أي في أيام التشريق الثلاثة (فمن تعجل) برجوعه الى أهله (في يومين) بعد يوم النحر (فلا اثم عليه) بتعجيله (ومن تأخر) الى اليوم الثالث حتى رمى فيه قبل الزوال أو بعده (فلا اثم عليه) بتأخره فهم مخيرون في ذلك (لمن اتقى) أي ونفي الاثم لمن اتقى الله في حجه لأنه المتشفع بحجه دون من سواه (واتقوا الله) أي احذروا الاخلال بما ذكر من الأحكام (واعلموا أنكم اليه تحشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أي ومن الناس من يعظم في قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الأخنس بن شريق الثقفي واسمه أبي كان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما في قلبه) فان الأخنس هذا أقبل الى النبي ﷺ وأظهر الاسلام وحلف بالله انه يحبه ويتابعه في السر ويحتمل أنه يقول فالله يشهد بأن

وانصرفتم (من عرفات فاذكروا الله) بالدعاء والتلبية (عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) أي اذكروا مثل هدايته أي يكون جزاء لهدايته اياكم (وان كنتم من قبله) أي وما كنتم من قبل هداه الا ضالين (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) يعني العرب وعامة الناس الا قريشا وذلك أنهم كانوا لا يقفون بعرفات وانما يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه فأمرهم تعالى أن يقفوا بعرفات كما يقف سائر الناس حتى تكون الافاضة معهم منها (فاذا قضيتم مناسككم) أي فاذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) كانت العرب اذا فرغوا من حجهم ذكروا مفاخر آبائهم فأمرهم الله تعالى بذكره (أو أشد ذكرا) يعني وأشد ذكرا (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) وهم المشركون كانوا يسألون المال والابل ولا يسألون حظا في الآخرة لأنهم لم يكونوا مؤمنين بها والمسلمون يسألون الحظ في الدنيا والآخرة وهو قوله (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا) أي ثواب ما عملوا (والله سريع الحساب) مع هؤلاء لأنه يغفر سيئاتهم ويضاعف حسناتهم (واذكروا الله في أيام معدودات) يعني التكبير أدبار الصلوات في أيام التشريق (فمن تعجل في يومين) من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني من منى (فلا اثم عليه) في تعجله (ومن تأخر) عن النفر الى اليوم الثالث (فلا اثم عليه) في تأخره (لمن اتقى) أي طرح المأثم يكون لمن اتقى في حجه تضييع شيء مما حده الله (ومن الناس من يعجبك قوله) يعني الأخنس بن شريق وكان منافقا حلو الكلام حسن العلانية سيء السريرة وقوله (في الحياة الدنيا) لأن قوله انما يعجب الناس في الحياة الدنيا ولا ثواب له عليه في الآخرة (ويشهد الله على ما في قلبه) لأنه كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم والله اني بك مؤمن ولك محب

(وهوألد الخصام) أى أشد الخصومة وكان جدلا بالباطل (واذا تولى سعى فى الأرض) الآية وذلك أنه رجع الى مكة فمر بزرع للمسلمين
وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فهو قوله تعالى (ويهلك الحرث والنسل) يعنى نسل الدواب (واذا قيل 
له اتق الله) أى اذا قيل له
مهلا مهلا (أخذته العزة
بالاثم) أى حملته الانفة
وحمية الجاهلية على الفعل
بالاثم (فحسبه جهنم)
أى كافيه الجحيم جزاء له
(ولبئس المهاد) أى ولبئس
المقر (ومن الناس من
يشرى نفسه) أى يبيع
نفسه يعنى يبذلها لأوامر
الله (ابتغاء مرضات الله)
أى لطلب رضاء الله نزلت
فى صهيب (يأيها الذين
آمنوا ادخلوا فى السلم) أى
فى الاسلام (كافة) جميعا
أى فى جميع شرائعه نزلت
فى عبد الله بن سلام وأصحابه
وذلك أنهم بعد مادخلوا
فى الاسلام عظموا السبت
وكرهوا لحوم الابل فأمروا
بترك ذلك وليس من شعائر
الاسلام تحريم السبت
وكراهة لحوم الابل (ولا
تتبعوا خطوات الشيطان)
أى آثاره ونزغاته (فان
زللتم) أى تنحيتم عن
القصد (من بعد ماجاءتكم
البينات) أى القرآن
(فاعلموا أن الله عزيز) أى فى
نقمته لا تعجزونه ولا
يعجزه شىء (حكيم) فيما
شرع لكم من دينه (هل
ينظرون) أى هل ينتظرون
يعنى التاركين الدخول فى السلم وهل استفهام معناه النفى يعنى ماينتظرون هؤلاء فى الآخرة (الا أن يأتيهم) عذاب الله بالغمام
(فى ظلل من الغمام) الظلل جمع ظلة وهو ماأظلك والمعنى أن العذاب يأتى فيها فيكون أهول (والملائكة) يعنى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم

الأمر كما قلت فهذا استشهاد بالله وليس بيمين وقرأ ابن محيصن يشهد الله بفتح الياء والهاء والمعنى
يعلم الله من قلبه خلاف ماأظهره (وهو ألد الخصام) قال قتادة شديد القسوة فى معصية الله جدل
بالباطل عالم اللسان جاهل العمل وقال السدى أعوج الخصام (واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها)
أى واذا انصرف من عندك اجتهد فى ايقاع القتال بأن يوقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم
ويؤدى الى أنه يتبرأ بعضهم من بعض فيقطع الأرحام ويسفك الدماء (ويهلك الحرث) أى
الزرع بالاحراق (والنسل) أى الحيوان بالقتل فان الأخنس لما انصرف من بدر مر ببنى زهرة
وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم (والله لايحب الفساد)
أى لايرضى به (واذا قيل له) أى لذلك الانسان (اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة بالاثم) أى لزمه
التكبر الحاصل بالاثم الذى فى قلبه فان التكبر انما حصل بسبب مافى قلبه من الكفر والجهل وعدم
النظر فى الدلائل (فحسبه جهنم) أى كافيه جهنم جزاء له وعذابا (ولبئس المهاد) أى لبئس المستقر
هى (ومن الناس من يشرى) أى يشترى (نفسه) بماله (ابتغاء مرضات الله) روى عن ابن عباس
أن هذه الآية نزلت فى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان وفى عمار بن ياسر وفى سمية أمه وفى
ياسر أبيه وفى بلال مولى أبى بكر وفى خباب بن الارت وفى أبى ذر وفى عابس مولى حويطب أخذهم
المشركون فعذبوهم فأما صهيب فقال لأهل مكة انى شيخ كبير ولى مال ومتاع وأنا أعطيكم مالى
ومتاعى وأشترى منكم دينى فرضوا منه بذلك وخلوا سبيله فانصرف الى المدينة فنزلت هذه الآية وعند
دخول صهيب المدينة لقيه أبو بكر رضى الله عنه فقال ربح بيعك ياأبا يحيى فقال وماذاك فقال
أنزل الله فيك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية وأما خباب بن الأرت وأبو ذر فقد فرا وأتيا المدينة وأما سمية
فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل ياسر وأما الباقون فأعطوا بسبب العذاب بعض ماأراد المشركون
فتركوا (والله رءوف بالعباد) الذين قتلوا فى مكة أبى عمار وأمه وغيرهما لأنه تعالى أرشدهم لما
فيه رضاه (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت هذه الآية فى شأن طائفة من مسلمى أهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبى ﷺ أقاموا بعده على تعظيم
شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها وكانوا يقولون ترك هذه الأشياء
مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة فنحن نتركها احتياطا فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم
أن يدخلوا فى السلم كافة ولا يتمسكوا بشىء من أحكام التوراة اعتقادا له وعملا به لأنها صارت
منسوخة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لاتتبعوا طرق تزيين الشيطان بتفريق الأحكام بالعمل
ببعضها الموافق لشريعة موسى وعدم العمل بالبعض الآخر المخالف لها (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر
العداوة (فان زللتم) أى ان انحرفتم عن الطريق الذى أمرتم به (من بعد ماجاءتكم البينات) أى
الدلائل العقلية والنقلية كالمعجزة الدالة على الصدق وكالبيان الحاصل بالقرآن والسنة (فاعلموا أن
الله عزيز) أى قوى بالنقمة لمن لايتابع رسوله فلا يمنعه مانع عنكم ولا يفوته مايريده منكم (حكيم)
أى عالم بعواقب الأمور (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) أى ماينظر
أهل مكة الا أن يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة والملائكة فى ظلل من الغمام فقوله فى ظلل من الغمام
والملائكة مقدم ومؤخر فنزول الغمام علامة لظهور أشد الأهوال فى القيامة قال تعالى ويوم تشقق السماء

بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (وقضى الأمر) أى تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها وانزال كل أحد من المكلفين منزلته فى الجنة والنار (والى الله ترجع الأمور) أى ان الله تعالى ملك عباده فى الدنيا كثيرا من أمور خلقه فاذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم فى العباد سواه كما قال تعالى والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للمجهول على معنى ترد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ترجع بالبناء للفاعل أى تصير كقوله تعالى ألا الى الله تصير الأمور قال فخر الدين محمد الرازى والأوضح عندى أن قوله تعالى يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة انما نزلت فى حق اليهود والمعنى يأيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم أكملوا طاعتكم فى الايمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله وكتبه فادخلوا بايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه فى الاسلام عن التمام ولا تتبعوا الشهوات التى تتمسكون بها فى بقاء تلك الشريعة وعلى هذا التقدير فقوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم يكون خطابا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى أنهم لا يقبلون دينك الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمتنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لان اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجىء والذهاب وكانوا يقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور فى ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز وذكر الله تعالى بعد ذلك ما يجرى مجرى التهديد بقوله تعالى والى الله ترجع الأمور (سل بنى اسرائيل) قل يا أشرف الخلق لأولاد يعقوب الحاضرين منهم توبيخا (كم آتيناهم من آية بينة) أى معجزات موسى عليه السلام كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونتق الجبل وتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام من السحاب وانزال التوراة عليهم فبدلوا مقتضاها وهو الايمان بها بالكفر فاستوجبوا العقاب من الله تعالى فانكم لو زللتم عن آيات الله تعالى لوقعتم فى العذاب كما وقع أسلافكم أو المعنى سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بنى اسرائيل تنبيها لهم على ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بينة لمحمد ﷺ يعلم بها صدقه وصحة شريعته وكفروا بها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) أى ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر من بعد ما عرفها أو المعنى ومن يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاء محمد به (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أى حسن ما فى الحياة الدنيا من سعة المعيشة لكفار مكة أبى جهل ورؤساء قريش (ويسخرون من الذين آمنوا) أى يسخرون على فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وخباب وسالم مولى أبى حذيفة وعامر بن فهيرة وأبى عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بضيق المعيشة (والذين اتقوا) عن الدنيا الشاغلة عن الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لان المؤمنين فى عليين والكافرين فى سجين ولانهم فى أوج الكرامة وهم فى حضيض الذلة ولان سخرية المؤمنين بالكفار يوم القيامة فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين فى الدنيا (والله يرزق من يشاء) فى الدنيا من كافر ومؤمن (بغير حساب) أى بغير تكلف من المرزوق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين بما أفاء عليهم من أموال صناديد قريش ورؤساء اليهود حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر (كان الناس أمة واحدة) قائمة على الحق

(وقضى الأمر) أى فرغ لهم مما يوعدون بأن قدر عليهم ذلك والى الله ترجع الأمور يعنى فى الجزاء من الثواب والعقاب (سل بنى اسرائيل) سؤال تبكيت وتقريع (كم آتيناهم من آية بينة) أى من فلق البحر وانجائهم من عدوهم وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى ما أنعم الله به عليهم من العلم بشأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وغيروه (زين للذين كفروا) يعنى رؤساء اليهود (الحياة الدنيا) فهى همتهم وطلبتهم فهم لا يريدون غيرها (ويسخرون من الذين آمنوا) يعنى فقراء المهاجرين (والذين اتقوا) الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم فى الجنة وهى عالية والكافرون فى النار وهى هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) يريد أن أموال قريظة والنضير تصير اليهم بلا حساب ولا قتال بل بأسهل شىء وأيسره (كان الناس) على عهد ابراهيم (أمة واحدة) كفارا كلهم

ثم اختلفوا بسبب الحسد والتنازع فى طلب الدنيا فان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والاناث
كانوا أمة واحـدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (فبعث الله النبيين مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله
(ومنذرين) بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)
أى ليحكم الكتاب فى الحق الذى اختلف الناس فى ذلك الحق فالكتاب حاكم والمختلف فيه وهو الحق
محكوم عليه (وما اختلف فيـه) أى الحق (الا الذين أوتوه) أى أعطوا الكتاب مع أن المقصود
من انزال الكتاب أن لا يختلفوا وأن يرفعوا المنازعة فى الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أى
الدلائل العقلية التى نصبها الله تعالى على اثبات الأصول التى لا يمكن القول بالنبوة الا بعد ثبوتها (بغيا
بينهم) أى حسدا منهم أى أن الدلائل اما سمعية واما عقلية أما السمعية فقد حصلت بايتاء الكتاب وأما
العقلية فقد حصلت بالبينات المتقدمة على ايتاء الكتاب فبعد ذلك لم يبق فى العدول عن الحق علة فلو
حصل العـدول لم يكن ذلك الا بحسب الحسد والحرص على طلب الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيـه من الحق باذنه) أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف بعلمه
و بارادته و بكرامته قال ابن زيد اختلفوا فى القبلة فصلت اليهود الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق
فهدانا الله للكعبة واختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان
يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا انه كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى فاليهود فرطوا حيث
أنكروا نبوته ورسالته والنصارى أفرطوا حيث جعلوه الها وقلنا قولا عدلا وهو أنه عبد الله ورسوله
(والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) أى طريق حق لا يضل سالكه و يقال والله يثبت من يشاء
على دين قائم يرضيه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضرر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم فى أيدى
المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا
لقلوبهم وقال قتادة والسدى نزلت فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن
وقيل نزلت فى حرب أحد لما قال عبد الله بن أبى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون أنفسكم
وترجون الباطل ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الاسر والقتل ومعنى الآية أظننتم أيها المؤمنون أن
تدخلوا الجنة بمجرد الايمان بى وتصديق رسولى دون أن تعبدوا الله بكل ما كلفكم به وابتلاكم بالصبر
عليه ودون أن ينالكم أذى الكفار والفقر ومقاساة الأهوال فى مجاهدة العدو كما كان كذلك من
قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم أى والحال لم
يأتكم شبه محنة المؤمنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم البأساء والضراء فالبأساء
تضييق جهات الخير والنفعة والضراء انفتاح جهات الشر والآفات والألم ومعنى زلزلوا أى حركوا
بأنواع البلايا والرزايا ومعنى حتى يقول الرسول لان الرسل عليهم السلام يكونون فى غاية الثبات والصبر
وضبط النفس عند نزول البلاء فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك هو الغاية القصوى فى الشدة
فلما بلغت بهم الشدة الى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهـم من الله
أو من قوم منهم والأحسن أن يقال فالذين آمنوا قالوا متى نصر الله ثم رسولهم قال ألا ان نصر الله قريب
وروى الكلبى عن ابن عباس أن الآية نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا هرما وهو الذى
قتل

(ليحكم بين الناس) أى الكتاب (فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهـم) أى وما اختلف فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات لهم بغيا وحسدا الا اليهود أى الا الذين أوتوا الكتاب وهم علماء اليهود لان المشركين وان اختلفوا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانهم لم يفعلوا ذلك للبغى والحسد ولم تأتهم البينات فى شأن محمد كما أتت اليهود فاليهود مخصوصون من هـذا الوجه (فهدى الله الذين آمنوا) معرفة (ما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أى بعلمه وارادته فيهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت فى فقراء المهاجرين حين اشتد الضر عليهم لأنهم خرجوا بلا مال فقال الله لهم أى لهؤلاء المهاجرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة من غير بلاء ولا مكروه (ولما يأتكم) أى ولم يأتكم (مثل الذين) أى مثل محنة الذين (خـلوا) أى مضوا (من قبلكم) أى ولم يصبكم مثل الذى أصابهم فتصبروا كما صبروا (مستهم البأساء) أى الشدة (والضراء) أى المرض والجوع (وزلزلوا) أى وحركوا بأنواع البلايا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) أى حين استبطأوا النصر فقال الله (ألا ان نصر الله قريب) أى أنا ناصر أوليائى لا محالة

قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية (يسألونك ماذا ينفقون) أي أي شيء مصرف المال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فللوالدين والأقربين واليتامى) أي المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) فالانفاق على الوالدين واجب عند عجزهما عن الكسب والملك والانفاق على الأقربين وهم الأولاد وأولاد الأولاد قد يلزم عند فقد الملك فحينئذ الواجب فيما ذكر قدر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والانفاق على اليتامى والمساكين والمارين في السبيل اما من جهة الزكاة أو من جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وما تفعلوا من خير) أي من سائر وجوه البر والطاعة (فان الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفي ثوابه (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم قتال الكفرة في أوقات النفير العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي والحال أن القتال مكروه لكم طبعا للمشقة على النفس (وعسى أن تكرهوا شيئا) كالجهاد في سبيل الله (وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والغنيمة والأجر (وعسى أن تحبوا شيئا) كالجلوس عن الجهاد (وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الغنيمة ولا الأجر (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه أو المعنى والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا أمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص والمقداد بن الأسود وأصحابهما (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشهرين وبعد سبعة عشر شهرا من مجيئه المدينة في ثمانية رهط وكتب له كتابا وعهدا ودفعه اليه وأمره أن يفتحه بعد منزلتين ويقرأه على أصحابه ويعمل بما فيه فإذا فيه أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن اتبعك حتى تنزل بطن نخل فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخير فقال عبد الله سمعا وطاعة لأمره فقال لأصحابه من أحب منكم الشهادة فلينطلق معي فاني ماض لأمره ومن أحب التخلف فليتخلف فمضى حتى بلغ بطن نخل بين مكة والطائف فمر عليهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهموا بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقد بن عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش ورمى عمرو بن الحضرمي فقتله وأسروا اثنين وساقوا العير بما فيه من تجارة الطائف حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضجت قريش وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأمن فيه الخائف فيسفك فيه الدماء والمسلمون أيضا قد تعجبوا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وعلى هذا التقدير فالأظهر أن هذا السؤال انما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه) أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وزرا وقد تم الكلام ههنا والوقف هنا تام (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله) أي ولكن منع الناس

(يسألونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا وعنده مال عظيم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية قال كثير من المفسرين هذا كان قبل فرض الزكاة فلما فرضت نسخت الزكاة هذه الآية (كتب عليكم القتال) فرض وأوجب عليكم الجهاد (وهو كره لكم) أي مشقة لما يدخل منه على النفس والمال (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) لأن في الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئا) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر (والله يعلم) ما فيه مصالحكم فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم (يسألونك عن الشهر الحرام) نزلت في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فاستعظم المشركون سفك الدماء في رجب فأنزل الله تعالى يسألونك يعني المشركين عن الشهر الحرام (قتال فيه قل قتال فيه كبير) ثم ابتدأ فقال (وصد) ومنع (عن سبيل الله) أي عن طاعة الله يعني صد المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية (وكفر به) أي بالله (والمسجد الحرام) أي وصد عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) أي أهل المسجد يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أخرجوا من مكة (أكبر عند الله)

أى أعظم وزرا عندالله (والفتنة) أى والشرك (أكبر من القتل) يعنى قتل السرية المشركين فى رجب (ولايزالون) يعنى المشركين (يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) الى الكفر (ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه) الاسلام أى يرجع (فيمت وهو كافر) أى ثم مات على الكفر (فأولئك حبطت أعمالهم) الآية فقال هؤلاء السرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أصبنا القوم فى رجب أنرجو أن يكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله فأنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) أى فارقوا عشائرهم وأوطانهم (وجاهدوا) المشركين (فى سبيل الله) أى فى نصرة دين الله (أولئك يرجون رحمت الله (والله غفور رحيم) غفر لهؤلاء السرية مالم يعلموا ورحمهم والإجماع اليوم منعقد على أن قتال المشركين يجوز فى جميع الأشهر حرامها وحلالها (يسألونك عن الخمر والميسر) نزلت فى عمر ومعاذ وسعد بن أبى وقاص أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل قوله يسألونك عن الخمر والميسر وهو كل مسكر مخالط للعقل مغط عليه والميسر القمار (قل فيهما اثم كبير) يعنى الاثم بسببهما لما فيهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور (ومنافع للناس) أى ما كانوا يصيبونه من المال فى بيع الخمر والتجارة فيها واللذة عند شربها ومنفعة الميسر مايصاب من القمار ويرتفق به الفقراء ثم بين أن مايحصل بسببهما من الاثم أكبر من نفعهما فقال (واثمهما أكبر من نفعهما) وليست هذه الآية المحرمة للخمر والميسر انما المحرمة التى فى المائدة وهذه ناسا

عن دين الله وطاعته وكفر بالله ومنع الناس عن مكة واخراج أهله وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من مكة أعظم وزرا عندالله من قتل عمرو بن الحضرمى فى رجب خطأ مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا فى جمادى الآخرة (والفتنة) أى مافعلوا الفتنة عن دين المسلمين تارة بالقاء الشبهة فى قلوبهم وتارة بالتعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر (أكبر من القتل) أى أفظع من قتل عمرو بن الحضرمى روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن جحش الى مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولايزالون) أى أهل مكة الكفرة (يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) أى كى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) وهذا استبعاد لاستطاعتهم واشارة الى ثبات المسلمين فى دينهم (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع الى الاسلام (فأولئك) المصرون على الارتداد الى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التى عملوها فى حالة الاسلام (فى الدنيا والآخرة) فحبوط الأعمال فى الدنيا هوانه يقتل عند الظفر به ويقاتل الى أن يظفر به ولا يستحق من المؤمنين نصرا ولاثناء حسنا وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من كل أحد وحبوط أعمالهم فى الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذى استحقوه بأعمالهم السالفة أما لو رجع المرتد الى الاسلام عادت اليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكلف باعادتها وهذا هو المعتمد فى مذهب الشافعى (وأولئك أصحاب النار) أى ملازموها (هم فيها خالدون) أى مقيمون لايخرجون ولايموتون (وروى) أن عبدالله بن جحش قال يارسول الله هب أنه لاعقاب علينا فيما فعلنا فهل نطمع منه أجرا وثوابا فنزلت هذه الآية (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة الى المدينة (وجاهدوا) أى بذلوا جهدهم فى قتل العدو كقتل عمرو بن الحضرمى الكافر (فى سبيل الله) أى لاعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمت الله) أى يطمعون فى ثواب الله أو ينالون جنة الله (والله غفور رحيم) فيحقق لهم رجاءهم اذا ماتوا على الايمان والعمل الصالح (يسألونك عن الخمر والميسر) أى عن تناولهما (قل فيهما) أى فى تعاطيهما (اثم كبير) أى عظيم بعد التحريم لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش واتلاف للأموال ولأن الخمر مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء المثلثة (ومنافع للناس) قبل التحريم بالتجارة فيها وباللذة والفرح وتصفية اللون وحمل البخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتقوية الباءة وتشجيع الجبان فى شرب الخمر واصابة المال بلا كد فى القمار أى المغالبة بأخذ المال فى أنواع اللعب (واثمهما) بعد التحريم (أكبر من نفعهما) قبل التحريم وقرئ أقرب من نفعهما قال المفسرون نزلت فى الخمر أربع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهى حلال لهم ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل فيهما قوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن بن عوف

ناس منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم يصلي اماما فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من شربها ثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء للأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه شجة موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب (ويسألونك ماذا ينفقون) أي أي قدر ينفقونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجموح سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا نتصدق من أموالنا وقيل السائل معاذ بن جبل وثعلبة وقال الرازي كان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويدلان على عظيم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال أو بعضه فأعلمهم الله تعالى أن العفو أي الفاضل عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما سهل مما يكون فاضلا عن حاجة الانسان في نفسه وعياله ومن تلزمه مؤنتهم (كذلك) أي كما بين الله لكم قدر المنفق وحكم الخمر والميسر بأن فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية (لعلكم تتفكرون في الدنيا) أنها فانية (والآخرة) أنها باقية فاذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم أنه لابد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها ثم ان الله تعالى أنزل قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن فعند ذلك ترك القوم مخالطة اليتامى والمقاربة من أموالهم والقيام بأمورهم فاختلت مصالح اليتامى وساءت معيشتهم فثقل ذلك على الناس فقال عبد الله ابن رواحة وقيل ثابت بن رفاعة الأنصاري يارسول الله ما لكلنا منازل نسكنها الايتام ولا كلنا يجد طعاما وشرابا يردهما اليتيم فهل يجوز مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والمسكن أم لا فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي قل يا أشرف الخلق اصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة خير لكم من ترك مخالطتهم وأعظم أجرا لكم (وان تخالطوهم فاخوانكم) أي وان تخالطوهم بما لا يتضمن افساد أموالهم فذلك جائز لأنهم اخوانكم في الدين (والله يعلم المفسد من المصلح) أي يعرف المفسد لأموالهم بالمخالطة من المصلح لها وقيل يعلم ضمائر من أراد الافساد والطمع في أموالهم بالنكاح ممن أراد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لكلفكم ما يشتد عليكم أو لضيق الأمر عليكم في مخالطتهم (ان الله عزيز) أي غالب على أمره قوي بالنقمة لمفسد مال اليتيم (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على أساس طاقة البشر (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) أي ولا تتزوجوا المشركات بالله الى أن يؤمن بالله بأن يقررن بالشهادة ويلتزمن أحكام الاسلام هذا مقصور على غير الكتابيات لما روي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وروى عبد الرحمن بن عوف

الآية نزلت قبل تحريمها (ويسألونك ماذا ينفقون) نزلت في سؤال عمرو بن الجموح لما نزل قوله فللوالدين والأقربين في سؤاله أعاد السؤال وسأل عن مقدار ما ينفق فنزل قوله (قل العفو) أي ما فضل من المال عن العيال فكان الرجل بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه وينفق باقيه الى أن فرضت الزكاة فنسخت آية الزكاة التي في براءة هذه الآية وكل صدقة أمروا بها قبل الزكاة (كذلك) أي كبيانه في الخمر والميسر أو في الانفاق (يبين الله لكم الآيات) لتتفكروا (في) أمر (الدنيا والآخرة) فتعرفوا فضل الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كانت العرب في الجاهلية يشددون في أمر مال اليتيم ولا يواكلونه وكانوا يتشاءمون بملابسة أموالهم فلما جاء الاسلام سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله (قل اصلاح لهم خير) يعني الاصلاح لأموالهم من غير أجرة خير وأعظم أجرا (وان تخالطوهم) أي تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضا عن قيامكم بأمورهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فاتقوا الله في مال اليتيم ولا تجعلوا مخالطتكم اياهم ذريعة الى افساد مال اليتيم وأكله بغير حق (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لضيق عليكم وآثمكم في مخالطتهم ومعناه التذكير بالنعمة في التوسعة (ان الله عزيز) في ملكه (حكيم) فيما أمر به (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت في أبي مرثد الغنوي كانت له خليلة مشركة فلما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحل له أن يتزوجها فأنزل الله هذه الآية والمشركات ههنا عامة في كل من كفرت بالنبي صلى الله عليه وسلم حرم الله بهذه الآية نكاحهن ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة فبقي نكاح الأمة الكتابية على التحريم.

وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية وهوقوله (ولوأعجبتكم) المشركة بمالها وجمالها (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) لايجوز تزويج المسلمة من المشرك بحال (أولئك) يعنى المشركين (يدعون الى النار) أى الأعمال الموجبة للنار (والله يدعوا الى الجنة والمغفرة) أى الى العمل الموجب للجنة والمغفرة (باذنه) أى بأمره يعنى أنه بأوامره يدعوكم (ويسألونك عن المحيض) سأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فأنزل الله هذه الآية والحيض الحيض (قل هو أذى) أى قذر ودم (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى مجامعتهن اذا حضن (ولا تقربوهن) أى ولا تجامعوهن (حتى يطهرن) أى يغتسلن ومن قرأ يطهرن بالتخفيف فمعناه يفعلن الطهارة[1] التى هى الغسل (فاذا تطهرن) أى اغتسلن (فأتوهن) أى جامعوهن (من حيث أمركم الله) بتجنبه فى الحيض وهو الفرج (ان الله يحب التوابين)

أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حق المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وسبب نزول هذه الآية ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فعند قدومه جاءته امرأة مشركة اسمها عناق فالتمست الخلوة فقال ويحك ان الاسلام حال بينى و بينك فقالت هل لك أن تتزوج بى فقال نعم ثم وعدها ان يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ماجرى فى أمر عناق وسأله هل يحل له التزوج بها فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أى لنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح مشركة ولوأعجبتكم تلك المشركة بحسنها أو بمالها أو بحريتها أو بنسبها قال السدى نزلت هذه الآية فى حق عبدالله بن رواحة كان له أمة فأعتقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله تعالى تلك الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب المؤمنات حتى يؤمنوا (ولعبد مؤمن خير من مشرك) أى تزويجكم لعبد مؤمن خير من تزويجكم لمشرك (ولو أعجبكم) ذلك المشرك لماله وجماله وقوته وحريته (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون الى النار) أى الى مايؤدى الى النار فان الزوجية مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة فى الأغراض وربما يؤدى ذلك الى انتقال الدين بسبب موافقة المحبوب (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) بتبيان هذه الأحكام من الاباحة والتحريم فان من تمسك بها استحق الجنة والمغفرة (باذنه) أى بتيسيره تعالى وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع أى والمغفرة حاصلة بتيسير الله تعالى (ويبين آياته) أى أمره ونهيه فى التزوج والتزويج (للناس لعلهم يتذكرون) قبح المنهى عنه وحسن المدعو اليه (ويسألونك عن المحيض) أى الحيض والسائل عن ذلك ثابت الدحداح الانصارى وقيل عباد بن بشر وأسيد بن الحضير لأن أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس وأما النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (قل) ياأشرف الخلق (هو) أى الحيض (أذى) أى قذر للرائحة المنكرة التى فيه واللون الفاسد والحدة القوية التى فيه كما قال صلى الله عليه وسلم دم الحيض هو الأسود المحتدم أى المحترق من شدة حرارته (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى فى موضع الحيض (ولا تقربوهن) أى لا تجامعوهن (حتى يطهرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويعقوب الحضرمى حتى يطهرن بسكون الطاء وضم الهاء بمعنى حتى يزول عنهن الدم وقرأ شعبة وحمزة والكسائى بتشديد الطاء والهاء بمعنى يغتسلن (فاذا تطهرن) أى اغتسلن أو تيممن عند تعذر استعمال الماء (فأتوهن من حيث أمركم الله) أى فجامعوهن فى موضع أمركم الله به وهو القبل وقال الاصم والزجاج أى فأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لايكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات بالنسك وفهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض الأغتسال لأنه قد صار المجموع غاية وذلك بمنزلة قولك لا تكلم فلانا حتى يدخل الدار فاذا طابت نفسه بعد الدخول فكلمه فانه يجب أن يتعلق اباحة كلامك بالأمرين جميعا واتفق مالك والأوزاعى والثورى والشافعى أنه اذا انقطع حيض المرأة لايحل للزوج مجامعتها الا بعد أن تغتسل من الحيض والمشهور عن أبى حنيفة أنها ان رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقربها زوجها وان رأته لعشرة أيام جاز أن يقربها قبل الاغتسال (ان الله يحب التوابين) بالندم على مامضى من الذنب والترك فى الحاضر والعزم على أن

[1] هذا سهو فى التعبير والصواب أن يقول : فمعناه ينقطع الدم

لا

من الذنوب (والمتطهرين) بالماء من الاحداث والجنابات والنجاسات (نساؤكم حرث لكم) أى مزرع لكم ومنبت للولد (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى كيف شئتم ومن أين شئتم بعد ان يكون فى صمام واحد والآية نزلت تكذيبا لليهود وذلك ان المسلمين قالوا انا نأتى النساء باركات وقائمات ومستلقيات ومن بين أيديهن ومن خلفهن بعد أن يكون المأتى واحدا فقالت اليهود ما أنتم الا أمثال البهائم لكنا نأتيهن على هيئة واحدة وانا لنجد فى التوراة ان كل اتيان تؤتى النساء غير الاستلقاء دنس عند الله فأكذب الله تعالى اليهود (وقدموا لأنفسكم) أى العمل لله بما يحب و يرضى (واتقوا الله) فيما حد لكم من الجماع وأمر الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أى راجعون اليه (و بشر المؤمنين) الذين خافوه وحذروا معصيته (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أى لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى من حيث تتعمدون اليمين لتعتلوا بها نزلت فى عبد الله ابن رواحة حلف أن لا يكلم ختنة ولا يدخل بينه و بين خصمه وجعل يقول قد حلفت ان لا أفعل فلا يحل لى وقوله تعالى (أن تبروا) أى فى ان تبروا و يجوز أن يكون قوله أن تبروا ابتداء وخبره محذوف على تقدير ان تبروا (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أولى أى البر والتقوى أولى (والله سميع عليم) أى يسمع أيمانكم و يعلم ما تقصدون بها (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) يعنى ما يسبق به اللسان من غير عقد ولا قصد و يكون كالصلة للكلام مثل قول القائل لا والله و بلى والله وقيل لغو اليمين اليمين المكفرة سميت لغوا لأن الكفارة تسقط منها الاثم (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أى عزمتم وقصدتم وعلى القول الثانى فى لغو اليمين معناه ولكن يؤاخذكم أى بعزمكم على أن لا تبروا وتعتلوا فى ذلك بأنكم حلفتم (والله غفور رحيم) يؤخر عقوبة الكافرين والعصاة (للذين يؤلون من نسائهم) أى يحلفون أن لا يطؤوهن (تربص أربعة أشهر) جعل الله الأجل فى ذلك أربعة أشهر فاذا مضت هذه المدة فاما أن يطلق واما أن يطأ فان أباهما جميعا طلق الحاكم عليه (فان فاؤا) أى رجعوا عما حلفوا عليه أى بالجماع (فان الله غفور رحيم) أى يغفر له ما قد فعل (وان عزموا الطلاق)

---

لا يفعل مثله فى المستقبل (و يحب المتطهرين) أى المتنزهين عن المعاصى من اتيان النساء فى زمان الحيض والاتيان فى الأدبار وقيل يحب المستنجين بالماء (نساؤكم حرث لكم) أى فروج نسائكم مزرعة لأولادكم (فأتوا حرثكم) أى مزرعتكم (أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم أى فالمراد من هذه الآية أن الرجل مخير بين أن يأتى زوجته من قبلها فى قبلها و بين أن يأتيها من دبرها فى قبلها لأن سبب نزول هذه الآية ماروى ان اليهود قالوا من جامع امرأته فى قبلها من دبرها كان ولدها أحول مخبلا وزعموا أن ذلك فى التوراة فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال كذبت اليهود (وقدموا لأنفسكم) من الأعمال الصالحة كالتسمية عند الجماع وطلب الولد روى أن النبى ﷺ قال من قال بسم الله عند الجماع فأتاه ولد فله حسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وعدد عقبه الى يوم القيامة أى قدموا ما يدخر لكم من الثواب ولا تكونوا فى قيد قضاء الشهوة (واتقوا الله) فى أدبار النساء ومجامعتهن فى الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أى الله بالبعث فتزودوا ما تنتفعون به فانه تعالى يجزيكم بأعمالكم (و بشر المؤمنين) خاصة بالثواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) أى ولا تجعلوا ذكر الله مانعا بسبب ايمانكم من أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قال ابن عباس ارجعوا الى ما هو خير لكم وكفروا يمينكم نزلت هذه الآية فى شأن عبد الله ابن رواحة فانه حلف بالله أن لا يحسن الى أخته وختنه أى زوج أخته بشير بن النعمان ولا يكلمهما ولا يصلح بينهما فكان اذا قيل له فى الصلح يقول قد حلفت بالله ان لا أفعل فلا يحل لى أن لا أبر فى يمينى (والله سميع) بيمينكم بترك الاحسان (عليم) بنياتكم و بكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) قال الشافعى رضى الله عنه ان اللغو قول العرب لا والله و بلى والله فى الشراء والبيع وغير ذلك مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام ألف مرة لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة ان اللغو هو أن يحلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان أنه لم يكن فالشافعى لا يوجب الكفارة فى المسئلة الأولى و يوجبها فى الثانية وأبو حنيفة يحكم بالضد من ذلك (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أى قصدته من الايمان بجد و ربطت به فحنثتم فاذا حلف على شئ بالجد فى انه كان حاصلا ثم ظهر انه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق قول نفسه و ربط قلبه بذلك فلم يكن ذلك لغوا بل كان حاصلا بكسب القلب (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم الاحتياط (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) أى للذين يحلفون أن لا يجامعوهن مطلقا أو مدة تزيد على أربعة أشهر انتظار أربعة أشهر (فان فاؤا) أى رجعوا عن اليمين بالحنث بأن جامعوا قبل أربعة أشهر (فان الله غفور) ليمينهم ان تابوا بفعل الكفارة (رحيم) حيث بين كفارتهم (وان عزموا الطلاق) أى ان

أى طلقوا ولم يفيؤا بالوطء (فان الله سميع) لما يقوله (عليم) بما يفعله (والمطلقات) أى المخليات من حبال الأزواج يعنى البالغات المدخول بهن غير الحوامل لأن فى الآية بيان عدتهن (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) أى ثلاثة أطهار يعنى ينتظرن انقضاء مدة ثلاثة أطهار حتى يمر عليهن ثلاثة أطهار وقيل ثلاث حيض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) يعنى الولد ليبطلن حق الزوج من الرجعة (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) وهذا تغليظ عليهن فى اظهار ذلك (و بعولتهن) أى أزواجهن (أحق بردهن) أى مراجعتهن (فى ذلك) أى فى الأجل الذى أمرن أن يتربصن فيه (ان أرادوا اصلاحا) لا اضرارا (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) أى للنساء على الرجال مثل الذى للرجال عليهن من الحق بالمعروف أى بما أمر الله من حق الرجل على المرأة (وللرجال عليهن درجة) يعنى بما ساقوا من المهر وأنفقوا من المال (والله عزيز حكيم) يأمر كما أراد و يمتحن كما أحب (الطلاق مرتان) كان طلاق الجاهلية غير محصور بعدد فحصر الله الطلاق بثلاث فذكر فى هذه الآية طلقتين وذكر الثالثة فى الآية الأخرى وهى قوله فان طلقها فلا تحل له الآية وقيل المعنى فى الآية الطلاق التى تملك به الرجعة مرتان (فامساك بمعروف) يعنى اذا راجعها بعد الطلقتين فعليه امساك بما أمر الله (أو تسريح باحسان) وهو أن يطلقها أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة ولا يراجعها ضرارا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) لا يجوز للزوج أن يأخذ من امرأته شيئا مما أعطاها من المهر ليطلقها الا فى الخلع وهو قوله (الا أن يخافا) أى يعلما (أن لا يقيما حدود الله) والمعنى ان المرأة اذا خافت أن تعصى الله فى أمر زوجها بغضا له وخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته أن يعتدى عليها حل له أن يأخذ الفدية منها اذا دعت الى ذلك

حققوا الطلاق و بروا يمينهم (فان الله سميع) ليمينهم (عليم) بعزمهم فليس لهم بعد التربص الا الفيئة أو الطلاق فان بر المولى يمينه وترك مجامعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بانت منه امرأته بتطليقة واحدة وان جامعها قبل ذلك فعليه كفارة اليمين كما قاله ابن عباس (والمطلقات) أى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن (يتربصن بأنفسهن) فى العدة (ثلاثة قروء) فلا تتوقف العدة على ضرب قاض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الحبل والحيض معا وذلك لأن المرأة لها أغراض كثيرة فى كتمانهما فاذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج وأحبت التزوج بزوج آخر أو أحبت أن يلتحق ولدها بالزوج الثانى فلهذه الأغراض تكتم الحبل واذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدتها لكى يراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته ولا يتم لها ذلك الا بكتمان بعض الحيض فى بعض الأوقات (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) فلا يجترئن على ذلك الكتمان وهذا الشرط للتغليظ حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن العدة أيضا (و بعولتهن أحق بردهن فى ذلك) أى أزواج المطلقات أحق برجعتهن فى مدة ذلك التربص (ان أرادوا) أى البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب فى هذه الآية ان فى الجاهلية كانوا يراجعون المطلقات و يريدون بذلك الاضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة الى أن تعتد عدة حادثة فنهوا عن ذلك (ولهن) عليهم من الحقوق (مثل الذى) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا فى حسن المعاشرة (وللرجال عليهن درجة) أى فضيلة فى الحق لأن حقوقهم عليهن فى أنفسهن وحقوقهن عليهم فى المهر والنفقة (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن يخالف أحكامه (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) أى ذلك الطلاق الذى حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن يوجد مرتان فالواجب بعد هاتين المرتين اما امساك بمعروف أى رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد اضرار أو تسريح أى ارسال بترك المراجعة حتى تنقضى العدة وتحصل البينونة باحسان أى بغير ذكر سوء بعد المفارقة و بأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية متناولة لجميع الأحوال لأن الزوج بعد الطلقة الثانية اما أن يراجعها وهو المراد بقوله تعالى فامساك بمعروف أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح باحسان أو يطلقها ثالثة وهو المراد بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فكانت الآية مشتملة على بيان كل الأقسام ولو جعلنا التسريح طلقة ثالثة لكان قوله تعالى فان طلقها طلقة رابعة فانه غير جائز وسبب نزول هذه الآية ان امرأة شكت الى عائشة رضى الله عنها بأن زوجها يطلقها و يراجعها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) أى ومن جملة الاحسان انه اذا طلقها لا يأخذ منها شيئا من الذى أعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لأنه استمتع بها فى مقابلة ما أعطاها (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) أى أن لا يراعيا

مواجب أحكام الزوجة وقرأحمزة يخافا بضم الياء (فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به) أى فلاحرج على الزوج فى أخذ ماافتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولاعليها فى اعطائه اياه بطيبة نفسها نزلت هذه الآية فى شأن ثابت بن قيس بن شماس وفى شأن جميلة بنت عبدالله ابن أبى اشترت نفسها من زوجها بمهرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت خذ منها ماأعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع فى الاسلام وفى سنن أبى داود أن المرأة كانت حفصة بنت سهل الأنصارية * تنبيه يجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولايحل لكم أن تأخذوا خطابا للأزواج وآخرها وهو قوله تعالى فان خفتم خطابا للائمة والحكام وذلك غير غريب فى القرآن ويجوز أن يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالأخذ والاعطاء عند الترافع اليهم فكأنهم هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور فى هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشفاق مما يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كما قرئ قراءة شاذة الاأن يظنا والخوف اماأن يكون من قبل المرأة فقط أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا أو لايحصل الخوف من قبل واحد منهما فان كان الخوف من قبل المرأة بأن تكون ناشزة مبغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وان كان من قبل الزوج فقط بأن يضربها ويؤذيها حتى تلتزم الفداء فهذا المال حرام كما كان الخوف حاصلا من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضا وان لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين ان هذا الخلع جائز والمال المأخوذ حلال وقال قوم انه حرام (تلك) أى ماتقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أى أحكام الله بين المرأة والزوج (فلاتعتدوها) أى فلاتتجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أى ومن يتجاوز أحكام الله الى مانهى الله عنه له (فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه (فان طلقها) بعد الطلقتين (فلاتحل له من بعد) أى من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) أى المطلق مذهب جمهور المجتهدين أن المطلقة بالثلاث لاتحل لذلك الزوج الابخمس شرائط تعتد منه وتعقد للثانى ويطؤها ثم يطلقها ثم تعتد منه وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد روى أن تميمة بنت عبدالرحمن القرظى كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا فتزوجت بعبدالرحمن بن الزبير القرظى بفتح الزاى وكسر الباء فأتت النبى صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير وان مامعه مثل هدبة الثوب وانه أراد أن يطلقنى قبل أن يمسنى أفأرجع الى ابن عمى فتبسم رسول الله ﷺ فقال أتريدين أن ترجعى الى رفاعة لاحتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفى قليل انتشار وفى قصة عبدالرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والحكمة فى التحليل الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا (فان طلقها) أى طلق الزوج الثانى المطلقة ثلاثا (فلاجناح عليهما) أى المرأة والزوج الاول (أن يتراجعا) بنكاح جديد ومهر (ان ظنا أن يقيما حدود الله) أى أحكام الله فيما بين المرأة والزوج (وتلك) أى الأحكام (حدود الله) أى فرائض الله (يبينها لقوم يعلمون) أنه من الله ويصدقون بذلك (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن ولم تنقض (فأمسكوهن بمعروف) أى فراجعوهن بغير ضرار بل بحسن الصحبة والمعاشرة (أوسرحوهن بمعروف) أى أوخلوهن حتى ينقضى أجلهن بغير تطويل (ولا تمسكوهن ضرارا) أى لاتراجعوهن بسوء العشرة وتضييق النفقة (لتعتدوا) أى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ولتطيلوا عليهن العدة نزلت هذه الآية فى رجل من

(فان خفتم) أيها الولاة والحكام (أن لايقيما حدود الله) يعنى الزوجين (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أى المرأة أى لاجناح عليها فيما أعطت ولاجناح على الرجل فيما أخذ (تلك حدود الله) يعنى ماحده من شرائع الدين (فان طلقها) يعنى الزوج المطلق ثنتين (فلاتحل له) المطلقة ثلاثا (من بعد) أى من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) أى غير المطلق (فان طلقها) أى الزوج الثانى (فلاجناح عليهما أن يتراجعا) بنكاح جديد (ان ظنا) أى علما وأيقنا (أن يقيما حدود الله) أى مابين الله من حق أحدهما على الآخر (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء عدتهن (فأمسكوهن بمعروف) أى راجعوهن باشهاد على الرجعة وعقد لها لا بالوطء كما يجوز عند أبى حنيفة رحمه الله (أوسرحوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ويكن أملك بأنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أى لاتراجعوهن مضارة وأنتم لاحاجة لكم اليهن (لتعتدوا) عليهن بتطويل العدة

(ومن يفعل ذلك) الاعتداء (فقد ظلم نفسه) ضرها وأثم فيما بينه وبين الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) كان الرجل يطلق فى الجاهلية ويقول انما طلقت وأنا لاعب ويرجع فيها فأنزل الله هذه الآية (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) مواعظ القرآن (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعوهن (أن ينكحن أزواجهن) بنكاح جديد يعنى الذين كانوا أزواجا لهن نزلت فى أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فلما انقضت عدتها جاء يخطبها فأبى معقل أن يزوجه ومنعها بحق الولاية (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعنى بعقد حلال ومهر جائز (ذلك) أى أمر الله بترك العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم) أى ترك العضل (أزكى لكم) خير وأفضل (وأطهر) أى أطهر لقلوبكم من الريبة وذلك أنهما اذا كان فى قلب كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن عليهما (والله يعلم) أى يعلم ما لكم فيه الصلاح (والوالدات يرضعن) لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وهو أمر استحباب لا أمرا يجاب يريد أنهن أحق بالارضاع من غيرهن اذا أردن ذلك (حولين) أى سنتين (كاملين) أى تامتين وهذا تحديد لقطع التنازع بين الزوجين اذا اشتجرا فى مدة الرضاع يدل على هذا قوله (لمن أراد) أى هذا التقدير والبيان لمن أراد (أن يتم الرضاعة وعلى المولود له) يعنى الأب ان (رزقهن وكسوتهن) أى رزق الوالدات ولباسهن قال المفسرون وعلى الزوج رزق المرأة المطلقة وكسوتها اذا أرضعت الولد (بالمعروف) أى بما تعرفون أنه عدل على قدر الامكان وهو معنى قوله (لا تكلف نفس الا وسعها) أى لا تلزم نفس الا بما يسعها (لا تضار والدة بولدها) أى لا ينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه وألفها الصبى ولا تلقيه هى الى أبيه بعد ما عرفها تضاره بذلك وهو قوله (ولا مولود له بولده)

الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها حتى تبقى فى العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن يفعل ذلك) أى الامساك المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) أى أضر بنفسه بتعريضها الى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله) أى أمر الله ونهيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (واذكروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أى فاشكروها واحفظوها (وما أنزل) الله (عليكم من الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة (يعظكم به) أى يأمركم وينهاكم بما أنزل عليكم (واتقوا الله) فى أوامره كلها ولا تخالفوه فى نواهيه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ مما تأتون وتذرون (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) والخطاب اما للأزواج والمعنى حينئذ واذا طلقتم النساء فانقضت عدتهن فلا تمنعوهن من أن ينكحن من يريدون أن يتزوجوهن فان الأزواج قد يعضلون مطلقاتهم أن يتزوجن ظلما واما للأولياء فنسبة الطلاق اليهم باعتبار تسببهم فيه كما يقع كثيرا أن الولى يطلب من الزوج طلاقها والمعنى حينئذ واذا خلصتم النساء من أزواجهن بتطليقهن فانقضت عدتهن فلا تمنعوهن من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجا لهن روى أن معقل بن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم ندم فجاء يخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل انه طلقك ثم تريدين مراجعته وجهى من وجهك حرام ان راجعتيه فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا وتلا عليه هذه الآية فقال معقل رغم أنفى لأمر ربى اللهم رضيت وسلمت لأمرك ثم أنكح أخته زوجها الأول عبد الله بن عاصم (اذا تراضوا بينهم) أى بأن يرضى كل واحد منهما ما لزمه فى هذا العقد لصاحبه (بالمعروف) أى بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس (ذلك) أى تفصيل الأحكام (يوعظ به) أى يأمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ (ذلكم) أى العمل بالوعظ (أزكى لكم) أى أصلح وأنفع لكم (وأطهر) للقلوب من العداوة والتهمة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فدعوا رأيكم (والوالدات) ولو مطلقات (يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) من الأبوين وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أى على الأب (رزقهن) أى نفقتهن (وكسوتهن) لأجل الارضاع اذا كن مطلقات من الأب طلاقا بائنا لعدم بقاء علقة النكاح الموجبة لذلك فلو لم ترضعهم الوالدات لم يجب فان كن زوجات أو رجعيات فالرزق والكسوة لحق الزوجية ولهن أجرة الرضاع ان امتنعن منه وطلبن ما ذكر (بالمعروف) أى بغير اسراف وتقتير (لا تكلف نفس) بالنفقة على الرضاع (الا وسعها) أى الا بقدر ما أعطاها الله من المال (لا تضار والدة بولدها) أى بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة محبتها له (ولا مولود له) أى لا يضار أب (بولده) بطرح الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدى غيرها مع

ان الأب لايمتنع عليهما من الرزق والكسوة (وعلى الوارث مثل ذلك) أى على الصبى نفسه الذى هو وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والكسوة فانه ان كان له مال وجب أجر الرضاعة فى ماله وان لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاعة ولايجبر على نفقة الصبى الا الوالدان وهو قول مالك والشافعى وقيل المراد من الوارث الباقى من الأبوين أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث منا (فان أرادا) أى الوالدان (فصالا) أى فطام الصبى عن اللبن قبل تمام الحولين (عن تراض) أى باتفاق (منهما) لامن أحدهما فقط (وتشاور) أى تدقيق النظر فيما يصلح الولد (فلاجناح عليهما) فى ذلك وكما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى ان أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم (فلاجناح عليكم) فى الاسترضاع (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) أى ما آتيتموهن اياه أى ما أردتم ايتاءه لهن من الأجرة وقرأ ابن كثير وحده ما أتيتم مقصورة الألف أى ما أتيتم به أى ما أردتم اتيانه (بالمعروف) أى بالموافقة وليس تسليم الأجرة شرطا لصحة الاجارة بل لتكون المرضعة طيبة النفس راضية فيصير ذلك سببا لصلاح حال الصبى وللاحتياط فى مصالحه (واتقوا الله) فى الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أى والذين تقبض أرواحهم من رجالكم ويتركون أزواجا ينتظرن بعدهم بأنفسهن فى العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند الأكثرين لاالعلم بالوفاة كما قال به بعضهم فلو انقضت المدة أو أكثرها ثم بلغ المرأة خبر وفاة زوجها وجب أن تعتد بما انقضى والدليل على ذلك أن الصغيرة التى لاعلم لها يكفى فى انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) ياأولياء الميت فى تركهن (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين وغيره من كل ما حرم عليهن فى زمن العدة لأجل وجوب الاحداد عليهن (بالمعروف) أى بما يحسن عقلا وشرعا وقيل المخاطب بهذا الخطاب جميع المسلمين وذلك لأنهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر على المنع فان عجز وجب عليه أن يستعين بالسلطان (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير) فيجازيكم عليه (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم) أى ولاحرج عليكم فيما طلبتم النكاح من النساء المعتدات للوفاة وللطلاق الثلاث بطريق التعريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكد بدلالة الحال على المقصود كأن يقول ان جمع الله بيننا بالحلال يعجبنى ذلك أو فيما أضمرتم فى قلوبكم من قصد نكاحهن (علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لاتواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا) أى انما أباح لكم التعريض لعلمه بأنكم لاتصبرون على السكوت عنهن لأن شهوة النفس اذا حصلت فى باب النكاح لا يكاد يخلو ذلك المشتهى من العزم والتمنى وبأنه لابد من كونكم ستذكرونهن بالخطبة فاذكروهن

(وعلى الوارث مثل ذلك) هذا نسق على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن يعنى على وارث الصبى الذى لومات الصبى وله مال ورثه مثل الذى كان على أبيه فى حياته وأراد بالوارث من كان من عصبته كائنا من كان من الرجال (فان أرادا) أى الأبوان (فصالا) أى فطاما للولد (عن تراض منهما) قبل الحولين (وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى لأولادكم مراضع غير الوالدة (فلاجناح عليكم) أى فلا اثم عليكم (اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أى اذا سلمتم الى الأم أجرتها بمقدار ما أرضعت (والذين يتوفون منكم) أى يموتون (ويذرون) أى ويتركون ويخلفون (أزواجا) أى نساء (يتربصن بأنفسهن) خبر فى معنى الأمر (أربعة أشهر وعشرا) هذه المدة عدة المتوفى عنها زوجها الا أن تكون حاملا (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) أى أيها الأولياء (فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف) يعنى من تزويج الاكفاء باذن الأولياء هذا تفسير المعروف ههنا لأن التى تزوج نفسها سماها النبى صلى الله عليه وسلم زانية وهذه الآية ناسخة لقوله متاعا الى الحول الآية (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) أى تكلمتم به من غير تصريح وهو أن يطمع الكلام دلالة على ما يدل (من خطبة النساء) أى التماس نكاحهن فى العدة يعنى المتوفى عنها الزوج يجوز التعريض بخطبتها فى العدة وهو أن يقول لها وهى فى العدة انك لجميلة وانك لصالحة وانك لنافعة وان من عزمى أن أتزوج وما أشبه هذا (أو أكننتم) أى أسررتم وأضمرتم (فى أنفسكم) من خطبتهن ونكاحهن (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعنى الخطبة (ولكن لاتواعدوهن سرا) يعنى لاتأخذوا ميثاقهن لكى لاينكحن غيركم (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعنى التعريض بالخطبة

كماذكرنا (ولاتعزموا عقدة النكاح) أى لاتصححوا عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تنقضى العدة المفروضة (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم) أى مطلع على مافى ضمائركم (فاحذروه) أى فخافوه (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) نزلت فى رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها فأعلم الله أن عقد التزويج بغير مهر جائز ومعناه لاسبيل للنساء عليكم اذا طلقتموهن قبل المس والفرض بصداق ولانفقة وقوله (أو تفرضوا لهن فريضة) أى توجبوا لهن صداقا (ومتعوهن) أى زودوهن وأعطوهن من مالكم مايتمتعن به فالمرأة اذا طلقت قبل تسمية المهر وقبل المس فانها تستحق المتعة باجماع من العلماء ولامهر لها (على الموسع) أى الغنى الذى يكون فى وسعة من غناه (قدره) أى قدر امكانه (وعلى المقتر) أى الذى فى ضيق من فقره قدر امكانه أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ماله ثمن قال الشافعى رحمه الله وحسن ثلاثون درهما (متاعا) أى متعوهن متاعا (بالمعروف) أى بما تعرفون أنه القصد وقدر الامكان (حقا) أى واجبا (على المحسنين وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) هذا فى المطلقة بعد التسمية وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر وهو قوله (فنصف ما فرضتم) أى فالواجب نصف مافرضتم (الا أن يعفون) يعنى النساء أى الا أن يتركن ذلك النصف ولايطالبن الأزواج به (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) يعنى الزوج لايرجع فى شىء من المهر فيدع لها المهر الذى وفاه كاملا (وأن تعفوا) خطاب للرجال والنساء (أقرب للتقوى) أى أدعى الى اتقاء معاصى الله لأن هذا العفو ندب فاذا انتدب له علم أنه لما كان فرضا كان أشد استعمالا (ولاتنسوا الفضل بينكم) أى لاتتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض هذا أمر للزوج والمرأة بالفضل والاحسان (حافظوا على الصلوات) أى بأدائها فى أوقاتها (والصلاة الوسطى) يعنى صلاة الفجر أفردها بالذكر تخصيصا

مروى

---

ولكن لاتواعدون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لايصف الخاطب نفسه لها بكثرة الجماع كأن يقول لها آتيك الأربعة والخمسة الا أن تساررونهن بالقول غير المنكر شرعا كأن يعدها الخاطب فى السر بالاحسان اليها والاهتمام بشأنها والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض (ولا تعزموا) أى لاتحققوا (عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم) من العزم على مانهيتم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) لمن يقلع عن عزمه حشية منه تعالى (حليم) لايعاجلكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء و بالألف بعد الميم أى لاثقل عليكم بلزوم المهر ان طلقتم النساء مالم تجامعوهن أو مالم تبينوا لهن مهرا فلا تعطوهن المهر (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) أى أعطوهن متعة الطلاق جبرا لايحاش الطلاق على الغنى قدر ماله وامكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطاقته تمتيعا بالوجه الذى تستحسنه الشريعة والمروءة واجبا على المؤمنين الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى طاعة الله تعالى لأن المتعة بدل المهر نزلت هذه الآية فى شأن رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمتعتها قال لم يكن عندى شىء قال متعها بقلنسوتك (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجامعوهن (وقد فرضتم لهن فريضة) أى وقد بينتم مهورهن (فنصف مافرضتم) أى فنصف مابينتم ساقط (الا أن يعفون) أى الا أن تسهل الزوجات بابراء حقها فيسقط كل المهر (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) أى أو يسهل الزوج ببعث كل الصداق فيثبت الكل اليها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) أى عفو بعضكم أيها الرجال والنساء أقرب للألفة وطيب النفس من عدم العفو الذى فيه التنصيف (ولاتنسوا الفضل بينكم) أى ولاتتركوا أن يتفضل بعضهم على بعض بأن يسلم الزوج المهر اليها بالكلية أو تترك المرأة المهر بالكلية (ان الله بما تعلمون) من الفضل والاحسان (بصير) لايضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها فى أوقاتها كاملة الاركان والشروط وهذه المحافظة تكون بين العبد والرب كأنه قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الاله الذى أمرك بالصلاة وتكون بين المصلى والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة الوسطى) أى الفضلى قيل هى صلاة الصبح وهو قول على وعمر وابن عباس وجابر وأبى أمامة الباهلى وهم من الصحابة وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهم من التابعين وهو مذهب الشافعى فان أولها يقع فى الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع فى الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنها منفردة فى وقت واحد لا تجمع مع غيرها ولأنها مشهودة لأنها تؤدى بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هى صلاة العصر وهو

مروى عن على وابن مسعود وابن عباس وأبى هريرة فانها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة وتر ولأن وقت صلاة العصر أخفى الأوقات فلا يظهر دخول وقتها الا بنظر دقيق وتأمل عظيم فى حال الظل فلما كانت معرفته أشق كانت الفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء العصر وسط ولكن ليس هى المذكورة فى القرآن فهنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر احدهما ثبتت بالقرآن والأخرى بالسنة كما أن الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالسنة واختار جمع من العلماء أنها احدى الصلوات الخمس لا بعينها فأبهمها الله تعالى تحريضا للعباد فى المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر فى شهر رمضان وأخفى ساعة اجابة الدعوة فى يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم فى جميع الأسماء ليحافظوا على جميعها وأخفى وقت الموت فى الأوقات ليكون المكلف خائفا من الموت فى كل الأوقات فيكون آتيا بالتوبة فى كل الأوقات (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) أى ذاكرين داعين مواظبين على خدمة الله تعالى (فان خفتم فرجالا أو ركبانا) أى فان خفتم من عدو وغيره فصلوا مشاة على أرجلكم بالايماء فى الركوع والسجود أو راكبين على الدواب حيثما توجهتم والخوف الذى يفيد هذه الرخصة اما أن يكون فى القتال أو فى غير القتال. فالخوف فى القتال اما أن يكون فى قتال واجب أو مباح فالقتال الواجب هو كالقتال مع الكفار وهو الأصل فى صلاة الخوف ويلتحق به قتال أهل البغى وكما اذا قصد الكافر نفسه فانه يجب الدفع عنه لئلا يكون اخلالا بحق الاسلام وقد جوز الشافعى أداء الصلاة حال المسايفة والقتال المباح هو أن يدفع الانسان عن نفسه وعن كل حيوان محترم فيجوز فى ذلك هذه الصلاة أما اذا قصده انسان بأخذ المال فالأصح أنه تجوز هذه الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد فالدفع عن المال كالدفع عن النفس وقيل لا تجوز لأن حرمة الروح أعظم والخوف الحاصل فى غير القتال كالهارب من الحرق والغرق والسبع والمطالب بالدين اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار فلهم أن يصلوا هذه الصلاة (فاذا أمنتم) بزوال الخوف الذى هو سبب الرخصة (فاذكروا الله) أى فافعلوا الصلاة (كما علمكم) بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين لأن سبب الرخصة اذا زال عاد الوجوب فيه والصلاة قد تسمى ذكرا كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (مالم تكونوا تعلمون) قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فما مفعول لعلمكم ان جعلت ما الأولى مصدرية أما ان جعلت موصولة فما هذه بدل من الأولى أو من العائد المحذوف (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) أى والذين يقربون من الوفاة من رجالكم ويتركون أزواجا عليهم أن يوصوا وصية لزوجاتهم فى أموالهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة والسكنى الى تمام الحول من موتهم غير مخرجات من مسكنهن وقرأ ابن كثير ونافع والكسائى وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع أى عليهم وصية أو المعنى والذين يقبضون من رجالكم ويتركون أزواجا بعد الموت وصية من الله لأزواجهم فوصية مبتدأ ولأزواجهم خبر أى أمره وتكليفه لهن (فان خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) أى غير منكر فى الشرع أى فلا جناح على ورثة الميت فى قطع النفقة والكسوة عنهن اذا خرجن من بيت زوجهن بما فعلن فى أنفسهن من معروف من التزين ومن الاقدام على النكاح أو المعنى لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لأن مقامها حولا فى بيت زوجها ليس بواجب عليها فى الذى فعلن فى أنفسهن من معروف من تزين وتشوف للتزويج (والله عزيز) أى غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى فى أحكامه مصالح عباده واختيار

---

(وقوموا لله قانتين) أى مطيعين (فان خفتم فرجالا) يعنى ان لم يمكنكم أن تصلوا موفين للصلاة حقها فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على ظهور دوابكم وهذا فى المسايفة والمطاردة (فاذا أمنتم فاذكروا الله) أى فصلوا الصلوات الخمس تامة لحقوقها (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) أى كما افترض عليكم فى مواقيتها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية) فعليهم وصية (لأزواجهم) أى لنسائهم وهذا كان فى ابتداء الاسلام لم يكن للمرأة ميراث من زوجها وعلى الزوج أن يوصى لها بنفقة حول فكان الورثة ينفقون عليها حولا وكان الحول عزيمة عليها فى الصبر عن التزوج وكانت مخيرة فى أن تعتد ان شاءت فى بيت الزوج وان شاءت خرجت قبل الحول وتسقط نفقتها فذلك قوله (متاعا الى الحول) أى متعوهن متاعا يعنى عن النفقة (غير اخراج) أى من غير اخراج الورثة اياها (فان خرجن فلا جناح عليكم) أى يا أولياء الميت فى قطع النفقة عنها وترك منعها عن التشوف للنكاح والتصنع للأزواج وذلك قوله (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) وهذا كله منسوخ بآية المواريث وعدة المتوفى عنها زوجها

جمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الاسلام أنه اذا مات الرجل لم يكن لامرأته من ميراثه شيء الا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت مخيرة بين أن تعتد في بيت الزوج وأن تخرج منه قبل الحول لكن متى خرجت سقطت نفقتها فهذه الوصية صارت مفسرة بالنفقة والكسوة والسكنى الى الحول فثبت أن هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداد سنة لأن وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوج آخر في هذه السنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين وقد دل القرآن على ثبوت الميراث لها بتعيين الرابع أو الثمن ودلت السنة على أنه لا وصية لوارث فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول ووجوب العدة في الحول منسوخ بقوله تعالى يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وللمطلقات متاع) أي متعة (بالمعروف) أي بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقا على المتقين) قال الشافعي رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المطلقة التي فرض لها مهر ولم يوجد في حقها المسيس روى أنه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن الى قوله تعالى حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أردت فعلت وان لم أرد لم أفعل فقال تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين أي على كل من كان متقيا عن الكفر (كذلك) أي مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بأنه سيبين لعباده من الأحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ثم ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) اى ألم يصل علمك الى الذين خرجوا من منازلهم لقتال عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة آلاف أو أربعون ألفا كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الرواة فجبنوا عن القتال مخافة القتل فأماتهم الله مكانهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمر عسكره بالقتال فخافوا القتال وقالوا لملكهم ان الأرض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فأماتهم الله تعالى بأسرهم وبقوا ثمانية أيام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم حظائر فأحياهم الله بعد الثمانية وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وبقي ذلك في أولادهم الى هذا اليوم (ان الله لذو فضل على الناس) أي على أولئك القوم بسبب أنه أحياهم ومكنهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا المعاد الذين تمسكوا بقول اليهود في كثير من الأمور فيرجعون من الانكار الى الاقرار بالبعث بسبب اخبار اليهود لهم بهذه الواقعة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينبغي أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد فهذه القصة تشجع الانسان على الاقدام على طاعة الله تعالى كيف كان وتزيل عن قلبه الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلا واحسانا من الله تعالى على عبيده لأن ذكر هذه القصة سبب لبعد العبد عن المعصية وقربه من الطاعة ثم قال الله لهم بعد ما أحياهم (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله مع عدوكم وسميت العبادات سبيلا الى الله تعالى من حيث ان الانسان يسلكها ويتوصل الى الله بها ومعلوم أن الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلا شك أن المجاهد مقاتل في سبيل الله (واعلموا أن الله سميع) لكلامكم في ترغيب الغير في الجهاد وفي تنفير الغير عنه (عليم) بما في صدوركم من البواعث والأغراض وأن ذلك الجهاد لغرض الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قرأ أبو عمرو

(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) لما ذكر الله متعة المطلقة في قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل فأوجبها الله على المؤمنين الذين يتقون الشرك (كذلك يبين الله لكم آياته) شبه البيان الذي يأتي بالبيان الذي مضى في الأحكام التي ذكرها (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) أي ألم تعلم ألم ينته علمك الى هؤلاء وهم قوم من بني اسرائيل خرجوا من بلدهم هاربين من الطاعون حتى نزلوا واديا فأماتهم الله جميعا فذلك قوله (حذر الموت) أي لحذر الموت (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أي مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم (ان الله لذو فضل على الناس) أي تفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم (وقاتلوا في سبيل الله) يحرض المؤمنين على القتال (واعلموا أن الله سميع) لما يقوله المتعلل (عليم) بما يضمره فاياكم والتعلل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)

ونافع وحمزة والكسائى فيضاعفه بالألف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالألف والنصب وقرأ ابن كثير فيضعفه بالتشديد والرفع بلا ألف وقرأ ابن عامر فيضعفه بالتشديد والنصب والمعنى من ذا الذى يعامل الله بانفاق ماله فى طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للحلال الذى لا يختلط بالحرام للخالص من المن والأذى ولنية التقرب الى الله تعالى لا لرياء وسمعة فيضاعف الله جزاءه له فى الدنيا والآخرة أضعافا كثيرة لا يعلمها الا الله تعالى وقد روى عنه ﷺ أنه قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويروى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقبض ويبسط) أى يقبض الرزق عمن يشاء ولو أمسكه عن الانفاق ويبسطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا أو المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة (واليه ترجعون) فلا مدبر ولا حاكم سواه قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى شأن أبى الدحداح رجل من الأنصار قال يارسول الله ان لى حديقتين فان تصدقت باحداهما فهل لى مثلاها فى الجنة قال نعم قال وأم الدحداح معى قال نعم قال والصبية معى قال نعم فتصدق بأفضل حديقتيه وكانت تسمى الجنينية فرجع أبو الدحداح الى أهله وكانوا فى الحديقة التى تصدق بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته فقالت أم الدحداح بارك الله لك فى ما اشتريت فخرجوا منها وسلموها فكان صلى الله عليه وسلم يقول كم من نخلة رداح تدلى عروقها فى الجنة لأبى الدحداح (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى حين قالوا لنبيهم شمويل كما قاله وهب بن منبه أو سمعون أو يوشع بن نون كما قاله قتادة أو حزقيل كما حكاه الكرمانى أو اسماويل بن حلفا واسم أمه حسنة كما قاله مجاهد وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت الخطايا سلط الله عليهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولم يكن لهم حينئذ نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت فولدت غلاما فلما كبر كفله شيخ من علمائهم فى بيت المقدس فلما بلغ الغلام أتاه جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة فان كنت صادقا فبين لنا ملك الجيش (نقاتل) بأمره عدونا (فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وانما كان صلاح أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وبطاعة الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى هو الذى يقيم أمره ويشير عليه برشده (قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) أى قال نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا عدوكم ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى أى شئ ثبت لنا فى ترك القتال الذى فى طاعة الله والحال أنه قد أبعد بعضنا من المنازل والأولاد والقائلون لنبيهم بما ذكر كانوا فى ديارهم فسأل الله تعالى ذلك النبى فأوجب عليهم القتال وعين لهم ملكا ليقاتل بهم (فلما كتب) أى أوجب (عليهم القتال تولوا) أى أعرضوا عن قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكته (الا قليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) أى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف ربه ولم يف بما قبل من ربه

أى من ذا الذى يعمل عمل القرض بأن يقدم من ماله فيأخذ أضعاف ما قدم وهذا استدعاء من الله الى أعمال البر (والله يقبض) أى يمسك الرزق عمن يشاء (ويبسط) أى ويوسع على من يشاء (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) يعنى الى الجماعة (اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا) سألوا نبيهم شمويل ملكا تنتظم به كلمهم ويستقيم حالهم فى جهاد عدوهم وهو قولهم (نقاتل فى سبيل الله) فقال لهم ذلك النبى (هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) يقول لعلكم أن تجبنوا عن القتال (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) أى وما يمنعنا عن ذلك (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى وأفردنا من أبنائنا بالسبى والقتل يعنون اذا بلغ الأمر منا هذا فلا بد من الجهاد قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر ويأتى ذكرهم

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أى قد أجابكم الى ما سألتم من بعث الملك (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى كيف يملك علينا وكان من أدنى بيوت بنى اسرائيل ولم يكن من سبط المملكة فأنكروا ملكه وقالوا (نحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى لم يؤت ما يتملك به الملوك (قال) النبى (ان الله اصطفاه عليكم) بالملك (وزاده بسطة فى العلم والجسم) وكان طالوت يومئذ أعلم أهل زمانه فى بنى اسرائيل وأجملهم وأتمهم والبسطة الزيادة فى كل شئ (والله يؤتى ملكه من يشاء) ليس بالوراثة (والله واسع) أى واسع الفضل والرزق والرحمة فسألوا نبيهم على تمليك طالوت آية (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وكان تابوتا أنزله الله على آدم عليه السلام فيه صور الأنبياء كانت بنو اسرائيل يستفتحون به على عدوهم فغلبتهم العمالقة على التابوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال آية ملكه أن يرد الله التابوت عليكم فحملت الملائكة التابوت حتى وضعته فى دار طالوت وقوله (فيه سكينة من ربكم) أى طمأنينة كانت قلوبهم تطمئن بذلك وفى أى مكان كان التابوت سكنوا هناك وكان ذلك من أمر الله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) أى تركاه هما وكانت البقية نعلى موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيزا من المن الذى كان ينزل عليهم (تحمله الملائكة) يعنى التابوت (ان فى ذلك لآية لكم) أى فى رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين

أخبر

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم) أى لأجل سؤالكم (طالوت ملكا) أى لما سأل الله تعالى أن يبين لهم ملكا أرسل الله له عصا وقرنا فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك الذى يكون ملكا هو من يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فانتشر الدهن فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت فدخل عليه رجل فانتشر الدهن فى القرن فقام شمويل فقاسه بالعصا فكان على طولها وقال له قرب رأسك فقربه فدهنه النبى بدهن القدس وقال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله أن أملكك عليهم فقال طالوت أما علمت أن سبطى أدنى من سبط ملوك بنى اسرائيل قال بلى فقال شمويل الله يؤتى ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والحال نحن أولى بالملك منه وليس له سعة المال لينفق على الجيش وانما قالوا ذلك لأنه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا وقالوا هو دباغ أو راع أو سقاء يستقى الماء على حمار له وانما نزع الملك والنبوة منهم لأنهم عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم بنزع ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الاثم (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بسطة) أى سعة (فى العلم) أى علم الحرب وعلم الديانات حتى قيل انه نبى أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمال وبطول القامة فانه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بنى اسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (والله يؤتى ملكه من يشاء) فى الدنيا (والله واسع) بالعطية (عليم) بمن يليق بالملك (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا (ان آية ملكه) أى ان علامة صحة ملكه من الله (أن يأتيكم التابوت) أى الصندوق الذى أخذ منكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام لسخطه على بنى اسرائيل لما عصوا وفسدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال نبى ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء الى الأرض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت (فيه سكينة من ربكم) أى كان فى التابوت بشارات من كتب الله تعالى المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الأنبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده ويزيل عنهم الخوف من العدو (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) وهى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه ونعلاه وشئ من التوراة ورداء هرون وعمامته (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان فى ذلك) أى فى رد التابوت اليكم (لآية لكم) أى علامة لكم دالة على أن ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتمليكه عليكم أو المعنى ان فى هذه الآية من نقل القصة معجزة باهرة دالة على نبوة محمد ﷺ حيث

(فلما فصل طالوت بالجنود) أى خرج بهم من الموضع الذى كانوا فيه الى جهاد العدو (قال) لهم طالوت (ان الله مبتليكم) يعنى مختبركم
أى معاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز  المحق ومن له نية فى الجهاد من المعذر

أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر ان كنتم ممن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة
والرسالة فلما رد عليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم ثمانون ألفا من الشبان الفارغين من جميع
الأشغال (فلما فصل طالوت) أى خرج من بيت المقدس (بالجنود) أى بالجيش التى اختارها
وكان الوقت قيظا وسلك بهم فى أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال ان الله
مبتليكم بنهر) أى مختبركم بنهر جار ليظهر منكم المطيع والعاصى وهو بين الأردن وفلسطين أى
والمقصود من هذا الابتلاء أن يميز الصديق عن الزنديق والموافق عن المخالف (فمن شرب منه) أى
من ماء النهر (فليس منى) أى من أتباعى المؤمنين فلا يكون مأذونا فى هذا القتال (ومن لم يطعمه)
أى من لم يذقه (فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) فانه منى ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو غرفة بفتح الغين وكذلك يعقوب وخلف وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى
بالضم فالغرفة بالضم الشيء القليل الذى يحصل فى الكف والغرفة بالفتح الفعل وهو الاغتراف مرة
واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم (فشربوا منه) أى فلما وصلوا
الى النهر ووقفوا فيه وشربوا منه بالكرع بالفم كيف شاؤا (الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلا فلم يشربوا الا قليلا وهو الغرفة روى أن من اغترف غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح
ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ودوابه وخدمه وحمله مع نفسه امالانه
كان مأذونا فى أخذ ذلك المقدار واما لان الله تعالى يجعل البركة فى ذلك الماء حتى يكفى لكل
هؤلاء وذلك معجزة لنبى ذلك الزمان وأما الذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت
شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو (فلما جاوزه) أى
النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أى بعض من
معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بمحاربتهم وكانوا مائة ألف
رجل شاكى السلاح (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) أى ملاقو ثواب الله بسبب هذه
الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت
جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (والله مع الصابرين) أى معين الصابرين فى الحرب
بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم ممن يحب الحياة ويكره
الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله تعالى فالاول
هم الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم والثانى هم الذين أجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل
أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فلابد
أن نوطن على القتل لانه لا سبيل الى الفرار من أمر الله والقسم الثانى قالوا لا نوطن أنفسنا بل نرجو من
الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين الترغيب فى الشهادة والفوز بالجنة وغرض الفريق الثانى
الترغيب فى طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا (لجالوت)
اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا متضرعين الى الله تعالى مستعينين
به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والأمور الهائلة (وثبت أقدامنا) فى مداحض

(فمن شرب منه) أى من مائه (فليس منى) أى من أهل دينى (ومن لم يطعمه) أى لم يذقه (فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) أى مرة واحدة أى أخذ منه بجرة أو قربة أو ما أشبه ذلك مرة واحدة قال لهم طالوت من شرب من النهر وأكثر فقد عصى الله ومن اغترف غرفة بيده أقنعته بعد عطش شديد فوقع أكثرهم فى النهر وأكثروا الشرب فهؤلاء جبنوا عن لقاء العدو وأطاع قوم قليل عددهم فلم يزيدوا على الاغتراف فقويت قلوبهم وعبروا النهر فذلك قوله (فشربوا منه الا قليلا منهم) وكانوا ثلثمائة و بضعة عشر رجلا (فلما جاوزه) أى النهر (هو والذين آمنوا معه قالوا) يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال) يعنى القليل الذين اغترفوا وهم (الذين يظنون) أى يعلمون (أنهم ملاقوا الله) أى
راجعون اليه (كم من فئة) أى جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) أى بالمعونة والنصر
(ولما برزوا) أى خرجوا (لجالوت وجنوده) أى لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أى اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بتقوية
قلوبنا

القتال بكمال القوة عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة (وانصرنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم (فهزموهم باذن الله) أى كسروهم بنصرة الله اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام كان راعيا وله سبعة اخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر اخوته على أبيهم أيشا أرسل ابنه داود اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم فى المصاف وبادر جالوت الجبار وهو من قوم عاد الى البراز فلم يخرج اليه أحد فقال يابنى اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته أمافيكم من يخرج الى هذا الأقلف فسكتوا فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر بطالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ماتصنعون بمن يقتل هذا الأقلف فقال طالوت أنكحه ابنتى وأعطيه نصف ملكى فقال داود فأنا خارج اليه وكان عادته أن يقاتل بالمقلاع الذئب والأسد فى المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلماهم داود بأن يخرج الى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن ياداود خذنا معك ففينامنية جالوت فلماخرج الى جالوت الكافر رماه فأصابه فى صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخر جالوت قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل وانصرفوا الى البلاد سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال أنجزنى ماوعدتنى فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعده فمكث معه كذلك أربعين سنة فمات طالوت وأتى بنو اسرائيل بداود وأعطوه خزائن طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وآتاه الله الملك) أى الكامل سبع سنين بعد موت طالوت أى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أى النبوة بعد موت شمويل وكان موته قبل موت طالوت ولم يجتمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة لأحد قبله الاله بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة (وعلمه ممايشاء) كصنعة الدروع من الحديد وكان يلين فى يده وينسجه وفهم كلام الطير والنمل وكيفية القضاء ومايتعلق بمصالح الدنيا ومعرفة الألحان الطيبة ولم يعط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير ويركد الماء الجارى ويسكن الريح (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل المعنى ولولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أى القصص بأخبار الأمم الماضية (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى (نتلوها عليك) أى بواسطة جبريل (بالحق) أى ملتبسة باليقين الذى لايشك فيه أحد من أهل الكتاب لمايجدونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة بشهادة اخبارك عن الأمم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد يخبرك بذلك (تلك الرسل) أى جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) فى مراتب الكمال بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) بلاواسطة وهو موسى حيث كلمه ليلة الحيرة وهى تحيره فى معرفة طريقه من مسيره من مدين الى مصر وفى الطور ومحمد حيث كلمه ليلة المعراج (ورفع بعضهم درجات) أى فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذه خليلا ولم يؤت أحدا مثله هذه الفضيلة وادريس فانه تعالى

(فهزموهم) أى فردوهم وكسروهم (باذن الله) أى بقضائه وقدرته (وقتل داود) وكان فى عسكر بنى اسرائيل (جالوت) الكافر (وآتاه الله الملك والحكمة) أى جمع له الملك والنبوة (وعلمه ممايشاء) يعنى صنعة الدروع ومنطق الطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد (تلك آيات الله) أى هذه الآيات التى أخبرتك بها آيات الله أى علامات توحيده (وانك لمن المرسلين) أى أنت من هؤلاء الذين قصصت آياتهم (تلك الرسل) يعنى جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) أى لم نجعلهم سواء فى الفضيلة وان استووا فى القيام بالرسالة (منهم من كلم الله) وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات)

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله الى الناس كافة (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) مضى تفسيره (ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم) يعنى من بعد الرسل (من بعد ماجاءتهم البينات) أى من بعد ماوضحت لهم البراهين (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) أى ثبت على ايمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح اختلفوا فصاروا فرقا ثم تحاربوا (ولو شاء الله مااقتتلوا) كرر ذكر المشيئة باقتتالهم تكذيبا لمن زعم



أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لم يوجبه قضاء من الله (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) يعنى الزكاة المفروضة وقيل أراد النفقة فى الجهاد (من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه) يعنى يوم القيامة لايؤخذ فى ذلك اليوم بدل ولا فداء (ولا خلة) أى ولا صداقة (ولا شفاعة) عمم نفى الشفاعة لأنه عنى الكافرين بأن هذه الأشياء لاتنفعهم ألاترى أنه قال (والكافرون هم الظالمون) أى هم الذين وضعوا أمر الله غير موضعه (الله لااله الا هو الحى القيوم) أى الحى الدائم البقاء القيوم القائم بتدبير أمر الخلق فى انشائهم وارزاقهم (لاتأخذه سنة) وهى ثقل النعاس (ولا نوم) وهى الغشية الثقيلة (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وخلقا (من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه) أى لايشفع عنده أحد الا بأمره ابطالا لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم (يعلم مابين أيديهم) من أمر الدنيا (وماخلفهم) من أمر الآخرة (ولايحيطون بشىء من علمه) أى لايعلمون شيئا من معلوم الله (الابما شاء) أى الابما أنبأ به الأنبياء وأطلعهم عليه (وسع كرسيه السموات والأرض) أى احتملها وأطاقها يعنى ملكه وسلطانه وقيل هو الكرسى نفسه وهو مشتمل بعظمته على السموات والأرض وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كرسيه علمه



رفعه مكانا عليا وداود فانه تعالى جمع له الملك والنبوة ولم يحصل هذا لغيره وسليمان فانه تعالى سخر له الانس والجن والطير والريح ولم يكن هذا حاصلا لأبيه داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه ناسخ لكل الشرائع (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أى العجائب من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أى أعناه بجبريل فى أول أمره وفى وسطه وفى آخره وهو نفخ جبريل فى عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الاعداء واعانته ورفعه الى السماء حين أرادت اليهود قتله (ولوشاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات) أى الذين جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلفوا) فى الدين (فمنهم من آمن) بما جاءت به أولئك الرسل من كل كتاب وعمل به (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلافهم فى الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وهذا التكرير ليس للتأكيد بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم بل الله تعالى مختار فى ذلك حتى لوشاء بعد ذلك عدم اقتتالهم مااقتتلوا (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه فى فعله (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أى تصدقوا بشىء مما أعطيناكم من الأموال فى طاعة الله (من قبل أن يأتى يوم لابيع) أى فداء (فيه ولاخلة) أى مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح فى بيع وخلة وشفاعة والباقون جميعا بالرفع (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الخيرات ليوم حاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لاتقتدوا بهم ولكن قدموا لأنفسكم ماتجعلونه يوم القيامة فدية لأنفسكم من عذاب الله تعالى وقيل المعنى والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب (الله لااله) أى لامعبود بحق موجود (الا هو الحى) أى الباقى الذى لاسبيل عليه للموت والفناء (القيوم) أى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فى الايجاد والارزاق (لاتأخذه سنة) أى نعاس (ولانوم) ثقيل فيشغله عن تدبيره وأمره أى لايأخذه نعاس فضلا عن أن يأخذه نوم (له مافى السموات ومافى الأرض) وهذا رد على المشركين العابدين لبعض الكواكب التى فى السماء وللأصنام التى فى الأرض أى فلاتصلح أن تكون معبودة لأنها مملوكة لله مخلوقة له (من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه) أى لايشفع عنده أحد من أهل السموات والأرض يوم القيامة الا بأمره وهذا رد على المشركين حيث زعموا أن الأصنام تشفع لهم فانه تعالى لايأذن فى الشفاعة لغير المطيعين (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) أى يعلم ماقبلهم ومابعدهم أو مافعلوه من خير وشر ومايفعلونه بعد ذلك (ولايحيطون بشىء من علمه) أى بقليل من معلوماته (الا بما شاء) أن يعلموه أى أن أحدا لايحيط بمعلومات الله تعالى الا ماشاء هو أن يعلمهم أو المعنى انهم لايعلمون الغيب الا عند اطلاع الله بعض أنبيائه على بعض الغيب (وسع كرسيه السموات والأرض) فالكرسى جسم عظيم

(ولا يؤوده) أى لايجهده ولا يثقله (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض (وهو العلى) بالقدرة وتفرد السلطان عن الأشباه والأمثال (العظيم) أى عظيم الشأن (لا اكراه فى الدين) بعد اسلام العرب لأنهم أكرهوا على الاسلام فلم تقبل منهم الجزية فلما أسلموا أنزل الله سبحانه هذه الآية (قد تبين الرشد من الغى) أى ظهر الايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج (فمن يكفر بالطاغوت) أى بالشيطان والأصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة الوثقى) أى عقد لنفسه عقدا وثيقا وهو الايمان وكلمة الشهادتين (لا انفصام لها) أى لا انقطاع لها (والله سميع) لدعائك يامحمد اياى باسلام أهل الكتاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اليهود الذين حول المدينة ويسأل الله ذلك (عليم) بحرصك واجتهادك (الله ولى الذين آمنوا) أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من الكفر والضلالة الى الايمان والهداية (والذين كفروا) يعنى اليهود (أولياؤهم الطاغوت) يعنى رؤساؤهم كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب (يخرجونهم من النور) يعنى مما كانوا عليه من الايمان بمحمد ﷺ قبل بعثه (الى الظلمات) أى الى الكفر به بعد بعثه (ألم تر الى الذى حاج) أى جادل وخاصم (ابراهيم فى ربه) حين قال له من ربك (أن آتاه الله الملك) أى الملك الذى آتاه يريد بطر الملك الذى حمله على ذلك وهو نمروذ بن كنعان (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال) عدو الله

تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والأرض (ولا يؤوده حفظهما) أى لايثقل عليه تعالى حفظ السموات والأرض بغير الملائكة (وهو العلى) أى المتعالى بذاته عن الأشباه والأنظار (العظيم) أى الذى يستحقر كل ماسواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ماقرئت هذه الآية فى دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن على أنه قال سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت أى فاذا مات دخل الجنة ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات التى حوله (لا اكراه فى الدين) أى لا اكراه على الدخول فى دين الله (قد تبين الرشد من الغى) أى قد تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى أنه كان لأبى الحصين الأنصارى من بنى سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فخلى سبيلهما ثم نزل فى شأن منذر بن ساوى التميمى قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) أى بالشيطان وبكل ماعبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أى فقد تمسك بالعقدة المحكمة لا انقطاع لها أى فقد أخذ بالثقة لا انقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء فى النار (والله سميع) لقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر (عليم) بما فى قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما فى قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله سميع عليم لدعائك يامحمد بحرصك على اسلام أهل الكتاب وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية (الله ولى الذين آمنوا) أى الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه (يخرجهم) بلطفه وتوفيقه (من الظلمات) أى الكفر (الى النور) أى الايمان (والذين كفروا) ككعب بن الأشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال (من النور) الفطرى أى الذى جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات التى يشاهدونها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم (الى الظلمات) أى ظلمات الكفر والانهماك فى الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى ماكثون أبدا (ألم تر) أى ألم تنظر (الى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات (الذى حاج ابراهيم فى ربه) أى الى قصة الذى خاصم ابراهيم فى دين رب ابراهيم وهو نمروذ بن كنعان (أن آتاه الله الملك) أى فطغى وادعى الربوبية فحاج لأن أعطاه الله الملك (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) أى يخلق الحياة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة ربى بسكون الياء وهذه المحاجة مع ابراهيم بعد القائه فى النار وخروجه منها سالما وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمروذ وكان الناس يمتارون من عنده فكان اذا أتاه الرجل فى طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأتاه ابراهيم فقال له

(أنا أحيي وأميت) فعارضه فى الاسترسال فى العبارة من غير فعل حياة أو موت فلما لبس فى الحجة بأن قال أنا أفعل ذلك احتج عليه ابراهيم بحجة لا يمكنه فيها أن يقول أنا أفعل ذلك وهو قوله تعالى (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) أى انقطع وسكت (أوكالذى) هذا عطف على المعنى لا على اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذى حاج أو كالذى (مر) وهو عزير (على قرية) وهى ايلياء (وهى خاوية) أى ساقطة منهدمة (على عروشها) أى سقوفها (قال أنى يحيي) من أين يحيي (هذه الله بعد موتها) أى يعمرها بعد خرابها استبعد أن يفعل الله ذلك فأحب الله أن يريه آية فى نفسه وفى احياء أهل القرية الموتى (فأماته الله مائة عام) وذلك أنه مر بهذه القرية على حمار ومعه ركوة عصير وسلة تين فربط حماره وألقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله روحه مائة سنة فلما مضت مائة سنة أحياه الله وذلك قوله (ثم بعثه قال كم لبثت) أى كم أقمت ومكثت ههنا (قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين (وشرابك) يعنى العصير (لم يتسنه) أى لم يتغير ولم ينتن بعد مائة سنة وأراه علامة مكثه مائة سنة ببلى عظام حماره فقال (وانظر الى حمارك) فرأى حماره ميتا وعظامه بيض تلوح (ولنجعلك آية للناس) الواو زائدة والمعنى لبثت مائة عام لنجعلك آية للناس وكونه آية أن بعثه شابا أسود الرأس واللحية وبنو بنيه شيب (وانظر الى العظام) يعنى عظام حماره (كيف ننشرها) أى نحييها (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) أى فلما شاهد ذلك (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) أى أعلم العلم الذى لا يعترض عليه الاشكال وتأويله أنى قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيبا

من ربك فقال له ذلك (قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم) له ائتنى ببيان ذلك فدعا نمروذ برجلين من السجن فقتل واحدا وترك واحدا قال هذا بيان ذلك قال ابراهيم (فان الله يأتى بالشمس من المشرق) فى كل يوم (فأت بها من المغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فيما تدعيه من الربوبية (فبهت الذى كفر) أى سكت بغير حجة أى فبقى مغلوبا لا يجد للحجة مقالا ولا للمسئلة جوابا (والله لا يهدى القوم الظالمين) بالكفر الى طريق الحجة (أوكالذى) أى أرأيت مثل الذى (مر على قرية) هى بيت المقدس كما أخرجه ابن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية التى أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كما نقل عن ابن زيد أى قد رأيت الذى مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والمار هو عزير ابن سروخا كما روى عن على بن أبى طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها بأن سقطت السقوف أولا ثم الأبنية (قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها) أى كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتهم تعجبا من قدرة الله تعالى على احيائها (فأماته الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم بعثه) أى أحياه فى آخر النهار (قال) تعالى له (كم لبثت) أى مكثت هنا يا عزير بعد الموت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال لبثت يوما) ثم نظر الى الشمس وقد بقى منها شئ فقال (أو بعض يوم قال) أى الله أو الملك (بل لبثت) ميتا (مائة عام فانظر الى طعامك) أى التين والعنب (وشرابك) أى العصير (لم يتسنه) أى لم يتغير ولم ينتن فى هذه المدة المتطاولة فكان التين والعنب كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته واللبن قد حلب من ساعته (وانظر الى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف تلوح عظامه بيضاء فعلنا ذلك الاحياء لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل (ولنجعلك آية للناس) أى لكى نجعلك علامة للناس فى احياء الموتى أنهم يحيون على ما يموتون لأنه مات شابا وبعث شابا وعبرة للناس لأنه كان ابن أربعين سنة وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشزها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالراء أى كيف نحييها ونخلقها وقرأ حمزة والكسائى ننشزها بالزاى المنقوطة أى كيف نرفع بعضها على بعض (ثم نكسوها لحما) أى ننبت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر ونجعل فيه الروح بعد ذلك (فلما تبين له) وقوع ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شئ) من الحياة والموت (قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى سبب نزول هذه الآية قال ان بختنصر البابلى غزا بنى اسرائيل وهو فى ستمائة ألف راية فسبى من بنى اسرائيل الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية التى انهدمت حيطانها ونزل تحت شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وذلك على سبيل الاستبعاد بحسب العادة لا على سبيل الشك فى قدرة الله وكانت الأشجار مثمرة فتناول من

الفاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ونام
فأماته الله تعالى في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الأنس والسباع والطير ثم أحياه
الله تعالى بعد مائة ونودي من السماء ياعزير كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال
أو بعض يوم فقال الله تعالى بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير
لم يتغير طعمها فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال تعالى وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام
بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله وسمع صوتا أيتها العظام البالية انى جاعل فيك روحا فانضم أجزاء
العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب
والعروق ثم أنبت طراء اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح
فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس لما
روى أنه لما مضى من وقت موته سبعون سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى
بيت المقدس فعمروه وصار أحسن مما كان ورد الله تعالى من بقي من بني اسرائيل الى بيت المقدس
ونواحيه فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا وأعمى الله العيون عن العزير هذه المدة فلم
يره أحد فلما مضت المائة أحيا الله تعالى منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله تعالى جسده وهو
ينظر ثم نظر الى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس قال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن سروخا أو
ابن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل في بيت المقدس أربعين ألفا ممن قرأ التوراة وكان فيهم
عزير والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم
عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع فأخرجت وعورضت بما أملاه
فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله (و) ألم تر (اذ قال ابراهيم) هذا دليل آخر على
ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور (رب أرني كيف تحيي الموتى) قال الحسن
والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة في شط النهر فاذا مد البحر أكل منها
دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت واذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت
وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر
(قال) تعالى (أو لم تؤمن) أي أتسأل ولم توقن بقدرتي على الاحياء (قال بلى) أنا موقن بذلك
(ولكن ليطمئن قلبي) أي ولكن سألت ماسألت لتسكن حرارة قلبي وأعلم بأني خليلك مستجاب
الدعوة والمطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا (قال فخذ أربعة من الطير) اشتاتا
وزا وديكا وطاوسا ورألا وهو فرخ النعام كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق الضحاك
أو طاوسا وديكا وحمامة وغرنوقا وهو الكركي كما أخرجه عنه من طريق حنش (فصرهن) قرأه
حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وتخفيف الراء أي قطعهن وأملهن (اليك) فقطع ابراهيم
أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أي
ثم ضع على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزءهن أي على حسب الطيور الأربعة وعلى حسب الجهات
الأربعة أيضا (ثم ادعهن) بأسمائهن أي قل لهن تعالين ياوز ويا ديك وياطاوس ويارأل باذن الله تعالى
(يأتينك سعيا) أي مشيا سريعا ولم تأت طائرة ليتحقق أن أرجلها سليمة في هذه الحالة (واعلم
أن الله عزيز) أي غالب على جميع الممكنات (حكيم) أي عليم بعواقب الأمور وغايات الأشياء
روى أنه ﷺ أمر بذبحها وتنفير ريشها وتقطيعها جزءا جزءا وخلط دمائها ولحومها وأن يمسك

رؤسها

(واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) وذلك أنه رأى جيفة بساحل البحر يتناولها الطير والوحش ودواب البحر ففكر كيف يجتمع ماقد تفرق منها فأحب أن يرى ذلك فسأل الله أن يريه احياء الموتى ف(قال) الله تعالى (أولم تؤمن) يعني ألست آمنت بذلك (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) بالمعاينة بعد الايمان بالغيب (قال فخذ أربعة من الطير) طاوسا ونسرا وغرابا وديكا (فصرهن اليك) أي قطعهن كأنه قيل خذ اليك أربعة من الطير فقطعهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أمر أن يخلط ريشها ولحومها ثم يفرق أجزاءها بأن يجعلها على أربعة أجبل ففعل ذلك ابراهيم وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها الى بعض حتى تكاملت أجزاؤها ثم أقبلن الى رؤسهن فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز) أي لايمتنع عليه مايريد (حكيم) فيما يدبر فلما ذكر الدلالة على توحيده بما أتى الرسل من البيناب حث على الجهاد والانفاق فيه فقال

(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) أى مثل صدقاتهم وانفاقهم كمثل حبة (أنبتت سبع سنابل) الآية يريد أنه يضاعف الواحد سبعمائة ولا يشترط وجود هذا لأن هذا على ضرب المثل



(الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) وهو أن يقول قد أحسن الى فلان ونعشته وجبرت حاله يمن بما فعل (ولا أذى) وهو أن يذكر احسانه لمن لا يحب الذى أحسن اليه وقوفه عليه (قول معروف) أى كلام حسن و رد على السائل جميل (ومغفرة) أى تجاوز عن السائل اذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة يتبعها أذى) أى من وتعيير للسائل بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد (حليم) اذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى ثوابها (بالمن) وهو أن يمن بما أعطى (والأذى) وهو أن يوبخ المعطى له (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) أى كابطاله ثوابه برياء الناس وهو المنافق يعطى ليريهم أنه مؤمن (فمثله) أى مثل هذا المنافق (كمثل صفوان) وهو الحجر الأملس (عليه تراب فأصابه وابل) أى مطر شديد (فتركه صلدا) أى براقا أملس وهذا مثل ضربه الله للمان والمنافق يعنى أن الناس يرون فى الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الحجر فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله و بطل كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان فلا يقدر أحد من الخلق على ذلك التراب كذلك هؤلاء اذا قدموا على ربهم لم يجدوا شيئا وهو قوله

رءوسها بيده ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزء يطير الى الآخر حتى تكاملت الجثث ثم أقبلت كل جثة الى رأسها سعيا على أرجلها وانضم كل رأس الى جثته وصار الكل أحياء باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) أى صفة صدقات الذين ينفقون أموالهم فى دين الله كصفة حبة أخرجت سبع سنابل أو المعنى مثل الذين ينفقون أموالهم فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل زارع حبة أخرجت ساقا تشعب منه سبع شعب فى كل واحدة منها سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن بل فيهما أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) أى لا يضيق عليه ما يتفضل به من التضعيف (عليم) بنية المنفق و بمن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) والمن هو الاعتداد بالنعمة واستعظامها على المنفق عليه والأذى بأن يؤذى المنفق عليه بالقول أو العبوس فى وجهه أو الدعاء عليه وقيل المراد هو المن على الله وهو العجب والأذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أى ثواب انفاقهم (عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) أى فلا يخافون فقد أجورهم ولا يخافون العذاب البتة (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم نزلت هذه الآية فى حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وألف دينار فرفع رسول الله ﷺ يديه يقول يارب عثمان رضيت عنه فارض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فانه تصدق بنصف ماله أربعة آلاف دينار وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى وعيالى أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف لربى عز وجل فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم ولم يخطر ببالهم شىء من المن والأذى (قول معروف) أى كلام جميل يرد به السائل من غير اعطاء شىء (ومغفرة) من المسئول عن بذاءة لسان الفقير (خير) للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر التعيير له بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد فانما أمركم بالصدقة ليثيبكم عليها (حليم) اذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن و يؤذى بصدقته (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجر صدقاتكم (بالمن والأذى) قال ابن عباس أى بالمن على الله معناه العجب بسبب صدقتكم و بالأذى للسائل وقال الباقون بالمن على الفقير و بالأذى للفقير (كالذى) أى كابطال أجر نفقة الذى (ينفق ماله رئاء الناس) أى سمعة الناس ولطلب المدحة والشهرة (و) كالذى (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فان المنافق والمرائى يأتيان بالصدقة لا لوجه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالمن والأذى فقد أتى بتلك الصدقة لا لوجه الله أيضا اذ لو كان غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى لما من على الفقير ولا آذاه فالمقصود من الابطال الاتيان بالانفاق باطلا لأن المقصود الاتيان به صحيحا ثم احباطه بسبب المن والأذى والأوجه كما قال بعضهم اذا فعل ذلك فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن (فمثله) أى فحالة المرائى فى الانفاق (كمثل صفوان) وقيل الضمير عائد على المنافق فيكون المعنى ان الله تعالى شبه المان والمؤذى بالمنافق ثم شبه المنافق بالحجر الكبير الأملس (عليه تراب) أى شىء من التراب (فأصابه وابل) أى مطر شديد (فتركه صلدا)

أي فجعل المطر ذلك الحجر أملس نقيا من التراب (لايقدرون على شيء مما كسبوا) أي لايقدرون على ثواب شيء في الآخرة مما أنفقوا في الدنيا رئاء أو المعنى لايجد المنان والمؤذي ثواب صدقته كما لايوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه المطر الشديد (والله لايهدي القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كلا من الرياء والمن والأذى على الانفاق من خصائص الكفار فلابد للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل) أي مثل أموال الذين ينفقون أموالهم طلب رضاء الله تعالى ويقينا من قلوبهم بالثواب من الله تعالى وتصديقا بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو أصابه مطر شديد كثير (فآتت أكلها ضعفين) أي فأخرجت ثمرها مضاعفا مثلي مايثمر غيرها بسبب الوابل فتحمل من الريع في سنة مايحمل غيرها في سنتين (فان لم يصبها وابل فطل) أي رش مثل الرذاذ يكفيها لجودتها ولطافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار مايقارنها من الأحوال (والله بما تعملون) عملا ظاهرا أو قلبيا (بصير) لايخفى عليه شيء منه (أيود أحدكم) أي أيحب حبا شديدا أو يتمنى (أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل وأعناب تجري من تحتها) أي تطرد (الأنهار) من تحت شجر تلك الجنة ومساكنها (له فيها من كل الثمرات) أي لذلك الأحد حال كونه في الجنة رزق من كل الثمرات (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أي وقد أصابه كبر السن فلايقدر على الكسب والحال أن له أولادا صغارا لايقدرون على الكسب (فأصابها) أي الجنة (اعصار) أي ريح ترتفع الى السماء كأنها عمود (فيه نار فاحترقت) أي تلك الجنة والمقصود من هذا المثل بيان أنه يحصل في قلب هذا الانسان من الغم والحسرة والحيرة مالايعلمه الا الله فكذلك من أتى بالأعمال الحسنة الا أنه لايقصد بها وجه الله بل يقرن بها أمورا تخرجها عن كونها موجبة للثواب فحين يقدم يوم القيامة وهو حينئذ في غاية الحاجة ونهاية العجز عن الاكتساب عظمت حسرته وتناهت حيرته (كذلك) أي مثل هذا البيان في أمر النفقة المقبولة وغيرها (يبين الله لكم الآيات) أي الدلائل في سائر أمور الدين (لعلكم تتفكرون) أي لكي تتفكروا في أمثال القرآن (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي زكوا من جياد ما جمعتم من الذهب والفضة وعروض التجارة والمواشي (ومما أخرجنا لكم من الأرض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولاتيمموا الخبيث) أي ولاتقصدوا الردىء من أموالكم (منه تنفقون ولستم بآخذيه) فقوله منه استفهام على سبيل الانكار وهو متعلق بالفعل بعده والمعنى أمن الخبيث تنفقون في الزكاة والحال أنكم لستم قابلي الخبيث اذا كان لكم حق على صاحبكم (الا أن تغمضوا فيه) أي الا بأن تساهلوا في الخبيث وتتركوا بعض حقكم كذلك لايقبل الله الردىء

(لايقدرون على) ثواب (شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين) أي لايجعل ثوابهم على كفرهم أن يهديهم ثم ضرب مثلا لمن ينفق يريد ماعند الله ولا يمن ولايؤذي فقال (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) أي يقينا وتصديقا من أنفسهم بالثواب لا كالمنافق الذي لايؤمن بالثواب (كمثل جنة بربوة) وهو ماارتفع من الأرض وهو أكثر ريعا من المستفل (أصابها وابل) وهو أشد المطر (فآتت) أي أعطت (أكلها) أي مايؤكل منها (ضعفين) أي حملت في سنة من الريع مايحمله غيرها في سنتين (فان لم يصبها وابل فطل) أي فأصابها طل وهو المطر الضعيف فتلك حالها في البركة يقول كما أن هذه الجنة تثمر في كل حال ولايخيب صاحبها قل المطر أم كثر كذلك يضعف الله ثواب صدقة المؤمن قلت نفقته أم كثرت ثم ضرب الله مثل المرائي في النفقة والمفرط في الطاعة الى أن يموت بقوله (أيود أحدكم) الآية يقول مثلهما كمثل رجل كانت له جنة فيها من كل الثمرات (وأصابه الكبر) فضعف عن الكسب (وله ذرية ضعفاء) أي وله أطفال لايجدون عليه ولاينفعونه (فأصابها اعصار) وهي ريح شديدة (فيه نار فاحترقت) ففقدها أحوج ما كان اليها عند كبر السن وكثرة العيال وطفولة الولد فبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لايقدرون على حيلة كذلك يبطل الله عمل المنافق والمرائي حيث لاتوبة لهما ولا اقالة من ذنوبهما (كذلك يبين الله) كمثل بيان هذه الأقاصيص يبين الله (لكم الآيات) في أمر توحيده (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) نزلت في قوم كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم والمراد بالطيبات ههنا الجياد الخيار وقوله مما كسبتم يعني التجارة (ومما أخرجنا لكم من الأرض) يعني الحبوب التي تجب فيها الزكاة (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا الخبيث (منه تنفقون) أي تنفقونه (ولستم بآخذيه) أي ولستم بآخذي الخبيث لو أعطيتم في حق لكم (الا أن تغمضوا فيه) أي الا بالاغماض والتساهل وفي هذا بيان أن الفقراء شركاء رب المال والشريك لايأخذ الردىء من الجيد الا بالتساهل

الردىء منكم (واعلموا أن الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم (حميد) أى مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد و بالاثابة عليه (الشيطان يعدكم الفقر) أى ابليس يخوفكم بالفقر عند الصدقة و يقول لكم أمسكوا أموالكم فانكم اذا تصدقتم صرتم فقراء أو المعنى النفس الأمارة بالسوء توسوس لكم بالفقر (و يأمركم بالفحشاء) أى بالبخل ومنع الزكاة والصدقة (والله يعدكم) بسبب الانفاق (مغفرة منه) عزوجل (وفضلا) أى خلفا فى الدنيا وثوابا فى الآخرة (والله واسع) بالمغفرة للذنوب و باغنائكم واخلاف ماتنفقونه (عليم) بنياتكم وصدقاتكم (يؤتى الحكمة من يشاء) فالحكمة هى العلم النافع وفعل الصواب فقيل فى حد الحكمة هى التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله تعالى (ومن يؤت الحكمة) أى اصابة القول والفعل والرأى (فقد أوتى خيرا كثيرا) أى أعطى خير الدارين (ومايذكر) أى مايتفكر فى الحكمة (الا أولوا الألباب) أى الأصحاب العقول السليمة من الركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) أى أى نفقة كانت فى حق أو باطل فى سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أونذرتم من نذر) أى أى نذر كان فى طاعة أومعصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام (فان الله يعلمه) أى ما أنفقتموه فيجازيكم عليه (وما للظالمين) بالانفاق والنذر فى المعاصى أو بمنع الزكاة وعدم الوفاء بالنذور أو بالانفاق بالخبيث أو بالرياء والمن والأذى (من أنصار) أى أعوان ينصرونهم من عقاب الله (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) أى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا اظهارها بعد أن لم يكن رياء وسمعة (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) أى أفضل من ابدائها وايتائها الأغنياء روى أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر نكفر بالنون ورفع الراء وقرأ نافع وحمزة والكسائى بالنون والجزم أى ونكفر عنكم شيئا من ذنوبكم بقدر صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرىء قراءة شاذة تكفر بالتاء و بالرفع والجزم والفاعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالتاء والنصب باضمار أن (والله بما تعملون) من الصدقة فى السر والعلانية (خبير) لايخفى عليه شىء منه (ليس عليك هداهم) أى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا فى الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولاتوقف ذلك على اسلامهم (ولكن يهدى من يشاء) هدايته الى الدخول فى الاسلام روى أن نتيلة أم أسماء بنت أبى بكر وجدتها وهما مشركتان جاءتا أسماء تسألانها شيئا فقالت لاأعطيكما حتى أستأمر رسول الله ﷺ فانكما لستما على دينى فسألته عن الصدقة على الكفار فقالت هل يجوز لنا يارسول الله أن نتصدق على ذوى قرابتنا من غير أهل ديننا فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتصدق عليهما (وماتنفقوا من خير فلأنفسكم) أى وكل نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافر فانما هو يحصل لأنفسكم ثوابه فلايضركم كفرهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أى ولستم فى صدقتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله فقد

(الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم به و يقول أمسك مالك فانك ان تصدقت افتقرت (و يأمركم بالفحشاء) أى بالبخل ومنع الزكاة (والله يعدكم) أى يجازيكم على صدقتكم (مغفرة) لذنوبكم وأن يخلف عليكم (يؤتى الحكمة) أى علم القرآن والفهم فيه وقيل النبوة (من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا أولوا الألباب) أى مايتعظ الا ذوو العقول (وما أنفقتم من نفقة) أى أديتم من زكاة (أونذرتم من نذر) أى فى صدقة التطوع يعنى نويتم أن تتطوعوا بصدقة (فان الله يعلمه) أى يجازى عليه وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن أنفق فى غير الوجه الذى يجوز له من رياء أومعصية أومن مال مغصوب (ان تبدوا الصدقات) الآية سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فأنزل الله هذه الآية والمفسرون على أن هذه الآية فى التطوع لا فى الفرض وأن الفرض اظهاره أفضل وعند بعضهم الآية عامة فى كل صدقة وقوله (ونكفر عنكم من سيئاتكم) أى نغفرها لكم ومن للصلة والتوكيد (ليس عليك هداهم) نزلت حين سألت نتيلة أم أسماء بنت أبى بكر ابنتها أن تعطيها شيئا وهى مشركة فأبت وقالت حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والمعنى ليس عليك هدى من خالفك فتمنعهم الصدقة ليدخلوا فى الاسلام (وماتنفقوا من خير) أى مال (فلأنفسكم) ثوابه (وماتنفقون الا ابتغاء وجه الله) خبر والمراد به الأمر وقيل هو

علم الله هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله فى صلة رحم وسد خلة مضطر وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الانفاق عليهم (وما تنفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (يوف اليكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وأنتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) أى ذلك الانفاق المحثوث عليه للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا فى ذلك الزمان نزلت هذه الآية فى حق فقراء المهاجرين من قريش وكانوا نحوا أربعمائة وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة لا يستطيعون سفرا فى الأرض ثم عدم الاستطاعة للسير اما الاشتغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك يمنعهم من الاشتغال بالكسب والتجارة واما لخوفهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد لان الكفار كانوا مجتمعين حول المدينة وكانوا متى وجدوهم قتلوهم فذلك يمنعهم من السفر واما لمرضهم بالجروح كما قاله سعيد بن المسيب ولعجزهم لفقرهم كما قاله ابن عباس وذلك يمنعهم من السفر فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى يظنهم من لم يختبر أمرهم أغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة (تعرفهم) أيها المخاطب (بسيماهم) أى بعلامتهم من الهيبة ووقع فى قلوب الخلق وآثار الخشوع فى الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى أنهم كانوا يقومون الليل للتهجد ويحتطبون بالنهار للتعفف (لا يسألون الناس إلحافا) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم إلحاف أى كثرة التلطف وملازمة المسؤول أى انهم سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السكوت من رثاثة الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل الالحاف بل يزينون أنفسهم عند الناس ويتجملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطلع عليه الا الخالق والمراد بقوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافا عن ابن مسعود رضى الله عنه ان الله يحب العفيف المتعفف ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الذى ان أعطى كثيرا أفرط فى المدح وان أعطى قليلا أفرط فى الذم (وما تنفقوا من خير) أى من مال (فان الله به عليم) فيجازيكم على ذلك أحسن جزاء وهذا يجرى مجرى ماذا قال السلطان العظيم لعبده الذى استحسن خدمته ما يكفيك بأن يكون علمى شاهدا بكيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعا مما اذا قال له ان أجرك واصل اليك (الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم * قيل لما نزل قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بدنانير وبعث على رضى الله عنه بوسق من تمر ليلا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس ان عليا رضى الله عنه ما يملك غير أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال أن أستوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب أنها نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وقال الأوزاعى نزلت فى الذين يربطون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربا) أى يأخذونه استحلالا (لا يقومون) من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى

خاص فى المؤمنين المخلصين أى قد علم الله ذلك منكم (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أى يوفر لكم جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا (للفقراء) أى هذه الصدقات والانفاق التى تقدم ذكرها للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) أى حبسوا يعنى هم فعلوا ذلك حبسوا أنفسهم فى سبيل الله أى فى الجهاد يعنى فقراء المهاجرين (لا يستطيعون ضربا) أى سيرا (فى الأرض) لا يتفرغون الى طلب المعاش لأنهم قد ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم ذلك من التصرف حث الله تعالى المؤمنين على الانفاق عليهم (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) أى بعلامتهم وهى التخشع والتواضع وأثر الجهد (لا يسألون الناس إلحافا) أى الحاحا اذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء واذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية نزلت فى على ابن أبى طالب رضى الله عنه كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم سرا ودرهم علانية ودرهم ليلا ودرهم نهارا (الذين يأكلون الربوا) أى يعاملون به فنبه بالأكل على غيره (لا يقومون) من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه) يصيبه (الشيطان) بجنون (من المس) من الجنون وذلك أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا

الا

الاقياما كقيام الذى يتخبله الشيطان من اصابة الشيطان بالجنون فى الدنيا أى أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة انه آكل الربا فى الدنيا فعلى هذا معنى الآية أنهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بالجنون (ذلك) أى كون التخبل علامة آكل الربا فى الآخرة (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) أى انما الزيادة فى البيع كالزيادة فى الربا أى ذلك العذاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ماقيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلا فى الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان أحد الدرهمين فى الأول ضائع حتما وفى الثانى منجبر بمساس الحاجة الى السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) أى أحل الله لكم الأرباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لأجل تأخير الأجل (فمن جاءه موعظة) أى زجر وتخويف عن الربا (من ربه فانتهى) أى امتنع عن أخذه (فله ماسلف) قال السدى أى له ماأكل من الربا وليس عليه رد ماسلف فأما مالم يقض بعد النهى فلا يجوز له أخذه وانما له رأس ماله فقط (وأمره الى الله) أى يجازيه على انتهائه عن أخذه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية (ومن عاد) الى تحليل الربا بعد التحريم (فأولئك أصحاب النار) أى ملازموها (هم فيها خالدون) أى ماكثون أبدا (يمحق الله الربا) أى يهلك المال الذى دخل فيه فى الدنيا والآخرة قال ابن عباس ان الله تعالى لايقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة رحم (ويربى الصدقات) أى يبارك فى المال الذى أخرجت منه فى الدنيا والآخرة وفى الحديث ان الملك ينادى كل يوم اللهم يسر لكل منفق خلفا ولممسك تلفا (والله لايحب كل كفار) أى جاحد بتحريم الربا (أثيم) أى فاجر بأخذه مع اعتقاد التحريم (ان الذين آمنوا) بالله ورسله وكتبه و بتحريم الربا (وعملوا الصالحات) أى فيما بينهم و بين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا الصلاة) أى أتموا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وآتوا الزكاة) أى أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) فى الجنة (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولاهم يحزنون) على محبوب فات (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى قوا أنفسكم عقابه (وذروا مابقى من الربا) أى اتركوا طلب مابقى مما زاد على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بقلوبكم فى تحريم الربا (فان لم تفعلوا) ماأمرتم به بأن لم تتركوا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أى فاستعدوا للعذاب من الله فى الآخرة بالنار وللعذاب من رسوله فى الدنيا بالسيف (وان تبتم) من معاملة الربا (فلكم رءوس أموالكم) أى أصولها دون الزيادة (لاتظلمون) الغريم بطلب الزيادة على رأس المال (ولاتظلمون) أى بنقصان رأس المال و بالمطل (وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة) أى وان وقع غريم من غرمائكم ذوحالة يتعسر فيها وجود المال فيجب عليكم امهاله الى وقت يسار وسعة (وأن تصدقوا خير لكم) أى تصدقكم على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم من الأخذ والتأخير لأنه حصل لكم الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة (ان كنتم تعلمون) فضل التصدق على الانظار والقبض

(ذلك بأنهم) أى ذلك الذى نزل بهم بأنهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) وهو أن المشركين قالوا الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة بالربح فكذبهم الله تعالى فقال (وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه) أى وعظ (فانتهى) عن أكل الربا (فله ماسلف) أى ما أكل من الربا ليس عليه رد ماأخذ من قبل النهى (وأمره الى الله) والله ولى أمره (ومن عاد) الى استحلال الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدين يمحق الله الربوا) أى ينقصه ويذهب بركته وان كان كثيرا كما يمحق القمر (ويربى الصدقات) أى يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فصيله (والله لايحب كل كفار) بتحريم الربا مستحل له (أثيم) أى فاجر بأكله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا) نزلت فى العباس وعثمان رضى الله عنهما طلبا ربا لهما كانا قد أسلفاه قبل نزول التحريم فلما نزلت الآية قالا سمعنا وأطعنا وأخذا رؤوس أموالهما ومعنى الآية تحريم مابقى دينا من الربا وايجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا وقوله (ان كنتم مؤمنين) معناه أن من كان مؤمنا فهذا حكمه (فان لم تفعلوا) أى فان لم تذروا ما للربا (فأذنوا) أى فاعلموا (بحرب من الله ورسوله) أى فأيقنوا أنكم فى امتناعكم من وضع ذلك حرب لله ولرسوله (وان تبتم) من الربا فلكم رءوس أموالكم (لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال (وان كان ذوعسرة) أى وان وقع غريم ذوعسرة (فنظرة) أى فعليكم نظرة يعنى بتأخيره الى ميسرة أى الى غنى ووجود المال (وان تصدقوا) يعنى على المعسرين برأس المال (خير لكم ان كنتم تعلمون

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) يعنى يوم القيامة تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى جزاء ما كسبت من الاعمال (وهم
لا يظلمون) أى لا ينقصون شيئا



فلما حرم الله الربا أباح السلم فقال (يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى

(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) أى الى حسابه لأعمالكم وهو يوم القيامة (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى توفى فيه كل نفس برة وفاجرة جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يأيها الذين آمنوا) بالله والرسول (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) أى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا أو آخذا الى وقت معلوم بالأيام أو الأشهر ونحوهما مما يرفع الجهالة لا بالحصاد ونحوه مما لا يرفعها فاكتبوا الدين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والأكثرون على أن هذه الكتابة أمر استحباب فان ترك فلا بأس وهو أمر تعليم ترجع فائدته الى منافع الخلق فى دنياهم فلا يثاب عليه المكلف الا ان قصد الامتثال قال المفسرون المراد بالمداينة السلم فالله تعالى لما منع الربا فى الآية المتقدمة أذن فى السلم فى جميع هذه الآية مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة فى السلم ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يوصل اليها بالطريق الحرام الا وضع الله تعالى لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والقرض غير الدين لأن القرض أن يقرض الانسان دراهم أو دنانير أو حبا أو تمرا أو ما أشبه ذلك و يسترد مثله ولا يجوز فيه الاجل والدين يجوز فيه ذلك فذكر الأجل فى القرض ان كان لغرض المقرض أفسده والا فلا يفسده ولا يجب الوفاء به لكنه يستحب قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى السلف لأن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون فى التمر السنتين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم وقال أكثر المفسرين ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثانى بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخلا تحت هذه الآية و بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل و بيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت هذه الآية (وليكتب) كتاب الدين (بينكم) أى بين الدائن والمديون (كاتب بالعدل) أى بحيث لا يزيد فى المال والاجل ولا ينقص فى ذلك (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أى ولا يمتنع أحد من أن يكتب كتاب الدين بين الدائن والمديون على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التى علمه الله اياها (وليملل الذى عليه الحق) أى وليبين المديون للكاتب ما عليه من الدين لانه المشهود عليه فلا بد أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا) أى وليخش المديون ربه بأن يقر بمبلغ المال الذى عليه ولا ينقص مما عليه من الدين شيئا فى القاء الالفاظ على الكاتب (فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه) أى فان كان المديون ناقص العقل مبذرا أو عاجزا عن سماع الالفاظ للكاتب لصغر أو كبر مضعف للعقل أو لا يحسن الاسماع بنفسه على الكاتب لخرس أو جهل باللغة أو بما عليه فليقر على الكاتب ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولى هو الولى لغة وهو من له ولاية عليه بأى طريق كان كوصى وقيم ومترجم (بالعدل) أى بالصدق من غير زيادة ونقص (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أى وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين الاحرار المسلمين وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبيد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أى فان لم يكن الشاهدان رجلين بأن لم يقصد اشهادهما

أجل مسمى) أى تبايعتم (فاكتبوه) أمر الله تعالى فى الحقوق المؤجلة بالكتابة والاشهاد فى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم حفظا منه للاموال ثم نسخ ذلك بقوله فان أمن بعضكم بعضا الآية (وليكتب بينكم) أى بين المستدين والمدين (كاتب بالعدل) أى بالعدل والانصاف ولا يزيد فى المال والاجل ولا ينقص منهما (ولا يأب كاتب أن يكتب) أى لا يمتنع من ذلك اذا أمر وكانت هذه عزيمة من الله واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ثم قال (كما علمه الله فليكتب) أى كما فضله الله بالكتابة (وليملل الذى عليه الحق) أى الذى عليه الدين يملى لأنه المشهود عليه فيقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه (ولا يبخس منه شيئا) أمر أن يقر بمبلغ المال من غير نقصان (فان كان الذى عليه الحق) أى الدين (سفيها) طفلا أو صغيرا (أو ضعيفا) عاجزا أحمق (أو لا يستطيع أن يمل) لخرس أو عى (فليملل وليه) يعنى وارثه أو من يقوم مقامه (بالعدل) أى بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) أى وأشهدوا شهيدين (من رجالكم) يعنى من أهل ملتكم من الاحرار البالغين وقوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان

اشهادهما فرجل وامرأتان كائنون (ممن ترضون) لدينه وعدالته (من الشهداء) يشهدون وهذا تفسير للخبر (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) قرأ حمزة أن تضل بكسر ان وتذكر بالرفع والتشديد وقرأ نافع وعاصم والكسائى فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والنصب أما سائر القراء فقرأوا بنصب أن على حذف لام التعليل أى وانما اشترط التعدد فى النساء لأجل أن تنسى احدى المرأتين الشهادة لنقص عقلهن فتذكر احداهما الذاكرة للشهادة المرأة الأخرى الناسية لها (ولا يأب الشهداء اذا مادعوا) أى ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا الى تحمل الشهادة وأدائها عند الحكام فيحرم الامتناع عليهم لأن تحمل الشهادة فرض كفاية مطلقا والاداء كذلك ان زاد المتحملون على من يثبت بهم الحق والافرض عين (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) أى ولا تملوا أن تكتبوا الدين لكثرة وقوع المداينة على أى حال كان الدين قليلا أو كبيرا وعلى أى حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا حال كون الدين مستقرا فى ذمة المديون الى وقت حوله الذى أقر به المديون أى فاكتبوا الدين بصفة أجله ولا تهملوا الأجل فى الكتابة وقوله تعالى ولا تسأموا معطوف على قوله تعالى فاكتبوه (ذلكم) أى الكتابة للدين (أقسط عند الله) أى أعدل فى حكم الله (وأقوم للشهادة) أى أبين للشاهد بالشهادة اذا نسى (وأدنى أن لا ترتابوا) أى وأقرب الى انتفاء شككم فى قدر الدين وأجله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) قرأ عاصم تجارة بالنصب على أنه خبر تكون والباقون بالرفع على أنه اسم تكون والخبر تديرونها والا اما استثناء متصل راجع الى قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه والتقدير اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الا أن يكون الأجل قريبا وهو المراد من التجارة الحاضرة وأما استثناء منقطع فالتقدير لكنه اذا كانت تجارتكم ومداينتكم تجارة حالة تتعاطونها يدا بيد أو التقدير لكن اذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أى ليس عليكم مضرة فى ترك الكتابة فى المداينة الحاضرة كأن باع ثوبا بدرهم فى الذمة بشرط أن يؤدى الدرهم فى هذه الساعة أى لا بأس بعدم الكتابة فى ذلك لبعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا اذا تبايعتم) بالأجل (ولا يضار كاتب) بالكتابة (ولا شهيد) بالشهادة وهذا اما مبنى للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له الحق وهو قول أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ويدل على ذلك قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر واختار الزجاج هذا القول لقوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم وذلك لأن اسم الفسق بمن يحرف الكتابة وبمن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية ولأنه تعالى قال فيمن يمتنع عن الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم والفاسق متقاربان واما مبنى للمفعول فيكون نهيا لصاحب الحق عن اضرار الكاتب والشهيد كأنه يكلفهما مالا يليق فى الكتابة والشهادة ولا يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان فان لهما طلب الجعل ولا يكلفان الكتابة والشهادة مجانا وهو قول ابن مسعود وعطاء ومجاهد ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح وهذا لو كان نهيا للكاتب والشهيد لقيل وان تفعلا فانه فسوق بكما ولأن دلالة الكلام من أول الآيات انما هو فى المكتوب له والمشهود له واذا كان هذا النهى متوجها للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن الضرار هم (وان تفعلوا) مانهيتم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أى فان فعلكم ذلك معصية منكم وخروج عن طاعة الله (واتقوا الله) فيما حذر منه وهو هنا المضارة أو المعنى اتقوا الله فى جميع أوامره ونواهيه

ممن ترضون من الشهداء) أى من أهل الفضل والدين (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) الشهادة (ولا يأب الشهداء اذا مادعوا) لتحمل الشهادة وأدائها (ولا تسأموا أن تكتبوه) أى لا يمنعكم الضجر والملال أن تكتبوا ماشهدتم عليه من الحق (صغيرا أو كبيرا الى أجله) أى الى أجل الحق (ذلكم) أى الكتابة (أقسط) أى أعدل (عند الله) فى حكمه (وأقوم) أى أبلغ فى الاستقامة (للشهادة) لأن الكتابة تذكر الشهود فتكون شهادتهم أقوم (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب الى أن لا تشكوا فى مبلغ الحق والأجل (الا أن تكون) تقع (تجارة حاضرة) أى متجر فيه حاضر من العروض وغيرها مما يتقابض وهو معنى قوله (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم) قد ذكرنا أن هذا منسوخ الحكم فلا يجب ذلك (ولا يضار كاتب ولا شهيد) نهى الله الكاتب والشاهد عن الضرار وهو أن يزيد الكاتب أو ينقص أو يحرف وأن يشهد الشاهد بما لم يستشهد عليه أو امتنع من اقامة الشهادة (وان تفعلوا) شيئا من هذا (فانه فسوق بكم واتقوا الله

ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا) الآية أمر الله تعالى عند عدم الكاتب بأخذ الرهن لتكون وثيقة بالأموال وذلك قوله (فرهن مقبوضة) أى فالوثيقة رهن (فان أمن بعضكم بعضا) أى لم يخف خيانته وجحوده الحق (فليؤد الذى ائتمن) أى الذى أمن عليه (أمانته وليتق الله ربه) بأداء الأمانة (ولا تكتموا الشهادة) اذا دعيتم لاقامتها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) أى فاجر قلبه (لله مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وهو مالك أعيانه (وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) لما نزل هذا جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا من العمل مالا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه فنحن نحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنوا اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسخت هذه الآية ماقبلها وقيل ان هذا فى كتمان الشهادة واقامتها ومعنى قوله يحاسبكم به الله أى يخبركم به ويعرفكم اياه (آمن الرسول) الآية لما ذكر الله تعالى فى هذه السورة الأحكام والحدود وقصص الأنبياء وآيات قدرته ختم السورة بذكر تصديق نبيه والمؤمنين بجميع ذلك

(ويعلمكم الله) مايكون ارشادا واحتياطا فى أمر الدنيا كما يعلمكم مايكون ارشادا فى أمر الدين (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الراء والهاء أو سكونه والباقون فرهان بكسر الراء وفتح الهاء مع المد وعلى بمعنى فى أو بمعنى الى أى وان كنتم مسافرين أو متوجهين الى السفر ولم تجدوا كاتبا أو آلة الكتابة فى المداينة فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال فى الوثيقة رهان مقبوضة (فان أمن بعضكم) أى الدائن (بعضا) أى المديون بالدين بلا رهن لحسن ظنه به (فليؤد الذى ائتمن) بالدين (أمانته) أى حق صاحبه (وليتق الله ربه) أى وليخش المديون ربه فى أداء الدين عند حلول الأجل من غير مماطلة ولا انكار بل يعامل الدائن معاملة حسنة كما أحسن ظنه فيه (ولا تكتموا الشهادة) عند الحكام بانكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء الشهادة عند الحاجة الى اقامتها (ومن يكتمها) أى الشهادة (فانه آثم قلبه) أى فاجر قلبه (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها ومن الخيانة فى الأمانة وعدمها (عليم) فيجازيكم على ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر (لله مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وملكا من الخلق والعجائب يأمر عباده بما يشاء (وان تبدوا مافى أنفسكم) من العزم على السوء بأن تظهروه للناس بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموه منهم (يحاسبكم به الله) يوم القيامة فالخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين مايوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله فى الوجود ومالا يكون كذلك بل تكون أمورا خاطرة بالبال مع أن الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الأول يكون مؤاخذا به والثانى لا يكون مؤاخذا به (فيغفر) بفضله (لمن يشاء) مغفرته (ويعذب) بعدله (من يشاء) تعذيبه وقد يغفر لمن يشاء الذنب العظيم وقد يعذب من يشاء على الذنب الحقير لا يسئل عما يفعل قرأ عاصم وابن عامر فيغفر ويعذب بالرفع والباقون بالجزم (والله على كل شيء) من المغفرة والعذاب (قدير آمن الرسول) أى صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أى من القرآن قال الزجاج لما ذكر الله تعالى فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج وذكر الطلاق والايلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك انتهى (والمؤمنون كل) أى كل واحد منهم (آمن بالله) أى بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه وبأسمائه (وملائكته) أى بوجودها وبأنهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وأنهم وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الأنبياء بواسطة الملائكة (وكتبه) وقرأ حمزة والكسائى بكسر الكاف وفتح التاء مع المد بأن يعلم أن هذه الكتب وحى من الله تعالى الى رسله وأنها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القاء الشياطين والأرواح الخبيثة وبأن يعلم أن الوحى بهذه الكتب فالله تعالى لم يمكن أحدا من الشياطين من القاء شيء من ضلالاتهم فى أثناء هذا الوحى الظاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف فمن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان رضى الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وهو قول فاسد وبأن يعلم أن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب

وبان.

و بأن يعلم أن النبي أفضل ممن ليس بنبي وأن الرسل أفضل من الملائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل من البعض (لا نفرق بين أحد من رسله) أي يقول المؤمنون لا نكفر بأحد من رسله بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (سمعنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أي نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا واليك المصير) أي المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من الطاعة (الا وسعها) أي طاقتها (لها ما كسبت) أي ثوابه من الخير (وعليها ما اكتسبت) أي وزره من الشر فان قلنا ان هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا فاذا كان هو تعالى بحكم الرحمة الالهية لا يطالبنا الا بالشيء السهل الهين فكذلك نحن بحكم العبودية وجب أن نكون سامعين مطيعين وان قلنا ان هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا دل ذلك على أن قولهم غفرانك طلب للمغفرة مما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل العمد فلما كان قولهم غفرانك طلبا للمغفرة من ذلك التقصير فلا شك في أن الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا سمعتم وأطعتم ولم تتعمدوا التقصير فلو وقع منكم نوع تقصير على سبيل السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالجملة فهذا اجابة لهم من الله في دعائهم بقولهم غفرانك ربنا اه (ربنا لا تؤاخذنا) أي يا ربنا لا تعاقبنا (ان نسينا) طاعتك (أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) أي تكليفا بالأمور الشاقة (كما حملته على الذين من قبلنا) من بني اسرائيل أي لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها وكانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا اذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أي قوة (لنا به) من البلاء والعقوبة أي ولا تحمل علينا أيضا ما لا راحة لنا فيه من الاستكراه (واعف عنا) أي امح آثار ذنوبنا (واغفر لنا) أي استر عيوبنا ولا تفضحنا بين عبادك (وارحمنا) أي تعطف بنا وتفضل علينا (أنت مولانا) أي أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك ويقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى واغفر لنا من الخسف كما خسفت بقارون وارحمنا من القذف كما قذفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفا عنهم من الخسف والمسخ والقذف (فانصرنا على القوم الكافرين) أي انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا بالحجة معهم وفي اعلاء دولة الاسلام على دولتهم ولما مدح الله تعالى المتقين في أول السورة بين في آخر السورة انهم أمة محمد ﷺ فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وهذا هو المراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا وهو المراد بقوله تعالى هناك ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير وهو المراد بقوله تعالى هناك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى الله تعالى عنهم ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو المراد بقوله تعالى ثم أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

(لا نفرق بين أحد) أي يقولون لا نفرق بين أحد (من رسله) كما فعل أهل الكتاب آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض الرسل بل نجمع بينهم في الايمان بهم (وقالوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (غفرانك) أي اغفر غفرانك (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ذكرنا أن هذه الآية نسخت ما شكاه المؤمنون من المحاسبة بالوسواس وحديث النفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) أي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره (ربنا لا تؤاخذنا) أي قولوا ذلك على التعليم للدعاء ومعناه لا تعاقبنا (ان نسينا) كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما شرع لهم عجلت لهم العقوبة بذلك فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك (أو أخطأنا) أي تركنا الصواب (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) أي ثقلا والمعنى لا تحمل علينا أمرا يثقل (كما حملته على الذين من قبلنا) نحو ما أمر به بنو اسرائيل من الأثقال التي كانت عليهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني لا تعذبنا بالنار (أنت مولانا) أي ناصرنا والذي يلي علينا أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) في اقامة حجتنا عليهم وغلبتنا اياهم في حربهم وسائر أمورهم حتى تظهر ديننا على الدين كله كما وعدتنا

﴿ سورة آل عمران مدنية آياتها مائتان وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة وستون وحروفها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى) أى الذى لا يموت ولا يزول (القيوم) أى القائم بذاته والقائم بتدبير خلقه قال الكلبى والربيع بن أنس ومحمد بن اسحق نزلت هذه الآيات فى شأن وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا المسجد حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثانى مشيرهم وذو رأيهم واسمه الأيهم والثالث حبرهم يقال له أبو حارثة بن علقمة فكلم الأيهم وعبد المسيح فقال لهما رسول الله ﷺ أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام ثلاثة أشياء اثباتكما لله ولدا وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه ﷺ فى عيسى فقال لهم النبى ﷺ ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله تعالى من ابتداء السورة الى آية المباهلة تثبيتا لما احتج به النبى عليهم . (نزل عليك الكتاب) أى القرآن وقرئ قراءة شاذة بتخفيف نزل ورفع الكتاب (بالحق) أى بالعدل فى أحكامه أو بالصدق فى أخباره وفى وعده ووعيده أو بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى أو بالقول الفصل وليس بالهزل ولا بالمعانى الفاسدة المتناقضة (مصدقا لما بين يديه) أى لما تقدمه من الكتب السالفة فى الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفى الأمر بالعدل والاحسان وفى أنباء الأنبياء والأمم الخالية وفى بعض الشرائع (وأنزل التوراة) جملة على موسى بن عمران (والانجيل) جملة على عيسى بن مريم (من قبل) أى من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) أى حال كونهما هاديين من الضلالة أو أنزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وأنزل الفرقان) قيل المراد به الزبور فانه مشتمل على المواعظ الداعية الى الخير الزاجرة عن الشر الفارقة بين الحق والباطل ثم المختار عند الفخر الرازى أن المراد من الفرقان هو المعجزات التى قرنها الله تعالى بانزال هذه الكتب الثلاثة لأنه لما أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق دعوى الرسل حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هى الفرقان (ان الذين كفروا بآيات الله) أى القرآن وغيره كوفد بنى نجران ونحوهم بأن كذبوا بالآيات الناطقة بالتوحيد والتنزيه المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبى ﷺ (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أى غالب لا يغلب (ذو انتقام) أى عقوبة عظيمة فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو الانتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالأول صفة الذات والثانى صفة الفعل (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) قصيرا أوطويلا حسنا أو قبيحا ذكرا أو أنثى سعيدا أو شقيا

﴿تفسير سورة آل عمران﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب) أى القرآن (بالحق) يعنى بالصدق فى أخباره (مصدقا لما بين يديه) أى موافقا لما تقدم من الخبر به فى سائر الكتب (وأنزل الفرقان) يعنى ما فرق به بين الحق والباطل يعنى جميع الكتب التى أنزلها وقوله (ذو انتقام) أى ذو عقوبة (هو الذى يصوركم) أى يجعلكم على صور فى أرحام الأمهات (كيف يشاء) ذكرا أو أنثى قصيرا أوطويلا أسود أو أبيض

وهذه

وهذه الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة فان عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنت أكلت فى دارك كذا وصنعت فى دارك كذا وكان يحيي الموتى و يبرئ الأكمه والأبرص و يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ثم انه تعالى استدل على بطلان قولهم فى الهية عيسى وفى التثليث بقوله تعالى الحى القيوم فالاله يجب أن يكون حيا قيوما وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا ان عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله ان الله لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء والمعنى لايلزم من كونه عالما ببعض المغيبات أن يكون الها لاحتمال أنه علم ذلك بتعليم الله تعالى له ذلك ولما قالوا ان عيسى كان يحيي الموتى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء والمعنى ان حصول الاحياء على وفق قوله عليه السلام فى بعض الصور لايدل على كونه الها لاحتمال أن الله تعالى أكرمه بذلك الاحياء اظهارا لمعجزته واكراما له ولما قالوا يأيها المسلمون أنتم توافقوننا على أن عيسى لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء فان هذا التصوير لما كان من الله تعالى فان شاء صوره من نطفة الأب وان شاء صوره ابتداء من غير أب ولما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ألست تقول ان عيسى روح الله وكلمته فهذا يدل على أنه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فظهر بذلك المذكور أن قوله تعالى الحى القيوم اشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله تعالى ان الله لايخفى عليه شئ فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوله تعالى هو الذى يصوركم فى الأرحام جواب عن تمسكهم بقدرة عيسى على الاحياء ونحوه لانه لو قدر على الاحياء لقدر على الاماتة ولو قدر على الاماتة لأمات اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الاحياء فى بعض الصور لايدل على كونه الها وهو جواب أيضا عن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر وجب أن يكون ابنا لله فكأنه تعالى يقول كيف يكون عيسى ولدالله وقد صوره فى الرحم والمصور لا يكون أبا للمصور وأما قوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب الى آخر الآيات فهو جواب عن تمسكهم بما ورد فى القرآن أن عيسى روح الله وكلمته ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجرا لسائر النصارى عن قولهم بالتثليث فقال (لااله الا هو العزيز الحكيم) فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم وهذا تثبيت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الاحياء فى بعض الصور لا يكفى فى كونه الها فان الاله لابد وأن يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذى أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه آيات محكمات) أى محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المعنى المراد (هن أم الكتاب) أى أصل فى الكتاب وعمدة ترد اليها آيات متشابهات ومثال المتشابه قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاهر هذا الكلام أنهم يؤمرون بأن يفسقوا والمحكم قوله تعالى ان الله لايأمر بالفحشاء رادا على الكفار فيما حكى عنهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والآية المتشابهة قوله تعالى نسوا الله فنسيهم والآية المحكمة قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أى وآيات أخر محتملات لمعان متشابهة لايتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرة الا بنظر دقيق وتأمل أنيق (فأما الذين فى قلوبهم

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) وهى الثلاث الآيات فى آخر سورة الأنعام قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى آخر الآيات الثلاث (هن أم الكتاب) أى هن أم كل كتاب أنزله الله تعالى على نبى فيهن كل ما أحل وما حرم ومعناه انهن أصل الكتاب الذى يعمل عليه (وأخر) أى آيات أخر (متشابهات) يريد التى اشتبهت على اليهود وهى حروف التهجى فى أوائل السور وذلك أنهم أولوها على حساب الجمل وطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة فاختلط عليهم واشتبه (فأما الذين فى قلوبهم

زيغ) أى ميل عن الحق الى الأهواء الباطلة (فيتبعون ماتشابه منه) أى فيتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أى طلب الفتنة فى الدين وهى الضلال عنه فانهم متى أوقعوا تلك المتشابهات فى الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يفضى الى الهرج والتقاتل (وابتغاء تأويله) أى وطلب تأويل المتشابه على ماليس فى كتاب الله عليه دليل ولا بيان والمنصف يحمل الأمر فى الآيات على أقسام ثلاثة أحدها ماتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها الذى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذى يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره وثالثها الذى لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفى ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابها بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر الا أن الظن الراجح حاصل فى اجرائها على ظواهرها (ومايعلم تأويله الا الله) أى ومايعلم تأويل المتشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لأحد جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) أى بالكتاب (كل) أى كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) والراسخ فى العلم هو الذى عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل اليقينية وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا رأى شيئا متشابها ودل الدليل القطعى على أن الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعا أن مراد الله شىء آخر سوى مادل عليه ظاهره ثم فوض تعيين ذلك المراد الى علمه تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أى شىء كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك المتشابه لابد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (ومايذكر الا أولوا الألباب) أى ومايتعظ بما فى القرآن الا ذووا العقول الكاملة الخالصة عن الركون الى الأهواء الزائفة وهذا مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بمايطابق دلائل العقول ويوافق اللغة والاعراب ومن تكلم فى القرآن من غير أن يكون متبحرا فى علم الأصول وفى علم اللغة والنحو كان فى غاية البعد عن الله تعالى ولما آمن الراسخون فى العلم بكل ماأنزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات تضرعوا الى الله تعالى بقولهم (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) أى لاتمل قلوبنا عن دينك بعد اذ هديتنا لدينك أو يقال يا ربنا لاتجعل قلوبنا مائلة الى الباطل بعد أن تجعلها مائلة الى الحق (وهب لنا من لدنك رحمة) أى نور الايمان والتوحيد والمعرفة فى القلب ونور الطاعة والعبودية والخدمة فى الأعضاء وسهولة أسباب المعيشة من الأمن والصحة والكفاية فى الدنيا وسهولة سكرات الموت عند الموت وسهولة السؤال والظلمة فى القبر وغفران السيئات وترجيح الحسنات فى القيامة (انك أنت الوهاب) لكل مطلوب فان هذا الذى طلبته منك فى هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى لكنه حقير بالنسبة الى كمال كرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه) أى يا ربنا انك تجمع الناس للجزاء فى يوم لاشك فى وقوعه فجاز نافيه أحسن الجزاء (ان الله لايخلف الميعاد) أى الوعد وهذا من بقية كلام الراسخين فى العلم وذلك لانهم لما طلبوا من ربهم أن يصونهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة فكأنهم قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال مايتعلق بمصالح الدنيا فانها منقرضة وانما غرضنا الأعظم منه مايتعلق بالآخرة

زيغ) وهم اليهود الذين طلبوا علم أجل هذه الأمة من الحروف المقطعة (فيتبعون ماتشابه منه) أى من الكتاب يعنى حروف التهجى (ابتغاء الفتنة) أى طلب اللبس ليضلوا به جهالهم (وابتغاء تأويله) أى طلب مدة أجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ومايعلم تأويله الا الله) يريد مايعلم انقضاء ملك أمة محمد الا الله لان انقضاء ملكهم مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك أحد ثم ابتدأ فقال (والراسخون فى العلم) أى الثابتون فيه يعنى علماء مؤمنى أهل الكتاب (يقولون آمنا به) أى بالمتشابه (كل من عند ربنا) المحكم والمتشابه وماعلمناه ومالم نعلمه (وما يذكر الا أولوا الألباب) أى ما يتيقظ بالقرآن الا ذو والعقول (ربنا) أى ويقول الراسخون ربنا (لاتزغ قلوبنا) أى لاتملها عن الهدى والقصد كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) للايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (ربنا انك جامع الناس) أى حاشرهم للجزاء (ليوم لاريب فيه) أى فى يوم لاشك فيه (ان الله لايخلف الميعاد) للبعث والجزاء

بالآخرة فانانعلم أنك ياالهنا جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم أن وعدك بالجزاء والحساب والميزان والصراط والجنة والنار لا يكون خلفا فمن زاغ قلبه بقى هناك فى العذاب أبد الآباد ومن أعطيته الهداية والرحمة بقى هناك فى السعادة والكرامة أبدالآباد (ان الذين كفروالن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) أى ان الذين كفروا ككعب بن الاشرف وأصحابه وأبى جهل وأصحابه لن تنفعهم كثرة أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أى من عذاب الله أوعندالله (شيئا) وقيل ان المراد بهؤلاء وفدنجران وذلك لأن أباحارثة بن علقمة قال لأخيه كرزانى لأعلم أن محمدارسول الله حقا وهوالنبى الذى كنا ننتظره ولكننى ان أظهرت ايمانى بمحمد أخذملوك الروم منى ماأعطونى من المال الكثير والجاه فالله تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لاتدفع عنهم عذاب الله فى الدنيا والآخرة نعم ان اللفظ عام وخصوص السبب لايمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار) أى حطب النار الذى تسعر به (كدأب آل فرعون) أى شأن هؤلاء فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون فى التكذيب بموسى (والذين من قبلهم) أى من مكذبى الرسل كقوم هود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهى المعجزات ومتى كذبوا بها فقد كذبوا بالأنبياء بلاشك (فأخذهم الله بذنوبهم) أى عاقبهم الله بتكذيبهم المعجزات الدالة على صدق الرسل وانما استعمل الأخذ فى العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالمأسور المأخوذ لايقدر على التخلص (والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لماغزاقريشافى بدر ورجع الى المدينة جمع يهودبنى قينقاع فى سوق بنى قينقاع وقال يامعشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ماأصاب قريشايوم بدرفقدعرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يامحمد لاتغرنك نفسك ان قتلت نفرا من قريش أغمارا لايعرفون القتال لو قاتلتنا لعرفت فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل للذين كفروا) هم يهود بنى قينقاع (ستغلبون) عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بنى قريظة فقدقتل منهم النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم واحد ستمائة جمعهم فى سوق بنى قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفيرة ورميهم فيها وباجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على أهلها و بالاسر على بعض كل (وتحشرون) فى الآخرة (الى جهنم) دلت الآية على حصول البعث فى يوم القيامة والنشر والحشر وعلى ان مرد الكافرين النار (و بئس المهاد) أى الفراش جهنم وقرأ حمزة والكسائى بالغيبة فى الفعلين أى بلغهم أنهم سيغلبون و يحشرون والباقون بالخطاب أى قل لهم فى خطابك اياهم ستغلبون وتحشرون والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الاخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة يكون بلفظه (قدكان لكم) أيها اليهود (آية) أى علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فى فئتين) أى فرقتين (التقتا) بالقتال يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بين كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن السيوف ثمانية ومن الخيل فرسان للمقداد بن عمرو ولمرثد بن أبى مرثد (وأخرى كافرة) أى وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبوسفيان وأبوجهل وقادوامائة فرس وكانت معهم من الابل سبعمائة وأهل الخيل كلهم كانوادارعين وكان فى الرجال دروع سوى ذلك (يرونهم مثليهم رأى العين) أى يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين رأياظاهرا عيانا بالعين فى ذلك أنه تعالى كثر المسلمين فى أعين المشركين مع

(ان الذين كفروا) يعنى اليهود قريظة والنضير (لن تغنى عنهم) أى لن تنفع ولن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم) التى يتفاخرون بها (من الله) أى من عذاب الله (شيئا وأولئك هم وقود النار) أى هم الذين توقد بهم النار (كدأب آل فرعون) أى كصنع آل فرعون وفعلهم فى الكفر والتكذيب كفرت اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل للذين كفروا) يعنى يهود المدينة ومشركى مكة (ستغلبون وتحشرون الى جهنم و بئس المهاد) أى بئس مامهد لكم (قدكان لكم آية) أى علامة تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (فى فئتين) يعنى المسلمين والمشركين (التقتا) أى اجتمعتا يوم بدر للقتال (فئة تقاتل فى سبيل الله) وهم المسلمون (وأخرى كافرة يرونهم مثليهم) أى يرى المسلمون المشركين مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم ولكن الله قللهم فى أعينهم وأراهم على قدر ماأعلمهم أنهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم وذلك أن الله كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار (رأى العين) أى من

قلتهم ليهابوهم فيحترزوا عن قتالهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثلي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وأبان عن عاصم من السبعة و يعقوب ترونهم بالخطاب والمعنى ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة والشوكة ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قلتهم جدا فيكون هذا أبلغ في اكرام المؤمنين وعناية الله بهم (والله يؤيد) أي يقوى ( بنصره من يشاء ) ولو بدون الأسباب العادية (ان في ذلك) أي في نصرة الله لمحمد يوم بدر و يقال أي في رؤية القليل كثيرا من غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح (لعبرة) أي لعظة عظيمة ( لأولي الأبصار ) أي لذوي العقول ووجه نظم هذه الآية أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى ستغلبون نزلت في شأن اليهود وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى الاسلام أظهروا التمرد وقالوا لسنا أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا فالله تعالى قال لهم انكم وان كنتم أقوياء وأرباب العدد والعدة فانكم ستغلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك القول فقال قد كان لكم آية في فئتين التقتا * ثم قيل روينا أن أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لأخيه بأنه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا أنه لا يقر بذلك خوفا من أن يأخذ منه ملوك الروم المال والجاه وأيضا روينا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين الله تعالى أن هذه الأشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وأن الآخرة خير وأبقى فقال (زين للناس حب الشهوات) أي الأشياء المشتهيات ( من النساء ) وانما قدمهن على الكل لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم من حيث السرور بهم وغير ذلك (والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) والقنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب أو فضة والقنطار واحد والقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة ومعنى القناطير المقنطرة أي الأموال المجموعة أو الأموال المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وانما كانا محبوبين لأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء (والخيل المسومة) أي المطهمة الحسان بأن تكون غرا محجلة ( والأنعام ) وهي الابل والبقر والغنم (والحرث) أي المزروع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا) أي منفعة للناس في الدنيا ثم تفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل) يا أشرف الخلق للكفار أو للناس عامة وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمل أولا في قوله تعالى والله عنده حسن المآب (أؤنبئكم بخير من ذلكم) أي زينة الدنيا (للذين اتقوا) أي تبتلوا الى الله تعالى وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي عند ربهم بساتين تطرد من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والعسل واللبن والماء (خالدين فيها) أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الحيض والنفاس والبصاق والمني وتشويه الخلقة وسوء العشرة والاخلاق الذميمة (ورضوان من الله) ورضا ربهم أكبر مما هم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين يقولون) في الدنيا (ربنا اننا آمنا) بك و برسولك ( فاغفر لنا ذنوبنا ) أي استرها وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) أي ادفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى المرازي (والصادقين) في ايمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقانتين) أي المواظبين على العبادات

---

حيث يقع عليهم البصر (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره) أي بالغلبة والحجة (من يشاء ان في ذلك لعبرة) وهي الآية التي يعبر بها من منزلة الجهل الى العلم (لأولي الأبصار) أي لذوي العقول (زين للناس حب الشهوات) جمع شهوة وهي توقان النفس الى الشيء (من النساء) وهي حال من الشهوات أي حال كونها من طائفة النساء وانما بدأ بهن لان فتنة النساء أشد من فتنة كل الأشياء (والبنين) والفتنة بهم أن الرجل يبتلى بسببهم على جمع الأموال من الحلال والحرام (والقناطير المقنطرة) أي الأموال الكثيرة المجموعة (والخيل المسومة) أي الراعية وقيل المعلمة كالبلق وذات الشيات وقيل الحسان والخيل الافراس (والانعام) أي الابل والبقر والغنم (والحرث) وهو ما يزرع و يغرس ثم بين أن هذه الأشياء متاع الحياة الدنيا وهي فانية زائلة (والله عنده حسن المآب) أي المرجع ثم اعلم أن خيرا من ذلك كله ما أعده الله لأوليائه فقال (قل أؤنبئكم) أخبركم (بخير من ذلكم) الذي ذكرت (للذين اتقوا) الشرك (جنات تجري من تحتها الانهار) الى آخر الآية (الصابرين) على دينهم وعلى ما أصابهم (والصادقين) في نياتهم (والقانتين) أي المطيعين لله

(والمنفقين) أموالهم في سبيل الله (والمستغفرين بالأسحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت وقيل أي المصلين التطوع فيها وأعظم الطاعات قدرا أمران أحدهما الخدمة بالمال واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الشفقة على خلق الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمنفقين وثانيهما الخدمة بالنفس واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالأسحار (شهد الله) أي بين لخلقه بالدلائل السمعية والآيات العقلية (أنه لا اله) أي لا مستحقا للعبودية موجود (الا هو والملائكة وأولوا العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة لأن الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست الا لعلماء الأصول فشهادة الله تعالى على توحيده هو أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولي العلم هي اقرارهم بتوحيده تعالى (قائما بالقسط) أي مقيما للعدل في جميع أموره وهذا بيان لكماله تعالى في أفعاله بعد بيان كماله في ذاته (لا اله الا هو العزيز الحكيم) فالعزة في الملك تلائم الوحدانية والحكمة في الصنع تلائم القيام بالقسط قال الكلبي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فقالا له أنت محمد قال نعم قالا له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال لهما سلا قالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وفي المدارك من قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عنده وديعة يقول الله يوم القيامة ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة (ان الدين عند الله الاسلام) فلا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة التي عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال ان الدين عند الله الاسلام وقرأ الكسائي بفتح همزة أن وهو اما بدل من أنه بدل كل من كل ان فسر الاسلام بالتوحيد نفسه أي بالايمان بكونه تعالى واحدا أو بدل كل من بعض ان فسر الاسلام بالشريعة فانها تشتمل على التوحيد والعدل ونحوهما أو معطوف على أنه بحذف حرف العطف أو مبني على أن شهد واقع على ان الدين اما باجراء انه على التعليل والتقدير شهد الله لأجل أنه لا اله الا هو ان الدين الآية أو باجرائه على قراءة ابن عباس وهو بكسره على جعل جملة أنه اعتراضا وعلى ايقاع شهد على أن الدين من باب تقديم وتأخير والتقدير شهد الله ان الدين عند الله الاسلام وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون أو باجراء شهد مجرى قال مع جعل ان الدين معمولا للحكيم باسقاط الجار أي الحكيم بان الدين أما جعله بدل اشتمال من أنه فممتنع بذلك التفسير لأنه صار البدل أشمل من المبدل منه ولأن شرط بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك ولاسيما أن هنا فصلا بين البدل والمبدل منه بأجنبي (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوا التوراة والانجيل من اليهود والنصارى في دين الاسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) أي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم (بغيا بينهم) أي لأجل الحسد الكائن بينهم وطلب الرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر (ومن يكفر

(والمنفقين) من الحلال في طاعة الله (والمستغفرين بالأسحار) أي المصلين صلاة الصبح قالوا هذه الآية نزلت في المهاجرين والأنصار (شهد الله أنه لا اله الا هو) بين وأظهر بما نصب من الأدلة على توحيده أنه لا اله الا هو (والملائكة) أي وشهدت الملائكة أي أقرت بتوحيد الله (وأولوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من مؤمني أهل الكتاب والمسلمين (قائما بالقسط) أي بالعدل يجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور (ان الدين عند الله الاسلام) افتخر المشركون بأديانهم فقال كل فريق لا دين الا ديننا وهو دين الله فنزلت هذه الآية وكذبهم الله تعالى فقال ان الدين عند الله الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود لم يختلفوا في صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا يجدونه في كتابهم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعني النبي صلى الله عليه وسلم سمي علما لأنه كان معلوما لهم بنعته وصفته قبل بعثه فلما جاءهم اختلفوا فيه فآمن بعضهم وكفر الآخرون (بغيا بينهم) طلبا للرياسة وحسدا له على النبوة (ومن يكفر

بآيات الله فان الله سريع الحساب) أى المجازاة له على كفره (فان حاجوك) أى جادلوك (فقل أسلمت وجهى لله) أى أخلصت عملى لله وانقدت له (ومن اتبعن) يعنى المهاجرين والأنصار (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين) يعنى العرب (أأسلمتم) استفهام معناه الأمر أى أسلموا وقوله (فانما عليك البلاغ) أى التبليغ وليس عليك هداهم (والله بصير بالعباد) يعنى بمن آمن بك وصدقك ومن كفر بك وكذبك وكان هذا قبل أن أمر بالقتال (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) قد مضى فى سورة البقرة وقوله (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية وهؤلاء الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يتولونهم فهم داخلون فى جملتهم (أولئك الذين حبطت) أى بطلت (أعمالهم) التى يدعونها من التمسك بالتوراة واقامة شرع موسى عليه السلام (فى الدنيا) لأنها لم تحقن دماءهم وأموالهم (و) فى (الآخرة) لأنهم لم يستحقوا بها ثوابا (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى اليهود (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) وذلك أنهم أنكروا آية الرجم من التوراة وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حد المحصنين اذا زنيا فحكم بالرجم فقالوا جرت يا محمد فقال بينى وبينكم التوراة ثم أتوا بابن صوريا فقرأ التوراة فلما أتى على آية الرجم سترها بكفه فقام ابن سلام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله ﷺ وعلى اليهود فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله هذه الآية

بآيات الله) الناطقة بأن الدين عند الله هو الاسلام بأن لم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) أى فان الله يجازيه على كفره عن قريب فانه يأتى حسابه عن قريب (فان حاجوك) أى خاصمك اليهود والنصارى فى أن الدين عند الله الاسلام بعد قيام الحجة عليهم (فقل أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى أو عملى (لله) لا أشرك به فى ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى وأسلم من اتبعنى أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (والأميين) أى الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب (أأسلمتم) أى فهل أسلمتم بعد أن أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام أم أنتم على الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا (فان أسلموا) كما أسلمتم (فقد اهتدوا) للفوز والنجاة فى الآخرة (وان تولوا) عن الاسلام والاتباع لدينك لم يضروك شيئا (فانما عليك البلاغ) أى ابلاغ الأدلة واظهار الحجة فاذا بلغت ما جاءك عن الله فقد أديت ما عليك وليس عليك قبولهم (والله بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن فيجازى كلا منهم بعمله (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق) أى بلا جرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) أى فأعلمهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم روى عن أبى عبيدة ابن الجراح أنه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على أن القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الخوف تلى منزلته فى العظم منزلة الأنبياء وروى أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (أولئك) المتصفون بالصفات القبيحة (الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) أى بطلت محاسن أعمالهم فى الدارين أما بطلانها فى الدنيا فبابدال المدح بالذم والثناء باللعن وبما ينزل بهم من القتل والسبى وأخذ المال منهم غنيمة والاسترقاق لهم الى غير ذلك من الذل الظاهر فيهم وأما بطلانها فى الآخرة فبازالة الثواب الى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب الله فى احدى الدارين (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن عمرو والحرث بن زيد كما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس (يدعون الى كتاب الله) أى التوراة (ليحكم) أى كتاب الله (بينهم) وقرئ ليحكم على البناء للمفعول

ثم

(ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض طائفة منهم بنو قريظة والنضير من أهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) أى مكذبون بذلك روى عن ابن عباس أن رجلا وامرأة من اليهود زنيا فى خيبر وكانا ذوى شرف وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرجعوا فى أمرهما الى النبى ﷺ رجاء أن يكون عنده رخصة فى ترك الرجم فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان ابن أوفى وعدى بن عمر وجرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله ﷺ بينى وبينكم التوراة فان فيها الرجم فمن أعلمكم بالتوراة قالوا عبد الله بن صوريا الفدكى فأتوا به وأحضروا التوراة فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ فقال ابن سلام قد جاوز موضعها يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهودان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت حبلى تتربص حتى تضع مافى بطنها فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أى التولى والاعراض (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) أى لن تصيبنا فى الآخرة (الا أياما معدودات) أى سبعة أيام (وغرهم فى دينهم) أى فى ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أى فى يوم لا شك فى مجيئه (ووفيت كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من ثواب أو عقاب (وهم لا يظلمون) فلا ينقص أحد من ثواب الطاعات ولا يزاد على عقاب السيئات (قل اللهم مالك الملك) روى أن النبى ﷺ حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون منهم عبد الله بن أبى ابن سلول واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع فى ملك فارس والروم فنزلت هذه الآية وروى أنه ﷺ لما خط الخندق فى عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى النبى ﷺ ليخبره فذهب اليه فجاء رسول الله وأخذ المعول من سلمان فلما ضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها أى المدينة كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال ﷺ أضاء لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى منها قصور صنعاء وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون من نبيكم يعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الخوف فنزلت هذه الآية وروى أنها نزلت فى شأن قريش لقولهم لرسول الله ﷺ كسرى ينام على فرش الديباج فان كنت نبيا فأين ملكك (تؤتى الملك) أى تعطى الملك فى الدنيا (من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك ممن تشاء) منهم اما بالموت أو ازالة العقل أو ازالة القوى والحواس أو بورود التلف على الأموال أو بسلب الملك (وتعز من تشاء) بالايمان والحق وبالأموال الكثيرة من الناطق والصامت وبالقاء الهيبة فى قلوب الخلق (وتذل من تشاء) بالكفر والباطل (بيدك الخير) أى بقدرتك العز والذل والغنيمة والنصرة (انك على كل شئ) من ذلك (قدير تولج الليل) أى تدخل بعض الليل (فى النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتولج النهار فى الليل)

بسبب اغترارهم حيث (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) افتراؤهم وهو قولهم لن تمسنا النار وقد مضى هذا فى سورة البقرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) أى فكيف تكون حالهم اذا جمعناهم لجزاء يوم (لا ريب فيه ووفيت كل نفس) جزاء (ما كسبت وهم لا يظلمون) بنقصان حسناتهم أو زيادة سيئاتهم (قل اللهم مالك الملك) الآية لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات فأنزل الله تعالى هذه الآية وهو قوله (تؤتى الملك من تشاء) محمدا وأصحابه (وتنزع الملك ممن تشاء) أبى جهل وصناديد قريش (وتعز من تشاء) المهاجرين والأنصار (وتذل من تشاء) أبا جهل وأصحابه حتى حزت رءوسهم وألقوا فى القليب ببدر (بيدك الخير) أى عز الدنيا وعز الآخرة وأراد الخير والشر فاكتفى بذكر الخير لأن الرغبة اليه فى فعل الخير بالعبد دون الشر (تولج الليل فى النهار) أى تجعل ما نقص من أحدهما زيادة فى الآخر

أى تدخل بعض النهار فى الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحى من الميت) أى تخرج النسمة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحبة والطيب من الخبيث كالتوبة من الذنب والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبى جهل فالمسلم حى الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من الحى) أى تخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطير والحب اليابس من النبات الحى والخبيث من الطيب كالعجب من العبادة والكافر من المؤمن ككنعان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من تشاء بغير حساب) أى بلا تكلف ولا ضيق قال أبو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا يوال المؤمنون الكافرين لا استقلالا ولا اشتراكا مع المؤمنين وانما الجائز لهم قصر الموالاة والمحبة على المؤمنين بأن يوالى بعضهم بعضا فقط واعلم أن كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع لأن الرضا بالكفر كفر * وثانيها المعاشرة الجميلة فى الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع * وثالثها الركون الى الكفار والمعونة والنصرة اما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر الا أنه منهى عنه لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه وذلك يخرجه عن الاسلام فهذا هو الذى هدد الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أى الموالاة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين (فليس) أى الموالى (من الله فى شئ) أى ليس من ولاية الله فى شئ يطلق عليه اسم الولاية (الا أن تتقوا منهم تقاة) أى لا تتخذوا الكافرين أولياء ظاهرا أو باطنا فى حال من الأحوال الا حال اتقائكم من جهتهم اتقاء والمعنى ان الله نهى المؤمنين عن مداهنة الكفار الا أن يكون الكفار غالبين أو يكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات ومن غير أن يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع صحة النية روى عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان قال الحسن أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم نعم نعم فقال أفتشهد أنى رسول الله قال نعم فتركه ودعا الآخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أنى رسول الله فقال انى أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه (ويحذركم الله نفسه) أى ذاته المقدسة فى التقية عن دم الحرام وفرج الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) أى المرجع فاحذروه ولا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه والمعنى ان الله يحذركم عقابه عند مصيركم الى الله (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) أى ما فى قلوبكم من البغض والعداوة لمحمد ﷺ (أو تبدوه) أى تظهروه بالشتم له والطعن والحرب (يعلمه الله) أى يحفظه الله عليكم فيجازيكم به (ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله على كل شئ) من أهل السموات والأرض وثوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية فى حق المنافقين واليهود (يوم تجد كل نفس ما عملت من

---

(وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) أى تخرج الحيوان من النطفة وتخرج النطفة من الحيوان وتخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) يعنى بغير تقتير وتضييق (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى أنصارا وأعوانا من غير المؤمنين وسواهم نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يباطنون اليهود أى يألفونهم ويوالونهم (ومن يفعل ذلك) الاتخاذ (فليس من الله فى شئ) أى من دين الله أى قد برئ من الله وفارق دينه ثم استثنى فقال (الا أن تتقوا منهم تقاة) هذا فى المؤمن اذا كان فى قوم كفار وخافهم على نفسه وماله فله أن يخالفهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد مداراة ظاهرة (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم الله على موالاة الكفار عذاب نفسه فلما نهى عن ذلك خوف وحذر عن ابطان موالاتهم فقال (قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه) من ضمائركم فى موالاتهم وتركها (يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض) اتمام التحذير لأنه اذا كان لا يخفى عليه شئ فيهما فكيف يخفى عليه الضمير (والله على كل شئ قدير) تحذير من عقاب من لا يعجزه شئ أى ويحذركم الله عذاب نفسه (يوم تجد كل نفس) أى تجد فى ذلك اليوم وقوله (ما عملت من

خير

خير محضرا) أى مكتوبا فى ديوانها (وما عملت من سوء) أى من قبيح تجده مكتوبا فى ديوانها (تودلو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) أى والذى عملته نفس من سوء تتمنى تباعدا ما بين النفس وبين السوء مكانا بعيدا كما بين المشرق والمغرب لو أن بينها وبينه أجلا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها لفرحت بذلك (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية ذكر الله تعالى هذا أولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر (والله رءوف بالعباد) أى المؤمنين أى كما هو منتقم من الفساق فهو رءوف بالمطيعين والمحسنين (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) أى فاتبعوا دينى فانكم اذا اتبعتم دينى فقد أطعتم الله فالله تعالى يحب كل من أطاعه (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) أى ان اتبعتم شرعى يرض الله عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما سلف من ذنوبكم (والله غفور رحيم) لمن يتحبب اليه بطاعته نزلت هذه الآية فى حق اليهود لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نعظم المسيح حبا لله فنزلت هذه الآية ولما نزلت قال عبد الله بن أبى لأصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمد أن نتخذه ربا حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فأنزل الله بسبب قولهم قوله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول) أى فى جميع الأوامر والنواهى أى انما أوجب الله عليكم متابعتى لا كما تقول النصارى فى عيسى بل لكونى رسولا من عند الله (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعتهما (فان الله لا يحب الكافرين) أى اليهود والمنافقين الذين ألقوا الشبهة فى الدين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين فأنزل الله قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم) اسمعيل واسحق والانبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهارون وقيل عيسى وأمه حكاه الكرمانى ورجحه ابن عساكر والسهيلى (على العالمين) أى على أهل زمان كل واحد منهم بالاسلام وبالخصال الحميدة (ذرية بعضها من بعض) أى اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض فى النسب (والله سميع) لأقوال العباد (عليم) بضمائرهم وأفعالهم وانما يصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويقال والله سميع لمقالة اليهود نحن من ولد ابراهيم ومن آل عمران فنحن أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه ولمقالة النصارى المسيح ابن الله عليم بعقوبتهم واذكر يا محمد (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقوذا أم مريم حين شاخت وكانت يوما فى ظل شجرة فرأت طائرا يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت ربها أن يهب لها ولدا فحملت بمريم ومات عمران فلما عرفت بالحمل قالت يا (رب انى نذرت) أن أجعل (لك ما فى بطنى محررا) أى عتيقا من أمر الدنيا لطاعة الله ومخلصا للعبادة وخادما لمن يدرس الكتاب ويعلم فى مسجد بيت المقدس (فتقبل منى) أى خذ منى ما نذرته على وجه الرضا (انك أنت السميع) لتضرعى ودعائى وندائى (العليم) بما فى ضميرى وقلبى ونيتى (فلما وضعتها) أى ولدت المنذورة التى فى بطنها

---

خير محضرا) أى جزاء ما عملت بما ترى من الثواب (وما عملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمدا) أى غاية بعيدة كما بين المشرق والمغرب (قل ان كنتم تحبون الله) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم يسجدون للأصنام فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم فقالت قريش انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله فأنزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام لتقربكم الى الله (فاتبعونى يحببكم الله) فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم ومعنى محبة العبد لله ارادته طاعته وايثاره أمره ومعنى محبة الله للعبد ارادته لثوابه وعفوه عنه وانعامه عليه (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا) عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) أى لا يغفر لهم ولا يثنى عليهم (ان الله اصطفى آدم) بالنبوة والرسالة (ونوحا وآل ابراهيم) يعنى اسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط (وآل عمران) موسى وهرون (على العالمين) على عالمى زمانهم (ذرية) أى اصطفى ذرية (بعضها من بعض) أى من ولد بعض لان الجميع ذرية آدم ثم ذرية نوح (والله سميع) لما تقوله الذرية المصطفاة (عليم) بما تضمره فلذلك فضلها على غيرها (اذ قالت امرأة عمران) وهى حنة أم مريم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى) أوجبت على نفسى أن أجعل ما فى بطنى (محررا) أى عتيقا خالصا لله خادما للكنيسة مفرغا للعبادة ولخدمة الكنيسة وكان على أولادهم فرضا أن يطيعوهم فى نذرهم فتصدقت بولدها على بيت المقدس (فلما وضعتها

قالت رب انى وضعتها أنثى) أى اعتذرت بما فعلت من النذر لما ولدت أنثى (وليس الذكر كالأنثى) فى خدمة الكنيسة لما يلحقها من الحيض والنفاس (وانى أعيذها بك) أى أمنعها وأجيرها (من الشيطان الرجيم) أى الملعون المطرود (فتقبلها ربها بقبول حسن) أى رضيها مكان المحرر الذى نذرته (وأنبتها نباتا حسنا) أى فى صلاح ومعرفة بالله وطاعة له (وكفلها زكريا) أى ضمن القيام بأمرها فبنى لها محرابا فى المسجد لا يرتقى اليه الا بسلم والمحراب الغرفة وهو قوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) أى فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء تأتيها به الملائكة من الجنة فلما رأى زكريا ما أوتيت مريم من فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف على خلاف مجرى العادة طمع فى رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة وذلك قوله (هنالك) أى عند ذلك (دعا زكريا ربه قال

(قالت رب انى وضعتها) أى ما فى بطنى (أنثى والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وانما قالت ذلك للاعتذار ولازالة الشبهة التى فى قولها انى وضعتها أنثى فانها خافت أن يظن بذلك القول أنها تخبر الله تعالى وقرأ الباقون بسكون التاء أى انه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها بقدر ذلك الولد والمعنى والله أعلم بأن الذى ولدته وان كان أنثى أحسن وأفضل من الذكر وهى غافلة عن ذلك فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنثى) أى وليس الذكر الذى يكون مطلوبى كالأنثى التى هى موهوبة لله وهذا الكلام يدل على أن حنة كانت مستغرقة فى معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه ويحتمل أن هذه الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذى طلبته كالأنثى التى ولدتها بل هى خير منه وان لم تصلح للسدانة فان فيها مزايا أخر لا توجد فى الذكر (وانى سميتها) أى هذه البنت (مريم) أرادت حنة بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فان مريم فى لغتهم العابدة فى لغة العرب (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أى وانى ألجئ مريم وذريتها الى رحمتك وعصمتك وألصق نفسها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان اللعين (فتقبلها ربها بقبول حسن) بأن اختص الله تعالى مريم باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وقالت خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت امامهم الأعظم فى العلم والصلاح فقال زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندى فقالت الأحبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين الى نهر حار فى حلب يقال له قرمق فألقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون التوراة بها على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح وعلى كل قلم اسم صاحبه ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء وترسب أقلامهم فأخذها زكريا (وأنبتها نباتا حسنا) أى رباها الله بما يصلحها فى جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غذاء حسنا (وكفلها زكريا) أى جعله الله مربيا لها وضامنا لمصالحها وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة فى المسجد وجعل بابها فى وسطه لا يرقى اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره وكان اذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها (كلما دخل عليها زكريا) وهو من ذرية سليمان بن داود (المحراب) أى الغرفة (وجد عندها رزقا) أى فاكهة الشتاء فى الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف فى الشتاء مثل العنب ولم ترضع ثديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة (قال يا مريم أنى لك هذا) أى من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير حينه الذى لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أتانى به جبريل من الجنة فتكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) أى بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة فى حينه وفى غير حينه (هنالك) أى فى ذلك المكان الذى كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات أو فى ذلك الوقت الذى رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا ربه قال) فى مناجاته فى جوف الليل

(رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) أى رب أعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا كهبتك لحنة العجوز العاقر مريم (انك سميع الدعاء) أى مجيب الدعاء (فنادته الملائكة) أى جبريل كما أخرجه ابن جرير عن السدى (وهو قائم يصلى فى المحراب) أى فى الموضع العالى الشريف فى المسجد (أن الله يبشرك) بولد يسمى (بيحيى) قرأ ابن عامر وحمزة ان بكسر الهمزة والباقون بالفتح (مصدقا بكلمة من الله) أى بعيسى بن مريم ومعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب قال ابن عباس ان يحيى كان أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى بمدة يسيرة (وسيدا) أى رئيسا للمؤمنين فى العلم والحلم والعبادة والورع قال ابن عباس أى حليما عن الجهل وقال مجاهد أى كريما على الله (وحصورا) أى مانعا من النساء للعفة والزهد لا للعجز (ونبيا من الصالحين) أى من المرسلين (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) أى قال زكريا لجبريل ياسيدى من أين يكون لى ولد وقد أدركنى كبر السن (وامرأتى عاقر) أى عقيم لا تلد قال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ايشاع بنت فاقوذ بنت تسعين وثمان (قال) أى جبريل (كذلك) أى الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكما وأنتما على حالكما من الكبر (الله يفعل مايشاء) من الافاعيل الخارقة للعادة (قال) أى زكريا (رب اجعل لى آية) أى علامة فى حبل امرأتى (قال) أى الله تعالى (آيتك) أى علامتك فى حبل امرأتك (أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلياليها (الا رمزا) أى الا تحريكا بالشفتين والحاجبين والعينين واليدين (واذكر ربك) باللسان والقلب فى مدة الحبسة عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيرا) أى ذكرا كثيرا على كل حال (وسبح بالعشى والابكار) أى صل عشيا وغدوة كما كنت تصلى (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أى جبريل لمريم مشافهة (يامريم ان الله اصطفاك) بتفرغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية والعصمة والكفاية فى أمر المعيشة وسماع كلام جبريل شفاها (وطهرك) من المعصية ومسيس الرجال ومن الافعال الذميمة ومن مقالة اليهود وتهمتهم ويقال أنجاك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين) بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن السلام (يامريم اقنتى لربك) أى دومى على طاعته بأنواع الطاعات شكرا لذلك ويقال أطيلى القيام فى الصلاة شكرا لربك (واسجدى) أى صلى منفردة (واركعى مع الراكعين) أى صلى مع أهل الصلاة فى بيت المقدس فان اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال

رب هب لى من لدنك) أى من عندك (ذرية طيبة) أى نسلا مباركا تقيا فأجاب الله تعالى دعاءه وبعث اليه الملائكة مبشرين وهو قوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) يريد مصدقا بعيسى أنه روح الله وكلمته وسمى عيسى كلمة الله لأنه حدث عند قوله كن فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان (وسيدا) أى كريما على ربه (وحصورا) وهو الذى لا يأتى النساء ولا أرب له فيهن قال زكريا لما بشر بالولد (رب أنى يكون لى غلام) أى على أى حال يكون ذلك أتردنى الى حال الشباب وامرأتى أم مع حال الكبر (وقد بلغنى الكبر) أى بلغته لانه كان ذلك اليوم ابن عشرين ومائة سنة (وامرأتى عاقر) لا تلد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة قيل له (كذلك) أى مثل ذلك من الأمر وهو هبة الولد على الكبر يفعل الله مايشاء فسبحان من لا يعجزه شىء فلما بشر بالولد سأل الله علامة يعرف بها وقت حمل امرأته وذلك قوله (قال رب اجعل لى آية) فقال الله تعالى (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) جعل الله علامة حمل امرأته أن يمسك لسانه فلا يقدر أن يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا أى ايماء بالشفتين والحاجبين والعينين وكان مع ذلك يقدر على التسبيح وذكر الله وهو قوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى) أى وصل بالعشى وهو آخر النهار (والابكار) وهو ما بين طلوع الفجر الى الضحى (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل وحده (يامريم ان الله اصطفاك) بما لطف بك حتى انقطعت الى طاعته (وطهرك) أى من ملامسة الرجال والحيض (واصطفاك على نساء العالمين) أى على عالمى زمانها (يامريم اقنتى لربك) أى قومى للصلاة بين يدى ربك فقامت حتى سالت قدماها قيحا (واسجدى واركعى) أى ائتى بالسجود والركوع والواو لا تقتضى الترتيب (مع الراكعين) أى افعلى كفعلهم وقال مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لأنه أعم

(ذلك) أى ماقصصنا عليك من حديث زكرياء ومريم (من أنباء الغيب) أى أخبار الغيب (نوحيه اليك) أى نلقيه (ما كنت لديهم) فتعرف ذلك (اذ يلقون أقلامهم). وذلك أن حنة لما ولدت مريم أتت بها سدنة بيت المقدس



المفسرون لما ذكرت الملائكة هذه الكلمات على مريم شفاها قامت مريم فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح من قدميها (ذلك) الذى مضى ذكره من حديث حنة ومريم وزكريا (من أنباء الغيب) أى من أخبار الغائب عنك يا محمد (نوحيه اليك) أى نرسل جبريل بالقاء الغائب اليك (وماكنت لديهم) أى عند الذين تنازعوا فى تربية مريم (اذ يلقون أقلامهم) التى كانوا يكتبون بها الكتب فى جرى الماء ليعلموا (أيهم يكفل مريم) أى أى أحدهم يربى مريم وكان القراع على أن كل من جرى قلمه على عكس جرى الماء فالحق معه (وما كنت لديهم اذ يختصمون) أى وما كنت هناك اذ يتقارعون على تربية مريم واذ يختصمون بسببها (اذ قالت الملائكة) أى جبريل (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أى بولد يكون مخلوقا بكلمة من الله أى من غير واسطة الأسباب العادية فان غير عيسى من كل علوق وان وجد بكلمة كن لكنه بواسطة أب (اسمه) أى الولد (المسيح) سمى بالمسيح لأنه يسيح فى البلدان ولأنه مامسح بيده ذاعاهة الابرئ من مرضه (عيسى بن مريم) وانما نسبه الله تعالى الى الأم اعلاما لها بأنه محدث بغير الأب فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجيها) أى ذا جاه وشرف (فى الدنيا) بالنبوة و باحياء الموتى و بابراء الأكمه والأبرص بسبب دعائه (والآخرة) بجعله شفيع أمته و بقبول شفاعته فيهم و بعلو درجته عند الله تعالى (ومن المقربين) الى الله فى جنة عدن وهذا الوصف كالتنبيه على أن عيسى سيرفع الى السماء وتصاحبه الملائكة (ويكلم الناس فى المهد) أى فى حجر أمه وهو ابن أربعين يوما بقوله انى عبد الله (وكهلا) أى بعد ثلاثين سنة أى أن عيسى يكلم الناس مرة واحدة فى حجر أمه لاظهار طهارة أمه من الفاحشة ثم عند الكهولة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أى من المرسلين (قالت رب أنى يكون لى ولد) أى قالت مريم لجبريل ياسيدى من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) بالحلال ولا بالحرام لأن المحررة لاتتزوج أبدا كالذكر المحرر (قال) أى جبريل (كذلك) أى الأمر كما قلت لك من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا) أى اذا أراد خلق شئ (فانما يقول له كن) لاغير (فيكون) من غير ريث فنفخ جبريل فى جيب درعها فوصل نفسه الى فرجها فدخل رحمها فحملت منه (ويعلمه الكتاب) قرأ نافع وعاصم يعلمه بالياء معطوف على الحال وهى قوله وجيها فكأن جبريل قال وجيها ومعلما أو على يبشرك والباقون ونعلمه بالنون معمول لقول محذوف من كلام الملك تقديره وجيها ومقولا فيه نعلمه أو أن الله يبشرك بعيسى و يقول نعلمه كتب الأنبياء والكتابة أى الخط (والحكمة) أى العلم المقترن بالعمل وتهذيب الاخلاق (والتوراة والانجيل) وخصا بالذكر لفضلهما (و) نبعثه (رسولا الى بنى اسرائيل) أى كلهم وقيل هو معطوف على الاحوال السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلة والمعتمد عند الجمهور أن عيسى انما نبئ على رأس الأربعين وأنه عاش فى الأرض قبل رفعه مائة وعشرين سنة وهو آخر أنبياء بنى اسرائيل كما أن أولهم يوسف بن يعقوب (أنى قد جئتكم) بفتح الهمزة مجرور بالياء المقدرة التى للملابسة المتعلقة بمحذوف حال من رسول المقدر لما فيه من معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم انى رسول الله

وقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار حتى اقترعوا عليها فخرجت القرعة لزكريا فذلك قوله اذ يلقون أقلامهم أى قداحهم التى كانوا يقترعون بها لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم (اذ قالت الملائكة) يعنى جبريل (يامريم ان الله يبشرك بكلمة) يعنى عيسى لأنه فى ابتداء أمره كان كلة من الله وكون بكلمة (منه) أى من الله (اسمه المسيح) وهو معرب من مشيحا بالسريانية لقب لعيسى ثم فسروبين من هو فقال (عيسى بن مريم وجيها) أى ذا جاه وشرف وقدر (فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) الى ثواب الله وكرامته (ويكلم الناس فى المهد) أى صغيرا (وكهلا) ويتكلم بالنبوة كهلا وقيل بعد نزوله من السماء (ومن الصالحين) يريد مثل موسى واسرائيل واسحق وابراهيم (قالت) مريم متعجبة (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) أى من غير مسيس بشر

(قال كذلك الله يخلق مايشاء) مثل ذلك من الأمر وهو خلق الولد من غير مسيس (اذا قضى أمرا) مذكور فيكم فى سورة البقرة الى آخرها (ونعلمه الكتاب) أراد الكتابة والخط وقوله (ورسولا الى بنى اسرائيل) أى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل (أنى) أى بأنى (قد جئتكم

فيكم ملتبسا بانى قدجئتكم (بآية) أى بعلامة على صدقى فى الرسالة (من ربكم) قالوا وما هى قال
هى (أنى أخلق) أى أصور (لكم من الطين كهيئة الطير) أى شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه)
أى فى فم ذلك المماثل لهيئة الطير (فيكون) أى فيصير (طيرا) حيا يطير بين السماء والأرض
(باذن الله) أى بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة
لأن له نابا وأسنانا و يضحك كما يضحك الانسان و يطير بغير ريش ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى
ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والانثى منه لها ثدى
وتحيض وتطهر وتلد فلما صور لهم خفاشا قالوا هذا سحر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ الأكمه)
بالدعاء أى وأصحح الذى ولد أعمى أو الممسوح العينين (والأبرص) وهو الذى فى جلده بياض شديد
فلما فعل ذلك قالوا هذا سحر فهل عندك غيره قال نعم (وأحيي الموتى باذن الله) أى بالاسم الاعظم
وهو ياحى ياقيوم فأحيا أربعة أنفس أحيا عازرا بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولد له وأحيا ابن
العجوز وهو ميت محمول على السرير فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله وعاش وولد له وأحيا بنت
العاشر أى الذى يأخذ العشور من الناس بعد يوم من موتها فعاشت وولد لها فقالوا لعيسى انك تحيي
من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا حقيقة بل أصابهم سكتة فأحى لنا سام بن نوح وهو قد
مضى من موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقام على قبره فدعا الله باسمه الأعظم فقام من قبره وقال
للقوم صدقوه فانه نبى الله ومات فى الحال فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فهل عندك
غيره قال نعم (وأنبئكم بما تأكلون) غدوة وعشية (وما تدخرون) أى ترفعون من غداء لعشاء ومن
عشاء لغداء (فى بيوتكم) مما لم أعاينه (ان فى ذلك) أى فى ما قلت لكم من هذه الخمسة (لآية) أى
لمعجزة قوية دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (لكم ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين انتفعتم بها
(ومصدقا لما بين يدى) أى لما قبلى (من التوراة) و بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة
وخمس وسبعون سنة ومصدقا معطوف على رسولا (و) جئتكم (لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فى
شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب للبقر والغنم ولحوم الابل ومما لا صيصية له من
السمك والطير ومن العمل فى يوم السبت وهذا لا يقدح فى كونه مصدقا للتوراة لأن النسخ
تخصيص فى الازمان (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وقرئ بآيات (فاتقوا الله) فى
عدم قبولها (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه عن الله تعالى (ان الله ربى و ربكم) وانما أظهر
سيدنا عيسى الخضوع وأقر بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا انه اله وابن اله لأن اقراره
بالعبودية لله يمنع مما تدعيه جهال النصارى عليه (فاعبدوه) أى لازموا طاعته التى هى الاتيان
بالأوامر والانتهاء عن المناهى أى لما كان الله تعالى رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه
وقوله تعالى ان الله ربى و ربكم اشارة الى أن استكمال القوة النظرية بالتوحيد وقوله فاعبدوه
اشارة الى أن استكمال القوة العملية بالطاعة (هذا) أى الجمع بين التوحيد والعبادة (صراط مستقيم)
أى دين قائم يرضاه الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم
استقم لرجل قال يارسول الله مرنى بأمر فى الاسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك (فلما أحس عيسى منهم
الكفر) أى فلما سمع عيسى بأذنه من بنى اسرائيل تكرار الكفر وطلبوا قتله لأنهم كانوا عارفين
بأنه هو المسيح المبشر به فى التوراة وأنه ينسخ دينهم (قال) لأصفياء أصحابه (من أنصارى الى
الله) أى من أنصارى حال التجائى الى الله و يقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الحواريون)

بآية من ربكم) وهى (أنى أخلق) أى أقدر وأصور (كهيئة الطير) أى كصورته (وأبرئ الأكمه) وهو الذى ولد أعمى والأبرص وهو الذى به وضح (وأنبئكم بما تأكلون) فى غدوكم (وتدخرون) لباقى يومكم (ومصدقا) أى وجئتكم مصدقا (لما بين يدى) أى الكتاب الذى أنزل قبلى (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) أحل لهم على لسان المسيح لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان مما كان محرما فى شريعة موسى (وجئتكم بآية من ربكم) يعنى ما كان معه من المعجزات الدالة على رسالته ووحد لانها كلها جنس واحد فى الدلالة (فلما أحس عيسى) أى علم ورأى (منهم الكفر) وذلك أنهم أرادوا قتله حين دعاهم الى الله فاستنصر عليهم (قال من أنصارى الى الله) أى مع الله (قال الحواريون) وكانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها آمنوا بعيسى واتبعوه

أى القصارون أى الذين يبيضون الثياب (نحن أنصار الله) أى نحن أعوانك مع الله على أعدائه قيل كانوا تسعة وعشرين سمى منهم قطرس ويعقوب ولحيس وايدارانيس وقيلس وابن تلماومتنا وبوقاس ويعقوب بن حليفا وبداوسيس وقياسا وبودس وكدمابوطا وسرجس وهو الذى ألقى عليه شبهه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الحواريون اثنى عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا اجعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا اعطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين أى ان اليهود لما طلبوا عيسى عليه السلام للقتل وكان هو فى الهرب عنهم قال لأولئك الاثنى عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فأجابه الى ذلك بعضهم (آمنا بالله) فهذا استئناف يجرى مجرى العلة لما قبله والمعنى يجب علينا أن نكون من أنصار الله لأجل اننا آمنا بالله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أولياء الله والمحاربة مع أعدائه (واشهد) ياسيدنا عيسى (بأنا مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد لله وذلك اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الأنبياء صلوات الله عليهم واشهاد لله أيضا على أنفسهم بذلك فلما أشهدوا عيسى على ايمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت) من الكتاب أى الانجيل (واتبعنا الرسول) أى دين رسول الله عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) أى اكتبنا فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق وقال ابن عباس فاكتبنا فى زمرة الأنبياء لان كل نبى شاهد لقومه أو فاكتبنا مع محمد وأمته لانهم هم المخصوصون بأداء الشهادة (ومكروا) أى أراد اليهود قتل عيسى (ومكر الله) أى أراد الله قتل صاحبهم تطيانوس وقيل مكرهم بعيسى همهم بقتله ومكر الله تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لايفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره فأخذ وصلب (والله خير الماكرين) أى أقوى المريدين ويقال أفضل الصانعين روى عن ابن عباس ان ملك بنى اسرائيل اسمه يهوذا لما قصد قتل عيسى أمره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم يقال له تطيانوس ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فلم ير عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه فخرج يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) أى مستوفى أجلك المسمى وعاصمك من أن يقتلك الكفار (ورافعك الى) من الارض الى محل كرامتى والى محل ثوابك (ومطهرك من الذين كفروا) بك أى منجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أى الذين آمنوا بأنك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتك وادعوا محبتك كالنصارى (فوق الذين كفروا) بك وهم اليهود بالحجة والسيف والقهر والسلطان والاستعلاء والنصرة (الى يوم القيامة) فان ملك اليهود قد ذهب فلم تبق لهم قلعة ولا سلطان ولا شوكة فى جميع الارض بل يكونون مقهورين أين ما كانوا بالذلة والمسكنة وملك النصارى باق قائم الى قريب من قيام الساعة فانا نرى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود وذكر محمد بن اسحق أن اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى

(نحن أنصار الله) أى أنصار دينه (آمنا بالله واشهد) ياعيسى (بأنا مسلمون) وقوله (فاكتبنا مع الشاهدين) أى مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق والمعنى أثبت أسماءنا مع أسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا (ومكروا) أى سعوا فى قتله بالمكر (ومكر الله) أى جازاهم الله على مكرهم بالقاء شبه عيسى على من دل عليه حتى أخذ وصلب (والله خير الماكرين) أى أفضل المجازين بالسيئة العقوبة لانه لا أحد أقدر على ذلك منه (اذ قال الله ياعيسى) المعنى ومكر الله اذ قال الله ياعيسى (انى متوفيك) أى قابضك من غير موت موافيا الى تاما أى لم ينالوا منك شيئا (ورافعك الى) أى الى أسمائى ومحل كرامتى فجعل ذلك رفعا اليه للتفخيم والتعظيم كقوله انى ذاهب الى ربى وانما ذهب الى الشام والمعنى الى أمر ربى (ومطهرك من الذين كفروا) أى مخرجك من بينهم (وجاعل الذين اتبعوك) وهم أهل الاسلام من هذه الأمة اتبعوا دين المسيح وصدقوه بأنه رسول الله فوالله ما تبعه من دعاه ربا (فوق الذين كفروا) بالبرهان والحجة والعز والغلبة

عليه السلام الى السماء فشمسوهم وعذبوهم فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية فى الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو قد صار نصرانيا الا انه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بمقدار أربعين سنة ولم يترك فى مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وقصد قتله (ثم الى مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أى تخاصمون فى الدين (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالقتل والسبى والجزية والذلة (والآخرة) بالنار (وما لهم من ناصرين) أى مانعين من عذاب الله فى الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب وبنبوة عيسى وبنبوة محمد (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيوفيهم أجورهم) أى فيوفرهم أجور أعمالهم فى الجنة (والله لا يحب الظالمين) أى لا يريد ايصال الخير الى المشركين وقرأ حفص عن عاصم فيوفيهم بالياء والفاعل راجع الى الله والباقون بالنون (ذلك) أى خبر عيسى (نتلوه عليك) أى ننزل عليك جبريل به (من الآيات) أى من آيات القرآن أو من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك (والذكر الحكيم) أى الذى ينطق بالحكمة أو المحكم فان القرآن ممنوع من تطرق الخلل اليه * وروى انه حضر وفد نجران على رسول الله ﷺ فقالوا له ماشأنك تذكر صاحبنا وتسبه فقال من هو قالوا عيسى قال وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب ومن لا أب له فهو ابن الله ثم خرجوا من عنده ﷺ فجاءه جبريل فقال قل لهم اذا أتوك (ان مثل عيسى عند الله) أى ان صفة تخلق عيسى فى تقدير الله وحكمه بلا أب (كمثل آدم) أى كصفة قالب آدم (خلقه من تراب) بلا أب وأم (ثم قال له) أى لآدم (كن فيكون) أى نفخ فيه الروح وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ولدا بلا أب فاذا كان آدم كذلك ولم يكن ابنا لله فكذلك عيسى فمن لم يقر بأن الله خلق عيسى من غير أب مع اقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو خارج عن طور العقلاء وأيضا اذا جاز أن يخلق الله آدم من التراب فجواز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان تولد الحيوان من الدم الذى يجتمع فى رحم الأم أقرب الى العقل من تولده من التراب اليابس (الحق) أى الذى أنزل عليك من خبر عيسى انه لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من النصارى واليهود فالنصارى قالوا ان مريم ولدت إلها واليهود رموا مريم بالافك ونسبوها الى يوسف النجار (فلا تكن من الممترين) أى من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب والخطاب للنبى ﷺ تحريكا له لزيادة ثباته على اليقين ولكل سامع لينزع عما يورث الامتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد نجران مع النبى ﷺ بعدما بين لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله تعالى (فمن حاجك) أى خاصمك من نصارى نجران (فيه) أى فى شأن عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) أى من الدلائل الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم

(ذلك) أى ماتقدم من النبأ عن عيسى ومريم (نتلوه عليك) أى نخبرك به (من الآيات) أى العلامات الدالة على رسالتك لأنها اخبار عن أمور لم يشاهدها ولم يقرأها من كتاب (والذكر الحكيم) يعنى القرآن المحكم من الباطل وقيل الحاكم أى المانع من الكفر والفساد (ان مثل عيسى) الآية نزلت فى وفد نجران حين قالوا للنبى ﷺ هل رأيت ولدا من غير ذكر فاحتج الله عليهم بآدم والمعنى أن قياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم بل الشأن فيه أعجب لأنه خلق من غير ذكر ولا أنثى وقوله (عند الله) أى فى الانشاء والخلق وتم الكلام عند قوله (كمثل آدم) ثم استأنف خبرا آخر من قصة آدم فقال (خلقه من تراب) أى قالبا من تراب (ثم قال له كن) بشرا (فيكون) بمعنى كان (الحق من ربك) أى الذى أنبأتك من خبر عيسى بالحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أى الشاكين الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به نهى غيره عن الشك (فمن حاجك) أى خاصمك (فيه) أى فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أى هلموا (ندع أبناءنا وأبناءكم) لما احتج الله تعالى على النصارى من طريق القياس بقوله ان مثل عيسى الآية أمر النبى ﷺ

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا) أى نخرج بأنفسنا (وأنفسكم) أى اخرجوا بأنفسكم (ثم نبتهل) أى نجتهد فى الدعاء ونخلصه أو نلاعن بيننا و بينكم (فنجعل لعنة الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله فى حق عيسى وهم من يقولون ان عيسى بن الله أو انه إله * روى انه ﷺ لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصروا على جهلهم فقال ﷺ ان الله أمرنى ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا ياأبا القاسم حتى نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما رجعوا الى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأيهم ياعبد المسيح ماترى فقال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا الاقامة على دينكم والاصرار على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد خرج من بيته الى المسجد وعليه مرط من شعر أسود محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول لهؤلاء الأربعة اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ثم قالوا ياأبا القاسم رأينا أنا لا نباهلك وان نثبت على ديننا فقال رسول الله ﷺ فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال فانى أناجزكم القتال فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك فى كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب وثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله على ذلك (ان هذا) الذى ذكرت من الدلائل التى دلت على ان عيسى لم يكن ابن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدعاء الى المباهلة مع وفد نجران (لهو القصص الحق) دون أكاذيب النصارى (ومامن إله الا الله) بلا شريك ولا ولد ولا زوجة (وان الله لهو العزيز) أى الغالب الذى لا يمتنع القادر على جميع المقدورات (الحكيم) أى العالم بجميع المعلومات و بجميع عواقب الأمور وفى ذكر العزيز الحكيم ههنا اشارة الى الجواب عن النصارى فى الشبهتين لعيسى القدرة على الاحياء ونحوه وأخبار الغيوب (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) أى فان أبوا عن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من أن الله هو الواحد وأنه يجب أن يكون عالما قادرا على جميع المقدورات عالما بالنهايات محيطا بالمعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك ومع قولهم ان اليهود قتلوه فاعلم أن اباءهم واعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض أمرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما فى قلوبهم من الأغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم (قل ياأهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى شأن نصارى نجران كما قاله ابن عباس وذلك لأن النبى ﷺ لما ذكر على نصارى نجران أنواع الدلائل أولا ثم دعاهم الى المباهلة ثانيا فخافوا وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان ﷺ حريصا على ايمانهم فعدل الى رعاية الانصاف وترك المجادلة فكأنه تعالى قال يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعدل الى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال وقل ياأهل الكتاب أى يامعشر النصارى (تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم) أى هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لاميل فيه لأحد على صاحبه وقيل نزلت فى حق يهود المدينة وقيل نزلت فى شأن الفريقين وذلك لما قدم وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا فى دين ابراهيم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وأنهم على دينه وأولى الناس به

أن يحتج عليهم من طريق الاعجاز فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ وفد نجران الى المباهلة وهى الدعاء على الظالم من الفريقين وخرج رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا فذلك قوله (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) يعنى بنى العم (ثم نبتهل) أى نتضرع فى الدعاء وقيل ندعو بالبهلة وهى اللعنة فندعو الله باللعنة على الكاذبين فلم تجبه النصارى الى المباهلة خوفا من اللعنة وقبلوا الجزية (ان هذا) الذى أوحيناه اليك (لهو القصص الحق) أى الخبر الصدق (فان تولوا) أى أعرضوا عما أتيت به من البيان (فان الله عليم بالمفسدين) أى يعلم من يفسد من خلقه فيجازيه على ذلك (قل ياأهل الكتاب) يعنى يهود المدينة ونصارى نجران (تعالوا الى كلمة) ومعنى الكلمة كلام فيه شرح قصة (سواء) أى عدل (بيننا وبينكم) ثم فسر الكلمة فقال

(ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) أى لا نعبد معه غيره (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما اتخذت النصارى عيسى و بنو اسرائيل عزيرا وقيل لا نطيع فى معصية الله كما قال الله فى صفتهم لما أطاعوا فى معصيته علماءهم اتخذوا أحبارهم الآية (فان تولوا) أى أعرضوا عن الاجابة (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى مقرون بالتوحيد (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم) نزلت لما تنازعت اليهود والنصارى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى ابراهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا وقوله (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) يعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول الكتابين وانما نزلا بعد مهلكه بزمان طويل (أفلا تعقلون) فساد هذه الدعوى (ها أنتم) يعنى أأنتم (هؤلاء) ياهؤلاء (حاججتم) أى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى ماوجدوه فى كتبهم وأنزل عليهم بيانه وقصته (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من شأن ابراهيم وليس فى كتابكم أنه كان يهوديا أونصرانيا (والله يعلم) شأن ابراهيم (وأنتم لا تعلمون) ثم بين حال ابراهيم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) ثم جعل المسلمين أحق الناس به فقال (ان أولى الناس بابراهيم) أى أقربهم اليه وأحقهم به (للذين اتبعوه) أى على دينه وملته (وهذا النبى) محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) أى فهم الذين ينبغى أن يقولوا انا على دين ابراهيم

وقالت اليهود بل كان يهوديا ونحن على دينه وأولى الناس به فقال النبى صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن نقول فيك ما قالت اليهود فى عزير فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أى يا معشر اليهود والنصارى هلموا الى قصة عادلة مستقيمة بيننا و بينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب فاذا آمنا نحن وأنتم بها كنا على السواء والاستقامة ثم فسر الكلمة بقوله (أن لا نعبد الا الله) أى أن نوحده بالعبادة ونمحضه بها (ولا نشرك به شيئا) أى ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نعتقده أهلا لان يعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أى لا يطيع أحدنا أحدا من الرؤساء فى معصية الله تعالى وفيما أحدثوا من التحريم والتحليل ولا نقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله لانهما بشران مثلنا (فان تولوا) أى أبوا الا الاصرار على الشرك (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى فأظهر أنت والمؤمنون بأنكم على هذا الدين وقولوا اعترفوا بأنا مقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى دونكم فقد لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك و بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أى يا معشر اليهود والنصارى (لم تحاجون فى ابراهيم) أى لم تخاصمون فى دين ابراهيم ولم تدعون أن ابراهيم عليه السلام كان منكم (وما أنزلت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الا من بعده) أى من بعد ابراهيم بزمن طويل اذ كان بين ابراهيم وموسى ألف سنة و بين موسى وعيسى ألفا سنة و بعد نزول التوراة حدثت اليهودية و بعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تعقلون) أى أتدعون أن ابراهيم منكم فلا تعقلون بطلان ادعائكم (ها أنتم هؤلاء حاججتم) أى ها أنتم يا هؤلاء اليهود والنصارى خاصمتم (فيما لكم به علم) فى كتابكم أن ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وأن محمدا نبى مرسل وهو موجود فى كتابكم بنعته فأنكرتم ذلك (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فى كتابكم لانه ليس لدين ابراهيم ذكر فى كتابكم أصلا ولم تدعون أن شريعة ابراهيم مخالفة لشريعة محمد ﷺ (والله يعلم) كيف كانت حال هذه الشرائع فى المخالفة والموافقة (وأنتم لا تعلمون) كيفية تلك الأحوال ثم بين الله تعالى ذلك مفصلا وكذبهم فيما ادعوه من موافقة ابراهيم لهما فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) أى ليس ابراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفا) أى مائلا عن الأديان الباطلة كلها (مسلما) أى على ملة التوحيد لا على ملة الاسلام الحادثة (وما كان من المشركين) وهذا تعريض بكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله ورد على المشركين فى ادعائهم أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام (ان أولى الناس بابراهيم) أى ان أقرب الناس الى دين ابراهيم وأخصهم به (للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) محمد (والذين آمنوا) بمحمد فهم الذين يليق أن يقولوا نحن على دينه لان غالب شرع محمد موافق لشرع ابراهيم أى ان أحق الناس بدين ابراهيم فريقان أحدهما من

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) أراد اليهود أن يستنزلوا المسلمين عن دينهم و يردوهم الى الكفر فنزلت هذه الآية (وما يضلون الا أنفسهم) لان المؤمنين لايقبلون قولهم فيحصل الأثم عليهم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) أن هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين (ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أي بالقرآن (وأنتم تشهدون) بما يدل على صحته من كتابكم لان فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وذكره (ياأهل الكتاب لم تلبسون) مضى في سورة البقرة (وقالت طائفة من أهل الكتاب) الآية وذلك أن جماعة من اليهود قال بعضهم لبعض أظهروا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن في أول النهار وارجعوا عنه في آخر النهار فانه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينهم و يشكوا فيه اذا قلتم نظرنا في كتابنا فوجدنا محمدا ليس كذلك فأطلع الله نبيه على سر اليهود ومكرهم بهذه الآية (ولا تؤمنوا) هذا كلام من اليهود بعضهم لبعض قالوا لا تصدقوا ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى والفضائل والكرامات (الا لمن تبع دينكم) اليهودية وقام بشرائعه وقوله (قل ان الهدى هدى الله) اعتراض بين المفعول وفعله وهو من كلام الله وليس من كلام اليهود بذلك ومعناه ان الدين دين الله وقوله (أو يحاجوكم) عطف على قوله أن يؤتى والمعنى ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم (عند ربكم) لانكم أصح دينا منهم ولا تكون لهم الحجة عليكم فقال الله تعالى

اتبعه من أمته وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (والله ولي المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم ومكرمهم ثم ذكر دعوة كعب بن الأشرف وأصحابه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة وعمار بعد يوم أحد الى دينهم اليهودية عن دين الاسلام فقال (ودت طائفة) أي تمنت (من أهل الكتاب لو يضلونكم) أي أن يضلوكم عن دينكم الاسلام (وما يضلون) عن دين الله (الا أنفسهم) لان المؤمنين لايقبلون قولهم فيحصل عليهم الأثم بتمنيهم اضلال المؤمنين وهم صاروا خائبين حيث اعتقدوا شيئا ولاح لهم أن الأمر بخلاف ماتصوروه (وما يشعرون) ان هذا نصرهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين (ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) وهي الواردة في التوراة والانجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بأن الدين هو الاسلام و بأن ابراهيم كان حنيفا مسلما (وأنتم تشهدون) صحتها اذا خلا بعضكم مع بعض وتنكرون اشتمال التوراة والانجيل على الآيات الدالة على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور المسلمين أو المعنى لم تكفرون بالقرآن فانكم تنكرون عند العوام كونه معجزا وأنتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه معجزا (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) أي لم تخلطون المنزل من التوراة بالمحرف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن زيد أو لم تشككون الناس باظهار الاسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن ابن عباس وقتادة وقرئ تلبسون بتشديد الباء وقرأ يحيى بن وثاب يلبسون بفتح الياء أي تكتسون الحق مع الباطل (وتكتمون الحق) أي الآيات الموجودة في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) أنكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون أن عقاب من يفعل مثل هذه الأفعال عظيم أي أنتم أرباب العلم والمعرفة (وقالت طائفة من أهل الكتاب) هم اثنا عشر حبرا من أحبار يهود خيبر لسفلتهم منهم عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحرث وكعب وأصحابه من الرؤساء (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) بمحمد أي آمنوا ببعض القرآن أي بالقبلة التي صلى اليها محمد وأصحابه (وجه النهار) أي أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الأخرى التي صلوا اليها (آخره) صلاة الظهر فانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس بعد أن قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا أن يكون منهم فلما حوله الله تعالى الى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف لأصحابهما آمنوا بالذي أنزل على محمد في شأن القبلة وصلوا اليها أول النهار ثم ارجعوا الى قبلتكم وصلوا الى الصخرة آخر النهار (لعلهم) أي أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقبلته (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) أي ولا تأتوا بذلك الايمان الا لأجل من تبع دينكم فان مقصود كل واحد حفظ أتباعه على متابعته أي غرضهم بالاتيان بذلك التلبيس ابقاء أتباعهم على دينهم أو المعنى لا تصدقوا بالنبوة الا من وافق دينكم اليهودية وقبلتكم بيت المقدس فأما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله وهو الاسلام والقبلة قبلة الله وهي الكعبة (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تنكروا يامعشر اليهود أن يعطى أحد سواكم من الدين والقبلة مثل ما أعطيتموه أو أن يحاجج المسلمون اياكم

(قل ان الفضل بيد الله) يعنى ماتفضل به عليك وعلى أمتك (يختص برحمته) أى بدينه الاسلام (من يشاء والله ذو الفضل) على أوليائه
(العظيم) لأنه لاشئ أعظم عند الله من الاسلام ثم أخبر عن  اختلاف أحوالهم فى الامانة والخيانة بقوله

بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بهمزتين مع قصر الأولى وتسهيل الثانية على الاستفهام الذى للانكار والتوبيخ والمعنى أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ماأوتيتم من الشرائع ينكرون اتباعه وهذا الوجه مروى عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية مافى هذا الباب أنه يفتقر فى هذا التأويل الى اضمار مادة الانكار لأن عليه دليلا وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله كان له تعالى أن يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان الأمر كذلك لزم ترك الانكار (قل ان الفضل) بالرسالة والنبوة والاسلام وقبلة ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتيه من يشاء) أى يعطيه محمدا وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا وجه النهار وكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين فى صحة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى أن مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة قوة ولا أثر وثانيهما أنهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ماأوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (والله واسع) أى كامل القدرة فيقدر أن يتفضل على أى عبد شاء بأى تفضل شاء (عليم) أى كامل العلم فلا يكون شئ من أفعاله الا على وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) التى بلغت فى الشرف وعلو المرتبة الى أن تكون أعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلا نهاية لمراتب اعزاز الله واكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب) أى اليهود (من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) بغير تعب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) بل يستحله (الامادمت عليه قائما) أى مطالبا مخاصما ككعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع رجل قرشى عبدالله بن سلام ألفا ومائتى أوقية من ذهب فأداه اليه وأودع قرشى آخر فنحاص بن عازوراء فخانه فنزلت هذه الآية * تنبيه * معنى الباء الصاق الامانة كما أن معنى على فى قولك أمنته على كذا استعلاء الامانة فمن ائتمن على شئ فقد صار ذلك الشئ فى معنى الملتصق به وصار المودع كالمستعلى على تلك الامانة (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) أى ذلك الاستحلال والخيانة مستحق بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل أى قدرة على المطالبة والالزام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا أو المعنى ليس علينا فى أخذ أموال العرب سبيل أى اثم فانهم قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولاحرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الخيانة مع المخالف مذكور فى التوراة وكانوا كاذبين فى ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت خيانته أعظم وجرمه أفحش (بلى) على اليهود فى العرب سبيل وهذا رد على اليهود ولكن (من أوفى بعهده) فيما بينه و بين الله أو بينه و بين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالخيانة وترك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة فى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا لان ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله وذلك أمر الله فالوفاء بالعهد تعظيم لامر الله ثم الوفاء كما يكون فى حق الغير يكون فى حق النفس فالوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعات والتارك للمحرمات (ان الذين يشترون بعهد الله) أى من جميع ماأمر الله به

(ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) يعنى عبد الله بن سلام أودع ألفا ومائتى أوقية من ذهب فأدى الأمانة فيه الى من ائتمنه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لايؤده اليك) يعنى فنحاص ابن عازوراء أودع دينارا فخانه (الامادمت عليه قائما) أى على رأسه بالاجتماع معه فان أنظرته وأخرته أنكر (ذلك) الاستحلال والخيانة (بأنهم) يقولون ليس علينا مما أصبنا من مال العرب شئ لأنهم مشركون فالاميون فى هذه الآية العرب كلهم ثم كذبهم الله تعالى فى هذا فقال (ويقولون على الله الكذب) لأنهم ادعوا أن ذلك فى كتابهم وكذبوا فان الامانة مؤداه فى كل شريعة (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم رد عليهم قولهم ليس علينا فى الأميين سبيل بقوله (بلى) أى بلى عليهم سبيل فى ذلك ثم ابتدأ فقال (من أوفى بعهده) أى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد والقرآن وأداء الامانة (واتقى)


الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى
من كان بهذه الصفة (ان الذين يشترون بعهد الله) نزلت فى رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ضيعة فهم المدعى عليه

وممايلزم الشخص نفسه (وأيمانهم) وهى الحلف التى يؤكد بها الانسان خبره من وعد أو وعيد أوانكار أو اثبات (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لاخلاق) أى لانصيب (لهم فى) خير (الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولايزكيهم) أى لايطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب أليم) أى وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم نزلت هذه الآية فى حق عبدان بن الاشوع وامرىء القيس اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فتوجهت اليمين على امرىء القيس فقال أنظرنى الى الغد ثم جاء فى الغد وأقر له بالأرض وقيل نزلت فى شأن الاشعث بن قيس كان بينه و بين رجل خصومة فى أرض و بئر اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينتك فقال ليس لى بينة فقال للاشعث فعليك باليمين فهم الاشعث باليمين فأنزل الله تعالى هذه الآية فنكل الاشعث عن اليمين ورد الأرض الى الخصم واعترف بالحق وهذا قول ابن جريج وقيل نزلت فى شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن أخطب وأبى رافع ولبابة بن أبى الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأخذوا الرشوة على ذلك وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشا كما قاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا فى ادعائهم أنه ليس علينا فى الاميين سبيل وحلفوا أنه من عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على أنها نزلت فى أقوام حلفوا بالأيمان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أى من اليهود (لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى طائفة يحرفون اللفظة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمير (لتحسبوه) وقرىء شاذة بالياء (من الكتاب) أى لكى يظن السفلة أو المسلمون أن المحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أي والحال ان المحرف ليس من التوراة فى نفس الأمر وفى اعتقادهم (ويقولون هو) أى المحرف (من عند الله) أى موجود فى كتب سائر الأنبياء مثل شعياء وأرخياء وحيقوف (وما هو من عند الله) فالأغمار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك المحرف الى أنه من التوراة والاذكياء زعموا أنه موجود فى كتب سائر الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليهم السلام وعلم من هذا التفسير المغايرة بين اللفظين فانه ليس كل مالم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد ثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله (و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى يتعمدون ذلك الكذب مع العلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) أى ماأمكن وماصح لأحد من الأنبياء كعيسى ومحمد أن يعطيه الله الكتاب أى التوراة أوالقرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول ذلك البشر المشرف بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كائنين لى متجاوز بن الله اشراكا أو افرادا قال مقاتل والضحاك نزلت هذه الآية فى شأن نصارى نجران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه ربا وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية وقال أيضا فى مقالتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء ان أبا رافع القرظى من اليهود ورئيس وفد نجران من النصارى قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن



أن يحلف فنزلت هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر بالحق ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله توصية للمؤمنين أن لايحلفوا كاذبين باسمه (وأيمانهم) جمع اليمين وهو الحلف (ثمنا قليلا) أى من الدنيا (أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة) أى لانصيب لهم فيها (ولا يكلمهم الله) بكلام يسرهم (ولا ينظر اليهم) نظر الرحمة وأكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت فى اليهود وكتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وايمانهم بأن الذى بدلوه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من التوراة والدليل على هذا قوله تعالى (وان منهم) يعنى من اليهود (لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى يحرفون بالتغيير والتبديل والمعنى يلوون ألسنتهم عن سنن الصواب بما يأتون به من عند أنفسهم (لتحسبوه) أى لتحسبوا مالووا ألسنتهم به (من الكتاب) (ما كان لبشر) الآية لما ادعت اليهود أنهم على دين ابراهيم فكذبهم الله تعالى غضبوا وقالوا ما يرضيك منا يا محمد الا أن نتخذك ربا فقال رسول الله صلى الله عليه

نعبدك وتتخذك ربا فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني فنزلت هذه الآية وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فنزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أى ولكن يقول ذلك البشر الذى رفعه الله الى أعلا المراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعلمون الكتاب) قرأ عبد الله ابن كثير وأبو عمرو ونافع بفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة أى تعلمون الناس من الكتاب (وبما كنتم تدرسون) أى وبسبب كونكم تقرؤن من الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر يأمركم بفتح الراء والفاعل ضمير يعود على البشر ولا مزيدة لتأكيد معنى النفى أى ما كان لبشر أن يجعله الله نبيا ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا وقرأ الباقون برفع الراء على سبيل الاستئناف كما يدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود أنه قرأ ولن يأمركم والفاعل حينئذ ضمير يعود على الله كما قاله الزجاج أو الى محمد كما قاله ابن جريج أو الى عيسى أو الى كل نبى من الأنبياء كما قيل بكل أى ولا يأمركم يا معشر قريش واليهود والنصارى بأن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما اتخذت الصابئة وقريش الملائكة واليهود عزيرا والنصارى المسيح (أيأمركم بالكفر) أى كيف أمركم ذلك البشر والله تعالى بالكفر (بعد اذ أنتم مسلمون) وهذا استفهام انكارى وهو خطاب للمؤمنين على طريق التعجيب من حال غيرهم ويقال بعد اذ أمركم بالاسلام (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أى أعطيناكم قرأ نافع آتيناكم بالنون على التفخيم (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقرأ الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيد ابن جبير لما مشددة أما القراءة بالفتح فلما وجهان ماهوا اسم موصول مرفوع بالابتداء وخبره قوله لتؤمنن به واما هو متضمن لمعنى الشرط فاللام فى قوله لتؤمنن به هى المتلقية للقسم أما اللام فى ما هى لام تحذف تارة وتذكر أخرى ولا يتفاوت المعنى وهذا اختيار سيبويه والمازنى والزجاج وقال أبو السعود واللام فى الموطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن سادمسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وأما القراءة بكسر اللام فلانها للتعليل واما مصدرية أو موصول وأما قراءة لما بالتشديد فاما هى بمعنى حين أو لمن أجل ما على ان أصله لمن ما وأما معنى واذ أخذ الله فقال ابن جرير الطبرى واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين وقال الزجاج واذكر يا محمد فى القرآن اذ أخذ الله ميثاق النبيين والمقصود بهذه الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الأنبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الله الميثاق من النبيين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبين بعضهم لبعض صفة محمد وفضله وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى وقال على بن أبى طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أممهم بأنه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون به

وسلم معاذ الله أن نأمر بعبادة غير الله فنزلت هذه الآية ومعنى الآية أنه ما كان لبشر أن يجمع بين هذين بين النبوة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله (ولكن) يقول (كونوا ربانيين) الآية أى يقول كونوا معلمى الناس بعلمكم ودرسكم أى علموا الناس وبينوا لهم فكذا كان يقول النبى صلى الله عليه وسلم لليهود لأنهم كانوا أهل كتاب يعلمون ما لا تعلمه العرب (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما فعلت الصابئون والنصارى (أيأمركم بالكفر) استفهام معناه الانكار أى لا يفعل ذلك (بعد اذ أنتم مسلمون) أى بعد اسلامكم (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم) ما ههنا للشرط والمعنى لئن آتيتكم (من كتاب وحكمة) ومهما آتيتكم (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) يريد محمدا صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) يعنى ان أدركتموه ولم يبعث الله نبيا الا أخذ العهد فى محمد وأمره وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وهذا احتجاج على اليهود وقوله

ويتصرونه وهذا قول كثير من المفسرين والمرادمن قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقا لما معهم هو أن كيفية أحواله مذكورة فى التوراة والانجيل فلما ظهر على أحوال مطابقة لما كان مذكورا فى تلك الكتب كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم (قال) الله تعالى لهم (أأقررتم) بالايمان به والنصرة له (وأخذتم على ذلكم اصرى) أى قبلتم على ماقلت عهدى (قالوا) أى النبيون (أقررنا) بذلك (قال) الله تعالى (فاشهدوا وأنامعكم من الشاهدين) أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وأنا على اقراركم واشهاد بعضكم بعضا من الشاهدين (فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أى من أعرض عن الايمان بهذا الرسول وبنصرته بعدماتقدم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الايمان (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون) والوجه فى هذه الآية أن هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فى النبوة فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذى دعاه الحسد الى الكفر فأعلمهم الله أنهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين دينا غير دين الله ومعبودا سوى الله تعالى ثم بين أن الاعراض عن حكم الله تعالى مما لايليق بالعقلاء فقال وله أسلم من فى السموات والأرض أى لجلال الله تعالى لالغيره انقاد فى طرفى وجوده وعدمه لأن كل ماسوى الله ممكن لذاته وكل ممكن لذاته لايوجد الا بايجاده ولايعدم الا باعدامه سواء كان عقلا أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهرا أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير هذه الآية فى الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى ولله يسجد من السموات والأرض فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من الفقر والمرض والموت وما أشبه ذلك أما الكافرون فهم منقادون لله تعالى كرها على كل حال لأنهم لاينقادون فيما يتعلق بالدين ويخضعون له تعالى فى غير ذلك كرها لأنه لايمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وأيضا كل الخلق منقادون لالهيته تعالى طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ومنقادون لتكاليفه تعالى وايجاده للآلام كرها ثم الهمزة للاستفهام التوبيخى وموضعها لفظة يبغون والتقدير أيبغون غير دين الله لأن الاستفهام انما يكون عن الأفعال الحوادث وقرأ حفص عن عاصم يبغون ويرجعون بالياء على الغيبة فيهما أى انما ذكر الله تعالى حكاية أخذ الميثاق حتى يبين أن اليهود والنصارى يلزمهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما أصروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أفغير دين الله يبغون وقرأ أبو عمرو وتبغون بالتاء خطابا لليهود وغيرهم من الكفار ويرجعون بالياء ليرجع الى جميع المكلفين المذكورين فى قوله تعالى وله أسلم من فى السموات والأرض وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب فيهما لأن ماقبلهما خطاب كقوله تعالى أأقررتم وأخذتم وأيضا فلا يبعد أن يقال للمسلم والكافر أفغير دين الله تبغون مع علمكم بأنه أسلم له تعالى من فى السموات والأرض وأن مرجعكم اليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولما ذكر الله تعالى فى الآية المتقدمة أنه انما أخذ الميثاق على الأنبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم بين الله تعالى من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) من الصحف والمراد بالاسباط أحفاد يعقوب وأبناؤه الاثنا عشر (وما أوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما (والنبيون من ربهم) من

(أأقررتم) أى قال الله للنبيين أأقررتم بالايمان والنصرة له (وأخذتم على ذلكم اصرى) أى قبلتم عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أتباعكم (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) أى أعرض (بعد ذلك) أى بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبى صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن الايمان (أفغير دين الله يبغون) أى بعد أخذ الميثاق عليهم بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا) يعنى الملائكة والمسلمين (وكرها) يعنى الكفار فى وقت البأس (واليه ترجعون) وعيد لهم أى أيبتغون غير دين الله مع أن مرجعهم اليه (قل آمنا بالله) امر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول آمنا بالله وبجميع الرسل من غير تفريق بينهم فى الايمان كما فعلت اليهود والنصارى ونظير هذه الآية قد مضى فى سورة البقرة

الكتب والمعجزات (لانفرق بين أحد منهم) أي نقر بأنهم كانوا بأسرهم على دين واحد في الدعوة الى الله وفي الانقياد لتكاليف الله ولا نكفر بأحد منهم كما فعل اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أي مستسلمون لأمر الله بالرضا وترك المخالفة لا لسمعة ورياء وطلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله والكافرون يوصفون بالمحاربة لله ولما قال تعالى ونحن له مسلمون بين أن الدين ليس الا الاسلام فقال (ومن يبتغ غير الاسلام) أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله (دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب ولحوق التأسف على مافاته في الدنيا من العمل الصالح وعلى ماتحمله من التعب في الدنيا في تقرير الدين الباطل ولفظ دينا اما مفعول وغير الاسلام حال منه مقدم عليه أو تمييز أو بدل من غير (كيف يهدي الله قوما كفروا) أي كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعد ايمانهم) بالقلب (وشهدوا) أي والحال هم قد أقروا باللسان (أن الرسول) محمدا ﷺ (حق وجاءهم البينات) أي الحجج الظاهرة على صدق النبي ﷺ (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الكافرين الأصليين والمرتدين وهذه الآية نزلت في شأن الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وهم اثنا عشر رجلا منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد ابن الصامت ووحوح بن الأسلت وطعيمة بن بيرق كما أخرجه عكرمة وابن عساكر (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فان لعنة الله هي الابعاد من الجنة وانزال العقوبة واللعنة من الملائكة والناس هي بالقول وكل ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء لذلك وجميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد في ذلك أنه ليس بمبطل ولا بكافر فاذا لعن الكافر وهو في علم الله كافر فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالدين فيها) أي اللعنة فلا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار فلا يخلو شيء من أحوالهم من أن يلعنهم لاعن من هؤلاء (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يؤخر عذابهم من وقت الى وقت (الا الذين تابوا) من الكفر (من بعد ذلك) أي الارتداد (وأصلحوا) باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فان الله غفور) لقبائحهم في الدنيا بالستر (رحيم) في الآخرة بالعفو نزلت هذه الآية في شأن الحرث ابن سويد وهو رجل من الأنصار فانه لما لحق مكة مرتدا ندم على ردته فأرسل الى قومه بالمدينة أن يسألوا النبي ﷺ هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله هذه الآية فبعث اليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة وتاب على يد رسول الله ﷺ وقبل الرسول توبته وحسن اسلامه (ان الذين كفروا) بالله (بعد ايمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفرا) أي ثم أصروا على الكفر (لن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضي والقفال وابن الانباري لما قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الايمان وبين أنه أهل اللعنة الا أن يتوب ذكر في هذه الآية أنه لو كفر مرة أخرى بعد تلك التوبة فانها تصير غير مقبولة وكأنها لم تكن والتقدير الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فان كانوا كذلك ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم (وأولئك هم الضالون) على سبيل الكمال عن الهدى (ان الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض) أي مقدار ما يملأ الأرض مشرقها ومغربها (ذهبا ولو افتدى به) قال الزجاج ان الواو للعطف والتقدير لو تقرب الى الله في الدنيا بملء الأرض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى من العذاب في الآخرة بملء الأرض ذهبا لم يقبل منه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل لن يقبل من الكافر في جميع الأحوال في الآخرة ولو في حال افتدائه نفسه في الآخرة (أولئك لهم

(كيف يهدي الله قوما) هذا استفهام معناه الانكار أي لا يهدي الله قوما (كفروا بعد ايمانهم) يعني اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل مبعثه فلما بعث كفروا به وقوله (وشهدوا) أي بعد أن شهدوا (أن الرسول حق وجاءهم البينات) أي ما بين في التوراة (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يرشد من نقض عهود الله وظلم نفسه (أولئك عليهم لعنة الله) مثل هذه الآية قد مضى في سورة البقرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أي راجعوا الايمان بالله وتصديق نبيه (وأصلحوا) أعمالهم (ان الذين كفروا بعد ايمانهم) وهم اليهود (ثم ازدادوا كفرا) بالاقامة على كفرهم (لن تقبل توبتهم) لأنهم لا يتوبون الا عند حضور الموت وتلك التوبة لا تقبل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) وهو القدر الذي يملؤها يقول لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا لم يقبل منه

عذاب أليم ومالهم من ناصرين) فى دفع العذاب عنهم أو فى تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب والجنة أولن تبلغوا الى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم وعملكم وجاهكم فى معاونة الناس و بدنكم فى طاعة الله ومهجتكم فى سبيله (وماتنفقوا من شىء) تريدون به وجه الله أومدحة الناس (فان الله به عليم) هذا تعليل للجواب المحذوف أى فيجازيكم بحسبه جيدا كان أو رديئا فانه تعالى عالم بكل شىء تنفقونه من ذاته وصفاته علما كاملا بحيث لايخفى عليه شىء (كل الطعام) أى كل طعام حلال على محمد وأمته (كان حلا لبنى اسرائيل) أى كان حلالا أكله على أولاد يعقوب (الا ماحرم اسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) على موسى وذلك بعد ابراهيم بألف سنة * روى ابن عباس أن النبى ﷺ قال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب عليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة الى أكل تلك الأنواع فامتنع من أكلها قهرا للنفس وطلبا لمرضاة الله تعالى كما يفعله كثير من الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وروى أن اليهود قالوا للنبى ﷺ انك تدعى أنك على ملة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها مع أن ذلك حرام فى دين ابراهيم فأجاب النبى صلى الله عليه وسلم بأن قال ان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب عليهم السلام الا أن يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الأسباب و بقيت تلك الحرمة فى أولاده أى فالحرمة عليهم ناشئة من نذره أيضا فأنكر اليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار التوراة و باستخراج آية منها تدل على أن لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام فعجزوا عن ذلك فظهر أنهم كانوا كاذبين فى ادعاء حرمة هذه الأشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فى دعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فمن افترى) أى اختلق (على الله الكذب) بادعاء أنه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل وعلى من قبلهم من الأمم (من بعد ذلك) أى من بعد ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لاعلى عهد ابراهيم (فأولئك) المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال (هم الظالمون) المستحقون لعذاب الله (قل صدق الله) فى أن سائر الأطعمة كانت محللة لبنى اسرائيل وأنها انما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم (فاتبعوا ملة ابراهيم) أى ملة الاسلام التى هى الأصل ملة ابراهيم لأنها ملة محمد ﷺ (حنيفا) أى مائلا عن الأديان الزائغة كلها (وما كان من المشركين) فى أمر من أمور دينه فانه لم يدع مع الله إلها آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الأوثان أو كما فعله اليهود فى ادعاء أن عزيرا ابن الله وكما فعله النصارى فى ادعاء أن المسيح ابن الله * ولما حول ﷺ القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لأنه وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة) أى ان أول بيت بنى لعبادات الناس للبيت الذى هو ببكة سميت مكة بكة لأنه يبك بعضهم بعضا أى يزدحمون فى الطواف روى أنه ﷺ سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة أى ان آدم بنى الكعبة ثم بنى الأقصى و بين بنائهما أربعون سنة (مباركا) أى ذا بركة مما يجلب المغفرة والرحمة

(لن تنالوا البر) أى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) أى حتى تخرجوا زكاة أموالكم (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) أى حلالا (الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وذلك أن يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فلما ادعى النبى ﷺ أنه على دين ابراهيم قالت اليهود كيف وأنت تأكل لحوم الابل وألبانها فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان كل ذلك حلالا لابراهيم فادعت اليهود أن ذلك كان حراما على ابراهيم فأنزل الله سبحانه تكذيبا لهم و بين أن ابتداء هذا التحريم لم يكن فى التوراة وانما كان قبل نزولها وهو قوله من قبل أن تنزل التوراة (قل فأتوا بالتوراة) الآية (فمن افترى على الله الكذب) يعنى باضافة هذا التحريم الى الله على ابراهيم وفى التوراة (من بعد ذلك) أى من بعد ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب (فأولئك هم الظالمون) أنفسهم (قل صدق الله) فى هذا وفى جميع ما أخبر به (ان أول بيت وضع للناس) يحج اليه (للذى ببكة) مكة (مباركا) أى كثير الخير بأن جعل فيه وعنده البركة

وهدى

(وهدى للعالمين) أى قبلة لكل نبى ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت الى جهة صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازما فى دين جميع الأنبياء عليهم السلام بدليل قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا فدلت الآية على أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لابد لها من قبلة فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح عليهم السلام موضعا آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة فوجب أن يقال ان قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هى الكعبة فدل هذا على أن هذه الجهة كانت أبدا مشرفة مكرمة (فيه آيات بينات) أى علامات واضحة كانحراف الطيور عن موازاة البيت فلا تعلو فوقه بل اذا قابل هواه وهو فى الجو انحرف عنه يمينا أو شمالا ولا يستطيع أن يقطع هواه الا اذا حصل له مرض فيدخل هواه للتداوى ومخالطة ضوارى السباع الصيود فى الحرم من غير تعرض لها واهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا تخريبه (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثير قدميه فى الصخرة الصماء وغوصهما فيها الى الكعبين والانة بعض الصخرة دون بعض وابقاءه ألوف السنين معجزة عظيمة (ومن دخله) أى الحرم (كان آمنا) أى ان من دخله للنسك تقربا الى الله تعالى كان آمنا من النار يوم القيامة وان الله أودع فى قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ اليه (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة على وجه مخصوص (من استطاع اليه) أى حج البيت (سبيلا) أى بلاغا بوجود الزاد والراحلة والنفقة للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أى جحد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين) أى عن ايمانهم وحجهم قال الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى واليهود والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقال لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فأنزل الله تعالى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين أى ومن ترك اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال أن الله شهيد على أعمالكم ومجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجترئوا على الكفر بآياته (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) أى لم تصرفون عن دينه الحق الموصل الى السعادة الأبدية وهو ملة الاسلام من آمن بالله و بمحمد و بالقرآن باضلالكم لضعفة المسلمين (تبغونها عوجا) أى تطلبون للسبيل زيغا لانكم قلتم النسخ يدل على البداء وقولكم ورد فى التوراة ان شريعة موسى باقية الى الأبد (وأنتم شهداء) أن فى التوراة أن دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بغافل عما تعملون) فانهم كانوا يظهرون الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهرون القاء الشبه فى قلوب المسلمين بل كانوا يحتالون فى ذلك بوجوه الحيل نزلت هذه الآية فى الذين دعوا عمارا وأصحابه الى دينهم اليهودية (يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) هم شاس بن قيس وعمرو بن شاس وأوس بن قبطى وجبار بن صحر (يردوكم) أى يصيروكم (بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أى كيف يوجد منكم الكفر والحال أن القرآن الذى فيه

بينات) يعنى المشاعر والمناسك كلها ثم ذكر بعضها فقال (مقام ابراهيم) أى منها مقام ابراهيم (ومن دخله كان آمنا) أى من حجه فدخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك وقيل من النار (ولله على الناس حج البيت) عمم الايجاب ثم خص وأبدل من الناس فقال (من استطاع اليه سبيلا) يعنى من قوى فى نفسه فلا تلحقه المشقة فى الكون على الراحلة فمن كان بهذه الصفة وملك الزاد والراحلة وجب عليه الحج (ومن كفر) أى جحد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كان صدهم عن سبيل الله بالتكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم وأن صفته ليست فى كتابهم (تبغونها عوجا) أى تطلبون بها عوجا بالشبه التى يلبسون بها على سفلتهم (وأنتم شهداء) أى بما فى التوراة ان دين الله الاسلام (يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا) الآية نزلت فى الأوس والخزرج حين أغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم ثم خاطبهم فقال (وكيف تكفرون) أى على أى حال يقع منكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) أى وآيات الله التى تدل على توحيده تتلى عليكم (وفيكم رسوله

ومن يعتصم بالله) أي يؤمن بالله (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وهو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فلما نزل هذا قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقوى على هذا وشق عليهم فأنزل الله فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الأولى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي كونوا على الاسلام حتى اذا أتاكم الموت صادفكم عليه وهو في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام (واعتصموا بحبل الله جميعا) أي تمسكوا بدينه والخطاب للاوس والخزرج (ولا تفرقوا) كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (اذ كنتم أعداء) يعني ماكان بين الأوس والخزرج من الحرب الى أن ألف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالت تلك الأحقاد وصاروا اخوانا متوادين فذلك قوله تعالى (فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة) أي طرف حفرة (من النار) لو متم على ما كنتم عليه (فأنقذكم منها) أي نجاكم منها بالاسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم (كذلك) أي مثل البيان الذي يتلى عليكم (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة) الآية أي وليكن كلكم كذلك ودخلت من لتخصيص المخاطبين من غيرهم

بيان الحق من الباطل يتلى عليكم على لسان نبيكم غض طري ومعكم رسول الله الذي يبين الحق ويدفع الشبه روى أن شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنه مر على نفر من الأنصار الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة ببركة الاسلام فشق ذلك على اليهود فجلس اليهم وذكرهم ما كان بينهم من الحروب قبل ذلك في بعاث وهو موضع في المدينة وكان يوم بعاث يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة وعشرين سنة وكان الظفر فيه للأوس وقرأ عليهم بعض ماقيل في تلك الحروب من الأشعار فتنازع القوم وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار وقال أترجعون الى أحوال الجاهلية وأنا بين أظهركم وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم أن ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك اليهودي فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون (ومن يعتصم بالله) أي من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقد هدى) أي فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أي الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حق معاذ وأصحابه ثم نزل في أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم في الاسلام افتخر فيهم ثعلبة بن غنم وأسعد بن زرارة بالقتل والغارة في الجاهلية (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي كما يجب أن يتقي وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغي (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهي واقع على الموت والمقصود الأمر بالاقامة على الاسلام أي ودوموا على الاسلام الى الموت وذلك لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ماقد دخل في وسعهم (واعتصموا بحبل الله) أي بدينه وهو دين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعا) أي مجتمعين في الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون ضلالا (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دنيوية وأخروية (اذ كنتم) في الجاهلية (أعداء) يبغض بعضكم بعضا ويحارب بعضكم بعضا (فألف بين قلوبكم) أي قذف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم بنعمته) أي فصرتم بدينه الاسلام (اخوانا) في الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي على طرفها أي وكنتم قريبين من الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا مابين طرف الشيء الذي هو مثل الحياة وبين ذلك الشيء الذي هو مثل الموت (فأنقذكم منها) أي فأنجاكم من تلك الحفرة بأن هداكم للاسلام (كذلك) أي مثل البيان المذكور (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا من الضلالة (ولتكن منكم أمة)

أى ولتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة هى دعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات (ويأمرون بالمعروف) والأمر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان مندوبا فمندوب (وينهون عن المنكر) فالنهى عن الحرام واجب كله لأن تركه واجب وهذه الأمور من فروض الكفايات لانها لاتليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لايوقع المأمور أو المنهى فى زيادة الفجور فان الجاهل ربما دعا الى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة (وأولئك هم المفلحون) أى المختصون بكمال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق وان صاحبه على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة (من بعد ماجاءهم البينات) أى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك) الذين تفرقوا (لهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم تظهر بهجة السرور على قوم وسموا ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور أمامهم وبيمينهم ويوم تظهر كآبة الخوف والحزن على قوم وسموا بسواد اللون والصحيفة واحاطة الظلمة بهم من كل جانب وقرئ تبياض وتسواد (فأما الذين اسودت وجوههم) فيلقون فى النار وتقول لهم الزبانية (أكفرتم بعد ايمانكم) أى بعد ماظهر لكم مايوجب الايمان وهو الدلائل التى نصبها الله تعالى على التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج أى أكفرتم ياأهل الكتاب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانكم به قبل مبعثه (فذوقوا العذاب) والأمر بذوق العذاب على طريق الاهانة (بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) أى فى جنة الله وعبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لايدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت (هم فيها خالدون) أى لايظعنون عنها ولايموتون (تلك) أى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار (آيات الله) أى دلائل الله (نتلوها عليك بالحق) أى بالمعنى الحق أو متلبسة بالعدل من اجزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلما للعالمين) أى مايريد الله فردا من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلا عن أن يفعله وأما ظلم بعضهم بعضا فواقع كثيرا وكل واقع فهو بارادته تعالى (ولله مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وخلقا احياء واماتة وأثابة وتعذيبا (والى الله) أى الى حكمه (ترجع الأمور) فيجازى كلا منهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أى أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف) أى بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وتنهون عن المنكر) أى عن الشرك ومخالفة الرسول (وتؤمنون بالله) ايمانا متعلقا بكل مايجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير أمة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى ايمانا كاملا كايمانكم (لكان) أى ذلك الايمان (خيرا لهم) فانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) يعنى اليهود والنصارى (واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) يعنى ان اليهود اختلفوا بعد موسى فصاروا فرقا وكذلك النصارى (يوم تبيض وجوه) يعنى وجوه المهاجرين والأنصار ومن آمن بمحمد (وتسود وجوه) أى وجوه اليهود ومن كذب به (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم) لأنهم شهدوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة فلما قدم عليهم كذبوه وكفروا به (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) أى جنته (تلك آيات الله) يعنى القرآن (نتلوها عليك) أى نبينها (بالحق) يعنى بالصدق (وما الله يريد ظلما للعالمين) أى فيعاقبهم بلا جرم (كنتم خير أمة) أى عند الله عز وجل فى اللوح المحفوظ يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (أخرجت للناس) أى أظهرت للناس فما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم مدحهم بما فيهم من الخصال فقال (تأمرون بالمعروف) الآية

ولو آمنوا لحصلت لهم هذه الزيادة فى الدنيا مع الثواب العظيم فى الآخرة فكان ذلك خيرا لهم مما قنعوا به ( منهم المؤمنون ) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى (وأكثرهم الفاسقون ) فى أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلهم لأن المسلمين لايقبلونهم لكفرهم والكفار لايقبلونهم لكونهم فاسقين فيما بينهم فليسوا ممن يجب الاقتداء بهم البتة عند أحد من العقلاء (لن يضروكم الا أذى) أى لن يضركم اليهود ضررا البتة الا ضررا يسيرا وهو أذى أى ليس على المسلمين من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان اما بالطعن فى محمد وعيسى عليهما السلام واما باظهار كلمة الكفر كقولهم عزير ابن الله واما بتحريف نصوص التوراة واما بالقاء الشبه فى الاسماع واما بتخويف الضعفة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار) أى ينهزموا من غير أن يضروكم بقتل أو أسر (ثم لاينصرون) أى ثم أخبركم انهم بعد صيرورتهم منهزمين لايحصل لهم شوكة ولاقوة ولايجدون النصرة قط بل يبقون فى الذلة أبدا كما قال تعالى (ضربت عليهم الذلة) أى جعلت عليهم الذلة بأن يحاربوا و يقتلوا وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم وتملك أراضيهم (أينما ثقفوا) أى صودفوا فلايقدرون أن يقوموا مع المؤمنين (الا) أن يعتصموا (بحبل من الله وحبل من الناس) أى المؤمنين فالامان الحاصل للذمى قسمان أحدهما الذى نص الله عليه وهو أخذ الجزية وثانيهما الذى فوض الله الى رأى الامام فيزيد فيه تارة و ينقص بحسب الاجتهاد فالأول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين (و باءوا بغضب من الله) أى داموا فى غضب الله أو استوجبوا لعنة الله (وضربت عليهم المسكنة) أى جعل عليهم زى الفقر واليهود فى غالب الاحوال مساكين تحت أيدى المسلمين والنصارى ( ذلك ) أى لزوم الذلة والمسكنة والمكث فى اللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يحرفونها و بسائر الآيات القرآنية (و يقتلون الأنبياء بغير حق) أى بلاجرم فان الذين قتلوا الأنبياء أسلافهم وهؤلاء المتأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب اليهم كما ان التحريف من أفعال أحبارهم ينسب الى كل من يتبعهم (ذلك) أى الكفر والقتل (بما عصوا) فى السبت (وكانوا يعتدون) أى يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أرباب المعاملات مع الله من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر (ليسوا) أى جميع أهل الكتاب (سواء) أى فليس من آمن منهم كمن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال هم عبد الله بن سلام وأخوه ثعلبة بن سلام وسعية وميس وأسيد وأسد وهما ابنا كعب قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد الا أشرارنا ولولا ذلك ماتركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أى يقرأون القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أى يصلون التهجد فى الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسمى سجودا (يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك ) الموصوفون بالصفات السبعة ( من الصالحين ) أى من جملة الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وقال ابن عباس أى من صالحى أمة محمد صلى

الله

(لن يضروكم) يعنى اليهود (الا أذى) أى الاضرا يسيرا باللسان مثل الوعيد والبهت (وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار) أى منهزمين وعد الله تعالى نبيه والمؤمنين النصرة على اليهود وصدق وعده فلم يقاتل يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انهزموا (ضربت عليهم الذلة) مضى الكلام فى هذا (أينما ثقفوا) أى وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) أى لكن قد يعتصمون بحبل من الله أى بالعهد اذا أعطوه والمعنى أنهم أذلاء فى كل ن الا أنهمكام يعتصمون بالعهد والمراد بحبل الله وحبل الناس العهد والذمة والامان الذى يأخذونه من المؤمنين باذن الله و باقى الآية مذكور فى سورة البقرة ثم أخبر أنهم غير متساوين فى دينهم فقال (ليسوا سواءا) وأخبر أن منهم المؤمنين فقال (من أهل الكتاب أمة قائمة ) أى على الحق (يتلون) يقرأون ( آيات الله ) كتاب الله أى يقرأون آيات الله ( آناء الليل) أى ساعاته يعنى عبدالله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب ( وهم يسجدون ) أى يصلون

الله عليه وسلم و يقال مع صالحى أمة محمد فى الجنة مع أبى بكر وأصحابه واعلم ان اليهود كانوا أيضا يقومون فى الليالى للتهجد وقراءة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتهجد وقراءة القرآن أردف ذلك بقوله يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات فالايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه و رسله وكتبه والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصى فايمان اليهود بالله مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم الاحتراز عن معاصى الله واضلال الناس وصدهم عن سبيل الله ومبادرتهم الى الشرور واعلم ان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل وأفضل الأعمال الصلاة وأفضل الأذكار ذكر الله وأفضل المعارف معرفة المبدا ومعرفة المعاد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون اشارة الى الأعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر اشارة الى فضل المعارف الحاصلة فى قلوبهم فكان هذا اشارة الى كمال حالهم فى القوة العملية وفى القوة النظرية وذلك أكمل أحوال الانسان وهى المرتبة التى هى آخر درجات الانسانية وأول درجات الملكية واعلم أن الغاية القصوى فى الكمال أن يكون تاما وفوق التمام فكون الانسان تاما ليس الا فى كمال قوته العملية وقوته النظرية وكونه فوق التمام أن يسعى فى تكميل الناقصين وذلك بطريقين اما بارشادهم الى ماينبغى أو بمنعهم عما لاينبغى ثم الوصف بالصلاح غاية المدح و يدل عليه القرآن والعقل فان الصلاح ضد الفساد وكل مالا ينبغى فهو فساد سواء كان فى العقائد أو فى الأعمال فاذا حصل كل ماينبغى فقد حصل الصلاح فكان الصلاح دالا على أكمل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالياء فى الفعلين لأن الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الايمان قال تعالى وما يفعلوا أى عبد الله ابن سلام وأصحابه من خير مما ذكر و يقال من احسان الى محمد وأصحابه فلن يكفروه أى لن ينسى ثوابه بل يثابوا وقرأ الباقون بالتاء فيهما على الخطاب لجميع المؤمنين الذين من جملتهم هؤلاء أى وماتفعلوا معاشر المؤمنين من خير فلن تمنعوا ثوابه وجزاءه بل تجازوا عليه (والله عليم بالمتقين) وهذا بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لايفوز عنده تعالى الا أهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم) أى لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه (شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الأموال والأولاد بالذكر لأن انفع الجمادات هو الأموال وأنفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى ان الكافر لاينتفع بهما البتة فى الآخرة وذلك يدل على عدم انتفاعه بسائر الأشياء بطريق الاولى (مثل ماينفقون) أى الكفار (فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) أى برد مهلك أوحر محرق (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى (فأهلكته) والمعنى مثل الكفر فى اهلاك ماينفقون كمثل الريح المهلكة للزرع أو مثل الكافر الذى انفق أمواله فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتام والأرامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات فكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فأصابته ريح فأحرقته فلايبقى معه الا الحزن والأسف هذا اذا أنفقوا الاموال فى وجوه الخيرات أما اذا أنفقوها فيما ظنوه انه من الخيرات وهو من المعاصى مثل انفاق الأموال فى ايذاء رسول الله وفى قتل المسلمين وتخريب ديارهم فهو أشد

(وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) أى لن تجحدوا جزاءه (ان الذين كفروا) الآية سبقت فى أول هذه السورة (مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) يعنى نفقة سفلة اليهود على علمائهم (كمثل ريح فيها صر) أى برد شديد (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية أعلم الله تعالى أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح على هذا الزرع

(وما ظلمهم الله) لأن كل مافعله بخلقه فهو منه عدل (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر والعصيان ثم نهى المؤمنين عن مباطنتهم فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) أى دخلا وخواص (من دونكم) أى من غير أهل



ملتكم (لايألونكم خبالا) أى لا يدعون جهدهم فى مضرتكم وفسادكم (ودوا ماعنتم) أى تمنوا ضلالكم عن دينكم (قد بدت البغضاء) أى ظهرت العداوة (من أفواههم) بالشتيمة والوقيعة فى المسلمين (وما تخفى صدورهم) من العداوة والخيانة (أكبر قد بينا لكم الآيات) أى علامات اليهود فى عداوتكم (ان كنتم تعقلون) موقع نفع البيان (ها أنتم) ها تنبيه دخل على أنتم و (أولاء) فى معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين (تحبونهم ولايحبونكم) أى تريدون بهم الاسلام وهم يريدونكم على الكفر (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بالكتب وهو اسم جنس (واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل) وهى أطراف الأصابع (من الغيظ) التقدير عضوا الانامل من الغيظ عليكم وذلك لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم (قل موتوا بغيظكم) أمر الله نبيه أن يدعو عليهم بدوام غيظهم الى أن يموتوا (ان الله عليم بذات الصدور) أى بمافيها من خير وشر (ان تمسسكم حسنة) أى نصر وغنيمة (تسؤهم) أى تحزنهم (وان تصبكم سيئة) أى ضد ذلك (يفرحوا بها وان تصبروا) أى على ماتسمعون من أذاهم (وتتقوا) مقاربتهم ومخالطتهم

---

تأثيرا فى ابطال آثار أعمال البر (وماظلمهم الله) حيث لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) حيث أتوا بالنفقات مقرونة بالوجوه المانعة من كونها مقبولة لله (ياأيها الذين آمنوا) نزلت هذه الآية فى شأن رجال من المؤمنين يشاورون اليهود فى أمورهم لما كان بينهم من الرضاع والحلف ظنا منهم انهم ينصحون لهم فى أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى بهذه الآية عنه كما قاله ابن عباس أو فى رجال من المؤمنين كانوا يغترون بظاهر أقوال المنافقين فيفشون اليهم الأسرار و يطلعونهم على الأحوال فالله تعالى منعهم عن ذلك كما قاله مجاهد وقال الله تعالى (لاتتخذوا بطانة) أى خاصة تباطنون فى الامور (من دونكم) أى من غير أهل ملتكم من الكفار والمنافقين (لايألونكم خبالا) أى لايتركون جهدهم فى مضرتكم وفسادكم (ودوا ماعنتم) أى أحبوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر أى فان الكفار لا يقصرون لكم فى افساد دينكم فان عجزوا عنه أحبوا بقلوبهم القاءكم فى أشد أنواع الضرر (قد بدت البغضاء من أفواههم) أى قد ظهرت البغضاء فى كلامهم بالطعن وغيره ممايدل على نفاقهم وبأنهم يظهرون تكذيب نبيكم وكتابكم و ينسبونكم الى الجهل والحمق (وما تخفى صدورهم) من الحقد (أكبر) مما يظهر على ألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) أى علامة الحسد والعداوة (ان كنتم تعقلون) الفرق بين مايستحقه العدو والولى (ها أنتم أولاء) أى أنبهكم أنتم يامعشر المؤمنين المخطئين فى موالاتهم (تحبونهم) بسبب مابينكم و بينهم من الرضاعة والمصاهرة و بسبب انهم أظهروا لكم الايمان وانهم يظهرون لكم محبة رسول الله (ولا يحبونكم) بسبب المخالفة فى الدين و بسبب أن الكفر مستقر فى باطنهم ولأنهم يعلمون انكم تحبون الرسول (وتؤمنون بالكتاب كله) وهم لايؤمنون به وهم مع ايمانكم بكتبهم يبغضونكم فمابالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشىء من كتابكم (واذا لقوكم) أى منافقو اليهود (قالوا) نفاقا (آمنا) بمحمد فان نعته فى كتابنا (واذا خلوا) أى رجع بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أى عضوا لأجل غمهم منكم أطراف الاصابع من شدة الغضب أى فاذا رجعوا الى بعضهم أظهروا شدة العداوة على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة الى عض الانامل كما يفعل ذلك احدنا اذا اشتد غيظه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال فى الغضبان انه يعض يده غيظا وان لم يكن هناك عض (قل موتوا بغيظكم) وهذا دعاء عليهم بازدياد مايوجب هذا الغيظ وهو قوة الاسلام ودعاء عليهم بالموت قبل بلوغ مايتمنون وليس أمرا بالاقامة على الغيظ فان الغيظ كفر والأمر بالكفر غير جائز و يجوز أن يكون معنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم انه تعالى أمر رسوله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله اياه انهم يهلكون غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك (ان الله عليم بذات الصدور) أى انه تعالى عالم بكل مايحصل فى قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف (ان تمسسكم حسنة تسؤهم) أى ان تصبكم منفعة الدنيا تحزنهم وذلك كصحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة بين الأحباب (وان تصبكم سيئة) أى مضرة كمرض وفقر وانهزام من عدو وقتل ونهب وغارة وحصول التفرقة بين الاقارب (يفرحوا) أى اليهود والمنافقون (بها) فانهم متناهون فى عداوتكم فاجتنبوهم (وان تصبروا) على طاعة الله وعلى ماينالكم فيها من شدة وغم (وتتقوا)

كل

كل مانهاكم عنه وتتوكلوا فى أموركم على الله (لايضركم كيدهم) أى حيلتهم التى دبروها لأجلكم (شيئا) من الضرر لأن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل مانهى الله عنه كان فى حفظ الله فلا يضره حيل المحتالين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو لا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء والباقون لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة على الجزم بسكون مقدر للاتباع وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء للتخفيف (ان الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق القراء العشرة أى انه عالم بما يعملون فى معاداتكم فيعاقبهم عليه وفى قراءة شاذة بالتاء والمعنى أنه تعالى عالم بما تعملون من الصبر والتقوى فيفعل بكم ما أنتم مستحقون له (واذ غدوت من أهلك) أى واذكر يا أشرف الخلق لأصحابك وقت خروجك من عند أهلك أى من حجرة عائشة الى أحد ليتذكروا ما وقع فى ذلك الوقت من الأحوال الناشئة من عدم الصبر فيعلموا انهم لو لزموا الصبر والتقوى لايضرهم كيد الكفرة روى انه ﷺ ذهب من منزل عائشة فى المدينة فمشى على رجليه الى أحد بعد صلاة الجمعة فى نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت وجعل يصف أصحابه للقتال وكانوا ألفا أو أقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل ﷺ ظهره وظهر عسكره الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال لأصحابه اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بن أبى مع ثلاثمائة من المنافقين فبقى من عسكر المسلمين سبعمائة ثم قواهم الله حتى هزموا المشركين ثم طلبوا المدبرين وتركوا ذلك المقام واشتغلوا بطلب الغنائم وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكر عليهم المشركون وتفرق المسلمون عن رسول الله ﷺ وشج وجه الرسول وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان رجل يكنى أبا سفيان من الأنصار نادى الأنصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والأنصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثر فيهم الجراح وكل ذلك يؤكد قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والظفر انما حصل ببركة طاعتهم لله ولرسوله والا لم يقوموا مع عدوهم (تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) أى تنزل المؤمنين بأحد أمكنة لقتال عدوهم (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائركم ونياتكم فان النبى صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه فى ذلك الحرب فمنهم من قال له أقم بالمدينة وهو عبد الله بن أبى وأكثر الأنصار ومنهم من قال له اخرج اليهم وكان لكل أحد غرض (اذ همت طائفتان منكم) بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناحا العسكر (أن تفشلا) أى بأن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد وترجعا روى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا عند جبل أحد انعزل ابن أبى المنافق مع ثلاثمائة من أصحابه المنافقين وقال ياقوم لأى شىء نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصارى وأبو جابر السلمى وقالا أسألكم بالله فى حفظ نبيكم وأنفسكم أى فانكم لو رجعتم فاتتكم نصرة نبيكم وفاتتكم وقاية أنفسكم من العذاب لتخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الطائفتان باتباع عبد الله بن أبى فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله ﷺ كما قال تعالى (والله وليهما) أى عاصمهما عن اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فى جميع أمورهم فانه حسبهم ولما حكى الله عن الطائفتين انهما همتا بالجبن والضعف أيد ذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا فى غاية الفقر والضعف

(لايضركم كيدهم) عداوتهم (شيئا ان الله بما يعملون محيط) أى عالم به فلن تعدموا جزاءه (واذ غدوت) يعنى يوم أحد (من أهلك) أى من منزل عائشة رضى الله عنها (تبوئ) أى تهيئ (المؤمنين مقاعد) أى مراكز ومثابت (للقتال والله سميع) لقولكم (عليم) بما فى قلوبكم (اذ همت طائفتان منكم) بنو سلمة وبنو حارثة (أن تفشلا) أن تجبنا وذلك ان هؤلاء هموا بالانصراف عن الحرب فعصمهم الله (والله وليهما) أى ناصرهما وموالهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليعتمد فى الكفاية المؤمنون

والكفار كانوا فى غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصرا لهم قهروا أعداءهم وفازوا بمطلوبهم وقال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) بقلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو فان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وما كان فيهم الا فرس واحد والكفار كانوا قريبين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الأسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله) فى أمر الحرب ولا تخالفوا الأمير الذى معكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته تعالى ونصرته (اذ تقول للمؤمنين) فاذ اما منصوب بنصركم ويكون هذا الوعد حصل يوم بدر وهذه الجملة من تمام قصة بدر وهو قول أكثر المفسرين واما بدل من قوله اذ همت أو بدل ثان من قوله تعالى واذ غدوت ويكون هذا الوعد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترضا بين الكلامين وهو مروى عن ابن عباس والكلبى والواقدى ومقاتل ومحمد بن اسحاق (ألن يكفيكم) مع عدوكم (أن يمدكم ربكم) أى ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء قرأ ابن عامر منزلين مشدد الزاى مفتوحة والباقون بفتح الزاى مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أى منزلين النصر (بلى) يكفيكم (ان تصبروا) مع نبيكم فى الحرب (وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه ﷺ (ويأتوكم) أى يأتيكم المشركون (من فورهم هذا) أى من ساعتهم هذه من جهة مكة (يمددكم ربكم) أى ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو أى معلمين أنفسهم أو خيلهم والباقون بفتح الواو أى معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الدواب وأذنابها أو مجذوذة أذنابهم أو مرسلين (وما جعله الله) أى ما جعل الله الامداد (الا بشرى لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أى بالمدد وفى ذكر الامداد مطلوبان ادخال السرور فى قلوبهم وحصول الطمأنينة على ان اعانة الله معهم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) لا من العدة والعدد ولا من عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام متعلق بقوله وما النصر والمعنى والمقصود من نصركم ان يهلك الله طائفة من كفار مكة بقتل وأسر (أو يكبتهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا خائبين) أى يرجعوا منقطعى الآمال غير فائزين بمطلوبهم بشئ (ليس لك من الأمر شئ) وهذه الآية نزلت فى قصة أحد لمنعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم لما روى ان عتبة بن أبى وقاص شجه وكسر رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب ثم أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزل قوله تعالى أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من الهم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من المثلة وقال لأمثلن منهم بثلاثين فنزلت هذه الآية ومات فى ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسر عشرون ومات من الكفار ستة عشر وروى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت بسبب أنه ﷺ أراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا يوم أحد فمنعه الله من ذلك وانما نص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) وهذان اما معطوفان على الأمر والمعنى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شئ ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شئ لأنه ليس لك من مصالح عبادى شئ الا ما أوحى اليك وليس لك من سؤال اهلاكهم شئ لأنه تعالى أعلم بالمصالح فربما تاب الله عليهم

فانه شكر نعمتى (اذ تقول للمؤمنين) يوم بدر (ألن يكفيكم) الآية (بلى) تصديق لوعد الله (ان تصبروا) على لقاء العدو (وتتقوا) معصية الله ومخالفة النبى صلى الله عليه وسلم (يمددكم) الى قوله (مسومين) معلمين وكانت الملائكة قد سومت يوم بدر بالصوف الأبيض فى نواصى الخيل وأذنابها ثم صبر المؤمنون يوم بدر فأمدوا بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (وما جعله الله) أى ذلك الامداد (الا بشرى) أى بشارة (لكم ولتطمئن قلوبكم به) فلا تجزع من كثرة العدو (وما النصر الا من عند الله) لأن من لم ينصره الله فهو مخذول وان كثرت أنصاره (ليقطع طرفا) أى ينصركم ببدر ليقطع طرفا أى ليهدم ركنا من أركان المشركين بالقتل والأسر (أو يكبتهم) أى يخزيهم ويذلهم يعنى الذين انهزموا وقوله (ليس لك من الأمر شئ) أى لما كان يوم أحد من المشركين ما كان من كسر رباعية النبى صلى الله عليه وسلم وشجه قال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله هذه الآية يعلمه ان كثيرا منهم يؤمنون والمعنى ليس لك من الأمر فى عذابهم أو استصلاحهم شئ حتى يقع انابتهم أو تعذيبهم وهو قوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) ولما نفى الأمر عن نبيه ﷺ ذكر ان جميع

عليهم أو معطوفان على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالأمر ضد النهي والمعنى ليس لك من أمر خلقي شيء أو من توبتهم أو من تعذيبهم شيء الا اذا كان على وفق أمري والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وأمره وهذا هو الارشاد الى أكمل درجات العبودية (فانهم ظالمون) أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى أو يعذبهم فانه تعالى ان عذبهم انما يعذبهم لانهم ظالمون والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فعلم ذلك مفوض الى الله (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا (يغفر لمن يشاء) مغفرته (و يعذب من يشاء) تعذيبه وتقديم المغفرة على التعذيب للاعلام بأن رحمته تعالى سبقت غضبه و بأن الرحمة من مقتضيات الذات دون الغضب فانه من مقتضيات سيئات العصاة (والله غفور رحيم) والمغفرة والرحمة على سبيل الاحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لان الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب العقاب بل الكل من الله بحكم الهيته وقهره وارادته (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا) على الدرهم (مضاعفة) في الأجل وكان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى أجل فاذا جاء الأجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الأجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فهذا هو المراد من قوله أضعافا مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا ألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن المشركين انما أنفقوا على تلك العساكر أموالا جمعوها بسبب الربا فلعل ذلك يصير داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا حتى يجمعوا المال و ينفقوه على العسكر فيتمكنوا من الانتقام منهم فحقا نهاهم الله عن ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه من أخذ الربا وغيره (لعلكم تفلحون) أي لكي تنجوا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تجتنبوا ما يوجبها وهو استحلال ما حرم من الربا وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وفي الآية تنبيه على أن النار بالذات للكفار و بالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به و ينهاكم عنه من أخذ الربا وغيره (والرسول لعلكم ترحمون) الذي يبلغكم أوامر الله ونواهيه فان طاعة الرسول طاعة لله (وسارعوا) قرأ نافع وابن عامر بغير واو أي بادروا واقبلوا وقرئ شاذة وسابقوا (الى مغفرة من ربكم) أي الى الاسلام كما قاله ابن عباس والى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبي طالب والصلوات الخمس والى الاخلاص كما قاله عثمان بن عفان والى الجهاد كما قاله الضحاك ومحمد بن اسحق والى التكبيرة الأولى كما قاله سعيد بن جبير والى جميع الطاعات كما قاله عكرمة والى التوبة من الربا والذنوب كما قاله الأصم وابن عباس (وجنة) أي فكما تجب المسارعة الى المغفرة فكذلك تجب المسارعة الى الجنة فمعنى الغفران ازالة العقاب ومعنى الجنة ايصال الثواب فلابد للمكلف من تحصيل الأمرين (عرضها السموات والارض) أي عرضها مثل عرض السموات والارض لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء لا تتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها الا الله تعالى (أعدت) أي هيئت الجنة (للمتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات المتقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (في السراء والضراء) أي في حال الغنى والفقر أو في سرور وحزن أو على وفق طبعهم وعلى خلافه كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة

الأمر له فمن شاء عذبه ومن شاء غفر له وهو قوله (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء) أي الذنب العظيم للموحدين (و يعذب من يشاء) يريد المشركين على الذنب الصغير (والله غفور) لأوليائه (رحيم) بهم (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) وهو أنهم كانوا يزيدون على المال و يؤخرون الاجل كلما أخر أجل الى غيره زيد زيادة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي كي تسعدوا وتبقوا في الجنة (واتقوا النار) بتحريم الربا وترك استحلاله (التي أعدت للكافرين) دون أهل الايمان (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) أي الى الاسلام الذي يوجب المغفرة وقيل الى التوبة وقيل الى أداء الفرائض (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) لكل واحد من أولياء الله (الذين ينفقون في السراء) أي في اليسر (والضراء) العسر وقلة المال

وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين الغيظ) أى الكافين غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه زوجه الله من الحور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم أنه قال ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذلك مكافأة انما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك واعلم أن الاحسان الى الغير اما أن يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه أما ايصال النفع اليه فيدخل فيه انفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال فى وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو اما فى الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة أخرى فهذا داخل فى كظم الغيظ وأما فى الآخرة بأن يبرئ ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل فى العفو عن الناس فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير (والذين اذا فعلوا فاحشة) أى معصية (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنبا أى ذنب كان (ذكروا الله) أى خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنها معدة للمتقين بين أن المتقين قسمان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم الله بالانفاق وكظم الغيظ والعفو عن الناس وثانيهما الذين أذنبوا ثم تابوا وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على الموصول قبله وقيل لما ندب الله تعالى فى الآية الأولى الى الاحسان الى الغير ندب فى هذه الآية الى الاحسان الى النفس وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على المحسنين روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى رجلين أنصارى وثقفى والرسول ﷺ كان قد آخى بينهما وكانا لا يفترقان فى أحوالهما فخرج الثقفى مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة فى السفر وخلف الانصارى على أهله يتعاهدهم فكان يفعل ذلك ثم قام الى امرأته ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فندم الرجل فلما وافى الثقفى مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم ير الأنصارى وكان قد هام فى الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت فى شأن أبى سعيد نبهان التمار فانه أتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا بالشراء فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبى ﷺ وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية (فاستغفروا لذنوبهم) أى أتوا بالتوبة على الوجه الصحيح لأجل ذنوبهم وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله فى المستقبل فهذا هو حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فذاك لا أثر له فى ازالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار انقطاعه الى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أى لا يغفر ذنوب التائب أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن أقلعوا عنها فى الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) أن الذى فعلوه معصية الله وهذه الجملة حال من فاعل يصروا (أولئك) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جزاؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) أى بساتين (تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) أى دائمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ونعم أجر العاملين) أى نعم ثواب التائبين المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) أى قد مضت من قبل زمانكم سنن الله تعالى فى الأمم السالفة المكذبة

(والكاظمين الغيظ) أى الكافين غضبهم عن امضائه (والعافين عن الناس) أى عن المماليك وعمن ظلمهم وأساء اليهم (والله يحب المحسنين) أى الموحدين الذين هذه الخصال فيهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) يعنى الزنا نزلت فى نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقوله (أو ظلموا أنفسهم) يعنى ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظر (ذكروا الله) أى ذكروا عقاب الله (فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا) أى ولم يقيموا ولم يدوموا (على ما فعلوا) بل أقروا واستغفروا (وهم يعلمون) أن الذى أتوه معصية (قد خلت من قبلكم سنن) أى قد مضت منى فيمن كان قبلكم من الأمم الكافرة سنن بامهالى اياهم حتى يبلغوا الأجل الذى أجلته فى اهلاكهم وبقيت لهم آثار فى الدنيا فيها أعظم الاعتبار

للرسل باهلاكهم ان لم يتوبوا و بالمغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسله والاعراض عن الرياسة فى الدنيا وطلب الجاه (فسيروا فى الأرض فانظروا) أى تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الامم السالفة بسير أو غيره ثم تفكروا فيها للتسلى والاتعاظ (كيف كان عاقبة المكذبين) أى كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسل الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلال والحرام (للناس) عامة (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادى الى ماينبغى فى الدين وهو الهدى والثانى الكلام الزاجر عما لاينبغى فى الدين وهو الموعظة وانما خصص الله المتقين بالهدى والموعظة لأنهم المنتفعون بهما دون غيرهم (ولا تهنوا) أى لاتضعفوا عن الجهاد مع عدوكم (ولاتحزنوا) على مافاتكم من الغنائم يوم أحد ولا على ماأصابكم من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ سبعون رجلا خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم وشماس بن عثمان وسعد مولى عتبة و باقيهم من الأنصار رضى الله عنهم أجمعين (وأنتم الاعلون) أى والحال أنكم فى آخر الأمر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوكم فان مصير أمرهم الى الدمار حسب ماشاهدتم من أحوال أسلافهم (ان كنتم مؤمنين) وهذا اما منصب بالنهى أو بوعد النصر والغلبة أى ان كنتم مؤمنين فلاتهنوا ولاتحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة بالأعداء أوان كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فان الايمان يقتضى العلو بلا شك (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) أى ان أصابكم جرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر جرح مثل ماأصابكم يوم أحد ثم لم يضعف ذلك قلوبهم فأنتم أحق بأن لاتضعفوا وقيل ان المعنى ان نالكم يوم أحد قرح وانهزام فقد نال الكفار فى ذلك اليوم مثل ذلك فان المسلمين نالوا من الكفار قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم فى أول النهار (وتلك الايام) أى أيام الدنيا (نداولها بين الناس) لايدوم مسارها ولامضارها فيوم يحصل فيه السرور للمؤمنين والغم للاعداء و يوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين والأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله منصب شريف فلايليق بالكافر بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين ولو شدد المحنة على الكفار فى جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين فى جميع الأوقات لحصل العلم الاضطرارى بأن الايمان حق وماسواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضا ان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيشدد الله المحنة عليه فى الدنيا تأديبا له وأما تشديد المحنة على الكافر فانه غضب من الله عليه وأيضا ان لذات الدنيا وآلامها غير باقية وانما السعادات المستمرة فى دار الآخرة وروى أن أباسفيان صعد الجبل يوم أحد ثم قال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال ان كان الأمر كما تزعمون فقد خبنا اذا وخسرنا (وليعلم الله الذين آمنوا) واللام متعلقة بفعل مضمر والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكى يرى الله الذين أخلصوا فى ايمانهم متميزين من المنافقين اذا أصابتهم المشقة كما وقع فى أحد (و يتخذ منكم شهداء) أى يكرم الله من يشاء منكم بالشهادة

(فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى كيف كان آخر أمر المكذبين منهم نزلت فى قصة يوم أحد يقول الله فأنا أمهلهم حتى يبلغ أجلى الذى أجلت فى نصرة النبى وأوليائه وهلاك أعدائه (هذا بيان للناس) يعنى القرآن بيان للناس عامة (وهدى وموعظة للمتقين) خاصة وهم الذين هداهم الله بفضله (ولاتهنوا) أى ولا تضعفوا عن جهاد عدوكم بما نالكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) أى على مافاتكم من الغنيمة (وأنتم الأعلون) أى لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر (ان كنتم مؤمنين) يعنى أن الايمان يوجب ماذكر من ترك الوهن والحزن (ان يمسسكم قرح) أى يصبكم جراح وألمها يوم أحد (فقد مس القوم) يعنى المشركين (قرح مثله) أى يوم بدر (وتلك الايام) يعنى أيام الدنيا (نداولها) أى نصرفها (بين الناس) يعنى مرة لفرقة ومرة عليها (وليعلم الله الذين آمنوا) مميزين بالايمان من غيرهم أى انما يجعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة والمعنى ليعلمهم مشاهدة كما علمهم غيبا (و يتخذ منكم شهداء) أى وليكرم قوما بالشهادة

وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أى المشركين وانما يظفرهم فى بعض الاحيان استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) أى ليطهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم فى الجهاد ان كانت الغلبة للكافرين على المؤمنين (ويمحق الكافرين) أى يهلكهم فى الحرب ان كانت الغلبة للمؤمنين على الكافرين (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والخطاب للذين انهزموا يوم أحد أى أظننتم أن تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أى الجمع بينهما أى لا تحسبوا ذلك والحال أن الله تعالى لم ير المجاهدين منكم فى سبيل الله يوم أحد والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) بالشهادة فى الحرب (من قبل أن تلقوه) أى الموت يوم أحد حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه من الكرامة وكانوا قد ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (فقد رأيتموه) أى ان كنتم صادقين فى تمنيكم الحرب فقد رأيتم الموت بمشاهدة أسبابه يوم أحد (وأنتم تنظرون) الى سيوف الكفار حين قتل أمامكم من قتل من اخوانكم فلم انهزمتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى قد مضت من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبى صلى الله عليه وسلم بأحد أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحب لواء الكفار وشد الزبير والمقداد على المشركين فانهزم الكفار ثم بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد فقتله ابن قميئة فظن أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فهناك قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال قوم من المنافقين لو كان محمد نبيا ما قتل وان كان قد قتل فارجعوا الى دينكم الأول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون فى الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء المسلمون وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المنافقون ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس ويقول الى عباد الله فأول من عرفه صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن أمسك فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا نبى الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى هذه الآية (أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أى أصرتم كفارا بعد ايمانكم ان مات محمد أو قتل كغيره من الرسل فتخالفوا سنن أتباع الأنبياء قبلكم فى ثباتهم على ملل أنبيائهم بعد موتهم أى لا ينبغى منكم الارتداد حينئذ لأن محمدا صلى الله عليه وسلم مبلغ لا معبود وقد بلغكم

والمعبود

(والله لا يحب الظالمين) أى المشركين يعنى أنه انما يديل المشركين على المؤمنين لما ذكر لا لأنه يحبهم (وليمحص الله الذين آمنوا) أى ليخلصهم من ذنوبهم بما يلحقهم من قتل وجرح وذهاب مال (ويمحق الكافرين) أى يستأصلهم اذا أدال عليهم يعنى أنه يديل على المؤمنين لما ذكر ويديل على الكافرين لاهلاكهم بذنوبهم (أم حسبتم) بل حسبتم أى لا تحسبوا (أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) أى ولما يقع العلم بالجهاد مع العلم بصبر الصابرين والآية خطاب للذين انهزموا يوم أحد قيل لهم أحسبتم أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وثبتوا على ألم الجراح والصبر من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم (ولقد كنتم تمنون الموت) كانوا يتمنون يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لنفعلن ونفعلن ثم انهزموا يوم أحد فاستحقوا العقاب وقوله (من قبل أن تلقوه) يعنى من قبل يوم أحد (فقد رأيتموه) أى رأيتم ما كنتم تمنون من الموت يعنى رأيتم أسبابه (وأنتم تنظرون) أى وأنتم بصراء تتأملون الحال فى ذلك كيف هى فلم انهزمتم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى يموت كما ماتت الرسل قبله (أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أى ارتددتم كفارا بعد ايمانكم وذلك أنه لما نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأشيع أنه قد قتل قال ناس من أهل النفاق للمؤمنين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فأنزل الله هذه الآية

والمعبودباق فلاوجه لرجوعكم عن الدين الحق لومات من بلغكم اياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرالله شيئا) أى ومن يرجع الى دينه الأول وهو الشرك فلن ينقص الله برجوعه شيئا وانما يهلك نفسه باقباله على العذاب (وسيجزى الله الشاكرين) أى الثابتين على دين الاسلام الذى هو أجل نعمة وأعز معروف كأنس بن النضر وأمثاله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أى بارادة الله وقضائه (كتابا مؤجلا) أى كتب الله الموت كتابا مؤقتا كتابة أجله ورزقه سواء لايسبق أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن الحذر لايدفع القدر وأن أحدا لايموت قبل الأجل واذاجاء الأجل لايندفع الموت بشئ فلافائدة فى الجبن والخوف (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أى منفعة الدنيا (نؤته منها) أى نعطه من الدنيا مايريد مما نشاء أن نعطيه اياه وماله فى الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) أى منفعة الآخرة (نؤته منها) أى نعطه من الآخرة مايريد مما نشاء من الأضعاف حسب ماجرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) أى نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى الى ماخلق لأجله من طاعة الله تعالى فاعلم أن الذين حضروا يوم أحد كانوا فريقين منهم من يريد الدنيا كالذين تركوا المركز طلبا للغنيمة والثناء وهؤلاء لابد وأن ينهزموا ومنهم من يريد الآخرة كالذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلوا والذين حضروا للدين لابد وأن لاينهزموا واعلم أن هذه الآية وان وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الأعمال وذلك لأن المؤثر فى جلب الثواب والعقاب الدواعى والقصود لاظواهر الأعمال كما فى قوله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات فان من وضع الجبهة على الأرض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الاسلام وان قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله) قرأ ابن كثير كائن بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة والباقون بهمزة بعد الكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وقتل مبنيا للمفعول وقتادة كذلك الا أنه شدد التاء وباقى السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على المبتدا والجملة خبر المبتدا وجملة معه ربيون من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير صفة لربيون والمعنى على القراءة الأولى وكثير من الأنبياء قتلوا وبعدهم الذين بقوا من جماعتهم فما وهنوا أى ضعفوا فى دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغى أن يكون حالكم ياأمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير ماسمعنا بنبى قتل فى القتال وقال الحسن البصرى وجماعة من العظماء لم يقتل نبى فى حرب قط والمعنى على القراءة المشهورة وكثير من نبى قاتل لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه كائنا معه فى القتال جماعات كثيرة من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا أى جبنوا لأن الذى أصابهم انما هو فى طاعة الله واقامة دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغى أن تفعلوا مثل ذلك ياأمة محمد (وماضعفوا) أى عجزوا عن قتال عدوهم (وما استكانوا) أى ذلوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم أن تعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبى فى طلب الأمان من أبى سفيان (والله يحب الصابرين) على تحمل الشدائد فى طريق الله أى يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بعد ماقتل نبيهم (الا أن قالوا) هذا الدعاء وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) الصغائر والكبائر (واسرافنا) أى افراطنا (فى أمرنا) باتيان الذنوب العظيمة الكبيرة (وثبت أقدامنا) بازالة الخوف عن القلوب وازالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى فى

(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) أى فانما يضر نفسه باستحقاق العقاب (وسيجزى الله) بما يستحقون من الثواب (الشاكرين) أى الطائعين لله من المهاجرين والأنصار ثم عاتب المنهزمين بقوله (وما كان لنفس أن تموت) أى ماكانت نفس أن تموت (الا باذن الله) أى بقضائه وقدره كتب الله ذلك (كتابا مؤجلا) أى الى أجله الذى قدر له فلم انهزمتم والهزيمة لا تزيد فى الحياة (ومن يرد) بطاعته وعمله (ثواب الدنيا) أى زينتها وزخرفها (نؤته منها) نعطه منها ماقدرناه له يعنى بهذا المنهزمين طلبا للغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة) يعنى الذين ثبتوا حتى قتلوا (نؤته منها) ثم احتج على المنهزمين بقوله (وكأين من نبى) أى وكم من نبى (قتل معه) فى معركة (ربيون كثير) أى جماعات كثيرة (فما وهنوا) أى فما ضعفوا بعد قتل نبيهم الآية (وما كان قولهم) أى قول أصحاب ذلك النبى المقتول عند الحرب بعد قتل نبيهم (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا) أى تجاوزنا ماحد لنا (فى أمرنا وثبت أقدامنا) أى بالقوة من عندك والنصرة

(فآتاهم الله ثواب الدنيا) أي النصر والظفر (وحسن ثواب الآخرة) أي الأجر والمغفرة (يأيها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا) أي اليهود والمشركين حيث قالوا لكم يوم أحد ارجعوا الى دين آبائكم وهو قوله (يردوكم على أعقابكم) أي يرجعوكم الى أول أمركم من الشرك بالله (بل الله مولاكم) فاستغنوا به عن موالاة الكفار فانا ناصركم فلاتستنصروهم ولما انصرف المشركون من أحد هموا بالرجوع لاستئصال المسلمين وخاف المسلمون ذلك فوعدهم الله تعالى خذلان أعدائهم بقوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف حتى لايرجعوا اليكم (بما أشركوا) أي باشراكهم (بالله مالم ينزل به سلطانا) أي حجة و برهانا يعني الأصنام يعبدونها مع الله بغير حجة (ومأواهم) أي ومرجعهم (النار و بئس مثوى) أي مقام (الظالمين ولقد صدقكم الله وعده) أي بالنصر والظفر (اذ تحسونهم) أي تقتلون المشركين يوم أحد في أول الأمر (باذنه) أي بعلم الله وارادته (حتى اذا فشلتم) أي جبنتم عن عدوكم (وتنازعتم) أي اختلفتم (في الأمر) يعني قول بعضهم ما مقامنا ههنا
وقد انهزم القوم أي الكافرون وقول بعضهم لانجاوز أمر رسول الله ﷺ وهذا الاختلاف كان بين الرماة
الرماة الذين كانوا عند المركز (وعصيتم) الرسول بترك المركز (من بعد ماأراكم ماتحبون) من الظفر والنصر على أعدائكم (منكم

كيفية الطلب بالأدعية عند النوائب والمحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فآتاهم الله ثواب الدنيا) بالنصرة والغنيمة وقهر العدو والثناء الجميل وانشراح الصدر بنور الايمان و زوال ظلمات الشبهات وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أي حكم الله لهم بحصول الجنة ومافيها من المنافع واللذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أي المعترفين بكونهم مسيئين فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كأن الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم باساءتكم وعجزكم فأنا أصفكم بالاحسان وأجعلكم أحباء لنفسي حتى تعلموا أنه لاسبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار الذلة والمسكنة والعجز (يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أي المنافقين في قولهم للمؤمنين المنهزمين ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أي يرجعوكم الى دينكم الأول قال علي والمراد بالذين كفروا المنافقون كما تقدم وقال السدي وغيره المراد بهم أبو سفيان بن حرب لأنه شجرة الفتن وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حينئذ ان تخضعوا لأبي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل المراد عبد الله بن أبي وأتباعه من المنافقين لأنهم قالوا لو كان محمد رسول الله ماوقعت له هذه الواقعة فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه وقال ابن عباس والمراد بهم اليهود كعب وأصحابه والمراد بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاسرين) أي فترجعوا مغبونين في الدارين بالانقياد للعدو والتذلل له و بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله مولاكم) أي ناصركم (وهو خير الناصرين) أي أقواهم بالنصرة فلا ينبغي أن تطيعوا الكفار لينصروكم لأنهم عاجزون (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي سنقذف في قلوب كفار مكة المخافة منكم حتى انهزموا وذلك أن الكفار لما هزموا المسلمين في أحد أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روي أن أباسفيان صعد الجبل وقال أين ابن أبي كبشة وأين ابن أبي قحافة وأين ابن الخطاب فأجابه عمر ودارت كلمات بينهما وما تجاسر أبو سفيان على النزول من الجبل والذهاب اليهم (بما أشركوا بالله مالم ينزل به) أي بعبادته (سلطانا) أي كتابا ولارسولا (ومأواهم النار) أي مسكنهم في الآخرة النار (و بئس مثوى الظالمين) أي و بئس مقر الكافرين النار (ولقد صدقكم الله وعده) يوم أحد نزلت هذه الآية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وقد أصابهم ماأصابهم بأحد قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى هذه الآية (اذ تحسونهم) أي تقتلونهم قتلا كثيرا في أول الحرب (باذنه) أي بعلمه ونصرته (حتى اذا فشلتم) أي الى أن ضعفتم في الرأي أو الى حين ملتم الى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر الحرب أو في امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لايبرحوا عن مكانهم البتة وجعل أميرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرمي الكثير حتى انهزم المشركون ثم ان الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخيلهن فقالوا الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله عهد الرسول الينا أن لانبرح عن هذا المكان فأبوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة و بقي عبد الله مع طائفة قليلة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون (وعصيتم) أمر النبي ﷺ بالاقامة في أصل الجبل وتركتم المركز لأجل تحصيل الغنيمة (من بعد ما أراكم ماتحبون) أي بعد ماأراكم النبي صلى الله عليه وسلم النصرة والغنيمة (منكم) أي من

من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا الى النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعنى الذين ثبتوا فى المركز (ثم صرفكم) أى ردكم بالهزيمة (عنهم) أى عن الكفار (ليبتليكم) أى ليختبركم بما جعل عليكم من الدبرة فتبين الصابر من الجازع والمخلص من المنافق (ولقد عفا عنكم) ذنبكم بعصيان رسول الله ﷺ والهزيمة (والله ذو فضل على المؤمنين) بالمغفرة (اذ تصعدون) أى تبعدون فى الهزيمة (ولا تلوون) ولا تقيمون (على أحد والرسول يدعوكم فى أخريكم) أى من خلفكم يقول الى عباد الله وأنتم لا تلتفتون (فأثابكم) أى جعل ما ترجون من الثواب (غما) وهو غم الهزيمة وظفر المشركين (بغم) يعنى بغمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عصيتموه (لكى لا تحزنوا) أى عفا عنكم لكى لا تحزنوا (على ما فاتكم) من الغنيمة (ولا) على (ما أصابكم) من القتل والجراح (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) وذلك أنهم خافوا كرة المشركين عليهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فأمنهم الله تعالى أمنا ينامون معه وكان ذلك خاصا للمؤمنين وهو قوله (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) وهم المنافقون كان همهم خلاص أنفسهم (يظنون بالله غير الحق) أى يظنون أن أمر محمد مضمحل وأنه لا ينصر (ظن الجاهلية) أى كظن الجاهلية وهم الكفار (يقولون هل لنا من الأمر من شىء) أى ليس لنا من الظفر والنصر شىء كما وعدنا يقولون ذلك على جهة التكذيب فقال الله تعالى (قل ان الأمر كله) أى النصر والشهادة والقضاء والقدر (لله يخفون فى أنفسهم) من الشرك والنفاق (ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شىء) أى لو كان الاختيار الينا (ما قتلنا هاهنا) يعنون أنهم أخرجوا كرها ولو كان الأمر بيدهم ما خرجوا وهذا تكذيب منهم بالقدر فرد الله تعالى عليهم بقوله

---

الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لأجل الغنيمة (ومنكم) أى من الرماة (من يريد الآخرة) بجهاده وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبير وأصحابه (ثم صرفكم عنهم) أى ثم رد الله المسلمين عن الكفار وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليبتليكم) أى ليجعل ذلك الصرف محنة عليكم لتتوبوا الى الله وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره وملتم فيه الى الغنيمة (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على المخالفة وتفضلا منه تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين) حيث لم يستأصل الرماة (اذ تصعدون) أى تذهبون فى الأرض (ولا تلوون على أحد) أى ولا تلتفتون الى أحد من شدة الهرب (والرسول يدعوكم فى أخراكم) أى وهو واقف فى آخركم وكان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (فأثابكم غما بغم) أى جازاكم الله غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الأحباب وفوت الغنائم بغم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبو السعود أى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات أو ضر آت (والله خبير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم ومقاصدكم قادر على مجازاتها ان خيرا فخير وان شرا فشر (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة) من العدو (نعاسا يغشى طائفة منكم) أى يأخذ النعاس المهاجرين وعامة الأنصار (وطائفة) وهم المنافقون عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير وأصحابهما (قد أهمتهم أنفسهم) أى أوقعتهم فى الهموم لأن أسباب الخوف وهى قصد العدو كانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ورسوله غير معتبر عندهم لأنهم كانوا مكذبين بالرسول فى قلوبهم فلذلك عظم الخوف فى قلوبهم (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أى كانوا يقولون فى أنفسهم لو كان محمد محقا فى دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن فاسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه فان النبوة خلعة من الله تعالى يشرف عبده بها وليس يجب فى العقل أن الله تعالى اذا شرف عبده بخلعة أن يشرفه بخلعة أخرى بل له الأمر والنهى كيف شاء بحكم الالهية (يقولون هل لنا من الأمر من شىء) أى هل لنا من النصر الذى وعدنا به محمد نصيب قط وهذا الكلام ان كان قائله من المنافقين كعبد الله بن أبى فانما قاله طعنا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام وان كان من المؤمنين المحقين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج ومن أين يكون تحصل النصرة (قل ان الأمر) أى التدبير (كله لله) فانه تعالى قد دبر الأمر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) أى يقولون فيما بينهم بطريق الخفية مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب مخافة القتل (يقولون) أى معتب بن قشير وعبد الله بن أبى (لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا) أى لو كان لنا من التدبير والرأى شىء ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة وما غلبنا

(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أى قل يا أشرف الخلق لهم لو جلستم فى بيوتكم فى المدينة لخرج منكم من كتب الله عليهم القتل الى مصارعهم أى أماكنهم التى ماتوا فيها عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه يوجد فان الحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر الله عليهم القتل لابد وأن يقتلوا لأن الله تعالى لما أخبر أنه يقتل فلو لم يقتل لانقلب علمه جهلا وذلك محال (و) فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم يوم أحد (ليبتلى الله ما فى صدوركم) أى ليعاملكم معاملة من يختبر ما فى قلوبكم من الاخلاص والنفاق وليظهر ما فيها من السرائر و فى المثل المشهور لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين (وليمحص ما فى قلوبكم) أى يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب من الخير والشر (ان الذين تولوا منكم) أى انهزموا يوم أحد وهم عثمان بن عفان و رافع بن المعلى وخارجة بن زيد (يوم التقى الجمعان) جمع محمد ﷺ وجمع أبى سفيان (انما استزلهم الشيطان) أى أزلهم الشيطان بوسوسته أن محمدا قتل (ببعض ما كسبوا) أى بشؤم بعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز و بالحرص على الغنيمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) لمن تاب (حليم) أى لا يعجل لهم بالعقوبة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة ابن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الأنصار الخباب بن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أى فى نفس الأمر وهم المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أى لأجل اخوانهم فى النسب أو فى الكفر والنفاق (اذا ضربوا فى الأرض) أى ساروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أى مقيمين فى المدينة (ما ماتوا) فى سفرهم (وما قتلوا) فى غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أى ظنهم أن اخوانهم لو لم يسافروا ولم يحضروا القتال لعاشوا (حسرة) أى حزنا (فى قلوبهم) واللام لام العاقبة أى أنهم قالوا ذلك لاعماء قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليتخلفوا عن القتال فلما كان المؤمنون لم يلتفتوا الى قولهم فيضيع سعيهم و يبطل كيدهم فتحصل الندامة فى قلوبهم (والله يحيى و يميت) فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان لم يجاهد فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الخوف و يميت القاعد عن القتال والمقيم مع حيازتهما لأسباب السلامة (والله بما تعملون بصير) فيجازيهم على قولهم واعتقادهم و يجازيكم أن تماثلوهم فى ذلك (ولئن قتلتم فى سبيل الله) أى فى الجهاد (أومتم) فى سفركم للغزو مع الكفار أو فى بيوتكم وكنتم مخلصين من النفاق (لمغفرة من الله) لذنوبكم (ورحمة) منه لكم (خير مما تجمعون) أى مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا من الأموال التى تعد خيرات وقرأ حفص عن عاصم بالغيبة أى خير مما يجمعه هؤلاء الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم قال الفخر الرازى والأصوب عندى أن اللام فى ولئن للتأكيد فيكون المعنى ان وجب أن تموتوا أو تقتلوا فى سفركم وغزوكم فكذلك يجب أن تفوزوا بالمغفرة والرحمة فلماذا تحترزون عن الموت والقتل بل ذلك مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون لأن الموت الذى يستحق الثواب العظيم كان خيرا من الموت

(وليبتلى الله ما فى صدوركم) أيها المنافقون مثل ما فعل يوم أحد (وليمحص) أى وليطهر و يكشف (ما فى قلوبكم) أيها المؤمنون من الرضا بقضاء الله (والله عليم بذات الصدور) أى بضمائرها (ان الذين تولوا منكم) أيها المؤمنون بقضاء الله (يوم التقى الجمعان) يعنى الذين انهزموا يوم أحد (انما استزلهم الشيطان) أى حملهم على الزلة (ببعض ما كسبوا) يعنى معصيتهم النبى ﷺ بترك المركز (ولقد عفا الله عنهم) تلك الخطيئة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) فى النسب أى قالوا فى شأن اخوانهم (اذا ضربوا) أى سافروا (فى الأرض) فماتوا أو هلكوا (أو كانوا غزى) جمع غاز فقتلوا (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) تكذيبا منهم بالقضاء والقدر (ليجعل الله ذلك) أى ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا الحرب لاندفع عنهم القتل (حسرة فى قلوبهم) ينهى المؤمنين أن يكونوا كهؤلاء الكفار فى هذا القول منهم ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم دون قلوب المؤمنين (والله يحيى و يميت) فليس ينفع الانسان تحرزه من اتيان أجله (ولئن قتلتم) أى والله لئن من (قتلتم فى سبيل الله) أى فى الجهاد أيها المؤمنون (أومتم) فى سبيل الله (لمغفرة من الله ورحمة) أى ليغفرن لكم وهو (خير مما تجمعون) أى

من أعراض الدنيا (ولئن متم) مقيمين على الجهاد (أوقتلتم) مجاهدين (لالى الله تحشرون) فى الحالين (فبما رحمة) أى فبرحمة أى بنعمة من الله واحسان منه اليك (لنت لهم) يا محمد أى سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك (ولو كنت فظا) أى غليظا فى القول (غليظ القلب) فى الفعل (لانفضوا من حولك) أى لتفرقوا من حولك (فاعف عنهم) مافعلوا يوم أحد (واستغفر لهم) حتى أشفعك فيهم (وشاورهم فى الأمر) تطييبا لنفوسهم ورفعا من أقدارهم ولتصير سنة (فاذا عزمت) أى على ماتريد امضاءه (فتوكل على الله) لا على المشاورة (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) من الناس (وان يخذلكم) لا ينصركم أحد من بعده والمعنى لا تتركوا أمرى للناس وارفضوا الناس لأمرى (وما كان لنبى أن يغل) أى يخون بكتمان شئ من الغنيمة عن أصحابه نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى ﷺ أخذها فنفى عنه الغلول و بين أنه ما غل نبى والمعنى ما كان لنبى غلول

من غير فائدة (ولئن متم) فى حضر أوسفر (أوقتلتم) فى الجهاد أوغيره (لالى الله تحشرون) فجميع العالمين يوقفون فى عرصة القيامة و بساط العدل فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل والله تعالى يحكم بين عبيده بالعدل واعلم أن الله تعالى رغب المجاهدين فى الآية الأولى بالمغفرة والرحمة وفى هذه الآية بالحشر الى الله زيادة فى اعلاء الدرجات يروى أن عيسى بن مريم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ورأى آثار العبودية عليهم أكثر فسألهم فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون فقوله تعالى لمغفرة من الله اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه وقوله ورحمة اشارة الى من يعبده لطلب ثوابه وقوله تعالى لالى الله تحشرون اشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلا المقامات وأبعد النهايات فى العبودية فى علو الدرجة فهؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم فى طاعة الله ومجاهدة عدوه يكون حشرهم اليه واستئناسهم بكرمه وتمتعهم بشروق نور ربوبيته (فبما رحمة) فما استفهام للتعجب تقديره فبأى رحمة (من الله لنت لهم) وذلك لانه لما كانت جنايتهم عظيمة ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يظهر تغليظا فى القول البتة علموا أن هذا لا يتأتى الا بتأييد ربانى فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك التأييد (ولو كنت فظا) باللسان (غليظ القلب) أى قاسيه (لانفضوا من حولك) أى لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من الرسالة (فاعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك (واستغفر لهم) من الله تعالى فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم (وشاورهم فى الأمر) فان المشاورة تقتضى شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم لانها تدل على رفعة درجتهم فترك المشاورة معهم اهانة لهم قال صلى الله عليه وسلم ماشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمورهم (فاذا عزمت) عقب المشاورة على شئ (فتوكل على الله) فى امضاء أمرك على ما هو أصلح وليس التوكل اهمال التدبير بالكلية والا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل بل التوكل هو أن يراعى الانسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله واعانته (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم و يرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاح (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) أى ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) أى يترك الله نصرتكم كيوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد خذلانه تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بالنصرة وغيرها (وما كان لنبى أن يغل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين أى وما جاز لنبى أن يخون أمته فى الغنائم قال الكلبى ومقاتل نزلت هذه الآية حين ترك الرماة المركز يوم أحد طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبى ﷺ من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال ﷺ لهم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال ﷺ ظننتم أنا نغل فلا نقسم لكم فنزلت هذه الآية وقرأ الباقون من السبعة يغل بضم الياء وفتح الغين أى وما جاز لنبى أن يخان لان الوحى كان يأتيه حالا فحالا فمن خانه فربما نزل الوحى فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولان الخيانة فى حقه ﷺ أفحش لانه أفضل البشر ولان المسلمين فى ذلك الوقت كانوا فى غاية الفقر كما روى

(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) حاملا له على ظهره (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى تجازى ثواب عملها (وهم لا يظلمون) أى لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئا (أفمن اتبع رضوان الله) أى الايمان به والعمل بطاعته يعنى المؤمنين (كمن باء بسخط من الله) أى احتمله بالكفر والعمل بمعصيته يعنى المنافقين (هم درجات عند الله) أى أهل درجات يريد أنهم مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الكرامة والثواب ولمن باء بالسخط منه المهانة والعذاب (والله بصير بما يعملون) فيه حث على الطاعة وتحذير من المعصية (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى واحدا منهم عرف أمره وخبر صدقه وأمانته ليس بملك ولا أحد من غير بنى آدم و باقى الآية مفسر فى سورة البقرة (وان كانوا) أى وقد كانوا (من قبل) بعثته (لفى ضلال مبين أولما) أوحين (أصابتكم مصيبة) يعنى ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم) أنتم (مثليها) يوم بدر وذلك أنهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين وقتل منهم يوم أحد سبعون (قلتم أنى هذا) أى من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) أى انكم تركتم المركز وطلبتم الغنيمة فمن قبلكم جاءكم الشر (ان الله على كل شئ قدير) من النصر مع طاعتكم نبيكم وترك النصر مع مخالفتكم اياه (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى يوم أحد (فباذن الله) أى بقضائه وقدره يسليهم بذلك (وليعلم المؤمنين) ثابتين صابرين (وليعلم الذين نافقوا) أى المنافقين جازعين مما نزل بهم (وقيل لهم) أى لعبد الله بن أبى وأصحابه لما انصرفوا ذلك اليوم عن المؤمنين



أن النبى صلى الله عليه وسلم لما وقعت فى يده يوم حنين غنائم هوازن غل رجل بمخيط فنزلت هذه الآية (ومن يغلل يأت بما غل) أى يأت بالذى غله بعينه يحمله على عنقه (يوم القيامة ثم توفى كل نفس) أى تعطى وافيا (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من الغلول وغيره (وهم) أى كل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص ثواب لانه تعالى عادل فى حكمه (أفمن اتبع رضوان الله) أى أمن اتقى فاتبع رضوان الله بالايمان به والعمل بطاعته (كمن باء بسخط من الله) أى كمن استحق سخطا من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته (ومأواه) أى الغال أو من استوجب سخط الله (جهنم و بئس المصير) جهنم (هم درجات عند الله) أى الفريقان مختلفون فى درجات الثواب والعقاب فى حكم الله وعلمه باختلاف مراتب الطاعات والمعاصى (والله بصير بما يعملون) أى بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد من الله على المؤمنين) أى لقد أحسن اليهم (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى بعث آدميا ولد فى بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين بأحواله من أول العمر الى آخره أنه ملازم الصدق والأمانة وهو صار شرفا للعرب وفخرا لهم وذلك لان الافتخار بابراهيم عليه السلام كان مشتركا فيه اليهود والنصارى والعرب ثم ان اليهود يفتخرون بموسى والتوراة والنصارى يفتخرون بعيسى والانجيل فما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الأمم فهذا وجه الفائدة فى قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن أى يبلغ الوحى من عند الله الى الخلق بالأمر والنهى (ويزكيهم) أى يطهرهم بالتوحيد من الشرك و بأخذ الزكاة من الذنوب ويكمل نظرهم بحصول المعارف الالهية (ويعلمهم الكتاب) أى ظواهر الشريعة أو يعرفهم التأويل (والحكمة) أى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها (وان كانوا من قبل) أى والحال أنهم كانوا من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) أو المعنى وما كانوا من قبل مجىء محمد والقرآن الا فى ضلال بين وذلك لان دين العرب قبل ذلك كان أرذل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أرذل الاخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمدا ﷺ اليهم انتقلوا ببركته من تلك الدرجة التى هى أخس الدرجات الى أحسنها وصاروا أفضل الأمم فى العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات الى الدنيا وطيباتها ولا شك أن هذا أعظم المنة (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) أى أقلتم متعجبين من أين أصابنا هذا ونحن ننصر الاسلام الذى هو دين الحق ومعنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين علينا وقد تقدم الوعد بالنصر حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين والاسير فى حكم المقتول لان الآسر يقتل أسيره ان أراد (قل هو) أى حصول هذا الأمر (من عند أنفسكم) أى بشؤم معصيتكم بترككم المركز وحرصكم على الغنيمة (ان الله على كل شئ قدير) فانه قادر على نصركم لو ثبتم وصبرتم كما هو قادر على التخلية بينكم و بين عدوكم اذا خالفتم وعصيتم (وما أصابكم) فى أحد من القتل والجراحة (يوم التقى الجمعان) جمع محمد وجمع أبى سفيان (فباذن الله) أى فهو بقضائه وارادته (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم)

أى وليظهر الله للناس الثابتين على الايمان والذين أظهروا النفاق والامتناع من الجهاد مع وجود الطلب وهم عبدالله بن أبى وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد الى المدينة قال لهم عبدالله بن جبير أو عبد الله ابن عمرو بن حرام والد جابر بن عبدالله الانصارى أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو (تعالوا) الى أحد (قاتلوا فى سبيل الله أوادفعوا) أى كونوا اما من رجال الدين و من رجال الدنيا فان كان فى قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا لهما فى طاعة الله وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم و بلدكم (قالوا لونعلم قتالا) أى لو نحسن قتالا ونقدر عليه (لاتبعناكم) الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) أى هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهرون الايمان من أنفسهم وما ظهرت منهم أمارة تدل على كفرهم فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضا قولهم ذلك يدل على كفرهم لأنه اما على السخرية بالمسلمين واما على عدم الوثوق بقول النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما كفر (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) فانهم أظهروا أمرين ليس فى قلوبهم واحد منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما فانهم عالمون بالقتال غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين على الانخزال عازمين على الارتداد (والله أعلم بما يكتمون) أى يعلم من تفاصيل تلك الاحوال مالا يعلمه غيره (الذين قالوا) أى الذين نافقوا وهم عبدالله بن أبى وأصحابه (لاخوانهم) أى لاجل اخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أقاربهم (و) قد (قعدوا) عن القتال بالانخزال (لوأطاعونا) أى فيما أمرناهم به ووافقونا فى ذلك (ماقتلوا) كما لم نقتل (قل) للمنافقين (فادرؤا) أى ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) فى أن القعود ينجى منه وروى أنه أنزل الله بهم الموت فمات منهم يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا من غير قتال ومن غير خروج لاظهار كذبهم (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) نزلت هذه الآية فى حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان وعبدالله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فنزلت فيهم آية البقرة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله الآية (بل) هم (أحياء عند ربهم يرزقون) التحف من الجنة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى صفة الشهداء ان أرواحهم فى أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ ألا أبشرك أن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال ما تريد يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك فقال يارب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) أى أن الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا اخواننا فلانا وفلانا فى صف المقاتلة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصبنا أى يفرحون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا بدوام اتقاء الخوف والحزن و بلحوقهم بهم لان الله بشرهم بذلك (يستبشرون بنعمة من الله) أى بثواب أعمالهم من الله (وفضل) أى زيادة عظيمة من الكرامة (وأن الله لايضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول

(تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أوادفعوا) عنا القوم بتكثيركم سوادنا ان لم تقاتلوا (قالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم أنكم تقاتلون اليوم لاتبعناكم ولكن لا يكون اليوم قتال ونافقوا بهذا لأنهم لو علموا ذلك ما اتبعوهم قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ) بما أظهروا من خذلان المؤمنين (أقرب منهم للايمان) لأنهم كانوا قبل ذلك أقرب الى الايمان بظاهر حالهم فلما خذلوا المؤمنين صاروا أقرب الى الكفر من حيث الظاهر (الذين قالوا) يعنى المنافقين (لاخوانهم) يعنى لأمثالهم من أهل النفاق (وقعدوا) عن الجهاد الواو للحال (لوأطاعونا) يعنون شهداء أحد فى الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود (ماقتلوا) فرد الله عليهم وقال (قل) لهم يا محمد (فادرؤا) أى فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم أن الحذر ينفع من القدر (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله) يعنى شهداء أحد (أمواتا بل أحياء) أى بل هم أحياء (عند ربهم) أى فى دار كرامته لأن أرواحهم فى أجواف طير خضر (يرزقون) أى يأكلون (فرحين) أى مسرورين (بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أى ويفرحون باخوانهم الذين فارقوهم أى يرجون لهم الشهادة فينالوا مثل ما نالوا (أن لاخوف عليهم) أى بأن لاخوف عليهم يعنى على اخوانهم المؤمنين اذا لحقوا بهم (الذين استجابوا لله والرسول)

من بعد ما أصابهم القرح) فى أحد منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (للذين أحسنوا منهم) فى طاعة الرسول فى ذلك الوقت (واتقوا) فى التخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا أريد أن يخرج الآن معى الا من كان معى فى القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوم من أصحابه قيل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال على يسار الطريق لمن أراد ذا الحليفة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر فألقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت هذه الآية (الذين قال لهم الناس) وهو أعرابى من خزاعة أو جماعة راكبون من عبد القيس أو نعيم بن مسعود الاشجعى (ان الناس) أى أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم) فى اللطيمة وهى سوق فى قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم روى أن أبا سفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب من بنى عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب وقد بدا لى أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاد بذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد المسلمين يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا أبا سفيان بموسم بدر أن نقتتل فيها فقال لهم ما هذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام فى قلوب بعضهم فكره الخروج فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذى نفس محمد بيده لأخرجن اليهم ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وباقى الجماعة يمشون وفيهم ابن مسعود فذهبوا وكلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى أن وصلوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان ثمان ليال ولم يلق أحدا من المشركين ووافقوا السوق وباعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا أدما وزبيبا وربحوا فى الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فزادهم ايمانا) أى زادهم هذا الكلام المخوف جراءة بالخروج اليهم وعزما متأكدا على محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا حسبنا الله) أى كافينا الله وثقتنا به (ونعم الوكيل) أى الكفيل بالنصرة والكافى (فانقلبوا بنعمة من الله) أى فخرجوا الى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أى ربح فى التجارة (لم يمسسهم) أى لم يصبهم فى الذهاب والمجىء (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة رسوله (والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويعطيهم ثواب الغزو ويرضى عنهم (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقرأ أبى بن كعب يخوفكم بأوليائه أى ذلكم المثبط الشيطان يخوفكم أيها المؤمنون المشركين أبا سفيان وأصحابه وقال الحسن والسدى

مخالفته (أجر عظيم) نزلت فى الذين أطاعوا الرسول حين ندبهم للخروج فى طلب أبى سفيان يوم أحد لما هم أبو سفيان ومن معه بالانصراف الى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليستأصلوهم (الذين قال لهم الناس) الآية كان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوافيه العام المقبل يوم أحد ببدر الصغرى فلما كان العام المقبل بعث نعيم بن مسعود الأشجعى ليجبن المؤمنين عن لقائه وهو قوله الذين يعنى المؤمنين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود (ان الناس) يعنى أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم فاخشوهم) ولا تأتوهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) ثبوتا فى دينهم واقامة على نصرة نبيهم (وقالوا حسبنا الله) أى الذى يكفينا أمرهم الله (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه الأمر (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لذلك الموعد فلم يلق أحدا من المشركين ووافقوا السوق وذلك أنه كان موضع سوق لهم فاتجروا فربحوا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وهو قوله (لم يمسسهم) لم يصبهم (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة الله ورسوله وقوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم بأوليائه يعنى الكفار

معنى هذه الآية الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه و يختارون أمره وهم المنافقون ليقعدوا عن قتال المشركين فأما أولياء الله فانهم لايخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا ينقادون لأمره (فلا تخافوهم) أى أولياء الشيطان بالخروج اليهم (وخافون) فى مخالفة أمرى بالجلوس (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى تقديم خوف الله على خوف الناس و يستلزم عدم الخوف من شر الشيطان وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى فى جميع مافى القرآن الاقوله تعالى لايحزنهم الفزع الأكبر فى سورة الأنبياء فانه فتح الياء وضم الزاى كباقى القراء فى جميع مافى القرآن (انهم لن يضروا الله شيئا) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى شأن كفار قريش والله تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم والمعنى لايحزنك من يسارع فى الكفر بنصرته بأن يقصد جمع العساكر بمحاربتك وابطال هذا الدين وازالة هذه الشريعة وهذا المقصود لايحصل لهم بل يضمحل أمرهم وتزول شوكتهم و يعظم أمرك و يعلو شأنك فانهم لن يضروا الله شيئا بهذا الصنيع وانما يضرون أنفسهم وقيل نزلت فى شأن المنافقين انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب وقعة أحد و يؤيسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت فى شأن رؤساء اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لمتاع الدنيا (يريد الله) بذلك (ألا يجعل لهم حظا) من الثواب (فى الآخرة) أى الجنة (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الايمان فانهم متى كانوا مع المؤمنين أظهروا الايمان فاذا خلوا الى شياطينهم كفروا وتركوا الايمان فكان ذلك كأنهم اشتروا الكفر بالايمان و يمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشتراء الكفر بالايمان منهم أنهم كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم و يؤمنون به قبل مبعثه و يستنصرون به على أعدائهم فلما بعث كفروا به وتركوا ما كانوا عليه فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشترى من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم) أى نمهل لهم بتطويل الأعمار (خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما) أى ذنبا فى الدنيا ودركات فى الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون به يوما فيوما وساعة بعد ساعة قال الفخر الرازى بن الله تعالى فى هذه الآية أن بقاء هؤلاء المتخلفين عن القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلوا فى أحد لأن هذا البقاء صار وسيلة الى الخزى فى الدنيا والعقاب الدائم فى القيامة وقتل أولئك الذين قتلوا فى أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة فترغيب أولئك المثبطين فى مثل هذه الحياة وتنفيرهم عن مثل ذلك القتل لايقبله الا جاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو فى الأربعة ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يبخلون لاتحسبن الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالتاء وضم الباء فى قوله تعالى تحسبنهم وقرأ نافع وابن عامر بالياء الا قوله فلا تحسبنهم فانه بالتاء وقراءة حمزة كلها بالتاء وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا فى حق مشركى أهل مكة يوم أحد (ما كان الله ليذر المؤمنين) أى ليترك المخلصين (على ما أنتم عليه) أيها الناس من اختلاط المنافقين بالمخلصين واظهارهم أنهم من أهل الايمان (حتى يميز الخبيث) أى المنافق (من الطيب) أى المؤمن بالقاء المحن والمصائب والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقا اظهر نفاقه وكفره أو بالقرائن فان المسلمين كانوا يفرحون بنصرة الاسلام وقوته والمنافقين كانوا يغتمون بذلك (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى

فى الكفر) أى فى نصرته وهم المنافقون واليهود والمشركون (انهم لن يضروا الله شيئا) أى أولياءه وانما يعود وبال ذلك عليهم (يريد الله ألا يجعل لهم حظا) أى نصيبا (فى الآخرة) يعنى الجنة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أى استبدلوا وكرر (لن يضروا الله شيئا) لأنه ذكره فى الأول على طريق العلة لما يجب من التسلية الى المسارعة الى الضلالة وذكره فى الثانى على طريق العلة لمسارعة الضرة بالعاصى دون المعصى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم) أى املاء نالهم وهو الامهال والتأخير (خير لأنفسهم انما نملى لهم) أى نطول أعمارهم (ليزدادوا اثما) بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول نزلت الآية فى قوم من الكفار علم الله أنهم لايؤمنون أبدا وأن بقاءهم يزيدهم كفرا (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) أيها المؤمنون من التباس المنافق بالمؤمن والمؤمن بالمنافق (حتى يميز الخبيث من الطيب) أى المنافق من المؤمن ففعل ذلك يوم أحد لأن المنافقين أظهروا النفاق بتخلفهم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من المؤمن قبل التمييز

ان عادة الله جارية بأنه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا بالامتحانات من التكاليف الشاقة كبذل الأموال والأنفس فى سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب فهو من خواص الأنبياء فلهذا قال تعالى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) فخصهم باعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق أو المعنى فيمتحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز الفريقان بالامتحان أو المعنى وما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصير وا مستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل (فآمنوا بالله و رسله) أى لما طعن المنافقون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث المكروهة فى أحد بين الله تعالى أنه كان فيها مصالح منها تمييز الخبيث من الطيب ولم يبق بعد جواب هذه الشبهة الا أن تؤمنوا بالله و رسله (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) أى الكفر والنفاق (فلكم أجر عظيم) أى ثواب وافر فى الجنة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) أى لا يتوهمن هؤلاء البخلاء ببذل المال فى الجهاد أن بخلهم هو خير لهم بل هو شر لهم لأنه يبقى عقاب بخلهم عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أى سيجعل ذلك المال طوقا من النار فى عنقهم وقيل ان المراد البخل بالعلم وذلك لأن اليهود كانوا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك الكتمان بخلا فحينئذ كان معنى سيطوقون أن الله تعالى يجعل فى رقابهم طوقا من نار قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة والمعنى أنهم عوقبوا فى أفواههم وألسنتهم بهذا اللجام لأنهم لم ينطقوا بأفواههم وألسنتهم بما يدل على الحق (ولله ميراث السموات والأرض) أى له تعالى ما يتوارثه أهلهما من مال وغيره (والله بما تعملون) من البخل والسخاء (خبير) فيجازيكم عليه أو فيجازيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أى فنحاص بن عازوراء كما قاله ابن عباس والسدى أو حيي بن أخطب كما قاله قتادة أو كعب بن الاشرف كما نقله ابن عساكر روى أنه صلى الله عليه وسلم كتب مع أبى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودى ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر فى وجهه وقال لولا الذى بيننا و بينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقا لأبى بكر رضى الله عنه والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضا الباقين بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب منا القرض (ونحن أغنياء) ولا نحتاج الى قرضه (سنكتب ما قالوا) أى من العظيمة الشنعاء فى صحائف الحفظة ليقرأوا ذلك يوم القيامة أو سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه ولا نهمله أو المراد سنكتب عنهم هذا الجهل فى القرآن حتى يعلم الخلق الى يوم القيامة شدة جهلهم وطعنهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدروا عليه (وقتلهم الأنبياء بغير حق) فى اعتقادهم كما فى نفس الأمر أى نكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم الأنبياء بغير جرم أو المعنى سنحفظ عن الفريقين معا أقوالهم وأفعالهم (ونقول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب أو عند الالقاء فى النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وان لم يكن هناك قول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها على لفظ ما لم يسم فاعله وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء والباقون بالنون ونصب اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء و بالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب الحريق) أى المحرق (ذلك) أى هذا العذاب المحرق (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما اقترفتموه من التفوه بتلك العظيمة وغيره من المعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير

ذنب

(ولكن الله) يختار لمعرفة ذلك من يشاء من الرسل وكان محمد صلى الله عليه وسلم ممن اصطفاه الله بهذا العلم (ولا تحسبن الذين يبخلون) أى بخل الذين يبخلون (بما آتاهم الله من فضله) أى مما تجب فيه الزكاة نزلت فى مانعى الزكاة (هو) أى البخل (خيرا لهم بل هو شر لهم) لأنهم يستحقون بذلك عذاب الله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وهو أنه يجعل ما بخل به من المال حية يطوقها الله فى عنقه تنهشه من فرقه الى قدمه (ولله ميراث السموات والأرض) أى أنه يفنى أهلهما وتبقى الأموال والأملاك لله ولا مالك لها الا الله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) نزلت فى اليهود حين قالوا لما أنزل الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآية ان الله فقير يستقرضنا ونحن أغنياء ولو كان غنيا لما استقرضنا أموالنا (سنكتب ما قالوا) أى نأمر الحفظة اثبات ذلك فى صحائفهم (ذلك) أى ذلك العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بما سلف من اجرامكم (وأن الله) أى و بأن الله (ليس بظلام للعبيد)

ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على الذم أو جر نعتا للذين الأول أى لقد سمع الله قول الذين قالوا قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف و وهب بن يهوذا و زيد بن التابوت وفنحاص بن عاز و راء وحيى بن أخطب وغيرهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقد عهد الله الينا فى التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار و يكون لها دوى خفيف تنزل من السماء فان جئتنا بهذا اصدقناك فنزلت هذه الآية (ان الله عهد الينا) أى أمرنا فى الكتاب (ألا نؤمن لرسول) أى أن لا نصدق أحدا بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ما كان عليه أمر أنبياء بنى اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان من النعم أو من الصدقات غير الحيوان فيقوم النبى فى البيت و يناجى ربه و بنو اسرائيل واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء أى لادخان لها ولها دوى فتأكل القربان أى تحرقه وهذا من أباطيلهم فان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء وقد تقدمت المعجزات الكثيرة لمحمد ﷺ وطلبهم لهذا المعجز وقع على سبيل التعنت لا على سبيل الاسترشاد ولذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة (و بالذى قلتم) وهو القربان الذى تأكله النار (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى مقالتكم انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا و يحيى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام قد جاءوكم بما قلتم فى معجزات أخر فمالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم (فان كذبوك) فى أصل النبوة والشريعة فتسل (فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات) أى المعجزات (والزبر) أى الصحف كصحف ابراهيم وموسى (والكتاب المنير) أى الواضح وهو التوراة والانجيل والزبور وقرأ ابن عامر و بالزبر باعادة الباء كقراءة ابن عباس دلالة على المغايرة وقرأ هشام و بالكتاب باعادة الباء والباقون بغير الباء فيهما (كل نفس ذائقة الموت) أى كل حيوان حاضر فى دار التكليف يذوق الموت و روى عن الحسن أنه قرأ ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الأعمش بطرح التنوين مع نصب الموت (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أى وانما تعطون أجزية أعمالكم على التمام يوم قيامكم من القبور و فى لفظ التوفية اشارة الى أن بعض أجورهم يصل اليهم قبله كما يدل عليه قوله ﷺ القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فمن زحزح) أى أبعد (عن النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أى نال غاية مقصوده وقال النبى ﷺ من أحب أن يزحزح عن النار و يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر و يأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) أى ليس ما فى الدنيا من النعيم الا كمتاع البيت فى بقائه مثل الخزف والزجاجة وغير ذلك أى ان العيش فى هذه الدنيا يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور ولأنها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور و باطنها مطية الشرور وقال سعيد بن جبير ان هذا فى حق من آثر الدنيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة بها فانها نعم المتاع (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم) أى والله لتختبرن فى ذهاب أموالكم بالمهلكات كالغرق والحرق و بالتكاليف كالزكاة والجهاد و فى ما يصيب أنفسكم من البلايا كالأمراض والأوجاع والقتل والضرب ومن التكاليف كالصلاة والجهاد والصبر فيهما (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) أى ولتسمعن من اليهود والنصارى ومشركى العرب أنواع الايذاء من

فيعاقبهم من غير جرم (الذين قالوا ان الله عهد الينا) الآية يعنى اليهود وذلك أن الله تعالى أمر بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يصدقوا رسولا جاءهم حتى يأتيهم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانوا يقولون لمحمد ﷺ لا نصدقك حتى تأتينا بقربان تأكله النار لأن الله تعالى عهد الينا ذلك فقال الله تعالى اقامة للحجة عليهم (قل قد جاءكم) الآية ثم عزى رسول الله ﷺ عن تكذيبهم اياه بقوله فان كذبوك الى قوله والزبر يعنى الكتب (والكتاب المنير) أى الهادى الى الحق (كل نفس ذائقة الموت) الى قوله فقد فاز ظفر بالخير ونجا من الشر (وما الحياة الدنيا) أى العيش فى هذه الدار الفانية (الا متاع الغرور) لأنه يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وهو ينقطع عن قريب (لتبلون) أى لتختبرن أيها المؤمنون (فى أموالكم) بالفرائض فيها (وأنفسكم) بالصلاة والصوم والحج والجهاد (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) وهم اليهود ومن المشركين (أذى كثيرا

الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتشبيب نسائهم وتحريض المشركين على مضادة رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا خير فيه (وان تصبروا) على تلك البلاوى وأذى الكفار وتستعملوا احتمال المكروه ومداراة الكفار فى كثير من الأحوال (وتتقوا) أى تحترزوا عما لا ينبغى وعن المداهنة مع الكفار وعن السكوت عن اظهار الانكار (فان ذلك) أى الصبر والتقوى (من عزم الأمور) أى من حزم أمور المؤمنين وخيرها ومن صواب التدبير أو المعنى فان ذلك مما قد عزم عليكم فيه أى ألزمتم الأخذ به ومما يجب أن يعزم عليه كل أحد لأنه حميد العاقبة (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) أى واذكر وقت أخذه تعالى العهد على علماء اليهود والنصارى لتذكرن الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة والانجيل للناس ولا تلقوا فيها التأويلات الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغيبة فى الفعلين والباقون بالخطاب فيهما (فنبذوه) أى طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أى فلم يعملوا به (واشتروا به) أى الكتاب (ثمنا قليلا) أى شيئا تافها من الدنيا أى أخفوا الحق ليتوسلوا به الى وجدان شئ من الدنيا (فبئس ما يشترون) أى بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يبين الذى للناس وكتم شيئا منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب قلوبهم أو لجر منفعة أو لخوف أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد قال ﷺ من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن محمد بن كعب قال لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أى بما فعلوا من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أى يحبون أن يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بمفازة) أى بمباعدة (من العذاب) وقيل نزلت هذه الآية فى شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين على سبيل النفاق من حيث انهم كانوا يتوصلون بذلك الى تحصيل مصالحهم فى الدنيا ثم كانوا يتوقعون من النبى ﷺ أن يحمدهم على الايمان الذى لم يكن موجودا فى قلوبهم ولا شك أن هذه الآية واردة فى الكفار والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود والأولى اجراء الموصول على العموم فيشتمل على كل من يأتى بشئ من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من سداد السيرة واستقامة الطريقة والزهد والاقبال على طاعة الله وقرأ حمزة وعاصم والكسائى تحسبن وتحسبنهم بالتاء الفوقية وكلاهما بفتح الباء والتقدير لا تحسبن يا محمد أو أيها السامع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين والمفعول الأول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله تعالى فلا تحسبنهم تأكيد والفاء مقحمة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحتية وكلاهما بفتح الباء والفاعل للرسول وبضمها والفاعل من يتأتى منه الحسبان أو بفتح الباء فى الأول وضمها فى الثانى وهو قراءة أبى عمرو والفاعل هو الموصول والمفعول الأول محذوف والتقدير ولا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم بمفازة من العذاب ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولى الفعل الثانى عليهما أى لا يحسبن هؤلاء أنفسهم فائزين أو على أن الفعل الأول مسند للرسول أو لكل حاسب ومفعوله الأول الموصول والثانى محذوف لدلالة مفعول الفعل الثانى عليه والفعل الثانى مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه ﷺ

وان تصبروا) على ذلك الأذى بترك المعارضة (وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) أى من حقيقة الايمان (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) الآية أخذ الله ميثاق اليهود فى التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ولعنته ومبعثه ولا يخفونه فنبذوا الميثاق ولم يعملوا به وذلك قوله (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا) يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم (فبئس ما يشترون) أى قبح شراؤهم وخسروا (لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون) الآية هم اليهود فرحوا باضلال الناس وبنسبة الناس إياهم الى العلم وليسوا كذلك وأحبوا أن يحمدوا بالتمسك بالحق وقالوا نحن أصحاب التوراة وأولو العلم القديم (فلا تحسبنهم بمفازة) أى بمنجاة (من العذاب

ومفعولاه

ومفعولاه مابعده (ولهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة (ولله ملك السموات والارض) أى له تعالى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة وهو تعالى يملك مافيهما من خزائن المطر والنبات والرزق (والله على كل شئ قدير) فلايشذ من ملكوته شئ من الأشياء وكل ماسواه تعالى مقدور له تعالى (ان فى خلق السموات والارض) أى فى انشائهما على ماهما عليه فى ذواتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما فى وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون الارض أو فى تفاوتهما بازدياد وانتقاص باختلاف حال الشمس بالنسبة الناقربا و بعدا بحسب الأزمنة أو فى اختلافهما بحسب الأمكنة (لآيات) كثيرة عظيمة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته تعالى (لأولى الالباب) أى لذوى العقول المتفكرين فى بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين فى حكمه المودعة فى الأنفس والآفاق وعن النبى ﷺ قال بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء وقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وقال النبى ﷺ لاعبادة كالتفكر وحكى أن الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبد فى تلك المدة فتى من فتيانهم فما أظلته سحابة فقالت له أمه لعل فرطة صدرت منك فى مدتك فقال ماأذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فما أتيت الامن ذلك (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى الذين لايغفلون عن الله تعالى فى جميع أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى واستغراق سرائرهم فى مراقبته لما أيقنوا بأن كل ماسواه فائض منه وعائد اليه فلايشاهدون حالا من الأحوال فى أنفسهم ولافى الآفاق الاوهم يعاينون فى ذلك شأنا من شؤنه تعالى فالمراد ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه الذكر اللسانى أولا وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الأحوال المعتادة التى لايخلو عنها الانسان غالبا والمراد تعميم الذكر للأوقات قال النبى ﷺ من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله (و يتفكرون فى خلق السموات والارض) وعلى وفق هذه الآية قوله ﷺ تفكروا فى الخلق ولاتتفكروا فى الخالق أى لان الاستدلال بالخلق على الخالق لايمكن وقوعه على نعت المماثلة وانما يمكن وقوعه على نعت المخالفة فاذا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها و بكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل وقوله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان التفكر فى الخلق ممكنا من هذا الوجه أما التفكر فى الخالق فهو غير ممكن ألبتة فاذا لاتتصور حقيقته الا بالسلوب فنقول انه ليس بجوهر ولاعرض ولامركب ولافى الجهة ولاشك أن حقيقته المخصوصة مغايرة لهذه السلوب وتلك الحقيقة المخصوصة لاسبيل للعقل الى معرفتها فيصير العقل كالواله فلهذا السبب نهى النبى ﷺ عن التفكر فى الله وأمر بالتفكر فى المخلوقات فلهذه الدقيقة أمر الله فى هذه الآية بذكره ولم يأمر بالتفكر فيه بل أمر بالتفكر فى مخلوقاته قال بعض العلماء الفكرة تذهب الغفلة وتجلب للقلب الخشية كما ينبت الماء الزرع وعن النبى ﷺ قال لاتفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض أى وذلك لان عمله هو التفكر فى معرفة الله لانه لايقدر أحد أن يعمل بجوارحه مثل ماعمل أهل الارض وانما هو عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة فى قسمين

ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض) أى يملك تدبيرهما وتصريفهما (والله على كل شئ قدير) على مايشاء الآية والتى بعدها قد مضت فى سورة البقرة (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) يعنى يصلون على هذه الأحوال على قدر امكانهم (و يتفكرون فى خلق السموات والارض)

دلائل الآفاق ودلائل الأنفس ولاشك أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلو أن الانسان نظر الى ورقة صغيرة من أوراق شجرة رأى فى تلك الورقة عرقا واحدا ممتدا فى وسطها ثم يتشعب من ذلك العرق عروق كثيرة الى الجانبين ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولايزال يتشعب من كل عرق عروق أخر حتى تصير فى الدقة بحيث لايراها البصر وعند هذا يعلم أن للخالق فى تدبير تلك الورقة على هذه الخلقة حكما بالغة وأسرارا عجيبة ولو أراد الانسان أن يعرف كيفية خلقة الورقة لعجز فاذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على كيفية خلقة تلك الورقة الصغيرة فاذا قاس تلك الورقة الى السموات مع مافيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع مافيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أن تلك الورقة بالنسبة الى هذه الأشياء كالعدم فاذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقير عرف أنه لاسبيل له الى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى فى خلق السموات والارض واذا عرف بهذا البرهان قصور عقله لم يبق معه الا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين بل يسلم أن فى كل ماخلقه الله تعالى حكما بالغة وأسرارا عظيمة ولاسبيل له الى معرفتها فعند هذا يقول (ربنا ماخلقت هذا) أى المخلوق العجيب (باطلا) أى بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهى أن تجعلها مساكن للمكلفين الذين اشتغلوا بطاعتك وتحرزوا عن معصيتك ومدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة أحوال المبدا والمعاد (سبحانك) وهذا اقرار بعجز العقول عن الاحاطة بآثار حكمة الله تعالى فى خلق السموات والارض أى ان الخلق اذا تفكروا فى هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها الا هذا القدر وهو أن خالقها ما خلقها باطلا بل خلقها لحكم عجيبة وأسرار عظيمة وان كانت العقول قاصرة عن معرفتها (فقنا عذاب النار) أى ادفع عنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع اعلم أنه تعالى لما حكى عن هؤلاء العباد المخلصين أن ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم فى طاعة الله وقلوبهم فى التفكر فى دلائل عظمة الله ذكر أنهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار لانه يجوز على الله تعذيبهم لأنه لايقبح من الله شيء أصلا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أى أهنته (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم) أى سمعنا نداء مناد وهو كما قال محمد بن كعب القرآن المجيد يدعو الناس الى الايمان أى آمنوا بمتولى أموركم (فآمنا) أى فامتثلنا أمره وأجبنا نداءه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى كبائرنا (وكفر عنا سيئاتنا) أى صغائرنا وقيل المراد بالاول مايزول بالتوبة و بالثانى ماتكفره الطاعة العظيمة وقيل المراد بالاول ماأتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و بالثانى ماأتى به الانسان مع جهله بذلك (وتوفنا مع الأبرار) أى على مثل أعمالهم لنكون فى درجاتهم يوم القيامة أو المعنى توفنا على الايمان واجمعنا مع أرواح النبيين والصالحين (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) والجار والمجرور متعلق بوعدتنا أى وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أى وعدتنا وعدا كائنا على ألسنة رسلك وقيل والمعنى وفقنا للأعمال التى نصير بها أهلا لوعدك من الثواب واعصمنا من الأعمال التى نصير بها أهلا للعقاب والخزى (ولاتخزنا) أى لاتفضحنا (يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد) وهذا يدل على أن المقتضى لحصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفى الآثار عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ماأراد واستدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم) فيما سألوه من غفران الذنوب واعطاء الثواب (أنى لاأضيع عمل عامل منكم) وقرأ الجمهور بفتح الهمزة وقرأ أبى بأنى بالباء التى للسببية وقرأ عيسى بن عمر بكسر الهمزة والمعنى انى لاأبطل ثواب عمل

ليكون ذلك أزيد فى بصيرتهم (ربنا) أى ويقولون ربنا (ماخلقت هذا) الخلق الذى نراه من خلق السموات والارض (باطلا) أى خلقا باطلا يعنى خلقته دليلا على حكمتك وكمال قدرتك (ربنا انك من تدخل النار) للخلود فيها (فقد أخزيته) أى أهلكته وأهنته (وما للظالمين) يعنى الكفار (من أنصار) أى يمنعونهم من عذاب الله (ربنا اننا سمعنا مناديا) يعنى محمدا أو القرآن (ينادى للايمان) أى الى الايمان (أن آمنوا) أى بأن آمنوا الى قوله (وكفر) أى غط واستر (عنا سيئاتنا) بقبول الطاعات حتى تكون كفارة لها (وتوفنا مع الأبرار) يعنى الأنبياء أى فى جملتهم حتى نصير معهم (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) أى على ألسنتهم من النصر لنا والخذلان لعدونا (ولا تخزنا يوم القيامة) أى لاتهلكنا بالعذاب وقوله

عامل منكم والمراد حصلت اجابة دعائكم فى كل ماطلبتموه (من ذكر أو أنثى) فلا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا فى التمسك بالطاعة على السوية (بعضكم من بعض) أى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (فالذين هاجروا) أى اختاروا المهاجرة من أوطانهم فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أى ألجأهم الكفار الى الخروج من منازلهم التى ولدوا فيها (وأوذوا فى سبيلى) أى بسبب طاعتى ومن أجل دينى (وقاتلوا وقتلوا) قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وقاتلوا بالألف وقتلوا بالمخففة والمعنى قاتلوا العدو ومعه صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا فى الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عامر وقاتلوا بالألف وقتلوا مشددة لتكرر القتل فيهم وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائى وقتلوا بغير ألف أولا وقاتلوا بالألف ثانيا أى قتلوا وقد قاتلوا (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) أى ان الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمور ثلاثة أولها محو السيئات وغفران الذنوب وذلك هو الذى طلبوه بقولهم فاغفرلنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها اعطاء الثواب العظيم وهو دخول الجنان وهو الذى طلبوه بقولهم وآتنا ماوعدتنا على رسلك وثالثها كون الثواب مقرونا بالتعظيم وهو المشار اليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذى طلبوه بقولهم ولاتخزنا يوم القيامة وقوله تعالى ثوابا مصدر مؤكد لمعنى ماقبله لأن معنى مجموع قوله تعالى لأكفرن ولأدخلنهم لأثيبنهم فكأنه قيل لأثيبنهم اثابة من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب تأكيد لكون الثواب فى غاية الشرف روى أن أم سلمة قالت يارسول الله انى لم أسمع ذكر النساء فى الهجرة فنزل قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم الى هنا ولما قال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد نزل قوله تعالى (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) أى لاتنظر الى ماعليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولاتغتر بظاهر ماترى منهم من التبسط فى المكاسب والمتاجر والمزارع (متاع قليل) أى ذلك الذى ترى من الخير منفعة يسيرة فى الدنيا لاقدر لها فى مقابلة ماأعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم (ثم مأواهم) أى مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أى بئس مامهدوا لأنفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا ربهم) من الشرك والمعاصى وان أخذوا فى التجارة (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) فلايضرهم ذلك الكسب (نزلا من عند الله) أى حال كون الجنات عطاء واكراما من الله لهم كما تعد الضيافة للضيف اكراما (وماعند الله) من الثواب الدائم (خير للابرار) أى للموحدين مما يتقلب فيه الفجار فى الدنيا من المتاع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم) أى القرآن (وماأنزل اليهم) أى التوراة والانجيل قال ابن عباس وجابر وقتادة نزلت هذه الآية فى شأن أصحمة النجاشى حين مات وأخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم بموته فقال النبى لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج الى البقيع وكشف الله له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى فصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه وقال ابن جريج وابن زيد نزلت فى حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال عطاء نزلت فى حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأسلموا وقال مجاهد نزلت فى حق مؤمنى أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أى متواضعين لله فى الطاعة (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) أى لايكتمون أمر الرسول ونعته كما يفعله غيرهم من

(بعضكم من بعض) أى حكم جميعكم حكم واحد منكم فيما أفعل بكم من مجازاتكم على أعمالكم وترك تضييعها لكم (لايغرنك تقلب الذين كفروا) أى تصرفهم للتجارات (فى البلاد) وذلك أنهم كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن قد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت هذه الآية (متاع قليل) أى ذلك الكسب والربح متاع قليل فان منقطع وقوله (نزلا) النزل مايهيأ للضيف ومعناه ههنا جزاء وثوابا (وماعند الله خير للابرار) مما يتقلب فيه الكفار ثم ذكر مؤمنى أهل الكتاب فقال (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية

(يأيها الذين آمنوا اصبروا) أى على دينكم فلا تدعوه لشدة وقيل على الجهاد (وصابروا) عدوكم فلا يكونن أصبر منكم (ورابطوا) أى أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب والحجة

﴿ تفسير سورة النساء ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (يأيها الناس) يعنى أهل مكة (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (وخلق منها زوجها) حواء خلقت من ضلع من أضلاعه (وبث) أى نشر وفرق (منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله) أى خافوه وأطيعوه (الذى تساءلون به) أى تتساءلون فيما بينكم لحوائجكم وحقوقكم به فتقولون أسألك بالله وأنشدك الله وقوله (والارحام) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها (ان الله كان عليكم رقيبا) أى حافظا يرقب عليكم أعمالكم فاتقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه (وآتوا اليتامى أموالهم) الخطاب للاوصياء والأولياء أى أعطوهم أموالهم يعنى اذا بلغوا

أهل الكتاب لغرض المأكلة والرياسة (أولئك) أى المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند ربهم) فى الجنة (ان الله سريع الحساب) أى سريع لايصال الاجر الموعود اليهم من غير حاجة الى تأمل لكونه عالما بجميع الأشياء فيعلم مالكل واحد من الثواب والعقاب (يأيها الذين آمنوا اصبروا) على مشقة الاستدلال فى معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات نحو الفلاسفة وعلى مشقة أداء الواجبات والمندوبات وعلى مشقة الاحتراز عن المنهيات وعلى شدائد الدنيا من المرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل المكاره الواقعة بينكم و بين غيركم فيدخل فيه تحمل الأخلاق الرديئة من أهل البيت والأقارب والجيران وترك الانتقام ممن أساء والعفو عمن ظلم والايثار على الغير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد والمصابرة مع المبطلين وحل شبههم (ورابطوا) أى جاهدوا القوى التى هى مصادر الافعال الذميمة من الشهوة والغضب والحرص أو المعنى انتظروا الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) فى مخالفة أمره و بتقوى الله يحصل دفع القوى الداعية الى القبائح والمنكرات (لعلكم تفلحون) أى كى تنتظموا فى زمرة الفائزين بكل مطاوب الناجين من كل كروب فظهر أن هذه الآية مشتملة على علوم الأصول والفروع وعلى الحكم والاسرار

﴿ سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكلماتها ثلاثة آلاف وخمس وأربعون وحروفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الناس اتقوا ربكم الذين خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) أبيكم آدم (وخلق منها) أى من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع أعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها (وبث منهما) أى نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة روى ابن جرير عن ابن اسحق ان بنى آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا فما حفظ من ذكورهم قابيل وهابيل وأباذ وشبوبه وهند ومرانيس وفحور وسند وبارق وشيث ومن نسائهم أقليمة وأشوف وجزروه وعزورا قال ابن عساكر وقد روى أن من بنى آدم لصلبه عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث وودا وسواعا ويغوث ويعقوب ونسرا وجميع أنساب بنى آدم ترجع الى شيث وسائر أولاده انقرضت أنسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) قرأ عاصم وحمزة والكسائى تساءلون بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة وحده والارحام بجر الميم والتقدير واتقوا الله الذى تساءلون به وبالارحام لان العادة جرت فى العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم فيقول أسألك بالله والرحم وربما أفرد ذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الارحام بالنصب فمعناه واتقوا الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه واتقوا الارحام بوصلها وعدم قطعها فيما يتصل بالبر والاحسان والاعطاء أو يقال والزموا الارحام وصلوها وقد دلت الآية على جواز المسئلة فيما بيننا بالله كقوله بالله أسألك روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه (ان الله كان عليكم رقيبا) أى حافظا مطلعا على جميع مايصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى مافى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم على ذلك (وآتوا اليتامى) الذين بلغوا (أموالهم) التى عندكم وقال أبو السعود أى لاتتعرضوا لاموال اليتامى بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار أو مايعم الصغار والكبار

(ولا

(ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب) أي لاتستبدلوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلال الذي هو مالكم الذي أبيح لكم من المكاسب بأن تتركوا أموالكم وتأكلوا أموالهم (ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي لاتأكلوا أموالهم مضمومة الى أموالكم حتى لاتفرقوا بين أموالهم وأموالكم في حل الانتفاع بها فلا يحل لكم من أموالهم مازاد على قدر الاقل من أجرتكم ونفقتكم (انه) أي أكل مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله اليه (وان خفتم) يا أولياء اليتامى (ألا تقسطوا) أي ان لاتعدلوا (في اليتامى) اذا نكحتموهن (فانكحوا) غيرهن من الغرائب روى عن عروة أنه قال قلت لعائشة مامعنى قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قالت ياابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا في اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ماسواهن وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لاتعجبه وانما تزوجها كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها الى أن تموت فيرثها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وأيتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهن فقيل لهم لاتزيدوا على أربع فانهم كانوا يتزوجون من النساء ماشاؤا تسعا أو عشرا وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فحرم الله عليهم مافوق الأربع أي وان خفتم ألا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة أو بنقص الصداق فانكحوا (ماطاب لكم من النساء) أي فتزوجوا من استطابتها نفوسكم ومالت اليها قلوبكم من الأجنبيات (مثنى وثلاث ورباع) ولاتزيدوا على أربع (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد في القسمة والنفقة كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد وكما لم تعدلوا في حق اليتامى (فواحدة) أي فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ فواحدة بالرفع أي فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة (أوماملكت أيمانكم) أي من السراري فانه لاقسمة لهن عليكم (ذلك أدنى ألا تعولوا) أي اختيار الحرة الواحدة أو التسري أقرب الى أن لاتميلوا ميلا محظورا بالنسبة الى ماعداهما والأمر يدور مع عدم الجور لامع تحقق العدل (وآتوا النساء) اللاتي أمرتم بنكاحهن (صدقاتهن) أي مهورهن (نحلة) أي فريضة من الله تعالى كما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد وانما فسروا النحلة بالفريضة لأن النحلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب فقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة اي أعطوهن مهورهن لأنها شريعة ودين ومذهب وماهو كذلك فهو فريضة وانتصاب نحلة على أنها مفعول له أو حال من الصدقات (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا) أي فان وهبن لكم شيئا من الصداق بطيبة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أوسوء معاشرتكم معهن (فكلوه) أي فخذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أي حلالا بلا اثم (مريئا) أي بلا ملامة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما

الجيد من ماله ويجعل مكانه الرديء (ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي لاتضيفوها في الأكل الى أموالكم ان احتجتم اليها (انه) أي ان أكل أموالهم (كان حوبا) أي اثما (كبيرا وان خفتم ألا تقسطوا) أي أن لاتعدلوا (في اليتامى) وهمكم ذلك (فانكحوا ماطاب) أي الطيب (لكم من النساء) يعني من اللاتي تحل دون المحرمات والمعنى ان الله تعالى قال لنا فكما تخافون أن لاتعدلوا بين اليتامى اذا كفلتموهم فخافوا أيضا أن لاتعدلوا بين النساء اذا نكحتموهن فانكحوا (مثنى) أي ثنتين ثنتين (وثلاث) أي ثلاثا ثلاثا (ورباع) أي أربعا أربعا (فان خفتم ألاتعدلوا) أي في الأربع (فواحدة) أي فلينكح كل واحد منكم واحدة (ذلك) أي نكاح هذه النسوة على قلة عددهن (أدنى) أي أقرب الى العدل وهو قوله (ألا تعولوا) أي تميلوا وتجوروا (وآتوا النساء) أي أيها الأزواج (صدقاتهن) أي مهورهن (نحلة) أي فريضة وتدينا (فان طبن لكم) أي بأن طابت أنفسهن لكم (عن شيء) من الصداق (فكلوه هنيئا) في الدنيا لايقضي به عليكم سلطان (مريئا) في الآخرة لايؤاخذكم الله به

امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)
أي ويأيها الأولياء لاتؤتوا المبذرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم
التي جعل الله الأموال معاشكم أي لا يحصل معاشكم الا بهذا المال مخافة أن يضيعوها وأضاف الله
المال الى الأولياء من حيث انهم ملكوا التصرف فيه لا لأنهم ملكوا المال ويكفي حسن الاضافة
أدنى سبب (وارزقوهم فيها) أي أنفقوا عليهم (واكسوهم) وانما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا
يكون ذلك أمرا بجعل بعض أموالهم رزقالهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم
بأن يتجروا فيها ويثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال (وقولوا لهم قولا
معروفا) أي جميلا وهو كل ما سكنت اليه النفس من قول لحسنه شرعا أو عقلا كأن يقول الولي للصبي
مالك عندي وأنا خازن له فاذا رشدت سلمت اليك أموالك (وابتلوا اليتامى) أي واختبروا من
لايتبين منهم السفه قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجربوا ولد التاجر
بالبيع والشراء والمماكسة فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على القوام بها والأنثى فيما يتعلق
بالغزل والقطن وصون الأطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالانفاق مدة
في خبز وماء ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضي الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة
لأن قوله تعالى وابتلوا اليتامى أمر للأولياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضي
صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي المميز بل يمتحن في المماكسة فاذا أراد العقد عقد
الولي لأنه لايجوز دفع المال اليه حال الصغر فثبت عدم جواز تصرفه حال الصغر (حتى اذا بلغوا النكاح)
أي اذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يلزمه الحدود وذلك بأن يحتلموا وانما سمي الاحتلام ببلوغ النكاح
لأنه انزال الماء الدافق الذي يكون في الجماع (فان آنستم) أي عرفتم (منهم رشدا) أي اهتداء الى
وجوه التصرفات من غير تبذير وعجز عن خديعة الغير (فادفعوا اليهم أموالهم) التي عندكم من غير
تأخر عن حد البلوغ وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين وعند الشافعي الصلاح يعتبر مع مصلح
للمال في الدين بأن لايرتكب كبيرة ولا يصر على صغيرة وعند أبي حنيفة هو غير معتبر وفائدة هذا
الخلاف أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأباحنيفة لايراه (ولاتأكلوها) أي أموال اليتامى
أيها الأولياء (اسرافا وبدارا) أي مسرفين بغير حق ومبادرين الى انفاقها (أن يكبروا) أي
مخافة كبرهم فيمنعوكم عن ذلك وتقولون تنفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينزعوها من
أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنيا) عن مال اليتيم (فليستعفف) أي فليتنزه
عن أكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله (ومن كان) من
الأولياء والأوصياء (فقيرا) محتاجا (فليأكل بالمعروف) أي بقدر أجرة خدمته لليتيم وعمله في
مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف أي بالقرض ثم اذا أيسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء
فلاشيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية وهذا القرض في أصول الأموال أما نحو
ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح لنحو الوصي اذا كان غير مضر بالمال وهذا
قول أبي العالية وغيره (فاذا دفعتم اليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ والرشد (فأشهدوا)
ندبا (عليهم) عند الدفع فان الاشهاد أبعد من الخصومة ولو ادعى الوصي بعد بلوغ اليتيم أنه قد
دفع المال اليه أو قال أنفقت عليه في صغره فقال مالك والشافعي لايصدق وقال أبو حنيفة
يصدق مع اليمين وقال الشافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وانما هو مؤتمن من جهة الشرع

(ولاتؤتوا السفهاء أموالكم) يعني النساء والصبيان أموالكم (التي جعل الله لكم قياما) أي لمعاشكم
وصلاح دنياكم يقول لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى مافي أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم وهو قوله (وارزقوهم فيها) أي اجعلوا لهم فيها رزقا (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) أي عدة جميلة من البر والصلة (وابتلوا اليتامى) أي اختبروهم يعني في عقولهم وأديانهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أي حال النكاح من الاحتلام (فان آنستم) أي أبصرتم (منهم رشدا) أي اصلاحا وحفظا للمال (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) أي لا تبادروا بأكل مالهم قبل كبرهم ورشدهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم (ومن كان غنيا من الاوصياء (فليستعفف) عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) أي بقدر أجرة عمله (فاذا دفعتم) أيها الأولياء (اليهم) أي الى اليتامى (أموالهم فأشهدوا عليهم) لكي ان وقع الاختلاف أمكن الولي أن يقيم البينة على رد المال اليه

وكفى

(وكفى بالله حسيبا) أى شهيدا روى أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى أدفع اليه ماله فأنزل الله قوله تعالى وابتلوا اليتامى الى هنا (للرجال نصيب) أى للأولاد والأقرباء الذكور صغارا أو كبارا حظ (مما ترك الوالدان والأقربون) المتوارثون منهم (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أى المتوفون (مما قل منه) أى مما تركوه (أوكثر) وأتى بهذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ماجل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا مفروضا) أى أعنى نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه اليهم فالوارث لوأعرض عن نصيبه لم يسقط حقه بالاعراض وهذا ابطال لحكم الجاهلية فانهم لايورثون النساء والأطفال ويقولون انما يرث من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة وذكر الله فى هذه الآية أن الارث أمر مشترك فيه بين الرجال والنساء ثم ذكر التفصيل فى قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم (واذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) أى قرابة الميت الذى ليس بوارث (واليتامى) أى يتامى المؤمنين (والمساكين) أى مساكين المؤمنين من الأجانب (فارزقوهم منه) أى أعطوهم من المال المقسوم شيئا قبل القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهذا الاعطاء مندوب اذا كانت الورثة كبارا أما اذا كانوا صغارا فليس على الولى الا القول المعروف كأن يقول انى لاأملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لايعقلون وان يكبروا فسيعرفون حقكم أو يقول سأوصيهم ليعطوك شيئا (وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) أى وليخف الذين يحضرون المريض على أولاد المريض ان تركوا بعد موتهم أولادا صغارا خافوا عليهم الضياع وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون ان ذريتك لايغنون عنك من الله شيئا فأوص بمالك لفلان وفلان ولا يزالون يأمرونه بالوصية الى الأجانب الى أن لايبقى من ماله للورثة شئ أصلا وحاصل الكلام انك لاترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلاترضى لأخيك المسلم عن أنس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لايؤمن العبد حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه (فليتقوا الله) فى أمر اليتامى (وليقولوا قولا سديدا) أى عدلا اذا أرادوا بعث غيرهم على فعل بأن يقولوا لليتامى مثل مايقولون لأولادهم بالشفقة والتأديب ويخاطبون لهم بقولهم ياولدى يابنى وبأن يقولوا للمريض اذا أردت الوصية فلاتسرف فى وصيتك ولاتجحف بأولادك ويذكروه التوبة وكلمة الشهادة وبأن يلطف الورثة القول للحاضرين الذين لايرثون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) أى على وجه الغصب (انما يأكلون فى بطونهم نارا) أى حراما يؤدى الى النار أو يقال يجعل الله فى بطونهم نارا يوم القيامة بأن يخلق الله لهم نارا يأكلونها فى بطونهم (وسيصلون سعيرا) أى سيدخلون نارا وقودا لايعرف غاية شدتها الا الله تعالى قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وسيصلون بضم الياء والباقون بالفتح وقرئ شاذة بضم الياء وتشديد اللام نزلت هذه الآية فى شأن حنظلة بن شمردل وقيل فى شأن رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله (يوصيكم الله فى أولادكم) أى يبين الله لكم فى ميراث أولادكم بعد موتكم * روى عطاء قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامرأة وأخا

---

(وكفى بالله حسيبا) أى محاسبا ومجازيا للمحسنين والمسيئين (للرجال نصيب) الآية كانت العرب فى الجاهلية لاتورث النساء ولا الصغار شيئا فأبطل الله ذلك وأعلم أن حق الميراث على ماذكر فى هذه الآية من الفرض (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة المال بين الورثة (أولوا القربى) يعنى الذين يحرمون ولا يرثون (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) وهذا على الندب والاستحباب يستحب للوارث أن يرضخ لهؤلاء اذا حضروا القسمة من الذهب والورق (و) أن يـ(ـقولوا لهم قولا معروفا) اذا كان الميراث مما لايمكن أن يرضخ منه كالأرضين والرقيق (وليخش الذين لوتركوا من خلفهم) الآية أى وليخش من كان له أولاد صغار خاف عليهم من بعده الضيعة أن يأمر الموصى بالاسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لايرثون فيكون قدأمره بما لم يكن يفعله لوكان هو الميت وهذا قبل أن تكون الوصية فى الثلث وقوله (ذرية ضعافا) أى صغارا (خافوا عليهم) أى الفقر (فليتقوا الله) فيما يقولون لمن حضره الموت (وليقولوا قولا سديدا) أى عدلا وهو أن يأمره أن يخلف ماله لولده ويتصدق بما دون الثلث أو الثلث ثم ذكر الوعيد على أكل مال اليتيم ظلما فقال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا) الآية لأنه تؤول عاقبته الى النار (وسيصلون سعيرا) أى نارا ذات لهب أى يقاسون حرها وشدتها (يوصيكم الله) أى يفرض عليكم لأن الوصية من الله فرض (فى أولادكم) أى الذكور والاناث

فأخذ الأخ المال كله فأتت المرأة وقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد وان سعدا قتل وان عمهما أخذ مالهما فقال ﷺ ارجعي فلعل الله سيقضي فيه ثم انها عادت بعد مدة و بكت فنزلت هذه الآية فدعا رسول الله ﷺ عمهما وقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام (للذكر مثل حظ الانثيين) أي فاذا خلف الميت ذكرا واحدا وأنثى واحدة فللذكر سهمان وللأنثى سهم واذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الاناث كان لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم واذا كان مع الأولاد أبوان وأحد الزوجين فالباقي بعد سهام الأبوين وأحد الزوجين بين الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) أي فان كانت بنات الصلب نساء خلصا بنتين أو أكثر فلتلك النساء ثلثا ماترك المتوفى (وان كانت) أي الوارثة بنتا (واحدة فلها النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع فكان تامة (ولأبويه) أي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) أي الميت (ان كان له ولد) ذكر أو أنثى أي فان كان مع الأبوين ولد ذكرا فأكثر أو بنتان فأكثر فلكل واحد من الأب والأم السدس وان كان معها بنت فلها النصف وللأم السدس وللأب السدس بحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضا بحكم التعصيب (فان لم يكن له) أي الميت (ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) وذلك فرض لها والباقي للأب فيأخذ السدس بالفريضة والنصف بالتعصيب واذا انفرد أخذ كل المال كما هو شأن العصبة واذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فللأم ثلث ما يبقى بعد فرضه والباقي للأب خلافا لابن عباس فان للام ثلث الكل عنده ووافقه ابن سيرين في الزوجة وخالفه في الزوج لأن الثلث فيه يفضي الى كون نصيب الأنثى مثل نصيب الذكرين (فان كان له) أي الميت (اخوة) اثنان فصاعدا من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما ذكور أو اناث وارثون أو محجوبون بالأب (فلامه السدس) والباقي للأب ولاشيء للاخوة وأما السدس الذي حجبوها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه (من بعد وصية) أي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية (يوصي بها أو دين) وذلك لأن أول مايخرج من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما اذا لم يكن دين أو كان الا أنه قضي وفضل بعده شيء فان أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث مافضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الصاد (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) والمعنى ان قسمة الله لهذه المواريث أولى من القسمة التي تميل اليها طباعكم (فريضة من الله) أي فرض ذلك فريضة وهذا اشارة الى وجوب الانقياد لهذه القسمة التي قدرها الشرع وقضى بها (ان الله كان عليما) أي بالمصالح والرتب (حكيما) في كل ماقضى وقدر قال ابن عباس ان الله ليشفع المؤمنين بعضهم في بعض فأطوعكم لله تعالى من الأبناء والآباء أرفعكم درجة في الجنة وان كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده بمسئلته ليقر بذلك عينه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه ولذا قال تعالى لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحد المتوالدين لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك (ولكم نصف ماترك أزواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن (فان كان لهن ولد) وارث واحدا أو متعدد (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء اذا فضل عن وصية (يوصين بها أو دين) أي أو من بعد قضاء دين عليهن (ولهن الربع مما تركتم)

(للذكر مثل حظ الانثيين فان كن) أي الأولاد (نساء فوق اثنتين) فوق هاهنا صلة لأن البنتين يرثان الثلثين باجماع القوم وهو قوله (فلهن ثلثا ماترك) ويجوز تسمية الاثنين بالجمع (وان كانت) المتروكة المخلفة (واحدة فلها النصف) وتم بيان ميراث الأولاد ثم قال (ولأبويه) أي ولأبوي الميت الى قوله (فان كان له) أي للميت (اخوة) أي أخوان لأن الأمة أجمعت على أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث الى السدس وقوله (من بعد وصية) أي هذه الأنصبة انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) في الدنيا فتعطوه من الميراث مايستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ماهو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فأفسدتم وضيعتم (ان الله كان عليما) بالأشياء قبل خلقها (حكيما) فيما دبر من الفرائض وقوله

من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن والباقي لبقية ورثتكم من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوي الأرحام أو لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقي للباقين (من بعد وصية توصون بها أو دين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وان كان رجل) أي ميت (يورث كلالة) أي لا والد له ولا والد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة تورث كلالة (وله) أي الميت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فلكل واحد منهما) أي الأخ والأخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الأنثى لان الادلاء الى الميت بمحض الأنوثة (فان كانوا) أي من يرث من الاخوة من الأم (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كيفما كانوا (شركاء في الثلث) فالذكر والأنثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) للورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو ببعضه لأجنبي أو يقر على نفسه بدين لا حقيقة له أو يقر بأن الدين الذي له على الغير قد وصل اليه أو يبيع شيئا بثمن بخس أو يشتري شيئا بثمن غال أو يوصي بالثلث لغرض تنقيص حقوق الورثة (وصية من الله) أي فريضة من الله عليكم في قسمة المواريث وقيل المعنى وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة يتكففون وجوه الناس بسبب الاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية بالاضافة (والله عليم) بمن جار أو عدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) أي شؤون الايتام وأحكام الأنكحة وأحوال المواريث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الأوامر والنواهي (يدخله جنات) نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الأخفش (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) حال من الهاء في يدخله وهي عائدة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلهذا صح الوجهان (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الخلود (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الأوامر والنواهي (ويتعد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال الكلبي أي ومن يكفر بقسمة الله المواريث ويتعد حدوده استحلالا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى (يدخله نارا) أي عظيمة هائلة (خالدا فيها وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب شديد روحاني وقرأ نافع وابن عامر ندخله بنون العظمة في الموضعين والباقون بالياء (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من أزواجكم المحصنات فاطلبوا أن يشهد عليهن بفعلها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم وقرئ بالفاحشة (فان شهدوا) عليهن بذلك كما ينبغي (فأمسكوهن في البيوت) أي فخلدوهن محبوسات في بيوتكم (حتى يتوفاهن الموت) أي الى أن يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أي أو الى أن يشرع لهن حكما خاصا بهن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وتنفى (واللذان يأتيانها منكم) أي البكران اللذان يأتيان الفاحشة من أحراركم (فآذوهما) بالتهديد والتعيير كأن يقال بئس ما فعلتما وقد تعرضتما لعقاب الله وسخطه وأخرجتما أنفسكما عن اسم العدالة ويخوفا بالرفع الى الامام وبالحد وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بعد زواجر الاذية (وأصلحا) أعمالهما فيما بينهما وبين الله (فأعرضوا عنهما) أي اتركوا ايذاءهما (ان الله كان توابا) أي

(وان كان رجل يورث كلالة) الكلالة من لا والد له ولا ولد وكل وارث ليس بوالد ولا ولد للميت فهو أيضا كلالة والكلالة في هذه الآية الميت أي وان مات رجل ولا والد له ولا ولد وله أخ أو أخت يريد من الأم باجماع من الأمة فلكل واحد منهما السدس وهو فرض الواحد من ولد الأم (فان كانوا أكثر من واحد اشتركوا في الثلث الذكر والأنثى فيه سواء وقوله (غير مضار) أي غير مدخل للضرر على الورثة وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة (والله عليم) فيما دبر من هذه الفرائض (حليم) عمن عصاه بتأخير عقوبته (واللاتي يأتين الفاحشة) أي يفعلن الزنا (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي من المسلمين (فان شهدوا) عليهن بالزنا (فأمسكوهن) أي فاحبسوهن (في البيوت) في السجون وهذا كان في أول الاسلام اذا كان الزانيان ثيبين حبسا ومنعا من مخالطة الناس ثم نسخ بالرجم وهو قوله تعالى (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهو سبيلهن الذي جعله الله لهن (واللذان يأتيانها) يعني البكرين يزنيان ويأتيان الفاحشة فآذوهما بالتعنيف والتوبيخ وهو أن يقال لهما انتهكتما حرمات الله وعصيتما واستوجبتما عقابه (فان تابا) من الفاحشة (وأصلحا) العمل فيما بعد فاتركوا أذاهما

وهذا كان في أول الاسلام ثم نسخه قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الآية (انما التوبة على الله) أي الذي أوجب على نفسه بفضله قبولها (للذين يعملون السوء بجهالة)  يريدان ذنب المؤمن جهل منه والمعاصي كلها جهالة ومن عصى ربه فهو جاهل (ثم يتوبون من قريب) يعني قبل الموت ولو بفواق ناقة (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يعود عليهم بالرحمة (وكان الله عليما حكيما) علم مافي قلوب المؤمنين من التصديق فحكم لهم بالتوبة قبل الموت بقدر فواق ناقة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) يعني المشركين والمنافقين (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني فلا توبة لهؤلاء اذا ماتوا على كفرهم لان التوبة لاتقبل في الآخرة (أولئك أعتدنا) أي هيأنا وأعددنا (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم) كان الرجل اذا مات وورث قريبه من عصبته امرأته وكان أحق بها من غيره فأبطل الله ذلك وأعلم أن الرجل لايرث المرأة من الميت وقوله (أن ترثوا النساء كرها) يريد عين النساء أي وهن كارهات (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) كان الرجل يمسك المرأة وليس له فيها حاجة اضرارا بها حتى تفتدي بمهرها فنهوا عن ذلك ثم استثنى فقال (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني الزنا فاذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها حتى تختلع منه (وعاشروهن بالمعروف) أي بما يجب لهن من الحق وهذا قبل أن يأتين بالفاحشة (فان كرهتموهن) الآية أي فيما كرهتم مما هو لله رضا خير كثير وثواب عظيم والخير الكثير في

فعسى

---

كثير القبول للتوبة ممن تاب (رحيما) أي واسع الرحمة وقد نسخ الايذاء باللسان للفتى والفتاة بجلد مائة وقال أبو مسلم الاصفهاني والمراد بقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة السحاقات وحدهن الحبس الى الموت أو الى أن يسهل الله لها قضاء الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى واللذان يأتيانها منكم أهل اللواط وحدهما الأذى بالقول والفعل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أي انما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لاوجوب الاستحقاق للذين يعملون المعصية مع عدم علمه بأنها معصية لكن يمكنه تحصيل العلم بأنها معصية (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان قريب وهو ماقبل معاينة سبب الموت وأهواله (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يتجاوز الله عنهم (وكان الله عليما) بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيما) بأن العبد لما كان من صفته ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فانه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) أي وليس قبول التوبة للذين يعملون الذنوب الى حضور موتهم أي علامات قربه وقولهم حينئذ اني تبت الآن ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق روى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أي مالم تتردد الروح في حلقه وقال عطاء ولو قبل موته بفواق الناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لاأفارق ابن آدم مادامت روحه في جسده فقال الله وعزتي لاأغلق عليه باب التوبة مالم يغرغر (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي وليس قبول التوبة للذين يموتون على الكفر اذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب (أولئك) أي الكفار (أعتدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم مختصين بسبب كفرهم بمزيد العقوبة والاذلال نزلت هذه الآية في حق طعمة وأصحابه الذين ارتدوا قاله ابن عباس (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء) أي عين النساء (كرها) أي لايحل لكم أن تأخذوهن بطريق الارث وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه نزلت هذه الآية في حق أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه على المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من سائر الناس ومن نفسها فان شاء تزوجها بغير صداق وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فأنزل الله تعالى هذه الآية قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الأحقاف وقرأ عاصم وابن ذكوان عن ابن عامر في الأحقاف بالضم والباقون بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في جميع ذلك قال الفراء الكره بالفتح الاكراه وبالضم المشقة فما أكره عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل نفسه فهو كره بالضم (ولا تعضلوهن) أي وكذلك لايحل لكم بعد التزوج بهن الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء والباقون بالكسر أي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة أبي بن كعب الا أن يفحشن عليكم والمعنى لايحل لكم أن تضيقوا الأمر عليهن لعلة من العلل الا لاتيانهن بالنشوز فان السبب حينئذ يكون من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) أي النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن

فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فان كرهتم صحبتهن فأمسكوهن بالمعروف ولا
تفارقوهن بمجرد كراهة النفس من غير أن يكون من قبلهن مايوجب ذلك فقد قربت كراهتكم شيئا
أى صحبة معهن مع كون الله جعل فى صحبتهن خيرا كثيرا كحصول ولد فتنقلب الكراهة محبة
وكاستحقاق الثواب الجزيل فى العقبى والثناء الجميل فى الدنيا للانفاق عليهن والاحسان اليهن على
خلاف الطبع (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى وان أردتم تزوج امرأة ترغبون فيها بدل
امرأة تنفرون عنها بأن أردتم أن تطلقوها (وآتيتم احداهن قنطارا) أى وقد أعطيتم احدى الزوجات
التى تريدون أن تطلقوها مالا كثيرا من الصداق (فلا تأخذوا منه) أى من ذلك القنطار (شيئا) أى
يسيرا أى ان كان سوء العشرة من قبل الزوج كره له أن يأخذ شيئا من مهرها ثم ان وقعت المخالعة ملك
الزوج بدل الخلع وان كان من قبل المرأة فيحل أخذ بدل الخلع (أتأخذونه) أى المهر (بهتانا) أى
ظلما (وإثما مبينا) أى حراما بينا أى ان أخذ المال طعن فى ذاتها وأخذ لمالها فهو بهتان من وجه
وظلم من وجه آخر فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر روى أن الرجل اذا مال الى التزوج
بامرأة أخرى رمى زوجة نفسه بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج
المرأة التى يريدها (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى ولأى وجه تأخذون المهر
وقد اجتمعتم فى لحاف واحد فانها قد بذلت نفسها لك وجعلت ذاتها لذتك وتمتعك وحصلت الألفة
التامة بينكما فكيف يليق بالعاقل أن يسترد منها شيئا فهذا لا يليق بمن له طبع سليم وذوق مستقيم
(وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قال ابن عباس ومجاهد وهو كلمة النكاح المعقودة على الصداق وتلك
الكلمة كلمة تستحل بها فروج النساء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وهذا الاسناد مجاز عقلى من الاسناد للسبب لأن الآخذ
للعهد حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل كأنهن الآخذات له أى وقد أخذ الله عليكم العهد
بسببهن (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف) أى لا تنكحوا التى نكحها آباؤكم
من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه ويقال ولا تنكحوا
نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولى وشهود وكانت موقتة وعلى سبيل القهر وهذا الوجه
منقول عن محمد بن جرير الطبرى فى تفسير هذه الآية وقيل المعنى لا تزوجوا امرأة وطئها آباؤكم بالزنا
الا ما قد سلف من الأب فى الجاهلية من الزنا بامرأة فانه يجوز للابن تزوجها كما نقل هذا المعنى عن
ابن زيد وكما قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه لهذه الآية وقال الشافعى لا يحرم
(انه) أى نكاح نساء الآباء (كان فاحشة) أى قبيحا لأن زوجة الأب تشبه الأم فكانت مباشرتها
من أفحش الفواحش (ومقتا) أى ممقوتا عند ذوى المروآت من الجاهلية وغيرهم وكانت العرب
تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتى (وساء سبيلا) أى بئس مسلكا نزلت هذه الآية فى حق محصن
ابن قيس الانصارى واعلم أن مراتب القبح ثلاثة القبح فى العقول وفى الشرائع وفى العادات فقوله
تعالى انه كان فاحشة اشارة الى القبح العقلى وقوله تعالى ومقتا اشارة الى القبح الشرعى وقوله وساء
سبيلا اشارة الى القبح العادى ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية فى القبح (حرمت عليكم
أمهاتكم) من النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعماتكم)
أى أخوات آبائكم (وخالاتكم) أى أخوات أمهاتكم (وبنات الأخ) من النسب من أى وجه يكن
(وبنات الأخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) فى الحولين خمس رضعات
متفرقات عند الشافعى وابن حنبل وقال أبو حنيفة ومالك يحصل التحريم بمصة واحدة وفاقا للأوزاعى

المرأة المكروهة أن يرزقه
الله منها ولدا صالحا (وان
أردتم استبدال زوج مكان
زوج) الآية اذا أراد الرجل
طلاق امرأته وتزوج غيرها
لم يكن له أن يرجع فيما
آتاها من المهر وهو قوله
(وآتيتم احداهن قنطارا)
أى مالا كثيرا (فلا تأخذوا
منه شيئا أتأخذونه بهتانا
وإثما مبينا) وفى هذا نهى
عن الضرار فى غير حال
الفاحشة وهو أن يضارها
لتفتدى منه من غير أن
أتت بفاحشة (وكيف
تأخذونه) أى المهر أو شيئا
منه (وقد أفضى بعضكم
الى بعض) أى وصل اليه
بالمجامعة ولا يجوز الرجوع
فى شىء من المهر بعد الجماع
(وأخذن منكم ميثاقا
غليظا) وهو ما أخذ الله
على الرجال للنساء من
امساك بمعروف أو تسريح
باحسان (ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء)
الآية كان الرجل من العرب
يتزوج امرأة أبيه من بعده
وكان ذلك نكاحا جائزا فى
العرب فحرمه الله ونهى
عنه وقوله (الا ما قد سلف)
يعنى لكن ما قد سلف فان
الله تجاوز عنه (انه) أى
ان ذلك النكاح (كان
فاحشة) زنا عند الله
(ومقتا) وبغضا شديدا
(وساء سبيلا) وقبح هذا
الفعل طريقا ثم ذكر المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم أمهاتكم)

الى قوله (ور بائبكم) جمع ربيبة وهى بنت امرأة الرجل من غيره (اللاتى فى حجوركم) أى فى ضمانكم وتربيتكم (وحلائل أبنائكم) أى
وأزواج أبنائكم (الذين من أصلابكم) لامن تبنيتموه (وأن تجمعوا) أى والجمع (بين الأختين الا ماقد



سلف) أى مضى منكم فى
الجاهلية فلا تؤاخذون به
بعد الاسلام (والمحصنات)
أى وذوات الأزواج من
النساء وهن محرمات على
كل أحد غير أزواجهن
الا ماملكتموه بالسبى من
دار الحرب فانها تحل
لمالكها بعد الاستبراء
بحيضة (كتاب الله
عليكم) أى كتب تحريم
ماذكر من النساء عليكم
(وأحل لكم ماوراء) أى
ماسوى (ذلكم) من
النساء (أن تبتغوا) أى أن
تطلبوا (بأموالكم) اما
بنكاح وصداق أو بملك
يمين (محصنين) ناكحين
(غير مسافحين) زانين (فما
استمتعتم) أى فما انتفعتم
وتلذذتم (به منهن) أى من
النساء بالنكاح الصحيح
(فآتوهن أجورهن) أى
مهورهن (فريضة) فان
استمتع بالدخول بها آتى
بالمهر تاما وان استمتع بعقد
النكاح آتى بنصف المهر
(ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من بعد
الفريضة) من حط من
المهر وابراء من بعض
الصداق أو كله (ان الله كان
عليما) بما يصلح أمر العباد
(حكيما) فيما بين لهم من
عقد النكاح (ومن لم يستطع منكم طولا) أى قدرة وغنى (أن ينكح المحصنات) أى الحرائر المؤمنات
(المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) أى فليتزوج مما ملكت أيمانكم يعنى جارية غيره (من فتياتكم المؤمنات) أى مملوكاتكم

ولسفيان الثورى وعبدالله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب (وأخواتكم من
الرضاعة) وهى من أرضعتها أمك أو ارتضعت بلبن أبيك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفحل (وأمهات
نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجته أم لا (ور بائبكم اللاتى فى حجوركم) أى وبنات نسائكم
اللاتى ربيتم فى بيوتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) أى جامعتموهن سواء كان ذلك بعقد صحيح
أو فاسد (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فى نكاح الربائب بعد طلاق أمها أو موتها
(وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أى ونساء أبنائكم الذين من أولاد فراشكم دون نساء الأولاد
الادعياء قال الشافعى لايجوز للأب أن يتزوج بجارية ابنه لأنها حليلته وقال أبو حنيفة يجوز واتفقوا
على أن حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد كما أن حرمة التزوج بحليلة الأب تحصل بذلك
(وأن تجمعوا بين الأختين) بالنكاح وبالوطء فى ملك اليمين لافى نفس ملك اليمين قال الشافعى
نكاح الأخت فى عدة الأخت البائن جائز لأنه لم يوجد الجمع وقال أبو حنيفة لايجوز (الا ماقد سلف)
أى قد مضى فى الجاهلية فانه مغفور لكم (ان الله كان غفورا) فيما كان منكم فى الجاهلية
(رحيما) أى فيما يكون منكم فى الاسلام اذا تبتم (والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم)
أى وحرم عليكم نكاح ذوات الأزواج كائنات من جميع النساء الا ماملكت أيمانكم من السبايا
فانهن حلال لكم بعد ما استبرأتم أرحامهن بحيضة وان كان أزواجهن فى دار الحرب واختلف
القراء فى كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بأل أم نكرة فقرأ الجمهور بفتح الصاد والكسائى بكسرها
فى جميع القرآن الا التى فى هذه الآية فانهم أجمعوا فيها على الفتح والمعنى أحصنهن الأزواج بالتزوج أى
أعفوهن عن الوقوع فى الحرام والأولياء أعفوهن عن الفساد بالتزويج وهن يحصن أزواجهن عن
الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بعفافهن (كتاب الله عليكم) أى كتب عليكم تحريم
ماتقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو المعنى الزموا كتاب الله (وأحل لكم ماوراء ذلكم
أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم وأحل لكم بالبناء
للمفعول عطفا على قوله حرمت عليكم والباقون وأحل بالبناء للفاعل عطفا على كتاب الله أى كتب الله
عليكم تحريم هذه الأشياء وأحل لكم ماوراءها ومحل أن تبتغوا رفع على البدل من ما على القراءة الأولى
ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والمعنى وأحل لكم ماسوى
المحرمات المعدودة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم المهور أو الأثمان على طريق النكاح الى
الأربع أو التسرى للاماء حال كونكم متعففين عن الزنا وغير زانين وهذا تكرير للتأكيد وقيل المعنى
كونوا مع النساء متزوجين أو متسرين (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) أى فأى فعل
استنفعتم به من جهة المنكوحات من جماع أو عقد فأعطوهن مهورهن لأجله بالتمام ان استنفعتم
بالدخول ولو مرة وبالنصف ان استنفعتم بعقد النكاح (فريضة) أى حال كون أجورهن مفروضة من
الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) أى لا اثم عليكم فى أن تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الزوج
للمرأة المطلقة قبل الدخول تمام المهر أو فيما تراضيا به من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة) أى من بعد
ذكر المقدار المعين (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حكيما) فلا يشرع الأحكام الا على وفق الحكمة
وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الأحرار (طولا أن
ينكح المحصنات المؤمنات) أى الحرائر (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أى من امائكم

(والله أعلم بإيمانكم) أي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر (بعضكم من بعض) أي دينكم واحد فأنتم متساوون من هذه الجهة فمتى وقع لأحدكم الضرورة جازله تزوج الأمة (فانكحوهن باذن أهلهن)



أي اخطبوهن الى ساداتهن (وآتوهن أجورهن) أي مهورهن (بالمعروف) من غير مطل وضرار (محصنات) عفائف (غير مسافحات) زوان علانية (ولا متخذات أخدان) أي زوان سرا (فاذا أحصن) أي تزوجن (فان أتين بفاحشة) بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) أي الأبكار الحرائر (من العذاب) الحد (ذلك) أي نكاح الأمة (لمن خشي العنت منكم) أي لمن خاف أن تحمله شدة الغلمة على الزنا فيلقى العنت وهو الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة أباح الله تعالى نكاح الأمة بشرطين أحدهما عدم الطول والثاني خوف العنت ثم قال (وأن تصبروا) أي عن نكاح الاماء (خير لكم) لئلا يصير الولد عبدا (يريد الله ليبين لكم) شرائع دينكم ومصالح أمركم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام دين الحنيفية (ويتوب عليكم) أي يرجع بكم من معصيته التي كنتم عليها الى طاعته (والله يريد أن يتوب عليكم) أي يخرجكم من كل ما يسخط ويكره الى كل ما يحب ويرضى (ويريد الذين يتبعون الشهوات) وهم الزناة وأهل الباطل في دينهم (أن تميلوا) عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) فتكونوا مثلهم

المؤمنات فقوله تعالى أن ينكح اما مفعول لطولا واما بدل منه واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لأنه بمعناه اذ الاستطاعة هي الطول أي الفضل والزيادة في المال أو تمييز أي ومن لم يستطع منكم زيادة في المال يبلغ بها نكاح الحرائر فلينكح الاماء أو المعنى ومن لم يستطع منكم استطاعة نكاحهن أو المعنى ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لا من جهة الطبيعة نكاح الحرة فلينكح الأمة لأنها في العادة تخف مهورها ونفقتها لاشتغالها بخدمة السيد بخلاف الحرة الفقيرة ويقال للمرأة الحديثة السن فتاة وللغلام فتى والأمة تسمى فتاة سواء كانت عجوزا أم شابة لأنها كالشابة في أنها لا توقر توقير الكبير وقال مجاهد وسعيد والحسن ومالك والشافعي لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية سواء كان الزوج حرا أو عبدا وقال أبو حنيفة يجوز (والله أعلم بإيمانكم) أي انه تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الايمان فرب أمة يفوق ايمانها ايمان الحرائر فاعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الأمور والله يتولى السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أي كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم الفضائل فاذا حصل الاشتراك في ذلك كان التفاوت فيما وراءه غير معتبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والفخر بالأحساب والاستسقاء بالأنواء (فانكحوهن باذن أهلهن) أي سيدهن (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أي أعطوهن مهورهن على العادة الجميلة عند المطالبة من غير مطل (محصنات) أي عفائف عن الزنا وهي حال من مفعول فانكحوهن (غير مسافحات) أي غير مؤجرة نفسها مع أي رجل أرادها (ولا متخذات أخدان) أي غير متخذات أخلاء معينين يزنون بهن سرا (فاذا أحصن) أي زوجن وقرأه حمزة والكسائي وأبو بكر بالبناء للفاعل أي أسلمن كما قال عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي (فان أتين بفاحشة) أي فان فعلن زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) أي فثابت عليهن شرعا نصف ما على الحرائر الأبكار (من العذاب) أي الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة كما هو كذلك قبل الاحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فتخفيف الحد للرق (ذلك) أي نكاح الاماء حلال (لمن خشي العنت منكم) أي الضرر الشديد في العزوبة بالشبق الشديد فانه قد يحمل على الزنا وقد يؤدي بالانسان الى الأمراض الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما في نكاحهن من تعريض الولد للرق (والله غفور رحيم) باباحته لكم في نكاح الاماء وان كان يؤدي الى ارقاق الولد مع أن هذا يقتضي المنع منه لاحتياجكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة (يريد الله ليبين لكم) ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي يرشدكم طرائق الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله تحريمه وتحليله لنا من النساء كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل (ويتوب عليكم) اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير في مراعاة الشرائع (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أي أن يتجاوز عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الأخوات من الأب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) في نكاح الأخوات من الأب وهم اليهود وفي الزنا وهم الفجرة (أن تميلوا ميلا عظيما) بموافقتهم على استحلال المحرمات في قول اليهود ان نكاح الأخوات من الأب حلال في كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزاني

يحب أن يشركه فى الزنا غيره ليفرق اللوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) فى جميع أحكام الشرع كاباحة نكاح الأمة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أى عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله تعالى (يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى بما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وشهادة الزور والحلف الكاذب وجحد الحق (الاأن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ عاصم وحمزة والكسائى تجارة بالنصب أى لايأكل بعضكم أموالا بغير طريق شرعى بل كلوا بأن تكون الأموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقون بالرفع أى لكن بأن توجد تجارة عن طيب نفس (ولاتقتلوا أنفسكم) أى لاتفعلوا ماتستحقون به القتل من قتل المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الاحصان (ان الله كان بكم رحيما). حيث نهاكم عن كل ماتستوجبون به مشقة (ومن يفعل ذلك) أى مانهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدوانا) أى افراطا فى مجاوزة حد الحلال (وظلما) أى اتيانا بما لايستحقه (فسوف نصليه) أى ندخله (نارا) هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى اصلاؤه النار (على الله يسيرا) أى هينا (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) فى هذه السورة (نكفر عنكم سيئاتكم) أى صغائركم من جماعة الى جماعة ومن جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وندخلكم) فى الآخرة (مدخلا كريما) قرأ نافع بفتح الميم والباقون بالضم أى موضعا حسنا وهو الجنة (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) قال ابن عباس لايتمنى الرجل مال غيره ودابته وامرأته ولاشيئا من الذى ثبت له كالجاه وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لأن ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى صادرة عن حكمة وتدبير لائق بأحوال العباد متفرع على العلم بجلائل شؤونهم ودقائقها واسألوا الله من فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أوخيرا منه مع التفويض ويقال نزلت هذه الآية فى حق أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي ليت الله كتب علينا ماكتب على الرجال لكى نؤجر كما يؤجر الرجال فنهى الله عن ذلك وقال ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم أى الرجال على بعض أى النساء من الجماعة والجمعة والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم فقال (للرجال نصيب) أى ثواب (مما اكتسبوا) أى الخير كالجهاد والنفقة على النساء (وللنساء نصيب) أى ثواب (مما اكتسبن) من الخير فى بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وأزواجهن وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش وكالطلق والارضاع (واسألوا الله) قرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله بغير همز (من فضله) أى واسألوا الله ما احتجتم اليه يعطكم من خزائنه التى لاتنفد قال الفخر الرازى قوله تعالى واسألوا الله من فضله تنبيه على أن الانسان لايجوز له أن يعين شيئا فى الطلب والدعاء ولكن يطلب من فضل الله مايكون سببا لصلاحه فى دينه ودنياه على سبيل الاطلاق اه وقد جاء فى الحديث لايتمنين أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقنى اللهم أعطنى مثله وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب أن يسئل وأفضل العبادة انتظار الفرج (ان الله كان بكل شئ عليما) ولذلك جعل الناس على طبقات فرفع بعضهم على بعض درجات أى فانه تعالى هو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل

(يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وهو كل مالايحل فى الشرع كالربا والغصب والقمار والسرقة والخيانة (الا أن تكون تجارة) لكن ان كانت تجارة (عن تراض منكم) برضى البيعين فهو حلال (ولاتقتلوا أنفسكم) أى لايقتل بعضكم بعضا (ومن يفعل ذلك) أى أكل المال بالباطل وقتل النفس (عدوانا) وهو أن يعدو ماأمر به (وظلما) أخذا بغير حل من غير محل (فسوف نصليه نارا) أى ندخله نارا (وكان ذلك على الله يسيرا) أى أنه قادر على ذلك لايتعذر عليه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى كل ذنب ختمه الله بنار أوغضب أوعذاب أولعنة أو وعيد فى القرآن (نكفر عنكم سيئاتكم) التى هى دون الكبائر بالصلوات الخمس (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى الجنة (ولاتتمنوا مافضل الله) الآية قالت أم سلمة يارسول الله ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا وكان لنا مثل أجر الرجال فنزلت هذه الآية (للرجال نصيب) أى ثواب (مما اكتسبوا) من الجهاد (وللنساء نصيب) أى ثواب (مما اكتسبن) أى من حفظ فروجهن وطاعة أزواجهن (واسئلوا الله من فضله) ان احتجتم الى مال غيركم فيعطيكم من فضله

(ولكل) أى ولكل شخص من الرجال والنساء (جعلنا موالى) ى عصبة و ورثة (مما ترك الوالدان والأقربون) أى ممن تركه والده وأقربوه أى تشعبت العصبة والورثة عن الوالدين والأقربين ثم ابتدأ وقال (والذين عاقدت أيمانكم) وهم الحلفاء أى عاقدت حلفهم أيمانكم وهى جمع يمين من القسم وكان الرجل



فى الجاهلية يعاقد الرجل و يقول

السائل على المجمل وليحترز فى دعائه عن التعيين فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) أى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم ومما ترك بيان لكل (والذين عقدت أيمانكم) أى ومما ترك الزوج والزوجة فالنكاح يسمى عقدا وهذا قول أبى مسلم الأصفهانى ويصح أن تكون جملة جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر والمعنى حينئذ ولكل قوم جعلناهم وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الورثون (فآتوهم نصيبهم) من الميراث قيل ان هذه الآية نزلت فى شأن أبى بكر الصديق لأنه حلف أن لاينفق على ابنه عبدالرحمن ولا يورثه شيئا من ماله فلما أسلم عبدالرحمن أمر الله أبا بكر أن يؤتيه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم الحلفاء وبقوله فآتوهم نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة فى العشرة وحينئذ فقوله والذين مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر بالفاء أو منصوب بمضمر يفسره قوله فآتوهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الحلفاء فى الجاهلية وقوله فآتوهم نصيبهم على الميراث وهو السدس فهذه الآية حينئذ منسوخة بقوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وبقوله تعالى يوصيكم الله وكذا لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الأبناء الأدعياء أو على من واخاه النبى صلى الله عليه وسلم لرجل آخر فانه واخى بين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان على كل شىء) من أعمالكم (شهيدا) أى مطلعا (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أى الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك وبسبب انفاقهم من أموالهم للمهر والنفقة (فالصالحات) أى المحسنات الى أزواجهن (قانتات) أى مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب) أى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة أزواجهن من الفروج والأموال (بما حفظ الله) أى بالذى حفظه الله لهن أى فان حفظ حقوق الزوج فى مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وامساكهن بالمعروف واعطائهن أجورهن أو المعنى بحفظ الله اياهن بالأمر بحفظ الغيب والتوفيق له وقرىء بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أى بسبب حفظهن حدود الله وأوامره (واللاتى تخافون نشوزهن) أى والنساء اللاتى تظنون عصيانهن لكم (فعظوهن) أى فانصحوهن بالترغيب والترهيب (واهجروهن فى المضاجع) أى حولوا عنهن وجوهكم فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف ان علمتم النشوز ولم تنفعهن النصيحة (واضربوهن) ان لم ينجع الهجران ضربا غير مبرح ولا شائن والأولى ترك الضرب فان ضرب فالواجب أن يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا الى الهلاك بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون فى موضع واحد وأن لا يوالى به وأن يتقى الوجه وأن يكون بمنديل ملفوف (فان أطعنكم) أى

له دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك فلما قام الاسلام جعل للحليف السدس وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ثم نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (ان الله كان على كل شىء شهيدا) يريد أنه لم يغب عنه علم ما خلق (الرجال قوامون على النساء) أى على تأديبهن والأخذ فوق أيديهن (بما فضل الله) الرجال على النساء بالعقل والعلم والقوة فى التصرف والجهاد والشهادة والميراث (وبما أنفقوا) عليهن (من أموالهم) يعنى المهر والانفاق عليهن (فالصالحات) من النساء هن اللواتى المطيعات لأزواجهن وهو قوله (قانتات حافظات للغيب) يحفظن فروجهن فى غيبة أزواجهن (بما حفظ الله) فى ايجاب المهر والنفقة لهن وايصاء الزوج بهن (واللاتى تخافون) أى تعلمون (نشوزهن) يعنى عصيانهن (فعظوهن) بكتاب الله وذكروهن الله

وما أمرهن به (واهجروهن فى المضاجع) أى فرقوا بينكم و بينهن فى المضاجع (واضربوهن) ضربا غير مبرح وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له فيه يعظها بلسانه فان لم تنته هجر مضجعها فان أبت ضربها فان أبت أن تتعظ بالضرب بعث الحكمان (فان أطعنكم) فيما يلتمس منهن

رجعن عن النشوز الى الطاعة عند هذا التأديب (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى فلا تطلبوا عليهن طريقا فى الحب ولافى الأذية واكتفوا بظاهر حال المرأة ولاتفتشوا عما فى قلبها من الحب والبغض (ان الله كان عليا كبيرا) أى ان الله تعالى مع علاوه وكبريائه لايكلفكم مالا تطيقون فكذلك لاتكلفوهن مالاطاقة لهن من المحبة وانه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم عند اطاعتهن لكم (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أى وان علمتم أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابعثوا الى الزوجين لاصلاح الحال بينهما حكما أى رجلا وسطا صالحا للاصلاح من أهله أى الزوج وحكما آخر على صفة الأول من أهلها لأن أقاربهما أعرف بحالهما من الأجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا أجنبيين جاز فيستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ماهو الصواب من جمعهما أو ايقاع طلاق أو خلع (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) فالضمير الأول اما عائد على الحكمين أو الزوجين والضمير الثانى كذلك فالوجوه أربعة والمعنى ان كانت نية الحكمين قطعا للخصومة أوقع الله الموافقة بين الزوجين (ان الله كان عليما) بموافقة الحكمين ومخالفتهما (خبيرا) بفعل المرأة والرجل قال ابن عباس نزلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الى ههنا فى شأن بنت محمد بن سلمة بلطمة لطمها زوجها سعد بن الربيع لعصيانها فى المضاجع فطلبت من النبى صلى الله عليه وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك (واعبدوا الله) بقلوبكم وجوارحكم (ولاتشركوا به شيئا) أى شركا جليا أوخفيا وهذا أمر بالاخلاص فى العبادة (وبالوالدين احسانا) أى أحسنوا بهما احسانا بالقيام بخدمتهما وبالسعى فى تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما وبعدم رفع الصوت عليهما وعدم تخشين الكلام معهما وعدم شهر السلاح عليهما وعدم قتلهما ولو كانا كافرين لأنه صلى الله عليه وسلم نهى حنظلة عن قتل أبيه أبى عامر الراهب وكان مشركا وعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه فى الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد باليمن فقال أبواى فقال أبواك أذنالك فقال لافقال فارجع فاستأذنهما فان أذنالك فجاهد والافبرهما (وبذى القربى) أى صلوا بصاحب القرابة من أخ أوعم أوخال أونحو ذلك (واليتامى) أى أحسنوا اليهم بالرفق بهم وبمسح رأسهم وبتربيتهم وحفظ أموالهم (والمساكين) أى أحسنوا اليهم بالصدقة أو بالرد الجميل (والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره أو الذى له مع الجوار اتصال بالنسب وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه لأن له ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كما قرئ والصلاة الوسطى نصبا على الاختصاص (والجار الجنب) أى الذى بعد جواره أو الذى لاقرابة له فله حقان حق الاسلام وحق الجوار (والصاحب بالجنب) وهو اما رفيق فى سفر أوجار ملاصق أوشريك فى تعلم أوحرفة أوقاعد بجنبك فى مسجد أومجلس وقيل هى المرأة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك (وابن السبيل) أى المسافر المنقطع عن بلده بالسفر أوالضيف أى أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق ومافوق ذلك صدقة (وماملكت أيمانكم) أى أحسنوا الى الخدم من العبيد والاماء (ان الله لايحب من كان مختالا) أى متكبرا عن أقاربه الفقراء وجيرانه الضعفاء وأصحابه ولايحسن عشرتهم (فخورا) على الناس بما أعطاه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل

(فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى لا تبحثوا عليهن العلل (وان خفتم) علمتم (شقاق) خلاف بينهما) أى بين الزوجين (فابعثوا حكما) حاكما وهو المانع من الظلم (من أهله) أى من أقاربه (وحكما من أهلها) حتى يجتهدا وينظرا من الظالم منهما فيأمرانه بالرجوع الى أمر الله أو يفرقان ان رأيا ذلك (ان يريدا) أى الحكمان (اصلاحا يوفق الله بينهما) أى بين الزوجين بالصلاح (ان الله كان عليما خبيرا) أى بما فى قلوب الزوجين والحكمين وقوله (وبالوالدين احسانا) أى أحسنوا بهما احسانا وهو البر مع لين الجانب (وبذى القربى) هو ذو القرابة يصله ويتعطف عليه (واليتامى) يرفق بهم ويدنيهم (والمساكين) ببذل يسير أو رد جميل (والجار ذى القربى) وهو الذى له مع حق الجوار حق القرابة (والجار الجنب) أى البعيد عنك فى النسب (والصاحب بالجنب) هو الرفيق فى السفر (وابن السبيل) عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل (وما ملكت أيمانكم) يعنى المماليك (ان الله لايحب من كان مختالا) أى عظيما فى نفسه لايقوم بحقوق الله (فخورا) على عباد الله بما خوله الله من نعمته (الذين يبخلون) يعنى اليهود بخلوا بأموالهم أن ينفقوها فى طاعة الله تعالى (ويأمرون الناس بالبخل) أمروا الأنصار أن لاينفقوا أموالهم على رسول الله ﷺ وقالوا انا نخشى عليكم الفقر ويكتمون

ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من العلم بما فى كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والاظهر أن الموصول منصوب على الذم أو مرفوع على الذم أى هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختالا وأن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره أحقاء بكل ملامة أو كافرون نزلت هذه الآية فى حق كدوم بن زيد وأسامة بن حبيب ونافع بن أبى نافع وبحرى بن عمرو وحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد ابن التابوت حين أمروا رجالا من الأنصار بترك النفقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الفقر عليهم أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وأعتدنا للكافرين) أى لليهود (عذابا مهينا) أى فمن كان شأنه كذلك فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمته فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء وفى الحديث الذى رواه أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والموصول اما معطوف على الموصول الاول واما معطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدى نزلت هذه الآية فى شأن المنافقين وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا) أى ومن يكن الشيطان معينا له فى هذه الأفعال فى الدنيا (فساء قرينا) أى فبئس الصاحب له فى النار هو فان الله تعالى يقرن مع كل كافر شيطانا فى سلسلة فى النار ثم بين الله تعالى سوء اختيارهم فى ترك الايمان فقال (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى وأى ضرر عليهم فى الايمان والانفاق ابتغاء وجه الله (وكان الله بهم) وبأحوالهم الخفية (عليما) فالله تعالى عالم ببواطن الأمور فان القصد الى الرياء انما يكون باطنا غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أى ان الله لا يظلم أحدا وزن نملة حمراء صغيرة أى لا يظلم قليلا ولا كثيرا (وان تك حسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والمعنى وان حدثت حسنة والباقون بالنصب والمعنى وان تكن زنة الذرة حسنة وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد من غير ألف أى فيكون التضعيف للثواب الى مقدار لا يعلمه الا الله تعالى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادى مناد على رؤس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له أعط هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا فى أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضله ورحمته وقال أبو عثمان النهدى بلغنى عن أبى هريرة أنه قال ان الله ليعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقدر الله أن ذهبت الى مكة حاجا أو معتمرا فلقيته فقلت بلغنى عنك أنك تقول ان الله يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لم أقل ذلك ولكن قلت ان الحسنة تضاعف بألفى ألف ضعف وتلا قوله تعالى (ويؤت) أى يعط الله صاحب الحسنة (من لدنه) أى من عنده تعالى (أجرا عظيما) فلا يقدر أحد قدره * روى أن عمر كان جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى أنت وأمى ما الذى أضحكك قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لى من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شئ فقال يارب فليحمل عنى من أوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى

(ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أى ما فى التوراة من أمر محمد ﷺ ونعته (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعنى المنافقين (ومن يكن الشيطان له قرينا) أى يسول له ويعمل بما يأمره (فساء قرينا) أى بئس الصاحب الشيطان (وماذا عليهم) أى على اليهود والمنافقين أى ما كان يضرهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) أى لا يثيبهم بما ينفقونه رئاء الناس (ان الله لا يظلم) لا ينقص أحدا (مثقال) أى مقدار (ذرة) ان كان مؤمنا أثابه عليها الرزق فى الدنيا والأجر فى الآخرة وان كان كافرا أطعمه بها فى الدنيا (وان تلك حسنة) من مؤمن (يضاعفها) بعشرة أضعافها (ويؤت من لدنه) أى من عنده (أجرا عظيما) وهو الجنة

(فكيف) أي كيف يكون حال هؤلاء اليهود والنافقين يوم القيامة وهذا استفهام معناه التوبيخ (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني نبي كل أمة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) المنافقين والمشركين (شهيدا) تشهد عليهم بما فعلوا (يومئذ) أي في ذلك اليوم (يود الذين كفروا وعصوا الرسول) وقد عصوه في الدنيا (لو تسوى بهم الارض) أي يكونون ترابا فيستوون مع الارض حتى يصيروا وهي شيئا واحدا



(ولا يكتمون الله حديثا) لان ما عملوه ظاهر عند الله عزوجل لا يقدرون على كتمانه (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) أي مواضعها يعني المساجد (وأنتم سكارى) نهوا عن الصلاة وعن الدخول الى المسجد في حال السكر وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر فكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر والمسكر أوقات الصلوات والسكران المختلط العقل الذي يهذي ولا يستمر كلامه ألا ترى أن الله تعالى قال (حتى تعلموا ما تقولون) فاذا علم ما يقول لم يكن سكرانا وتجوز له الصلاة ودخول المسجد (ولا جنبا) أي ولا تقربوها وأنتم بجنب (الا عابري سبيل) أي الا اذا عبرتم بالمسجد ودخلتموه من غير اقامة فيه (حتى تغتسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى) يعني مرضا يضره الماء كالقروح والجدري والجراحات (أو على سفر) أي مسافرين (أوجاء أحد منكم من الغائط) أي من الحدث (أو لامستم النساء) يعني لمستموهن بأيديكم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) أي تمسحوا بتراب طيب منبت (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) وهم اليهود (يشترون الضلالة) أي يختارونها على الهدى بتكذيب محمد ﷺ (و يريدون أن تضلوا السبيل) أيها المؤمنون أي طريق الهدى (والله أعلم بأعدائكم) أي فهو يعلمكم ما هم عليه (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) أي ان ولايته ونصرته لكم تغنيكم عن غيره من اليهود ومن جرى مجراهم وأصحابه

---

الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (اذا جئنا من كل أمة) أي قوم (بشهيد) أي بنبي يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) يا أشرف الخلق (على هؤلاء) الشهداء وهم الرسل (شهيدا) فتشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم ويقال وجئنا بك لأمتك مزكيا معدلا لان أمته صلى الله عليه وسلم يشهدون للأنبياء على قومهم اذا جحدوا بالبلاغ (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) أي يوم مجيء ذلك يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا أمر الرسول أن يدفنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى ويقال يتمنون أن يصيروا ترابا مع البهائم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدرون أن يكتموا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين أي انهم يريدون الكتمان أولا لما علموا أن الله لم يغفر شركا فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء غفران الله لهم لكنهم تشهد عليهم الأعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان فهنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل) أي لا تقيموا الصلاة حال كونكم سكارى من الشراب الى أن تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولونه ولا تقيموها حال كونكم جنبا الا حال كونكم مسافرين وقيل ان الا بمعنى غير وهو صفة لجنبا والمعنى لا تقيموها حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتي حكم المسافرين (حتى تغتسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمعنى وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدثتم بخروج الخارج من أحد السبيلين أو تلاقت بشرتكم مع بشرة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به للصلاة بعد الطلب فاقصدوا أرضا لا سبخة فيها (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الى المرفقين بضربتين (ان الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته انه يعفو عن المذنبين فبان يرخص للعاجزين كان أولى (ألم تر) أي تنظر (الى الذين أوتوا نصيبا) أي حظا يسيرا (من الكتاب) أي من علم التوراة (يشترون الضلالة) أي يؤثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشا على ذلك ويحصل لهم الرياسة كما قاله الزجاج (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي ويتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أي هو سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوبهم من العداوة والبغضاء (وكفى بالله وليا) أي متصرفا في جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) في كل موطن فثقوا به وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا رئيس المنافقين عبد الله بن أبي

وأصحابه الى دينهما ثم نزل فى مالك بن الصيف وأصحابه قوله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه و يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أى من اليهود قوم يغيرون الكلم التى أنزل الله فى التوراة عن مواضعه التى وضعه الله تعالى فيها كتحريفهم فى نعت النبي أسمر ربعة فوضعوا مكانه آدم طوال وتحريفهم الرجم فوضعوا بدله الجلد و يقولون فى الظاهر اذا أمرهم النبي عليه السلام سمعنا قولك وفى أنفسهم وعصينا أمرك و يقولون فى اثناء مخاطبة النبي عليه السلام كلاما ذا وجهين وهو محتمل للخير والشر مظهرين المدح و يضمرون الشتم وهو واسمع مناغير مسمع مكروها والمراد واسمع مناحال كونك غير مسمع كلاما أصلا لصمم أوموت وهو دعاء منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أوغير مسمع جوابا يوافقك فكأنك ماأسمعت شيئا يقولون للنبي اسمع و يقولون فى أنفسهم لاسمعت فقوله غير مسمع معناه غير سامع و يقولون فى أثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم راعنا وهى كلمة ذات وجهين محتملة للخير اذا حملت على معنى اصرف سمعك الى كلامنا وأنصت لحديثنا وتفهم وللشر اذا حملت على السب بالرعونة أوعلى أنهم يريدون انك يا محمد كنت ترعى أغنامنا فانهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لأصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأطلعه الله تعالى على خبيث ضمائرهم وعلى مافى قلوبهم من العداوة والبغضاء أى يقولون ذلك لصرف الكلام عن نهجه والقدح فى دين الاسلام بالاستهزاء والسخرية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالحال عند سماع شىء من أوامر الله تعالى ونواهيه (سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا) بدل ذلك (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) أى أصوب (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى أبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا) أى الا ايمانا قليلا غير نافع وهو الايمان بالله والتوراة وموسى وكفروا بسائر الأنبياء أوالا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم الايمان و بعضهم جعل قليلا مستثنى من الهاء فى لعنهم أى الا نفرا قليلا فلا يلعنهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا مؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) أى بالقرآن (مصدقا لما معكم) أى موافقا للتوراة فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش (من قبل أن نطمس وجوها) أى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) أى فنجعلها على هيئة أقفائها (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان وضمير الغائب راجع الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبارة الغيبة (وكان أمر الله) بايقاع شىء ما (مفعولا) أى نافذا وهذا اخبار عن جريان عادة الله فى الأنبياء المتقدمين أنه تعالى مهما أخبرهم بانزال العذاب على الكفار فعل ذلك لامحالة (ان الله لا يغفر أن يشرك) أى لا يغفر الكفر لمن اتصف (به) بلا توبة وايمان (ويغفر مادون ذلك) أى الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت أوكبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لما قتل وحشى حمزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ماوفوا له بذلك فعند ذلك ندم هو وأصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا يمنعهم عن الدخول الى الاسلام الا قوله تعالى

---

(من الذين هادوا يحرفون) أى قوم يحرفون (الكلم عن مواضعه) أى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم وزمانه ونبوته فى كتابهم و يقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع و يقولون فى أنفسهم لاسمعت (وراعنا ليا بألسنتهم) يعنى و يقولون فى أنفسهم راعنا و يوجهونها الى شتم محمد صلى الله عليه وسلم بالرعونة وذكرنا أن هذا كان سبا بلغتهم (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا (واسمع وانظرنا) أى انظر الينا بدل قولهم راعنا (لكان خيرا لهم) عند الله عز وجل (ولكن لعنهم الله بكفرهم) فلذلك لا يقولون ماهو خير لهم (فلا يؤمنون الا قليلا) أى ايمانا قليلا وهو قولهم الله ربنا والجنة حق والنار حق وهذا القليل ليس بشىء مع كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وليس بمدح لهم (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها) اى نمحو مافيها من عين وأنف وفم وحاجب فنجعلها كخف البعير وكحافر الدابة (فنردها على أدبارها) أى نحولها قبل ظهورهم (أو نلعنهم) أى نجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأوائلهم (وكان أمر الله مفعولا) لا راد لحكمه ولا ناقض لأمره (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية وعد الله فى هذه مغفرة مادون الشرك فيعفو عمن يشاء و يغفر لمن يشاء الا الشرك تكذيبا للقدرية وهو قوله (و يغفر مادون ذلك لمن يشاء

ومن يشرك بالله فقد افترى أثما عظيما)  أى اختلق ذنبا غير مغفور (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) يعنى

اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وما عملناه بالنهار كفرعنا بالليل وما عملناه بالليل كفرعنا بالنهار (بل الله يزكى من يشاء) أى يجعل من يشاء زاكيا طاهراناميا فى الصلاح يعنى أهل التوحيد (ولا يظلمون فتيلا) أى لا ينقصون من الثواب قدر فتيل النواة وهى القشرة الرقيقة التى حولها ثم عجب النبى صلى الله عليه وسلم من كذبهم فقال تعالى (انظر كيف يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم تكفر عنا ذنوبنا (وكفى به) أى بافترائهم (أثما مبينا) أى كفى ذلك فى التعظيم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى علماء اليهود (يؤمنون بالجبت) يعنى الأصنام (والطاغوت) أى سدنتها وتراجمتها وذلك بأنهم حالفوا قريشا على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسجدوا لأصنام قريش وقالوا لهم أنتم أهدى سبيلا من محمد وأقوم طريقة ودينا وهو قوله (ويقولون للذين كفروا) يعنى قريشا (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وقوله (أم لهم نصيب من الملك) أى بل لهم نصيب يعنى ليس لليهود ملك ولو كان لهم اذا لم يؤتوا أحدا شيئا وهو قوله (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) أى اضنوا وجزاء بالقليل وصفهم الله بالبخل فى هذه الآية والنقير يضرب مثلا للشئ القليل وهو نقرة فى ظهر النواة منها تنبت النخلة

والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما فى هذه الآية فنزل قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف أن لا نقوم به فنزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء فقالوا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته تعالى فنزل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك فى الاسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى أثما عظيما) أى فقد فعل ذنبا غير مغفور (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) أى يمدحونها قال قتادة والضحاك والسدى هم اليهود أخرجه ابن جرير وذلك لما هددالله تعالى اليهود بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فعند هذا قالوا لسنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استفهام تعجيب وهو أمر المخاطب على التعجب أى انظر اليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم وفى هذه الآية تحذير من اعجاب المرء بنفسه وعمله (بل الله يزكى من يشاء) عطف على مقدر أى هم لا يزكون أنفسهم فى الحقيقة لكذبهم و بطلان اعتقادهم بل الله يزكى من يشاء تزكيته ممن يستحقها من المؤمنين (ولا يظلمون فتيلا) أى ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية حق جزائهم من غير ظلم أى فلا يظلمون فى ذلك العقاب قدر فتيل وهو الخيط الذى فى شق النواة طولا والنقير النقطة التى فى ظهر النواة تنبت منها النخلة والقطمير القشرة الرقيقة على النواة (انظر) يا أشرف الخلق متعجبا (كيف يفترون على الله الكذب) لقولهم ما نعمل بالنهار من الذنوب يغفره الله لنا بالليل وما نعمل بالليل يغفره بالنهار فالكذب مفعول به أو مفعول مطلق لأنه يلاقى العامل فى المعنى لان الافتراء والكذب متقاربان معنى أو معناهما واحد (وكفى به) أى بافترائهم هذا (أثما مبينا) فى استحقاقهم لأشد العقوبات (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) فكل معبود دون الله فهو جبت وطاغوت وكل من دعا الى المعاصى الكبار فهو طاغوت روى أن حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود بعد قتال أحد ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منهم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى تطمئن قلوبنا ففعلوا ذلك فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا ابليس فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده و ينهى عن عبادة الأصنام قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى فقال أنتم أهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (و يقولون للذين كفروا) أى فى حق كفار مكة (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أى كفار مكة أبو سفيان وأصحابه أصوب دينا من محمد وأصحابه وذكرهم بلفظ الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين بأقبح القبائح (أولئك الذين) أى القائلون ان عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله تعالى (لعنهم الله) أى أبعدهم عن رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) أى ومن يطرده الله عن رحمته فلن تجد أيها المخاطب من يدفع عنه العذاب دنيويا كان أو أخرويا (أم لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) وأم منقطعة عما قبلها وهذا الاستفهام استفهام انكارى ابطال على اليهود فى قولهم نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب وتكذيب لهم فى زعمهم ان الملك يعود اليهم فى آخر الزمان فيخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودولتهم و يدعوا الى دينهم واذن حرف جواب

وجزاء لشرط مقدر و رفع الفعل بعدهاوان كان مرجوحافى النحولأن القراءة سنة متبعةوقرئ شاذا على الأرجح بحذف النون والمعنى ليس لهم من الملك شئ البتة ولو كان لليهود نصيب منه فيتسبب عن ذلك أنهم لايعطون واحدامن الناس قدر مايملأ النقير وهو النقرة التى على ظهر النواة التى تنبت منها النخلة وهذا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو أوتوا شيئا من ذلك لماأعطوا الناس من أقل قليل ومن حق من أوتى الملك أن يؤثر الغير بشئ منه (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أى بل يحسدون محمدا ومن معه على ما أعطاهم الله من النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وكثرة النساء له صلى الله عليه وسلم وكانت له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان محمد نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى و ردعليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الكتاب والحكمة) أى النبوة أو المراد بالكتاب ظواهر الشريعة و بالحكمة أسرار الحقيقة (وآتيناهم) أى أعطينا بعضهم كداود وسليمان و يوسف (ملكا عظيما) لايقادر قدره فكان لداود مائة امرأة مهرية ولسليمان سبعمائة سرية وثلثمائة امرأة مهرية وهؤلاء الثلاثة كانوا فى بنى اسرائيل ولم يشغلهم أمر النبوة عن أمر الملك والنساء فكيف يستبعدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم و يحسدونه على ايتائها (فمنهم من آمن به ومنهم من صدعنه) أى فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوتى آل ابراهيم ومنهم من أعرض عن الايمان به فأنت يا محمد لاتتعجب مما عليه هؤلاء القوم فان أحوال جميع الأمم مع جميع الأنبياء هكذا كانت وذلك تسلية من الله لرسوله ليكون أشد صبرا على مايناله من قبلهم (وكفى بجهنم) فى عذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين (سعيرا) أى نارا وقودا (ان الذين كفروا بآياتنا) أى الدالة على ذات الله وأفعاله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل (سوف نصليهم) أى ندخلهم (نارا) عظيمة هائلة (كلما نضجت) أى احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن يجعل النضيج غير النضيج فالذات واحدة والتبدل هو الصفة (ليذوقوا العذاب) أى لكى يجدوا ألم العذاب على الدوام من غير انقطاع بهذه الحالة الجديدة و روى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضى الله تعالى عنه فقال للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل الجلود فى ساعة مائة مرة فقال عمر رضى الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله كان عزيزا) أى قادرا غالبا لايمتنع عليه مايريده (حكيما) أى لايفعل الا الصواب فيعاقب من يعاقبه على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) فان نعيم الجنة لاينقطع كعذاب النار (لهم فيها أزواج مطهرة) من الحيض والنفاس وجميع أقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) أى عظيما فى الراحة واللذاذة بخلاف المواضع فى الدنيا فانها اذا لم يصل نور الشمس فيها اليها فى الدوام يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) لما حكى الله عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق حيث قالوا للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أمر المؤمنين فى هذه الآية بأداء الأمانات فى جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات أو من باب الدنيا والمعاملات وان ورد الأمر على سبب خاص فى

---

(أم يحسدون الناس) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على ما آتاهم الله من فضله) حسدت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوة وما أباح له من النساء وقالوا لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء فقال تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ملك داود وسليمان وما أوتوا من النساء فكان لداود عليه السلام تسع وتسعون ولسليمان عليه السلام ألف من بين حرة ومملوكة والمعنى أيحسدون النبى صلى الله عليه وسلم على ماأوتى من النبوة وكثرة النساء وقد كان ذلك فى آله لأنه من آل ابراهيم عليه السلام (فمنهم من آمن به) أى من أهل الكتاب من آمن به يعنى بمحمد (ومنهم من صد) أى أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) أى عذابا لمن لا يؤمن وقوله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوادا غيرها) يعنى أن جلودهم اذا نضجت واحترقت جددت بأن ترد الى الحال التى كانت عليها غير محترقة (ليذوقوا العذاب) أى ليقاسوه و ينالوه (ان الله كان عزيزا) أى قويا لايغلبه شئ (حكيما) فيما دبر وقوله (وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى ظل هواء الجنة وهو ظليل لاتنسخه الشمس (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) نزلت فى رد مفتاح الكعبة على عثمان بن طلحة الحجبى حين أخذ منه قهرا يوم فتح مكة فأمر الله تعالى برده عليه ثم هذه الآية عامة فى رد الأمانات الى أصحابها كيفما كانوا

شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى على بن أبى طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح و يجمع له السقاية والسدانة فنزلت هذه الآية فأمر عليا أن يرده الى عثمان و يعتذر اليه فقال عثمان لعلى أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله تعالى فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى أخيه شيبة فهو فى ولده الى اليوم (و) ان الله يأمركم (اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تزال هذه الأمة بخير ما اذا قالت صدقت واذا حكمت عدلت واذا استرحمت رحمت (ان الله نعما يعظكم به) أى ان الله نعم شىء يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا) لكل المسموعات يسمع ذلك الحكم اذا حكمتم بالعدل (بصيرا) لكل المبصرات يبصركم اذا أديتم الأمانة فيجازيكم على ما يصدر منكم (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه الآية مشتملة على أصول الشريعة الأربع الكتاب والسنة والاجماع والقياس فالكتاب يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لا محالة فثبت أن قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب متابعة الكتاب والسنة والمراد بأولى الأمر جميع العلماء من أهل العقد والحل وأمراء الحق و ولاة العدل وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى حق عبد الله بن حذافة السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية وعن ابن عباس أنها نزلت فى شأن خالد بن الوليد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية وفيها عمار بن ياسر فجرى بينهما اختلاف فى شىء فنزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر فحينئذ فالمراد بهم أمراء السرايا قال بعضهم طاعة الله و رسوله واجبة قطعا وطاعة أهل الاجماع واجبة قطعا وأما طاعة الامراء والسلاطين فالأكثر أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون الا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب الظن الضعيف فحينئذ يحمل أولوا الأمر على الاجماع وأيضا ان أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء فى الحقيقة أمراء الامراء فهؤلاء أولوا الأمر (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) أى فان اختلفتم أيها المجتهدون فى شىء حكمه غير مذكور فى الكتاب والسنة والاجماع فردوه الى واقعة تشبهه فى الصورة والصفة وهذا المعنى يؤكد بالخبر والأثر أما الخبر فهو أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم فقال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو تمضمضت والمعنى أخبرنى هل تبطل المضمضة الصوم أم لا أى فكما أن المضمضة مقدمة للأكل فكذا القبلة مقدمة للجماع فاذا كانت المضمضة لم تفسد الصيام فكذلك القبلة ولما سألته صلى الله عليه وسلم الخثعمية عن الحج عن أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته هل يجزىء فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الأثر فما روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال اعرف الأشباه والنظائر وقس الأمور برأيك فدل مجموع ما ذكر على أن قوله تعالى فردوه أمر برد الشىء الى شبيهه وهذا هو الذى يسميه الشافعى رحمه الله تعالى قياس الأشباه و يسميه أكثر الفقهاء قياس الطرد (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فان الايمان بهما يوجب ذلك (ذلك) أى الذى أمرتكم به فى هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلا) أى عاقبة

(ان الله نعما يعظكم به) أى نعم شيئا يعظكم به وهو القرآن (ان الله كان سميعا) لما يقولون فى الأمانة والحكم (بصيرا) بما يعملون فيها قال أبو روق قال النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان أعطنى المفتاح فقال هاك بأمانة الله ودفعه اليه فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدفعه الى العباس فأنزل الله هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان هاك تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى أخيه شيبة فهو فى ولده الى اليوم (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهم العلماء والفقهاء وقيل الأمراء والسلاطين وتجب طاعتهم فيما وافق الحق (فان تنازعتم) أى اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق القول قولى فردوا الأمر فى ذلك الى كتاب الله وسنة رسول الله (ذلك خير) أى ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير (وأحسن تأويلا) أى وأحسن عاقبة

عاقبة لكم (ألم تر الى الذين يزعمون) أى يدعون (أنهم آمنوا بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) وهو التوراة (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) أى كثير الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به) أى والحال أنهم قد أمروا فى القرآن أن يتبرأوا من الطاغوت (ويريد الشيطان) بالتحاكم اليه (أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصم رجل من المنافقين يقال له بشر رجلا من اليهود فقال اليهودى بينى وبينك أبو القاسم وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الأشرف وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ يقضى بالحق ولا يلتفت الى الرشوة واليهودى كان محقا وأن كعبا شديد الرغبة فى الرشوة والمنافق كان مبطلا وأصر اليهودى على قوله بذلك فذهبا الى رسول الله ﷺ فحكم لليهودى على المنافق فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال لا أرضى انطلق بنا الى أبى بكر فأتياه فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال بينى وبينك عمر فذهبا اليه فأخبره اليهودى بأن الرسول ﷺ وأبا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال اصبرا ان لى حاجة أدخل بيتى فأقضيها وأخرج اليكما فدخل وأخذ سيفه ثم خرج اليهما فضرب به عنق المنافق حتى برد أى مات وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودى فجاء أهل المنافق فشكوا عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأل ﷺ عمر عن قصته فقال انه رد حكمك يا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام فى الحال ونزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر هو الفاروق فرق بين الحق والباطل فقال النبى ﷺ لعمر أنت الفاروق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب ابن الأشرف سمى بذلك لشبهه بالشيطان فى فرط طغيانه (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله) أى أقبلوا الى القرآن الذى فيه الحكم (والى الرسول) الذى تجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) أى أبصرت المنافقين يعرضون عنك الى غيرك اعراضا بالكلية (فكيف اذا أصابتهم مصيبة) أى كيف يكون حالهم وقت اصابة المصيبة اياهم بقتل عمر صاحبهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم) أى بسبب ما عملوا من التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك (ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) أى ثم جاءك أهل المنافق مطالبين عمر بدمه وقد أهدره الله تعالى ويحلفون بالله كذبا للاعتذار فقالوا ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر الا أن يصلح ويجعل الاتفاق بينه وبين خصمه ويأمر كل واحد من الخصمين بتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة وأنت يا رسول الله لا تحكم الا بالحق المر ولا يقدر أحد على رفع الصوت عندك (أولئك) أى المنافقون (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق والغيظ والعداوة (فأعرض عنهم) أى لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم أنك عالم بكنه ما فى بواطنهم فان من هتك ستر عدوه فربما يجرئه ذلك على أن لا يبالى باظهار العداوة فيزداد الشر واذا تركه على حاله بقى فى وجل فيقل الشر (وعظهم) أى ازجرهم عن النفاق والكيد والحسد والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم فى أنفسهم) أى خاليا بهم ليس معهم غيرهم لأن النصيحة على الملأ تقريع وفى السر محض المنفعة (قولا بليغا) أى مؤثرا وهو التخويف بعقاب الدنيا بأن يقول لهم ان ما فى قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وانما رفع الله السيف عنكم لأنكم أظهرتم الايمان فان واظبتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر لكل الناس بقاؤكم على الكفر وحينئذ يلزمكم السيف

(ألم تر الى الذين يزعمون) الآية وقع نزاع بين يهودى ومنافق فقال اليهودى بيننا أبو القاسم وقال المنافق لا بل نتحاكم الى كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية وهو قوله (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) ومعناه ذو الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به) أى أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) أى لا يرجعون عنه الى دين الله تعالى أبدا وهذا تعجيب للنبى صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله الى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله (واذا قيل لهم) أى للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله) أى فى القرآن من الحكم (والى الرسول) أى والى حكم الرسول (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) أى يعرضون عنك اعراضا الى غيرك عداوة للدين (فكيف) أى فكيف يصنعون ويحتالون (اذا أصابتهم مصيبة) أى مجازاة لهم على ما صنعوا وهو قوله (بما قدمت أيديهم) وتم الكلام ههنا ثم عطف على معنى ما سبق فقال (ثم جاءوك يحلفون بالله) أى تحاكموا الى الطاغوت وصدوا عنك ثم جاؤك يحلفون وذلك أن المنافقين أتوا نبى الله وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه فى المحاكمة الا توفيقا بين الخصوم أى جمعا وتأليفا واحسانا بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق وكل ذلك كذب منهم لأن الله تعالى قال (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من الشرك والنفاق (فأعرض عنهم) أى فاصفح عنهم (وعظهم) بلسانك (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) أى خوفهم بالله وازجرهم عما هم

(وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) أى وما أرسلنا من رسول الا ليؤمر الناس بطاعته بتوفيقنا واعانتنا فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله تعالى وهذه الآية دالة على أنه لارسول الا ومعه شريعة ليكون مطاعا فى تلك الشريعة ومتبوعا فيها ودالة على أن الأنبياء معصومون عن المعاصى والذنوب ودالة على أنه لا يوجد شئ من الخير والشر والكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بارادة الله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك (جاءوك) وبالغوا فى التضرع اليك لينصبوك شفيعا لهم (فاستغفروا الله) أى أظهروا الندم على مافعلوه وتابوا عنه (واستغفر لهم الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر الذنوب لهم عند توبتهم (لوجدوا الله توابا) أى يقبل توبتهم (رحيما) أى يرحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم والفائدة فى العدول فى قوله تعالى واستغفر لهم الرسول عن لفظ الخطاب الى لفظ الغايبة اجلال شأن رسول الله فان شأنه أن يستغفر لمن عظم ذنبه وانهم اذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله تعالى برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلا وربك) لا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم أو مفيدة لنفى أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك فوربك (لايؤمنون حتى يحكموك) أى حتى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أى فيما اختلف بينهم من الأمور فتقضى بينهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم) أى صدورهم (حرجا) أى ضيقا (مما قضيت ويسلموا تسليما) أى وينقادوا لك انقيادا تاما بظواهرهم قال عطاء ومجاهد والشعبى ان هذه الآية نازلة فى قصة اليهودى والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن المسيب قال نزلت فى الزبير ابن العوام وحاطب بن أبى بلتعة اختصما فى ماء فقضى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم) أى ولو أوجبنا عليهم قتل أنفسهم أو الخروج عن أوطانهم فى توبتهم كتوبة بنى اسرائيل مافعلوا أحد الأمرين بطيبة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لما فعله الا الأقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم بل اكتفينا منهم فى توبتهم بالتسليم لحكمك فليقبلوه بالاخلاص حتى ينالوا خير الدارين روى ان ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى ناظر يهوديا فقال اليهودى ان موسى أمرنا بقتل أنفسنا فقبلنا ذلك وان محمدا يأمركم بالقتال فتكرهونه فقال يا أنت لو أن محمدا أمرنى بقتل نفسى لفعلت ذلك وروى أن ابن مسعود وعمار بن ياسر قالا مثل ذلك فنزلت هذه الآية وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو أمرنا ربنا بقتل أنفسنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يأمرنا بذلك قال صلى الله عليه وسلم وأشار الى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لكان هذا فى أولئك القليل أخرجه ابن أبى حاتم (ولو أنهم) أى المنافقين (فعلوا ما يوعظون به) أى ما يكلفون به (لكان) أى فعلهم ذلك (خيرا لهم) أى لحصل لهم خير الدنيا والآخرة (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان وسميت أوامر الله مواعظ لاقترانها بالوعد والترغيب (واذا) لو فعلوا ما أمروا به (لآتيناهم من لدنا) أى لأعطيناهم من عندنا (أجرا عظيما) أى ثوابا وافرا فى الجنة وكيف لا يكون عظيما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أى طريقا من عرصة القيامة الى الجنة وحمل لفظ الصراط فى هذا الموضع على هذا المعنى أولى لأنه تعالى ذكره بعد ذكر الأجر والدين الحق مقدم على الأجر والطريق من عرصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق

الأجر

عليه بأبلغ الزجر كيلا يستمروا الكفر (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) أى فيما يأمر به ويحكم لا ليعصى ويطلب الحكم من غيره وقوله (باذن الله) أى لأن الله قد أذن فى ذلك وأمر بطاعته (ولو أنهم) أى المنافقين (اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الكفار (جاءوك فاستغفروا الله) أى فزعوا وتابوا الى الله (فلا) أى ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك (وربك لايؤمنون) حقيقة الايمان (حتى يحكموك فيما شجر) أى اختلف واختلط (بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا وشكا (مما قضيت) حكمت (ويسلموا) الأمر الى الله والى رسوله من غير معارضة بشئ (ولو أنا كتبنا عليهم) أى على هؤلاء المنافقين من اليهود (أن اقتلوا أنفسكم) كما كتبنا ذلك على بنى اسرائيل (أو اخرجوا من دياركم) كما كتبنا على المهاجرين (مافعلوه الا قليل منهم) أى للمشقة فيهم مع أنه كان ينبغى أن يفعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) أى ما يؤمرون به من أحكام القرآن (لكان خيرا لهم) أى فى معاشهم وفى ثوابهم (وأشد تثبيتا) منهم لأنفسهم فى الدين وتصديقا بأمر الله (واذا لآتيناهم من لدنا) أى بما لا يقدر عليه غيرنا (أجرا عظيما) يعنى الجنة (ولهديناهم) أى أرشدناهم (صراطا مستقيما) اى الى دين مستقيم وهو دين الحنيفية لادين اليهودية

الأجر (ومن يطع الله) بأن يعرف أنه اله و يقر بجلاله وعزته واستغنائه عمن سواه (والرسول) أى بأن ينقاد انقيادا تاما لجميع الأوامر والنواهي (فأولئك) أى المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم) أى فانهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة والتلاقي قدروا على الوصول اليهم بسهولة (من النبيين) محمد صلى الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أى السابقين الى تصديق الرسل فصاروا فى ذلك قدوة لسائر الناس وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (والشهداء) أى الذين يشهدون بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط وأما كون الانسان مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل فى الفساق ومن لامنزلة له عند الله والمؤمنون قد يقولون اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافر اياه لكانوا قد طلبوا من الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز أن يطلب من الله ماهو كفر (والصالحين) فى الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد فى الاعتقاد والمعصية فساد فى العمل وهم الصارفون أعمارهم فى طاعة الله وأموالهم فى مرضاته وكل من كان اعتقاده صوابا وعمله غير معصية فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وأن ماسواه هو الباطل وهذه الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف وقد يكون الصالح غير موصوف بكونه قائما بهذه الشهادة فثبت أن كل من كان شهيدا كان صالحا ولاعكس فالشهيد أشرف أنواع الصالح ثم الشهيد قد يكون صديقا وقد لا ومعنى الصديق هو الذى كان أسبق ايمانا من غيره وكان ايمانه قدوة لغيره فثبت أن كل من كان صديقا كان شهيدا ولاعكس فثبت أن أفضل الخلق الأنبياء و بعدهم الصديقون و بعدهم من ليس له درجة الامحض درجة الشهادة و بعدهم من ليس له الامحض درجة الصلاح (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسن أولئك المذكورين صاحبا فى الجنة وحسن لها حكم نعم والمخصوص بالمدح محذوف تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق الممدوحون (ذلك) أى مرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل من الله) وماسواه ليس بشيء (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه و بمقادير الفضل واستحقاق أهله روى جمع من المفسرين أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يارسول الله مابى وجع غير أنى اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لانى ان دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين وأنا فى درجات العبيد فلا أراك وان أنا لم أدخل الجنة فحينئذ لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقال الشعبى جاء رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ وهو يبكى فقال ما يبكيك يافلان فقال يارسول الله بالله الذى لااله الا هو لأنت أحب الى من نفسى وأهلى ومالى وولدى وانى لأذكرك وأنا فى أهلى فيأخذنى مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتى وأنك ترفع مع النبيين وانى ان أدخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبى ﷺ فنزلت هذه الآية (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) أى خذوا سلاحكم واحترزوا من العدو ولاتمكنوه من أنفسكم (فانفروا ثبات) أى انهضوا الى قتال عدوكم واخرجوا للحرب جماعات متفرقة سرية بعد سرية (أوانفروا جميعا) أى مجتمعين كوكبة واحدة (وان منكم لمن ليبطئن) أى وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يتثاقلن

(ومن يطع الله) الآية قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم مالنا منك الا الدنيا فاذا كانت الآخرة رفعت في الاعلى فحزن وحزنوا فنزلت ومن يطع الله فى الفرائض (والرسول) فى السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أى أنه يستمتع برؤيتهم وزيارتهم فلا يتوهمن أنه لايراهم (والصديقين) أى أفاضل أصحاب الأنبياء (والشهداء) أى القتلى فى سبيل الله (والصالحين) يعنى أهل الجنة من سائر المسلمين (وحسن أولئك) أى الأنبياء وهؤلاء (رفيقا) يعنى أصحابا ورفقاء أى ذلك الثواب وهو الكون مع النبيين قوله (ذلك الفضل من الله) أى تفضل به على من أطاعه (وكفى بالله عليما) أى بخلقه يعنى أنه عالم لايخفى عليه شيء فلا يضيع عنده عمل ثم حث عباده المؤمنين على الجهاد فقال (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) أى سلاحكم عند لقاء العدو (فانفروا) أى فانهضوا الى لقاء العدو (ثبات) أى جماعات متفرقين اذا لم يكن معكم الرسول (أو انفروا جميعا) اذا خرج الرسول الى الجهاد (وان منكم لمن ليبطئن) أى يتخلفن و يتثاقلن عن الجهاد وهم المنافقون وجعلهم من المؤمنين من حيث انهم أظهروا كلمة الاسلام فدخلوا تحت حكمهم فى الظاهر

(فان أصابتكم مصيبة)من العدو وجهد من العيش (قال قد أنعم الله على) بالقعود حيث لم أحضر فيصيبنى ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى فتح وغنيمة (ليقولن)هذا المنافق قول نادم حاسد (ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) لأسعد بمثل ما سعدوا به من الغنيمة وقوله (كأن لم يكن بينكم و بينه مودة)متصلة فى المعنى بقوله قال قد أنعم الله على اذلم أكن معهم شهيدا كأن لم يكن بينكم و بينه مودة أى كان لم يعاقبكم على الاسلام و يعاضدكم على قتال عدوكم ولم يكن بينكم و بينه مودة فى الظاهر ثم أمر المؤمنين بالقتال فقال (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) أى يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) يعنى بالجنة أى يختارون الجنة على البقاء فى الدنيا (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل)فيستشهد (أو يغلب) فيظفر فكلاهما سواء وهو معنى قوله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما)أى ثوابا لاصفة له ثم حض المؤمنين على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ ضعفة المؤمنين من أيدى المشركين فقال (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) وهم قوم بمكة استضعفوا فحبسوا وعذبوا (الذين يقولون ربنا أخرجنا) الى دار الهجرة(من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) أى جعلوا لله شركاء (واجعل لنا من لدنك وليا) أى ول علينا رجلا من المؤمنين يوالينا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى ينصرنا على عدوك فاستجاب الله دعاءهم وولى عليهم رسول الله ﷺ فى عتاب بن أسيد وأعانهم الله به فكانوا بها أعز من الظلمة قبل ذلك (الذين آمنوا يقاتلون

وليتخلفن عن القتال وهم ضعفة المؤمنين والمنافقون (فان أصابتكم) يامعشر المجاهدين (مصيبة) كقتل وهزيمة وجهد من العيش (قال) أى من يبطىء فرحا شديدا بتخلفه وحامدا لرأيه (قد أنعم الله على) بالقعود (اذلم أكن معهم شهيدا) أى حاضرا فى المعركة فيصيبنى ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل) كفتح وغنيمة (من الله ليقولن) أى من يبطىء ندامة على قعوده (كأن لم تكن بينكم و بينه مودة) وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التعجب كأنه تعالى يقول انظروا الى مايقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون و بين المنافق صلة فى الدين ومعرفة فى الصحبة ولا مخالطة أصلا (ياليتنى كنت) غازيا (معهم فأفوز فوزا عظيما) أى فأصيب غنائم كثيرة وآخذ حظا وافرا وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أى ليقولن مشبها بمن لامعرفة بينكم و بينه وقيل هى داخلة فى القول أى ليقولن المثبط للمثبطين من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم و بين محمد معرفة فى الصحبة حيث لم يستصحبكم فى الغزو حتى تفوزوا بما فاز محمد ياليتنى كنت معهم وغرض المثبط القاء العداوة بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليقاتل فى سبيل الله) أى لاعلاء دين الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المنافقون الذين تخلفوا عن أحد فأمروا أن يغيروا مابهم من النفاق و يخلصوا الايمان بالله ورسوله و يجاهدوا فى سبيل الله فلم تدخل الباء الا على المتروك لان المنافقين تاركون للآخرة آخذون للدنيا أى فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلابد من حذف تقديره آمنوا ثم قاتلوا أو المراد بالذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون بمعنى يبيعون أى فليقاتل فى طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أى يختارون الآخرة على الدنيا (ومن يقاتل فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (فيقتل) أى يمت شهيدا (أو يغلب) أى يظفر على العدو (فسوف نؤتيه) أى نعطيه فى كلا الوجهين (أجرا عظيما) وهو المنفعة الخالصة الدائمة المقرونة بالتعظيم واذا كان الأجر حاصلا على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (ومالكم لاتقاتلون) أى أى شىء لكم يامعشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أى لاعذر لكم فى ترك المقاتلة (فى سبيل الله) أى لأجل طاعة الله (والمستضعفين) أى ولأجل المستضعفين (من الرجال والنساء والولدان) أى الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء أى وهم قوم من المسلمين الذين بقوا بمكة وعجزوا عن الهجرة الى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون) فى مكة (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وهى مكة وكون أهلها موصوفين بالظلم لانهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين و يوصلون اليهم أنواع المكاره (واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى ول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا و يحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل يمنعنا من الظالمين فأجاب الله دعاءهم واستنقذهم من أيدى الكفار لان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أميرا لهم وكان الولى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانى عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين و ينصف الضعيف من القوى والذليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون

فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى عبدة الأصنام (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) يعنى خذلانه اياهم يوم قتلوا ببدر (ألم تر الى الذين



فى سبيل الله) أى لغرض نصرة دين الله واعلاء كلمته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فى سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى جند الشيطان ( ان كيد الشيطان ) أى ان صنع الشيطان فى فساد الحال على جهة الحيلة ( كان ضعيفا) لأن الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر أولياءه ولاشك أن نصرة الشيطان لأوليائه أضعف من نصرة الله لأوليائه ألاترى أن أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم فى غاية الفقر وأما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض أثرهم ولايبقى فى الدنيا رسمهم (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) نزلت هذه الآية فى جماعة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهرى وسعد بن أبى وقاص الزهرى وقدامة بن مظعون الجمحى ومقداد بن الأسود الكندى وطلحة بن عبيدالله التيمى كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة يلقون من المشركين أذى شديدا فيشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقولون ائذن لنا فى قتالهم و يقول لهم رسول الله كفوا أيديكم عن القتال والضرب فانى لم أومر بقتالهم واشتغلوا باقامة دينكم من الصلوات الخمس وزكاة أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمروا بقتالهم فى وقعة بدر كرهه بعضهم لاشكا فى الدين بل نفورا عن الاخطار بالأرواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى (فلما كتب) أى فرض (عليهم القتال) أى الجهاد فى سبيل الله (اذا فريق منهم ) كطلحة بن عبيد الله التيمى (يخشون الناس) أى أهل مكة (كخشية الله) أى كخوفهم من الله (أو أشد خشية) أى بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من الجبن لا للاعتقاد ثم تابوا وأهل الايمان يتفاضلون فيه (وقالوا) خوفا من الموت لا لكراهتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على جواب لما وهو اذا فانها فجائية مكانية (ربنا لم كتبت علينا القتال) فى هذا الوقت (لولا أخرتنا الى أجل قريب) أى هلا عافيتنا من بلاء القتال الى موتنا بآجالنا وهذا القول استزادة فى مدة الكف و يجوز أن يكون هذا مما نطقت به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا (قل) جوابا لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال عليهم من غير توبيخ لأنه لا للاعتراض لحكمه تعالى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى (متاع الدنيا) أى منفعة الدنيا (قليل) لأنه سريع التقضى ووشيك الانصرام وان أخرتم الى ذلك الأجل (والآخرة) أى ثواب الآخرة لاسيما المنوط بالقتال (خير لمن اتقى) الكفر والفواحش لأن نعم الآخرة كثيرة ومؤبدة وصافية عن كدورات القلوب و يقينية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوكة عاقبتها فى اليوم الثانى ومشوبة بالمكاره (ولاتظلمون فتيلا) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالغيبة والباقون بالخطاب أى لاتنقصون من أجور أعمالكم قدر خيط فى شق النواة أوالمعنى لاينقصون من ثواب حسناتهم أدنى شئ (أينما تكونوا) فى الحضر أوالسفر فى البر أوالبحر (يدرككم الموت) الذى تكرهون القتال لأجله زعما منكم أنه من محاله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) أى حصون مرتفعة قوية بالجص (وان تصبهم) أى اليهود والمنافقين (حسنة) أى خصب ورخص السعر وتتابع الامطار (يقولوا هذه من عندالله) قال المفسرون كانت المدينة مملوأة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود والمنافقين على

قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن قتال المشركين وأدوا مافرض الله عليكم من الصلاة والزكاة نزلت فى قوم من المؤمنين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بمكة فى قتال المشركين فلم يأذن لهم (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس) أى عذاب الناس بالقتل (كخشية الله) كما يخشى عذاب الله (أوأشد) أى أكثر (خشية) وهذه الخشية انما كانت لهم من حيث طبع البشرية لاعلى كراهة أمر الله بالقتال (وقالوا) جزعا من الموت وحرصا على الحياة (ربنا لم كتبت) أى لم فرضت (علينا القتال لولا) أى هلا (أخرتنا الى أجل قريب) وهو الموت أى هلا تركتنا بحالنا حتى نموت بآجالنا وعافيتنا من القتل (قل) لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) أى أجل الدنيا قريب وهو الموت وعيشها قليل (والآخرة) والجنة (خير لمن اتقى) ولم يشرك به شيئا (ولا تظلمون فتيلا) أى ولا ينقصون من ثواب أعمالهم مثل فتيل النواة ثم أعلمهم أن آجالهم لاتخطئهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون فقال (أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم فى بروج) أى حصون وقصور (مشيدة) أى مطولة مرفوعة ( وان تصبهم ) يعنى المنافقين واليهود (حسنة) أى خصب ورخص سعر (يقولوا هذه من عندالله

دعائه اياهم الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الامساك كما جرت عادته تعالى في جميع الأمم فعندهذا
قالوا مارأينا أعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا ومزارعنا وغلت أسعارنا منذ قدم (وان تصبهم
سيئة) أي جدوبة وشدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من عندك) أي هذه من شؤم محمد وأصحابه أي
وان تصبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية أضافوها اليك كما حكى الله عن قوم موسى بقوله
تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح بقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك
(قل) لهم ردا لزعمهم الباطل وارشادا لهم الى الحق (كل من عند الله) أي كل واحدة من النعمة
والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه
كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة
(فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أي وحيث كان الأمر كذلك فأي شيء حصل لهؤلاء
المنافقين واليهود حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثا من الاحاديث أصلا فقالوا ما قالوه اذلو فهموا
شيئا من ذلك لفهموا أن الكل من عند الله تعالى فالنعمة منه تعالى بطريق التفضل والبلية منه تعالى
بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدلا منه تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله) أي ما أصابك أيها
الانسان من نعمة من النعم فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك
(وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي أي شيء أصابك من بلية من البلايا فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وعن عائشة رضي الله عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر (وأرسلناك للناس رسولا) أي ليس لك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شهيدا) على جدك وعدم تقصيرك في أداء
الرسالة وتبليغ الوحي فأما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله (من يطع الرسول فقد أطاع الله)
وهذه الآية تدل على أنه لاطاعة الا لله البتة لأن طاعة الرسول لاتكون الاطاعة لله وقال الشافعي
رضي الله عنه وهذه الآية تدل على أن كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة
والصوم والحج وسائر الأبواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن فحينئذ لاسبيل لنا
الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان الرسول واذا كان الأمر كذلك لزم القول بأن طاعة الرسول عين
طاعة الله قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد
أطاع الله فقال المنافقون لقد قارب هذا الرجل الشرك وهو ينهى أن نعبد غير الله ويريد أن نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله هذه الآية (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) وجواب
الشرط محذوف والمذكور تعليل له أي ومن أعرض بقلبه عن حكمك يا محمد فأعرض عنه أو المعنى
ومن أعرض عن طاعة الله بظاهرهم فلا ينبغي أن تغتم بسبب ذلك الاعراض وأن تحزن فما أرسلناك
لتحفظ الناس عن المعاصي أو المعنى فما أرسلناك لتشتغل بزجرهم عن ذلك التولي ثم نسخ هذا بآية
الجهاد فالله تعالى ذكر هذا الكلام تسلية له صلى الله عليه وسلم عن الحزن فانه صلى الله عليه وسلم
كان يشتد حزنه بسبب كفرهم واعراضهم (ويقولون طاعة) أي يقول المنافقون عبد الله
ابن أبي وأصحابه اذا أمرتهم بشيء شأننا طاعة أومنا طاعة أو أمرك يا محمد طاعة مر بما شئت نفعله
(فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي تفكر
ليلا فريق من المنافقين وهم رؤساؤهم غير الذي تأمر وتكلموا فيما بينهم بعصيانك وتوافقوا عليه

وان تصبهم سيئة) أي جدب وغلاء (يقولوا) هذا من شؤم محمد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
وكفرت اليهود أمسك الله عنهم ما كان قد بسط عليهم فقالوا مارأينا أعظم شؤما من هذا نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم علينا فقال الله تعالى (قل كل) أي الخصب والجدب (من عند الله) أي من قبل الله (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أي لا يفهمون القرآن (ما أصابك) ياابن آدم (من حسنة) أي من فتح وغنيمة وخصب (فمن الله) أي فمن تفضل الله عز وجل (وما أصابك من سيئة) أي من جدب وهزيمة وأمر تكرهه (فمن نفسك) أي فبذنبك ياابن آدم (وأرسلناك) يا محمد (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على رسالتك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) يعني أن طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة لله (ومن تولى) أي أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا لهم من المعاصي حتى لاتقع أي فليس عليك بأس لتوليه لانك لم ترسل حفيظا عليهم من المعاصي (ويقولون) يعني المنافقين (طاعة) أي طاعة لأمرك (فاذا برزوا) أي خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) أي قدروا وأضمر (غير الذي تقول) لك من الطاعة أي أضمروا خلاف ما أظهروا وقدروا ليلا خلاف ما أعطوك نهارا (والله

(والله يكتب مايبيتون) أي يحفظ عليهم ليجازوا به (فأعرض عنهم) أي فاصفح عنهم وذلك أنه نهى عن قتل المنافقين في ابتداء الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقوله (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتأملون و يتفكرون فيه يعني المنافقين (ولوكان) القرآن (من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا



كثيرا) أي بالتناقض والكذب والباطل وتفاوت الألفاظ (واذا جاءهم أمر من الأمن) الآية نزلت في أصحاب الأراجيف وهم قوم من المنافقين كانوا يرجفون بسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم و يخبرون بما وقع بها قبل أن يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فيضعفون قلوب المؤمنين و يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بسبقهم اياه بالأخبار وقوله أمر من الامن أي حديث فيه أمن (أو الخوف) يعني الهزيمة (أذاعوا به) أي أفشوه (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم) أي ولوسكتوا عنه حتى يكون الرسول هو الذي يفشيه وأولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم و يقال أمراء السرايا (لعلمه الذين يستنبطونه) أي يبتغونه و يطلبون علم ذلك (منهم) أي من الرسول وأولي الأمر (ولولا فضل الله عليكم) يعني الاسلام (ورحمته) القرآن (لاتبعتم الشيطان الاقليلا) أي ممن عصمه الله كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب نحو زيد بن عمرو و ورقة بن نوفل وطلاب الدين وهذا تذكير للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلموا من النفاق وما ذم به المنافقون (فقاتل في سبيل الله لاتكلف الانفسك) أي الافعل نفسك على معنى أنه لاضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف من يتخلف عن الجهاد (وحرض المؤمنين) أي حضهم على القتال

(والله يكتب مايبيتون) أي ينزل اليك مايتدبرونه ليلا في جملة مايوحى اليك فيطلعك على أسرارهم أو يثبت ذلك في صحائف أعمالهم ليجازوا به (فأعرض عنهم) أي لاتهتك سترهم ولاتفضحهم الى أن يستقيم أمر الاسلام (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك شرهم و ينتقم منهم (وكفى بالله وكيلا) أي مفوضا اليه لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) اي أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة مافيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولوكان) أي القرآن (من عند غيرالله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أي القرآن (اختلافا كثيرا) بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع اذ لاعلم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلة لغيره تعالى وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) أي واذا جاء المنافقين خبر بأمر من الأمور سواء كان من باب الأمن أو من باب الخوف أفشوه وكان ذلك سبب الضرر لأن هذه الارجافات لاتنفك عن الكذب الكثير ولأن العداوة الشديدة صارت قائمة بين المسلمين والكفار وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي ولو ردوا الخبر الذي تحدثوا به الى الرسول والى ذوي العقل والرأي من المؤمنين وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبأن لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهرونه لعلم ذلك الخبر من يستخرجونه من جهة هؤلاء أي ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف الى الرسول والى أولي الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلمه هؤلاء المنافقون المذيعون من جانب الرسول ومن جانب أولي الأمر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن (لاتبعتم الشيطان) وكفرتم بالله (الاقليلا) منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم انزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة و ورقة بن نوفل و زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله قيل وهذا متصل بقوله تعالى ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله وقيل هذا معطوف على قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان (لاتكلف الانفسك) أي الافعل نفسك فلا يضرك مخالفتهم فتقدم أنت الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك واعلم أن الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب على الظن أنه يفيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر (وحرض المؤمنين) أي على الخروج معك بذلا للنصيحة فانهم آثمون بالتخلف لأن القتال كان مفروضا عليهم اذ ذاك فان فرضه في السنة الثانية وهذه القضية في الرابعة كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أباسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكره بعضهم فنزلت

هـذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى أن يمنع صولة كفار مكة وعسى وعد من الله تعالى واجب الانجاز (والله أشد بأسا) أى قوة من قريش (وأشد تنكيلا) أى تعذيبا (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار والغرض من هذه الآية بيان أنه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرا عظيما ولو لم يقبلوا أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليه من عصيانهم شئ من الوزر وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد فى ترغيبهم فى الطاعة ولم يرغبهم فى المعصية البتة فحقا يرجع اليه من طاعتهم أجر ولا يرجع اليه من معصيتهم وزر (وكان الله على كل شئ مقيتا) أى قادرا على ايصال الجزاء الى الشافع مثل ما يوصله الى المشفوع فيه وحافظا للاشياء شاهدا عليها فهو عالم بأن الشافع يشفع فى حق أو فى باطل فيجازى كلا بما علم منه (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم فردوا على المسلم ردا أحسن من ابتدائه أو أجيبوا التحية بمثلها ومنتهى الأمر فى السلام أن يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بدليل أن هذا القدر هو الوارد فى التشهد فالأحسن هو أن المسلم اذا قال السلام عليك زيد فى جوابه الرحمة وان ذكر السلام والرحمة فى الابتداء زيد فى جوابه البركة وان ذكر الثلاثة فى الابتداء أعيدت فى الجواب ورد الجواب واجب على الفور وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والأولى للكل أن يذكروا الجواب اظهارا للاكرام ومبالغة فيه وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام واذا استقبلك واحد فقل سلام عليكم واقصد الرجل والملكين فانك اذا سلمت عليهما ردا السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأ اليهودى بالسلام واذا بدأك فقل وعليك وعن أبى حنيفة أنه قال لا يبدأ اليهود بالسلام فى كتاب ولا فى غيره وعن أبى يوسف قال لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من تبع الهدى ورخص بعض العلماء فى ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغى أن يقال وعليك ثم ههنا تفريع وهو أنا اذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز أن يقال للكافر وعليكم السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشعبى أنه قال لنصرانى وعليكم السلام ورحمة الله فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا والمقصود من هذه الآية الوعيد فان الواحد من جنس الكفار قد يسلم على الرجل المسلم ثم ان ذلك المسلم يتفحص عن حاله بل ربما قتله طمعا منه فى سلبه فالله تعالى زجر عن ذلك فاياكم أن تتعرضوا له بالقتل (ان الله كان على كل شئ حسيبا) أى محاسبا على كل أعمالكم وكافيا فى ايصال جزاء أعمالكم اليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة الاعتناء بحفظ الدماء. (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم فاقبلوا اسلامه وأكرموه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذى لا اله الا هو وانما ينكشف بواطن الخلق للخلق فى يوم القيامة (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أى والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة (لا ريب فيه) أى فى يوم القيامة (ومن أصدق من الله حديثا) وهذا استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان أنه يجب كونه تعالى صادقا وأن الكذب والخلف فى قوله تعالى محال

(عسى الله) واجب من الله (أن يكف) يصرف ويمنع (بأس الذين كفروا) شدتهم وشوكتهم (والله أشد بأسا) أى عذابا (وأشد تنكيلا) أى عقوبة (من يشفع شفاعة حسنة) وهى كل شفاعة تجوز فى الدين (يكن له نصيب منها) أى كان له فيها أجر (ومن يشفع شفاعة سيئة) يعنى ما لا يجوز فى الدين أن يشفع فيه (يكن له كفل منها) أى نصيب من الوزر والاثم (وكان الله على كل شئ مقيتا) أى مقتدرا (واذا حييتم بتحية) يعنى اذا سلم عليكم بسلام (فحيوا بأحسن منها) أى أجيبوا بزيادة على التحية اذا كان المسلم من أهل الاسلام (أو ردوها) اذا كان من أهل الكتاب (ان الله كان على كل شئ حسيبا) أى مجازيا (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) فى القبور (الى يوم القيامة لا ريب فيه) أى لا شك فيه (ومن أصدق من الله حديثا) أى قولا وخبرا يريد أنه لا خلف لوعده

(فمالكم فى المنافقين فئتين) نزلت فى قوم قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأقاموا ماشاء الله ثم قالوا انا اجتوينا المدينة فأذن لهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المؤمنون فيهم فقال بعضهم انهم كفار مرتدون وقال آخرون انهم مسلمون حتى يعلم أنهم بدلوا فبين الله كفرهم فى



هذه الآية والمعنى مالكم مختلفين فى هؤلاء المنافقين على فرقتين (والله أركسهم) اى ردهم الى حكم الكفار من الذل والصغار والسبى والقتل (بما كسبوا) أى بما أظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق (أتريدون) أيها المؤمنون (أن تهدوا) أى ترشدوا (من أضل الله) أى من لم يرشده الله أتقولون هؤلاء مهتدون والله أضلهم (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أى دينا وطريقا الى الحجة (ودوا) يعنى هؤلاء (لو تكفرون كما كفروا فتكونون) أنتم وهم (سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) أى لا توالوهم ولا تباطنوهم (حتى يهاجروا فى سبيل الله) أى يرجعوا الى رسول الله (فان تولوا) عن الهجرة وأقاموا على ماهم عليه (فخذوهم) بالأسر (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى لا تتولوهم ولا تستنصروا بهم على عدوكم وقوله (الا الذين يصلون) اى قاتلوهم حيث وجدتموهم الا الذين يصلون و يلتحقون (الى قوم بينكم و بينهم ميثاق) فيدخلون فيهم بالحلف والجوار (أو جاؤكم حصرت صدورهم) يعنى أو يصلون بقوم جاؤكم وقد ضاقت صدورهم بقتالكم وهم بنو مدلج كانوا صلحا للنبى ﷺ وهذا بيان أن من انضم الى قوم ذوى عهد مع رسول الله ﷺ فله مثل حكمهم فى حقن الدم والمال ثم نسخ هذا كله بآية السيف ثم ذكر الله منته بكف بأس المعاهدين فقال

(فما لكم فى المنافقين فئتين) أى مالكم يامعشر المؤمنين صرتم فى أمر المنافقين فرقتين وهو استفهام على سبيل الانكار أى لم تختلفون فى كفرهم مع أن دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جلية فليس لكم أن تختلفوا فى كفرهم بل يجب أن تقطعوا به نزلت هذه الآية فى عشرة نفر قدموا على النبى ﷺ مسلمين فأقاموا بالمدينة ماشاء الله ثم قالوا يارسول الله نريد أن نخرج الى الصحراء فائذن لنا فيه فأذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم هم مسلمون وليس لنا ان ننسبهم الى الكفر الى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم فى هذه الآية (والله أركسهم) أى ردهم الى أحكام الكفار من الذل والسبى والقتل (بما كسبوا) من اظهار الكفر بعد ما كانوا على النفاق وذلك أن المنافق مادام يكون متمسكا فى الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل الى قتله فاذا أظهر الكفر فحينئذ يجرى الله تعالى عليه أحكام الكفار (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) عن الايمان (ومن يضلل الله) عن دينه (فلن تجد له سبيلا) الى ادخاله فى الايمان (ودوا لو تكفرون كما كفروا) أى تمنوا كفركم بمحمد والقرآن كفرا مثل كفرهم (فتكونون) أنتم وهم (سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) أى اذا كان حالهم ودادة كفركم فلا توالوهم حتى ينتقلوا من أعمال الكفار الى أعمال المسلمين لأجل أمر الله تعالى. اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال من دار الكفر الى دار الايمان وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار الى أعمال المسلمين قال ﷺ المهاجر من هجر مانهى الله عنه وقال المحققون الهجرة فى سبيل الله عبارة عن ترك منهيات الله وفعل مأموراته وذلك يشمل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وانما قيد الله تعالى الهجرة بكونها فى سبيل الله لاخراج الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن شعار الكفر الى شعار الاسلام لغرض من أغراض الدنيا فانما المعتبر وقوع تلك الهجرة لأجل أمر الله تعالى (فان تولوا) أى أعرضوا عن الايمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجا عن المدينة (فخذوهم) أى فأسروهم اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أى فى الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم) فى هذه الحالة (وليا) يتولى شيئا من مهماتكم (ولا نصيرا) ينصركم على أعدائكم (الا الذين يصلون) أى ينتهون (الى قوم بينكم و بينهم ميثاق) أى الا من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى حق هلال بن عويمر الأسلمى وسراقة بن مالك المدلجى و بنى خزيمة بن عامر بن عبد مناف وفى هذه الآية بشارة عظيمة لأهل الايمان لأنه تعالى لما رفع السيف عمن التجأ الى من التجأ الى المسلمين فبأن يرفع العذاب فى الآخرة عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الا الذين (جاؤكم حصرت) أى ضاقت (صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلوكم) لأنكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن

(يقاتلوا قومهم) لأنهم أقاربهم فهم لاعليكم ولالكم أى لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من المأمور فريقين أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (ولوشاء الله لسلطهم عليكم) بيسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها والمعنى أن ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو بقذف الله الرعب فى قلوبهم ولوقوى قلوبهم على قتال المسلمين لتسلطوا عليهم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المعاهدين (فلقاتلوكم) وهذا فى الحقيقة جواب لو وماقبله توطئة له وأعيدت اللام توكيدا (فان اعتزلوكم) أى تركوكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد للصلح والأمان (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى طريقا بالأسر أو بالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أى قوما من المنافقين غير من سبق وهم قوم من أسد وغطفان كانوا مقيمين حول المدينة فاذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا وقالوا لأصحاب رسول الله ﷺ انا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء كما قال تعالى (يريدون أن يأمنوكم) أى يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام عندكم (ويأمنوا قومهم) أى من بأسهم باظهار الكفر اذا رجعوا اليهم (كلما ردوا الى الفتنة) أى كلما دعوا الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) أى قلبوا فى الفتنة أقبح قلب وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير أى كلما دعاهم قومهم الى الكفر وقتال المسلمين رجعوا اليه وهذا استعارة لشدة أصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لأن من وقع فى شىء منكوسا يتعذر خروجه منه (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أى فان لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم أى وأسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم أى وجدتموهم فى الحل والحرم (وأولئكم) أى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى جعلنا لكم على جواز قتل هؤلاء حجة واضحة وهى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بأهل الاسلام أو جعلنا لكم عليهم تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الاخطأ) أى ليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما اذا رأى عليه شعار الكفار أو وجده فى عسكرهم فظنه مشركا فههنا يجوز قتله ولاشك أن هذا خطأ فانه ظن أنه كافر مع أنه غير كافر روى أن عياش بن أبى ربيعة أسلم فى مكة وهاجر الى المدينة قبل هجرة النبى ﷺ اليها وتحصن فى أطم من آطامها خوفا من قومه فأقسمت أمه لاتأكل ولاتشرب ولا تجلس تحت سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن زيد بن أبى أنيسة فأتياه فقال أبو جهل أليس ان محمدا يأمرك ببر الأم فانصرف وأحسن الى أمك وأنت على دينك فرجع الى مكة فلما دنوا من مكة قيدا يديه ورجليه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فلما دخل على أمه حلفت لايزول عنه القيد حتى يرجع الى دينه الأول فتركوه موثوقا مطروحا فى الشمس ماشاء الله ففعل بلسانه فأتاه الحرث ابن زيد فقال ياعياش ان كان دينك الأول هدى فقد تركته وان كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش من مقالته وقال والله لاألقاك خاليا أبدا الاقتلتك ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث بعد ذلك وهاجر الى رسول الله ﷺ فلقيه عياش فى ظهر قباء خاليا ولم يشعر باسلامه فقتله فلما أخبره الناس بأنه كان مسلما ندم على فعله وأتى رسول الله ﷺ وقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت هذه الآية (ومن قتل مؤمنا خطأ) بأن يقصد رمى المشرك فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما

(ولوشاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يعنى أن ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولوقوى الله قلوبهم على قتالكم لقاتلوكم (فان اعتزلوكم) أى فى الحرب (وألقوا اليكم السلم) اى الصلح (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فى قتالهم وسفك دمائهم ثم أمره بقتال من لم يكن على سبيل هؤلاء فقال (ستجدون آخرين) الآية هؤلاء قوم كانوا يظهرون الموافقة لقومهم من الكفار ويظهرون الاسلام للنبى ﷺ والمؤمنين يريدون بذلك الامن فى الفريقين فأطلع الله نبيه على نفاقهم وهو قوله (يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) وقوله (كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها) أى كلما دعوا الى الشرك رجعوا فيه وقوله (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى حجة بينة فى قتالهم لأنهم غدرة لايفون لكم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) البتة الا أنه قد يخطىء المؤمن بالقتل (ومن قتل مؤمنا خطأ) مثل أن يقصد بالرمى غيره فأصابه

أو يضرب المسلم بضربة لاتقتل غالبا فيموت منها فالأول خطأ فى الفعل والثانى خطأ فى القصد والثالث خطأ فى القتل وان كان عمدا فى الضرب ولذلك سمى شبه العمد (فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) أى فعليه اعتاق نسمة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مؤداة الى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر المواريث (الاأن يصدقوا) أى الاأن يعفو أهل المقتول عن الدية ويتركوها وسمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وفى الحديث كل معروف صدقة (فان كان) أى المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) أى من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يعلم القاتل بكونه مؤمنا (فتحرير رقبة مؤمنة) أى فالواجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ هو تحرير الرقبة وأما الدية فلاتجب اذلاوراثة بين المقتول وبين أهله لانهم محاربون كالحرث بن زيد فانه من قوم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فانها حق الله تعالى ليقوم المعتوق به مقام المقتول فى المواظبة على العبادات (وان كان) أى المقتول خطأ (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد مؤقت أومؤبد (فدية) أى فعلى قاتله دية (مسلمة الى أهله) أى المقتول وهى ثلث دية المؤمن ان كان نصرانيا أويهوديا تحل مناكحته وثلثا عشرها ان كان مجوسيا أوكتابيا لاتحل مناكحته (وتحرير رقبة مؤمنة) على القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أى فمن كان فقيرا فعليه ذلك الصيام بدلا عن الرقبة وقال مسروق بدلا عن مجموع الكفارة والدية والتتابع واجب حتى لوأفطر يوما وجب الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أونفاس (توبة من الله) أى شرع ذلك تجاوزا من الله على تقصيره فى ترك الاحتياط لانه لو بالغ فى الاحتياط لم يصدر عنه ذلك الفعل (وكان الله عليما) بأن القاتل لم يتعمد (حكيما) فى أنه تعالى مايؤاخذه بذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) روى أن مقيس بن ضبابة الكنانى كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار فأتى رسول الله ﷺ وذكر له القصة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه زبير ابن عياض الفهرى وكان من أصحاب بدر الى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وبأداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة فأتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق تغفل مقيس الكنانى رسول سيدنا محمد ﷺ الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزلت هذه الآية وهو الذى استثناه رسول الله ﷺ يوم الفتح ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة (خالدا فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدا فيها (وغضب الله عليه) أى انتقم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستئناف حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (ولعنه) أى أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ماذكر (وأعدله) فى جهنم (عذابا عظيما) لايقدر قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمنا رسول سيدنا رسول الله متعمدا بقتله أى بأن يقصد قتله بالسبب الذى يعلم افضاءه الى الموت سواء كان ذلك جارحا أولم يكن فجزاؤه جهنم بقتله عامدا عالما بكونه مؤمنا خالدا فيها بشركه وارتداده وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذابا عظيما أى شديدا بجراءته على الله (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) أى سافرتم فى الغزو (فتبينوا) أى تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر قرأ حمزة والكسائى هنا فى الموضعين وفى الحجرات فتثبتوا أى اطلبوا التثبت والمراد فى الآية فتأنوا واتركوا العجلة واحتاطوا (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام) أى لاتقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام أولمن ألقى اليكم الانقياد بقول لااله الاالله محمد رسول الله

(فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) يعنى جميع ورثته (الاأن يصدقوا) أى يعفوا ويتركوا الدية (فان كان) المقتول (من قوم) حرب لكم وكان مؤمنا (فتحرير رقبة مؤمنة) كفارة للقتل ولادية لان عصبته وأهله كفار ولا يرثون ديته (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) كأهل الذمة فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين متتابعين توبة من الله) أى ليقبل الله توبة القاتل حيث لم يبحث عن المقتول وحاله وحيث لم يجتهد حتى لايخطئ (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية غلظ الله تعالى وعيد قاتل المؤمن عمدا للمبالغة فى الردع والزجر (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم) أى سرتم (فى سبيل الله فتبينوا) أى تثبتوا وتأنوا نزلت فى رجل كان قد انحاز بغنم له الى جبل فلقى سرية من المسلمين عليهم أسامة بن زيد فأتاهم وقال السلام عليكم لااله الا الله محمد رسول الله وكان قد أسلم فقتله أسامة ابن زيد واستاقوا غنمه فنزلت الآية نهيا عن سفك دم من كان على هذه الحالة وذلك أن أسامة قال انما قالها متعوذا فقال الله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) أى حياكم بهذه التحية

(لست مؤمنا) فتقتلونه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أى حال كونكم طالبين لماله الذى هو سريع
النفاد (فعند الله مغانم كثيرة) أى ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل) أى مثل ذلك الذى ألقى
اليكم السلام كنتم أنتم أيضا فى أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام
ونحوها (فمن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص
عن سرائركم (فتبينوا) أى اذا كان الأمر كذلك أى فقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم
فى أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطىء الظاهر والباطن (ان الله كان
بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والخفية (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر
فلا تتهاونوا فى القتل واحتاطوا فيه نزلت هذه الآية فى شأن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك
وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه مع
أميرهم غالب بن فضالة فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من
الجبل فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد
واستاق غنمه فاخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال أسامة
انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على أسامة فقال
يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف وقد تلا لا اله الا الله قال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها
حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى ثلاث مرات وقال أعتق رقبة (لا يستوى
القاعدون) الذين أذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولى
الضرر) من مرض أو عاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفى معناه العجز عن الأهبة قرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائى والباقون بالنصب
على الحال من القاعدون والأعمش بالجر على الصفة للمؤمنين (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم) قال ابن عباس أى لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها (فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) أولى الضرر (درجة) أى فضيلة فى الآخرة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه
وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) من
المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) أى الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) فى سبيل الله (على
القاعدين) الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما درجات منه) أى من الله تعالى (ومغفرة)
للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج الى الجهاد (رحيما) لمن مات على التوبة
وقيل هذا التفضيل بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر فقط وذلك اما التنزيل الاختلاف بين
التفضيلين منزلة الاختلاف الذاتى كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها
ولا يبلغ كنهها واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين على أن المراد بالتفضيل الاول ما أعطاهم الله تعالى
عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى ما أنعم
به فى الآخرة من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات
لا تحصى أما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى
ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين
فى تفسير ذلك أن من صار هرما كتب الله له أجر ما كان يعمله قبل هرمه غير منقوص من ذلك شيئا

(لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) أى متاعها من الغنائم (فعند الله مغانم كثيرة) يعنى ثوابا كثيرا
لمن ترك قتل من ألقى
اليكم السلام (كذلك
كنتم من قبل) كفارا
ضلالا كما كان هذا المقتول
قبل اسلامه (فمن الله
عليكم) أى بالاسلام كما من
على المقتول يعنى أن كل
من أسلم ممن كان كافرا
فبمنزلة هذا الذى تعوذ
بالاسلام قبل منه ظاهر
الاسلام ثم أعاد الأمر
بالتبين فقال (فتبينوا ان
الله كان بما تعملون خبيرا)
يعنى علم أنكم قتلتموه على
ماله ثم حمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ديته الى أهله
ورد عليهم غنمه واستغفر
لاسامة وأمره بعتق رقبة
(لا يستوى القاعدون من
المؤمنين غير أولى الضرر)
يعنى الاصحاء الذين لا علة
بهم تضرهم وتقطعهم عن
الجهاد لا يستوى هؤلاء
(والمجاهدون فى سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم فضل الله
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة)
أى من أهل العذر لان
المجاهدين باشروا الطاعة
والقاعدين من أهل العذر
وان كانوا فى النية والهمة
على قصد الجهاد فمباشرة
الطاعة فوق قصدها بالنية
(وكلا) من المجاهدين
والقاعدين والمعذورين (وعد الله الحسنى) أى الجنة (وفضل الله المجاهدين على
القاعدين) من غير عذر (أجرا عظيما درجات منه) أى منازل بعضها فوق بعض من منازل الكرامة

وأما

وأما العقل فالمقصود من جميع الطاعات استنارة القلب بنور معرفة الله تعالى فان حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء فى الثواب وان كان القاعد أكثر حظا من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم والمراد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع التكرار هو من كان مجاهدا فى كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحاصل هذا الجهاد صرف القلب من الالتفات الى غير الله الى الاستغراق فى طاعة الله ولما كان هذا المقام أعلى جعل فضيلته درجات (ان الذين توفاهم الملائكة) أى ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأمور الدين فان هذه الآية نزلت فى ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فقتلوا يوم بدر مع الكفار منهم على بن أمية بن خلف والحرث بن زمعة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبو العاص بن منبه بن الحجاج وأبو قيس بن الفاكه (قالوا) أى الملائكة لهم حين القبض (فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم من أمر دينكم أى أكنتم فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أم كنتم مشركين أو فيم كنتم فى حرب محمد أو فى حرب أعدائه (قالوا) معتذرين اعتذارا غير صحيح (كنا مستضعفين فى الأرض) أى كنا مقهورين فى أرض مكة فى أيدى الكفار (قالوا) أى الملائكة لهم توبيخا مع ضرب وجوههم وأدبارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أى انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم فبقيتم بين الكفار وقال ابن عباس أى ألم تكن المدينة آمنة فتهاجروا اليها (فأولئك مأواهم) فى الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم فى الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبر ان وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة أو هو الخبر والعائد منه محذوف أى قالوا لهم (وساءت مصيرا) أى بئس مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أى الصبيان أو المماليك (لا يستطيعون حيلة) أى لا يقدرون على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم من تلك المهاجرة (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يدلهم على الطريق كعياش بن أبى ربيعة وسلمة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه اسمها لبابة كما قال كنت أنا وأمى ممن عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وذكر العفو بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع لأن الانسان لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عنها مع أنه لا يكون كذلك فى الحقيقة فكانت الحاجة الى العفو شديدة فى هذا المقام (وكان الله عفوا) لما كان منهم (غفورا) لمن تاب منهم (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة) فى المعيشة أى ومن يهاجر فى طاعة الله الى بلد آخر يجد فى أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سببا لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه فى بلدته الأصلية وذلك لأن من ذهب الى بلدة أجنبية فاذا استقام أمره فى تلك البلدة ووصل ذلك الخبر الى أهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه ورغمت أنوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله) أى الى موضع أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل أن يصل الى المقصد وان كان خارج بابه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عند الله بايجابه على نفسه

---

ان الذين توفاهم الملائكة) أى قبضت أرواحهم نزلت فى قوم كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا حتى خرج المشركون الى بدر فخرجوا معهم فقتلوا يوم بدر فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقوله (ظالمى أنفسهم) أى بالمقام فى دار الشرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين (قالوا فيم كنتم) أى قالت الملائكة لهؤلاء سؤال توبيخ وتقريع أكنتم فى المشركين أم فى المسلمين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك فى دارهم (قالوا كنا مستضعفين فى الأرض) أى فى مكة فحاجتهم الملائكة بالهجرة الى غير دارهم و (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل النار ثم استثنى من صدق فى أنهم مستضعفون فقال (الا المستضعفين) أى الذين يوجدون ضعفاء (لا يستطيعون حيلة) أى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة للخروج (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريقا الى المدينة (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما) أى مهاجرا أو متحولا (كثيرا وسعة) فى الرزق (ومن يخرج من بيته) الآية نزلت فى جندب بن ضمرة الليثى وكان شيخا كبيرا خرج متوجها الى المدينة فمات فى الطريق فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفى فى المدينة لكان أتم أجرا فأنزل الله فيه هذه الآية وأخبر أن من قصد طاعة ثم عجز بالعذر عن اتمامها كتب الله له

بحكم الوعد والتفضل والكرم لا بحكم الاستحقاق الذى لو لم يفعل لخرج عن الالهية (وكان الله غفورا) لما كان منه من القعود الى وقت الخروج (رحيما) باكمال أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات بعث بها الى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها اذ ذاك فسمعها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال لبنيه احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أتم أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأنزل الله تعالى قوله ومن يخرج من بيته الآية قالوا كل هجرة فى غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم (واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى اذا سافرتم أى مسافرة كانت فليس عليكم مأثم فى أن تردوا الصلاة من أربع ركعات الى ركعتين اذا كان السفر طويلا لغير معصية وهو عند الشافعى ومالك أربعة برد وهى مرحلتان وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمر انه قال يقصر فى يوم تام وبه قال الزهرى والأوزاعى وقال أنس بن مالك المعتبر خمس فراسخ (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره وقال ابن عباس أى ان علمتم أن يقتلوكم فى الصلاة وهذا الشرط بيان للواقع اذ ذاك وهو ان غالب أسفار نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين وأهل الحرب اذ ذاك فحينئذ لا يشترط الخوف بل للمسافر القصر مع الأمن لما فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الا الله عز وجل فكان يصلى ركعتين قال يعلى بن أمية قلت لعمر انما قال الله تعالى ان خفتم وقد أمن الناس قال عمر قد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ان العداوة الحاصلة بينكم و بين الكافرين قديمة والآن قد أظهرتم خلافهم فى الدين وازدادت عداوتهم و بسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم ان قدروا فان طالت صلاتكم فربما وجدوا الفرصة فى قتلكم فعلى هذا رخصت لكم فى قصر الصلاة (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) أى اذا كنت يا أشرف الخلق مع المؤمنين فى خوفهم فأردت أن تقيم بهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصل بهم ولتقف الطائفة الأخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) أى الطائفة الذين يصلون معك (أسلحتهم) من التى لا تشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر فان ذلك أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم (فاذا سجدوا) أى القائمون معك وأتموا صلاتهم بعد نية المفارقة (فليكونوا من ورائكم) أى فلينصرفوا من ورائكم الى مصاف أصحابهم بازاء العدو للحراسة ثم يبقى الامام قائما فى الركعة الثانية (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) فى الركعة الثانية ثم يجلس الامام فى التشهد الى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الامام بهم وهذا قول سهل بن أبى حثمة ومذهب الشافعى (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) من العدو (وأسلحتهم) معهم وانما ذكر الحذر هنا لأن العدو لم يتنبه للمسلمين فى أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين لأجل المحاربة فاذا قاموا فى الركعة الثانية ظهر للكفار كونهم فى الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة فى الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم

ثواب تمام تلك الطاعة ومعنى وقع أجره على الله أى وجب ذلك بايجابه (واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية نزلت فى اباحة قصر الصلاة فى السفر وظاهر القرآن يدل على أن القصر يستباح بالسفر والخوف لقوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أى أن يقتلكم والاجماع منعقد على أن القصر يجوز فى السفر من غير خوف وثبتت السنة بهذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر الخوف فى الآية على غالب حال أسفارهم فى ذلك الوقت ثم ذكر صلاة الخوف فقال (واذا كنت فيهم) أى اذا كنت أيها النبى مع المؤمنين فى غزواتهم وخوفهم (فأقمت لهم الصلاة) أى ابتدأتها اماما لهم (فلتقم طائفة منهم معك) أى تصفهم يصلون معك (وليأخذوا أسلحتهم) أى وليأخذ الباقون أسلحتهم (فاذا سجدوا) أى فاذا سجدت الطائفة التى قامت معك (فليكونوا من ورائكم) أى الذين أمروا بأخذ السلاح (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم (لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعنى الذين صلوا أولا (ود الذين كفروا لو تغفلون عن

أسلحتكم وأمتعتكم) في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي بالقتال (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) ترخيص لهم في ترك حمل السلاح في الصلاة وحمله فرض عند بعضهم وسنة مؤكدة عند بعضهم فرخص الله لهم في تركه بعذر المرض والمطر لأن السلاح يثقل على المريض ويفسد في المطر



(وخذوا حذركم) أي كونوا على حذر في الصلاة كيلا يتغفلكم العدو (فاذا قضيتم الصلاة) أي فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) أي بتوحيده وشكره في جميع أحوالكم (فاذا اطمأننتم) أي رجعتم الى أهلكم وأقمتم (فأقيموا الصلاة) أي أتموها (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي مفروضا مؤقتا فرضه (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا (في ابتغاء القوم) يعني أبا سفيان ومن معه حين انصرفوا من أحد أمر الله نبيه أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيام فاشتكى أصحابه ما بهم من الجراحات فقال الله تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) أي ان ألمتم من جراحكم فهم أيضا في مثل حالتكم من ألم الجراح (وترجون من نصر (الله) اياكم واظهار دينكم في الدنيا وثوابكم في العقبى (مالا يرجون) هم (وكان الله عليما) أي بخلقه (حكيما) أي فيما حكم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة طعمة بن أبيرق سرق درعا ثم رمى بها يهوديا فلما طلبت عنده الدرع أحال على اليهودي ورماه بالسرقة فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل قوم طعمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجادل عن صاحبهم وأن يبرئه وقالوا انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا وبرئ اليهودي فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل قوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق في الحكم لا بالتعدي فيه (لتحكم بين الناس بما أراك الله) أي بما علمك الله

---

أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي تمنوا نسيانكم عن الأسلحة وما تستمتعون بها في الحرب اذا قمتم الى الصلاة فينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة في الصلاة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) أي لا وزر عليكم في وضع الأسلحة ان تعذر حملها اما لثقلها بسبب مطر أو مرض أو لايذاء من في الجنب (وخذوا حذركم) أي احترزوا من العدو ما استطعتم لئلا يهجموا عليكم وهذه الآية تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا والله أعلم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) في الدنيا بأن يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه تعالى بأيديكم بالقتل والاسر والنهب (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال حتى في حال المسايفة والقتال فان ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع اليه فاذا اسكنت قلوبكم من الخوف فأدوا الصلاة التي دخل وقتها حينئذ على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من أحوالها وهيئاتها وقيل معنى الآية فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما حال اشتغالكم بالمسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالمراماة وعلى جنوبكم حال ما تكثر الجراحات فيكم فتسقطون على الأرض فاذا زال الخوف عنكم بانقضاء الحرب فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال وهذا ظاهر على مذهب الشافعي من ايجاب الصلاة على المحارب في حال المسايفة اذا حضر وقتها واذا اطمأنوا فعليهم القضاء وقال ابن عباس أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فصلوا لله قياما للصحيح وقعودا للمريض وعلى الجنوب للجريح والمريض فاذا ذهب منكم الخوف ورجعتم الى منازلكم فأتموا الصلاة أربعا (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا موقتا (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تعجزوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال نزلت هذه الآية في شأن بدر الصغرى وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه فشكوا الجراحات حين رجعوا من أحد (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) أي ان كنتم تتوجعون بالجراح فانهم يتوجعون بالجراح فحصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم فلم يصر خوف الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف صار مانعا لكم عن قتالهم (وترجون من الله ما لا يرجون) أي وأنتم ترجون من الله ثوابه وتخافون عذابه لأنكم تعبدون الله تعالى والمشركون يعبدون الأصنام فلا يصح منهم أن يرجوا منها ثوابا أو يخافوا منها عقابا فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة أي لأن تكونوا (وكان الله عليما حكيما) أي لا يكلفكم شيئا الا بما هو عالم بأنه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) أي بين طعمة وزيد بن السمين (بما أراك الله) أي بما علمك الله في القرآن وسمى العلم الذي بمعنى الاعتقاد بالرؤية لأن العلم اليقيني المبرأ عن الريب يكون جاريا مجرى

(ولا تكن للخائنين) يعني طعمة وقومه (خصيما) أي مخاصما عنهم (واستغفر الله) أي من جدالك عن طعمة وهمك بقطع اليهودي (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أي يخونونها بالمعصية لأن وبال خيانتهم راجع عليهم يعني طعمة وقومه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعني طعمة لأنه خان في الدرع وأثم في رميه اليهودي (يستخفون) أي يستترون بخياناتهم (من الناس ولايستخفون (من الله وهومعهم) أي عالم بما يخفون (اذ يبيتون) أي يهيئون ويقدرون ليلا (مالا يرضى من القول) وهوأن طعمة قال أرمي اليهودي بالدرع وأحلف أني لم أسرق فتقبل يميني لأني على دينهم (وكان الله بما يعملون محيطا) أي عالما ثم خاطب قوم طعمة فقال (ها أنتم هؤلاء جادلتم) أي خاصمتم (عنهم) أي عن طعمة وذويه (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) أي لاأحد يفعل ذلك ولا يكون في ذلك اليوم عليهم وكيلا أي يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم ثم عرض التوبة على طعمة وقومه بقوله (ومن يعمل سوءا) أي معصية كما عمل قوم طعمة (أو يظلم نفسه) بذنب كفعل طعمة (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) ثم ذكر أن ضرر المعصية انما يلحق العاصي ولايلحق الله من معصيته ضرر فقال (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه)

الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لايقولن أحدكم قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه والرأي منا يكون ظنا لاعلما نزلت هذه الآية في شأن رجل من الأنصار يقال له طعمة ابن أبيرق من بني ظفر سرق درعا من جارة قتادة بن النعمان وهي في جراب دقيق فصار الدقيق يتناثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن سمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله نشهد أن اليهودي هو السارق لئلا نفتضح بل عزموا على الحلف فذهبوا وشهدوا زورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قادح فيهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اليهودي أو بقطع يده لثبوت المال عنده فأعلمه الله الحال بالوحي فهم أن يقضي على طعمة فهرب الى مكة وارتد ونقب حائطا ليسرق متاع أهله فوقع عليه فقتله ومات مرتدا في مكة (ولا تكن) ياأشرف الخلق (للخائنين) أي لأجل المنافقين والذب عنهم وهم طعمة وقومه بنو ابيرق بشر وبشير ومبشر كما أخرجه الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (خصيما) أي مخاصما لمن كان بريئا عن الذنب وهو اليهودي (واستغفر الله) من همك بضرب اليهودي زيد بن سمين تعويلا على شهادتهم لأنهم كانوا في الظاهر مسلمين فاستغفاره صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك الهم بالحكم الذي لو وقع لكان خطأ في نفسه وان كان معذورا عند الله فيه فأمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فان حسنات الأبرار سيئات المقربين (ان الله كان غفورا رحيما) أي مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) طعمة ومن عاونه من قومه ممن علم كونه سارقا (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) فان طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع السرقة عنه ويلحقها باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول ابطاله ذلك واظهار كذبه فهو كافر وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها اخوات وروي عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبت ان الله لايؤاخذ عبده في أول الأمر (يستخفون من الناس) أي يستترون منهم حياء وخوفا من ضرر (ولايستخفون من الله) أي ولا يستحيون منه تعالى ولايخافون من عذابه تعالى (وهومعهم) بعلمه ورؤيته وقدرته (اذ يبيتون) أي يقدرون في أذهانهم (مالا يرضى) أي الله (من القول) وهوأن طعمة قال أرمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وأحلف اني لم أسرقها فيقبل الرسول يميني لأني على دينه ولا يقبل يمين اليهودي (وكان الله بما يعملون محيطا) لايعزب عنه تعالى شيء ولايفوت (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم ياقوم طعمة (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب عنه بالافراد (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تعذيبهم (أم من يكون عليهم وكيلا) أي أم من الذي يكون حافظا لهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءا) أي قبيحا يحزن به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رمي اليهودي بالسرقة (أو يظلم نفسه) كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) حيث قبل توبته (ومن يكسب اثما) أي ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) فلايتعدى ضرره الى غيره فليتحرز عن اقبال نفسه للعقاب عاجلا وآجلا والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أودفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الله

تعالى

وكان الله عليما) بالسارق (حكيما) حكم بالقطع على طعمة (ومن يكسب خطيئة) أى ذنبا بينه و بين الله يعنى يمينه الكاذبة انه ماسرق (أواثما) أى ذنبا بينه و بين الناس يعنى سرقته (ثم يرم به) أى باثمه (بريئا) كما فعل طعمة حين رمى اليهودى بالسرقة (فقد احتمل بهتانا) برمى البرىء (واثما مبينا) أى باليمين



الكاذبة والسرقة (ولولا فضل الله عليك و رحمته) بالنبوة والعصمة (لهمت) أى لقد همت (طائفة منهم) من قوم طعمة (أن يضلوك) أى يخطئوك فى الحكم وذلك انهم سألوا النبى ﷺ أن يجادل عنه و يقطع اليهودى (ومايضلون الا أنفسهم) أى لتعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضرونك من شىء) لأن الضرر على من شهد بغير حق ثم من عليه فقال (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) فلما بان أن السارق طعمة تناجى قومه فى شأنه فأنزل الله (لاخير فى كثير من نجواهم) أى مسارتهم (الا من أمر بصدقة) أى الا فى نجوى من أمر بصدقة وقال مجاهد هذه الآية عامة للناس يريد أنه لاخير فيما يتناجى فيه الناس و يخوضون فيه من الحديث الا ما كان من أعمال الخير ثم بين أن ذلك انما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال (ومن يفعل ذلك) الآية ثم حكم رسول الله ﷺ على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة ولحق بالمشركين فنزل قوله (ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه (من بعد ماتبين له الهدى) أى الايمان بالله و برسوله وذلك أنه ظهر له من الآية مافيه بلاغ بما أطلع الله على أمره فعادى النبى ﷺ بعد وضوح الحجة وقيام الدليل (و يتبع غير سبيل المؤمنين) أى غير دين الموحدين (نوله ماتولى) أى ندعه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) أى ندخله

تعالى بذلك (وكان الله عليما) بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة (حكيما) تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب وأن لايحمل نفسا وازرة وزر نفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أى صغيرة أو قاصرة على الفاعل أو مالا ينبغى فعله بالعمد أو بالخطأ (أو إثما) أى كبيرة أو مايتعدى الى الغير كالظلم والقتل أو مايحصل بالعمد (ثم يرم به) أى يقذف بذلك الذنب (بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) أى فقد أوجب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين فالبهتان أن ترمى أخاك بأمر منكر وهو برىء منه فصاحب البهتان مذموم فى الدنيا أشد الذم ومعاقب فى الآخرة أشد العقاب فقوله تعالى بهتانا اشارة الى الذم العظيم فى الدنيا وقوله تعالى اثما مبينا اشارة الى العقاب العظيم فى الآخرة (ولولا فضل الله عليك) باعلامك ماهم عليه بالوحى (و رحمته) بتنبيهك على الحق أو المعنى لولا ان الله خصك بالفضل وهو النبوة و بالرحمة وهى العصمة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أى لأرادت طائفة من قوم طعمة أن يلقوك فى الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمة قد عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى أن يجادل عنه و يبرئه عن السرقة و ينسب تلك السرقة الى اليهودى (ومايضلون الا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضرونك من شىء) أى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فأنت ماوقعت فيه لأنه تعالى عاصمك ولأنك بنيت الأمر على ظاهر الحال وأنت ماأمرت الا ببناء الأحكام على الظواهر (وأنزل الله عليك الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى علم الشرائع (وعلمك مالم تكن تعلم) من أمور الدين وأسرار الكتاب والحكمة وأخبار الأولين وحيل المنافقين (وكان فضل الله عليك عظيما) وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف المناقب والفضائل مع أن الله تعالى ماأعطى الخلق من العلم الا القليل (لاخير فى كثير من نجواهم الا) فى نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض واغاثة الملهوف (أو اصلاح بين الناس) عند وقوع المعاداة بينهم من غير مجاوزة حدود الشرع فى ذلك وذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ماكان من أمر بمعروف أونهى عن منكر أو ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذكور من الصدقة وفنون الجميل والاصلاح أو ذلك الأمر بهذه الأقسام الثلاثة كأنه قيل ومن يأمر بذلك و يجوز ان يراد بالفعل الأمر فعبر عن الأمر بالفعل لأن الأمر فعل من الأفعال أى ومن يأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أى طلب رضوان الله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أما اذا أتى بذلك للرياء والسمعة صار من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على ان المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب فى اخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات الى غرض سوى طلب رضوان الله وقرأ أبو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء مناسبة للغيب فى قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقون بنون العظمة مناسبة لقوله تعالى الآتى نوله ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) روى أن طعمة بن ابيرق لما رأى ان الله تعالى هتك ستره و برأ اليهودى عن تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونقب جدار انسان لأجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات

فنزلت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول فى الحكم من بعد ماظهر له بالدليل صحة دين الاسلام و يتبع دينا غير دين الموحدين نتركه الى مااختار لنفسه ونخله الى مااعتمد عليه فى الدنيا وندخله جهنم فى الآخرة و بئس مصيره جهنم وذلك أن طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من انه سارق مادله ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ فعادى الرسول وأظهر الشقاق وترك دين الاسلام واتبع دين عبادة الأصنام (ان الله لا يغفر أن يشرك به) اذا مات على الشرك (و يغفر مادون ذلك) أى الشرك (لمن يشاء) سواء حصلت التوبة أولم تحصل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن شيخا من العرب جاء الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب الا أنى لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جراءة على الله تعالى وماتوهمت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فماترى حالى عند الله تعالى فنزلت هذه الآية (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة أما من لم يشرك بالله لم يكن ضلاله بعيدا فلا يصير محروما عن الرحمة ثم بين الله تعالى كون الشرك ضلالا بعيدا فقال (ان يدعون من دونه الا اناثا) أى مايعبد المشركون من أهل مكة الا أوثانا يسمونها باسم الاناث كقولهم اللات والعزى ومناة واللات تأنيث الله والعزى تأنيث العزيز ومناة تأنيث المنان أولأنهم كانوا يزينونها على هيآت النسوان وقرأت عائشة رضى الله عنها الا أوثانا وابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل أسد وأسد والهمزة بدل من الواو المضمومة (وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله) أى ومايعبدون الا شيطانا شديد البعد عن الطاعة طرده الله من كل خير لأن ابليس هو الذى أمرهم بعبادة الأوثان فكانت طاعته فى ذلك عبادة له (وقال) أى الشيطان عند ذلك (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) أى لأجعلن لى من عبادك حظا مقدرا معينا وهم الذين يتبعون خطوات ابليس و يقبلون وساوسه وروى عن النبى ﷺ أنه قال من كل ألف واحد لله وسائره للناس ولابليس (ولأضلنهم) عن الهدى (ولأمنينهم) أى ألقين فى قلوبهم الأمانى وهى تورث شيئين الحرص والأمل وهما يستلزمان أكثر الأخلاق الذميمة و يلازمان للانسان قال ﷺ يهرم ابن آدم و يشب معه اثنان الحرص والأمل اهـ فالحرص يستلزم ركوب الأهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله الا بمعصية الله وايذاء الخلق واذا طال أمله نسى الآخرة وصار غريقا فى الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه كالحجارة أوأشد قسوة (ولآمرنهم) بالتبتيك أى شق آذان الناقة (فليبتكن آذان الأنعام) فان العرب كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) صورة أوصفة كاخصاء العبيد وفقء العيون وقطع الآذان والوشم والوشر و وصل الشعر فان المرأة تتوصل بهذه الأفعال الى الزنا وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عوروا عين فحلها و يدخل فى هذه الآية التخنث والسحاقات لأن التخنث عبارة عن ذكر يشبه الأنثى والسحق عبارة عن أنثى تشبه الذكر وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى البهائم للحاجة فيجوز فى المأكول الصغير و يحرم فى غيره (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بأن فعل ماأمره الشيطان به وترك ماأمره الرحمن به (فقد خسر خسرانا مبينا) أى بتضييع أصل ماله وهو الدين الفطرى كما قال ﷺ كل مولود يولد على الفطرة أى دين الاسلام ولكن أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه وذلك لان طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة وطاعة الشيطان تفيد المنافع القليلة المنقطعة و يعقبها العذاب الأليم (يعدهم و يمنيهم) بأن يلقى الشيطان فى قلوبهم انه

سيطول

---

اياها ونالته النار ثم أشرك بالله طعمة فكان يعبد صنما فأنزل الله تعالى فيه (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية ثم أنزل الله فى أهل مكة (ان يدعون من دونه) أى مايعبدون من دون الله (الا اناثا) يعنى أصنامهم اللات والعزى ومناة (وان يدعون الا شيطانا مريدا) مايعبدون بعبادتهم لها الا شيطانا خارجا عن طاعة الله يعنى ابليس لأنهم أطاعوه فيما سول لهم من عبادتها (لعنه الله) دحره وأخرجه من الجنة (وقال) يعنى ابليس (لأتخذن من عبادك) أى باغوائى واضلالى (نصيبا مفروضا) أى معلوما يعنى من اتبعه وأطاعه (ولأضلنهم) أى عن الحق (ولأمنينهم) أى أنه لا جنة ولا نار وقيل ركوب الأهواء (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) يعنى البحائر و يأتى بيان ذلك فى سورة المائدة ان شاء الله (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) أى دينه و يكفرون و يحرمون الحلال و يحلون الحرام (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) أى يطعه فيما يدعوا اليه من الضلال (فقد خسر خسرانا مبينا) أى خسر الجنة ونعيمها (يعدهم) طول العمر فى الدنيا (و يمنيهم) أى نيل المراد منها

ستطول أعمارهم وينالون من الدنيا آمالهم ومقاصدهم ويقع فى قلوبهم ان الدنيا دول فربما تيسرت لهم كما تيسرت لغيرهم وأيضا ان الشيطان يعدهم بأنه لاقيامة ولا جزاء فاجتهدوا فى استيفاء اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) وهو أن يظن الانسان بالشئ انه نافع ولذيذ ثم يتبين اشتماله على أعظم الآلام والمضار وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أى أولياء الشيطان وهم الكفار (مأواهم جهنم ولايجدون عنها) أى جهنم (محيصا) أى معدلا ومهربا (والذين آمنوا) أى أقروا بالايمان (وعملوا الصالحات) أى الطاعات تصديقا لاقرارهم (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أى ماكثين فى الجنة مكثا طويلا لايخرجون منها (أبدا وعد الله حقا) أى وعدهم الله بذلك الادخال وعدا لاخلف فيه وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) أى لاأحد أصدق من الله وعدا وهذا توكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات معارضة لمواعيد الشيطان الكاذبة وترغيب العباد فى تحصيل ماوعده الله (ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب) أى ليس الثواب الذى تقدم الوعد به فى قوله تعالى سندخلهم جنات بأمانيكم يامعشر المؤمنين أن يغفر لكم وان ارتكبتم الكبائر أى فانكم تمنيتم أن لاتؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولاأمانى اليهود والنصارى فانهم قالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا أونصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا وقالوا لن تمسنا النار الاأياما معدودة وليس الأمر كذلك فانه تعالى يخص بالعفو أو الرحمة من يشاء أى ليس يستحق ذلك الثواب بالامانى وانى يستحق بالايمان والعمل الصالح (من يعمل سوءا يجز به) فالمؤمن يجزى عند عدم التوبة اما فى الدنيا بالمصيبة أو بعد الموت قبل دخول الجنة أو باحباط ثواب طاعته بمقدار عقاب تلك المعصية والكافر يجزى فى الدنيا بالمحن والبلاء وفى الآخرة دائما روى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال ﷺ غفر الله لك ياأبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك الأذى أى من البلاء والحزن قال بلى يارسول الله قال فهو ماتجزون وعن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل مانعمل لقد هلكنا فبلغ كلامه النبى صلى الله عليه وسلم فقال يجزى المؤمن فى الدنيا بمصيبة فى جسده ومايؤذيه وعن أبى هريرة قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا يارسول الله ماأبقت هذه الآية لنا شيئا فقال ﷺ أبشروا فانه لايصيب أحدا منكم مصيبة فى الدنيا الاجعلها الله له كفارة حتى الشوكة التى تقع فى قدمه (ولايجدله من دون الله) أى مجاوزا عن حفظ الله ونصرته (وليا) أى حافظا يحفظه (ولانصيرا) ينصره فشفاعة الأنبياء والملائكة فى حق العصاة انما تكون باذن الله تعالى واذا كان الأمر كذلك فلاولى لاحد ولانصير لاحد الاالله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أى من يعمل بعض الصالحات كائنا (من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) أى ولا ينقصون قدر منبت النواة من ثواب أعمالهم فاذا لم ينقص الله الثواب فجدير أن لايزيد فى العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة عن عاصم يدخلون الجنة بالبناء للمفعول وكذلك فى سورة مريم وفى حم المؤمن قال مسروق لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب للمسلمين نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أى لاأحد أحسن دينا ممن عرف ربه بقلبه وأقر بربوبيته وبعبودية نفسه (وهو محسن) أى والحال أنه آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال للمتبوع أوللتابع وانما دعا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الى دين ابراهيم لانه اشتهر عند كل الخلق أن ابراهيم ما كان يدعو الاالى الله تعالى وشرعه مقبول عند الكل لان العرب لايفتخرون بشئ

(وما يعدهم الشيطان الاغرورا) الامايغرهم من ايهام النفع فيما فيه الضرر (أولئك) يعنى الذين يتخذون الشيطان وليا (مأويهم) أى مرجعهم ومصيرهم (جهنم ولايجدون عنها محيصا) أى معدلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية (ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب) نزلت فى كفار قريش واليهود قالت قريش لانبعث ولانحاسب وقالت اليهود لن تمسنا النار الا أياما معدودة فنزلت ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب أى ليس الأمر بأمانى الكفار ولابأمانى اليهود (من يعمل سوءا) أى كفرا وشركا (يجز به ولايجدله من دون الله وليا) يمنعه (ولانصيرا) ينصره ثم بين فضيلة المؤمنين على غيرهم بقوله (ومن يعمل من الصالحات) وبقوله (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أى توجه بعبادته الى الله خاضعا له (وهو محسن) أى موحد (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وملة ابراهيم داخلة فى ملة محمد ﷺ فمن أقر بملة محمد فقد اتبع ملة ابراهيم

كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلاشك فى كونهم مفتخرين به (واتخذ الله ابراهيم خليلا) روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمة فاجتمعوا فى بابه فحشروا الى بابه يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال خليله لغلمانه لوكان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكن يريدها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه فمروا ببطحاء أى بأرض ذات حصى فملأوا منها الغرائر حياء من الناس حيث كانت ابلهم فارغة وجاءوا بها الى منزل ابراهيم وألقوها فيه وتفرقوا وأخبره أحدهم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر ففتحتها فاذا فيها أجود حوارى بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الذى نخل مرة بعد أخرى فأمرت الخبازين فخبزوا فأطعمت الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد رائحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت سارة من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عزوجل فسماه الله تعالى خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك فى صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجى فقال ابراهيم عليه السلام اذكره مرة أخرى فقال لاأذكره مجانا فقال لك مالى كله فذكره الملك بصوت أشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك أولادى فقال الملك أبشر فانى ملك لاأحتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والأولاد على سماع ذكر الله فحقا اتخذه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض) يختار منهما مايشاء لمن يشاء (وكان الله بكل شئ) من أهل السموات والارض (محيطا) بالقدرة والعلم (و يستفتونك فى النساء) أى يسألك ياأشرف الخلق جماعة من الصحابة عن أحوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء فالذى بين الله حكمه فيما سبق فى أول هذه السورة أحال بيان الحكم فى ذلك والذى لم يبين حكمه بين هنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم) أى قل ياأشرف الخلق لهم الله تعالى قد بين لكم أحوال النساء والمتلو (فى الكتاب) فى أول هذه السورة قد بين لكم (فى يتامى النساء) أى فى شأنهن فما معطوف على المبتدا وهذا متعلق بيتلى وذلك المتلو فى الكتاب هو قوله تعالى وان خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) أى اللاتى لاتعطونهن ماوجب لهن من الميراث أو الصداق وذلك لانهم يورثون الرجال دون النساء والكبار دون الصغار (وترغبون أن تنكحوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فان حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون عن أن تنكحوهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وان حمل على النفرة كان المعنى وترغبون فى أن تنكحوهن لدمامتهن وتمسكوهن رغبة فى مالهن وهذه الجملة معطوف على الصلة عطف المثبتة على المنفية و يجوز أن تكون حالا من فاعل تؤتونهن والتأويل وأنتم ترغبون وهذا اذا أريد بقوله تعالى ما كتب لهن صداقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينكحها و ينقص صداقها عن عادة نسائها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى و يستفتونك فى النساء الى قوله تعالى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم أن اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بعادتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال الله تعالى فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يعطوها حقها الاوفى من الصداق و يقسطوا لها (والمستضعفين من الولدان) معطوف على يتامى النساء وقد كانوا فى الجاهلية لايورثون الأطفال ولا النساء الذين تلى فى حقهم قوله تعالى

(واتخذ الله ابراهيم خليلا) أى صفيا بالرسالة والنبوة محبا له خالص الحب (و يستفتونك) أى يطلبون منك الفتوى (فى النساء) أى فى توريثهن وكانت العرب لاتورث النساء والصبيان شيئا من الميراث (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم) أى القرآن يفتيكم أيضا يعنى آية الميراث فى أول هذه السورة النازلة (فى) ميراث (يتامى النساء) لانها نزلت فى قصة أم كجة وكانت لها بنات (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) أى مافرض لهن من الميراث (وترغبون) عن (أن تنكحوهن) لدمامتهن قالت عائشة رضى الله عنها نزلت فى اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولاينكحها فيعضلها طمعا فى ميراثها فنهى عن ذلك (والمستضعفين من الولدان) أى و يفتيكم فى الصغار من الغلمان والجوارى أن تعطوهم حقوقهم

يوصيكم الله فى أولادكم وروى أن عيينة بن حصن الفزارى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا بأنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين وتقدير الآية وما يتلى عليكم فى الكتاب يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين فى أن تقوموا لليتامى بالقسط والذى تلى فى حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) أى يجازيكم عليه ولا يضيع عند الله منه شىء (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) أى اظهار الخشونة فى القول أو الفعل أو فيهما (أو اعراضا) أى سكوتا عن الخير والشر (فلا جناح عليهما) حينئذ فى (أن يصلحا بينهما صلحا) بأن بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج أو أسقطت عنه مؤنة النفقة أو القسم وكان غرضها من ذلك أن لا يطلقها زوجها وهذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يفتيهم به فى النساء مما لم يتقدم ذكره فى هذه السورة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الآية نزلت فى ابن أبى السائب كانت له زوجة وله منها أولاد وكانت شيخة فهم بطلاقها فقالت لا تطلقنى ودعنى أشتغل بمصالح أولادى واقسم فى كل شهر ليالى قليلة فقال الزوج ان كان الأمر كذلك فهو أصلح لى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية قرأ عاصم وحمزة والكسائى يصلحا بضم الياء وسكون الصاد والباقون يصالحا بفتح الياء والصاد المشددة الممدودة قالوا معناه يتوافقا وهو أليق بهذا الموضع (والصلح خير) أى والصلح بين الزوجين خير من سوء العشرة أو من الفرقة أو من الخصومة أو هو خير من الخيور (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعل الشح حاضرا للأنفس لا يغيب عنها ولا ينفك عنها أبدا فالمرأة تبخل ببذل حقها الزوجها وطمعها يجرها الى أن ترضى والرجل يبخل بأن يقضى عمره معها مع دمامة وجهها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمعاشرتها (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن بأن تسووا بين الشابة والعجوز فى القسمة والنفقة (وتتقوا) ما يؤدى الى الأذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وروى أن هذه الآية نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أى لن تقدروا على التسوية بينهن فى ميل الطباع واذا لم تقدروا عليه لم تكونوا مكلفين به (ولو حرصتم) أى جهدتم على اقامة العدل فى الحب (فلا تميلوا كل الميل) الى التى تحبونها فى القسم والنفقة أى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لأن ذلك خارج عن وسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك التفاوت فى القول والفعل (فتذروها كالمعلقة) أى فتبقى الأخرى لا أيم ولا ذات بعل كما أن الشىء المعلق لا يكون على الأرض ولا على السماء وفى قراءة أبى فتذروها كالمسجونة (وان تصلحوا) ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فى المستقبل عن مثله غفر الله لكم ذلك (فان الله كان غفورا رحيما) فيغفر ما حصل فى القلب من الميل الى بعضهن دون البعض ويتفضل عليكم برحمته

(وأن تقوموا) أى وفى أن تقوموا (لليتامى بالقسط) أى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير) أى من حسن فيما أمرتكم به (فان الله كان به عليما) أى يجازيكم عليه (وان امرأة خافت) أى علمت (من بعلها) أى زوجها (نشوزا) أى ترفعا عليها لبغضها وهو أن يترك مجامعتها (أو اعراضا) بوجهه عنها (فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا) أى فى القسم والنفقة وهو أن ترضى هى بدون حقها أو تترك من مهرها شيئا ليسوى الزوج بينها وبين ضرتها فى القسم هذا اذا رضيت بذلك لكراهة فراق زوجها ولا تجبر على هذا لأنها ان لم ترض بدون حقها كان الواجب على الزوج أن يوفيها حقها من النفقة والمبيت (والصلح خير) أى من النشوز والاعراض يعنى أن يتصالحا على شىء خير من أن يقيما على النشوز والكراهة بينهما (وأحضرت الانفس الشح) أى شحت المرأة بنصيبها من زوجها وشح الرجل على المرأة بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا) العشرة والصحبة (وتتقوا) الجور والميل (فان الله كان بما تعملون خبيرا) أى لا يضيع عنده شىء (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) أى لن تقدروا على التسوية بينهن فى المحبة ولو اجتهدتم (فلا تميلوا كل الميل) الى التى تحبون فى النفقة والقسم (فتذروها كالمعلقة) أى فتدعوا الأخرى كأنها معلقة لا أيما ولا ذات بعل (وان تصلحوا) أى بالعدل فى القسم (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما) لما ملت الى التى تحبها بقلبك ولما ذكر جواز الصلح بينهما ان أحبا أن يجتمعا ذكر بعده الافتراق فقال

(وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) أى وان رغبا فى المفارقة بأن لم يتفقا بصلح أو غيره يغن الله كل واحد منهما عن صاحبه بزوج خير من زوجه الأول يعيش أهنأ من عيشه الأول من غناه تعالى وقدرته (وكان الله واسعا) أى فى العلم والقدرة والرحمة والفضل والجود (حكيما) أى متقنا فى أفعاله وأحكامه (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) من الموجودات من الخلائق والخزائن فيهما (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) أى ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم وأمرنا كم يا أمة محمد فى كتابكم بطاعة الله وهى وصية الله فى الأولين والآخرين فهى شريعة عامة لجميع الأمم لم يلحقها نسخ (وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا) أى وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فاعلموا أن لله ما فى سمواته وما فى أرضه من أصناف المخلوقات من يعبده وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عباداتهم ومستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد منهم فهو تعالى فى ذاته محمود سواء حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته فهو منزه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصى والسيئات (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه فى الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه أن يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه (وكفى بالله وكيلا) فى تدبير أمور الكل وكل الأمور فلابد من أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) أى ان يشأ افناءكم بالكلية وايجاد قوم آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه يفنكم بالمرة ويوجد مكانكم قوما خيرا منكم وأطوع لله (وكان الله على ذلك) أى اهلاككم وتخليف غيركم (قديرا) أى ان ابقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق ارادته باستئصالكم لا لعجزه تعالى عن ذلك (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فلا يقتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله ثواب الدارين وقال الفخر الرازى تقرير الكلام فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان أراده الله تعالى وعلى هذا التقدير يتعلق الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان يريد منفعة الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه فليعمل لله فان ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أى فان العاقل يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التبع (وكان الله سميعا بصيرا) أى عالما بجميع المسموعات والمبصرات (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) أى كونوا مبالغين فى اختيار العدل وفى الاحتراز عن الجور تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم باقامتها (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أى ولو كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم (ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) اى ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تكتموا الشهادة اما لطلب رضا الغنى أو للترحم على الفقير فالله أولى بأمورهما ومصالحهما وفى قراءة أبى فالله أولى بهم وهو اما راجع الى قوله أو الوالدين والأقربين أو راجع الى جنس الغنى وجنس الفقير وقرأ عبد الله ان يكن غنى أو فقير على كان التامة (ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أى لأجل أن تعدلوا والمعنى اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل (وان تلووا) بواوين على قراءة الجمهور أى وان تحرفوا ألسنتكم عن شهادة الحق وقرأ ابن عامر وحمزة وان تلوا بضم اللام وحذف الواو الأولى أى ان تتموا الشهادة وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فان الله كان بما تعملون خبيرا)

(وان يتفرقا) أى وان أبت المرأة الكبيرة الصلح وأبت الا التسوية بينها وبين الشابة فتفرقا بالطلاق فقد وعد الله لهما أن يغنى كل واحد عن صاحبه بعد الطلاق من فضله الواسع بقوله (يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا) لجميع خلقه فى الرزق والفضل (حكيما) فيما حكم ووعظ (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) يعنى المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بامثل وأطوع لله منكم (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى متاعها (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى خير الدنيا والآخرة عنده فليطلب ذلك منه وهذا تعريض بالكفار الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث وكانوا يقولون آتنا فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) أى قائمين بالعدل (شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أى اشهدوا لله بالحق وان كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه أو أقربيه (ان يكن) أى المشهود عليه (غنيا أو فقيرا) فلا تحابوا غنيا لغناه ولا تحيفوا على الفقير لفقره (فالله أولى بهما) أى أعلم بهما منكم لانه يتولى علم أحوالهما (فلا تتبعوا الهوى) فى الشهادة واتقوا (أن تعدلوا) أن تميلوا وتجوروا (وان تلووا) أى تدافعوا الشهادة (أو تعرضوا) أى تجحدوها وتكتموها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته

(يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) أى اثبتوا على الايمان بالله (والكتاب الذى نزل على رسوله) أى القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) يعني كل كتاب أنزل على نبي قبل القرآن (ان الذين آمنوا) أى اليهود آمنوا بالتوراة (ثم كفروا)



أى بمخالفتها (ثم آمنوا) بالانجيل (ثم كفروا) بمخالفته (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) أى ما أقاموا على ماهم عليه (ولا ليهديهم سبيلا) أى طريق هدى ثم ألحق المنافقين بهم لأنهم كانوا يتولونهم فقال (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) هذه الآية فى صفة المنافقين وكانوا يوالون اليهود مخالفة للمسلمين يتوهمون أن لهم العزة والمنعة وهو معنى قوله أيبتغون عندهم العزة أى القوة بالظهور على محمد صلى الله عليه وسلم (فان العزة) أى الغلبة والقوة (لله جميعا وقد نزل عليكم) أيها المؤمنون (فى الكتاب) أى فى القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) أى اذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى غير الكفر والاستهزاء يعنى قوله فى سورة الأنعام واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا الآية هذه كانت مانزل عليهم فى الكتاب وقوله (انكم اذا مثلهم) ان قعدتم معهم راضين بما يأتون من الكفر بالقرآن والاستهزاء به وذلك أن المنافقين كانوا يجالسون الى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهى الله المسلمين عن مجالستهم

---

فيجازى المحسن المقبل والمسىء المعرض نزلت هذه الآية فى مقيس بن حبابة كانت عنده شهادة على أبيه (يأيها الذين آمنوا) فى الماضى والحاضر (آمنوا) فى المستقبل (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذى نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) أى قبل القرآن أو المعنى يأيها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال أو يأيها الذين آمنوا بحسب الاستدلالات الجملية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية وهذا خطاب لكافة المسلمين وقيل هو خطاب لمؤمنى أهل الكتاب لأن عبدالله بن سلام وابن أخته سلامة وابن أخيه سلمة وأسدا وأسيدا ابنى كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وبكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا كلهم (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بواحد من ذلك المذكور (فقد ضل ضلالا بعيدا) بحيث يعسر العود من الضلال الى سواء الطريق (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) أى ان الذين يتكرر منهم الكفر بعد الايمان مرات ثم ماتوا على الكفر أو المعنى ان الذين أظهروا الاسلام ثم كفروا بكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم آمنوا بألسنتهم فكلما لقوا جمعا من المسلمين قالوا انا مؤمنون وانما أظهروا الايمان لتجرى عليهم أحكام المؤمنين ثم كفروا فاذا دخلوا على شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن ثم ازدادوا كفرا باجتهادهم فى استخراج أنواع المكر فى حق المسلمين وبموتهم على الكفر (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) فان كل من كان كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للاسلام فى قلبه عظم فلا يتوب عن الكفر حتى يموت عليه (بشر المنافقين) أى أنذرهم (بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى فان المنافقين يوالون اليهود ويقول بعض المنافقين لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فيقولون ان العزة لهم (أيبتغون) أى أيطلب المنافقون (عندهم العزة) أى عند اليهود القوة (فان العزة لله جميعا) أى ان القدرة الكاملة لله وكل من سواه فباقداره صار قادرا وباعزازه صار عزيزا فالعزة الحاصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لم تحصل الا من الله تعالى فكان الأمر عند التحقيق ان العزة جميعا لله (وقد نزل عليكم) يامعشر المنافقين (فى الكتاب) أى القرآن فى سورة الأنعام قبل هذا بمكة (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) أى أنه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى الكفر والاستهزاء وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزؤن به فى مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين والقاعدون معهم والموافقون لهم على ذلك الكلام المنافقون فقال تعالى مخاطبا المنافقين وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها أى اذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها ويستهزأ بها (انكم اذا مثلهم) أى انكم أيها المنافقون مثل أولئك الأحبار فى الكفر قال أهل العلم هذا يدل على أن من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر يراه وخالط أهله وان لم يباشر كان فى

الاثم بمنزلة المباشرة أما اذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك فالمنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون فى الرسول والقرآن هم كافرون مثل أولئك اليهود أما المسلمون الذين كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون فى القرآن فانهم كانوا باقين على الايمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف المنافقين فانهم كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار (ان الله جامع المنافقين) أى منافق أهل المدينة عبد الله بن أبى وأصحابه (والكافرين) أى كفار أهل مكة أبى جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (فى جهنم جميعا) أى كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله فى الدنيا فكذلك يجتمعون فى عذاب جهنم يوم القيامة (الذين يتربصون بكم) أى ان المنافقين ينتظرون أمرهم وما يحدث لكم من خير أو شر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظهور على اليهود (قالوا) أى المنافقون للمؤمنين (ألم نكن معكم) أى مظاهرين لكم فأعطونا قسما من الغنيمة (وان كان للكافرين) أى اليهود (نصيب) أى ظفر على المسلمين (قالوا) أى المنافقون لليهود (ألم نستحوذ عليكم) أى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا لنا نصيبا مما أصبتم وقيل ان أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول فى الاسلام والمنافقون حذروهم عن ذلك وأطمعوهم أنه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم فاذا اتفقت لهم صولة على المسلمين قال المنافقون للكفار ألسنا غلبناكم على رأيكم فى الدخول فى الاسلام ومنعناكم منه وقلنا لكم سيضعف أمر محمد ويقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا الينا نصيبا مما وجدتم (فالله يحكم بينكم) أى بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) أى فان الله تعالى ما وضع السيف فى الدنيا عن المنافقين الا لانه أخر عقابهم الى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام فى الدنيا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث من المسلم ومنها أن الكافر اذا استولى على مال المسلم وأحرزه فى دار الحرب لم يملكه ومنها أن الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذمى بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لأحد من الكافرين أن يغلب المسلمين بالحجة وأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود على المؤمنين دولة دائما (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) أى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه تعالى الدنيوية والله فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا وأعد لهم فى الآخرة الدرك الأسفل من النار قال جرير نزلت هذه الآية فى حق عبد الله بن أبى وأبى عامر بن النعمان وقال الزجاج أى يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفر ويظهرون له الايمان والله مجازيهم بالعقاب على خداعهم وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم فى الآخرة عند الصراط وذلك أنه تعالى يعطيهم نورا كما يعطى المؤمنين فاذا وصلوا الى الصراط انطفأ نورهم وبقوا فى الظلمة ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم ويقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ودليل ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون (واذا قاموا الى الصلاة) أى أتوا الى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أى متثاقلين متباطئين لأنهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا (يراءون الناس) ليحسبوهم مؤمنين فانهم لا يقومون اليها الا لأجل الرياء

فى جهنم على العقاب (الذين يتربصون بكم) يعنى المنافقين ينتظرون بكم الدوائر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظهور على اليهود (قالوا ألم نكن معكم) فأعطونا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) من الظفر على المسلمين (قالوا) لهم (ألم نستحوذ عليكم) أى ألم نغلب عليكم بمنعكم عن الدخول فى جملة المؤمنين (ونمنعكم من المؤمنين) بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم بأخبارهم (فالله يحكم بينكم) أى بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) يعنى أنه أخر عذابهم الى ذلك اليوم ورفع عنهم السيف فى الدنيا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى حجة يوم القيامة لأنه يفردهم بالنعيم ومالا يشاركونهم فيه من الكرامات بخلاف الدنيا (ان المنافقين يخادعون الله) أى يعملون عمل المخادع بما يظهرونه ويبطنون خلافه (وهو خادعهم) أى مجازيهم جزاء خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فاذا مضوا قليلا أطفئ نورهم وبقوا فى الظلمة (واذا قاموا الى الصلاة) أى مع المؤمنين (قاموا كسالى) أى متثاقلين (يراءون الناس) أى ليرى ذلك الناس لا لاتباع أمر الله يعنى ليراهم الناس مصلين لا يريدون وجه الله

(ولا يذكرون الله الاقليلا) لأنهم يعملون رياء وسمعة ولوأرادوابه وجه الله لكان كثيرا (مذبذبين بين ذلك) مترددين بين الكفر
والايمان يعني ليسوا بمؤمنين مخلصين ولامشركين مصرحين بالشرك (لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء) أى لامن الأنصار ولامن اليهود (ومن
يضلل الله فلن تجدله سبيلا) أى من أضله الله فلن تجدله دينا (يأيها  الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء

من دون المؤمنين) يعني الانصار يقولون لاتوالوا اليهود من قريظة والنضير (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى حجة بالغة بينة فى عقابكم بموالاتكم اليهود أى انكم اذا فعلتم ذلك صارت الحجة عليكم فى العقاب (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) أى فى أسفل درج النار (ولن تجدلهم نصيرا) أى مانعا يمنعهم من عذاب الله (الاالذين تابوا) أى من النفاق (وأصلحوا) أى العمل (واعتصموا بالله) يعنى التجأوا اليه (وأخلصوا دينهم لله) أى من شائب الرياء (فأولئك مع المؤمنين) أى هم أدنى منهم بعدهذا كله ثم أوقع أجر المؤمنين فى التسوية لانضمامهم اليهم فقال (وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما مايفعل الله بعذابكم) أى بعذاب خلقه (ان شكرتم) أى اعترفتم باحسانه (وآمنتم) بنبيه (وكان الله شاكرا) أى للقليل من أعمالكم

(عليما) بنياتكم (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) نزلت ترخيصا للمظلوم أن يجهر بشكوى الظالم وذلك أن ضيفا نزل بقوم فأساءوا قراه فاشتكاهم فنزلت هذه الآية رخصة فى أن يشكو وقوله (الامن ظلم) أى لكن من ظلم يعنى أنه ان يجهر بالسوء من القول فله ذلك

الرياء والسمعة لا لأجل الدين (ولايذكرون الله الاقليلا) أى لايصلون الا بمرأى من الناس
واذا لم يكن معهم أحد لم يصلوا ولايذكرون الله الاباللسان فقط (مذبذبين بين ذلك) أى مترددين
بين كفر السر وايمان العلانية (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أى ليسوا مع المؤمنين فى السر فيجب
لهم مايجب للمؤمنين وليسوا مع اليهود فى العلانية فيجب عليهم مايجب على اليهود (ومن يضلل الله
فلن تجدله سبيلا) موصلا الى الصواب (يأيها الذين آمنوا) بالسر والعلانية (لاتتخذوا الكافرين)
أى المجاهرين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يامعشر المؤمنين
الخلص (أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى أتريدون بذلك أن تجعلوا لأهل دين الله وهم
الرسول وأمته حجة بينة على كونكم منافقين فان موالاتهم أوضح أدلة النفاق وقيل المعنى يأيها الذين
آمنوا بالعلانية عبدالله بن أبى وأصحابه لاتتخذوا اليهود أولياء فى التعذر من دون المخلصين
أتريدون يامعشر المنافقين أن تجعلوا لرسول الله عليكم عذرا بينا بالقتل أو المعنى أتريدون أن تجعلوا الله
عليكم فى عقابكم حجة بسبب موالاتكم لليهود (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وهو
الطبقة التى فى قعر جهنم لأنهم أخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله
وخداعهم ولأنهم لما أظهروا الاسلام يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك
فكانت المحنة تتضاعف من هؤلاء المنافقين لهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار
الخلص (ولن تجدلهم) أى المنافقين (نصيرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من الضمير
المجرور أو من الضمير المستكن فى خبر ان بقوله (الاالذين تابوا) عن النفاق والقبيح (وأصلحوا)
أى أقدموا على الحسن (واعتصموا بالله) بأن يكون غرضهم من التوبة واصلاح الأعمال طلب
مرضاة الله تعالى لالطلب مصلحة الوقت (وأخلصوا دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالصا لايمتزج
به غرض آخر (فأولئك) المتصفون بهذه الشروط الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أى
المخلصين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا أى معهم فى الدرجات العالية من الجنة (وسوف
يؤت الله المؤمنين) أى يعطى الله المخلص (أجرا عظيما) أى ثوابا وافرا فى الجنة (مايفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم) فما استفهامية مفيدة للنفى أى أيعذبكم الله لأجل التشفى من الغيظ أم لطلب النفع
أم لدفع الضرر كما هو شأن الملوك وكل ذلك محال فى حقه تعالى وانما التعذيب أمر يقتضيه كفركم
فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب وتقديم الشكر على الايمان لأن الانسان اذا نظر
فى نفسه رأى النعمة العظيمة حاصلة فى تخليقها وترتيبها فيشكر شكرا مجملا ثم اذا تم النظر فى معرفة
المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المجمل مقدما على الايمان (وكان الله شاكرا)
أى مثيبا على الشكر (عليما) أى بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له تعالى البتة فيوصل الثواب الى
الشاكر والعقاب الى المعرض (لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم) أى لايحب الله تعالى أن
يجهر أحد بالسوء كائنا من القول الا جهر من ظلم فهو غير مسخوط عنده تعالى وذلك بأن يقول سرق

(وكان الله سميعا) لقول المظلوم (عليما) بما يضمره أى فليقبل الحق ولا يتعد ماأذن له فيه (ان تبدوا خيرا) أى من أعمال البر (أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) أى سوء يأتيك من أخيك المسلم (فان الله كان عفوا) أى لمن عفا (قديرا) على ثوابه (ان الذين يكفرون بالله ورسله) وهم اليهود كفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) أى بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسل (ويقولون نؤمن ببعض) الرسل (ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أى بين الايمان بالبعض والكفر بالبعض دينا يدينون به (أولئك هم الكافرون حقا) أى ان ايمانهم ببعض الرسل لايزيل عنهم اسم الكفر ثم نزل فى المؤمنين (والذين آمنوا بالله ورسله) الآية (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) سألت اليهود رسول الله ﷺ أن يأتيهم بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى فأنزل الله هذه الآية وقوله (فقد سألوا موسى

فلان مالى أو غصبنى أو سبنى أو قذفنى ويدعو عليه دعاء جائزا بأن يكون بقدر ظلمه فلا يدعو عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والده وان كان هو فعل كذلك ولا يدعو عليه لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حقى منه أو اللهم جازه أو كافئه ولا يجوز أن يدعو عليه بسوء الخاتمة أو الفتنة فى الدين فالدعاء بغير قدر ما ظلم به حرام كالدعاء بمستحيل عادة أو عقلا ومثل المظلوم ما اذا أريد اجتماع على شخص فيجب على من علم عيوبه بذل النصيحة له وان لم يستشره لأن الدين النصيحة فيذكر له ما يندفع به فان زاد حرم الزائد فالله تعالى لا يحب اظهار القبائح الا فى حق من عظم ضرره وكثر مكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال ﷺ اذكروا الفاسد بما فيه كى تحذره الناس وقرأ الضحاك وزيد ابن أسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم بالبناء للفاعل والمعنى لكن من ظلم فاتركوه وقال الفراء والزجاج لكن من ظلم نفسه فانه يجهر بالسوء من القول ويفعل ما لا يحبه الله تعالى هذا ان جعل الاستثناء كلاما منقطعا عما قبله أما ان جعل متصلا فيكون التقدير الا من ظلم فانه يجوز الجهر بالسوء من القول معه (وكان الله سميعا) لقول الظالم والمظلوم ولفعلهما (عليما) لفعل الظالم والمظلوم ولقولهما فليتق الله ولا يقل الا الحق ولا يقذف بسوء لمستور فانه يصير عاصيا لله بذلك وهو تعالى سميع لما يقوله عليم بما يضمره (ان تبدوا خيرا أو تخفوه) فى ايصال النفع الى الخلق (أو تعفوا عن سوء) كأن تدفعوا الضرر عنهم (فان الله كان عفوا) عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى كما قاله الحسن (قديرا) أى فهو أقدر على عفو ذنوبك منك على عفو ذنوب من ظلمك كما قاله الكلبى وقيل المعنى ان الله كان عفوا لمن عفا وهو المظلوم قديرا على ايصال الثواب اليه وعقوبة الظالم وقوله تعالى فان الله الآية تعليل لجواب الشرط المقدر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لأن الله الخ اعلم أن مواضع الخيرات على كثرتها محصورة فى أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق محصور فى قسمين ايصال نفع اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه ودفع ضرر عنهم وهو المشار اليه بقوله تعالى أو تعفوا عن سوء فدخل فى هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (ان الذين يكفرون بالله ورسله) كاليهود فانهم آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وكالنصارى فانهم آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أى بين الايمان بالكل أو الكفر بالكل (سبيلا) أى دينا وسطا وهو الايمان بالبعض دون البعض (أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون حقا) أى كفرا كاملا ثابتا يقينا لأنه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومامن نبى من الأنبياء الا وقد أخبر قومه بحقيقة دين نبينا محمد ﷺ فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى (وأعتدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذابا مهينا) أى شديدا يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) فى الايمان به (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) وقرأ عاصم فى رواية حفص بالياء والضمير راجع الى اسم الله والباقون بالنون (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) أى مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك) ياأشرف الخلق (أهل الكتاب) أى أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) روى أن كعبا وأصحابه وفنحاص قالوا لرسول الله ﷺ ان كنت رسولا من عند الله فأتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالألواح أى فلا تبال ياأشرف الخلق بسؤالهم فانه عادتهم (فقد سألوا) أى اليهود (موسى

اكبر

أ كبرمن ذلك) أى أعظم مماسألوك (فقالوا أرنا الله جهرة) أى أرناه نره معاينة (فأخذتهم الصاعقة) أى فأحرقتهم النار التى جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستحيل وقوعه فى ذلك الوقت (ثم اتخذوا العجل) أى عبدوه (من بعدما جاءتهم البينات) أى الصاعقة واحياؤهم بعد موتهم ومعجزات موسى التى أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها (فعفونا عن ذلك) أى تركنا عبدة العجل ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) أى قهرا ظاهرا عليهم فانه أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتثال فقتل منهم سبعون ألفا فى يوم واحد (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى بسبب ميثاقهم على أن لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه فانهم هموا بنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أى باب بيت المقدس أو أريحا (سجدا) أى مطأطئين الرءوس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أى لا تظلموا باصطياد الحيتان (فى السبت وأخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقا غليظا) أى مؤكدا وقال ابن عباس وهو ميثاق وثيق فى محمد صلى الله عليه وسلم (فبما نقضهم) فما مقحمة والباء للسببية متعلقة بمحذوف أى فلعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) أى بالمعجزات فمن أنكر معجزة رسول واحد فقد أنكر جميع معجزات الرسل (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أى بلا جرم فانهم معصومون من كل نقيصة لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غلف) أى أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى علم سوى ما عندنا فكذبوا الأنبياء بهذا القول أو المعنى قلوبنا فى أغطية جبلية فهى لا تفقه ما تقولون (بل طبع الله عليها بكفرهم) أى بل أحدث الله عليها صورة مانعة عن وصول الحق اليها أو بل ختم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أى اليهود (الا قليلا) أى الا فريقا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أى المطبوع على قلوبهم الا ايمانا قليلا وهو الايمان بموسى والتوراة بحسب زعمهم فان من يكفر برسول واحد و بمعجزة واحدة لا يمكنه الايمان بأحد من الرسل البتة (و بكفرهم) لانكارهم قدرة الله تعالى عن خلق الولد من دون الأب (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) أى نسبتهم مريم الى الزنا بعدما ظهر منها من الكرامات الداله على براءتها من كل عيب فانها ملازمة للعبادة بأنواع الطاعات وعيسى تكلم حال كونه طفلا منفصلا عن أمه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم) وصلبناه (رسول الله) أى فى زعم عيسى نفسه فان وصفهم له بوصف الرسالة استهزاء به أو ان الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم فانهم قالوا هو ساحر ابن ساحرة أو ان رسول الله وصف له من عند الله تعالى مدحا له وتنزيها له عن مقالتهم التى لا تليق به قال الله تعالى ابطالا لافتخارهم بقتل النبي والاستهزاء به (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم لما أنهم اجتمعوا على قتله لان الله مسخ من سبوه وسبوا أمه قردة وخنازير بدعائه عليهم فأخذوا انسانا يقال له ططيانوس اليهودى وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفونه الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة للناس ثم ان تواتر النصارى ينتهى الى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب وقال الضحاك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر ابليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج و يقتل و يكون معى فى الجنة فقال رجل يقال له سرجس أنا يا نبى الله فألقى اليه مدرعته من صوف وعمامته من صوف وناوله عكازه وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه

أ كبر من ذلك) يعنى السبعين الذين ذكروا فى قوله واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك الآية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الذين خلفهم موسى مع هرون (من بعد ما جاءتهم البينات) أى اليد والعصا وفلق البحر (فعفونا عن ذلك) أى لم نستأصل عبدة العجل (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعنى حجة بينة قوى بها على من ناواه (ورفعنا فوقهم الطور) حين امتنعوا عن قبول شريعة التوراة (بميثاقهم) أى بأخذ ميثاقهم (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت) أى لا تعتدوا باقتناص السمك فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا مؤكدا فى النبى ﷺ (فبما نقضهم ميثاقهم) أى فبنقضهم وما زائدة للتوكيد وقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) أى ختم الله على قلوبهم فلا تعى وعظا مجازاة لهم على كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى الذين آمنوا (و بكفرهم) أى بالمسيح (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) حين رموها بالزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى ألقى شبه عيسى على غيره حتى ظنوا لما رأوه أنه المسيح

(وان الذين اختلفوا فيه) أى فى قتله وذلك أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به كان الشبه ألقى على وجهه ولم يلق على جسده شبه جسد عيسى
فلما قتلوه نظروا اليه فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فاختلفوا فقال بعضهم هذا



وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار مع الملائكة (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى شأن عيسى (لفى شك منه) أى من قتله (مالهم به) أى بقتله (من علم الا اتباع الظن) أى لكنهم يتبعون الظن فان فسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس فالاستثناء متصل أى لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وماقتلوه يقينا) أى قتلا يقينا كما قالوا انا قتلنا المسيح (بل رفعه الله اليه) أى الى موضع لايجرى فيه حكم غير الله تعالى ولايصل اليه حكم آدمى وذلك الموضع هو السماء الثالثة (وكان الله عزيزا) أى كامل القدرة (حكيما) أى كامل العلم فرفع عيسى من الارض الى السماء لاتعذر فيه بالنسبة الى قدرة الله تعالى وحكمته (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى ومامن اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل أن تزهق روحه بأنه عبد الله ورسوله فلا ينفعه ايمان لانقطاع وقت التكليف كما نقل عن محمد بن على بن أبى طالب من الحنيفة أن اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله و يقال للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه هو الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله وابنه فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن لاينفعهم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أى عيسى عليه السلام (عليهم) أى أهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم أشركوا به وكل نبى شاهد على أمته (فبظلم من الذين هادوا) أى فبسبب ظلم عظيم من الذين تابوا من عبادة العجل (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) فان اليهود كانوا كلما فعلوا معصية من المعاصى يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن قبلهم عقوبة لهم (و بصدهم عن سبيل الله كثيرا) أى و بمنعهم عن دين الله ناسا كثيرا (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أى بطريق الرشوة (وأعتدنا للكافرين منهم) أى هيأنا للمصرين على الكفر من اليهود (عذابا أليما) سيذوقونه فى الآخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) أى لكن المتمكنون فى علم التوراة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) منهم ومن المهاجرين والأنصار (يؤمنون بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الأنبياء من الكتب (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) أى وأعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة فالمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء فى مصحف عبد الله بن مسعود والمقيمون الصلاة بالواو وهى قراءة مالك بن دينار والجحدرى وعيسى الثقفى وابن جبير وعاصم عن الأعمش وعمرو بن عبيد (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قال أبو السعود والمراد بالكل مؤمنو أهل الكتاب (أولئك) أى المتصفون بتلك الصفات الجليلة من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجرا عظيما) وجملة هذه خبر اسم الاشارة والجملة من المبتدا والخبر خبر قوله تعالى والراسخون وماعطف عليه والسين لتأكيد الوعد (انا أوحينا

---

عيسى وقال بعضهم ليس بعيسى وهذا معنى قوله (لفى شك منه) أى من قتله (مالهم به) أى بعيسى (من علم) أقتل أم لم يقتل (الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا) أى ماقتلوا المسيح على يقين من أنه المسيح (بل رفعه الله اليه) أى الى الموضع الذى لايجرى لاحد سوى الله فيه حكم فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه لانه رفع عن أن يجرى عليه حكم أحد من العباد (وكان الله عزيزا) أى فى اقتداره على نجاة من يشاء من عباده (حكيما) فى تدبيره فى النجاة (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به) أى مامن أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى (قبل موته) أى اذا عاين الملك ولا ينفعه حينئذ ايمانه ولا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى على أن قد بلغ الرسالة وأقر بالعبودية على نفسه (فبظلم من الذين هادوا) الآية عاقب الله اليهود على ظلمهم و بغيهم بتحريم أشياء عليهم وهى ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية ثم استثنى مؤمنهم فقال (لكن الراسخون) يعنى المبالغين فى علم الكتاب (منهم) كعبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ (يؤمنون بما أنزل اليك) الى آخر الآية ظاهر الى قوله

اليك

اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) أى بعد نوح (و) كما (أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق) ابنى ابراهيم (ويعقوب) ابن اسحق (والاسباط) أى أولاد يعقوب الاثنى عشر فمنهم يوسف نبى رسول باتفاق وفى البقية خلاف (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أى وكما أعطينا أباه (داود زبورا) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وانما هى حكم ومواعظ وتسبيح وتقديس وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الخطيئة زال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلا قد قصصناهم عليك) أى سميناهم لك فى القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أى من قبل هذه السورة أو هذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم والمعنى انا أوحينا اليك ايحاء مثل ما أوحينا الى نوح ومثل ما أوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم فى حقيقة الايحاء وأصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكلم الله موسى تكليما) أى كلمه على التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة ملك أى أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى سمع المعنى القائم بذاته تعالى لأنه تعالى أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبدا والمعنى انه تعالى بعث هؤلاء الأنبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بالتكلم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن فى نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب متفرقا وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم باعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ ابراهيم ويحيى بن وثاب وكلم اللهَ بالنصب (رسلا) منصوب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال الموطئة لما بعدها أو على البدلية من رسلا الأول (مبشرين) لأهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أى معذرة يعتذرون بها (بعد الرسل) أى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس يوم القيامة على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لم لم ترسل الينا رسولا ولم تنزل علينا كتابا فان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل وان قبول المعذرة عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده وهى بمنزلة الحجة التى لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عزيزا) لا يغالب فى أمر من أموره (حكيما) فى أفعاله فاختلاف الكتب فى كيفية النزول وتغايرها فى بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الأمم فى الاحوال التى عليها يدور فلك التكليف فكلفهم الله بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) بتخفيف النون ورفع الجلالة وبالبناء للفاعل أى لكن الله يشهد لك بحقية ما أنزل اليك من القرآن الناطق بنبوتك روى انه لما نزل قوله تعالى انا أوحينا اليك قال اليهود نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد والمعنى أن اليهود وان شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ فى الفصاحة فى اللفظ والشرف فى المعنى الى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى بالرسالة صادقا ولما كانت شهادته تعالى عرفت بواسطة انزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أى يشهد لك بالنبوة

(رسلا مبشرين) أى بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على المعصية (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا يعلمنا ديننا فبعثنا الرسل قطعا لعذرهم (لكن الله يشهد) الآية نزلت حين قالت اليهود لما سئلوا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما نشهد له بذلك فقال الله تعالى لكن الله يشهد أى يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن ودلائله

بواسطة هذا القرآن الذى أنزله اليك (أنزله بعلمه) بأنه فى غاية الحسن ونهاية الكمال وهذا مثل ما يقال فى الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى فى تحريره انه انما صنف هذا بكمال علمه وفضله أى انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن فكذا ههنا (والملائكة يشهدون) بصدقه وانما تعرف شهادة الملائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لأن ظهور المعجز على يده صلى الله عليه وسلم يدل على انه تعالى شهد له بالنبوة واذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة بذلك بلا شك لأنه ثبت فى القرآن انهم لا يسبقونه تعالى بالقول والمعنى يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك فى ذلك وملائكة السموات السبع والعرش والكرسى يصدقونك فى ذلك ومن صدقه الله والملائكة أجمعون لم يلتفت الى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بما أنزل الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أى دين الاسلام من أراد سلوكه وهم اليهود حيث قالوا ما نعرف صفة محمد فى كتابنا وقالوا لو كان رسولا لأتى بكتاب دفعة واحدة من السماء وقالوا ان الله ذكر فى التوراة أن شريعة موسى لا تنسخ الى يوم القيامة وقالوا ان الأنبياء لا يكونون الا من ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لأن أشد الناس ضلالا من كان ضالا و يعتقد فى نفسه أنه محق ثم يتوسل بذلك الضلال الى اكتساب المال والجاه ثم يبذل غاية ما فى طاقته فى القاء غيره فى مثل ذلك الضلال (ان الذين كفروا وظلموا) محمدا بكتمان ذكر بعثته وعوامهم بالقاء الشبهات فى قلوبهم وماتوا على الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) الى الجنة يوم القيامة (الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك) أى جعلهم خالدين فى جهنم (على الله يسيرا) أى لا يتعذر عليه شىء فكان ايصال الألم اليهم شيئا بعد شىء الى غير النهاية يسيرا عليه وان كان متعذرا على غيره (يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى يا أهل مكة قد جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن أو متكلما بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) أى فآمنوا بالرسول يكن ذلك الايمان خيرا لكم بما أنتم فيه أى يكن أحمد عاقبة من الكفر (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض) أى وان تكفروا بالرسول فان الله غنى عن ايمانكم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم لأنه مالك السموات والأرض وخالقهما ومن كان كذلك كان قادرا على انزال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم أو فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه و ينقادون لأمره وحكمه أو فمن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شىء (وكان الله عليما) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شىء (حكيما) لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوى بين المؤمن والكافر والمحسن والمسىء (ياأهل الكتاب) أى الانجيل من النصارى (لا تغلوا فى دينكم) أى لا تبالغوا فى تعظيم عيسى فانه ليس بحق كما أن اليهود بالغوا فى طعنه حيث قالوا انه ابن زانية وكلا طرفى قصدهم ذميم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أى لا تصفوه بما يستحيل اتصافه تعالى به من الاتحاد والحلول فى بدن الانسان أو روحه واتخاذ الزوجة والولد بل نزهوه عن هذه الاحوال فان نصارى أهل نجران أربعة أنواع ملكانية وهم الذين قالوا عيسى والرب شريكان ومرقوسية وهم الذين قالوا ثالث ثلاثة ومار يعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله ونسطورية وهم الذين قالوا عيسى ابن الله فأنزل الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فالمسيح مبتدأ وعيسى بدل منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبر المبتدأ (وكلمته) أى مكون بأمره

---

(أنزله بعلمه) أى وهو يعلم أنك أهل لانزاله عليك لقيامك به (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة ان جحدت اليهود وشهادة الملائكة انما تعرف بقيام المعجزة فمن ظهرت معجزته شهدت الملائكة بصدقه (وكفى بالله شهيدا) أى كفى الله شهيدا (ان الذين كفروا) يعنى اليهود (وظلموا) محمدا بكتمان نعته (لم يكن الله ليغفر لهم) هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر (ولا ليهديهم طريقا) أى ولا يرشدهم الى دين الاسلام (الا طريق جهنم) يعنى طريق اليهودية وهو الطريق الذى يقودهم الى جهنم (خالدين فيها أبدا وكان ذلك) أى خلودهم (على الله يسيرا) لأنه لا يتعذر عليه شىء (يأيها الناس) يعنى المشركين (قد جاءكم الرسول بالحق) أى بالهدى والصدق (من ربكم فآمنوا خيرا لكم) أى ائتوا ما هو خير لكم من الكفر بالايمان به (وان تكفروا) أى تكذبوا محمدا وتكفروا نعمة الله عليكم به (فان لله ما فى السموات والأرض) أى لا تضرون الا أنفسكم لأن الله غنى عنكم (وكان الله عليما) أى بما تصيرون اليه من ايمان أو كفر (حكيما) فى تكليفه مع علمه بما يكونون منكم (ياأهل الكتاب) يريد النصارى (لا تغلوا) أى لا تجاوزوا من الحد ولا تشددوا (فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) فليس له ولد ولا زوجة ولا شريك وقوله (وكلمته) يعنى انه قال له كن فيكون

من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها الى مريم) أى أوصل الكلمة اليها بنفخ جبريل (وروح منه) أى وروح صادر من أمر الله فصار ولدا بلا أب وقد جرت عادة الناس أنهم اذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وانما تكون من نفخة جبريل وصف بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أى كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كما زعمت النصارى من أنها تبعيضية حكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسين المروزى ذات يوم فقال له ان فى كتابهم مايدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية فقرأ المروزى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزاء منه تعالى فانقطع النصرانى فأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا وأعطى للمروزى عطاء عظيما (فآمنوا بالله) واعتقدوا ألوهيته وحده (ورسله) أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تصفوا واحدا منهم بالألوهية (ولا تقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ولا تقولوا ان الله واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم (انتهوا خيرا لكم) أى انتهوا عن مقالتكم بالتثليث يكن ذلك الانتهاء خيرا لكم (انما الله اله واحد) أى منفرد فى ألوهيته (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد أو سبحوه تسبيحا من ذلك وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أى سبحانه ما يكون له ولد (له مافى السموات ومافى الارض) فمن كان مالكا لهما ومافيهما كان مالكا لعيسى ومريم واذا كانا مملوكين له فكيف يتوهم كونهما له ولدا وزوجة (وكفى بالله وكيلا) أى ربا للخلق فانه كاف فى تدبير المخلوقات وفى حفظ المحدثات فلا حاجة معه الى اثبات اله آخر (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) أى لن يترفع عن أن يكون عبد اله تعالى أى مقرا بالعبودية لله مستمرا على عبادته وطاعته روى أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى ﷺ انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه عبيدا لله بصيغة التصغير (ولا الملائكة المقربون) أى ولا يستنكف الملائكة المقربون كحملة العرش أن يقروا بالعبودية لله أى لن يستنكف المسيح عن عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الاحياء والابراء وعالم بالمغيبات مخبر عنها ويمتاز عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع الى السماء فان الملائكة المقربين أعلى حالا منه فى العلم بالمغيبات لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وأعلى حالا منه فى القدرة لان أربعة منهم حملوا العرش على عظمته وأنهم مخلوقون من غير أب وأم ومقارهم السموات العلى ولا خلاف لأحد فى علو درجتهم من هذه الحالات وانما الخلاف فى علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم ان الملائكة مع كمال حالهم فى العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذى كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) أى ومن يترفع عن طاعته تعالى ويعد نفسه كبيرا أى يعتقدها كذلك فان الله يجمع المترفعين والمعتقدين أنفسهم كبيرة ومقابليهم وهم غيرهم اليه تعالى يوم القيامة حيث لا يملكون لأنفسهم شيئا فيجازيهم (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) من غير أن ينقص منها شيئا أصلا (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها أضعافا كثيرة وباعطاء مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أى على وجه التفصيل وانما يخطر نعيم الجنان على قلوبنا وسمعه من السنة على وجه الاجمال (وأما الذين استنكفوا) عن عبادته تعالى (واستكبروا) أى عدوا أنفسهم كبيرة (فيعذبهم عذابا أليما)

(وروح منه) أى روح مخلوق من عنده (ولا تقولوا ثلاثة) أى لا تقولوا آلهتنا ثلاثة يعنى قولهم الله وصاحبته وابنه تعالى الله عن ذلك (انتهوا خيرا لكم) أى ائتوا بالانتهاء عن هذا خيرا لكم مما أنتم عليه (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) أى لن يأنف الذى تزعمون انه اله أن يكون عبدا لله (ولا الملائكة المقربون) من كرامة الله وهم أكبر من البشر

وهو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أي امتنعوا بطاعته من زيغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني الجنة (وفضل) أي يتفضل عليهم بما لم يخطر على قلوبهم (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) دينا مستقيما (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) أي فيمن مات ولا ولد له ولا والد (ان امرؤ هلك ليس له ولد) أراد ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما لأنه الكلالة (وله أخت) يعني من أب وأم أو أب لأن ذكر ولد الأم قد مضى في أول السورة (فلها نصف ما ترك وهو) أي الأخ (يرثها) أي يرث الأخت جميع المال (ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين) أي الأختان وقوله (يبين الله لكم أن تضلوا) أي أن لا تضلوا أو كراهة أن تضلوا

﴿ تفسير سورة المائدة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني بالعهود الموكدة التي عاهدتموها مع الله والناس ثم ابتدأ كلاما آخر فقال (أحلت لكم بهيمة الانعام) قيل هي الانعام نفسها وهي البقر والابل والغنم وقيل بهيمة الانعام وحشها كالظباء و بقر الوحش وحمر الوحش

---

بما وجدوا من لذاذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يلي مصالحهم (ولا نصيرا) ينجيهم من عذاب الله (يأيها الناس قد جاءكم برهان) أي رسول (من ربكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه برهانا لان حرفته اقامة البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) أي نيرا بنفسه منور الغيره وهو القرآن وذلك بواسطة انزاله على الرسول وسماه نورا لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب أي فمنهم من آمن ومنهم من كفر (فأما الذين آمنوا بالله) في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (واعتصموا به) أي بالله في أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة ومنفعتها (وفضل) أي احسان زائد كالنظر الى وجهه الكريم والتعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وهو الاسلام والطاعة والسعادة الروحانية والجار والمجرور في محل نصب حال من صراطا والضمير المجرور عائد على الله بتقدير مضاف أي الى ثوابه (يستفتونك) أي يسألونك يا محمد عن الكلالة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك الآيات وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآيات (قل الله يفتيكم في الكلالة) وهو اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) أي ان مات امرؤ غير ذي ولد ووالد وله أخت شقيقة أو من الأب فللأخت نصف ما ترك بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) أي المرء الكلالة (يرثها) أي يرث أخته جميع ما تركت ان فرض موتها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى فان كان لها أو له ولد ذكر فلا شيء له أولها أو ولد أنثى فله أولها الباقي من نصيبها (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي فان كان من يرث بالاخوة أختين شقيقتين أو من أب فصاعدا فلهما ولا كثر الثلثان مما ترك الميت من المال (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) أي وان كان من يرث بطريق الاخوة اخوة مختلطة رجالا أشقاء أو من أب ونساء شقيقات أو لأب فللذكر منهم مثل نصيب الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب (يبين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) أي لكيلا تخطئوا في قسمة الميراث وقيل المعنى يبين الله ضلالكم لتعلموا أن غير هذا البيان ضلال فتجتنبوه (والله بكل شيء) من الأشياء المتعلقة بمحياكم ومماتكم (عليم) أي مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم

## ﴿ سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهي جميع ما ألزمه الله تعالى عباده من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن دينا (أحلت لكم بهيمة الانعام) أي أحل لكم أكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام وقيل المعنى أحلت لكم ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب وذلك كالظباء و بقر الوحش ونحوهما من صيد البرية كحمر الوحش

فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أى أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنة الانعام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضا عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعى فى أن الجنين مذكى بذكاة الأم (الامايتلى عليكم) فى هذه السورة (غير محلى الصيد وأنتم حرم) أى الا ان كانت الأنعام ميتة أوموقوذة أومتردية أونطيحة أوافترسها السبع أوذبحت على غير اسم الله فهى محرمة والا أن تحلوا الصيد فى حال احرامكم أو فى حال كونكم فى الحرم فانه لايحل لكم ذلك (ان الله يحكم مايريد) من التحليل وغيره لااعتراض عليه ولامعقب لحكمه فموجب التكليف والحكم هو ارادته لامراعاة المصالح (يأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أى يأيها الذين آمنوا أقروا بالايمان لاتحلوا معالم دين الله أى لاتهاونوا شيئا من فرائضه تعالى ولا تحلوا الشهر الحرام ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب بالقتال فيه والغارة قال أبو السعود والمراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذو القعدة واختار ابن جرير أنه رجب لأنه أكمل الأشهر الأربعة ولاتحلوا الهدى بالغصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ماأهدى الى بيت الله من ابل أو بقر أوشاة ولاتحلوا ذوات القلائد من الهدى وهى البدن ولاتحلوا قوما قاصدين زيارة المسجد الحرام بصدهم عن ذلك بأى وجه كان وقرأ عبد الله ولا آمى البيت الحرام بالاضافة حال كونهم مبتغين فضلا من ربهم بالتجارة المباحة أوالمعنى طالبين ثوابا من ربهم ورضوانا وقرأ حميد بن قيس الأعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فالجملة حينئذ حال من الضمير فى لاتحلوا واضافة الرب الى ضمير الآمين للاشارة الى اقتصار التشريف عليهم (واذا حللتم فاصطادوا) والأمر للاباحة أى واذا خرجتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم فى اصطياد حيوان البرية (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) أى ولايحملنكم بغضكم لقوم من أهل مكة بمنعهم اياكم عن المسجد الحرام أى عن العمرة عام الحديبية على ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى من البغض وقرأ أبو عمرو وابن كثير ان صدوكم بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لايجرمنكم والمعنى ان وقع صد مثل ذلك الصد الذى وقع عام الحديبية وهى سنة ست على أن نزول هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) أى على متابعة الأمر ومجانبة الهوى (ولاتعاونوا على الاثم) أى المعصية للتشفى (والعدوان) أى التعدى فى حدود الله للانتقام (واتقوا الله) فى جميع الأمور ولاتستحلوا شيئا من محارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لايتقيه فلايطيق أحد عقابه (حرمت عليكم الميتة) أى حرم عليكم أكل مافارقته الروح من غير ذبح شرعى وكان أهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل الله واعلم أن تحريم الميتة موافق لمافى العقول لأن الدم جوهر لطيف جدا فاذامات

---

(الا مايتلى عليكم) يعنى قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلى الصيد) يعنى الا أن تحلوا الصيد فى حال الاحرام فانه لايحل لكم (ان الله يحكم مايريد) أى يحل مايشاء ويحرم مايشاء (يأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) يعنى الهدايا المعلمة للذبح بمكة نزلت هذه الآية فى الحطم أغار على سرح المدينة فذهب بها الى اليمامة فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة فقال النبى ﷺ هذا الحطم فدونكم وكان قدقلد مانهب من سرح المدينة وأهداه الى الكعبة فلما توجهوا فى طلبه أنزل الله تعالى يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ماأشعر لله أى أعلم (ولا الشهر الحرام) أى بالقتال فيه (ولا الهدى) وهو كل ماأهدى الى بيت الله من ناقة وبقرة وشاة (ولا القلائد) يعنى الهدايا المقلدة من لحاء شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) أى قاصديه من المشركين قال المفسرون كانت الحرب فى الجاهلية قائمة بين العرب الا فى الأشهر الحرم فمن وجد فى غيرها أصيب منه الا أن يكون مشعرا بدنة أوسائقا هديا أومقلدا نفسه أو بعيره من لحاء شجر الحرم أومحرما فلايتعرض لهؤلاء فأمر الله المسلمين باقرار هذه الامنة على ما كانت لضرب من المصلحة الى أن نسخها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله (يبتغون فضلا من ربهم) أى ربحا بالتجارة (ورضوانا) بالحج على زعمهم (واذا حللتم) أى من الاحرام (فاصطادوا) أمر اباحة (ولايجرمنكم شنآن قوم) أى ولايحملنكم بغض قوم يعنى أهل مكة (أن صدوكم عن المسجد الحرام) يعنى عام الحديبية (أن تعتدوا) أى على حجاج اليمامة فتستحلوا منهم محرما (وتعاونوا) أى ليعن بعضكم بعضا (على البر) وهوماأمرت به (والتقوى) أى ترك مانهيت عنه (ولاتعاونوا على الاثم) يعنى معاصى الله (والعدوان) أى التعدى فى حدوده ثم حذرهم فقال (واتقوا الله) أى ولا تستحلوا محرما (ان الله شديد العقاب) أى اذاعاقب (حرمت عليكم الميتة)

الحيوان حتف أنفه احتبس الدم فى عروقه وتعفن وفسدوحصل من أكله مضار عظيمة (والدم) أى السائل منه فخرج الكبد والطحال وكان أهل الجاهلية يملأون الامعاء من الدم بصبه فيها ويشوونه و يطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال أهل العلم الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذى فلابد ان يحصل للمغتذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم و رغبة شديدة فى المشتهيات فحرم أكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ولذلك ان الفرنج لما واظبوا على أكل لحم الخنزير أورثهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة فى المشتهيات وأورثهم عدم الغيرة فان الخنزير يرى الذكر من الخنازير ينزو على الأنثى التى هى له ولا يتعرض له لعدم الغيرة وأما الشاة فانها حيوان فى غاية السلامة فكأنها ذات عارية عن جميع الأخلاق فلذلك لا يحصل للانسان بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان (وما أهل لغير الله به) أى ومارفع الصوت لغير الله عند ذبحه وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى (والمنخنقة) أى التى ماتت بانعصار الحلق فالمنخنقة على وجوه منها ان أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فاذا ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل الصائد ومنها مايدخل رأسها بين عودين فى شجرة فتختنق فتموت (والموقوذة) أى المضروبة الى أن ماتت و يدخل فى الموقوذة ما رمى بالبندق فمات وهى فى معنى الميتة و فى معنى المنخنقة لأنها ماتت ولم يسل دمها (والمتردية) أى الساقطة من علو الى سفل فماتت و يدخل فيها ما اذا أصابه سهم وهو فى الجبل فسقط على الأرض فانه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ولو رمى صيدا فى الهواء بسهم فأصابه فان سقط على الأرض ومات حل لأن الوقوع على الأرض من ضرورته وان سقط على شجر أو جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لأنه من المتردية الا أن يكون السهم ذبحه فى الهواء فيحل كيفما وقع لأن الذبح قد حصل قبل التردية (والنطيحة) أى التى ماتت بنطح شاة أخرى وانما دخلت الهاء فى النطيحة لأنها صفة لمؤنث غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت قتيلة بنى فلان بالهاء لأنك ان لم تدخل الهاء لم يعرف المقتول أرجل هو أم امرأة بخلاف ما اذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حينئذ كقولهم كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل وخصت الشاة لأنها من أعم ما يأكله الناس والكلام يمشى على الأغلب و يكون المراد الكل (وما أكل السبع) منه فمات وهى فريسة السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقى فحرمه الله تعالى (الا ما ذكيتم) أى الا ما أدركتم ذكاته وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والا فلا يحل بتذكية لأن موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على التذكية من الخنق وأكل السبع وغيرهما (وما ذبح على النصب) أى على اعتقاد تعظيم النصب وقال ابن جريج النصب ليس بأصنام فان الأصنام أحجار مصورة منقوشة وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء و يضعون اللحوم عليها و يعدون ذلك الذبح قربة فقال المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه وكان النبى ﷺ لم ينكره فأنزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها (وأن تستقسموا بالأزلام) أى وحرم عليكم طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح وذلك أنهم اذا قصدوا سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا آخر من معاظم الأمور ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث خال عن الكتابة فان خرج الأمر أقدم على الفعل وان خرج النهى أمسك وان خرج الغفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أى الاستقسام بالازلام (فسق) أى خروج عن الطاعة

سبق تفسير هذه الآية فى سورة البقرة الى قوله (والمنخنقة) وهى التى تخنق فتموت بأى وجه كان (والموقوذة) المقتولة ضربا (والمتردية) التى تقع من أعلى الى أسفل فتموت (والنطيحة) التى قتلت نطحا (وما أكل) منه (السبع) فالباقى حرام ثم استثنى ما تدرك ذكاته من جميع هذه المحرمات فقال (الا ما ذكيتم) أى الا ما ذبحتم (وما ذبح على النصب) أى على اسم الصنم فهو حرام (وان تستقسموا) أى تطلبوا علم ما قسم لكم من الخير والشر (بالأزلام) أى القداح التى كان أهل الجاهلية يجيلونها اذا أرادوا أمرا (ذلكم) أى الاستقسام بالازلام (فسق) أى خروج عن الحلال الى الحرام

لانه

لانه طلب لمعرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة وذلك ضلال باعتقاد أنه طريق الى الدخول فى علم الغيب وافتراء على الله تعالى ان كان مرادهم ربى هو الله تعالى وقال قوم آخرون انهم كانوا يحملون تلك الأزلام عند الأصنام و يعتقدون أن ما يخرج من الأمر والنهى على تلك الأزلام فبارشاد الأصنام واعانتهم فلهذا السبب كان ذلك فسقا أى شركا وجهالة وهذا القول أولى وأقرب كما قاله الفخر (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أى هذا الزمان انقطع رجاء كفار مكة من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا المشركين فى خلافكم اياهم فى الشرائع والأديان فانى أنعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلين عندكم (واخشون) أى ومحضوا الخشية لى وحدى فى ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم أكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الأديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأتممت عليكم نعمتى) بفتح مكة ودخولها آمنين و بانفراد المسلمين بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حج المسلمون لا يخالطهم المشركون (ورضيت لكم الاسلام دينا) أى اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين المرضى عند الله تعالى لا غير (فمن اضطر) الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) أى مجاعة يخاف معها الموت (غير متجانف لاثم) أى غير متعمد لاثم بأن يأكلها فوق الشبع تلذذا كما قاله أهل العراق أو بأن يكون عاصيا بسفره كما قاله أهل الحجاز (فان الله غفور) لمن أكل المحرم عند ما اضطر الى أكله (رحيم) بعباده حيث أحل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى أكله (يسألونك ماذا أحل لهم) من الصيد والسائلون عاصم بن عدى وسعد بن خيثمة وعويمر بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما أخرجه ابن جرير وقال ابن عباس والسائل بذلك زيد بن مهلهل الطائى وعدى بن حاتم الطائى وكانا صيادين وكذا قال سعيد بن جبير أخرجه ابن أبى حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو كل ما يشتهى عند أهل المروءة والاخلاق الجميلة مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه مالم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أى وأحل لكم صيد ما علمتموه من الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والباز (مكلبين) أى معلمين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة فى اشتراط التعليم وأن يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه موصوفا بالتأديب (مما علمكم الله) من طرق التعليم ومن الحيل فى الاصطياد (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى كلوا بعض ما أمسكنه لكم وهو الذى لم يأكل منه * روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أدركته ولم يقتل فاذبح واذكر اسم الله عليه وان أدركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك وان وجدته قد أكل فلا تطعم منه شيئا فانما أمسك على نفسه (واذكروا اسم الله عليه) أى سموا على ما علمتم من الجوارح عند ارساله على الصيد كما قال ﷺ لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل أو سموا على ما أمسكن عند ذبحه وقيل المعنى سموا على أكل الصيد * روى أنه ﷺ قال لعمر بن أبى سلمة سم الله وكل مما يليك

(اليوم) يعنى يوم عرفة (أكملت لكم) أحكام (دينكم) فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام (وأتممت عليكم نعمتى) بدخول مكة آمنين كما وعدتكم (فمن اضطر) الى ما حرم مما ذكر فى هذه الآية (فى مخمصة) أى مجاعة (غير متجانف لاثم) أى غير متعرض لمعصية وهو أن يأكل فوق الشبع أو يكون عاصيا بسفره (فان الله غفور) له ما أكل مما حرم عليه (رحيم) أى بأوليائه حيث رخص لهم (يسألونك ماذا أحل لهم) سأل عدى بن حاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا نصيد بالكلاب والبزاة وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية (قل أحل لكم الطيبات) أى ما تستطيبه العرب وهذا هو الأصل فى التحليل فكل حيوان استطابته العرب كالضباب والارانب واليرابيع فهو حلال وما استخبثته العرب فهو حرام (وما علمتم) يعنى وصيد ما علمتم (من الجوارح)

وهى الكواسب من الطير والكلاب والسباع (مكلبين) أى معلمين اياها الصيد (تعلمونهن) أى تؤدبونهن لطلب الصيد (مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم) أى هذه الجوارح وان قتلن أى اذا لم يأكلن منه فان أكلن منه فالظاهر أنه حرام (واذكروا اسم الله عليه) أى عند ارسال الجوارح

(واتقوا الله) أى واحذروا المخالفة أمر الله فى تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (ان الله سريع الحساب) فانه تعالى يؤاخذكم سريعا فى كل ما جل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات) أى المستلذات المشتهيات لأهل المروءة والاخلاق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا أكل ذبائح من تمسكوا بالتوراة والانجيل اذا حلت المناكحة بيننا وبينهم فحل الذبيحة تابع لحل المناكحة ولو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله تعالى كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته بخلاف من تمسكوا بغير التوراة والانجيل كصحف ابراهيم فلا تحل ذبائحهم واتفق العلماء على أن المجوس قد سن بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وروى عن ابن المسيب أنه قال اذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسى أن يذكر الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وان أمره بذلك فى الصحة فلا بأس (وطعامكم حل لهم) فيحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وتبيعوه منهم (والمحصنات) أى الحرائر العفائف (من المؤمنات) أى حل لكم وذكرهن للحمل على ما هو الأولى لا للنفى ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف وأما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبى حنيفة خلافا للشافعى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى هن حل لكم أيضا وان كن حربيات قال الكثير من الفقهاء انما يحل نكاح الكتابية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فمن دان بذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح أهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا فى دين أهل الكتاب بعد نسخه (اذا آتيتموهن أجورهن) وتقييد التحليل باعطاء المهور يدل على تأكد وجوبها وعلى أن الأكمل بيانها لا هو شرط لصحة العقد اذ لا تتوقف على دفع المهر ولا على التزامه ومن تزوج امرأة وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان فى صورة الزانى وتسمية المهر بالأجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كما أن أقل الأجر لا يتقدر فى الاجارات (محصنين) أى متزوجين (غير مسافحين) أى غير معلنين بالزنا (ولا متخذى أخدان) أى ولا مسرين بالزنا بهن لهاحليل (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) أى ومن يكفر بشرائع الله وبتكاليفه فقد بطل ثواب عمله الصالح سواء عاد الى الاسلام أولا (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا لم يعد الى الايمان بما نزل فى القرآن حتى يموت على الكفر أما اذا عاد الى الايمان بذلك قبل الموت فان عمله لا يبطل فلا يجب اعادة صلاة وحج قد أتاهما قبل الردة (يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أى اذا أردتم الاشتغال باقامة الصلاة وأنتم على غير وضوء (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب الماء على المرفق حتى سال الماء الى الكف فلا يجوز لانه تعالى جعل المرافق غاية الغسل فجعله مبدأ الغسل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان ذلك لا يخل بصحة الوضوء الا أنه يكون تركا للسنة (وامسحوا برءوسكم) قيل الباء فارقة بين حمل المسح بالكل والبعض كما فى قولك مسحت المنديل ومسحت يدى بالمنديل فقولك مسحت المنديل لا يصدق الا عند مسحه بالكلية وقولك مسحت بالمنديل يكفى فى صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل وتحقيق هذه الباء أنها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر عنه بالجر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم فى رواية حفص عنه بالنصب أما القراءة بالجر فهى معطوفة على الرؤس فكما يجب المسح فى الرؤس كذلك فى الأرجل وانما عطفت الأرجل على الممسوح للتنبيه على

(اليوم أحل لكم الطيبات) أى التى سألتم عنها (وطعام الذين أوتوا الكتاب) وهو اسم لجميع ما يؤكل (حل لكم وطعامكم حل لهم) أى حل لكم أن تطعموهم (والمحصنات) أى العفائف (من المؤمنات والمحصنات) أى الحرائر (من الذين أوتوا الكتاب) أى من أهل الكتاب (اذا آتيتموهن أجورهن) يعنى مهورهن (محصنين) أى متزوجين (غير مسافحين) أى معالنين بالزنا (ولا متخذى أخدان) أى مسرين بالزنا بهن (ومن يكفر بالايمان) أى بالله الذى يجب الايمان به (فقد حبط عمله) أى اذا مات على ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) أى ممن خسر الثواب (يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أى اذا أردتم القيام اليها (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) أى مع المرافق (وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) وهما العظمان الناشزان من جانبى القدم

الاسراف فى استعمال الماء فيها لأنها موضع صب الماء كثيرا والمراد غسلها أو مجرورة بحرف جر محذوف متعلق بفعل محذوف تقديره وافعلوا بأرجلكم غسلا وحذف حرف الجر وابقاء الجر جائز ولا يجوز هذا الكسر على الجوار على أنه منصوب فى المعنى عطف على المغسول لأنه معدود فى اللحن الذى قد يحمل لأجل الضرورة فى الشعر ويجب تنزيه كلام الله عنه ولأنه يرجع اليه عند حصول الأمن من الالتباس كما فى قول الشاعر * كبير اناس فى بجاد مزمل * وفى هذه الآية لا يحصل الأمن من الالتباس ولأنه انما يكون بدون حرف العطف وأما القراءة بالنصب فهى اما معطوفة على الرءوس لأنه فى محل النصب والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنحاة واما معطوفة على وجوهكم فظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب فى قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا أو قوله تعالى فاغسلوا فاذا اجتمع العاملان على معمول واحد كان الأولى اعمال الأقرب حتى ان بعضهم لا يجوز أن يكون العامل فاغسلوا لما يلزم عليه من الفصل بين المتعاطفين بجملة مبينة حكما جديدا ليس فيها تأكيد للأول وليست هى اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب فى قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على وجوب مسح الأرجل لكن الأخبار الكثيرة وردت بايجاب الغسل وهو مشتمل على المسح ولا ينعكس فكان الغسل أقرب الى الاحتياط فوجب الرجوع اليه ويجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها وأيضا ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء فى الغسل لا فى المسح وهذا جواب لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الرجل بالأخبار لأنها بأسرها من باب الآحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز (وان كنتم جنبا فاطهروا) أى فاغتسلوا ولحصول الجنابة سببان نزول المنى والتقاء الختانين فختان الرجل هو الموضع الذى يقطع منه جلدة القلفة وشفر المرأة محيطان بثلاثة أشياء ثقبة فى أسفل الفرج وهى مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة أخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهى مخرج البول لا غير وموضع ختانها وهو فوق ثقبة البول وهناك جلدة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها ختانه (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء كجراحة أو جدرى (أو على سفر) أى مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط) أى الموضع الذى يقضى فيه حاجة الانسان التى لا بد منها (أو لامستم النساء) بذكر أو غيره (فلم تجدوا) يامعشر المسافرين والمحدثين حدثا أصغر أو أكبر (ماء) بعد طلبه (فتيمموا صعيدا طيبا) أى فاقصدوا ترابا نظيفا (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الأولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) أى التراب (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن يريد ليطهركم) أى ليطهر قلوبكم عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصى نجاسات للأرواح وذلك لأنه تعالى لما أمر العبد بايصال الماء الى هذه الأعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يعرف العبد فى هذا التكليف فائدة معقولة فلما انقاد لهذا التكليف كان ذلك الانقياد لمحض اظهار العبودية فأزال هذا الانقياد عن قلبه آثار التمرد فكان ذلك طهارة (وليتم نعمته عليكم) ببيان كيفية الطهارة وهى نعمة الدين بعد ذكر نعمة الدنيا وهى اباحة الطيبات من المطاعم والمناكح أو بالترخص فى التيمم والتخفيف فى حال السفر والمرض فاستدلوا بذلك على أنه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم ويتجاوز عن سيئاتكم (لعلكم تشكرون) نعمته (واذكروا نعمة الله عليكم) أى تأملوا فى جنس نعم الله عليكم وهو اعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والايصال الى جميع الخيرات فى الدنيا والآخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله فمتى كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال

(وان كنتم جنبا فاطهروا) أى فاغتسلوا (وان كنتم مرضى) مفسر فى سورة النساء الى قوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى من ضيق فى الدين ولكن جعله واسعا بالرخصة فى التيمم أى (ولكن يريد ليطهركم) أى من الاحداث والجنابات والذنوب لأن الوضوء يكفر الذنوب (وليتم نعمته عليكم) ببيان الشرائع (لعلكم تشكرون) نعمتى فتطيعوا أمرى (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أى بالاسلام

بشكرها أتم (وميثاقه الذى واثقكم به) بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وهو المواثيق التى جرت بين رسول الله والمسلمين فى أن يكونوا على السمع والطاعة فى المحبوب والمكروه مثل مبايعته صلى الله عليه وسلم مع الانصار فى أول الأمر ليلة العقبة ومبايعته صلى الله عليه وسلم مع عامة المؤمنين بيعة الرضوان تحت الشجرة فى الحديبية وغيرهما وقال السدى المراد بالميثاق الدلائل العقلية والشرعية التى نصبها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر المتكلمين (واتقوا الله) فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه ( ان الله عليم بذات الصدور ) فلا تعزموا بقلوبكم على نقض تلك العهود فانه ان خطر ببالكم فالله يعلم ذلك وكفى بالله مجازيا (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) بأن تقوموا لله بالحق فى كل مايلزمكم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) فلا تشهدوا بأمر مخالف للواقع بل اشهدوا بما فى نفس الأمر والتكاليف محصورة فى نوعين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين اشارة الى النوع الأول وهو حقوق الله وقوله تعالى شهداء بالقسط اشارة الى الثانى وهو حقوق الخلق (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) أى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان أساؤا عليكم والمعنى ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا الا على سبيل الانصاف وترك الاعتساف (اعدلوا) فى عدوكم ووليكم (هو) أى العدل ( أقرب للتقوى ) أى الى الاتقاء من معاصى الله تعالى أو الى الاتقاء من عذاب الله (واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه شىء من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل والتقوى (لهم مغفرة) أى اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو ايصال الثواب وجملة قوله لهم مغفرة بيان للوعد لا محل لها فكأنه قيل وأى شىء وعده فقال المجيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملازموها وهذه الجملة مستأنفة أتى بها جمعا بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله) أى كونوا مواظبين على طاعة الله تعالى ولا تخافوا أحدا فى اقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وسبب نزول هذه الآية وجهان الاول أنها نزلت فى واقعة عامة وذلك أن المشركين فى أول الأمر وهو فى ضعف المسلمين يريدون ايقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم الى أن قوى الاسلام وعظمت شوكة المسلمين الثانى أنها نزلت فى واقعة خاصة وفى هذا ثلاثة أوجه * الأول انها نزلت فى شأن يهود من بنى قريظة أو بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا دخلوا عليهم وقد كانوا عاهدوا النبى على ترك القتال وعلى أن يعينوه فى الديات فطلب منهم مالا قرضا لدية رجلين مسلمين أو معاهدين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين أو حربيين فقالوا اجلس حتى نطعمك ونعطيك ماتريد ثم هموا بالفتك برسول الله وبأصحابه فجاء عمرو بن جحاش برحى عظيمة ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم بموافقتهم فأمسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقام فى الحال مع أصحابه وخرجوا الى المدينة * والثانى عن قتادة انها نزلت فى قوم من العرب وهم بنو ثعلبة وبنو محارب أرادوا الفتك به صلى الله عليه وسلم وهو فى غزوته فأرسلوا أعرابيا ليقتله ببطن نخل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه عنه يستظلون فى شجر العضاه وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابى وسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه وقال يا محمد من يمنعك منى قال صلى الله عليه وسلم

(وميثاقه الذى واثقكم به) أى حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى كل ما أمر ونهى وهو قوله (اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) أى بخفيات القلوب (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) تقومون له بكل حق يلزمكم القيام به ( شهداء بالقسط ) أى تشهدون بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) أى ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل أى اعدلوا فى الولى والعدو (هو) أى العدل ( أقرب للتقوى) أى لاتقاء النار (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ) الآية يعنى ما أنعم الله على نبيه حين أتى اليهود هو وجماعة من أصحابه يستعينون بهم فى دية فتآمروا بينهم أن يطرحوا عليهم رحى فأعلمهم الله بذلك حتى خرجوا ثم أخبر عن نقض بنى اسرائيل عهد الله كما نقضت هذه الطائفة العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هموا بالاغتيال به فقال

الله قالها ثلاثا فأسقطه جبريل من يده فأخذه النبي ﷺ وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفي رواية ان الأعرابي قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم تذكير نعمة الله عليهم بدفع الشر عن نبيهم فانه لو حصل ذلك لكان من أعظم المحن * والثالث انها نزلت في شأن المشركين انهم رأوا رسول الله وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أنمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه ﷺ وذلك ان المسلمين قاموا الى صلاة الظهر بالجماعة فلما صلوا ندم المشركون في عدم اكبابهم عليهم وقالوا ليتنا أوقعنا بهم في أثناء صلاتهم فقيل لهم ان للمسلمين بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وآبائهم فهموا بأن يوقعوا بهم اذا قاموا الى صلاة العصر فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أي اقرارهم أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) وهو المسند اليه أمور القوم وتدبير مصالحهم * روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله تعالى بالسير الى أريحاء أرض الشام وقد سكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله تعالى من كل سبط رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم والنقباء الاثنا عشر كما قال ابن اسحاق هم شموع وشوفط وكالب وبعورك ويوشع ويعلى وكرابيل وكدي وعمابيل وستور ويحي وآل ثم ان هؤلاء النقباء بعثوا الى مدينة الجبارين الذين أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك الى نبيهم موسى عليه السلام فلما ذهبوا اليهم رأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب ويوشع وهما اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يخافون الآية (وقال الله) لهؤلاء النقباء (اني معكم) بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على ايصال الجزاء اليكم (لئن أقمتم الصلاة) أي التي فرضت عليكم (وآتيتم الزكاة) أي زكاة أموالكم (وآمنتم برسلي) أي بجميعهم (وعزرتموهم) أي نصرتموهم بالسيف على الأعداء (وأقرضتم الله قرضا حسنا) أي صادقا من قلوبكم والمراد بهذا الاقراض الصدقات المندوبة وخصها بالذكر تنبيها على شرفها وعلو مرتبتها (لأكفرن عنكم سيئاتكم) وهذا اشارة الى ازالة العقاب (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وهذا اشارة الى ايصال الثواب (فمن كفر بعد ذلك) أي بعد أخذ الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ الطريق المستقيم الذي هو الدين الذي شرعه الله تعالى لهم (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي بسبب نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتمان صفة محمد ﷺ لعناهم أخرجناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي منصرفة عن الانقياد للدلائل وقرأ حمزة والكسائي قسية بغير ألف بعد القاف وتشديد الياء أي رديئة يابسة بلا نور (يحرفون الكلم عن مواضعه) يغيرون نعت محمد ﷺ وحكم الرجم بعد بيانه في التوراة (ونسوا حظا مما ذكروا به) أي تركوا بعضا مما أمروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد ﷺ (ولا تزال) يا أشرف الخلق (تطلع على خائنة منهم) أي تظهر على خيانة صادرة من بني قريظة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو الذين بقوا على الكفر لكنهم بقوا على العهد ولم يخونوا فيه (فاعف عنهم) أي لا تعاقبهم (واصفح) أي أعرض عن صغائر زلاتهم

(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) على أن يعملوا بما في التوراة (وبعثنا) أي وأقمنا بذلك (منهم اثني عشر نقيبا) أي كفيلا وأمينا ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد (وقال الله) لهم (اني معكم) بالعون والنصرة (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم) أي وقرتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) يريد الصدقات للفقراء والمساكين (فمن كفر بعد ذلك) أي بعد هذا العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ قصد الطريق (فبما نقضهم) أي فبنقضهم (ميثاقهم) وهو أنهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الأنبياء وضيعوا كتاب الله (لعناهم) أي أخرجناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي يائسة عن الايمان (يحرفون الكلم) أي يغيرون كلام الله عن مواضعه من صفة محمد ﷺ في كتابهم وآية الرجم (ونسوا حظا مما ذكروا به) أي وتركوا نصيبا مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد ﷺ (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة) أي خيانة (منهم)

يعني مثل ما خانوك حين هموا بقتلك (الا قليلا منهم) يعني من أسلم (فاعف عنهم واصفح) منسوخ بآية السيف

(ان الله يحب المحسنين) أى المتجاوزين (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) أى كما أخذنا ميثاق اليهود (فنسوا حظا مما ذكروا
به) أى فتركوا ما أمروا به من الايمان  بمحمد ﷺ (فأغرينا بينهم) أى فألقينا بينهم يعنى بين اليهود والنصارى

(العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وعيد لهم ثم دعاهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد ﷺ (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تكتمون مما فى التوراة والانجيل كآية الرجم وصفة محمد ﷺ (ويعفوا عن كثير) أى ويتجاوز عن كثير فلا يخبركم بكتمانه (قد جاءكم من الله نور) يعنى النبى ﷺ (وكتاب مبين) يعنى القرآن فيه بيان لكل ما يختلفون فيه (يهدى به الله) يعنى بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أى اتبع ما رضيه الله من تصديق محمد ﷺ (سبل السلام) أى طرق السلامة التى من سلكها سلم فى دينه (ويخرجهم من الظلمات الى النور) أى من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) أى بتوفيقه وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) وهو الاسلام (لقد كفر الذين

ماداموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) الى الناس قال ابن عباس اذا عفوت فأنت محسن واذا كنت محسنا فقد أحبك الله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) فى الانجيل باتباع محمد وبيان صفته وأن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا كما أخذنا الميثاق على بنى اسرائيل اليهود (فنسوا حظا مما ذكروا به) أى تركوا نصيبا عظيما مما أمروا به فى الانجيل من الايمان ونقضوا الميثاق (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) أى ألصقنا بين نصارى أهل نجران العداوة بالقتل والبغضاء فى القلب بعد أن جعلناهم فرقا أربعة نسطورية والملكانية واليعقوبية والرقوسية فان بعضهم يكفر بعضا الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) أى يخبرهم فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) من المخالفة والخيانة والكتمان فيجازيهم عليه (ياأهل الكتاب) أى يامعشر اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد أفضل الخلق (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تكتمون من التوراة والانجيل كنعت محمد وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بأحمد فى الانجيل (ويعفوا عن كثير) أى لا يظهر كثيرا مما تكتمونه اذا لم تدع حاجة دينية الى اظهاره (فقد جاءكم من الله نور) أى رسول وهو محمد ﷺ (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه من ابانة ما خفى على الناس من الحق (يهدى به) أى بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذى يرتضيه الله تعالى (سبل السلام) أى الى طرق السلامة من العذاب وهو دين الاسلام وهذا منصوب بنزع الخافض لأن يهدى يتعدى الى الثانى بالى أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أى ظلمات فنون الكفر (الى النور) أى نور الايمان (باذنه) أى بتوفيقه والباء تتعلق باتبع ولا يجوز أن تتعلق بيهدى ولا بيخرج اذ لا معنى لها حينئذ فدلت الآية على أنه لا يتبع رضوان الله الا من أراد الله منه ذلك (ويهديهم الى صراط مستقيم) أى يثبتهم على ذلك الدين بعد اجابة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا) وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد يحل فى بدن انسان معين أو فى روحه وقيل لم يصرح بها أحد منهم ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا اتصاف عيسى بصفاته الخاصة أى بأنه يخلق ويحيى ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (فمن يملك من الله شيئا) أى فمن الذى يقدر على دفع شىء من أفعال الله تعالى ومنع شىء من مراده (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا) أى ان عيسى مماثل لمن فى الأرض فى الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والأحوال فلما سلمتم كونه تعالى خالقا للكل مدبرا للكل وجب أن يكون أيضا خالقا لعيسى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء) فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والأرض وتارة أخرى يخلق من أصل كخلق ما بينهما فينشىء من أصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن أصل من جنسه اما من ذكر وحده كخلق حواء أو من أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شىء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص على يده أيضا فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لا الى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شىء قدير) واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود) أى يهود أهل المدينة (والنصارى) أى نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله

قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) يعنى الذين اتخذوه إلها (قل فمن يملك من الله شيئا) أى فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئا (ان أراد أن يهلك المسيح) أى يعذبه ولو كان إلها لقدر على دفع ذلك (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه

وأحباؤه) أي أن اليهود لما زعموا أن عزيرا ابن الله والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن عزيرا والمسيح كانا منهم صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله كما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك فالمراد بأبناء الله خاصته وقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحباؤه والذى قال تلك الكلمة من اليهود نعمان و بحرى وشاس (قل) لهم يا أكرم الخلق الزاما وتبكيتا (فلم يعذبكم بذنوبكم) أى ان صح ما زعمتم فلأى شىء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والأسر والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم فى الآخرة أياما بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لأن الأب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه (بل أنتم بشر ممن خلق) أى لستم كذلك بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله وتابوا من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله وماتوا على اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملكه هكذا وقدرته هكذا فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقا واجبا (واليه المصير) فى الآخرة فيجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (يا أهل الكتاب) أى يا أهل التوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) محمد ﷺ (يبين لكم) أى مبينا لكم الشرائع (على فترة من الرسل) أى على حين انقطاع من الأنبياء فروى عن سلمان أنه قال فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة أخرجه البخارى وكان بينهما أربعة من الأنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وواحد من العرب وهو خالد بن سنان وقال فى حقه نبينا ﷺ نبى ضيعه قومه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) أى انما بعثنا اليكم الرسول فى وقت فترة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذا سئلتم عن أعمالكم يوم القيامة ما جاءنا بشير بالجنة ولا نذير بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها فلا تعتذروا بذلك (فقد جاءكم بشير) كامل البشارة (ونذير) كامل النذارة (والله على كل شىء قدير) فكان قادرا على الارسال تترى كما أرسل الرسل بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الأنبياء فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه الى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فانهم كانوا على قول الأكثرين أنبياء (وجعلكم ملوكا) فقد تكاثر فيهم الملوك ثم ان أقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك قال السدى أى وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعدما كنتم فى أيدى القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلا بأمر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا فى مصالحه الى أحد فهو ملك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال كثيرة فمن كان كذلك كان ملكا وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال قتادة سموا ملوكا لأنهم كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة يأوى اليها ومسكن يسكنه فهو غنى ثم ان كان له خادم بعد ذلك فهو من الملوك (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وايراث أموالهم وانزال المن والسلوى واخراج المياه العذبة من الحجر وتظليل الغمام فان ذلك لم يوجد فى غير بنى اسرائيل (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أى المباركة

---

وأحباؤه) أما اليهود فانهم قالوا ان الله من حدبه وعطفه علينا كالأب المشفق وأما النصارى فانهم تأولوا قول عيسى اذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك وأراد أنه فى بره ورحمته بعباده الصالحين كالأب الرحيم وقيل أرادوا نحن أبناء رسله وانما قالوا هذا حين حذرهم النبى ﷺ عقوبة الله فقال الله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى فلم عذب من قبلكم بذنوبهم كأصحاب السبت وغيرهم (بل أنتم بشر ممن خلق) أى كسائر بنى آدم (يغفر لمن يشاء) أى لمن تاب من اليهودية (ويعذب من يشاء) أى من مات عليها وقوله (على فترة من الرسل) أى على انقطاع من الأنبياء (أن تقولوا) أى لئلا تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) وقوله (وجعلكم ملوكا) أى وجعل لكم الخدم والحشم وهم أول من ملك الخدم من بنى آدم (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) أى من فلق البحر واغراق عدوكم والمن والسلوى وغير ذلك (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) يعنى الشام وذلك أنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا للأنبياء

( التى كتب الله لكم) أى وهبها الله لكم ميراثا من أبيكم ابراهيم عليه السلام روى أن سيدنا ابراهيم
عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك
وكان بنو اسرائيل يسمون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والأرض هى الطور وماحوله (ولا
ترتدوا على أدباركم) أى لاترجعوا الى خلفكم أى الى مصر خوف العدو (فتنقلبوا خاسرين) فى الدين
والدنيا لأنهم صاروا شاكين فى صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالالهية والنبوة فان موسى
قد أخبر أن الله تعالى جعل تلك الأرض لهم فكان ذلك وعدا بأن الله تعالى ينصرهم على العدو ولأن
الله تعالى منعهم عن المن والسلوى ثم بعث موسى عليه السلام اثنى عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن
أحوال تلك الأراضى فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة ثم انصرفوا الى موسى عليه
السلام فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتموا ماشاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلان منهم وهما يوشع
وكالب فانهما سهلا الأمر وقالا هى بلاد طيبة كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضعيفة وان كانت
أجسامهم عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أوقعوا الجبن فى قلوب الناس حتى أظهروا الامتناع من
غزوهم ورفعوا أصواتهم بالبكاء (قالوا ياموسى ان فيها) أى فى الطور وأريحا أو دمشق وفلسطين كما
روى كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوما جبارين) أى طوالا عظاما أقوياء فلا تصل أيدى
قوم موسى اليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منا فانه
لاطاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب ليس منا (فانا داخلون) قالوا هذا على سبيل
الاستبعاد (قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله تعالى فى مخالفة أمره ونهيه (أنعم الله
عليهما) بالهداية والثقة بعون الله والاعتماد على نصرة الله وهما يوشع بن نون وهو الذى نبىء بعد موسى
وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوقنا ختن موسى وهو بفتح اللام وكسرها وقيل هما رجلان من
الجبابرة أسلما واجتمعا مع موسى والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف والتقدير
قال رجلان من الجبابرة الذين يخافهم بنو اسرائيل وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالايمان فآمنا
ويشهد لهذا الوجه قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبنى للمفعول (ادخلوا عليهم الباب) أى باب بلدهم
أى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا (فاذا
دخلتموه) أى باب بلدهم (فانكم غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا شاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وان
كانت أجسامهم عظيمة وانما جزم هذان الرجلان بالغلبة لأنهما كانا جازمين بنبوة موسى فلما أخبرهم
موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول فى تلك الأرض قطعا بأن النصرة لهم والغلبة حاصلة فى جهتهم (وعلى
الله فتوكلوا) فى حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولاتعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (ان
كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الاله القادر مصدقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن
ندخلها) أى أرض الجبارين (أبدا ماداموا فيها) أى أرضهم (فاذهب أنت وربك) انما قالوا هذه المقالة
على وجه التمرد عن الطاعة أى على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقاتلا) هم (اناههنا قاعدون) عن
القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عنادا على طريق الحزن والشكوى الى الله تعالى (رب انى لاأملك
الا نفسى وأخى) هرون أى لاأملك التصرف ولا ينفذ أمرى الا فى نفسى وأخى وانما قال ذلك تقليلا لمن
يوافقه ويجوز أن يكون المعنى الا نفسى ومن يواخينى فى الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أى
احكم لنا بما نستحقه واحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو فى معنى الدعاء عليهم
(قال) الله ياموسى (فانها) أى الأرض المقدسة (محرمة عليهم) أى ممنوع عليهم الدخول فيها

(التى كتب الله لكم) أى
أمركم بدخولها (ولاترتدوا
على أدباركم) أى لاترجعوا
الى دينكم الشرك بالله
(قالوا ياموسى ان فيها قوما
جبارين) أى طوالا ذوى
قوة وكانوا من بقايا عاد
يقال لهم العمالقة (قال
رجلان) وهما يوشع
وكالب (من الذين يخافون)
الله أى فى مخالفة أمره
(أنعم الله عليهما) أى
بالفضل واليقين (ادخلوا
عليهم الباب) الآية وانما
قالا ذلك تيقنا بنصر الله
وانجاز وعده لنبيه فخالفوا
نبيهم وعصوا أمر الله وأتوا
من القول بما فسقوا به وهو
قوله (قالوا ياموسى انا لن
ندخلها) الى آخر الآية فقال
موسى عند ذلك (لاأملك
الا نفسى وأخى) يقول لم
يطعنى منهم الا نفسى وأخى
(فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين) أى فاقض بيننا
وبين القوم العاصين فحرم
الله على الذين عصوا دخول
تلك القرية وحبسهم فى
التيه أربعين سنة حتى ماتوا
ولم يدخلها أحد من هؤلاء
وانما دخلها أولادهم وهو
قوله (قال فانها محرمة عليهم

(أربعين سنة يتيهون فى الارض) أى يتحيرون فى البرية وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى تسعة فراسخ عرضا فى ثلاثين فرسخا طولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بى حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا سنة أى كانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوما ولألقين جيفهم فى هذه القفار أى ومات أولئك العصاة فيها وأهلك النقباء العشرة فيها بعقوبات غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلون تلك الارض المقدسة اهـ قال ابن عباس وكلهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الانعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق التأديب وروى أن موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهما راحة وسلامة كالنار لابراهيم وللملائكة العذاب عليهم السلام وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم ومشاهدتهم لهما حال العقوبة أبلغ (فلا تأس) أى لا تحزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل ان موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيه ثم ان موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له لم دعوت علينا وندم موسى على ما عمل فأوحى الله اليه لا تأس على القوم الفاسقين فانهم أحقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) أى اذكر يا أكرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر ابنى آدم قابيل وهابيل ملتبسا بالصدق ليعتبروا به وهذه القصة دالة على أن كل ذى نعمة محسود فلما كانت نعم الله على سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع المكر فى حقه ﷺ حسدا منهم فكان ذكر هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وأقليما فى بطن ثم هابيل ولبودا فى بطن فان حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها وضعته مفردا عوضا عن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلاثون فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته أقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ويتزوج كل من الذكور غير توأمته وأمر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقليما أخت قابيل وهى أحسن من لبودا فذكر ذلك آدم فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال له آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بأقليما وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل قرب صبرة من قمح ردىء وهابيل قرب كبشا أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع الى الجنة فلم يزل يرعى فيها الى أن فدى به اسماعيل عليه السلام (اذ قربا) أى كل منهما (قربانا) وهو اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل فأضمر لأخيه الحسد الى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب فأتى قابيل لهابيل وهو فى غنمه (قال) لهابيل (لأقتلنك) فقال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك

أربعين سنة يتيهون فى الأرض) أى يتحيرون ولا يهتدون للخروج منها (فلا تأس على القوم الفاسقين) أى لا تحزن على هلاكهم وعذابهم (واتل عليهم) يعنى على قومك (نبأ) أى خبر (ابنى آدم) هابيل وقابيل (اذ قربا قربانا) تقرب الى الله هابيل بخير كبش فى غنمه فنزلت من السماء نار فاحتملته فهو الكبش الذى فدى به اسماعيل وتقرب الى الله قابيل بأردأ ما كان عنده من القمح وكان صاحب زرع فلم تحمل النار قربانه والقربان اسم لكل ما يتقرب به الى الله تعالى فقال الذى لم يتقبل منه (لأقتلنك) حسدا له فقال هابيل

وردقرباني وتريدأن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بأنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فـ(قال) هابيل وماذنبي (انمايتقبل الله من المتقين) أي ان حصول التقوى شرط في قبول القربان (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي اليك لأقتلك) أي والله لئن باشرت قتلي حسب ماأوعدتني به وتحقق ذلك منك ماأنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات (اني أخاف الله رب العالمين) في قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة ألق كمك على وجهك وكن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل (اني أريدأن تبوء باثمي واثمك) أي أن تحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضي الله عنهم (فتكون من أصحاب النار) أي فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روي أن الظالم اذا لم يجد يوم القيامة مايرضي خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم (فطوعت له) أي سهلت له (نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جريج لماقصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقدأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلم منه القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر روي عن عمرو بن خير الشعباني قال كنت مع كعب الاحبار على جبل دير مران فأراني لمعة حمراء سائلة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دمه جعله الله آية للعالمين (فأصبح) أي صار (من الخاسرين) بقتله دينا ودنيا لانه أسخط والديه و بقي مذموما الى يوم القيامة ولان له عقابا عظيما في الآخرة ولماقتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر مايصنع به لانه أول ميت من بني آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوما وقيل سنة (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) أي يحفر الحفيرة بمنقاره ورجليه بعدقتل صاحبه ثم ألقاه فيها وأثار التراب عليه فتعلم قابيل ذلك من الغراب (ليريه كيف يواري سوأة أخيه) واللام امامتعلقة ببعث حتما والضمير المستكن عائد الى الله تعالى أومتعلقة بيبحث أو ببعث والضمير راجع للغراب وكيف حال من ضمير يواري العائد الى قابيل كالضميرين البارزين وهو معمول ليواري وجملته معلقة للرؤية البصرية أو العرفانية المتعدية لمفعول قبل تعديتها بهمزة النقل و بعده لاثنين وحينئذ فكيف في محل المفعول الثاني سادة مسده والمراد بالسوأة الجسد لقبحه بعدموته (قال) أي قابيل (ياويلتا) أي ياهلاكي تعال وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظها لفظ النداء كأن الويل غيرحاضر له فناداه ليحضره أي أيها الويل احضر فهذا أوان حضورك (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي) أي فأغطي جسد أخي بالتراب أي لماقتل قابيل أخاه تركه بالعراء استخفافا به ولمارأى الغراب يدفن غرابا ميتارق قلبه وقال ان هذا الغراب لماقتل ذلك الآخر أخفاه تحت الارض أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب (فأصبح من النادمين) على حمله لهابيل على ظهره سنة لانه لم يعلم الدفن الامن الغراب وعلى قتله لانه لم ينتفع بقتله ولانه سخط عليه بسببه أبواه واخوته فكان ندمه لأجل هذه الأسباب لالكونه معصية وعلى استخفافه بهابيل بعد قتله لتركه في العراء فلمارأى أن الغراب دفن غرابا ميتاندم على قساوة قلبه وقال هذا أخي لحمه مختلط بلحمي ودمه مختلط بدمي فاذاظهرت الشفقة من الغراب على غراب ولم تظهر مني على أخي كنت دون الغراب في الرحمة والأخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الأسباب لالأجل الخوف من الله تعالى فلاينفعه ذلك الندم قيل لماقتل قابيل هابيل هرب الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار و يعبدها فان عبدتها أيضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو أول من

(انمايتقبل الله من المتقين) للمعاصي (لئن بسطت الى يدك) أي لئن بدأتني بالقتل فماأنا بالذي أبدأك بالقتل (اني أخاف الله) أي في قتلك (اني أريد أن تبوء باثمي واثمك) أي تحتمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي (فطوعت له نفسه قتل أخيه) أي سهلته وزينت له ذلك (فقتله فأصبح من الخاسرين) أي خسر دنياه باسخاط والديه وآخرته بسخط الله عليه فلماقتله لم يدر مايصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فحمله في جراب على ظهره (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) أي يثير التراب من الارض على غراب ميت (ليريه كيف يواري) أي كيف يستر (سوأة أخيه) أي جيفة أخيه فلما رأى ذلك (قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) أي على حمله والطواف به

عبد

عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك قط (من أجل ذلك) أى المذكور من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهى حصول خسارة الدين والدنيا وحصول الندم والحسرة والحزن فى القلب والجار والمجرور متعلق بكتبنا وهو ابتداء كلام فلا يوقف على اسم الاشارة فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور المفسرين وأصحاب المعانى ويروى عن نافع أنه كان يقف على اسم الاشارة ويجعله من تمام الكلام الأول فحينئذ الجار والمجرور متعلق بما قبله واسم الاشارة عائد على القتل أى من أجل ان قابيل قتل هابيل ولم يواره بالتراب (كتبنا) أى أوجبنا فى التوراة (على بنى اسرائيل أنه) أى الشأن (من قتل نفسا) واحدة من بنى آدم (بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أوفساد فى الأرض) أى أو بغير فساد يوجب اهدار الدم من كفر أوزنا أوقطع طريق وقرأ الحسن بنصب فساد باضمار فعل أى أوعمل فسادا (فكأنما قتل الناس جميعا) فى تعظيم أمر القتل العمد العدوان كما ان قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد فالمقصود مشاركة الأمرين فى الاستعظام وكيف لا يكون مستعظما وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذابا عظيما (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس) أى ومن خلص نفسا واحدة من المهلكات كالحرق والغرق والجوع المفرط والبرد والحر المفرطين قال ابن عباس أى وجبت له الجنة بعفوعن نفس كما لوعفا عن الناس (جميعا ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلنا بالبينات) أى المعجزات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض) أى بعد مجىء الرسل و بعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (لمسرفون) فى القتل لايبالون بعظمته فانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا يقتلون الأنبياء (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى انما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله أوانما مكافأة الذين يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون (و يسعون فى الأرض فسادا) أى يعملون فى الأرض مفسدين بالمعاصى وهو القتل وأخذ المال ظلما (أن يقتلوا) واحدا بعد واحد ان قتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون أحياء ثم يزج بطنهم برمح حتى يموتوا ان جمعوا بين أخذ المال والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى تقطع مختلفة بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ان اقتصروا على أخذ المال من مسلم أوذمى وكان المقدار بحيث لوقسم عليهم أصاب كلا منهم نصاب السرقة (أو ينفوا من الأرض) ان أخافوا السبل قال أبو حنيفة النفى من الأرض هو الحبس وهو اختيار أكثر أهل اللغة قالوا والمحبوس قد يسمى منفيا من الأرض لأنه لاينتفع بشىء من طيبات الدنيا ولذاتها ولايرى أحدا من أحبابه فصار منفيا عن جميع اللذات والشهوات والطيبات فكان كالمنفى فى الحقيقة وقال الشافعى هذا النفى محمول على وجهين الأول أن هؤلاء المحاربين اذا قتلوا وأخذوا المال فالامام ان أخذهم أقام عليهم الحدود ان لم يأخذهم طلبهم أبدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفى والثانى القوم الذين يحضرون الواقعة و يكثرون جمع هؤلاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ماقتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم و يعزرهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم من الأرض هو هذا الحبس لاغير قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى قوم هلال بن عويمر لانهم قتلوا قوما من بنى كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليسلموا فقتلوهم وأخذوا ما كان معهم من السلب وقيل نزلت فى قوم من عرينة وكانوا ثمانية نزلوا المدينة مظهرين للاسلام فمرضت أبدانهم واصفرت ألوانهم فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها

(من أجل ذلك) أى من سبب ذلك الذى فعل قابيل (كتبنا) أى فرضنا (على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أوفساد فى الأرض) أى شرك (فكأنما قتل الناس جميعا) يقتل كما لوقتلهم جميعا و يصلى النار كما يصلاها لو قتلهم (ومن أحياها) أى حرمها وتورع عن قتلها (فكأنما أحيا الناس جميعا) لسلامتهم منه لأنه لاتستحل دماؤهم (ولقد جاءتهم) يعنى بنى اسرائيل (رسلنا بالبينات) أى بأن لهم صدق ماجاءوهم به (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون) أى مجاوزون حد الحق (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى يعصونهما ولايطيعونهما يعنى الخارجين على الامام وعلى الامة بالسيف نزلت هذه الآية فى قصة العرنيين وهى معروفة تعليما لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة من فعل مثل فعلهم وقوله (و يسعون فى الأرض فسادا) أى بالقتل وأخذ الأموال (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) معنى أوههنا الاباحة فللامام أن يفعل ماأراد من هذه الأشياء ومعنى النفى من الأرض الحبس فى السجن لأن المسجون بمنزلة المخرج من الدنيا

(ذلك لهم خزى فى الدنيا) هوان وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهذا للكفار الذين نزلت فيهم الآية لأن العرنيين ارتدوا عن الدين والمسلم اذا عوقب فى الدنيا بجنايته صارت مكفرة عنه (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) أى آمنوا من قبل أن تعاقبوهم (فاعلموا أن الله غفور رحيم) لهم هذا فى المشرك المحارب اذا آمن قبل القدرة عليه يسقط عنه جميع الحدود فأما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه سقط عنه حق الله تعالى ولا تسقط عنه حقوق بنى آدم (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى عذاب الله بالطاعة (وابتغوا اليه الوسيلة) أى تقربوا اليه بطاعته (وجاهدوا) العدو (فى سبيله) أى فى طاعته (لعلكم تفلحون) كى تسعدوا وتبقوا فى الجنة (ان الذين كفروا) الآية ظاهرة (يريدون) أى يتمنون بقلوبهم (أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم

فيصحوا فلما شربوا وصحوا قتلوا الراعى مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه يسار النوبى وساقوا الابل وكانت خمسة عشر فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عشرين فارسا أميرهم كرز بن جابر الفهرى فى طلبهم فجىء بهم وأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم بأن أحمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب ضوءها وتركوا فى الحرة حتى ماتوا (ذلك) أى الحد (لهم خزى) أى هوان وفضيحة (فى الدنيا) اذا لم تحصل التوبة أما عند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة الاستخفاف بل يكون على جهة الامتحان (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أى أشد مما يكون فى الدنيا لمن لم يتب (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أى ان مايتعلق من تلك الاحكام بحقوق الله تعالى يسقط بعد هذه التوبة ومايتعلق منها بحقوق الآدميين لايسقط فهؤلاء المحاربون ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم كان ولى الدم على حقه فى القصاص والعفو الا أنه يزول وجوب القصاص بسبب هذه التوبة لا جوازه قصاصا وان أخذوا مالا وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا بين القتل وأخذ المال فيسقط وجوب القتل ويجوز استيفاؤه ويجب ضمان المال وعن على رضى الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ماكان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب القاطع بعد القدرة فالتوبة لاتنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعى رحمه الله ويحتمل أن يسقط كل حد لله بالتوبة لأن ماعزا لما رجم أظهر توبته فلما تمموا رجمه ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلا تركتموه وذلك يدل على أن التوبة تسقط عن المكلف كل مايتعلق بحق الله تعالى وهذا التفصيل انما يكون للمسلم أما ان كان القاطع كافرا سقطت عنه الحدود مطلقا لأن توبته تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) بفعل المأمورات (وجاهدوا فى سبيله) أى فى سبيل عبوديته وطريق الاخلاص فى معرفته وخدمته (لعلكم تفلحون) بنيل مرضاته وبالفوز بكراماته اعلم أن مجامع التكليف محصورة فى نوعين أحدهما ترك المنهيات وهو المشار اليه بقوله تعالى اتقوا الله وثانيهما فعل المأمورات وهو المشار اليه بقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة والمراد بطلب الوسيلة اليه تعالى هو تحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات ولما أمر الله تعالى بترك مالاينبغى وبفعل ماينبغى وكان الانقياد لذلك من أشق الأشياء على النفس وأشدها ثقلا على الطبع لأن النفس لا تدعو الا الى المشتهات واللذات المحسوسة أردف ذلك التكليف بقوله وجاهدوا فى سبيله أى بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة ثم ان من يعبد الله تعالى فريقان منهم من يعبد الله لا لغرض سوى الله وهو المشار اليه بقوله تعالى وجاهدوا فى سبيله ومنهم من يعبده للثواب مثلا وهو المشار اليه بقوله لعلكم تفلحون أى تفوزون بالمحبوب وتخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا لو أن لهم) أى لو ثبت ان لكل واحد منهم (مافى الأرض جميعا) أى من أصناف أموالها وسائر منافعها قاطبة (ومثله معه ليفتدوا به) أى ليجعلوا كلا منهما فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة) أى من العذاب الواقع يومئذ (ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصريح بعدم قبول الفداء وتصوير للزوم العذاب فلا سبيل لهم الى الخلاص منه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت (يريدون أن يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال وقيل يتمنون الخروج اذا رفعهم لهب النار الى فوق ويقصدونه وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار ودفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقلوبهم كما قرأ بعضهم ان يخرجوا بالبناء للمفعول (وما هم بخارجين منها ولهم) أى الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين

عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) يريد يمين هذا ويمين هذه فجمع (جزاء بما كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي عقوبة (من الله والله عزيز) في انتقامه (حكيم) فيما أوجب من القطع (فمن تاب من بعد ظلمه) الناس (وأصلح)



(عـذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع تارة بالبرد وتارة بالحر وتارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) أي أيمانهما من الكوع كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم لانه صلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمر بقطع يمينه من الرسغ (جزاء بما كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي للاهانة والذم (من الله) جزاء مفعول من أجله وعامله فاقطعوا ونكالا مفعول من أجله وعامله جزاء على طريقة الأحوال المتداخلة كما تقول ضربت ابني تأديبا له احسانا اليه فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (والله عزيز) في انتقامه (حكيم) في شرائعه وتكاليفه (فمن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) بأن يتوب بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الأغراض (فان الله يتوب عليه) أي يقبل توبته تفضلا منه واحسانا لا وجوبا عليه (ان الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة ولا يسقط عنه القطع بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهور وقيل يسقط بها الحد وقال الشافعي ان عفا المستحق عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف شاء (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) فيقدر على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما بحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نعتقد ان المغفرة تابعة للمشيئة في حق غير التائب (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أي لا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استخراج وجوه المكر في حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي وقرئ يسرعون من أسرع والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في عبد الله بن صوريا (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان سماع الكذب في دين الله وفي طعن محمد صلى الله عليه وسلم من أحبارهم ونقله الى عوامهم وسماع الحق منك ونقله لأحبارهم ليحرفوه أي فيكونوا وسائط بينك وبين قوم آخرين والوسائط هم يهود بني قريظة كعب وأصحابه والقوم الآخرون هم يهود خيبر فهم لا يقربون مجلسه ﷺ لبغضهم اياه وتكبرهم (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يضع هؤلاء الأحبار الجلد مكان الرجم والطعن في محمد مكان المدح في التوراة (يقولون) أي المحرفون وهم القوم الآخرون للسماعين لهم عند القائهم اليهم أقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (ان أوتيتم) من جهة محمد (هذا) المحرف من جلد المحصن (فخذوه) أي فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) ولا تقبلوا منه قال المفسرون ان رجلا وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وهما محصنان وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فأرسلوهما مع قوم منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكمه في الزانيين وقالوا ان أمركم بالجلد وتسويد الوجه فاقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا فلما سألوا رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم وأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال الرسول هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له

العمل بعد السرقة (فان الله يتوب عليه) أي يعود عليه بالرحمة (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) على الذنب الصغير (ويغفر لمن يشاء) الذنب العظيم (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) اذ كنت موعود النصر عليهم وهم المنافقون وأبان ذلك بقوله (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون) أي فريق سماعون (للكذب) أي يسمعون منك ليكذبوا عليك فيقولون سمعنا منه كذا وكذا لما لم يسمعوا (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي هم عيون لأولئك الغيب ينقلون اليهم (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي من بعد أن وضعه الله مواضعه يعني آية الرجم (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني يهود خيبر وهم الذين ذكروا في قوله لقوم آخرين لم يأتوك وذلك انهم بعثوا الى قريظة ليستفتوا محمدا صلى الله عليه وسلم في الزانيين المحصنين وقالوا لهم ان أفتى بالجلد فاقبلوا وان أفتى بالرجم فلا تقبلوا فذلك قوله ان أوتيتم هذا يعني الجلد فخذوه أي فاقبلوه (وان لم تؤتوه فاحذروا) أن تعملوا به

ابن صوريا قالوا نعم فقال هو أى رجل فيكم فقالوا هو أعلم يهودى على وجه الأرض بما فى التوراة فقال فأرسلوا اليه فأتاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال ابن صوريا نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن أشياء كان يعرفها من علاماته فأجابه عنها فقال ابن صوريا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الأمى العربى الذى بشر به المرسلون ثم أمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) أى ضلالته وكفره (فلن تملك) أى تستطيع (له من الله شيئا) على دفعها (أولئك) أى اليهود والمنافقون (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) أى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما (لهم فى الدنيا خزى) أى ذل بالفضيحة للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين اياهم والجزية والافتضاح لليهود بظهور كذبهم فى كتمان التوراة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار (سماعون للكذب) الذى كانوا ينسبونه الى التوراة (أكالون للسحت) أى الحرام الذى يصل اليهم من الرشوة فى الحكم ومهر البغى وعسيب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستئجار فى المعصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلى وابن عباس وأبى هريرة ومجاهد (فان جاؤك) متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) ومذهب الشافعى أنه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام عليهم اذلالهم فأما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير الذى فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين ولو ترافع الينا ذميان فى شرب خمر لم نحدهما وان رضيا بحكمنا لأنهما لا يعتقدان تحريمها ولو ترافع الينا مسلم وذمى وجب الحكم بينهما اجماعا وكذا الذمى مع المعاهدين (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضه عنهم وصاروا أعداء له فلا تضره عداوتهم له فان الله يعصمه من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمرت به (ان الله يحب المقسطين) أى يثيب العادلين فى الحكم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) استفهام تعجيب من الله لنبيه من تحكيمهم اياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ماهو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم الموافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يتولون معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالمؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا بك ولا بمعتقدين فى صحة حكمك وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشىء وأن مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف

(ومن يرد الله فتنته) أى ضلاله وكفره (فلن تملك له من الله شيئا) أى لن تدفع عنه عذاب الله (أولئك الذين) أى من أراد الله فتنته فهم الذين (لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) أى أن يخلص نياتهم (لهم فى الدنيا خزى) بهتك ستورهم (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو النار (سماعون للكذب أكالون للسحت) وهو الرشوة فى الحكم يعنى حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يأتيهم مبطلا ويأخذون الرشوة منه فيأكلونها (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) خير الله نبيه فى الحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله الآية (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) عجب الله نبيه من تحكيم اليهود اياه بعد علمهم بما فى التوراة من حكم الزانى وحده وقوله (فيها حكم الله) يعنى بالرجم (ثم يتولون من بعد ذلك) التحكيم فلا يقبلون حكمك بالرجم (وما أولئك) الذين يعرضون عن الرجم (بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى

(ونور) أي بيان للتوحيد والنبوة والمعاد (يحكم بها) أي التوراة (النبيون الذين أسلموا) أي انقادوا لحكم التوراة فان من الأنبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة والذين كانوا منقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام وبينهما ألف نبي وكلهم بعثوا باقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو سيدنا محمدا ﷺ لأنه حكم على اليهوديين بالرجم وكان هذا حكم التوراة وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له ولأنه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا لأكثر الأنبياء وقال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لأن بعضهم كانوا يقولون الأنبياء كلهم يهود أو نصارى فرد الله عليهم بذلك أي فان الأنبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أي منقادين لتكاليف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين فان غرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أخذ الرشوة واستتباع العوام وتعريض بهم بأنهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام (للذين هادوا) متعلق بيحكم أي يحكمون بها فيما بين اليهود (والربانيون والأحبار) أي ويحكم بها العلماء المجتهدون الذين انسلخوا عن الدنيا وسائر العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين (بما استحفظوا) أي بسبب الذي استحفظوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فان الأنبياء سألوا الربانيين والأحبار أن يحفظوا التوراة من التغيير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء أحكامها من غير اخلال بشيء منها (وكانوا عليه) أي ذلك الكتاب (شهداء) أي كان هؤلاء النبيون والربانيون والأحبار شهداء على أن كل ما في التوراة حق وصدق وأنه من عند الله فحقا كانوا يمضون أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلا تخشوا الناس) أيها اليهود (واخشوني) أي اياكم وأن تحرفوا كتابي للخوف من الناس والملوك والأشراف فتسقطوا عنهم الحدود الواجبة عليهم وتستخرجوا الحيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا خائفين من الناس بل كونوا خائفين مني ومن عقابي في كتمان الأحكام ونعوت محمد ﷺ (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) أي ولا تستبدلوا بآياتي التي في التوراة عرضا قليلا من الدنيا أي كما نهيتكم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف فكذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يبين ما بين الله في التوراة من نعت محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم يحكم بما أنزل الله منكرا له بقلبه وجاحدا له بلسانه فقد كفر أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه ذلك الا أنه حكم بضده فهو ظالم فاسق لتركه حكم الله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني اسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفقوءة (بالعين والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة كالشفتين والذكر والانثيين والقدمين واليدين فأما ما لا يمكن القصاص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف ففيه أرش وحكومة قرأ الكسائي العين والانف والاذن والسن والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بنصب غير الجروح فانه بالرفع وقرأ نافع وعاصم وحمزة بنصب الكل وخبر الجميع قصاص (فمن تصدق به) أي بالقصاص من المستحقين (فهو) أي التصدق (كفارة له) أي للمتصدق يكفر الله تعالى بها

بيان الحكم الذي جاءوك يستفتونك فيه (ونور) أي بيان أن أمرك حق (يحكم بها النبيون) من لدن موسى الى عيسى وهم (الذين أسلموا) أي انقادوا لحكم التوراة (للذين هادوا) أي تابوا من الكفر وهم بنو اسرائيل الى زمن عيسى (والربانيون) العلماء (والأحبار) الفقهاء (بما استحفظوا) استرعوا (من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) أنه من عند الله ثم خاطب اليهود فقال (فلا تخشوا الناس) في اظهار صفة محمد ﷺ والرجم (واخشوني) في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي) أي بأحكامي وفرائضي (ثمنا قليلا) يريد متاع الدنيا

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) نزلت فيمن غير حكم الله من اليهود وليس في أهل الاسلام منها ومن الآيتين اللتين بعدها شيء (وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا عليهم في التوراة (أن النفس) تقتل (بالنفس والعين بالعين) الآية كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في جميع الأعضاء والأطراف اذا تماثلا في السلامة وقوله (والجروح قصاص) في كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والأنثيين والاليتين والقدمين واليدين وهذا تعميم بعد التفصيل بقوله والعين بالعين والأنف بالأنف (فمن تصدق به فهو كفارة له) أي من عفا وترك القصاص فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم (وقفينا على آثارهم) أي جعلناه يقفو آثار النبيين يعني بعثناه بعدهم على أثرهم (مصدقا لما بين يديه من التوراة) يصدق أحكامها ويدعو اليها (وآتيناه الانجيل) الى قوله (وهدى وموعظة) معناه وهاديا وواعظا (وليحكم أهل الانجيل) أي قلنا لهم لتحكموا بهذا الكتاب في ذلك الوقت (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) شاهدا وأمينا على الكتب التي قبله فما أخبر أهل الكتاب

ذنوبه أي اذا عفا المجروح أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعافي كما قال ﷺ أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس وروى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما لزمه فلا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو وأما المجني عليه الذي عفا فأجره على الله تعالى ثم القاتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق الله تعالى وحق للمقتول وحق للولي فاذا أسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل خوفا من الله تعالى وتوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق للمقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب ويصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختيارا من غير ندم وتوبة أو لم يمكن من نفسه بل قتل كرها فيسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لأنه لا يسقطه الا التوبة ويبقى حق المقتول أيضا ويطالبه به في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تائبا ولم يصل منه للمقتول شيء (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالتقصير في حق النفس لابقاء النفس في العقاب الشديد والتدين بترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لانكار نعمة الله تعالى وجحدها (وقفينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار النبيين الذين يحكمون بالتوراة (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه) أي لما قبل عيسى مما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقا للتوراة أنه أقر بأنه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقر بأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود النسخ (وآتيناه الانجيل فيه هدى) لاشتماله على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله تعالى عن الزوجة والولد والمثل والضد وعلى النبوة وعلى المعاد (ونور) لأنه بيان للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف (ومصدقا لما بين يديه) أي لما قبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنصوب معطوف على محل فيه هدى وهو النصب على الحال أي موافقا لما في التوراة من أصول الدين ومن بعض الشرائع ومن كون الانجيل مبشرا بمبعث محمد ﷺ (وهدى) لاشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم فهو سبب لاهتداء الناس الى نبوة محمد ﷺ فهذه المسئلة أشد المسائل احتياجا الى البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها لكثرة المنازعة بين المسلمين واليهود والنصارى في ذلك (وموعظة للمتقين) لاشتماله على النصائح والزواجر وانما خص الموعظة بالمتقين لأنهم الذين ينتفعون بها (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ ومن الأحكام التي لم تنسخ بالقرآن فان الحكم بالأحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له اذ هو شاهد بنسخها لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرأ حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كي وهو متعلق بمقدر أي وآتيناه الانجيل ليحكموا به وقرأ الباقون وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بلام الأمر (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن الايمان ان كان مستهينا به وعن طاعة الله ان كان لاتباع الشهوات (وأنزلنا اليك الكتاب) أي القرآن (بالحق) أي ملتبسا بالصدق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من الكتاب أو من فاعل أنزلنا أو من الكاف في اليك (مصدقا لما بين يديه) أي لما تقدمه (من الكتاب) أي من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومهيمنا عليه) أي شاهدا على الكتب كلها لأن القرآن هو الذي لا ينسخ ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف واذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على سائر الكتب بالصدق باقية وقرأ ابن محيصن ومجاهد مهيمنا بفتح الميم الثانية فان القرآن يصان عن

بأمر فان كان فى القرآن فصدقوا والا فكذبوا (فاحكم بينهم) أى بين اليهود  (بما أنزل الله) أى بالقرآن والرجم

التحريف والتبديل والحافظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أى بين جميع أهل الكتاب اذا ترافعوا اليك (بما أنزل الله) فان ما أنزل الله اليك وهو القرآن مشتمل على جميع الاحكام الشرعية (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى تتزحزح ونحوه أى لا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى لكل واحد من الأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جعلنا منكم أيها الأمم شريعة وهى العبادة التى أمر الله بها عباده ومنهاجا أى طريقا واضحا يؤدى الى الشريعة فالتوراة شريعة للأمة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى والانجيل شريعة من مبعث عيسى الى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شريعة للموجودين من سائر المخلوقات فى زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ليس الا والدين واحد وهو التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى جماعة متفقة على شريعة واحدة فى جميع الأعصار من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل أو المعنى لجعلكم ذوى أمة واحدة أى دين واحد (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) أى ولكن لم يشأ الله أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيما أعطاكم من الشرائع المختلفة المناسبة للأزمنة والجماعة هل تعملون بها منقادين لله معتقدين أن اختلافها مبنى على الحكم اللطيفة والمصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتقصرون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) أى اذا كان الأمر كما ذكر فسارعوا يا أمة محمد الى ما هو خير لكم فى الدارين وابتدروه انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا من أمر الدين أى فيخبركم بما لا تشكون فيه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والموفى والمقصر فى العمل فان الأمر سوف يرجع الى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن باحسانه والمسىء باساءته (وأن احكم بينهم) أى بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليك (بما أنزل الله) وهذه الجملة معطوفة على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم وذكر انزال الحكم لتأكيد وجوب امتثال الأمر أو على قوله بالحق أى أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبالحكم وذكر انزال الأمر بالحكم بعد الأمر الصريح به تأكيد للأمر وتفريش لما بعده ولان الآيتين حكمان أمر الله بهما جميعا لانهم احتكموا اليه صلى الله عليه وسلم فى زنا المحصن ثم احتكموا فى قتيل كان فيهم (ولا تتبع أهواءهم) فى عدم قتل الشريف بالوضيع وعدم قتل الرجل بالمرأة (واحذرهم أن يفتنوك) أى يميلوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) ويردوك الى أهوائهم وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير أدوا اليهم الدية كاملة ويقتلون النفسين بالنفس ويفقأون العينين بالعين فغيروا حكم الله الذى أنزله فى التوراة فما لهم يخالفون قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاش بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه أى نصرفه عن دينه فأتوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى أن يفتنوك بدل اشتمال من المفعول أى واحذرهم فتنتهم أو مضاف اليه لمفعول من أجله أى احذرهم مخافة أن يفتنوك أى يصرفوك عن الحق ويلقوك فى الباطل (فان تولوا) أى أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى أن يبتليهم بجزاء بعض

(ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) يقول لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم (لكل جعلنا منكم) من أمة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام (شرعة ومنهاجا) أى سبيلا وسنة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) على أمر واحد أى ملة الاسلام (ولكن ليبلوكم) أى ليختبركم (فيما آتاكم) أى أعطاكم من الكتاب والسنن (فاستبقوا الخيرات) أى سارعوا الى الأعمال الصالحة (الى الله مرجعكم جميعا) أى أنتم وأهل الكتاب (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أى من الدين والفرائض والسنن يعنى أن الأمر سيؤول الى ما تزول معه الشكوك بما يحصل من اليقين (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أى يستزلوك عن الحق الى أهوائهم نزلت حين قال رؤساء اليهود بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه ونرده عما هو عليه فأتوه وقالوا له قد علمت أننا ان اتبعناك اتبعك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصومنا

اذا تحاكمنا اليك ونحن نؤمن بك فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية (فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى فان أعرضوا عن الايمان أو الحكم بالقرآن فاعلم أن ذلك من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم

ذنوبهم فى الدنيا وهو أن يسلطك عليهم و يعذبهم فى الدنيا بالقتل والجلاء والسبى فالقوم جوزوا فى الدنيا
ببعض ذنوبهم وذلك كاف فى اهلاكهم (وان كثيرا من الناس) أهل الكتاب وغيرهم (لفاسقون)
أى خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أفحكم الجاهلية يبغون) قرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على الخطاب وقرأ السلمى برفع حكم على أنه مبتدأ وقرأ قتادة أبحكم بالباء الجارة بدل الفاء وقرئ
فحكم بفتح الفاء والكاف أى أفيطلبون حاكما كحكام الجاهلية وهى اما الملة الجاهلية التى هى متابعة
الهوى الموجبة للمداهنة فى الأحكام واما أهل الجاهلية قال مقاتل كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن
يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو
النضير اخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من
تمر وان قتلنا واحدا منهم أخذوا منا مائة وأربعين وسقا من تمر وأروش جراحاتنا على النصف من أروش
جروحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أحكم أن دم القرظى كدم النضيرى
ليس لأحدهما فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لانرضى بحكمك
فانك عدو لنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) فانهم هم الذين
يعرفون أنه لاأحد أعدل من الله حكما ولا أحسن منه بيانا (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى
أولياء) أى لاتعتمدوا على الاستنصار بهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب روى أن عبادة بن الصامت
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرأ عنده من موالاة اليهود فقال عبد الله بن أبى رئيس المنافقين
لكنى لاأتبرأ منهم لانى أخاف الدوائر فنزلت هذه الآية وقال السدى لما كانت واقعة أحد اشتد الأمر على
طائفة من الناس وتخوفوا أن تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى وآخذ
منه أمانا انى أخاف أن تدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وآخذ
منه أمانا فأنزل الله هذه الآية وقال عكرمة نزلت فى أبى لبابة بن المنذر بعثه النبى ﷺ الى بنى قريظة
حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه فى حلقه أى انه يقتلكم
(بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لامن الفريق الآخر (ومن يتولهم منكم) يامعشر المؤمنين (فانه منهم) أى فهو من أهل دينهم فانه
لايوالى أحد أحدا الا وهو عنه راض فاذا رضى عنه رضى دينه فصار من أهل دينه وهذا على سبيل المبالغة
فى الزجر عن اظهار صور الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة أولان الموالين كانوا منافقين (ان
الله لايهدى القوم الظالمين) بموالاة الكفار روى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال قلت لعمر بن الخطاب
ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا أما سمعت قول الله تعالى يأيها الذين آمنوا
لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء قلت له دينه ولى كتابته فقال لاأكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ
أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أبعدهم الله قلت لايتم أمر البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام والمعنى اجعله
فى ظنك أنه قد مات فما تعمل بعد موته؟ أى فاعمله الآن ميتا واستغن عنه بغيره (فترى الذين فى قلوبهم
مرض) بالنفاق ورخاوة العقل فى الدين كعبد الله بن أبى وأصحابه (يسارعون فيهم) أى فى
موادة يهود بنى قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا أهل ثروة يقرضونهم و يعينونهم على مهماتهم
(يقولون) معتذرين عنها الى المؤمنين (نخشى) أى نخاف خوفا شديدا (أن تصيبنا دائرة) من
دوائر الدهر كالهزيمة والحوادث المخوفة وتكون الدولة للكفار وتقال الدائرة فى المكروه كالجدب
والقحط وتقال الدولة فى المحبوب وقال الزجاج أى نخشى أن لايتم الأمر لمحمد فيدور الأمر كما كان قبل

ويجازيهم فى الآخرة بجميعها ثم كان تعذيبهم فى الدنيا الجلاء والنفى (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعنى اليهود (أفحكم الجاهلية يبغون) أى يطلب اليهود فى الزانيين حكما لم يأمر الله به وهم أهل الكتاب كما يفعل أهل الجاهلية (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أى من أيقن تبين عدل الله فى حكمه ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود وأوعد عليها بقوله (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه (يسارعون فيهم) أى فى مودة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بالقاء أخبارهم اليهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) أى يدور الأمر على حاله التى يكون عليها يعنون الجدب فتنقطع عنا الميرة والقرض

ذلك (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله على أعدائه وللمسلمين على أعدائهم وباظهار الدين (أو أمر من عنده) بقطع أصل اليهود أو باخراجهم عن بلادهم وعسى بمنزلة الوعد وهو من الله تعالى واجب (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) أى فيصير هؤلاء المنافقون نادمين على ماحدثوا به أنفسهم من أن الدولة أى الغلبة لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يشكون فى أمر الرسول ويقولون لانظن أنه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأه عاصم وحمزة والكسائى بالرفع مع اثبات الواو كما فى مصاحف أهل العراق على الاستئناف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالرفع مع حذف الواو كما فى مصاحف أهل الحجاز والشام على أن الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا فى جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فعسى الله أن يأتى بالفتح كأن القائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا الخ وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفا على يصبحوا الاعلى يأتى لأن ذلك القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لاعند اتيان الفتح فقط والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى غاية أيمانهم (انهم لمعكم) بالمعونة فان المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين للمنافقين متعجبين من حالهم متبجحين بما من الله عليهم من اخلاص الايمان عند مشاهدتهم لاظهارهم الميل الى موالاة اليهود والنصارى أنهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم معنا فى ديننا فى السر ومن أنصارنا فالآن كيف صاروا موالين لأعدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم وهذا أنسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستئناف أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصب ولقراءة الرفع مع حذف الواو ولقراءة الرفع مع الواو بجعل عطف جملة على جملة والله أعلم (حبطت أعمالهم) أى بطل ما أظهروه من الايمان وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى (فأصبحوا خاسرين) فى الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة (يأيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر ونافع يرتدد بدالين من غير ادغام وهذا من الكائنات التى أخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى أنه ارتد عن الاسلام احدى عشر فرقة ثلاثة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار ويلقب بالأسود كان له حمار يقول له قف فيقف وسر فيسير وكانت نساء أصحابه يتعطرن بروث حماره وكان كاهنا ادعى النبوة فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن وأمرهم بالنهوض الى حراب الأسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه والثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ادعى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى بعث أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش كبير وقتل على يد وحشى الذى قتل حمزة رضى الله عنه والثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث أبو بكر خالدا فهزمهم وأفلت طليحة فهرب نحو الشام ثم أسلم أيام عمر وحسن اسلامه وسبع فى عهد أبى بكر الأولى فزارة قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى والثالثة بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن نويرة والخامسة بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وهى ادعت النبوة وزوجت نفسها لمسيلمة الكذاب والسادسة كندة قوم الاشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر وهى غسان قوم جبلة بن الايهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف فوطىء

(فعسى الله أن يأتى بالفتح) أى يقتح لمحمد على جميع من خالفه (أو أمر من عنده) أى بقتل المنافقين وهتك سترهم (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم) يعنى أهل النفاق على ما أضمروا من ولاية اليهود ودس الأخبار اليهم (نادمين ويقول الذين آمنوا) المؤمنون اذا هتك الله ستر المنافقين (أهؤلاء) يعنون المنافقين (الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلفوا بأغلظ الايمان (انهم لمعكم) أى انهم مؤمنون وأعوانكم على من خالفكم (حبطت أعمالهم) أى بطل كل خير عملوه بكفرهم (فأصبحوا خاسرين) أى صاروا الى النار وورث المؤمنون منازلهم فى الجنة (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر أنه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه وهم أبو بكر رضى الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة

رجل طرف ردائه فغضب فلطمه فاشتكى الرجل الى عمر فقضى له بالقصاص عليه الا أن يعفو عنه فقال أنا أشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل الا القصاص فاستنظر عمر فأنظره فهرب جبلة الى الروم وارتد والمراد بقوم يحبهم ويحبونه كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لانهم الذين قاتلوا أهل الردة ومعنى يحبهم أى يلهمهم الطاعة ويثيبهم عليها ومعنى ويحبونه أى يطيعون لأوامره تعالى ونواهيه (أذلة على المؤمنين) أى عاطفين عليهم (أعزة على الكافرين) أى شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وكان أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ولا يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر الى المرتدين والى مانعي الزكاة حتى انهزموا وجعل الله ذلك مبدأ لدولة الاسلام (يجاهدون في سبيل الله) أى لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة لائم) فالواو للحال أى بخلاف المنافقين فانهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فمن كان قويا في الدين فلا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلي الا أن حظ أبي بكر في الجهاد أتم لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الاسلام في غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما علي فانه كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الاسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي لوجهين لتقدمه على جهاد علي في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام (ذلك) أى وصف القوم بالمحبة والشفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) أى كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود (عليم) أى كامل العلم فيمتنع دخول الخلف في أخباره ومواعيده (انما وليكم الله) أى انما ناصركم ومؤنسكم الله (ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أى منقادون لجميع أوامر الله ونواهيه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة ابن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أنا بريء الى الله من حلف قريظة والنضير وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء والمراد بالمؤمنين المذكورين عامة المؤمنين والمراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين وقيل المراد أبو بكر وقيل علي لما روى أن عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الآية قلت يارسول الله أنا رأيت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) أى ومن يتخذهم أولياء في النصرة فانهم جند الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانها مستمرة أبدا أما بالصولة والدولة فقد يغلبون (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) أى سخرية (ولعبا) أى ضحكة (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى اليهود والنصارى (والكفار) أى المشركين كعبدة الأوثان (أولياء) في العون والمعنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أحبابا وأنصارا فان ذلك كالأمر الخارج عن العقل والمروءة * روى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الايمان ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجر ويعضده

(أذلة على المؤمنين) كالولد لوالده والعبد لسيده (أعزة على الكافرين) أى غلاظ عليهم كالسبع على فريسته (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) كالمنافقين الذين كانوا يوافقون الكافرين ويخافون لومهم في نصرة الدين (ذلك فضل الله) أى محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين تفضل من الله عليهم (انما وليكم الله ورسوله) نزلت لما هجر اليهود من أسلم منهم فقال عبد الله بن سلام يارسول الله ان قومنا هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وقوله (وهم راكعون) يعني صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله) أى يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين (فان حزب الله) أى جند الله وأنصار دينه (هم الغالبون) أى غلبوا اليهود فأجلوهم من ديارهم وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا) الآية نزلت في رجال كانوا يوادون منافقي اليهود ومعنى قوله (الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) أى اظهارهم ذلك باللسان واستبطانهم الكفر تلاعبا واستهزاء (والكفار) يعني مشركي العرب وكفار مكة

(واتقوا الله) فلا تتخذوا منهم أولياء (ان كنتم مؤمنين) بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلاة) أى دعوتم الناس اليها بالأذان (اتخذوها هزوا ولعبا) أى تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لأهلها

قراءة أبى ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم من جملة المستهزئين أيضا بخلاف قراءة الباقين بالنصب فلا يفيد أنهم منهم وانما يستفاد ذلك من آية أخرى (واتقوا الله) فى موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) أى حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء بلا شك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا هم الذين (اذا ناديتم الى الصلاة) بالاذان والاقامة (اتخذوها) أى الصلاة والمناداة (هزوا ولعبا) أى لما اعتدوا أنه ليس فيها فائدة ومنفعة فى الدين والدنيا قالوا انها لعب روى الطبرانى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شرره فى البيت فأحرقه وأهله وقيل كان المنافقون من اليهود يتضاحكون عند القيام الى الصلاة تنفيرا الناس عنها وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الأذان دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى فان كنت نبيا فقد خالفت الأنبياء قبلك فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فأنزل الله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتم الى الصلاة الآية وقد دلت هذه الآية على ثبوت الأذان بنص الكتاب العزيز لا بمنام الصحابة وحده وجملة واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب صلة ثانية للموصول المجرور بمن البيانية وفى الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أوتوا وان قوله اذا ناديتم ظرف له كأنه قيل ومن الذين اتخذوها هزوا ولعبا وقت أذانكم والله أعلم (ذلك) أى الاستهزاء المذكور (بأنهم قوم لا يعقلون) أى لو كان لهم عقل كامل لعلموا أن خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوا بها فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام (قل) يا أشرف الخلق لليهود (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله) أى ما تنكرون من أحوالنا الا الايمان بالله (وما أنزل الينا) أى بالقرآن (وما أنزل من قبل) أى بما أنزل من قبل انزال القرآن من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وأن أكثركم فاسقون) وقرأ الجمهور أن بفتح الهمزة أى وما تكرهون من أوصافنا الا ايماننا بما ذكر واعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه بلا شك وقرأ نعيم بن ميسرة ان بالكسر على الاستئناف (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) أى مما قلتم لمحمد وأصحابه روى أنه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم فنزلت هذه الآية أى هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شرا (مثوبة) أى عقوبة (عند الله) فمثوبة تمييز لشر بمعنى عقوبة للتهكم (من لعنه الله) فمن موصولة بدل من شر أى من أبعده الله من رحمته (وغضب عليه) أى سخط عليهم بانهماكهم بعد سنوح البينات (وجعل منهم القردة) فى زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (والخنازير) فى زمن عيسى عليه السلام بعد أكلهم من المائدة فكفروا وروى أيضا أن المسخين كانا فى أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أى من أطاع أحدا فى معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كقراءة

(ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) أى مالهم فى اجابتهم اذا أجابوا اليها وماعليهم فى استهزائهم بها (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) الآية أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا ما نعلم دينا شرا من دينكم فأنزل الله تعالى هل تنقمون أى هل تكرهون وتنكرون منا الا ايماننا وفسقكم أى انما كرهتم ايماننا وأنتم تعلمون أنا على حق لانكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحبتكم الرياسة وكسبكم بها الأموال وتقدير قوله (وأن أكثركم) ولان أكثركم والواو زائدة والمعنى لفسقكم نقمتم علينا الايمان وقوله (قل هل أنبئكم) جواب لقول اليهود ما نعرف أهل دين شرا منكم فقال الله تعالى قل هل أنبئكم أى أخبركم (بشر من ذلك) أى بشر من المسلمين الذين طعنتم عليهم (مثوبة) أى جزاء وثوابا (عند الله من لعنه الله) أى هو من لعنه الله أى أبعده عن رحمته (وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) يعنى أصحاب السبت (وعبد الطاغوت) نسق على من لعنه الله والمعنى من لعنه الله وعبد الطاغوت أى أطاع الشيطان فيما سول له من أمره

أى وعبدوا الطاغوت كما أفصح عن ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكقراءة الأعمش والنخعى وعبد مبنيا للمفعول وكذا على قراءة عبد بفتح العين وضم الباء على وزن كرم أى صار الطاغوت معبودا من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين فالراجع الى الموصول محذوف فيها أى عبد الطاغوت فيهم أو بينهم وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت وهو مفرد يراد به الكثرة أى بالغ الغاية فى طاعة الشيطان وهو معطوف على القردة كقراءة عابد الطاغوت وعابدى وعبادة وعبيد وعبد بضمتين وعبدة بوزن كفرة وعبد بفتحتين جمع عابد كخدم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد عطفا على من بناء على أنه مجرور على أنه بدل من شر والسبعية اثنتان أولاهما عبد الطاغوت على أن عبد فعل ماض مبنى للفاعل وفيه ضمير عائد على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما قراءته وغيرهما قرا آت شاذة (أولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا) من المؤمنين لأن مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه أو المعنى أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجعول منهم القردة والخنازير العابدون الطاغوت شر مكانا من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة (وأضل عن سواء السبيل) أى أكثرهم ضلالا عن الطريق المستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية عير المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فينكسون رءوسهم (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) نزلت هذه الآية فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يتعلق بقلبهم شئ مما سمعوا منك من نصائحك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من هذا النفاق المبالغة فيما فى قلوبهم من الجد فى المكر بالمسلمين والعداوة لهم (وترى كثيرا منهم) أى اليهود (يسارعون فى الاثم) أى الكذب وكلمة الشرك (والعدوان) أى الظلم على الناس (وأكلهم السحت) أى الحرام كالرشا (لبئس ما كانوا يعملون) أى لبئس شيئا كانوا يعملونه عملهم هذا (لولا) أى هلا (ينهاهم الربانيون) أى العباد (والأحبار) أى العلماء (عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) أى لبئس شيئا كانوا يصنعونه تركهم للنهى عن ذلك والصنع أقوى من العمل لأن العمل انما يسمى صناعة اذا صار راسخا فجعل جرم العاملين ذنبا غير راسخ وذنب التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا ولذلك ذم بهذا خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها لأنها مرض الروح وهو صعب شديد لا يكاد يزول ولا كذلك ترك الانكار عليها فيدخل فى هذا الذم كل من كان قادرا على النهى عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية أشد آية فى القرآن وقال الضحاك ما فى القرآن آية أخوف عندى منها والله أعلم (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما بعث الله محمدا وكذبوا به ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء وأخرج الطبرانى عن ابن عباس أنه قال النباش بن قيس (يد الله مغلولة) أى مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وهذه الكلمات دعاء عليهم والمعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكما علمنا الدعاء على المنافقين فى قوله تعالى فزادهم الله مرضا وعلى أبى لهب فى قوله تعالى تبت يدا أبى

لهب

(أولئك شر مكانا) لأن مكانهم سقر (وأضل عن سواء السبيل) أى عن قصد الطريق وهو دين الحنيفية فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فسكتوا وافتضحوا (واذا جاؤكم) يعنى منافقى اليهود (قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم فى كلتى حالتيهم (وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان) يجترئون على الخطأ والظلم ويبادرون اليه (وأكلهم السحت) يعنى ما كانوا يأخذونه من الرشى على كتمان الحق ثم ذم فعلهم بقوله (لبئس ما كانوا يعملون لولا) هلا (ينهاهم) أى عن قبيح فعلهم (الربانيون والأحبار) أى علماؤهم وفقهاؤهم (لبئس ما كانوا يصنعون) أى حين تركوا النكير عليهم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) أى مقبوضة عن العطاء واسباغ النعمة علينا قالوا هذا حين كف الله عنهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا يجدونه من الخصب والنعمة فقالوا لعنهم الله على جهة الوصف بالبخل يد الله مغلولة وقوله (غلت أيديهم) أى جعلوا بخلاء وألزموا البخل فهم أبخل قوم (ولعنوا بما قالوا) أى عذبوا فى الدنيا بالجزية وفى الآخرة بالنار وقوله

لهب فحينئذ يكون المعنى دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله تعالى و بغل الأيدى حقيقة بأن يغلوا فى الدنيا أسارى وتشد أيديهم الى أعناقهم فى نار جهنم و يسحبوا الى النار بأغلالها وقوله ولعنوا بما قالوا أى عذبوا فى الدنيا بالجزية و فى الآخرة بالنار بسبب قولهم ذلك (بل يداه مبسوطتان) عطف على مقدر أى ليس الأمر على ما وصفتموه تعالى به من البخل بل هو تعالى جواد كريم على سبيل الكمال فان من أعطى بيديه من الانسان فقد أعطى على أكمل الوجوه فتثنية اليد مبالغة فى الوصف بالجود وأيضا ان المراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة فالمعنى ان نعمة الله متتابعة ليست كما ادعى من أنها مقبوضة ممتنعة وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتى الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا فقيل نعمتاه تعالى نعمة الدين ونعمة الدنيا أو نعمة الباطن ونعمة الظاهر أو نعمة النفع ونعمة الدفع أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (ينفق كيف يشاء) أى يرزق خلقه كائنا على أى حال يشاء ان شاء قتر وان شاء وسع (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى والله ليزيدن القرآن علماء اليهود غلوا فى الانكار وشدة فى الكفر اذ كلما نزلت آية كفروا بها كما أن الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكل فرقة من اليهود تخالف الأخرى فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم فان اليهود فرق فان بعضهم جبرية و بعضهم قدرية و بعضهم مرجئة و بعضهم مشبهة وكذا النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) أى كلما هموا بمحاربة أحد رجعوا خائبين مقهورين وقد أتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وكلما أرادوا محاربة النبى ﷺ ورتبوا أسبابها وركبوا فى ذلك متن كل صعب ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم ائتلافهم (ويسعون فى الأرض فسادا) أى و يجتهدون فى الكيد للاسلام وأهله واثارة الفتنة بينهم وفى تعويق الناس عن محمد ﷺ (والله لا يحب المفسدين) أى والله يعاقب المفسدين فى الأرض كاليهود وغيرهم (ولو أن أهل الكتاب) أى أن اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به (واتقوا) مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) فالكتابى لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسلم والاسلام يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) أى أقاموا أحكامهما وحدودهما (وما أنزل اليهم من ربهم) من الكتب ككتاب شعياء وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب أرمياء وزبور داود لأنهم مكلفون بالايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وأيضا فى هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد ﷺ وقيل المراد بما أنزل اليهم من ربهم القرآن لأنهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وهذه مبالغة فى السعة والخصب لا أن هناك فوقا وتحتا والمعنى لأكلوا أكلا متصلا كثيرا وقيل من نزول القطر ومن حصول النبات وقيل من الأشجار المثمرة ومن الزروع المغلة وقيل المراد أن يرزقهم الله الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل من رؤس الشجر و يلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم هذا فى القائلين يد الله مغلولة الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أى من أهل الكتاب (أمة مقتصدة) أى طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه و بحيرا الراهب وأصحابه

كقولهم لبيك وسعديك وقيل نعمتاه أى نعمة الدنيا ونعمة الآخرة مبسوطتان (ينفق كيف يشاء) أى يرزق كما يريد ان شاء قتر وان شاء وسع (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى كلما أنزل عليك شئ من القرآن كفروا به فيزيد كفرهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) أى بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين متباغضين كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) أى كلما أرادوا محاربتك ردهم الله وألزمهم الخوف (ويسعون فى الأرض فسادا) أى يجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى ﷺ من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) أى بمحمد ﷺ (واتقوا) اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) أى كل ما صنعوا قبل أن تأتيهم (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) أى عملوا بما فيهما من التصديق بك (وما أنزل اليهم) من كتب أنبيائهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى لأنزلت عليهم المطر وأخرجت لهم من نبات الأرض كل ما أرادوا (منهم أمة مقتصدة) أى مؤمنة

والنجاشي وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكثير منهم ساء مايعملون) من العناد وتحريف الحق والافراط في العداوة وكتمان صفة محمد ككعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبي ياسر وجدي بن أخطب (يأيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ماأنزل اليك من ربك) من غير مبالاة باليهود والنصارى ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبدا (وان لم تفعل) ماأمرت به من تبليغ جميع ماأنزل اليك من الأحكام ومايتعلق بها (فما بلغت رسالته) أي رسالة ربك وقرأ ابن عامر ونافع وشعبة رسالاته بجمع تأنيث سالم وقرئ فما بلغت رسالاتي وهذا تنبيه على غاية التهديد (والله يعصمك من الناس) أي الكفار أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا ياأيها الناس فقد عصمني الله من الناس (ان الله لايهدي القوم الكافرين) أي انه تعالى لايمكنهم مما يريدون بك من القتل روي أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه (قل ياأهل الكتاب لستم على شيء) من الدين ولافي أيديكم من الصواب (حتى تقيموا التوراة والانجيل) أي تحافظوا على مافيهما من دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء (وماأنزل اليكم من ربكم) أي حتى تراعوا على مافي القرآن بالايمان به فان اقامة الجميع لاتحصل بغير ذلك (وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك) وهو القرآن (طغيانا) أي تماديا في الجحود (وكفرا) أي ثباتا على الكفر (فلا تأس على القوم الكافرين) أي لاتتأسف عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولابسبب نزول اللعن والعذاب عليهم (ان الذين آمنوا) ايمانا حقا بموسى وبجملة الأنبياء والكتب وماتوا على ذلك فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون (والذين هادوا) أي دخلوا في اليهودية (والصابئون) هم قوم من النصارى وهم ألين قولا من النصارى (والنصارى من آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) أي خالصا فيما بينه وبين ربه وتاب اليهودي من اليهودية والصابئ من الصابئة والنصارى من النصرانية (فلاخوف عليهم) اذا ذبح الموت (ولاهم يحزنون) اذا أطبقت النار فقوله والذين هادوا مبتدأ فالواو لعطف الجمل أو للاستئناف وقوله والصابئون عطف على هذا المبتدأ كقوله والنصارى وقوله فلاخوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة وقوله من آمن بدل بعض من هذه الثلاثة فهو مخصص فالاخبار عن اليهود ومن بعدهم بماذكر بشرط الايمان بماذكر وقوله ان الذين خبر ان محذوف دل عليه المذكور من خبر هذه الثلاثة وقرئ والصابئين وقرئ ياأيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وهم من صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) أي بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الأحكام المكتوبة عليهم في التوراة (وأرسلنا اليهم رسلا) ذوي عدد كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم) أي كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لاتحبه أنفسهم المنهمكة في الغي من الشرائع ومشاق التكليف عصوه وعادوه (فريقا كذبوا) أي فريقا من الرسل كذبوهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيي عليهما السلام وقصدوا أيضا قتل عيسى وان كان الله منعهم عن مرادهم وهم يزعمون أنهم قتلوه فذكر التكذيب

(يأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) أي لاتراقبن أحدا ولاتتركن شيئا مما أنزل اليك تخوفا من أن ينالك مكروه بلغ الجميع مجاهرا به (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) ان كتمت آية مما أنزلت اليك لم تبلغ رسالتي يعني أن من ترك ابلاغ البعض كان كمن ترك ابلاغ الجميع فلم يبلغ (والله يعصمك من الناس) أي أن ينالوك بسوء قال المفسرون كان رسول الله ﷺ يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفار وكان لايجاهرهم بعيب دينهم وسب آلهتهم فأنزل الله تعالى ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك فقال يارب كيف أصنع أنا واحد أخاف أن يجتمعوا علي فأنزل الله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (ان الله لايهدي القوم الكافرين) أي لايرشد من كذبك (قل ياأهل الكتاب لستم على شيء) من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الايمان بمحمد ﷺ وبيان نعته وباقي الآية مضى تفسيره الى قوله (فلا تأس على القوم الكافرين) يقول لاتحزن على أهل الكتاب ان كذبوك (ان الذين آمنوا والذين هادوا) سبق تفسيره في سورة البقرة

بلفظ

بلفظ الماضي اشارة الى معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه في كل مقام وتمردوا على أوامره لانه قد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع اشارة الى معاملتهم مع زكريا و يحيى وعيسى عليهم السلام لكون ذلك الزمان قريبا فكان كالحاضر ومحافظة للفاصلة (وحسبوا أن لاتكون فتنة) أي ظن بنو اسرائيل أن لايوجد بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم لانهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله لأنهم اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة أسلافهم تدفع عنهم العقاب الذي يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عن الهدى (وصموا) عن الحق فخالفوا أحكام التوراة فقتلوا شعياء وحبسوا أرمياء عليهما السلام فسلط الله تعالى عليهم بختنصر عامل لهراسب على بابل فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبقوا هناك دهرا طويلا على أقصى الذل الى أن أحدثوا توبة صحيحة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله تعالى ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من أسر بختنصر وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمره ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن الملك من جده ألقى الله تعالى في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر فقامت فيهم الأنبياء فرجعوا الى أحسن ما كانوا عليه من الحال (ثم عموا وصموا كثير منهم) فعادوا الى الفساد واجترأوا على قتل زكريا و يحيى وقصدوا قتل عيسى فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خيدرود ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ (والله بصير بما يعملون) أي وان دق فيجازيهم به وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم القائلون بالاتحاد وقيل هم اليعقوبية خاصة لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى (وقال المسيح) أي والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي وحدوا الله في العبادة خالقي وخالقكم (انه) أي الشأن (من يشرك بالله) شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية (فقد حرم الله عليه الجنة) أي فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار) فانها هي المعدة للمشركين (وما للظالمين من أنصار) أي وما لهم من أحد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المبالغة أو بطريق الشفاعة فقوله تعالى انه من يشرك الى آخر الآية وارد من جهته تعالى لتأكيد مقالة عيسى عليه السلام ولتقرير مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم النسطورية والمرقوسية وفي تفسير قولهم طريقان الأولى قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة فمعنى ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء اله لانهم يقولون ان الآلهة مشتركة بين هؤلاء الثلاثة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة اذا لم يرد به ثالث ثلاثة آلهة فانه ما من شيئين الا والله ثالثهما بالعلم اه كما قال النبي ﷺ لأبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والثاني حكى المتكلمون عن النصارى أنهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح

(وحسبوا أن لاتكون فتنة) أي ظنوا وقدروا أن لايقع بهم عقوبة وعذاب في الاصرار على الكفر بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل فعموا وصموا أي عن الهدى فلم يعقلوه (ثم تاب الله عليهم) بارساله محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الصراط المستقيم (ثم عموا وصموا كثير منهم) بعد تبين الحق لهم بمحمد ﷺ (والله بصير بما يعملون) من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) من الآلهة والمعنى أنهم قالوا الله أحد ثلاثة آلهة هو والمسيح ومريم فزعموا أن الالهية مشتركة بين هؤلاء الثلاثة فكفروا

قدس فهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن واختلاط الماء بالخمر وزعموا أن الأب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد (ومامن اله الااله واحد) أى ومافى الوجود من هذه الحقيقة الافرد واحد أو المعنى ومامن اله لأهل السموات والارض الااله لاولد له ولاشريك له فهو اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه (وان لم ينتهوا عما يقولون) أى من هاتين المقالتين وماقرب منهما (ليمسن الذين كفروا منهم) أى ليصيبن الذين أقاموا على هذا الدين (عذاب أليم) أى شديد الالم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك المقالة والعقيدة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول أو المعنى أيسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقب سماع تلك القوارع الهائلة (والله غفور) لمن تاب وآمن (رحيم) لمن مات على التوبة (ماالمسيح ابن مريم الارسول قدخلت من قبله الرسل) أى ماهو الارسول من جنس الرسل الذين مضوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها فليس باله كالرسل الخالية قبله فانهم لم يكونوا آلهة فان كان الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام فقد فلق البحر وأحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه (وأمه صديقة) أى وما أمه الاصديقة أى تلازم الصدق وتصدق الأنبياء وتبالغ فى بعدها عن المعاصى وفى اقامة مراسم العبودية كسائر النساء اللاتى يلازمن الاتصاف بذلك فمارتبة عيسى الارتبة نبى ومارتبة أمه الارتبة صحابى فمن أين لكم أن تصفوهما بما لايوصف به سائر الأنبياء وخواص الناس فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه الصديقية وذلك لايستلزم لهما الألوهية (كانا يأكلان الطعام) كسائر أفراد البشر (انظر) ياأشرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أى العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا بالهين وببطلان ماتقولوا عليهما (ثم انظر أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الآيات وعن التأمل فيها فالله بين لهم الآيات بيانا عجبا واعراضهم عنها أعجب منها (قل أتعبدون من دون الله) أى غيره (مالايملك لكم ضرا ولانفعا) وهو عيسى عليه السلام فان مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا أضلاعه ولما عطش وطلب الماء منهم صبوا الخل فى منخريه ومن كان فى الضعف هكذا كيف يعقل أن يكون الها فلو كان كذلك لامتنع كونه مشغولا بعبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه فى تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على ايصال النافع الى العباد ودفع المضار عنهم واذا كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (والله هو السميع العليم) والمراد من هذه الجملة التهديد أى سميع بكفرهم ولمقالتهم فى عيسى وأمه عليم بضمائرهم وبعقوبتهم (قل ياأهل الكتاب) أى يامعشر اليهود والنصارى (لاتغلوا فى دينكم غير الحق) أى لاتتجاوزوا الحد فى دينكم تجاوزا باطلا فان الغلو فى الدين نوعان غلو حق وهو أن يجتهد فى تحصيل حججه وتقريرها كما يفعله المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتكلف فى تقرير الشبه ويتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصارى لعيسى فقالوا انه اله وخفض اليهود له فقالوا انه ابن زنا وانه كذاب (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى لاتتبعوا مذاهب قوم قد ضلوا من قبلكم عن التوراة والانجيل (وأضلوا كثيرا) من الناس بتماديهم فى الباطل (وضلوا عن سواء السبيل) أى عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم فى ذلك الاضلال أنه ارشاد الى

بذلك (ماالمسيح ابن مريم الارسول قدخلت من قبله الرسل) أى انه رسول ليس باله كما أن من قبله كانوا رسلا (وأمه صديقة) أى صدقت بكلمات ربها وكتبه وقوله (كانا يأكلان الطعام) يريد أنهما لحم ودم كانا يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان وهذه ليست من أوصاف الالهية (انظر كيف نبين لهم الآيات) أى نفسر لهم أمر ربوبيتى (ثم انظر أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق الذى يؤدى اليه تدبر الآيات (قل) للنصارى (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولانفعا) يعنى المسيح لانه لايملك ذلك الاالله تعالى (والله هو السميع) لكفركم (العليم) بضميركم (قل ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (لاتغلوا فى دينكم) أى لاتخرجوا عن الحد فى عيسى وغلو اليهود فيه تكذيبهم اياه ونسبته الى أنه لغير رشدة وغلو النصارى ادعاؤهم الالهية له وقوله (غير الحق) أى مخالفين للحق (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) يعنى رؤساهم الذين مضوا من الفريقين أى لا تتبعوا أسلافكم فيما ابتدعوا بأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) أى عن قصد الطريق باضلالهم الكثير

الحق (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل) أى لعن الله تعالى اليهود فى الزبور والنصارى فى الانجيل (على لسان داود وعيسى بن مريم) فاليهود لعنوا على لسان داود والنصارى لعنوا على لسان عيسى والفريقان من بنى اسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائدة أما أصحاب السبت فهم قوم داود وذلك أن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت بأخذ الحيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله قردة وأما أصحاب المائدة فانهم لما أكلوا من المائدة وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك اللعن الفظيع بسبب عصيانهم ومبالغتهم فى العصيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى كانوا لا يمتنعون عن معاودة منكر فعلوه ولا يتركونه ولا يصدر من بعضهم نهى لبعض عن منكر أرادوا فعله روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم (لبئس ما كانوا يفعلون) أى أقسم لبئس ما كانوا يفعلونه فعلهم هذا وهو ترك الاصرار على منكر فعلوه وترك النهى عنه (ترى كثيرا منهم) أى تبصر كثيرا من أهل الكتاب ككعب بن الاشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أى يصادقون كفار أهل مكة أبا سفيان وأصحابه بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أى فان كعبا وأضرابه خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على محاربة النبى صلى الله عليه وسلم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) أى لبئس شيئا قدموا من موالاتهم لعبدة الأوثان زادا معادهم موجب سخطه تعالى عليهم (وفى العذاب هم خالدون) أى وخلودهم أبد الآبدين فى عذاب جهنم وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فهى من جملة المخصوص بالذم (ولو كانوا) أى أهل الكتاب الذين يوالون المشركين (يؤمنون بالله والنبى) أى نبيهم وهو موسى (وما أنزل اليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوهم) أى ما اتخذ اليهود المشركين (أولياء) لان تحريم ذلك متأكد فى التوراة فى شرع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهر أنه ليس مرادهم تقرير دين موسى بل مرادهم الرياسة فيسعون فى تحصيله بأى طريق قدروا عليه فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق فقال (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أى خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم أما البعض منهم فقد آمن وفى هذه الآية وجه آخر ذكره القفال وهو أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس فى الكلام ما يدفعه (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهما كهم فى اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وقد قال بعضهم مذهب اليهود أنه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم فى الدين بأى طريق كان فان قدروا على القتل فذاك والا فبغصب المال أو بالسرقة أو بنوع من الحيلة وأما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء حرام فى دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى أن النصارى ألين عريكة من اليهود وأقرب الى المسلمين منهم (ولتجدن) يا أشرف الخلق (أقربهم) أى الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) انما أسند تسميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود للاشعار بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهودا فانها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد يهود بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة العجل

(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل) يعنى أصحاب السبت وأصحاب المائدة (على لسان داود) لانهم لما اعتدوا قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية لخلقك فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) لأنه لعن من لم يؤمن من أصحاب المائدة فقال اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت فمسخوا خنازير (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى لا ينتهون (ترى كثيرا منهم) أى من اليهود (يتولون الذين كفروا) أى كفار مكة (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم) أى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة سخط الله عليهم (لتجدن) يا محمد (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) وذلك انهم ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدا للنبى صلى الله عليه وسلم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) يعنى النجاشى ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع النصارى

أولتحركهم فى دراستهم (ذلك) أى كونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أى بسبب ان منهم (قسيسين) أى علماء (ورهبانا) أى عبادا أصحاب الصوامع (وأنهم لايستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة (و) انهم (اذا سمعوا) أى القسيسون والرهبان الذين آمنوا منهم (ماأنزل الى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعينهم تفيض من الدمع) أى تمتلىء من الدمع حتى تفيض أى تسيل (مما عرفوا من الحق) أى من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم أو مما عرفوا بعض الحق الذى هو القرآن روى أن قريشا تشاورت أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مانزل بأصحابه أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لايظلم ولايظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبدالاسد وزوجته أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم جعفر بن أبى طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى أرض الحبشة اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش ان ثاركم بأرض الحبشة فأهدوا الى النجاشى واسمه أصحمة وابعثوا اليه رجلين من ذوى رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردهم اليهم فدخلا اليه فقالا له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل زعم أنه نبى وهو قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نخبرك خبرهم وان قومنا يسألونك أن تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشى قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك مامنعكم أن تحيونى بتحيتى قالوا انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشى مايقول صاحبكم فى عيسى وأمه فقال جعفر بن أبى طالب يقول هو عبدالله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول فى مريم انها العذراء البتول فأخذ النجاشى عودا من الارض وقال والله مازاد صاحبكم على ماقال عيسى قدر هذه العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهابين وسائر النصارى فعرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم ومازلوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشى لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضى آمنون فرجع عمرو ومن معه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جوار الى أن علا أمر رسول الله وقهر أعداءه فى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله الى النجاشى على يد عمرو بن أمية الضمرى ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشى اليها جارية اسمها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزوجها فانفذ النجاشى اليها أربعمائة دينار صداقها على يد ابرهة وقالت ابرهة قد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتى اليك أن تقرئيه منى السلام قالت نعم

(ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء بوصاية عيسى بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأنهم لايستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود وعبدة الأوثان (واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول) يعنى النجاشى وأصحابه قرأ عليهم جعفر بن أبى طالب بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون وهو قوله (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) يريد الذى نزل على محمد وهو الحق (يقولون ربنا آمنا) صدقنا

وقالت فخرجنا الى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد الرسول عليها السلام ووافى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ومع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بحيرا الراهب وأصحابه أبرهة وأشرف وادريس وتميم وتمام ودريد وأيمن وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون ربنا آمنا) بما سمعنا مما أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق (فاكتبنا مع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا تحقيقا لايمانهم (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجملة قوله تعالى لا نؤمن حال من الضمير في لنا وجملة لا نطمع حال ثانية منه بتقدير مبتدأ أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله وبما جاءنا من القرآن والرسول ونحن نطمع في صحبة الصالحين ويجوز أن يكون قوله ونطمع حالا من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم أنكروا على أنفسهم عدم ايمانهم مع أنهم يطمعون في صحبة المؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أي جعل الله ثوابهم على قولهم ربنا آمنا مع اخلاص النية ومعرفة الحق أو بسبب ما سألوا بقولهم فاكتبنا مع الشاهدين كما رواه عطاء عن ابن عباس وقرىء فآتاهم الله (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أي الجنات (جزاء المحسنين) بالايمان أو المعنى جزاء الذين اعتادوا الاحسان في الأمور روي أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازمون لها لا ينفكون عنها دون غيرهم من عصاة المؤمنين وان كثرت كبائرهم (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم) أي لا تعتقدوا تحريم ما أحل الله لكم ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تجتنبوا الطيبات اجتنابا شبيه الاجتناب من المحرمات ولا تلتزموا تحريم الطيبات بنذر أو يمين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله بقطع المذاكير (ان الله لا يحب المعتدين) من الحلال الى الحرام كالمثلة فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا والتفرغ لعبادة الله تعالى من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة مأمور بها نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجمحي ومقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي حذيفة وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله ﷺ يوم القيامة لأصحابه يوما فبالغ الكلام في الانذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان ابن مظعون وتشاوروا واتفقوا على عزمهم أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا يناموا على الفرش ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم اني لم أومر بذلك ثم قال ﷺ ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني * وروي ان عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لي في الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي بالسياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله

(فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا نؤمن بالله) أي أي شيء لنا اذا تركنا الايمان بالله (وما جاءنا من الحق) أي القرآن (و) نحن (نطمع أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع) أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعنون أنهم لا شيء لهم اذا لم يؤمنوا بالقرآن ولا يتحقق طمعهم في دخول الجنة (فأثابهم الله بما قالوا) يعني بما سألوا الله من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين وقوله ونطمع أن يدخلنا الآية (جنات تجري) الآية (وذلك جزاء المحسنين) أي الموحدين ثم ذكر الوعيد لمن كفر من أهل الكتاب وغيرهم فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) هم قوم من أصحاب النبي ﷺ عزموا على أن يحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن يخصوا أنفسهم فأنزل الله هذه الآية وسمى الخصاء اعتداء فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله انا كنا قد حلفنا على ذلك فنزل

(لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) وفسرناهذا فى سورة البقرة (ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان) وهوأن يقصد الأمر فيحلف بالله
و يعقد عليه اليمين بالقلب متعمدا (فكفارته) أى اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين) لكل مسكين مدوهو
ثلثا من وهو قوله (من
أوسط ماتطعمون أهليكم)
لان هـذا القدروسط فى
الشبع وقيل من خير
ماتطعمون أهليكم أى
كالحنطة أوالتمر (أوكسوتهم)
وهوأقل مايقع عليه اسم
الكسوة من ازار ورداء
وقميص (أوتحرير رقبة)
أى مؤمنة والمكفر فى اليمين
مخير بين هذه الثلاثة (فمن
لم يجد) يعنى لم يفضل عن
قوته وقوت عياله يومه
وليلته مايطعم عشرة
مساكين (ف) عليه (صيام
ثلاثة أيام ذلك كفارة
أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا
أيمانكم) فلا تحلفوا
واحفظوها عن الحنث
(يأيها الذين آمنوا انما
الخمر) يعنى الأشربة التى
تخمر حتى تشتد وتسكر
(والميسر) أى القمار
بجميع أنواعه (والأنصاب)
أى الأوثان (والأزلام)
وهى قداح الاستقسام
التى ذكرت فى أول السورة
(رجس) أى قذر قبيح
(من عمل الشيطان) أى
ممايسوله الشيطان لبنى آدم
(فاجتنبوه) أى كونوا
جانبا منـه (انما يريد
الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وذلك لما يحصل بين أهلهما من العداوة (فان
والقبائح والاقدام على مايمنع منه العقل (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لان من اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله وعن الصلاة (فهل أنتم
منتهون) قالوا انتهينا ثم أمر بالطاعة فقال (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) المحارم والمناهى

قال يارسول الله ائذن لى فى الترهب قال ان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد لانتظار الصلاة (وكلوا ممارزقكم
الله حلالا طيبا) أى كلوا بعض رزقكم من الله الذى يكون حلالا مستلذا واصرفوا البقية الى الصدقات
والخيرات (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فى تحريم ماأحل الله لكم وفى المثلة (لايؤاخذكم الله
باللغو فى أيمانكم) قد تقدم ان قومامن الصحابة حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا
الرهبانية وحلفوا على ذلك على ظن انه قربة فلمانهاهم الله تعالى عنها قالوا يارسول الله فكيف نصنع
بايماننا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان) أى بتعقيدكم الايمان بالقصد
اذا حنثتم قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم بتشديد القاف وقرأ حمزة
والكسائى وأبو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم بالألف
والتخفيف (فكفارته) أى فكفارة نكث الايمان التى ليست بلغو (اطعام عشرة مساكين من
أوسط ماتطعمون أهليكم) فى قدر الطعام وهو ثلثا من لكل مسكين فان الانسان قد يكون قليل
الاكل جدا يكفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثير الأكل فلايكفيه المنوان والمتوسط الغالب يكفيه
من الخبز مايقرب من المن فثلثامن من الحنطة اذا جعل دقيقا أوخبزا فانه يصير قريبا من المن وذلك
كاف فى قوت اليوم الواحد (أوكسوتهم) بأقل مايطلق عليه اسم الكسوة كازار أورداء وقميص أو
سراويل أوعمامة لكل مسكين ثوب واحد (أوتحرير رقبة) وتقديم الاطعام على العتق لان المقصود تنبيه
على أن هذه الكفارة وجبت على التخيير بين هذه الثلاثة ولان الاطعام أسهل لكون الطعام أعم وجودا
ولان الاطعام أفضل لان الحر الفقير قد لايجد الطعام أما العبد فانه يجب على مولاه اطعامه وكسوته (فمن لم
يجد) واحدامن هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولو متفرقة لماروى أن رجلا قال للنبى ﷺ على أيام من
رمضان أفأقضيها متفرقات فقال ﷺ أرأيت لوكان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم أما كان
يجزيك قال بلى قال فالله أحق أن يعفو ويصفح والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (ذلك)
المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) أى قللوا الايمان وضنوابها
(كذلك) أى مثل ذلك التبيين لحكم الايمان (يبين الله لكم آياته) أى أعلام شريعته (لعلكم
تشكرون) نعمته فيمايعلمكم (يأيها الذين آمنوا انما الخمر) أى المسكر (والميسر) أى القمار
(والأنصاب) أى الأصنام التى نصبها المشركون ويعبدونها (والأزلام) سهام مكتوب عليها خير وشر
(رجس) أى قذر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) أى من الأمور التى يزينها للنفس (فاجتنبوه)
أى الرجس (لعلكم تفلحون) أى لكى تنجوا من العذاب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء فى الخمر) اذا صرتم نشاوى كما فعل الأنصارى الذى شج رأس سعد بن أبى وقاص
بلحى الجمل (والميسر) اذا ذهب مالكم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لان شرب الخمر يورث
اللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولان الشخص اذا كان غالبا
فى القمار صار استغراقه فى لذة الغلبة مانعا من أن يخطر بباله شىء سواه (فهل أنتم منتهون) أى قد بينت لكم
مفاسد الخمر والميسر فهل تنتهون عنهما أم أنتم مقيمون عليهما كأنكم لم توعظوا بهذه المواعظ (وأطيعوا
الله وأطيعوا الرسول) فى أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر (واحذروا) عن مخالفتهما فى التكاليف

(فان توليتم) أى عن الطاعة (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى ليس عليه الا البلاغ فان أطعتم والا استحققتم العذاب فلما
نزل تحريم الخمر قالوا يارسول الله ماتقول فى اخواننا الذين مضوا  وهم يشربونها ويأكلون الميسر فنزل

(فان توليتم) أى أعرضتم عن طاعتهما وعن الاحتراز عن مخالفتهما (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فالحجة قامت عليكم والعلل انقطعت لأن الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج ومابقى بعد ذلك الا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أى اثم (فيما طعموا) من الخمر ومن مال اللعب بالملاهى (اذا مااتقوا) أن يكون فى ذلك شىء من المحرمات أى اذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعملوا الصالحات) أى واستمروا على الايمان والأعمال الصالحة (ثم اتقوا) ماحرم عليهم بعد ذلك (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) أى استمروا على اتقاء المعاصى (وأحسنوا) أى اتجروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها (والله يحب المحسنين) روى انه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة ان اخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية وروى أبو بكر الأصم انه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار وكيف بالغائبين عنا فى البلدان لايشعرون أن الله حرم الخمر وهم يطعمونها فأنزل الله هذه الآيات (يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله) أى ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشىء من الصيد) أى من صيد البر (تناله أيديكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاهم الله بصيد البر وهم محرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم فيقدرون على أخذ الطير بالأيدى والوحش بالرماح ومارأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عنها ابتلاء (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم من يخافه حال كون الله تعالى غير مرئى له غائبا عن رؤيته أو يخافه باخلاص القلب فيترك الصيد (فمن اعتدى) بالتعرض للصيد (بعد ذلك) أى بعد بيان أن ماوقع من الصيد ابتلاء من عند الله تعالى لتمييز المطيع من العاصى (فله عذاب أليم) وهو العذاب فى الآخرة والتعزير فى الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه ولما قتل أبو اليسر بن عمرو صيدا متعمدا بقتله ناسيا لاحرامه أنزل الله تعالى قوله (يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) أى محرمون أوداخلون فى الحرم (ومن قتله) أى الصيد (منكم متعمدا) أى بقتله مع نسيان الاحرام كما قاله مجاهد والحسن (فجزاء مثل ماقتل من النعم) أى شبهه فى الخلقة والتقييد بالتعمد لأن الآية نزلت فى المتعمد حيث قتل أبو اليسر حمار وحش وهو محرم عمدا ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق بالعمد فيستوى فى محظورات الاحرام العمد والخطأ فى جزاء الاتلافات (يحكم به) أى بمثل ماقتل (ذوا عدل منكم) أى رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران الى أشبه الأشياء بالمقتول من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء أعرابى الى أبى بكر رضى الله عنه فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر رضى الله عنه أبى ابن كعب فقال الأعرابى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر رضى الله عنه وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شىء أمرناك به وعن قبيصة ابن جابر أنه حين كان محرما ضرب ظبيا فمات فسأل عمر بن الخطاب وكان بجنبه عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ماترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبى وقلت له ان أمير المؤمنين لم يدر مايقول حتى سأل غيره قال ففاجأنى عمر وعلانى بالدرة وقال أتقتل فى الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أى من الخمر والميسر قبل التحريم (اذا مااتقوا) المعاصى والشرك (ثم اتقوا وآمنوا) أى وداوموا على تقواهم (ثم اتقوا وأحسنوا) أى اتقوا ظلم العباد مع ضم الاحسان اليه (يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد) كان هذا عام الحديبية وكانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم كثيرة وهم محرمون ابتلاء من الله وهوقوله عز وجل (تناله أيديكم) يعنى الفراخ والصغار (ورماحكم) يعنى الكبار (ليعلم الله) أى ليرى الله (من يخافه بالغيب) أى من يخاف الله ولم يره (فمن اعتدى) أى ظلم بأخذ الصيد (بعد ذلك) أى بعد النهى (فله عذاب أليم يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) حرم الله قتل الصيد على المحرم فليس له أن يتعرض للصيد بوجه من الوجوه مادام محرما (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم) أى فعليه جزاء مماثل
للمقتول من النعم فى الخلقة ففى النعامة بدنة وفى حمار الوحش بقرة وفى الضبع كبش وعلى هذا التقدير (يحكم به ذوا عدل) أى يحكم فى الصيد بالجزاء رجلان صالحان (منكم) أى من اهل ملتكم فينظران الى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به

ابن عباس وعمر وغيرهما بشاة فى الحمام وهو كل ماعب وهدر من الطير كالقمرى والدبسى (هديا بالغ الكعبة) فهديا منصوب على التميز والمعنى يحكمان بالمثل هديا يساق الى الكعبة أى الى أرض الحرم فينحر هناك (أو كفارة طعام مساكين) فقوله كفارة عطف على قوله فجزاء أى فعليه جزاء أو كفارة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام مساكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة (أو عدل ذلك) أى أو مثل ذلك الطعام (صياما) فقوله أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدى والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثالث فيختار الجانى كلا من هذه الثلاثة (ليذوق و بال أمره) أى جزاء ذنبه والوبال فى اللغة الثقل وانما سمى الله ذلك وبالا لأن أحد هذه الثلاثة ثقيل على الطبع لأن فى الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص المال وفى الصوم انهاك البدن والمعنى انه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء التى كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد فى الحرم وفى حال الاحرام (عفا الله عما سلف) أى لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهى والتحريم لأن قتله اذ ذاك مباح (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد النهى عنه (فينتقم الله منه) أى فهو ينتقم الله منه فى الآخرة مع لزوم الكفارة (والله عزيز) أى غالب لا يغالب (ذو انتقام) أى ذو عقوبة شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أى أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة والملحة بحرا كان أو نهرا أو غديرا أى اصطياد صيد الماء والانتفاع به بأكله ولأجل عظامه وأسنانه وأحل لكم طعام البحر أى أكله فالصيد كما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة فى أخذه قال الشافعى رحمه الله السمكة الطافية فى البحر محللة والسمك عنده ما لا يعيش الا فى الماء ولو كان على صورة غير المأكول من حيوان البر كالآدمى والكلب والخنزير فهذا كله حلال عنده بخلاف ما يعيش فى الماء والبر كالسرطان والضفدع والتمساح والسلحفاة وطير الماء وحجة الشافعى القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه فما يمكن أكله يكون طعاما فيحل وأما الخبر فقوله ﷺ فى حق البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته نزلت هذه الآية فى قوم من بنى مدلج كانوا أهل صيد البحر سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن طعام البحر وعما حسر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أى ما حسر عنه البحر وألقاه (متاعا لكم وللسيارة) أى أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم وللمسافرين منكم يتزودونه قديدا فالطرى للمقيم والمالح للمسافر (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) أى محرمين أو فى الحرم فمذهب أبى حنيفة يحل للمحرم أكل ما صاده الحلال وان صاده لأجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعى وأحمد لا يباح ما صيد له فان لحم الصيد عندهم مباح للمحرم بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له والحجة فيه ما روى أبو داود فى سننه عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصطد لكم (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء الى غيره فاخشوه تعالى فى جميع المعاصى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى صير الله الكعبة سببا لحصول الخيرات فى الدنيا والآخرة وخلق الدواعى فى قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا يأتون اليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك لاسباغ النعم على أهل مكة وكان العرب يتقاتلون و يغيرون الا فى الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله فى

(هديا بالغ الكعبة) أى اذا أتى مكة ذبحه وتصدق به (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك) أى مثل ذلك (صياما) والمحرم اذا قتل صيدا كان مخيرا ان شاء جزاه بمثله من النعم وان شاء قوم المثل دراهم ثم يشترى بالدراهم طعاما ثم يتصدق به وان شاء صام عن كل مد يوما (ليذوق و بال أمره) أى جزاء ما صنع (عفا الله عما سلف) أى قبل التحريم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد الى قتل الصيد محرما حكم عليه ثانيا وهو بصدد الوعيد (والله عزيز) أى منيع (ذو انتقام) أى من أهل المعصية (أحل لكم صيد البحر) أى ما أصيب من داخله وهذا الاحلال عام لكل أحد محرما كان أو محلا (وطعامه) وهو ما نضب عنه الماء ولم يصد (متاعا لكم وللسيارة) أى منفعة للمقيم والمسافر يبيعون و يتزودون منه ثم أعاد تحريم الصيد فى حال الاحرام فقال (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون) أى خافوا الله الذى اليه تبعثون (جعل الله الكعبة البيت الحرام) يعنى البيت الذى حرم أن يصاد ما عنده و يختلى ما عنده من الخلا وما عظم من حرمته (قياما للناس) أى قياما لدينهم يقومون اليه للحج وقضاء النسك

الكعبة الطاعات الشريفة والمناسك العظيمة وهى سبب لحط الخطيئات و رفع الدرجات وكثرة الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق الى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم (والشهر الحرام) أى وجعل الله الشهر الحرام سببا لقوام معيشتهم فان العرب كان يقتل بعضهم بعضا فى سائر الأشهر و يغير بعضهم على بعض فاذا دخل الشهر الحرام الذى هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب زال الخوف وقدروا على الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى) أى وجعل الهدى سببا لقيام الناس وهو مايهدى الى البيت و يذبح هناك و يفرق لحمه على الفقراء فيكون ذلك نسكا للمهدى وقواما لمعيشة الفقراء (والقلائد) أى وجعل الله الأشخاص الذين يتقلدون بلحاء شجر الحرم سببا لأمنهم من العدو فانهم كانوا اذا رأوا شخصا جعل فى عنقه تلك القلادة عرفوا أنه راجع من الحرم فلا يتعرضون له (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى ذلك التدبير اللطيف من الجعل المذكور لأجل أن تتفكروا فيه أنه تدبير لطيف فتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان جعل ذلك لأجل جلب الصالح لكم ودفع الضار عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو فى الوجود وما هو كائن ثم اذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه تعالى صفة قديمة واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا بجميع المعلومات فلذلك قال تعالى (وأن الله بكل شئ عليم) فلا يخرج شئ عن علمه المحيط (اعلموا أن الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعده شدة عذابه تعالى لان الايمان لايتم الابالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ثم ذكر عقبه مايدل على الرحمة دلالة على انها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دقيقة وهى أن ابتداء الايجاد كان لأجل الرحمة والظاهر أن الختم لايكون الا على الرحمة (ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أى ان الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهدة التكليف و بقى الأمر من جانبكم وقد قامت عليكم الحجة فلا عذر لكم من بعد فى التفريط وأنا عالم بما تبدون و بما تكتمون فان خالفتم فاعلموا أن الله شديد العقاب فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا وان أطعتم فاعلموا أن الله غفور رحيم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان المحمود القليل من الأعمال والأموال خير من المذموم الكثير منهما والخطاب لكل معتبر قيل نزلت هذه الآية فى رجل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتى وانى اعتنقت من بيعها مالا فهل ينفعنى من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال ﷺ ان أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب (فاتقوا الله) بأن تتحروا ترك الخبيث من الأعمال والأموال ظاهرا او باطنا ولا تحتالوا فى تركه بالتأويل (يا أولى الألباب) أى أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفلحون) أى لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) أى ان تظهر لكم تلك الأشياء تحزنكم والمعنى اتركوا الأمور على ظواهرها ولا تسألوا عن أحوال مخفية ان تبد لكم تسؤكم وما بلغه الرسول اليكم فكونوا منقادين له وما لم يبلغه اليكم فلا تسألوا عنه فان خضتم فيما لا يكلف عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى أنس أنهم سألوا النبى ﷺ فأكثروا المسألة فقام على المنبر فقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ ما دمت فى مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من أبى فقال أبوك حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبى فقال فى النار وقال سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا فى كل عام فأعرض

(والشهر الحرام) يعنى الأشهر الحرم فذكره بلفظ الجنس (والهدى والقلائد) ذكرنا فى أول السورة وهذه الجملة ذكرت بعد ذكر البيت لانها من أسباب حج البيت فذكرت معه (ذلك) أى ذلك الذى أنبأتكم به فى هذه السورة من أخبار الأنبياء وأحوال المنافقين واليهود وغير ذلك (لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) الآية أى يدلكم ذلك على أنه لا يخفى عليه شئ (قل لا يستوى الخبيث والطيب) أى الحرام والحلال (ولو أعجبك كثرة الخبيث) وذلك أن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) نزلت حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة فقام مغضبا خطيبا وقال ما تسألونى فى مقامى هذا عن شئ الا أخبرتكموه فقام رجل من بنى سهم يطعن فى نسبه فقال من أبى فقال أبوك حذافة وقام آخر فقال أين أبى قال فى النار فأنزل الله هذه الآية ونهاهم أن يسألوا عما يحزنهم جوابه وابداؤه كسؤال من سأل عن موضع أبيه فقال فى النار

(وان تسألوا عنها) عن أشياء (حين ينزل القرآن) فيها (تبدلكم) يعنى ماينزل فيه القرآن من فرض أونهي وحكم ومست الحاجة الى بيانه فاذا سألتم عنها حينئذ تبدلكم (عفا الله عنها) أي عن مسألتكم مما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم ولا حاجة بكم الى بيانه نهاهم أن يعودوا الى مثل ذلك وأخبر أنه عفا عما فعلوه (والله غفور حليم) أي لا يعجل بالعقوبة ثم أخبرهم عن حال من تكلف سؤال مالم يكلفوا فقال (قد سألها) أي الآيات (قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) يعني قوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها وقوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها (ما جعل الله من بحيرة) أي ما أوجبها ولا أمر بها والبحيرة الناقة اذا نتجت خمسة أبطن شقوا أذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها (ولا سائبة) وهي ما كانوا يسيبونه لآلهتهم في نذر يلزمهم ان شفي مريض أو قضيت لهم حاجة (ولا وصيلة) كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم (ولا حام) اذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره وسيب لأصنامهم فلم يحمل عليه (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أي يتقولون على الله الأباطيل في تحريمهم هذه

عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت مااستطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديث عهد بجاهلية فاعف عنا يارسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) أي وان تسألوا عن أشياء مست حاجتكم الى التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهرها حينئذ فالسؤال على قسمين سؤال عن شئ لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله تعالى لاتسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وسؤال عن شئ نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فههنا السؤال واجب وهو المراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم فالضمير في عنها يرجع الى أشياء أخر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالمراد بالانسان آدم عليه السلام والمراد بالضمير ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين (عفا الله عنها) أي أمسك الله عن أشياء أي عن ذكرها ولم يكلف فيها بشئ وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق أي خففت عنكم باسقاطها أو المعنى عفا الله عما سلف من مسائلكم التي تغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعودوا لمثلها (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سأل أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فصار ذلك وبالا عليهم وبني اسرائيل قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ثم كفروا وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها والمعنى أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم في السؤال عن أحوال الأشياء مشابهون لأولئك المتقدمين في سؤال ذوات تلك الأشياء في كون كل واحد من السؤالين فضولا وخوضا فيما لا فائدة فيه فان المتقدمين انما سألوا من الله اخراج الناقة من الصخرة وانزال المائدة من السماء فهم سألوا نفس الشئ وأما أصحاب محمد فهم سألوا عن صفات الأشياء فلما اختلف السؤالان في النوع اختلفت العبارة لكن يشتركان في وصف واحد وهو خوض في الفضول وشروع فيما لا حاجة اليه وفي ذلك خطر المفسدة (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر فتشق أذنها ولا تذبح ولا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن ماء ومرعى ولا يجز لها وبر ولا يحمل على ظهرها بل تسيب لآلهتهم والسائبة هي البعير المسيبة وكان الرجل اذا شفي من مرض أو قدم من سفر أو نذر نذرا أو شكر نعمة سيب بعيرا وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة هي الشاة الموصلة وذلك أن الشاة اذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى البطن السابع فاذا كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال والنساء جميعا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشئ حتى تموت فاذا ماتت كان الرجال والنساء يأكلونها جميعا وان كان ذكرا وأنثى قيل وصلت أخاها فيتركان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى يموتا فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى الى أن يموت فحينئذ تأكله الرجال والنساء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان رؤساءهم عمرو بن لحي وأصحابه يختلقون على الله الكذب

الانعام وهم جعلوها محرمة لا الله حرمها (وأكثرهم لايعقلون) يعنى أتباع رؤسائهم الذين سنوا لهم تحريم هذه الأنعام أى لايعقلون أن ذلك كذب وافتراء على الله من الرؤساء (واذاقيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله) أى فى القرآن من تحليل ماحرمتم (قالوا حسبناماوجدنا عليه آباءنا) من الدين (أولو كان آباؤهم) الآية مفسرة فى سورة البقرة (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها من ملابسة المعاصى والاصرار على الذنوب (لايضركم من ضل) من أهل الكتاب (اذا اهتديتم) أنتم (الى الله مرجعكم جميعا) أى مصيركم ومصير من خالفكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى يجازيكم بأعمالكم (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) نزلت هذه الآية فى قصة تميم وعدى و بديل خرجوا تجارا الى الشام فمرض بديل ودفع اليهما متاعه وأوصى اليهما أن يدفعاه الى أهله اذا رجعا فأخذا من متاعه اناء من فضة وردا الباقى الى أهله فعلموا بخيانتهما ورفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية ليشهدكم (اذا حضر أحدكم الموت) وأردتم الوصية (اثنان ذوا عدل منكم) من أهل ملتكم تشهدونهما على الوصية (أوآخران من غيركم) أى من غير دينكم (ان أنتم ضربتم فى الارض) أى اذا سافرتم فى الأرض (فأصابتكم مصيبة الموت) علم الله تعالى أن من الناس من يسافر فيصحبه فى سفره أهل الكتاب دون المسلمين و يحضره الموت فلايجد من يشهده على وصيته من المسلمين فقال أوآخران من غيركم فالذميان فى السفر خاصة اذا لم يوجد غيرهما وقوله (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم

ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أى الأتباع (لايعقلون) أن ذلك افتراء باطل قال المفسرون ان عمرو بن لحى الخزاعى كان قدملك مكة وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الأصنام ونصب الأوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال النبى صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار بريح قصبه أى معاه (واذاقيل لهم) أى للأكثر الذى هم الاتباع (تعالوا الى ماأنزل الله) من الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذى أنزل الكتاب عليه لتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) من الدين (أولوكان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون) والواو واو الحال دخلت عليها همزة الانكار والتقدير أكافيهم دين آبائهم وقد كان آباؤهم لايعلمون شيئا من الدين ولايهتدون للصواب ولسنة النبى فكيف يقتدون بهم (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصى والاصرار على الذنوب (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لايضركم ضلالة من ضل اذا اهتديتم الى الايمان و بينتم ضلالتهم كما قاله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والمعنى عليكم أهل دينكم ولايضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم أى أهل دينكم فقوله تعالى عليكم أنفسكم أى أقبلوا على أهل دينكم وذلك بأن يعظ بعضكم بعضا و يرغب بعضكم بعضا فى الخيرات و ينفره عن القبائح والسيئات وهذه الآية أوكد آية فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله لايضركم اما مجزوم على أنه جواب للأمر وهو عليكم أونهى مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة فان الأصل لايضرركم و يؤيده قراءة يضركم بفتح الراء وهو مجزوم وانما فتحت الراء لاجل الخفة وقراءة من قرأ لايضركم بسكون الراء مع كسر الضاد وضمها من ضار يضير و يضورا ما مرفوع على أنه كلام مستأنف فى موضع التعليل لما قبله و يعضده قراءة من قرأ لايضيركم بالرفع و بالياء بعد الضاد أى ليس يضركم ضلال من ضل اذا كنتم ثابتين فى دينكم (الى الله مرجعكم جميعا) أى رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الخير والشر فيجازيكم عليه (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى شهادة ما بينكم من التنازع (اذا حضر أحدكم الموت) أى اذا ظهر لأحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله اذا حضر لان زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الأمرين الواقعين فيه أى الشهادة المحتاج اليها عند مشارفة الموت (اثنان ذوا عدل منكم) أى من أهل دينكم يامعشر المؤمنين (أوآخران من غيركم) أى غير عادلين من غير أهل دينكم (ان أنتم ضربتم) أى سافرتم (فى الأرض) فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة فى الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لاتجوز الا فى السفر (فأصابتكم مصيبة الموت) أى فحضرت عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز الاستشهاد بغير المسلمين (تحبسونهما من بعد الصلاة) أى تقفونهما للتحليف من بعد صلاة العصر كما استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها وجميع أهل الأديان يعظمون هذا الوقت و يذكرون الله فيه و يحترزون عن الحلف الكاذب (فيقسمان) أى يحلفان (بالله ان ارتبتم) أى ان شككتم

لانشترى به ثمنا) أى ان ارتبتم فى شهادتهما وشككتم وخشيتم أن يكونا قد خانا حبستموهما على اليمين بعد صلاة العصر (فيقسمان بالله) ويقولان فى يمينهما الانبيع الله بعرض من الدنيا ولانحابى أحدا فى شهادتنا (ولو كان



ذا قربى) أى ولو كان المشهود له ذا قربى (ولانكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله تعالى باقامتها (انا اذا لمن الآثمين) أى ان كتمناها ولما رفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما وذلك أنهما كانا نصرانيين و بديل كان مسلما فحلفا على أنهما ماقبضا له غير مادفعا الى الورثة ولا كتما شيئا وخلى سبيلهما ثم اطلع على الاناء فى أيديهما فقالا اشتريناه منه فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله (فان عثر) أى أظهر واطلع (على أنهما استحقا اثما) أى استوجباه بالخيانة والحنث فى اليمين (فآخران يقومان مقامهما من) الورثة وهم (الذين استحق عليهم) أى استحق عليهم الوصية والايصاء وذلك أن الوصية تستحق على الورثة (الأوليان) بالميت أى الأقربان اليه والمعنى قام فى اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت

فى شأن آخرين بقولهما والله (لانشترى به) أى بالقسم بالله (ثمنا) أى عوضا يسيرا من الدنيا أى لا تأخذ لأنفسنا بدلا من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذاقربى) أى ولو كان ذلك العوض اليسير حياة ذى قربى منا أى لانحلف بالله كاذبين لأجل المال (ولا نكتم شهادة الله) أى لانكتم الشهادة التى أمرنا الله تعالى باقامتها واظهارها (انا اذا لمن الآثمين) أى انا ان كتمناها حينئذ كنا من العاصين (فان عثر على أنهما استحقا اثما) أى فان حصل الاطلاع بعد ماحلف الوصيان عن أنهما استحقا حنثا فى اليمين بكذب فى قول وخيانة فى مال (فآخران يقومان مقامهما) أى مقام الشاهدين اللذين هما من غير ملتهما (من الذين استحق عليهم الأوليان) أى باليمين و بالمال أو الأقربان الى الميت الوارثان له والأوليان اما بدل من آخران أو من الضمير الذى فى يقومان أو صفة لآخران عند الاخفش لأن النكرة اذا تقدم ذكرها ثم أعيد عليها الذكر صارت معرفة أو خبر لمبتدا محذوف وهذا على القراءة المشهورة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للمجهول وانما وصف الورثة بكونهم استحق عليهم لأنه لما أخذ مالهم فقد استحق عليهم مالهم أولكونهم جنى عليهم أما على قراءة حفص وحده وهى استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل فقوله الأوليان فاعل له والمعنى ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما أولى من غيرهما بسبب أن الميت عينهما للوصاية ولما خاناه فى مال الورثة صح أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم الأوليان أى خان فى مالهم الأوليان بالوصية (فيقسمان) أى هذان الآخران (بالله) بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى والله ليمين المسلمين أصدق وأحق بالقبول من يمين النصرانيين (وما اعتدينا) أى ماتجاوزنا الحق فيما ادعينا وفى طلب المال وفى نسبتهما الى الخيانة (انا اذا لمن الظالمين) أى انا ان اعتدينا فى ذلك كنا من الظالمين أنفسهم باقبالها لسخط الله تعالى وعذابه واتفق المفسرون على أن سبب نزول هذه الآيات أن تميم بن أوس الدارى وعدى بن بداء وكانا نصرانيين ومعهما بديل بن أبى مارية مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا الى الشام للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع مامعه وألقاه فيما بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات بديل فأخذا من متاعه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ولما رجعا دفعا باقى المتاع الى أهله ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الاناء فقالوا لتميم وعدى أين الاناء فقالا لاندرى والذى دفع الينا دفعناه اليكم فرفعوا الواقعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر ولما حلفا خلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما طالت المدة أظهرا الاناء فبلغ ذلك بنى سهم فطالبوهما فقالا كنا قد اشتريناه منه فقالوا ألم نقل لكم هل باع صاحبنا شيئا فقلتما لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم فكتمنا لذلك فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب أبو رفيعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى أولياء الميت وكان تميم الدارى يقول بعد اسلامه صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء فأتوب الى الله تعالى

فيحلفان بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما وهو قوله (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى يميننا أحق من يمينهما (وما اعتدينا) فيما قلنا فلما نزلت الآية قام اثنان من ورثة الميت فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الأناء الى أولياء الميت (ذلك

(ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أى ذلك الطريق الذى بيناه أقرب الى أن يؤدى الشهود الشهادة على طريقها الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخروى (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى أو أقرب الى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المدعين لانقلاب الدعوى بأن صار المدعى عليه مدعيا الملك وصار المدعى مدعى عليه فلذا لزمته اليمين والمعنى أو لم يخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة بل يأتوا الشهادة على غير وجهها ولكنهم يخافون الافتضاح على رءوس الاشهاد بابطال أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) فى أن تخونوا فى الأمانات (واسمعوا) مواعظ الله أى اعملوا بها وأطيعوا الله فيها (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى الخارجين عن الطاعة الى ما ينفعهم فى الآخرة (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيوم بدل اشتمال من مفعول اتقوا أو ظرف ليهدى والمعنى لا يهديهم الى الجنة (فيقول) لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة (ماذا أجبتم) أى أى اجابة أجابكم بها أممكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى أهى اجابة قبول أو اجابة رد (قالوا) تفويضا للأمر الى العدل الحكيم العالم وعلما منهم أن الأدب فى السكوت والتفويض وان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا (لا علم لنا) أى لانك تعلم ما أظهروا وما أضمروا ونحن لا نعلم الا ما أظهروا لنا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا ولان الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن وهو معتبر فى الدنيا لأن الأحكام فى الدنيا مبنية على الظن وأما الأحكام فى الآخرة فهى مبنية على حقائق الأشياء و بواطن الأمور ولا عبرة بالظن فى القيامة فلهذا السبب قالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) أى فانك تعلم ما أجابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمروه فى قلوبهم وقرئ شاذا علام الغيوب بالنصب اما على الاختصاص أو على النداء أو على أنه بدل من اسم ان والكلام قد تم بقوله تعالى انك أنت أى أنت متصف بصفاتك السنية (قال الله) بدل من يوم يجمع الله و يجوز أن يكون موضع اذ رفعا بالابتداء على معنى ذاك اذ قال الله (ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) أى اذكر انعامى عليكما اذ طهرت أمك واصطفيتها على نساء العالمين وقويتك بجبريل لتثبيت الحجة (تكلم الناس فى المهد) أى طفلا بقولك انى عبد الله الآية (وكهلا) أى اذا أنزله الله تعالى الى الأرض أنزله وهو فى صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم انى عبد الله كما قال فى المهد (واذ علمتك الكتاب) أى الكتابة وهى الخط (والحكمة) أى العلوم النظرية والعلوم العملية (والتوراة والانجيل) وذكر الكتابين اشارة الى الأسرار التى لا يطلع عليها أحد الا أكابر الأنبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتب الالهية لا يحصل الا لمن صار ربانيا فى أصناف العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التى يبحث عنها العلماء (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) أى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذنى) أى بأمرى (فتنفخ فيها) أى فى الهيئة المصورة فالضمير راجع للكاف وهى دالة على الهيئة التى هى مثل هيئة الطير (فتكون طيرا باذنى) أى فتصير تلك الصورة خفاشا تطير بين السماء والارض بارادتى (وتبرئ الأكمه) أى الأعمى المطموس البصر (والأبرص باذنى) أى بأمرى وارادتى وقدرتى (واذ تخرج الموتى) من قبورهم أحياء (باذنى) أى بفعلى ذلك عند دعائك وعند قولك للميت اخرج باذن الله من قبرك (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) أى منعت اليهود الذين أرادوا قتلك عن مطلوبهم بك (اذ جئتهم بالبينات) بما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك فأل للجنس (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) قرأ حمزة والكسائى هنا وفى هود والصف ويونس ساحر بالألف أى ما هذا الرجل وهو

(ذلك) أى ما حكم به فى هذه القصة و بينه من رد اليمين (أدنى) الى الاتيان بالشهادة كما كانت (أو يخافوا) أى أقرب الى أن يخافوا (أن ترد أيمان) على أولياء الميت (بعد أيمانهم) أى بعد أيمان الاوصياء فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا (واتقوا الله) أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) الموعظة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يرشد من كان على معصية (يوم يجمع الله الرسل) أى اذكروا ذلك اليوم (فيقول) لهم (ماذا أجبتم) أى ماذا أجابكم قومكم فى التوحيد (قالوا لا علم لنا) من هول ذلك اليوم يذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم فيشهدون لمن صدقهم وعلى من كذبهم (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم) مضى تفسير هذه الآية فيما سبق الى قوله (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) أى عن قتلك

عيسى الاساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم فى يونس فقط بالألف والباقون سحر بكسر السين وسكون الحاء أى ماهذا الذى جاء به عيسى من الخوارق أوماهذا أى عيسى الاسحرمبين وهذا على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف روى أن عيسى عليه السلام لما أظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى منهم حيث رفعه الى السماء (واذ أوحيت الى الحواريين) أى الأنصار أى ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلا فى قلوبهم وأمرتهم فى الانجيل على لسانك (أن آمنوا بى وبرسولى) والمعنى أى آمنوا بوحدانيتى فى الألوهيـة وبرسالة رسولى عيسى (قالوا آمنا) بوحدانيته تعالى وبرسالة رسوله (واشهد) أنت ياعيسى (بأننا مسلمون) أى مخلصون فى ايماننا (اذقال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) قرأ الجمهور بالياء على الغيبة أى هل يفعل ربك والمقصود من هذا السؤال تقرير أن ذلك المطلوب فى غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا ويكون غرضه منه أن ذلك أمر جلى لايجوز لعاقل أن يشك فيه فكذا ههنا وقرأ الكسائى تستطيع بتاء الخطاب لعيسى وربك بالنصب على التعظيم وبادغام اللام فى التاء وهذه القراءة مروية عن على وابن عباس وعن عائشة أى هل تستطيع أن تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء قال) عيسى لشمعون قل لهم (اتقوا الله) فى اقتراح معجزة لم يسبق لها مثال بعد تقدم معجزات كثيرة (ان كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادرا على انزال المائدة فلعلكم تتركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شمعون (قالوا نريد أن نأكل منها) أكل تبرك أو أكل حاجة وتمتع (وتطمئن قلوبنا) بكمال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال (ونعلم أن قدصدقتنا) أى وتعلم علما يقينيا أنه قدصدقتنا فى دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وفى قولك انا اذا صمنا ثلاثين يوما لانسأل الله تعالى الاأعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) لله بكمال القدرة ولك بالنبوة وهذه المعجزة سماوية وهى أعظم وأعجب فاذاشاهدناها كنا عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى ابن مريم) أى لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أى طعاما (من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) أى تتخذ اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه نحن ومن يأتى بعدنا ونزلت يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وانما أسند العيد الى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها والمعنى يكون يوم نزولها عيدا لأهل زماننا ولمن بعدهم لكى نعبدك فيه (وآية منك) أى دلالة على وحدانيتك وكمال قدرتك وصحة نبوة رسولك (وارزقنا) أى أعطنا ماسألناك (وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها) أى المائدة (عليكم) وقرأ ابن عامر وعاصم ونافع منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف (فمن يكفر بعد) أى بعد نزولها (منكم فانى أعذبه عذابا لاأعذبه) أى انى أعذب من يكفر تعذيبا لاأعذب مثل ذلك التعذيب (أحدا من العالمين) روى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا الخ فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال باسم الله خير الرازقين فاذ أسمكة مشوية بلاشوك ولافلوس تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الألوان ماخلا الكراث

(واذ أوحيت الى الحواريين) أى ألهمتهم (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) لم يشكوا فى قدرته ولكن معناه هل يقبل ربك دعاءك وهل يسهل لك انزال مائدة من السماء علامالك ودلالة على صدقك فقال عيسى (اتقوا الله) ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم من قبلكم (قالوا نريد أن نأكل منها) أى نريد السؤال من أجل ذلك (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا بصدقك (ونكون عليها من الشاهدين) أى لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقوله (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) أى تتخذ اليوم الذى تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن يأتى بعدنا (وآية منك) أى دلالة على توحيدك وصدق نبيك (وارزقنا) عليها طعاما نأكله وقوله (فمن يكفر بعد منكم) أى بعد انزال المائدة (فانى أعذبه عذابا لاأعذبه أحدا من العالمين) أراد جنسا من العذاب لانعذب به غيرهم من عالمى زمانهم

واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يار وح الله من طعام الدنيا هــذا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولــكنه شىء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ماسألتم واشــكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المــائدة ثم عصوا وقالوا بعد النزول والأكل هذا سحر مبين فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا اخنازير يسعون فى الطرقات والــكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برءوسهم ولا يقدرون على الــكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلــكوا (واذ قال الله) يوم القيامة (ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس) فى الدنيا (اتخذونى وأمى الهين من دون الله) أى غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى أن عيسى لم يقل ذلك انما لتوبيخ قومه (قال) أى عيسى وهو يرعد (سبحانك) أى أنزهك تنزيها لائقا بك من أن أقول ذلك (ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق) أى ما كان ينبغى أن أقول ماليس بجائز لى (ان كنت قلته) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة فى الأدب وفى اظهار الذل فى حضرة ذى الجلال وتفويض الأمور بالــكلية الى الــكبير المتعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم ما عندى ومعلومى ولا أعلم ما عندك ومعلومك (انك أنت علام الغيوب) عن العباد (ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم) وأن مفسرة للهاء الراجع للقول المأمور به والمعنى ماقلت لهم فى الدنيا الا قولا أمرتنى به وذلك القول هو أن أقول لهم اعبدوا الله ربى وربكم (وكنت عليهم شــهيدا) على مايفعلون (مادمت فيهم) أى مدة دوامى فيما بينهم (فلما توفيتنى) أى رفعتنى من بينهم الى السماء (كنت أنت الرقيب عليهم) أى الحافظ لأعمالهم المراقب لأحوالهم (وأنت على كل شىء شهيد) وعالم بصير (ان تعذبهم فانهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز) أى القادر على ماتريد (الحــكيم) فى كل ماتفعل لا اعتراض لأحد عليــك فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ومقصود عيسى عليه السلام من هذا الــكلام تفويض الأمور كلها الى الله وترك الاعتراض عليه بالــكلية لأنه يجوز فى مذهبنا من الله تعالى أن يدخل الــكفار الجنة وأن يدخل العباد النار لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه (قال الله هذا) أى يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) فى الدنيا فى أمور الدين قرأ الجمهور يوم بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أى هــذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) أى عن الصادقين بطاعتهم له (ورضوا عنه) بالثواب والــكرامة (ذلك) الرضوان (الفوز العظيم) فالجنة بما فيها بالنسبة الى رضوان الله كالعدم بالنسبة الى الوجود وكيف لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأى مناسبة بينهما (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير) أى ان كل ماسوى الله تعالى من الــكائنات والأجساد والأرواح ممكن لذاته موجود بايجاده واذا كان الله موجدا كان مالــكاله واذا كان مالــكاله كان له تعالى أن يتصرف فى الــكل بالأمر والنهى والثواب والعقاب كيف أراد فصح التــكليف على أى وجــه أراده الله تعالى ولما كان الله مالك الملك فله بحكم المــالــكية أن ينسخ شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فبطل قول

(واذ قال الله ياعيسى ابن مريم) واذكر يا محمد حين يقول الله يوم القيامة لعيسى (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) هذا الاستفهام معناه التوبيخ لمن ادعى ذلك على المسيح ليكذبهم المسيح فتقــوم عليهم الحجة (قال سبحانك) أى برآتك من السوء (تعلم ما فى نفسى) أى ما فى سرى وما أضمره (ولا أعلم ما فى نفسك) أى ما تخفيه أنت وما عندك علمه ولم تطلعنا عليه وقوله (وكنت عليهم شهيدا) أى كنت أشهد عــلى مايفــعلون (فلما توفيتنى) أى قبضــتنى ورفعتنى اليك أى الى السماء (كنت أنت الرقيب) أى الحفيظ (عليهم وأنت على كل شىء شهيد) أى شهدت مقالتى فيهم وبعد ما رفعتنى شهدت مايفعلون من بعدى (ان تعذبهم) أى من كفر بك (فانهم عبادك) وأنت العادل فيهم (وان تغفر لهم) أى من أقلع منهــم وآمن (فانك أنت العزيز) لا يمتنع عليك ماتريد (الحــكيم) فى ذلك (قال الله هذا يوم) يعنى يوم القيامــة (ينفع الصادقــين) فى الدنيــا (صدقهم) لأنه يوم الاثابة ويوم الجــزاء (رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك الفوز العظيم) أى لأنهم فازوا بالجنة (لله ملك السموات والأرض) عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه إلها

اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم ان عيسى ومريم داخلان فيما سوى الله فهو كائن بتكوين الله تعالى فثبت كونهما عبدين لله مخلوقين له فظهر بهذا التقرير أن هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم التي اشتملت هذه السورة عليها

﴿سورة الأنعام مكية الاست آيات فانها مدنيات وهي قوله قل تعالوا الى آخر الآيات الثلاث وهو لعلكم تتقون وقوله تعالى وماقدروا الله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون وهي مائة وخمس وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ والمدح أعم من الحمد لأن المدح للعاقل ولغير العاقل فكما يمدح العاقل على أنواع فضائله كذلك يمدح اللؤلؤ لحسن شكله والياقوت على نهاية صفائه وصقالته والحمد لا يحصل الا للفاعل المختار على مايصدر منه من الاحسان. والحمد أعم من الشكر لأن الحمد تعظيم الفاعل لأجل ماصدر عنه من الانعام واصلا اليك أو الى غيرك والشكر تعظيمه لأجل انعام وصل اليك وحصل عندك والمقصود من هذه الآية ذكر الدلالة على وجود الصانع والفرق بين الجعل والخلق ان كلا منهما هو الانشاء والابداع الا أن الخلق مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجعل عام له كما في هذه الآية الكريمة وللتشريعي أيضا كما في قوله تعالى ماجعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها اذ مامن جرم الاوله ظل والظل هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وهذا اذا حملا على الكيفيتين المحسوستين بحس البصر وان حمل النور على نور الاسلام والايمان واليقين والنبوة والظلمات على ظلمة الشرك والكفر والنفاق فنقول لأن الحق واحد والباطل كثير وتقديم الظلمات على النور لأن الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم المحدثات متقدم على وجودها (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي يشركون به غيره وهذه الجملة امامعطوفة على قوله الحمد لله والباء متعلقة بكفروا فيكون يعدلون من العدول ولا مفعول له والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ماخلقه لأنه تعالى ماخلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يميلون عنه فيكفرون نعمته أو متعلقة بيعدلون وهو من العدول ويوضع الرب موضع الضمير العائد اليه تعالى والمعنى انه مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار شئونه العظيمة الخاصة به ثم هؤلاء الكفرة يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد وامامعطوف على قوله خلق السموات والباء متعلقة بيعدلون وقدمت لأجل الفاصلة وهي اما بمعنى عن ويعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى خلق مالايقدر عليه أحد سواه ثم الذين كفروا يعدلون عن ربهم الى غيره أو للتعدية ويعدلون من العدل وهو التسوية والمعنى انه تعالى خلق هذه الأشياء العظيمة التي لايقدر عليها أحد سواه ثم انهم يعدلون به جمادا لايقدر على شيء أصلا فيكون المفعول محذوفا وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح آيات قدرته تعالى (هو الذي خلقكم من طين) أي ان الله خلق جميع الانسان من آدم وآدم كان مخلوقا من طين فلهذا السبب قال هو الذي خلقكم من طين أي من جميع أنواعه فلذلك اختلفت ألوان بني آدم وعجنت طينتهم بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم وأيضا ان الانسان مخلوق من المني والمني انما يتولد من الأغذية وهي اما حيوانية أو نباتية فحال الحيوانية كالحال في كيفية تولد الانسان فبقي أن تكون الأغذية نباتية فثبت أن الانسان مخلوق من الأغذية النباتية ولاشك أنها متولدة من الطين فثبت أن كل انسان متولد من الطين وقال المهدوي ان الانسان مخلوق ابتداء من طين لخبر مامن مولود يولد

﴿تفسير سورة الأنعام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) أي وخلق الليل والنهار (ثم الذين كفروا) بعد قيام الدليل على وحدانيته بماذكر من خلقه (بربهم يعدلون) الحجارة والأصنام فيعبدونها معه (هو الذي خلقكم من طين) يعني آدم أبا البشر

الاويذر على النطفة من تراب حفرته وأياما كان الانسان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث مالايخفى فان من قدر على احياء مالم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ماقارنها مدة أظهر قدرة (ثم قضى أجلا) أى خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص تعلق مشيئته تعالى بايقاع ذلك الموت فى ذلك الوقت (وأجل مسمى) أى حد معين لبعثكم جميعا من البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده الى موته وأجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث فى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد فى أجل البعث وقال حكماء الاسلام ان لكل انسان أجلين أحدهما الآجال الطبيعية والثانى الآجال الاخترامية فالآجال الطبيعية هى التى لو بقى ذلك المزاج مصونا من الأعراض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلانى والآجال الاخترامية هى التى تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الأمور المعضلة (ثم أنتم تمترون) أى ثم بعد ظهور مثل هذه الحجة الباهرة أنتم أيها الكفار تنكرون صحة التوحيد للصانع أوثم بعد مشاهدتكم فى أنفسكم من الشواهد مايقطع الشك بالكلية أنتم أيها الكفار تستبعدون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله فى السموات وفى الارض) أى وهو الذى اتصف بالخلق هو المعبود فى السموات والأرض والمتصرف فيهما (يعلم سركم) فى القلوب من الدواعى والصوارف (وجهركم) فى الجوارح من الاعمال (ويعلم ماتكسبون) أى مكتسبكم أى ماتستحقون على فعلكم من الثواب والعقاب (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) أى مايظهر للكفار من آية من الآيات التكوينية التى يجب فيها النظر التى من جملتها جلائل شؤونه الدالة على وحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين النظر المؤدى الى الايمان بكونها وهذه الآية تدل على أن التقليد باطل والتأمل فى الدلائل واجب ولولا ذلك لماذم الله المعرضين عن التفكر فى الدلائل أو المعنى ماينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية الا كانوا مكذبين بتلك الآية ومن الأولى مزيدة لاستغراق الجنس الذى يقع فى النفى والثانية للتبعيض وهى مع مجرورها صفة لآية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أى فقد كذب أهل مكة بالمعجزات كانشقاق القمر بمكة وانفلاقه فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة أو بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أى سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى ألم يعرف أهل مكة بمعاينة الآثار فى أسفارهم للتجارة الى الشام فى الصيف والى اليمن فى الشتاء وبسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل زمان أهل مكة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم) أى أعطينا أولئك الجماعة من البسطة فى الأجساد والامتداد فى الاعمار والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا مالم نعطكم ياأهل مكة (وأرسلنا السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى متتابعا كلما احتاجوا اليه (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) أى من تحت بساتينهم وزروعهم وشجرهم (فأهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الأنبياء وبكونهم باعوا الدين بالدنيا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أى أحدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين وهذا تنبيه على أن اهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا ولا يتعاظم على الله هلاكهم وخلو بلاده منهم فانه تعالى قادر

(ثم قضى أجلا) يعنى أجل الحياة الى الموت (وأجل مسمى عنده) أى من الممات الى البعث (ثم أنتم) أيها المشركون بعد هذا البيان (تمترون) أى تشكون وتكذبون بالبعث يريد أن الذى ابتدأ الخلق قادر على اعادته (وهو الله) أى المعبود المعظم المنفرد بالتدبير (فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون وماتأتيهم من آية من آيات ربهم) الدالة على وحدانيته كما ذكر من خلق آدم وخلق الليل والنهار (الا كانوا عنها معرضين) أى تاركين للتفكر فيها (فقد كذبوا) يعنى مشركى مكة (بالحق لما جاءهم) يعنى القرآن (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أى اخبار استهزائهم وجزاؤه (ألم يروا) يعنى هؤلاء الكفار (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى من جيل وأمة (مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم) أى أعطيناهم من المال والعبيد والأنعام مالم نعطكم (وأرسلنا السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى كثير الدر وهو اقباله ونزوله بكثرة (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بكفرهم (وأنشأنا) أى أوجدنا (من بعدهم قرنا آخرين) وهذا احتجاج على منكرى البعث

على أن يمشي أمكانهم قوما آخرين يعمر بهم بلاده (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أي ولو نزل الكتاب من السماء دفعة واحدة عليك يا أشرف الخلق كما سألك عبد الله بن أبي أمية المخزومي وأصحابه في صحيفة واحدة فرأوه عيانا ولمسوه لطعنوا فيه وحملوه على أنه مخرفة وقالوا انه سحر وقال ابن اسحق والقائلون بالأقوال الآتية زمعة بن الأسود والنضر بن الحرث بن كلدة وعبدة بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه ابن أبي حاتم (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أي هلا أنزل على محمد ملك يخبرنا بصدقه في دعوى النبوة و يشهد له بما يقول والمعنى ان منكري النبوات يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب أن يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل ووقوع الشبهات في نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الاول قوله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر) أي لفرغ من هلاكهم أي لو أنزل الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا واذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فحينئذ ما أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وأيضا انهم اذا شاهدوا الملك زهقت روحهم من هول ما يشاهدون وذلك أن الآدمي اذا رأى الملك فاما أن يراه على صورته الأصلية أو على صورة البشر فان رآه على صورته الأصلية لم يبق الآدمي حيا فان رسول الله ﷺ لما رأى جبريل على صورته الأصلية غشي عليه وأن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف ابراهيم وأضياف لوط وخصم داود وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام وأيضا اذا رآه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم وذلك مخل بصحة التكليف وان رآه على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو في نفسه ملكا أو بشرا وأيضا ان انزال الملك يقوي الشبهات لان كل معجزة ظهرت عليه ردوها وقالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أي لا يمهلون بعد نزول الملك طرفة عين وكلمة ثم للتنبيه على أن عدم الانظار أشد من قضاء الأمر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة وأشق والثاني قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي ولو جعلنا الرسول ملكا لجعلنا الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر من الآدميين لصعق عند رؤيته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولو صورنا الملك رجلا لصار فعلنا نظيرا لفعلهم في التلبيس وانما كان ذلك تلبيسا لان الناس يظنون أنه بشر مع أنه ليس بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا من عند الله تعالى واذا كان الأمر كذلك فلم يفدهم طلب نزول الملك لانه لو نزل لهم الملك لنزل على صورة رجل لعدم استطاعتهم لمعاينة هيكله ولان الجنس الى الجنس أميل فيقولون له ما أنت الا بشر مثلنا ويقولون انا لا نرضى برسالة هذا الشخص فيعود سؤالهم ويستمرون يطلبون الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزول الملك لا يفيدهم شيئا بل يزدادون في الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي و بالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(عليك كتابا) أي مكتوبا (في قرطاس) يعني الصحيفة (فلمسوه بأيديهم) أي فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أخبر الله تعالى أنهم يدفعون الدليل حتى لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا سحر مبين (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) طلبوا ملكا يرونه يشهد له بالرسالة فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر) أي لأهلكوا بعذاب الاستئصال كسنة من قبلهم ممن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا (ثم لا ينظرون) أي لا يمهلون لتوبة ولا لغير ذلك (ولو جعلناه ملكا) أي لو جعلنا الرسول الذي ينزل عليه ليشهد له بالرسالة ملكا كما يطلبون (لجعلناه رجلا) لانهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لان أعين الخلق تحار عن رؤية الملك ولذلك كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا ملك هو أم آدمي فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وكذبوهم ونسبوهم الى السحر

أى تخفيف لضيق قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله يجب أن يكون ملكا من الملائكة ووعيد أيضا لأهل مكة (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أى فدار وأحاط بالذين سخروا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذى يستهزئون به وينكرونه فان الكفار كانوا يستهزئون بالعذاب الذى كان يخوفهم الرسول بنزوله أو المعنى فأحاط بمن استهزأ بالشرائع من الرسل عقوبة استهزائهم بالرسول المندرج فى جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لأهل مكة (سيروا فى الأرض) أى قل لهم لا تغتروا بما وجدتم من الدنيا وطيباتها ووصلتم اليه من لذاتها وشهواتها بل سيروا فى الأرض لتعرفوا صحة ما أخبركم الرسول عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل فى الازمنة السالفة (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى ثم تفكروا فى انهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال فانكم عند السير فى الارض والسفر فى البلاد لابد وأن تشاهدوا تلك الآثار فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لمن مافى السموات والارض) أى لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا فان أجابوك فذاك والا (قل لله) لانه لا جواب غيره (كتب على نفسه الرحمة) أى أوجب على نفسه ايجاب الفضل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أى والله ليجمعنكم فى القبور محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم أو ليجمعنكم الى المحشر فى يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان (لاريب فيه) أى فى الجمع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أى ان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وأن سبق قضاء الله بالخسران هو الذى حملهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن فى الليل والنهار) أى له تعالى كل ما حصل فى الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين (قل أغير الله أتخذ وليا) أى قل يا أشرف الخلق أغير الله أجعله معبودا (فاطر السموات والأرض) وعن ابن عباس قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما انى فطرتها أى ابتدأتها وقرىء فاطر السموات بالجر صفة لله أو بدل منه بدل المطابق وبالرفع على اضمار هو والنصب على المدح وقرأ الزهرى فطر السموات (وهو يطعم ولا يطعم) أى وهو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد ويقال ولا يعان على الترزيق (قل) يا أكرم الخلق لكفار مكة (انى أمرت) أى من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فانه صلى الله عليه وسلم سابق أمته فى الاسلام وقيل لى يا محمد (ولا تكونن من المشركين) أى فى أمر من أمور الدين (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بمخالفة أمره ونهيه أى عصيان كان (عذاب يوم عظيم) أى عذابا عظيما فى يوم عظيم وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائى يصرف بفتح الياء وكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرف ربى عنه يومئذ العذاب فقد أنعم عليه والباقون يصرف بالبناء للمفعول والمعنى أى شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الله الجنة (وذلك الفوز المبين) أى وذلك الرحمة هو الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطلوب (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) أى وان يصبك الله ببلية أيها الانسان كمرض وفقر ونحو ذلك فلا رافع له الا هو وحده (وان يمسسك بخير) أى وان ينزل الله بك خيرا من صحة وغنى ونحو ذلك فلا راد له غيره (فهو على كل شىء قدير) روى عن ابن عباس أنه قال أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفنى خلفه ثم سار بى ميلا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك

(فحاق) أى فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) أى من الرسل (ما كانوا به يستهزئون) أى من العذاب وينكرون وقوعه (قل) لهم يا محمد (سيروا فى الأرض) أى سافروا (ثم انظروا) أى فاعتبروا (كيف كان عاقبة) مكذبى الرسل يعنى انهم اذا سافروا ورأوا آثار الامم الخالية المهلكة يحذرهم مثل ما وقع بهم (قل لمن مافى السموات والأرض) فان أجابوك والا (قل لله كتب على نفسه الرحمة) أى أوجب على نفسه الرحمة وهذا تلطف فى الاستدعاء الى الانابة (ليجمعنكم) أى والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أى ليضمنكم الى هذا اليوم الذى أنكرتموه يعنى ليجمعن بينكم وبينه ثم ابتدأ فقال (الذين خسروا أنفسهم) أى أهلكوها بالشرك (فهم لا يؤمنون وله ما سكن فى الليل والنهار) أى ما حل فيهما واجتمعا عليه يعنى جميع المخلوقات (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض) أى خالقهما ابتداء (وهو يطعم ولا يطعم) أى يرزق ولا يرزق (من يصرف عنه) أى العذاب (يومئذ) أى يوم القيامة (فقد رحمه) أى فقد أوجب الله له الرحمة لا محالة (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) أى ان جعل الضر وهو المرض والفقر يمسك

احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ماقدروا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا (وهو القاهر فوق عباده) بالقدرة والقوة وهذا اشارة الى كمال القدرة (وهو الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وانه تعالى عالم بما يصح أن يخبر به وهذا اشارة الى كمال العلم اه روى ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يامحمد ماوجد الله غيرك رسولا ومانرى أحدا يصدقك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه لاذكر لك عندهم بالنبوة فأرنا من يشهد لك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) ياأشرف الخلق لهم (أى شئ أكبر شهادة) من الله كى يقروا بالنبوة وان أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك فذاك والا (قل الله شهيد بينى و بينكم) بأنى رسوله وهذا القرآن كلامه وهو معجز لانكم فصحاء بلغاء وقد عجزتم عن معارضته فاذا كان معجزا كان اظهار الله اياه على وفق دعواى شهادة من الله على كونى صادقا فى دعواى (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أى أنزل الله الى جبريل بهذا القرآن لاخوفكم ياأهل مكة بالقرآن ولأخوف به من بلغ اليه القرآن من الثقلين ممن يأتى بعدى الى يوم القيامة (أئنكم) ياأهل مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهى الأصنام التى كنتم تعبدونها وتقولون انها بنات الله فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لاأشهد) أى بما تذكرونه من اثبات الشركاء (قل انما هو اله واحد) أى بل انما أشهد أن الله لااله الا هو (واننى برئ مما تشركون) أى من اشراككم بالله تعالى فى العبادة الأصنام قال العلماء المستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتى بالشهادتين و يتبرأ من كل دين سوى دين الاسلام ونص الشافعى على استحباب ضم التبرؤ الى الشهادة لأن الله تعالى لما صرح بالتوحيد قال واننى برئ مما تشركون (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أى يعرفون محمدا من جهة الكتابين بصفته المذكورة فيهما (كما يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فانهم كذبوا فى قولهم انا لانعرف محمدا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبدالله بن سلام قال له عمر ان الله أنزل على نبيه بمكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة قال عبدالله بن سلام ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ولا نا أشد معرفة بمحمد منى بابنى فقال عمر كيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حقا ولا أدرى ماتصنع النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون) ومعنى هذا الخسران كما قاله جمهور المفسرين أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار فى الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة فى النار (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى لاأحد أجرأ ممن اختلق على الله كذبا كقول كفار مكة هذه الأصنام شركاء لله والله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم ان الملائكة بنات الله ثم قولهم أمرنا الله بتحريم البحائر والسوائب وكقول اليهود والنصارى حصل فى التوراة والانجيل أن هاتين الشريعتين لايتطرق اليهما النسخ ولا يجئ بعدهما نبى (أو كذب بآياته) أى قدح فى معجزات محمد صلى الله عليه وسلم وأنكر كون القرآن معجزة قاهرة بينة (انه لايفلح الظالمون) أى لايظفرون بمطالبهم فى الدنيا والآخرة

(قل أى شئ أكبر شهادة) قال أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فان أهل الكتاب ينكرونك فنزلت هذه الاية أمر الله محمدا أن يسألهم ثم أمر أن يخبرهم فيقول (الله شهيد بينى و بينكم) أى الله الذى اعترفتم بأنه خالق السموات والارض والظلمات والنور يشهد لى بالنبوة باقامة البراهين وانزال القرآن على (وأوحى الى هذا القرآن) المعجز بلفظه ونظمه واخباره عما كان ويكون (لانذركم به) أى لاخوفكم به عقاب الله على الكفر (ومن بلغ) يعنى ومن بلغه القرآن من بعدكم فكل من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم قل (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام معناه الجحد والانكار (قل لاأشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب) مفسر فى سورة البقرة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى لا أحد أكفر ممن اختلق على الله كذبا يعنى الذين ذكرهم فى قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية (أو كذب بآياته) أى بالقرآن ومحمد (انه لايفلح الظالمون) أى لايسعد من جحد ربوبيته وكذب رسله وهم الذين ظلموا أنفسهم باهلاكها بالعذاب

والآخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان (ويوم نحشرهم جميعا) أي كافة الناس وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤوس الاشهاد للتوبيخ (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونها شركاء وانها شفعاء لكم عندالله قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي افتتانهم بالأوثان (الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة افتتانهم بشركهم الا تبرءتهم منه فحلفهم انهم ما كانوا مشركين ومثاله أن ترى انسانا يحب صاحبا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه قرأ ابن عامر وابن كثير وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء الفوقية وفتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي لم يكن بالياء التحتية وفتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي ربنا بنصبه على النداء أو المدح والباقون بالكسر (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي وكيف زال عنهم افتراؤهم بعبادة الأصنام فلم تغن عنهم شيئا وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم (ومنهم من يستمع اليك) أي وبعض من أهل مكة من يستمع الى كلامك حين تتلو القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) أي وقد ألقينا على قلوبهم أغطية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن وفي آذانهم صمما وثقلا مانعا من سماعه فمحل ان يفقهوه مفعول معه بحذف المضاف أو مفعول لفعل مقدر أي منعناهم أن يفقهوه مجموع القدرة على الايمان مع الداعي اليه يوجب الفعل فالكفر من الله تعالى وتكون تلك الداعية الجارة الى الكفر كنانا للقلب عن الايمان ووقرا للسمع عن استماع دلائل الايمان (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي وان يشاهدوا كل آية من الآيات القرآنية بسماعها كفروا بكل واحدة منها لأجل ان الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي بلغوا بتكذيبهم الآيات الى أنهم اذا جاؤوا اليك يجادلونك (ان هذا الا أساطير الأولين) أي ما هذا الذي يقول محمد الا خرافات الأولين وكذبهم أي ان هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة للأولين واذا كان هذا كذلك فلا يكون معجزا خارقا للعادة وجملة قوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير لقوله يجادلونك أي ينا كرونك قال ابن عباس رضي الله عنهما حضر عند رسول الله ﷺ أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحرث بن عامر وأبو جهل واستمعوا الى القرآن فقالوا للنضر وكان كثير الأخبار للقرون الماضية يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول لكني أراه يحرك شفتيه ويتكلم بأساطير الأولين كالذي كنت أحدثكم به عن أخبار القرون الأولى فقال أبو سفيان اني أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا أي لا تقر بشئ من هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية (وهم ينهون عنه) وأولئك الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به (وينأون عنه) أي ويتباعدون عنه بأنفسهم تأكيدا لنهيهم (وان يهلكون الا أنفسهم) أي وما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا أنفسهم باقبالها لأشد العذاب (وما يشعرون) أنهم يهلكون أنفسهم ويذهبونها الى النار بما يفعلون من الكفر والمعصية (ولو ترى اذ وقفوا على النار) أي ولو تبصر حالهم حين يوقفون على النار وهم يعاينونها لرأيت سوء حالهم أو المعنى ولو تبصرهم حين يحبسون فوق النار على الصراط وهي تحتهم لرأيت سوء منقلبهم أو المعنى ولو صرفت فكرك الصحيح لأن تتدبر حالهم

(الذين كنتم تزعمون) انها تشفع لكم وهذا سؤال توبيخ (ثم لم تكن فتنتهم) أي لم تكن عاقبة افتتانهم بالأوثان وحبهم لها (الا أن) تبرأوا منها فـ(قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بجحد شركهم في الآخرة (و) كيف (ضل) زال وبطل (عنهم ما كانوا يفترون) أي بعبادته من الأصنام (ومنهم) أي ومن الكفار (من يستمع اليك) أي اذا قرأت القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) يعني لئلا يفهموه ولا يعرفوا الحق (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا وصمما فلا يعون منه شيئا ولا ينتفعون به (وان يروا كل آية) أي علامة تدل على صدقك (لا يؤمنوا بها) هذا حالهم في البعد عن الايمان (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي من كفر منهم (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الأولين) أي أحاديث الأمم المتقدمة التي كانوا يسطرونها في كتبهم (وهم ينهون عنه) أي ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ (وينأون عنه) أي ويتباعدون عنه فلا يؤمنون به (وان) أي وما (يهلكون الا أنفسهم) بتماديهم في معصية الله (وما يشعرون) أي وما يعلمون ذلك (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا على النار) أي حبسوا على الصراط

فوق النار (فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) فتمنوا ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا وهو قوله ولا نكذب أى ونحن لا نكذب بآيات ربنا بعد المعاينة (ونكون  من المؤمنين) ضمنوا أن لا يكذبوا ويؤمنوا فقال الله تعالى (بل) ليس الأمر على ما تمنوا من الرد (بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) وهو أنهم أنكروا شركهم فأنطق الله جوارحهم حتى شهدت عليهم بالكفر والمعنى ظهرت فضيحتهم فى الآخرة وتهتكت أستارهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) أى الى ما نهوا عنه من الشرك للقضاء السابق فيهم بذلك وأنهم خلقوا للشقاوة (وانهم لكاذبون) فى قولهم ولا نكذب بآيات ربنا (وقالوا) يعنى الكفار (ان هى الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) أنكروا البعث (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) عرفوا ربهم ضرورة وقيل وقفوا على مسئلة ربهم وتوبيخه اياهم ويؤكد هذا قوله (قال أليس هذا بالحق) أى هذا البعث فيقرون حيث لا ينفعهم ذلك ويقولون (بلى وربنا) فيقول الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بكفركم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى بالبعث والمصير الى الله (حتى اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة (بغتة) يعنى فجأة (قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها) أى قصرنا وضيعنا عمل الآخرة فى الدنيا (وهم يحملون أوزارهم) أى أثقالهم وآثامهم (على ظهورهم) وذلك أن الدنيا
الكافر اذا خرج من قبره استقبله عمله على أقبح شىء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيء طال ما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم

حين يدخلونها لازددت يقينا وقرئ اذ وقفوا بالبناء للفاعل أى ولو تراهم حين يكونون فى جوف النار وتكون النار محيطة بهم ويكونون غائصين فيها لعرفوا مقدار عذابها وانما صح على هذا التقدير أن يقال وقفوا على النار لأنها دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيصح هناك معنى الاستعلاء (فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا لنؤمن (ولا نكذب بآيات ربنا) أى بآياته الناطقة بأحوال النار وأهوالها الآمرة باتقائها (ونكون من المؤمنين) بها كى لا نرى هذا الموقف قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع نكذب ونصب نكون أى ولا يكون منا تكذيب مع كوننا من المؤمنين وقرأ حمزة وحفص عن عاصم بنصبهما والتقدير ياليتنا لنا رد وانتفاء تكذيب بآيات ربنا وكون من المؤمنين فهذه الأشياء الثلاثة متمناة بقيد الاجتماع وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائى برفعهما واتفقوا على الرفع فى قوله نرد والمعنى أنهم تمنوا الرد الى دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين أو المعنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أى ليس التمنى الواقع منهم لأجل كونهم راغبين فى الايمان بل لأنه ظهر لهم فى موقفهم ما كانوا يخفونه فى الدنيا من تكذيبهم بالنار فان التكذيب بالشىء اخفاء له بلاشك أى فلخوفهم منها ومن العقاب الذى عاينوه قالوا ما قالوا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) أى ولو ردهم الله تعالى من موقفهم ذلك الى الدنيا كما سألوا وغاب عنهم ما شاهدوه من الأهوال لم يحصل منهم فعل الايمان وترك التكذيب بل كانوا يستمرون على الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) فى تمنيهم ووعدهم بفعل الايمان وترك التكذيب فان دينهم الكذب لأنه قد جرى عليهم قضاء الله تعالى فى الأزل بالشرك (وقالوا) أى كفار مكة (ان هى الا حياتنا الدنيا) أى ما حياتنا الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها (وما نحن بمبعوثين) بعد ان فارقنا هذه الحياة وليس لنا بعد هذه الحياة ثواب وعقاب (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أى حبسوا عند ربهم لأجل السؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعقاب لرأيت أمرا عظيما أو المعنى وقفوا على جزاء ربهم أى على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة (قال أليس هذا) أى البعث بعد الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق وذلك اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الانجلاء وهم يطمعون فى نفع ذلك الاقرار وينكرون الاشراك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وجحدكم فى الدنيا بالبعث بعد الموت (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى أنكروا البعث والقيامة (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة) أى انهم كذبوا ذلك الى أن ظهرت القيامة باغتة فلا يعلم أحد متى يكون مجيئها وفى أى وقت يكون حصولها (قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها) أى يا ندامتنا على تفريطنا فى تحصيل الزاد للساعة فى الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أى والحال انهم يحملون ثقل ذنوبهم عليهم أى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة ثقل ذلك عليهم فلا تفارقهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شىء هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحا ويقول أنا عملك الصالح طال ما ركبتك فى الدنيا فاركبنى فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أى ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شىء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحا فيقول أنا عملك الفاسد طال ما ركبتنى فى

(ألا ساء ما يزرون) أي بئس الحمل حملوا (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي لأنها تفنى وتنقضي كاللعب واللهو يكون لذة فانية عن
قريب (وللدار الآخرة) يعني الجنة (خير للذين يتقون) الشرك (أفلا تعقلون) أي انها كذلك فلا يفترون في العمل لها ثم عزى نبيه
صلى الله عليه وسلم على تكذيب قريش إياه فقال تعالى (قد نعلم انه ليحزنك الذي  يقولون) في العلانية انك كذاب
ومفتر (فانهم لا يكذبونك) في السر قد علموا صدقك (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي بالقرآن بعد المعرفة نزلت في المعاندين الذين تركوا الانقياد الى الحق كما قال الله عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا) رجاء ثوابي (وأوذوا) حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار (حتى أتاهم نصرنا) أي معونتنا إياهم باهلاك من كذبهم (ولا مبدل لكلمات الله) أي لا ناقض لحكمه وقد حكم بنصر الأنبياء في قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ودمرنا قومهم (وان كان كبر عليك اعراضهم) أي عظم وثقل عليك يعني اعراضهم عن الايمان بك والقرآن وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على ايمان
قومه وكانوا اذا سألوا آية أحب أن يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله تعالى (فان استطعت أن تبتغي) أي تطلب (نفقا)
أي سربا (في الأرض أو سلما) يعني مصعدا (في السماء فتأتيهم بآية) فافعل ذلك والمعنى انك بشر لا تقدر على الاتيان بالآيات فلا
سبيل لك الا الصبر حتى يحكم الله

الدنيا فأنا أركبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (ألا ساء ما يزرون)
أي بئس شيئا يحملونه آثامهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي وما اللذات والمستحسنات
الحاصلة في هذه الدنيا الا فرح يشغل النفس عما تنتفع به و باطل يصرف النفس عن الجد في الأمور
الى الهزل (وللدار الآخرة) أي الجنة أو التمسك بعمل الآخرة أو نعيم الآخرة (خير للذين يتقون) من
المعاصي والكبائر وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة باضافة دار الى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن
عامر وحفص بالتاء على الخطاب أي قل لهم ألا تتفكرون أيها المخاطبون فلا تعقلون أن الدنيا فانية
والآخرة باقية وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي أيغفل الذين يتقون فلا يعقلون ان الدار الآخرة خير لهم
من هذه الدار فيعملون لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون في طلب ما يوصل الى
ذلك (قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون) انهم لا يؤمنون بك ولا يقبلون دينك وشريعتك أو
يقولون انك ساحر وشاعر وكاهن ومجنون قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح
الياء وضم الزاي (فانهم لا يكذبونك) قرأ نافع والكسائي بسكون الكاف والباقون بفتحها وتشديد
الذال أي لا يجدونك كاذبا لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ولا ينسبونك الى الكذب بالاعتقاد
واللسان (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك أو
المعنى انهم يقولون في كل معجزة انها سحر وينكرون دلالة المعجزة على الصدق على الاطلاق أو المعنى
ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني لأنك رسولي كقول السيد لعبده وقد أهانه بعض الناس أيها
العبد انه ما أهانك وانما أهانني والمقصود تعظيم الشأن لا نفي الاهانة عن العبد ونظيره قوله تعالى ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله * روي أن الحرث بن عامر من قريش قال يا محمد والله ما كذبتنا قط
ولكنا ان اتبعناك نتخطف من أرضنا فنحن لا نؤمن بك لهذا السبب * وروي ان الأخنس بن
شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال
له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا لسائر قريش فنزلت هذه الآية وعن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك فانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت هذه الآية (ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) أي ولقد كذب الرسل قومهم كما كذبك
قومك فصبروا على تكذيبهم وايذائهم لهم حتى أتاهم النصر بهلاك قومهم فاصبر يا أشرف الخلق كما
صبروا وتظفر كما ظفروا بل أنت أولى بالتزام الصبر لأنك مبعوث الى جميع العالمين (ولا مبدل لكلمات
الله) بالنصرة فان وعد الله اياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل اليه (ولقد
جاءك من نبأ المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أنجيناهم ودمرنا قومهم
(وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية) أي
وان كان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وأحببت أن تجيبهم الى ما سألوه فان
قدرت أن تتخذ منفذا تنفذ فيه الى جوف الأرض أو مصعدا ترتقي فيه الى السماء فتأتيهم بآية مما اقترحوه

عليك من تحت الأرض أومن فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يامحمد ائتنا بآية من عندالله كما كانت الأنبياء تفعل فانانصدق بك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوه فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لشدة حرصه على ايمان قومه فنزلت هذه الآية والمقصود من هذا الكلام أن يقطع الرسول طمعه عن ايمانهم وأن لايتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان واقبالهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه ﷺ على اسلام قومه الى حيث لوقدر على أن يأتى بآية من تحت الأرض أومن فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولوشاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه فى مشاهدتهم للآيات الداعية اليه (فلا تكونن من الجاهلين) أى فلاتكونن بالميل الى اتيان اقتراحاتهم من الجاهلين بعدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم لعدم توجههم اليه لخروج الايمان عن الحكمة المؤسسة على الاختيار أوالمعنى ولاتجزع على اعراضهم عنك ولا يشتد تحزنك على تكذيبهم بك فان فعلت ذلك فتقارب حالك من حال الجاهلين الذين لاصبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون مايلقى اليهم سماع تفهم وانما يطيعك من يعقلون الموعظة دون الموتى الذين هؤلاء منهم (والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) أى والموتى يبعثهم الله بعدالموت ثم يوقفون بين يديه للحساب والجزاء فالله تعالى هوالقادر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لاتقدر عليه (وقالوا) أى كفارمكة الحرث بن عامر وأصحابه وأبوجهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبى ابنا خلف والنضر بن الحرث (لولا نزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه معجزة دالة على نبوته مثل فلق البحر واظلال الجبل واحياء الموتى وانزال الملائكة واسقاط السماء كسفا (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله قادر على أن ينزل آية) أى ان يوجد خوارق العادة كما طلبوا (ولكن أكثرهم لايعلمون) أى لايدرون أن فى تنزيلها قلعا لأساس التكليف المبنى على قاعدة الاختيار وان الله تعالى لوأعطاهم ماطلبوه من المعجزات القاهرة فان لم يؤمنوا عندظهورها لاستحقوا عذاب الاستئصال ولم يبق لهم عذر ولاعلة كما هوسنة الله فاقتضت رحمة الله صونهم عن هذا البلاء فما أعطاهم هذا المطلوب رحمة منه تعالى عليهم وان كانوا لايعلمون كيفية هذه الرحمة (ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الاأمم أمثالكم) أى ومامن دابة تمشى فى الأرض أوتسبح فى الماء ولاطائر من الطيور يطير فى ناحية من نواحى الجو الاطوائف أمثالكم فى ابتغاء الرزق وتوقى المهالك وفى أنها تعرف ربها وتوحده وفى أنها يفهم بعضها عن بعض وفى أنها تبعث بعدالموت للحساب روى عن النبى ﷺ أنه قال من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة يعج الى الله يقول يارب ان هذا قتلنى عبثا لم ينتفع بى ولم يدعنى آكل من خشاش الأرض وروى عن النبى ﷺ أنه قال يقتص للجماء من القرناء والمقصود من هذه الآية الدلالة على كمال قدرته تعالى وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على أن ينزل آية (مافرطنا فى الكتاب من شىء) أى ماتركنا فى القرآن شيئا من الأشياء المهمة أى أن القرآن واف ببيان جميع الأحكام فليس لله على الخلق بعد ذلك تكليف آخر وأن القرآن دل على أن الاجماع وخبر

(فلاتكونن من الجاهلين) بأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وانهم لايجتمعون على الهدى وغلظ الخطاب زجرا له عن هذه الحال (انما يستجيب) أى يجيبك الى الايمان (الذين يسمعون) وهم المؤمنون الذين يسمعون الذكر فيقبلونه وينتفعون به والكافر الذى ختم الله على سمعه كيف يصغى الى الحق (والموتى) يعنى كفار مكة (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فيجزيهم بأعمالهم (وقالوا) يعنى رؤساء قريش (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) يعنون نزول ملك يشهد له بالنبوة (قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون) أى ماعليهم فى ذلك من البلاء وهوماذكرنا فى قوله ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر (ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه) يعنى جميع الحيوانات لأنها لاتخلو من هاتين الحالتين (الا أمم أمثالكم) أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها فكل جنس من البهائم أمة كالطير والظباء والذئاب والاسود وكل صنف من الحيوانات أمة مثل بنى آدم يعرفون بالانس (مافرطنا فى الكتاب من شىء) أى ماتركنا فى الكتاب من شىء للعباد اليه حاجة الاوقد بيناه اما نصا واما دلالة واما مجملا واما مفصلا كقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء يحتاج اليه فى أمر الدين

الواحد

الواحد والقياس حجة فى الشريعة فكل مادل عليه أحد هذه الأصول الثلاثة كان ذلك فى الحقيقة موجودا فى القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالى لاألعن من لعنه الله فى كتابه فقرأت امرأة جميع القرآن فأتته فقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة مابين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة والمستوشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وان مما أتانا به رسول الله أنه قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وذكر أن الشافعى كان جالسا فى المسجد الحرام فقال لاتسألونى عن شئ الا أجبتكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ماتقول فى المحرم اذا قتل الزنبور فقال لاشئ عليه فقال أين هذا من كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وقال عمر رضى الله عنه للمحرم قتل الزنبور وروى ان أبا العسيف قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالجلد والتغريب على العسيف وبالرجم على المرأة وهذا يدل على أن كل ماحكم به النبى ﷺ هو عين كتاب الله لانه ليس فى نص الكتاب ذكر الجلد والتغريب (ثم الى ربهم يحشرون) فان الله تعالى يحشر الدواب والطيور يوم القيامة بمجرد الارادة ومقتضى الالهية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من القرناء قال المفسرون انه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها ترابا وعند هذا يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) التى هى من القرآن (صم) لايسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الاولين (وبكم) لايقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لايستجيبون دعوة الرسول بها (فى الظلمات) أى فى ضلالات الكفر والجهل والعناد فلايهتدون سبيلا (من يشأ الله يضلله) أى من يشاء الله اضلاله يخلق الله الضلال فيه ويمته على الكفر فيضل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أى ومن يشأ أن يجعله على طريق يرضاه وهو الاسلام يجعله عليه ويهده اليه ويمته عليه فلا يضل من مشى اليه ولايزل من ثبت قدمه عليه (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أوأتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى قل ياأكرم الرسل لكفار مكة ياأهل مكة أخبرونى ان أتاكم عذاب الله فى الدنيا كالغرق أوالخسف أوالمسخ أونحو ذلك أوأتاكم العذاب عند قيام الساعة أترجعون الى غير الله فى دفع ذلك البلاء أوترجعون فيه الى الله تعالى ان كنتم صادقين فى ان أصنامكم آلهة فأجيبوا سؤالى أوالمعنى ان كنتم قوما صادقين فاخبرونى أإلها غير الله تدعون الخ (بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء) أى انكم لاترجعون فى طلب دفع البلية الا الى الله تعالى فيكشف الضر الذى من أجله دعوتم بمحض مشيئته (وتنسون ماتشركون) أى وتتركون الأصنام ولاتدعونهم لعلمكم انها لاتضر ولاتنفع (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء) أى والله لقد أرسلنا الى أمم كثيرة كائنة من زمان قبل زمانك رسلا فخالفوهم فعاقبناهم بشدة الفقر والخوف من بعضهم والأمراض والأوجاع (لعلهم يتضرعون) أى لكى يدعوا الله تعالى فى كشفها بالتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) أى فهلا (اذجاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصى أى فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا ولكن ظهر منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان ان حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة فلم يخطروا ببالهم ان ما أصابهم من الشدائد ما أصابهم الا لأجل عملهم الفاسد

(ثم الى ربهم) أى هذه الأمم (يحشرون) يعنى للحساب والجزاء (والذين كذبوا بآياتنا) بماجاء به محمد ﷺ (صم) عن القرآن لايسمعونه سماع انتفاع (وبكم) أى عن القرآن لاينطقون به ثم أخبر انهم بمشيئته صاروا كذلك فقال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل) يامحمد لهؤلاء المشركين بالله (أرأيتكم) أخبرونى (ان أتاكم عذاب الله) يريد الموت (أوأتتكم الساعة) يعنى يوم القيامة (أغير الله تدعون) يعنى أتدعون هذه الأصنام والاحجار التى عبدتموها من دون الله (ان كنتم صادقين) جواب قوله أرأيتكم لانه بمعنى أخبروا كأنه قيل ان كنتم صادقين اخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم (بل) أى لاتدعون غيره بل (اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه) أى يكشف الضر الذى من أجله دعوتموه (ان شاء وتنسون) أى وتتركون (ماتشركون) به من الأصنام فلا تدعونه (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى رسلا فكفروا بهم (فأخذناهم بالبأساء) وهو شدة الفقر (والضراء) وهو الأمراض والأوجاع (لعلهم يتضرعون) لكى يتذللوا ويتخشعوا (فلولا) فهلا (اذجاءهم بأسنا تضرعوا) تذللوا والمعنى لم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) فأقاموا على كفرهم (وزين لهم الشيطان) الضلالة التى

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ) أى فلما انهمكوا فى المعاصى وتركوا ما وعظوا به من الشدائد فتحنا عليهم فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أى حتى اذا اطمأنوا بما فتح لهم و بطروا بأن ظنوا ان الذى نزل بهم من الشدائد ليس على سبيل الانتقام من الله وأن تلك الخيرات باستحقاقهم نزل بهم عذابنا فجأة ليكون عليهم أشد وقعا (فاذاهم مبلسون) أى متحزنون غاية الحزن منقطع رجاؤهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى قطع غابر المشركين أى استؤصلوا بالهلاك بسبب ظلمهم باقامة المعاصى مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على استئصالهم بالنكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لأهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحقة للحمد (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به) أى قل يا أكرم الخلق لأهل مكة يا أهل مكة أخبرونى ان أزال الله سمعكم وأبصاركم وعقولكم أى فرد من الآلهة الثابتة بزعمكم غير الله يأتيكم بذلك الذى أزيل (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أى كيف نكررها متغيرة من نوع الى نوع آخر فتارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين فكل واحد يقوى ما قبله فى الايصال الى المطلوب (ثم هم يصدفون) أى يعرضون عن تلك الآيات وثم لاستبعاد اعراضهم عنها بعد ذكرها على الوجوه المختلفة (قل أرأيتكم) أى اخبرونى يا أهل مكة (ان أتاكم عذاب الله) أى عذابه الخاص بكم (بغتة) أى فجأة بأن يجيئهم من غير سبق علامة تدلهم على مجىء ذلك العذاب (أوجهرة) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحرزوا منه (هل يهلك الا القوم الظالمون) أى هل يهلك بذلك العذاب غيركم ممن لا يستحقه (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) بالثواب على الطاعات (ومنذرين) بالعقاب على المعاصى ولا قدرة لهم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أى فمن قبل قول المرسلين وأتى بعمل القلب الذى هو الايمان وبعمل الجسد الذى هو الاصلاح فلا خوف عليهم من العذاب الذى أنذروه دنيويا كان أو أخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهى ما ينطق به الرسل عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الأمم (يمسهم العذاب) أى يصيبهم العذاب الذى أنذروه (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى) واعلم أن الكفار طلبوا من رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع فى المستقبل من المصالح والمضار وطعنوا فيه فى أكل الطعام والمشى فى السوق وفى تزوجه للنساء فأمر الله تعالى أن ينفى عن نفسه أمورا ثلاثة تواضعا لله تعالى واعترافا بالعبودية وأن يقول لهم انما بعثت مبشرا ومنذرا. ولا أدعى كونى موصوفا بالقدرة اللائقة بالله تعالى وان خزائن الله مفوضة الى أتصرف فيها كيفما أشاء وأعطيكم منها ما تريدون ولا أدعى كونى موصوفا بعلم الله تعالى فأخبركم بما تريدون ولا أدعى انى ملك حتى تكلفونى من الخوارق للعادات ما لا يطيق به البشر وحتى تعدوا عدم اتصافى بصفات الملائكة قادحا فى امرى فتنكرون قولى وتجحدون أمرى وما أخبركم من غيب الا بوحى من الله أنزله على (قل) لهم (هل يستوى الأعمى والبصير) أى هل يكونان سواء من غير مزية فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا لا قيل فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن أعرض فهو الأعمى

---

هم عليها فأصروا (فلما نسوا ما ذكروا به) أى تركوا ما وعظوا به (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من النعمة والسرور بعد الضر الذى كانوا فيه (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم) أى فى حال فرحهم ليكون أشد لتحسرهم (بغتة فاذاهم مبلسون) أى آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى غابرهم الذى يتخلف فى آخر القوم والمعنى استؤصلوا بالهلاك فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) أى على نصر الرسل واهلاك الظالمين (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أى أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) حتى لا تعرفوا شيئا يعنى أذهب هذه الأعضاء عنكم أصلا (من اله غير الله يأتيكم به) أى بما أخذ منكم (انظر كيف نصرف) أى نبين لهم فى القرآن (الآيات ثم هم يصدفون) أى يعرضون عما ظهر لهم (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة) أى ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الذين جعلوا لله شركاء (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) التى منها يرزق و يعطى (ولا أعلم الغيب) أى فأخبركم بعاقبة ما تصيرون اليه (ولا أقول لكم انى ملك) أى أشاهد من أمر الله ما لا يشاهده البشر (ان أتبع الا ما يوحى الى) أى ما أخبركم الا بما أنزله الله على (قل هل يستوى الأعمى والبصير)

(أفلاتتفكرون) أى ألاتسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه نزلت هذه الآية من قوله قل لاأقول لكم فى أبى جهل وأصحابه الحرث وعيينة (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع لعلهم يتقون) أى وأنذر ياأشرف الرسل بماأوحى اليك من يجوزون الحشر و يرجى منهم التأثر بالتخويف غير منصورين بقريب ولامشفوعا لهم من جهة أنصارهم على زعمهم من غيرالله تعالى سواء كانوا جازمين بأصل الحشر كالمؤمنين العاصين وأهل الكتاب المترددين فى شفاعة آبائهم الأنبياء و بعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة الأصنام أومترددين فى أصل الحشر وفى شفاعة الآباء والأصنام معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا فيهلكوا لكى ينتهوا عن الكفر والمعاصى وأما المنكرون للحشر بالكلية والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون ممن أمر بانذارهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) أى الذين يعبدون ربهم بالصلوات الخمس أو يذكرون ربهم طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون بذلك محبة الله تعالى ورضاه أى مخلصين فى ذلك روى أنه جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب و بلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسى ومهجع وعامر بن فهيرة فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يارسول الله لوجلست فى صدر المجلس وأبعدت عنك هؤلاء و رائحة جبابهم لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبى ماأنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بهذه الآية فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمدا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف له صلى الله عليه وسلم اذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية (ماعليك من حسابهم من شىء ومامن حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) أى ماعليك من حساب رزق هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى شىء فتملهم وتبعدهم ولا من حساب رزقك عليهم شىء وانما الرازق لهم ولك هو الله تعالى فدعهم يكونوا عندك ولاتطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد ولهم لانهم استحقوا مزيد التقريب وقيل ان الكفار طعنوا فى ايمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون بهذا السبب مأكولا وملبوسا عندك والا فهم فارغون عن دينك فقال الله تعالى ان كان الأمر كما يقولون فما يلزمك الا اعتبار الظاهر وان كان لهم باطن غير مرضى عند الله فحسابهم عليه لازم لهم لايتعدى اليك كما أن حسابك عليك لايتعدى اليهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ومثل ذلك الفتون المتقدم فتنا بعض هذه الأمة ببعض وكل أحد مبتلى بضده فأولئك الكفار الرؤساء الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين فى الاسلام مسارعين الى قبوله فقالوا لودخلنا فى الاسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وأن نعترف لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول فى الاسلام لذلك واعترضوا على الله فى جعل أولئك الفقراء رؤساء فى الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار فى الراحات والمسرات والطيبات والخصب والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار و بالجملة فصفات

أى الكافر والمؤمن (أفلا تتفكرون) أنهما لايستويان (وأنذر به) أى خوف بالقرآن (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة ومافيها من الاهوال (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) يعنى أن الشفاعة انما تكون باذنه ولا شفيع ولا ناصر لاحد فى القيامة الا باذن الله (لعلهم يتقون) كى يخافوا فى الدنيا و ينتهوا عما نهيتهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية نزلت فى فقراء المهاجرين لما قال رؤساء الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء عنك لنجالسك ونؤمن بك ومعنى يدعون ربهم (بالغداة والعشى) أى يعبدون الله بالصلاة المكتوبة (يريدون وجهه) أى يطلبون ثواب الله (ماعليك من حسابهم) أى من حساب رزقهم (من شىء) فتملهم وتطردهم (وما من حسابك عليهم من شىء) أى ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك فانما يرزقهم واياك الله الرزاق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم (فتكون من الظالمين) لهم بطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الغنى بالفقير والشريف بالوضيع

(ليقولوا) يعني الرؤساء (أهؤلاء) الفقراء الضعفاء (من الله عليهم من بيننا) أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصوا بنعمة فقال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي انما يهدي لدينه من يعلم أنه يشكر (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) يعني الصحابة وهؤلاء الفقراء (فقل سلام عليكم) سلم عليهم بتحية المسلمين (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب الله لكم الرحمة ايجابا مؤكدا (أنه من عمل منكم سوأ بجهالة) يريد أن ذنوبكم جهل ليس بكفر ولا جحود لان العاصي جاهل بمقدار العذاب في معصيته (ثم تاب من بعده) أي رجع عن ذنبه (وأصلح) عمله (فانه غفور رحيم وكذلك) أي وكما بينا لك في هذه السورة دلائلنا على المشركين (نفصل) أي نبين لك حجتنا وأدلتنا ليظهر الحق (ولتستبين) أي ولتعرف يا محمد (سبيل المجرمين) في شركهم بالله في الدنيا وما يصيرون اليه من الخزي يوم القيامة باخباري اياك (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي الأصنام التي تعبدونها من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أي انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البرهان فلا أتبعكم على هواكم (قد ضللت اذا) ان أنا فعلت ذلك (وما أنا من المهتدين) أي الذين سلكوا سبيل الهدى (قل اني على بينة) أي يقين وأمر بين وأظهر (من ربي) لا متبع لهوى (وكذبتم به) أي بربي (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب أو الآيات التي اقترحوها ثم أعلم أن ذلك عنده فقال

الكمال مختلفة متفاوتة محبوبة لذاتها موزعة على الخلق فلا تجتمع في انسان واحد البتة فكل أحد يحسد صاحبه على ما آتاه الله من صفات الكمال (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالايمان بالله ومتابعة الرسول وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا وهذه اللام لام كي والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا ليقولوا هذه المقالة امتحانا مناوقيل انها لام الصيرورة والمعنى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليصيروا أو ليشكروا فكان عاقبة أمرهم أن قالوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى ردا عليهم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفي هذا الاستفهام التقريري اشارة الى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن وفي التوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بأن القائلين بتلك المقالة بمعزل من ذلك كله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قيل نزلت هذه الآية في أهل الصفة الذين سأل المشركون رسول الله عليه السلام طردهم فأكرمهم الله تعالى بهذا الاكرام فان الله تعالى نهى رسوله أولا عن ابعادهم ثم أمره بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه في الدنيا والرحمة في الآخرة (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته المقدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيرا لهم بسعة رحمته تعالى و بنيل المطالب (أنه من عمل منكم سوأ) أي ذنبا (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة وكان جاهلا بمقدار ما يستحقه من العقاب وما يفوته من الثواب (ثم تاب من بعده) أي ندم من بعد عمل المعصية (وأصلح) عمله بالتوبة منه تداركا وعزما على أن لا يعود اليه أبدا (فانه) أي الله (غفور) بسبب ازالة العقاب (رحيم) بسبب ايصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك نفصل الآيات) أي كما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر فكذلك نفصل لك حجتنا في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع لتستبين بالتاء خطاب للنبي وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المشركين فتعاملهم بما يليق بهم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ليستبين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالتاء وسبيل بالرفع وقوله وليستبين عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليتضح سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للمصرين على الشرك (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي اني نهيت في القرآن عن عبادة ما تعبدونه من دون الله وهو الأصنام (قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الاحجار وهي أخس مرتبة من الانسان بكثير فانهم كانوا ينحتون تلك الأصنام وانما يعبدونها بناء على محض الهوى لا على سبيل الحجة فان اشتغال الاشرف بعبادة الاخس أمر يدفعه صريح العقل (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم (وما أنا من المهتدين) أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عدادهم (قل اني على بينة) أي حجة واضحة تفصل بين الحق والباطل وهي الوحي (من ربي) في أنه لا معبود سواه (وكذبتم به) أي بربي حيث أشركتم به غيره (ما عندي ما تستعجلون به) أي من العذاب أي ليس أمره بمفوض الي فما الأولى نافية وما الثانية موصولة وسبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم بسبب هذا الشرك وكان النضر بن الحرث وأصحابه يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الالزام على زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى أجيء به

وأظهر لكم صدقه (ان الحكم الا لله) أي ما الحكم في نزول العذاب تعجيلا وتأخيرا الا لله (يقص الحق) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص بالصاد المشددة وضم القاف أي ينبئ الحق ويقول الحق لان كل ما أخبر الله به فهو حق وقرأ الباقون يقض بسكون القاف وكسر الضاد بغير ياء لسقوطها في اللفظ أي يقضي القضاء الحق أو يصنع الحق لان كل شئ صنعه الله فهو حق (وهو خير الفاصلين) أي أفضل القاضين (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم) أي قل يا أكرم الرسل لو أن في قدرتي ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضا الي من الله تعالى لفصل ما بيني وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقب استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد واسترحت (والله أعلم بالظالمين) أي أعلم بحال المشركين وبأنهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج فوقع بالنضر بن الحرث العذاب الذي سأل فقتل صبرا يوم بدر (وعنده مفاتح الغيب) أي علم الغيب لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم أو المعنى وعنده تعالى خاصة خزائن الغيب أي قدرة كاملة على كل الممكنات من المطر والنبات والثمار ونزول العذاب (لا يعلمها الا هو) أي لا يعلم مفاتح الغيب نزول العذاب الذي تستعجلون به الا هو فالعذاب ليس مقدورا لي حتى أعجله لكم ولا معلوما لدي حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما (ويعلم ما في البر والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وانما قدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال والحيوان والنبات والمعادن وأما البحر فانما أخر ذكره لان احاطة العقل بأحواله أقل لكن الحس يدل على أن عجائب البحر أكثر وأجناس المخلوقات أعجب وأن طول البحر وعرضه أعظم (وما تسقط من ورقة) من الشجر والنجم (الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) أي وما حبة ملقاة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس من كل شئ الا في علم الله تعالى فاذا سمع الانسان أن الحبة الصغيرة الملقاة في مواضع متسعة يبقى أكبر الأجسام مخفيا فيها وأن الماء والنابت والحي وخلافها لا تخرج عن علم الله تعالى صارت هذه الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقيل المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ انما كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على نفاذ علم الله تعالى في المعلومات فيكون في ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقا له (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم في الليل وانما صح اطلاق لفظ الوفاة على النوم لان ظاهر الجسد صار معطلا عن بعض الاعمال عند النوم كما أن جملة البدن صارت معطلة عن كل الأعمال عند الموت فحصل بين النوم والموت مشابهة من هذا الاعتبار (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي يعلم ما كسبتم من أعمال الجوارح في النهار (ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم في النهار (ليقضى أجل مسمى) أي لكي يتم أجل معين عند الله لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتجاوز أحد ما عين له طرفة عين (ثم اليه مرجعكم) أي رجوعكم بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) أي يخبركم بمجازاة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عباده) أي وهو الغالب المتصرف في أمور عباده يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة وتعذيبا الى غير ذلك فالممكنات كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة)

(إن الحكم الا لله يقص الحق) أي يقول الحق ومن قرأ يقض الحق



معناه يقضي القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) أي الذين يفصلون بين الحق والباطل (قل لو أن عندي ما تستعجلون به) من العذاب لعجلت لكم ولانفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة وهو معنى قوله (لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين) أي هو أعلم بوقت عقوبتهم فهو يؤخره الى وقته وأنا لا أعلم ذلك وقوله (وعنده مفاتح الغيب) أي خزائن ما غاب عن بني آدم من الرزق والمطر ونزول العذاب والثواب والعقاب (لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر) أي القفار (والبحر) أي كل قرية فيها ماء لا يحدث فيها شئ الا يعلمه الله (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) ساقطة وقبل أن سقطت (ولا حبة في ظلمات الارض) أي في الثرى تحت الارض (ولا رطب) وهو ما ينبت (ولا يابس) وهو ما لا ينبت (الا في كتاب مبين) أي أثبت الله ذلك كله في كتاب قبل أن يخلق الخلق (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يقبض أرواحكم في منامكم (ويعلم ما جرحتم) أي ما كسبتم من العمل (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يرد اليكم أرواحكم في النهار (ليقضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى الممات أي لتستوفوا أعماركم المكتوبة (وهو القاهر فوق عباده) مضى هذا (ويرسل عليكم حفظة) من الملائكة يحصون أعمالكم

(حتى اذاجاء أحدكم الموت توفته  رسلنا) أى أعوان ملك الموت (وهم لايفرطون) أى لايعجزون ولا يضيعون

(ثم ردوا) يعنى العباد يردون بالموت (الى الله مولاهم الحق ألاله الحكم) أى القضاء فيهم (وهو أسرع الحاسبين) أى أقدر المجازين (قل من ينجيكم) سؤال توبيخ وتقرير أى الله يفعل ذلك (من ظلمات البر والبحر) أى من أهوالهما وشدائدهما (تدعونه تضرعا وخفية) أى علانية وسرا (لئن أنجيتنا من هذه) أى من هذه الشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين الطائعين وكانت قريش تسافر فى البر والبحر فاذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم وهو قوله (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) أعلم الله تعالى أن الله الذى دعوه هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التى قد علموا أنها من صنعتهم وأنها لاتضر ولاتنفع والكرب أشد الغم ثم أخبر أنه قادر على تعذيبهم فقال (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كالصيحة والحجارة والماء (أو من تحت أرجلكم) كالخسف والزلزلة (أو يلبسكم شيعا) أى يخلطكم فرقا بأن يبث فيكم الأهواء المختلفة فتخالفون وتقاتلون وهو معنى قوله (ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف) أى نبين لهم (الآيات) فى القرآن (لعلهم يفقهون) أى لكى يعلموا (وكذب به قومك) أى بالقرآن (وهو الحق

أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها فى صحائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رءوس الأشهاد (حتى اذاجاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى حتى اذا انتهت مدة أحدكم وانتهى حفظ الحفظة وجاءه أسباب الموت قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لايفرطون) أى لايؤخرون الميت طرفة عين وقرئ بسكون الفاء أى لايجاوزون ماحد لهم بزيادة أو نقصان (ثم ردوا الى الله) أى ثم رد جميع البشر بعد البعث بالحشر الى حكم الله وجزائه فى موقف الحساب وقيل المعنى ثم يرد أولئك الملائكة فانهم يموتون كما يموت بنوآدم (مولاهم الحق) أى مالكهم الذى لايقضى الا بالعدل (ألاله الحكم) يومئذ صورة ومعنى (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق فى أقصر زمان لايشغله كلام عن كلام ولاحساب عن حساب وفى الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة أى وذلك لانه تعالى لايحتاج الى فكر وعد (قل) ياأكرم الخلق لكفار مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أى من شدائدهما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول (تدعونه) والضمير عائد لمن وهذه الجملة فى محل نصب على الحال امامن مفعول ينجيكم أى من ينجيكم منها داعين اياه وامامن فاعله أى من ينجيكم منها مدعوا من جهتكم (تضرعا وخفية) أى تدعونه دعاء اعلان واخفاء أو تدعونه متضرعين ومخلصين بقلوبكم قائلين (لئن أنجيتنا من هذه) أى الأهوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين الداومين على الشكر لأجل هذه النعمة وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر خفية بكسر الخاء والباقون بالضم وعلى هذا الاختلاف فى سورة الاعراف وقرأ الأعمش وخيفة بكسر الخاء فبعده الياء الساكنة من الخوف أى مستكينا أودعاء خوف والآية تدل على أن الانسان يأتى عند حصول الشدائد بأمور أحدها الدعاء وثانيها التضرع وثالثها الاخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخفية ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو المراد من قوله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لئن أنجانا على الغايبة وينجيكم بالتشديد فى الموضعين والباقون لئن أنجيتنا على الخطاب وينجيكم بالتشديد والتخفيف وحجة من قرأ على الغايبة أن ماقبل لفظ أنجانا وهو تدعونه ومابعده وهو قل الله ينجيكم منها مذكور بلفظ الغايبة ولايحتاج فى هذه القراءة الى اضمار نحو تقولون فالاضمار خلاف الاصل وحجة من قرأ على المخاطبة قوله تعالى فى آية أخرى لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (قل الله ينجيكم منها) أى الله وحده ينجيكم من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك (ثم أنتم) ياأهل مكة بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره الذى عرفتم أنه لايضر ولاينفع ولاتفون بعهدكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كالمطر كما فعل بقوم نوح والحجارة كما رمى أصحاب الفيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح والريح كما فى قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالرجفة وغرق فرعون وخسف قارون (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) أى يخلط أمركم خلط اضطراب فيجعلكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة متابعة لامام فاذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) أى نكررها متغيرة من حال الى حال (لعلهم يفقهون) أى كى يقفوا على جلية الأمر فيرجعوا عماهم عليه من العناد (وكذب به قومك وهو الحق) أى وكذبوا بالعذاب والحال انه لواقع لابد وأن ينزل بهم أو المعنى وكذب قريش بالقرآن وهو الكتاب الصادق فى كل مانطق

(قل لست عليكم بوكيل) أى انما أدعوكم الى الله ولم أومر بحربكم ولا أخذكم بالايمان وهذا منسوخ بآية القتال (لكل نبأ مستقر)
أى لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف (وسوف تعلمون) أى ما كان منه فى الدنيا فستعرفونه وما كان منه فى
الآخرة فسوف يبدو لكم يعنى العذاب الذى كان بعدهم فى الدنيا والآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى بالتكذيب
والاستهزاء (فأعرض عنهم) أمر الله رسوله فقال اذا رأيت  المشركين يكذبون بالقرآن و بك
و يستهزئون فاترك مجالستهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن (واما ينسينك الشيطان) أى ان نسيت فقعدت (فلا تقعد بعد الذكرى) أى فقم اذا ذكرت فقال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس بالمسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فرخص الله للمؤمنين فى القعود معهم يذكرونهم فقال (وما على الذين يتقون) الشرك والكبائر (من حسابهم) آثامهم (من شئ ولكن ذكرى) يقول ذكروهم بالقرآن و بمحمد فرخص لهم فى القعود بشرط التذكير والموعظة (لعلهم يتقون) أى ترجى منهم التقوى (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) يعنى الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها (وذكر به)
أى وعظ بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) أى تسلم للهلكة وتحبس فى جهنم فلا تقدر على التخلص ومعنى الآية وذكرهم بالقرآن
اسلام الجانين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون (وان تعدل كل عدل) يعنى النفس المبسلة تفد كل فداء يعنى تفد بالدنيا وما فيها (لا يؤخذ
منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أى أسلموا للهلاك (لهم شراب من حميم) وهو الماء الحار قل (أندعو من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا) أى أنعبد ما لا يملك لنا نفعا ولا ضرا لأنه جماد (ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) تردونا الى الشرك فيكون حالنا

به وفى كونه منزلا من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أى قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المكذبين لست
عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر والله هو المجازى
لكم بأعمالكم (لكل نبأ مستقر) أى لكل خبر يخبره الله تعالى وقت يحصل فيه من غير تأخير والمعنى
لكل قول من الله من الوعد والوعيد استقرار وحقيقة منه ما يكون فى الدنيا ومنه ما يكون فى الآخرة
(وسوف تعلمون) أى ولا بد أن يعلموا أن الأمر كما أخبر الله تعالى عنه عند ظهوره (واذا رأيت الذين
يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى واذا رأيت أيها السامع الذين
يستهزئون بآياتنا فاترك مجالسهم كى يشرعوا فى حديثهم فى غير آياتنا أى فى غير الاستهزاء بالقرآن ونقل
الواحدى أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى رسول الله ﷺ والقرآن فشتموا واستهزؤا
فأمرهم الله بترك مجالسة المشركين (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) أى
وان يشغلك الشيطان فتنسى النهى فتجالسهم فلا تقعد معهم بعد تذكر النهى (وما على الذين يتقون من
حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون) قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون
بالقرآن قمنا عنهم لما قدرنا على أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية أى ما على
الذين يتقون قبائح أعمال الخائضين مما يحاسبون عليه من آثامهم شئ ولكن تذكرة لهم عما هم عليه
من القبائح بما أمكن من التذكير لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو نحوه وقوله تعالى ذكرى معطوف على
محل شئ وهو رفع على أنه مبتدأ مؤخر أو اسم ما ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال من شئ (وذر
الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) أى أعرض عن الذين نصروا الدين ليتوسلوا به الى
أخذ المناصب والرياسة وغلبة الخصم وجمع الأموال ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تقم لهم فى نظرك
وزنا وانما نصروا الدين للدنيا لأجل أنهم غرتهم الحياة الدنيا أى اطمأنوا بها فلأجل استيلاء حب
الدنيا على قلوبهم أعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا واذا
تأملت فى حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة والله أعلم والمحقق فى
الدين هو الذى ينصر الدين لأجل أنه قام الدليل على أنه صواب (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت)
أى ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتباسهم فى نار جهنم بسبب جناياتهم لعلهم يخافون (ليس لها من دون
الله ولى ولا شفيع) أى ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل
لا يؤخذ منها) أى وان تفد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب
الله لم تنفع (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أى
أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين حبسوا فى جهنم بما كسبوا فى الدنيا
لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم وعذاب أليم بنار تشتعل بأبدانهم بسبب
كفرهم المستمر فى الدنيا (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله)

أى قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائهم كعيينة وأصحابه أنعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية مالا يقدر على نفعنا فى الدنيا والآخرة ان عبدناه ولا على ضرنا فيهما اذا تركناه ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله الى الاسلام وأنقذنا من الشرك وانما يقال لكل من أعرض عن الحق الى الباطل انه رجع الى خلف ورجع على عقبيه لأن الأصل فى الانسان هو الجهل ثم اذا تكامل حصل له العلم فاذا رجع من العلم الى الجهل مرة أخرى فكأنه رجع الى أول مرة (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا) أى فيكون مثلنا كالذى استنزلته الشياطين من الموضع العالى الى الوهدة السافلة العميقة فى قعر الأرض تائها عن الجادة لايدرى مايصنع وللنازل الى الوهدة المظلمة عينية وأصحابه رفقة وهم أصحاب النبى ﷺ يدعونه الى الطريق المستقيم يقولون ائتنا الى الجادة والغيلان ينزلونه الى السافلة المظلمة فيبقى متحيرا أين يذهب وهذا المثل فى غاية الحسن وذلك لأن الذى يهوى من المكان العالى الى الوهدة العميقة يهوى اليهامع الاستدارة على نفسه كما أن الحجر حال نزوله من الأعلى الى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتحير فعند نزوله لايعرف أنه يسقط على موضع يكثر بلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فاذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال علمت أنك لاتجد مثالا للمتحير المتردد الخائف أحسن ولا أكمل من هذا المثال (قل ان هدى الله) الذى هدانا اليه وهو الاسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشريف وماعداه ضلال محض وغى بحت (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه) أى قل وأمرنا بأن نخلص العبادة لرب العالمين لأنه المستحق للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى فى مخالفة أمره والمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطاب تنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والايمان فان الكافر بعيد غائب والمؤمن قريب حاضر فيخاطب الكافر بخطاب الغائبين لأنه كالأجنبى الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم لرب العالمين واذا أسلم وآمن صار كالقريب الحاضر فيخاطب بخطاب الحاضرين ويقال له وأقيموا الصلاة واتقوه (وهو الذى اليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والأرض) ومافيهما (بالحق) أى قائما بالحق لاعابثا (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) أى وأمره المتعلق بكل شئ يريد خلقه حين تعلقه به هو المعروف بالحقية والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيئته فى تكوين الكائنات وهذا بيان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس مما يتوقف على مادة ولامدة بل يتم بمحض الأمر التكوينى من غير توقف على شئ آخر أصلا والمراد بالقول كلمة كن تمثيل لأن سرعة قدرته تعالى أقل زمنا من زمن النطق بكن (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) انما أخبر الله عن ملكه يومئذ لأنه لامنازع له يومئذ فان الملوك اعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق أى الموت ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ماغاب عن العباد وماعلمه العباد وقوله تعالى وله الملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم الغيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو المصيب فى أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر) وهو فى التوراة تارخ فلأبى ابراهيم اسمان آزر وتارح بن ناحور واعلم أن جميع نسب رسول الله ﷺ مطهر من عبادة الأصنام مادام النور المحمدى فى أصلابهم أما بعد انتقاله منهم فتجوز عليهم عبادة الأصنام وغيرها من سائر أنواع الكفر (أتتخذ أصناما آلهة) أى أتجعل لنفسك أصناما آلهة فتعبد أصناما شتى صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى (انى أراك وقومك فى ضلال مبين) أى انى أراك يا أبت وقومك فى ضلال عن الحق بين فى الاتفاق على عبادة

(ك) حال (الذى استهوته الشياطين فى الأرض) استغوته واستفزته الغيلان فى المهامه (حيران) مترددا لايهتدى الى المحجة (له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا) هذا مثل من ضل بعد الهدى يجيب الشيطان الذى يستهويه فى المفازة فيصبح فى مضلة من الأرض يهلك فيها ويعصى من يدعوه الى المحجة كذلك من ضل بعد الهدى (قل ان هدى الله هو الهدى) رد على من دعاه الى عبادة الأصنام أى لايفعل ذلك لأن هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق) أى بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنيعه وكل ذلك حق (ويوم يقول) واذكر يا محمد يوم يقول للشئ (كن فيكون) يعنى يوم القيامة يقول للخلق انتشروا فينتشرون

(وكذلك نرى) أى وكما أرينا ابراهيم استقباح ما كان عليه أبوه من عبادة الأصنام نريه (ملكوت السموات والارض) يعنى ملكهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار أراه الله هذه الأشياء حتى نظر اليها معتبرا مستدلا بها على خالقها وقوله (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى لان المعنى ليستدل بها وليكون من الموقنين (فلما جن) أى ستر وأظلم (عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) أى فى زعمكم أيها القائلون بحكم النجم وذلك أنهم كانوا أصحاب النجوم يرون التدبير فى الخليقة لها (فلما أفل) أى غاب (قال لا أحب الآفلين) عرفهم جهلهم وخطأهم فى تعظيم شأن النجوم ودل على أن من غاب بعد الظهور كان حادثا مسخرا وليس برب (فلما رأى القمر بازغا) أى طالعا فاحتج عليهم فى القمر والشمس بمثل ما احتج به عليهم فى النجم وقوله (لئن لم يهدنى ربى) أى ان لم يثبتنى على الهدى وقوله للشمس هذا ربى ولم يقل هذه لان لفظ الشمس مذكر ولان الشمس بمعنى الضياء والنور فحمل الكلام على المعنى فقال (هذا أكبر) من الكوكب والقمر فلما توجهت الحجة على قومه (قال انى برىء

الأصنام (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) أى كما أرينا ابراهيم البصيرة فى دينه والحق فى خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات والارض من وقت طفوليته ليراها فيتوسل بها الى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته وليصير زمان بلوغه من البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى لان مخلوقات الله وان كانت متناهية فى الذوات والصفات فهى غير متناهية من جهات دلالتها على الذوات والصفات كما نقل عن امام الحرمين أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته فى كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضا وذلك لان الجوهر الفرد يمكن وقوعه فى أحياز لانهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانهاية لها على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته واذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ كذلك فكيف القول فى ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى على سمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التى لانهاية لها دفعة واحدة فى عقول الخلق محال فحينئذ لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بأن يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر الى الله نهاية وأما السفر فى الله فانه لانهاية له والله أعلم (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل) فى السرب (رأى كوكبا) وهى الزهرة وهى فى السماء الثالثة (قال هذا ربى) مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أى غرب (قال لا أحب الآفلين) أى لا أحب الأرباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالأستار (فلما رأى القمر بازغا) أى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكوكب (قال هذا ربى) هذا أكبر من الاول حكاية لقول الخصم الذين يعبدون الكواكب (فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) الى حضرة الحق (لأكونن من القوم الضالين) فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة فى الطلوع (قال هذا ربى هذا أكبر) من الاول والثانى (فلما أفلت) أى هى (قال) مخاطبا للكل صادعا بالحق بينهم (ياقوم انى برىء مما تشركون) بالله من الأجرام المحدثة المحتاجة الى محدث اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان وهو نمروذ بن كنعان رأى رؤيا كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه فى ملكه فأمر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فى هذه السنة فحبلت أم ابراهيم به وما أظهرت حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام ووضع أصبعه فى فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل عليه السلام فكانت الأم تأتيه أحيانا وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف أن له ربا فسأل الأم فقال لها من ربى فقالت أنا فقال ومن ربك قالت أبوك فلما أتاه أبوه آزر فقال يا أبتا من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال ملك البلد نمروذ فعرف ابراهيم جهلهما بربهما فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب تعالى فرأى النجم الذى هو أضوء النجوم فى السماء فقال هذا ربى الى آخر القصة ولما تبرأ ابراهيم من المشركين توجه الى منشىء هذه المصنوعات فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) أى انى وجهت طاعتى وصرفت وجه قلبى للذى أخرج السموات والارض الى الوجود (حنيفا) أى مائلا عن كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من المشركين) فى شىء من الأفعال والأقوال (وحاجه قومه) أى

مما تشركون انى وجهت وجهى) أى جعلت قصدى بعبادتى وتوحيدى (لله) وباقى الآية مفسر فيما مضى (وحاجه قومه) أى جادلوه وخاصموه فى تركه آلهتهم وفى عبادة الله وخوفوه أن تصيبه آلهتهم بسوء

خاصموه فى آلهتهم وخوفوه بها روى أنه لما شب ابراهيم جعل آزر يصنع الأصنام و يعطيها له ليبيعها فيذهب بها و ينادى من يشترى مايضره ولاينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر وضرب فيه رءوسها وقال لها اشربى استهزاء بقومه حتى فشا فيهم استهزاؤه بها فقالوا له احذر الأصنام فانا نخاف أن تمسك بخبل أوجنون بعيبك اياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أى ابراهيم لهم (أتحاجونى فى الله) أى أتخاصموننى فى وحدانية الله (وقد هدان) لدينه فكيف ألتفت الى حجتكم العليلة وكلماتكم الباطلة (ولاأخاف ماتشركون به) من الأصنام لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر والأصنام جمادات لاقدرة لها على النفع والضر فكيف يحصل الخوف منها (الاأن يشاء ربى شيئا) أى لاأخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها لاتقدر على منفعة ولامضرة الا أن يشاء ربى شيئا من المكروه يصيبنى من جهتها كأن يحييها و يمكنها من ايصال المنفعة والمضرة الى أو من نزع المعرفة من قلبى فأخاف مما تخافون (وسع ربى كل شئ علما) فانه علام الغيوب فلايفعل الا الصلاح والحكمة فبتقدير أن يحدث من مكاره الدنيا فذاك لانه تعالى عرف وجه الصلاح والخير فيه لا لأجل أنه عقوبة على الطعن فى الهية الأصنام (أفلاتتذكرون) أن نفى الشركاء عن الله تعالى لايوجب نزول العذاب واثبات التوحيد له تعالى لايوجب استحقاق العقاب أو المعنى أتعرضون عن التأمل فى أن آلهتكم جمادات لا تضر ولاتنفع فلاتتذكرون أنها غيرقادرة ولاتتعظون فيما أقول لكم من النهى (وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) أى وكيف أخاف الأصنام التى لاقدرة لها على النفع والضر وأنتم لاتخافون من الله اشراككم بالله مايمتنع حصول الحجة فيه أومالم يرد الأمر به أى وكيف أخاف أنا ماليس فى حيز الخوف أصلا وأنتم لاتخافون غائلة ماهو أعظم المخوفات وهو اشراككم بالله الذى لايماثل ذاته وصفاته شئ فى الارض ولافى السماء ماهو من جملة مخلوقاته (فأى الفريقين أحق بالأمن) أى مالكم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن ولاتنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف فأى الفريقين من الموحدين والمشركين أحق بالأمن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من أحق بذلك فأخبرونى فلم يجيبوا فأجاب الله ماسأل عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) أى الفريق الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك بأن لم يثبتوا لله شريكا فى المعبودية أولئك لهم الأمن من العذاب (وهم مهتدون) الى الصواب ومن عداهم فى ضلال ظاهر والله تعالى شرط فى الايمان الموجب للأمن عدم الظلم أى عدم النفاق بالايمان وأما الفاسق فهو مؤمن فوعيد الفاسق من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبه الله وأن يعفو عنه فالأمن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم الأمن القطع بحصول العذاب والله أعلم (وتلك) أى مااحتج به ابراهيم على قومه (حجتنا آتيناها) أى ألهمناها (ابراهيم على قومه) متعلق بحجتنا (نرفع درجات من نشاء) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بغير اضافة أى نرفع من نشاء رفعه فى رتب عظيمة عالية من العلم والحكمة والمنزلة وقرأ الباقون بالاضافة (ان ربك) يا أكرم الرسل (حكيم) فى كل مافعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه أى ان الله يرفع درجات من يشاء بمقتضى حكمته وعلمه فان أفعاله تعالى منزهة عن العبث (ووهبناله) أى لابراهيم لصلبه (اسحق و يعقوب) من اسحق (كلاهدينا) أى كل واحد من ابراهيم واسحق و يعقوب أرشدنا الى النبوة والرسالة (ونوحا هدينا من قبل) أى من قبل ابراهيم (ومن ذريته) أى وهدينا من ذرية نوح (داود وسليمان وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن اسحق (و يوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين) أى ونجزى المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء

ق(قال أتحاجونى فى الله) أى فى عبادته وتوحيده (وقد هدان) أى بين لى مابه اهتديت (ولاأخاف ماتشركون به) أى من الأصنام أن تصيبنى بسوء (الاأن يشاء ربى شيئا) أى أنى لاأخاف الامشيئة الله أن يعذبنى (وسع ربى كل شئ علما) أى علمه علما تاما (أفلا تتذكرون) أى تتعظون فتتركون عبادة الأصنام (وكيف أخاف ماأشركتم) يعنى الأصنام أنكر أن يخافها (ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) أى ماليس لكم فى اشراكه بالله حجة و برهان (فأى الفريقين أحق بالأمن) أى أحق بأن يأمن من العذاب الموحد أم المشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا ايمانهم بشرك (أولئك لهم الأمن) أى من العذاب (وهم مهتدون) أى الى دين الله (وتلك حجتنا) يعنى ما احتج به عليهم (آتيناها ابراهيم) ألهمناها ابراهيم وأرشدناه اليها (نرفع درجات من نشاء) أى مراتبهم بالعلم والفهم ثم ذكر نوحا ومن هدى الانبياء من أولاده الى قوله وكلا أى من المذكورين

على احسانهم وهو الاتيان بالاعمال الحسنة على حسنها الوصفي القارن لحسنها الذاتي وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وزكريا) ابن أذن (ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فنحاص ابن عيزار بن هرون بن عمران (كل) أي كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أي من الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) بن أخطوب بن العجوز قرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة ساكنة و بفتح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخي ابراهيم (وكلا) من هؤلاء الأنبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على الملائكة والأولياء. واعلم أن الله تعالى خص كل طائفة من الأنبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الأنبياء واليهم يرجع حسبهم جميعا وهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق بعد النبوة الملك والسلطان والقدرة وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما ثم المرتبة الثالثة البلاء الشديد والمحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الخاصية والمرتبة الرابعة من كان مستجمعا لهاتين الحالتين وهو يوسف فانه نال البلاء الكثير في أول الأمر ثم أعطاه الله النبوة مع ملك مصر والمرتبة الخامسة من فضائل الأنبياء قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وذلك في حق موسى وهرون والمرتبة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة الخلق وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له فيما بين الخلق اتباع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) وهذا اما عطف على كلا فالعامل فيه فضلنا ومن تبعيضية أو على نوحا فالعامل فيه هدينا ومن ابتدائية والمفعول محذوف أي وهدينا بالنبوة والاسلام من آبائهم جماعات كثيرة آدم وشيث وادريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة أولاد يعقوب ومن اخوانهم جماعات اخوة يوسف (واجتبيناهم) أي اصطفيناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط مستقيم) أي الى معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشرك (ذلك) أي معرفة الله بوحدانيته (هدى الله) أي دين الله فان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى (يهدي به من يشاء من عباده) وهم المستعدون للهداية في الارشاد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أي ولو أشرك هؤلاء الأنبياء لحبط عنهم مع فضلهم وعلو درجاتهم أعمالهم المرضية وعباداتهم الصالحة فكيف بمن عداهم والمقصود من هذا الكلام تقرير التوحيد وابطال طريقة الشرك (أولئك) أي الأنبياء الثمانية عشر (الذين آتيناهم الكتاب) أي أعطيناهم فهما تاما لما في الكتاب وعلما محيطا بأسراره (والحكم) فان الله تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذي الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة) فيقدرون بها على التصرف في ظواهر الخلق كالسلاطين وفي بواطنهم وأرواحهم كالعلماء (فان يكفر بها) أي بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي كفار قريش (فقد وكلنا بها) أي وفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) أي بجاحدين في وقت من الاوقات وهم الأنصار وأهل المدينة (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) أي أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم الله بالاخلاق الحسنى فباخلاقهم الشريفة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وذلك لأن جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم بأسرهم في جميع صفات الكمال

(فضلنا على العالمين) أي عالمي زمانهم (ومن آبائهم) أي وهدينا بعض آبائهم (وذرياتهم واخوانهم) فمن ههنا للتبعيض (ذلك هدى الله) أي دين الله الذي هم عليه (يهدي به من يشاء) أي يرشد اليه من يشاء (من عباده ولو أشركوا) أي عبدوا غيري (لحبط) أي بطل عملهم (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يعني الكتب التي أنزلها عليهم (والحكم) يعني العلم والفقه (فان يكفر بها) أي بآياتها (هؤلاء) أي أهل مكة (فقد وكلنا بها) أي أرصدنا لها (قوما) أي وفقناهم لها وهم المهاجرون والانصار (أولئك الذين هدى الله) يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) أي اصبر كما صبروا فان قومهم كذبوهم فصبروا

التى كانت متفرقة فيهم فيلزم أنه صلى الله عليه وسلم حصلها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال انه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكليتهم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان ابراهيم صاحب كرم و بذل ومجاهدة فى الله تعالى وكان اسحق و يعقوب صاحبى صبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامعا بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا و يحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع (قل) ياأشرف الخلق لأهل مكة (لاأسألكم عليه) أى القرآن (أجرا) من جهتكم (ان هو الا ذكرى للعالمين) أى ماالقرآن الاعظة للجن والانس من جهته تعالى (وماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك (اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شئ) روى أن مالك بن الصيف وهو من أحبار اليهود ورؤسائهم جاء فى مكة يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم وكان رجلا سمينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبى عليه فقال له النبى أنت حبر سمين وقدسمنت من الأشياء التى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك بن الصيف ثم التفت الى عمر فقال ماأنزل الله على بشر من شئ فقال أصحابه الذين معه و يحك ولاعلى موسى فقال والله ماأنزل الله على بشر من شئ فلماسمع قومه تلك المقالة قالوا و يلك ماهذا الذى بلغناعنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبنى محمد فقلته فقالوا وأنت اذاغضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبر ية وعن رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس) أى حال كون الكتاب ظاهرا جليا فى نفسه وهاديا للناس من الضلالة (تجعلونه قراطيس تبدلونها وتخفون كثيرا) أى تضعون الكتاب فى ورقات مفرقة فجعلوه أجزاء تحونيف وثمانين جزءا وفعلوا ذلك ليتمكنوا من اخفاء ماأرادوا اخفاءه فيجعلون مايريدون اخفاءه على حدة ليتمكنوا من اخفائه. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة فى الافعال الثلاثة والباقون بتاء الخطاب (وعلمتم) أيها اليهود من الاحكام وغيرها (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل نزول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ان التوراة كانت مشتملة على البشارة بمقدم محمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يقرؤن تلك الآيات وما كانوا يفهمون معانيها فلما بعث الله محمدا ظهر ان المراد من تلك الآيات هو مبعثه صلى الله عليه وسلم (قل الله) أى قل ياأكرم الرسل المنزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أى ثم اتركهم فى باطلهم الذى يخوضون فيه يسخرون فانك اذا أقمت الحجة لم يبق عليك من أمرهم شئ البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أى وهذا القرآن كتاب أنزلناه بالوحى على لسان جبريل (مبارك) أى كثير خيره دائم منفعته يبشر بالمغفرة يزجر عن المعصية (مصدق الذى بين يديه) أى موافق للكتب التى قبله فى التوحيد وتنزيه الله والدلالة على البشارة والنذارة (ولتنذر ام القرى) قرأ شعبة لينذر على الغيبة أى لينذر الكتاب والباقون ولتنذر بالخطاب أى ولتنذر ياأكرم الرسل أهل مكة سميت أم القرى لانها قبلة أهل الدنيا ولانها موضع الحج وهى من أصول عبادات أهل الدنيا فيجتمع الخلق اليها كما يجتمع الأولاد الى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم ان يحصل فيها أنواع التجارات وهى من أصول المعيشة فلهذا السبب سميت مكة أم القرى (ومن حولها) أى من أهل جميع بلاد العالم

(قل لاأسألكم عليه) أى على القرآن وتبليغ الرسالة (أجرا) أى مالا تعطونيه (ان هو) يعنى القرآن (الاذكرى للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (وماقدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق تعظيمه وما وصفوه حق صفته (اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ) وذلك أن اليهود أنكروا انزال الله من السماء كتابا انكارا للقرآن فقال الله (قل) لهم يامحمد (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) يعنى التوراة (تجعلونه قراطيس) أى تكتبونه وتودعونه اياها (تبدونها) يعنى القراطيس أى تبدون ماتحبون وتكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فى التوراة فضيعتموه ولم تنتفعوا (قل الله) أى الله أنزله (ثم ذرهم فى خوضهم) أى فى افكهم وحديثهم الباطل (يلعبون) أى يعملون مالا يجدى عليهم (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه مبارك) أى كثير خيره دائم منفعته يبشر بالثواب و يزجر عن القبيح الى مالايحصى من بركاته (مصدق الذى بين يديه) أى موافق لما قبله من الكتب (ولتنذر أم القرى) أى أهل مكة (ومن حولها) يعنى أهل سائر الآفاق

(والذين

(والذين يؤمنون بالآخرة) أي بالوعد والوعيد والثواب والعقاب (يؤمنون به) أي بالكتاب (وهم على صلاتهم يحافظون) فان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وتخصيصها بالذكر لانها أشرف العبادات بعد الايمان بالله فلم يقع اسم الايمان على شيء من العبادات الظاهرة الا على الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم ولم يقع اسم الكفر على شيء من المعاصي الا على ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) نزل هذا في مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة وفي الأسود العنسي صاحب صنعاء فانهما كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله تعالى على سبيل الكذب (أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) روي ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت الآية اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحي الي مثل ما أوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة حين نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كما ادعى النضر بن الحرث معارضة القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الأولين وكل أحد يمكنه الاتيان بمثله وقال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) أي ولو ترى يا أشرف الخلق الظالمين وقت كونهم في شدائد الموت في الدنيا والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام هذا الوقت تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد بسبب الافتراء على الله والتكبر على آيات الله لرأيت أمرا فظيعا أو المعنى ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى أنواع الشدائد والتعذيبات في الآخرة فأدخلوا جهنم والملائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب مبكتين لهم قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد هذا الوقت تجزون العذاب المشتمل على الاهانة بسبب كونكم قائلين قولا غير الحق وكونكم مستكبرين عن الايمان بآيات الله لرأيت أمرا عظيما (ولقد جئتمونا) للحساب (فرادى) عن الاهل والمال والجاه (كما خلقناكم أول مرة) أي مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلا بهما أي ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ما خولناكم) أي أعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) في الدنيا اما اذا صرف الاموال الى الجهات الموجبة لتعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فما تركها وراء ظهره بل قدمها تلقاء وجهه (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي وما نرى معكم أصنامكم التي زعمتم انها شركاء لله في استحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي بالنصب أي لقد تقطعت الشركة بينكم والباقون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم فالبين اسم يستعمل للوصل والفراق فهو مشترك بينهما كالجون

(والذين يؤمنون بالآخرة) أي ايمانا حقيقيا (يؤمنون به) أي بالقرآن (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) نزلت في مسيلمة والأسود العنسي ادعيا النبوة وأن الله قد أوحى اليهما وهذا معنى قوله (أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) يعني المستهزئين الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون) يعني الذين ذكرهم الله (في غمرات الموت) أي شدائده وأهواله (والملائكة باسطوا أيديهم) أي اليهم بالضرب والتعذيب (أخرجوا أنفسكم) أي يقولون ذلك ونفس الكافر تخرج بمشقة وكره لأنها تصير الى أشد العذاب والملائكة يكرهونهم على نزع الروح ويقولون أخرجوا أنفسكم كرها (اليوم تجزون عذاب الهون) أي العذاب الذي يقع به الهوان الشديد (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من أنه أوحي اليكم ولم يوح (وكنتم عن آياته تستكبرون) أي عن الايمان بها تتعظمون (ولقد جئتمونا فرادى) يقال للكافر في الآخرة جئتمونا فرادى بلا أهل ولا مال ولا شيء قدمتموه (كما خلقناكم أول مرة) أي كما خرجتم من بطون أمهاتكم (وتركتم ما خولناكم) أي ملكناكم وأعطيناكم من المال والعبيد والمواشي (وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) وذلك أن المشركين كانوا يعبدون الاصنام على أنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده (لقد تقطع بينكم) أي وصلكم ومودتكم

للأسود والأبيض (وضل) أى ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الاصنام شفعاؤكم (ان الله فالق الحب) أى شاق جميع الحبوب من الحنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل الثمار أى فاذاوقعت الحبة أوالنواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها مدة أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة من أعلاها شقا ومن أسفلها شقا آخر فيخرج من الحبة ورق أخضر ومن النواة شجرة صاعدة فى الهواء ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى) أى يخرج من النطفة بشرا حيا ومن البيضة فروخا حية ومن الحب اليابس نباتا غضا ومن الكافر مؤمنا ومن العاصى مطيعا و بالعكس (ذلكم الله فأنى تؤفكون) أى ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت فمن أين تكذبون فى اثبات القول بعبادة الأصنام وقيل المراد الانكار على تكذيبهم بالحشر والنشر فالمعنى انكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ثم شاهدتم أنه تعالى أخرج البدن الحى من النطفة الميتة مرة واحدة فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحى من ميت التراب الرميم مرة أخرى (فالق الاصباح) أى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وذلك لان الافق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى مملوء من الظلمة وانما ظهر النور فى الجانب الشرقى فكأن الأفق كان بحرا مملوءا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى جدولا من النور فيه (وجعل الليل سكنا) أى يستريح فيه الخلق من التعب الحاصل فى النهار قرأ عاصم وحمزة والكسائى على صيغة الماضى والباقون على صيغة اسم الفاعل (والشمس والقمر حسبانا) أى قدر الله تعالى حركة بمقدار معين من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة فى شهر و بهذه المقادير تنتظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة و بسببها يحصل مايحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الغلات (ذلك تقدير العزيز العليم) أى حصول هذه الاحوال لايمكن الا بقدرة كاملة متعلقة بجميع الممكنات و بعلم نافذ فى جميع المعلومات من الكليات والجزئيات فليس حصول حركات اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة بالطبع وانما هو بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاهتدائكم بها فى مشتبهات الطرق اذا سافرتم فى برأو بحر ولاستدلالكم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتأملون فيستدلون بالمحسوس على المعقول و ينتقلون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على الطرقات فى ظلمات البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فمستقر بكسر القاف والباقون بفتحها وأما مستودع فهو بفتح الدال لاغير فالمعنى على الأول فمنكم مستقر ومنكم شئ مودع فى الصلب وهو النطفة وعلى الثانى فلكم مكان استقرار وهو الارحام ومكان استيداع وهو نفس الاصلاب والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر مالم يكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطفة تبقى فى صلب الأب زمانا قصيرا والجنين يبقى فى رحم الأم زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الأم أكثر من المكث فى صلب الأب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان المستقر صلب الأب والمستودع رحم الأم لان النطفة حصلت فى صلب الأب قبل حصولها فى رحم الأم فحصول النطفة فى الرحم من فعل الرجل مشبه بالوديعة وحصولها فى الصلب لامن جهة الغير. وقال أبو مسلم الاصبهانى ان تقدير الآية هو الذى

أنشأكم

(وضل) أى ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) أى تكذبون فى الدنيا (ان الله فالق الحب) أى شاقه بالنبات (والنوى) بالنخلة (يخرج الحى من الميت) أى يخرج من النطفة بشرا حيا (ومخرج الميت من الحى) أى النطفة من الحى وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذلكم الله) الذى فعل هذه الأشياء كلها التى تشاهدونها (ربكم فأنى تؤفكون) أى فمن أين تصرفون عن الحق بعد هذا البيان (فالق الاصباح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده على معنى أنه خالقه ومبدئه (وجاعل الليل سكنا) أى للخلق يسكنون فيه سكون الراحة (والشمس والقمر حسبانا) أى وجعل الشمس والقمر بحساب لايجاوزانه فهما يدوران فى حساب (ذلك تقدير العزيز) أى فى ملكه يصنع ماأراد (العليم) بما قدر من خلقهما (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) يعنى آدم (فمستقر) اى فلكم مستقر فى الارحام (ومستودع) أى فى الاصلاب

أنشأكم من نفس واحدة فمنكم ذكر ومنكم أنثى وانما عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة انما تنشأ فى صلبه وتستقر فيه وانما عبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة (قد فصلنا الآيات) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا من تفاصيل خلق البشر (لقوم يفقهون) أى يدققون النظر فان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف صنعة وان الاستدلال بالأنفس أدق من الاستدلال بالنجوم فى الآفاق لظهورها (وهو الذى أنزل من السماء ماء) أى وهو الله الذى خلق هذه الأجسام فى السماء ثم ينزلها الى السحاب ثم من السحاب الى الأرض (فأخرجنا به) أى بسبب الماء (نبات كل شئ) من الأشياء التى تنمو من أنواع النجم والشجر (فأخرجنا منه) أى النبات (خضرا) أى زرعا والمراد من هذا الخضر العود الأخضر الذى يخرج أولا فى القمح والشعير والذرة والأرز ويكون السنبل فى أعلاه (نخرج منه) أى من ذلك الخضر (حبا متراكبا) بعضه على بعض فى سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أى كيزانها قبل أن ينشق عن الاغريض (قنوان) أى عراجين تدلت من الطلع (دانية) أى قريبة من القاطف يناله القائم والقاعد (وجنات من أعناب) قرأ عاصم بالرفع وهى قراءة على أى ومن الكرم جنات من أعناب والباقون بالنصب والتقدير وأخرجنا بالماء بساتين من أعناب (والزيتون والرمان) أى شجرهما والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) أى ان هذه الفواكه قد تكون متشابهة فى اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة فى الطعم واللذة وقد تكون مختلفة فى اللون والشكل مع أنها تكون متشابهة فى الطعم واللذة وأيضا بعض حبات العنقود من العنب متشابهة وبعضها غير متشابه فانك اذا أخذت العنقود ترى جميع حباته نضيجة حلوة طيبة الاحبات مخصوصة منها بقيت على أول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة (انظروا) أيها المخاطبون نظر اعتبار (الى ثمره) أى ثمر كل واحد مما ذكر قرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون الميم والباقون بفتح الثاء والميم (اذا أثمر) أى اذا أخرج ثمره فتجدوه ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) أى وانظروا الى حال نضجه وكماله فتجدوه قد صار قويا جامعا لمنافع جمة (ان فى ذلكم) أى فى اختلاف الالوان وهو ما أمر بالنظر اليه (لآيات) أى عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته (لقوم يؤمنون) أى لمن سبق فى حقه قضاء الله بالايمان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم ينتفع بهذه الدلالة البتة أصلا (وجعلوا لله شركاء الجن) أى قال المجوس ان الله تعالى وابليس أخوان شريكان فالله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وقالوا كل ما فى هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس فى شرعنا (وخلقهم) أى وقد علموا أن الله خلقهم فان أكثر المجوس معترفون بأن ابليس ليس بقديم بل هو حادث وانما كان ابليس أصلا لجميع الشرور والآفات والمفاسد والقبائح وقد سلموا أن إله العالم هو الخالق لما هو أصل الشرور والقبائح والمفاسد ثم ان فى المجوس من يقول انه تعالى تفكر فى مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول شك فى قدرة نفسه فنشأ من شكه الشيطان فهؤلاء معترفون بأن أهرمن محدث وأن محدثه هو الله تعالى فقوله تعالى وخلقهم اشارة الى هذا المعنى والضمير عائد الى الجن (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قرأ نافع خرقوا بتشديد الراء والجمهور بتخفيفها وقرأه ابن عباس بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء وابن عمر كذلك الا أنه شدد الراء أى كذبوا فى الله حيث وصفوه تعالى بثبوت البنين والبنات مصاحبين لجهل حقيقة ما وصفوه فالذين أثبتوا البنين النصارى

(وهو الذى أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأخرجنا به نبات كل شئ) ينبت (فأخرجنا منه) أى من ذلك النبات (خضرا) أخضر كالقمح والشعير والذرة وما كان رطبا أخضر مما ينبت من الحبوب (نخرج منه) أى من الخضر (حبا متراكبا) أى بعضه على بعض فى سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أى أول ما يطلع منها (قنوان) يعنى العراجين التى قد تدلت من الطلع (دانية) ممن يجتنيها يعنى قصار النخل اللاصقة عروقها بالارض (وجنات) أى وأخرجنا بالماء جنات (من أعناب والزيتون والرمان) يعنى وشجر الرمان وشجر الزيتون (مشتبها وغير متشابه) أى مشتبه ورقهما مختلف ثمرهما (انظروا الى ثمره) أى نظر الاستدلال والعبرة أول ما يعقد (وينعه) أى ونضجه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) أى يصدقون أن الذى أخرج هذا النبات قادر على أن يحيى الموتى (وجعلوا لله شركاء الجن) أى أطاعوا الشياطين فى عبادة الأوثان فجعلوهم شركاء لله (وخرقوا له بنين وبنات) أى افتعلوا ذلك كذبا وكفرا يعنى الذين قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى (بغير علم) أى لم يذكروه عن علم انما ذكروه تكذيبا وقوله

وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله والذين أثبتوا البنات العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله فلو عرفوا أن الاله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لامتنعوا أن يثبتوا له تعالى البنين والبنات فان الولد دال على كونه منفصلا من جزء من أجزاء الوالد وذلك انما يكون فى مركب يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك فى حق الفرد الواجب لذاته محال فمن عرف حقيقة الاله استحال أن يقول له تعالى ولد (سبحانه) نزه الله ذاته بنفسه عما لا يليق به (وتعالى) أى تقدس (عما يصفون) بأن له تعالى شريكا وولدا فالتسبيح يرجع الى ذات المسبح والتعالى يرجع الى صفته الذاتية التى حصلت له تعالى سواء سبحه تعالى مسبح أم لا (بديع السموات والأرض) والمعنى أن الله تعالى أخرج عيسى الى الوجود من غير سبق الأب والنطفة كما أنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سبق مادة ومدة فلو لزم من مجرد كونه تعالى مبدعا لاحداث عيسى كونه تعالى والدا له عليه السلام لزم من كونه تعالى مبدعا للسموات والأرض كونه تعالى والدا لهما وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه تعالى مبدعا لعيسى لا يقتضى كونه والدا له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد والحال ليس له زوجة أى لأن الولد لا يصح الا من كانت له زوجة وشهوة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء فى باطن تلك الزوجة وهذه الأحوال انما تثبت فى حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والشهوة واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شىء) أى من أين يكون له ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الأشياء فان تحصيل الولد بطريق الولادة انما يصح فى حق من لا يقدر على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادرا على تكوين كل المحدثات فاذا أراد احداث شىء قال له كن فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع احداث شخص منه بطريق الولادة (وهو بكل شىء عليم) أى فان علم الله أن فى تحصيل الولد نفعا له تعالى وكمالا وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد أزليا وهو محال وان علم انه ليس له تعالى فى تحصيل الولد ازدياد مرتبة فى الالهية ولا كمال حال فيها وجب أن لا يحدثه البتة فى وقت من الأوقات وأيضا الولد المعتاد انما يحدث بقضاء الشهوة وهو يوجب اللذة وهى مطلوبة لذاتها فوجب أن يعلم الله أن تحصيل تلك اللذة يدعوه الى تحصيلها قبل ذلك الوقت فوجب ان تحصل تلك اللذة فى الأزل فالتزم كون الولد أزليا وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه تعالى (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه) واسم الاشارة راجع الى الاله الموصوف بما تقدم من الصفات واسم الجلالة خبر أول وربكم خبر ثان ولا اله الا هو خبر ثالث وخالق كل شىء خبر رابع والفاء فى قوله فاعبدوه لمجرد السببية من غير عطف أى ثبت ان إله العالم فرد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والأولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم لا شريك له فى ذلك خالق ما كان وما يكون فاعبدوه ولا تعبدوا أحدا غيره وللعلماء فى اثبات التوحيد طرق كثيرة ومن جملتها هذه الطريقة وتقريرها من وجوه الأول أن يقال الصانع الواحد كاف فى كونه إلها للعالم ومدبرا له وما زاد على الواحد فالقول فيه متكافئ لأنه لم يدل الدليل على ثبوته لأنه يلزم اما اثبات آلهة لا نهاية لها وهو محال أو اثبات عدد معين مع أنه ليس ذلك العدد أولى من سائر الاعداد وهو محال أيضا واذا كان القسمان باطلين لم يبق الا القول بالتوحيد والثانى ان يقال ان الاله القادر على كل الممكنات العالم بكل المعلومات كاف فى تدبير العالم فلو قدرنا الها ثانيا فاما أن يكون فاعلا أو لا فان كان فاعلا صار مانعا للآخر عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب كون كل واحد منهما سببا لعجز الآخر وهو محال وان لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للالهية والثالث أن يقال ان الاله الواحد لا بد وان

(أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد ولا يكون الولد الا من صاحبة ولا صاحبة له (وخلق كل شىء) أى هو خالق كل شىء

يكون كاملا فى صفات الالهية فلو فرضنا الها ثانيا فاما أن يكون مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال أولا فان كان مشاركا فى ذلك فاما أن يكون متميزا عن الاول أولا فان لم يكن متميزا عنه بأمر من الأمور لم تحصل الاثنينية وان امتاز بصفات الكمال لم تكن جميع صفاته مشتركة بينهما وان امتاز بغير صفات الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن الاله الواحد كاف فى تدبير العالم وايجاده وأن الزائد يجب نفيه (وهو على كل شئ وكيل) أى حافظ فيجب أن يعلم كل مكلف أنه لاحافظ الا الله ولا مصلح للمهمات الا الله فحينئذ ينقطع طمعه عن كل ماسواه ولا يرجع فى مهم من المهمات الا اليه ويقال أى كفيل بأرزاق خلقه (لاتدركه الأبصار) أى لاتراه الأبصار فى الدنيا وهو تعالى يراه المؤمنون فى الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته فالتشبيه واقع فى تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح لافى تشبيه المرئى بالمرئى واتفق الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وروى أن الصحابة اختلفوا فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أولا ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب ومانسبه الى الضلالة وهذا يدل على أنهم كانوا مجمعين على أنه لاامتناع عقلا فى رؤية الله تعالى وقيل المعنى لاتحيط به تعالى الأبصار فى الدنيا ولافى الآخرة لعدم انحصاره (وهو يدرك الأبصار) أى والله تعالى مدرك لحقيقة الأبصار (وهو اللطيف) فيلطف عن أن تدركه الأبصار (الخبير) أى العالم بكل لطيف فلا يلطف شئ عن ادراكه وقيل انه تعالى لطيف بعباده حيث يثنى عليهم عند الطاعة ويأمرهم بالتوبة عند المعصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمته سواء كانوا مطيعين أو عصاة وقيل انه تعالى لطيف بهم بحيث لايأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم بماهو فوق استحقاقهم (قدجاءكم بصائر من ربكم) أى جاءكم آيات القرآن كائنة من ربكم وسميت تلك الآيات بصائر لانها أسباب لحصول الأنوار للقلوب. وقوله تعالى قدجاءكم الآية استئناف وارد على لسان النبى صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فلنفسه) أى فمن اهتدى بآيات القرآن فآمن فنفع اهتدائه لنفسه (ومن عمى فعليها) أى ومن ضل عنها بأن كفر بها فمضرة ضلالته وكفره على نفسه (وماأنا عليكم بحفيظ) أى لأعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الذى يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أى مثل ذلك الاتيان البديع نأتى بالآيات متواترة حالا بعد حال لتلزمهم الحجة (وليقولوا درست) قرأه ابن كثير وأبو عمرو بالألف وفتح التاء أى ليقول بعضهم ذاكرت يامحمد أهل الاخبار الماضية فيزداد كفرا على كفر وتثبيتا لبعضهم فيزداد ايمانا على ايمان وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن نجما نجما والكفار كانوا يقولون ان محمدا يضم هذه الآيات بعضها الى بعض يتفكر فيها ويصلحها آية فآية ثم يظهرها ولوكان هذا بوحى نازل اليه من السماء فلم لم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما أن موسى عليه السلام أتى بالتوراة دفعة واحدة أى فان تكرير هذه الآيات حالا بعد حال هى التى أوقعت الشك للقوم فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما أتى بهذا القرآن على سبيل المدارسة مع التفكر والمذاكرة مع أقوام آخرين وقرأ ابن عامر درست بفتح السين وسكون التاء أى هذه الأخبار التى تلوتها علينا قديمة قدامحت وتكررت على الاسماع كقولهم أساطير الأولين وقرأ الباقون درست بدون الألف وسكون السين وفتح التاء أى حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الاولين كقولهم أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا (ولنبينه) أى الآيات (لقوم يعلمون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ماأوحى اليك من ربك)

على القيد وقيل لاتحيط بكنهه وحقيقته الأبصار وهى تراه فالأبصار ترى البارى ولاتحيط به (وهو يدرك الأبصار) أى يراها ويحيط بها علما لا كالمخلوقين الذين لايدركون حقيقة البصر وماالشئ الذى صار به الانسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما (وهو اللطيف) أى الرفيق بأوليائه (الخبير) بهم (قد جاءكم بصائر من ربكم) يعنى بينات القرآن (فمن أبصر) أى اهتدى (فلنفسه) عمل (ومن عمى فعليها) أى فعلى نفسه جنى العذاب (وما أنا عليكم بحفيظ) أى برقيب على أعمالكم حتى أجازيكم بها (وكذلك نصرف الآيات) أى وكما بينا فى هذه السورة نصرف نبين الآيات فى القرآن ندعوهم بها ونخوفهم (وليقولوا درست) هذا عطف على مضمر فى المعنى والتقدير نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا درست أى تعلمت من يسار وجبر واليهود ومعنى درس أى قرأ على غيره ومعنى هذا اللام فى قوله وليقولوا معنى لام العاقبة أى نصرف الآيات لتكون عاقبة أمرهم تكذيبك للشقاوة التى لحقتهم (ولنبينه لقوم يعلمون) يعنى أولياءه الذين هداهم الله والذين سعدوا بتبين الحق

أى الزم العمل بما أنزل اليك من ربك ولا يصرذلك القول سبب الفتورك فى تبليغ الرسالة والدعوة (لااله الاهو) يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه (وأعرض عن المشركين) أى اترك فى الحال مقابلتهم فيما يأتونه من سفه واعدل الى الطريق الذى يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التغليظ والتنفير (ولوشاء الله) عدم اشراكهم (ماأشركوا) أى لاتلتفت ياأشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار الذين قالوا الك انما جمعت هذا القرآن من مذاكرة الناس ولا يثقلن عليك كفرهم فانالو أردنا ازالة الكفر عنهم لقدرنا ولكنا تركناهم مع كفرهم فلا ينبغى أن تشغل قلبك بكلماتهم (وماجعلناك عليهم حفيظا) أى رقيبا من جهتنا تحفظ أعمالهم عليهم (وماأنت عليهم بوكيل) أى وماأنت ياأكرم الرسل حافظ عليهم من جهتهم فتدبر مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أرزاقهم (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) أى ولاتسبوا أيها المؤمنون من يعبدون الأصنام من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدون من الأصنام مثلا فيسبوا رسول الله ﷺ تجاوزا عن الحق الى الباطل بجهالة منهم بما يجب عليهم فان الصحابة متى شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى أجرى شتم الرسول مجرى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون انما حسنت عبادة الأصنام لتصير شفعاء لهم عند الله تعالى أو المعنى ولاتسبوا الأصنام الذين كان المشركون يعبدونهم فيسبوا الله الظلم بغير علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قائلا بالدهر ونفى الصانع قال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لاعلم لهم بالله عزوجل اه وانما نهوا عن سب الأصنام وان كان مباحا لما ينشأ عن ذلك من المفاسد وهو سب الله وسب رسوله فظاهر الآية كان نهيا عن سب الأصنام وحقيقتها النهى عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وفى ذلك دلالة على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك) أى مثل تزيين عبادة الأصنام للمشركين (زينا لكل أمة) أى لأمم الكفرة (عملهم) أى شرهم وفسادهم باحداث ما يحملهم عليه فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات فانها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفى هذه الآية دلالة على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لايحسن من الله تعالى خلق الكفر وتزيينه (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فينبئهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم فأعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا. فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى أقسم كفار مكة بالله غاية ايمانهم (لئن جاءتهم آية) أى معجزة كما طلبوا (ليؤمنن بها) أى قالوا لسيدنا رسول الله ان هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولوأنك يامحمد جئتنا بمعجزة قاهرة لآمنا بك وحلفوا على ذلك وقال محمد بن كعب القرظى قالت قريش يامحمد انك تخبرنا أن موسى ضرب الحجر بالعصا فانفجر الماء وأن عيسى أحيا الميت وأن صالحا أخرج الناقة من الجبل فأتنا بآية لنصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى تحبون فقالوا أن تجعل لنا الصفا ذهبا وحلفوا لئن فعل ليتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل فقال ان شئت كان ذلك ولئن كان فلم يصدقوك ليعذبنهم الله وان تركتهم تاب الله على بعضهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل انما الآيات عند الله)

(ولوشاء الله ماأشركوا) أى ولوشاء لجعلهم مؤمنين (وماجعلناك عليهم حفيظا) أى لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) يعنى أصنامهم ومعبودهم وذلك أن المسلمين كانوا يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله (عدوا بغير علم) أى ظلما بالجهل (كذلك) أى كما زينا لهؤلاء عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى اجتهدوا فى المبالغة فى اليمين (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) وذلك أنه لما نزل ان نشأ ننزل عليهم الآية أقسم المشركون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وسأل المسلمون ذلك أعلم الله أنهم لايؤمنون فأنزل هذه الآية (قل انما الآيات عند الله) هو القادر على الاتيان بها

(ومايشعركم) أي ومايدريكم ايمانهم أي هم لايؤمنون مع مجيء الآية اياهم ثم ابتدأ فقال (أنها اذا جاءت لايؤمنون) ومن قرأ أنها بفتح الألف كانت بمعنى لعلها و يجوز أن تجعل لا زائدة مع فتح أن (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أي نحول بينهم و بين الايمان لو جاءتهم تلك الآية تقليب قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن تكون عليه فلا



يؤمنون (كما لم يؤمنوا به) أي بالقرآن أو بمحمد (أول مرة) أتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) فرأوهم عيانا (وكلمهم الموتى) فشهدوا لك بالصدق والنبوة (وحشرنا عليهم) أي وجمعنا عليهم (كل شيء) في الدنيا (قبلا) وقبلا أي معاينة ومواجهة (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق لهم من الشقاء (الا أن يشاء الله) أن يهديهم (ولكن أكثرهم يجهلون) أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) أي كما ابتليناك بهؤلاء القوم كذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء ليعظم ثوابه والعدو ههنا يراد به الجمع ثم بين من هم فقال (شياطين الانس) يعني مردة الانس والشيطان كل متمرد عات من الانس (والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) يعني أن شياطين الجن الذين هم من جند ابليس يوحون الى كفار الانس ومردتهم فيغرونهم بالمؤمنين وزخرف القول باطنه الذي زين ووشي بالكذب والمعنى أنهم يزينون لهم الاعمال القبيحة غرورا (ولوشاء ربك مافعلوه) أي لمنع الشياطين من الوسوسة للانس (ولتصغى اليه) أي ولتميل الى ذلك الزخرف والغرور (أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) أي قلوب الذين لا يصدقون بالبعث

أي انه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره (ومايشعركم) أي أي شيء يعلمكم أيها المؤمنون بايمانهم أي لاتعلمون ذلك (أنها اذا جاءت لايؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو انها بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بالفتح فهي بمعنى لعل ويقوي هذا الوجه قراءة أبي لعلها اذا جاءتهم لايؤمنون (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أي ومايشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن ادراك الحق فلا يفهمونه ونقلب أبصارهم عن اجتلاء الحق فلا يبصرونه (كما لم يؤمنوا به) أي بما جاء صلى الله عليه وسلم من الآيات (أول مرة) أي فلا يؤمنون عند نزول مقترحهم لو نزل كما لم يؤمنوا عند نزول الآيات السابقة على اقتراحهم كانشقاق القمر (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي نتركهم في ضلالهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما طلبوا فشهدوا على ماأنكروا (وكلمهم الموتى) من القبور كما طلبوا بأن محمدا رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بضمتين أي وجمعنا على المستهزئين زيادة على مااقترحوه كل شيء من أصناف المخلوقات كالسباع والطيور كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى وحشرنا عليهم كل شيء نوعا من سائر المخلوقات وقرأ نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي حال كون الكفار معاينين للأصناف (ما كانوا ليؤمنوا) بمحمد والقرآن (الا أن يشاء الله) ايمانهم أي ولو أظهر الله جميع تلك الأشياء العجيبة الغريبة لهؤلاء الكفار فانهم لايؤمنون في حال من الاحوال الداعية الى الايمان الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم (ولكن أكثرهم يجهلون) أي ان الكفار لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لايكون قال ابن عباس المستهزءون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب والحرث بن حنظلة ثم انهم أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من أهل مكة وقالوا له أرنا الملائكة يشهدوا بأنك رسول الله أوابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ماتقوله أم باطل أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أي كفيلا على صحة ماتدعيه فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي كما جعلنا للمستهزئين عدوا لك (جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) أي جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا مردة من الانس والجن فشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لأن شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه واضافة شياطين بمعنى من البيانية وهي بدل من عدوا وهو مفعول أول قدم على الثاني مسارعة الى بيان العداوة (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي شياطين الجن الى شياطين الانس تزيين القول بالباطل لكي يغروا به الانس (ولوشاء ربك) عدم تزيين القول لاجل الغرور (مافعلوه) أي تزيين القول المتعلق بأمرك خاصة (فذرهم وما يفترون) أي اترك الكفرة المستهزئين وافتراءهم بأنواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة (ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) أي ولكي تميل الى هذا الزخرف قلوب الذين لايؤمنون بالبعث بعد الموت

(وليرضوه) أى هذا الزخرف لأنفسهم (وليقترفوا ماهم مقترفون) أى وليكتسبوا بسبب ارتضائهم له ماهم مكتسبون من الآثام فيعاقبوا عليها (أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أى قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فأطلب حكما غير الله يحكم بيننا والحال أنه تعالى هو الذى أنزل اليكم القرآن وأنتم أمة أمية لاتدرون ماتأتون وماتذرون مبينا فيه الحق والباطل فلم يبق فى أمور الدين شئ من الابهام فأى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهو والحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل التأويل قال الحكم أكمل من الحاكم لأن الحكم لايحكم الا بالحق والحاكم قد يجور ولان الحكم من تكرر منه الحكم والحاكم يصدق بمرة (والذين آتيناهم الكتاب) أى التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه) أى القرآن (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) قرأ ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاى والباقون بسكون النون (فلا تكونن من الممترين) أى من الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله (وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا) أى كفى القرآن من جهة صدقه فى أخباره ومن جهة عدله فى أحكامه وكفى فى بيان مايحتاج المكلفون اليه الى قيام القيامة علما وعملا وفى كونها معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ عاصم وحمزة والكسائى كلمت على التوحيد دون ألف والباقون بألف على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الافراد وكذا كل موضع اختلف فيه القراء جمعا وافرادا (لامبدل لكلماته) أى لا لأحد يبدل شيئا من القرآن بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله (وهو السميع العليم) بالمقال والاعمال (وان تطع أكثر من فى الارض) أى وان تطع يا أشرف الخلق كفار الناس فيما يعتقدونه من احقاق الباطل وابطال الحق (يضلوك عن سبيل الله) أى عن الطريق الموصل الى الله (ان يتبعون الا الظن) أى مايتبعون فى اثبات مذهبهم الا رجوعهم الى تقليد أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وان هم الا يخرصون) أى يكذبون فان رؤساء أهل مكة منهم أبو الاحوص مالك بن عوف الجشمى و بديل بن ورقاء الخزاعى وجليس بن ورقاء الخزاعى قالوا للمؤمنين ان ماذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم وروى أن المشركين قالوا للنبى أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أأنت تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتلها الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى فان هؤلاء الكفار كاذبون فى ادعاء اليقين والله عالم بكونهم متحيرين فى سبيل الضلال تائهين فى أودية الجهل أى فانك اذا عرفت ذلك ففوض أمرهم الى خالقهم لأنه عالم بالمهتدى والضلال فيجازى كل واحد بما يليق بعمله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) وهذا أمر متفرع من النهى عن اتباع المضلين وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتموه أنتم فقال الله للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بيسم الله خاصة لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه (ومالكم أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم) أى وأى سبب حاصل لكم فى أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأن تأكلوا من غيره والحال أنه قد بين لكم ماحرم عليكم بقوله تعالى قل لاأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فهذا وان كان متأخرا فى التلاوة فلا يمنع أن يكون هو المراد لأن التأخر فى هذا قليل وأيضا التأخر فى التلاوة لايوجب التأخر فى النزول أو بقوله تعالى فى أول

(وليرضوه)أى ليحبوه(وليقترفوا ماهم مقترفون) أى ليعملوا ماهم عاملون (أفغير الله)أى قل لاهل مكة أفغير الله (أبتغى حكما) أى قاضيا بينى و بينكم (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) أى القرآن(مفصلا) أى مبينا فيه أمره ونهيه (والذين آتيناهم الكتاب)أى من اليهود والنصارى (يعلمون أنه) أى أن القرآن (منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين أنهم يعلمون ذلك (وتمت كلمات ربك) أى أقضيته وعداته لأوليائه وعذابه لأعدائه (صدقا) فيما وعد (وعدلا) فيما حكم والمعنى صادقة عادلة (لامبدل لكلماته) أى لامغير لحكمه ولا خلف لوعده (وهو السميع) لتضرع أوليائه ولقول أعدائه (العليم) بما فى قلوب الفريقين (وان تطع أكثر من فى الارض) يعنى المشركين (يضلوك عن سبيل الله) أى عن دين الله الذى رضيه لك وذلك أنهم جادلوه فى أكل الميتة وقالوا أتأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل ربكم (ان يتبعون الا الظن) فى تحليل الميتة (وان هم الا يخرصون) أى يكذبون فى تحليل ماحرمه الله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أى مما ذكى على اسم الله (ان كنتم بآياته مؤمنين) تأكيد لاستحلال ما أباحه الشرع ثم أبلغ فى اباحة ماذبح على اسم الله بقوله (ومالكم أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أى عند الذبح (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) فى قوله حرمت عليكم الآية سورة

سورة المائدة حرمت عليكم الميتة الآية لأن الله تعالى علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام فى الترتيب لا فى النزول (الا ما اضطررتم اليه) أى الا ما دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة مما حرم عليكم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببناء فصل وحرم للمفعول ونافع وحفص عن عاصم ببنائهما للفاعل وحمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الأول للفاعل وبناء الثانى للمفعول (وان كثيرا) من الذين يناظرونكم فى احلال الميتة ويقولون لما حل ما تذبحونه أنتم فبأن يحل ما يذبحه الله أولى وهم أبو الأحوص وأصحابه أو ممن اتخذ البحائر والسوائب وهو عمرو بن لحى فمن دونه من أضرابه فانه أول من غير دين اسماعيل (ليضلون) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بضم الياء والباقون بفتحها (بأهوائهم) أى بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير علم) أى ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أى الذين تجاوزوا الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) أى اتركوا الاعلان بالزنا والاستسرار به وأهل الجاهلية يعتقدون حل السر منه وقال ابن الانبارى أى وذروا الاثم من جميع جهاته (ان الذين يكسبون الاثم) فى الدنيا (سيجزون) فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) أى يكسبون ان لم يتوبوا وأراد الله عقابهم أما اذا تاب المذنب من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب واذا لم يتب فهو فى مشيئة الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وهو الميتة وما ذبح على ذكر الأصنام (وانه) أى الأكل مما لم يذكر اسم الله بغير ضرورة أو ان ما ذكر عليه اسم غير الله (لفسق) أى خروج عما يحل وأجمع العلماء على أن أكل ذبيحة المسلم التى ترك التسمية عليها لا يفسق وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل ويحمل هذا الذكر على ذكر القلب (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) أى ان ابليس وجنوده وسوسوا الى المشركين أو المعنى ان مردة المجوس من أهل فارس كتبوا الى مشركى قريش وذلك لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس فكتبوا الى قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما تذبحونه حلال وما يذبحه الله حرام فوقع فى نفس ناس من المسلمين من ذلك شىء فأنزل الله تعالى هذه الآية (ليجادلوكم) فى أكل الميتة (وان أطعتموهم) فى استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وهذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله تعالى أو حرم شيئا مما أحل الله تعالى فهو مشرك وانما سمى مشركا لأنه أثبت حاكما سوى الله تعالى وهذا هو الشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أى أو من كان كافرا فهديناه الى الايمان (وجعلنا له نورا) عظيما وهو نور الوحى الالهى (يمشى به) أى بسببه (فى الناس) أى فيما بين الناس آمنا من جهتهم (كمن مثله) أى صفته (فى الظلمات) أى ظلمات الكفر والطغيان وعمى البصيرة (ليس بخارج منها) أى من تلك الظلمات فاذا دام الكافر فى ظلمات الجهل والأخلاق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية يعسر ازالتها عنه وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة فهو كالموت الذى يوجب السكون والكافر ميتا لأنه لا يهتدى الى شىء كالجاهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أى مثل تزيين المؤمنين بالايمان والنور زين من جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة للكافرين ما استمروا على عمله قال زيد ابن أسلم والضحاك نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة نزلت فى عمار بن ياسر وأبى جهل وقال ابن عباس ان أبا جهل رمى النبى صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر بذلك حمزة عند قدومه من صيد والقوس

(الا ما اضطررتم اليه) أى دعتكم الضرورة الى أكله مما لا يحل عند الاختيار  (وان كثيرا ليضلون بأهوائهم) أى الذين يحلون الميتة ويناظرونكم فى احلالكم ضلوا باتباع أهوائهم (بغير علم) انما يتبعون فيه الهوى ولا بصيرة عندهم ولا علم (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أى المجاوزين الحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) أى سره وعلانيته ثم أوعد بالجزاء فقال (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أى مما لم يذك ومات (وانه) وان أكله (لفسق) أى لخروج عن الحق (وان الشياطين) يعنى ابليس وجنوده (ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) أى وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى أكل الميتة (وان أطعتموهم) فى استحلال الميتة (انكم لمشركون) لأن من أحل شيئا مما حرم الله فهو مشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أى ضالا كافرا فهديناه (وجعلنا له نورا) أى دينا وايمانا (يمشى به فى الناس) مع المسلمين مستضيئا بما قذف الله فى قلبه من نور الحكمة والايمان (كمن مثله فى الظلمات) أى كمن هو فى ظلمات الكفر والضلال ليس بخارج منها أى ليس بمؤمن أبدا نزلت فى أبى جهل وحمزة بن عبد المطلب (كذلك) أى كما زين للمؤمنين الايمان (زين للكافرين ما كانوا يعملون) من عبادة الأصنام

بيده وهو لم يؤمن يومئذ فعمد الى أبي جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد تضرع
اليه ياأبا يعلى أماترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة أنتم أسفه الناس تعبدون
الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة
يومئذ فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناديدها رؤساء ليمكروا فيها (جعلنا في كل
قرية) من سائر القرى (أكابر مجرميها) وأكابر مفعول ثان ومجرميها مفعول أول والظرف لغو وهو
متعلق بنفس الفعل قبله أي جعلنا في كل بلدة فساقها عظماء (ليمكروا فيها) أي ليفعلوا المكر فيها وهذا
دليل على أن الخير والشر بارادة الله وانما جعل المجرمين أكابر لأنهم أقدر على الغدر والمكر وترويج
الباطل على الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع
الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر
يصرفون الناس عن الايمان بمحمد ﷺ ويقولون لكل من يقدم هو كذاب ساحر كاهن فكان
هذا مكرهم (وما يمكرون الا بأنفسهم) أي وما يحيق شر مكرهم الا بهم (وما يشعرون) بذلك أصلا بل
يزعمون أنهم يمكرون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) أي واذا
جاءت مشركي العرب الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبا مسعود الثقفي آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد
صلى الله عليه وسلم وتخبرهم بصنيعهم قالوا لن نصدقك حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فيخبرنا أنك
رسول الله وأنك صادق قال تعالى ردا عليهم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق بارسال
جبريل اليه لأمر من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف وهذا المعنى قول الحسن
ومنقول عن ابن عباس وقيل معنى الآية واذا جاءتهم آية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن
نؤمن برسالته أصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ايتاء رسل الله قال تعالى انه تعالى يعلم من يستحق
الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهلا لها ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا
لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقون على الجمع
ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين وهذا دعاء عظيم يدعى به بينهما وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه
ومن الذي استجارك فلم تجره ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل
عليك فلم تكفه ياغوثاه ياغوثاه بك أستغيث أغثني يامغيث واهدني هداية من عندك واقض
حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم
برحمتك ياأرحم الراحمين (سيصيب الذين أجرموا) أي أشركوا وليدا وأصحابه بقولهم لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله (صغار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلا حاكم فيها ينفذ حكمه
سواه (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وحسدهم للنبي وتكذيبهم له
(فمن يرد الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشرح صدره) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن
يرد أن يضله) أي يتركه كافرا (يجعل صدره) أي قلبه (ضيقا) كضيق الزج في الرمح قرأه ابن كثير
ساكنة الياء والباقون مشددة الياء مكسورة (حرجا) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء أي
شديد الضيق والباقون بفتحها أي مثل المواضع الكثيرة الأشجار المشتبكة التي لا طريق فيها فلا يصل
اليها راعية ولا وحشية (كأنما يصعد في السماء) أي كأنه يكلف الصعود الى السماء قرأه ابن كثير
ساكنة الصاد وقرأه أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالألف والباقون بتشديد الصاد والعين
بغير ألف ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه قوى في قلبه ما يدعوه الى الايمان بأن اعتقد أن نفعه زائد

(وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) يعني كما أن فساق مكة أكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها يعني رؤساءها ومترفيها (ليمكروا) أي ليصدوا الناس عن الايمان (وما يمكرون الا بأنفسهم) لأن وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) أي أنهم يمكرون بها (واذا جاءتهم آية) أي مما أطلع الله عليه نبيه مما يخبرهم به (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) أي حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فنصدق به وذلك أن كل واحد من القوم سأل أن يخص بالوحي كما قال الله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة فقال (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) يعني أنهم ليسوا بأهل لها وهو أعلم بمن يختص بالرسالة (سيصيب الذين أجرموا صغار) أي مذلة هوان (عند الله) أي ثابت لهم عند الله ذلك (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) أي يوسع قلبه ويفتحه ليقبل الاسلام (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) أي شديد الضيق (كأنما يصعد في السماء) اذا كلف الايمان لشدته وثقله عليه

وخبره

وخيره راجح وربحه ظاهر فمال طبعه اليه وقويت رغبته فى حصوله وحصل فى القلب استعداد شديد لتحصيله ومن يرد أن يضله ألقى فى قلبه مايصرفه عن الايمان و يدعوه الى الكفر بأن اعتقد أن شر الايمان زائد وضرره راجح فعظمت النفرة عنه فان الكافر اذا دعى الى الاسلام شق عليه جدا كأنه قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك أو المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء تكبرا عن قبول الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدرهم ضيقا (يجعل الله الرجس) أى يسلط الله الشيطان (على الذين لايؤمنون) أى فى قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الداعى الحاصل من الله تعالى (صراط ربك) أى لأن العلم بذلك يؤدى الى العلم بتوحيد الله (مستقيما) فكل فعل العباد بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرناها فصلا فصلا بحيث لايختلط واحد منها بالآخر (لقوم يذكرون) فيعلمون أن كل مايحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى لأنه لايترجح أحد طرفى الممكن على الآخر الا لمرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للمتذكرين دار الله المنزه عن النقائص وهى الجنة (عند ربهم) أى أنها معدة عنده تعالى موصوفة بالشرف الى حيث لايعرف كنهها غيره تعالى (وهو وليهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم فى الدين والدنيا (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم يحشرهم جميعا) قلنا (يامعشر الجن) وقرأ حفص بالياء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول ياجماعة الشياطين (قد استكثرتم من الانس) أى قد أكثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين هم الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) فاستمتاع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يدلون الانس على أنواع الشهوات واللذات والطيبات و يسهلون تلك الأمور عليهم واستمتاع الشياطين بالانس هو أن الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرونهم به و ينقادون لحكمهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) أى أدركنا وقت موتنا الذى عينته لنا (قال) تعالى (النار مثواكم) أى منزلكم ياجماعة الجن والانس (خالدين فيها) أى فى النار منذ تبعثون (الا ماشاء الله) من مقدار حشرهم من قبورهم ومن مقدار محاسبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (نولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا) آخر منهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم قال على رضى الله عنه لايصلح للناس الا أمير عادل أو جائر فأنكروا قوله أو جائر فقال نعم يؤمن السبيل و يمكن من اقامة الصلوات وحج البيت وروى عن ابن عباس أنه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم واذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم وروى أن أباذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له انك ضعيف وانها لأمانة وهى فى القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) والصحيح أن الرسل انما كانت من الانس خاصة وقد قام الاجماع على أن النبى ﷺ مرسل للانس والجن والمراد برسل الجن هم الذين سمعوا القرآن من النبى ﷺ ثم ولوا الى قومهم منذرين فالمراد بالرسل مايعم رسل الرسل قال الله تعالى انما بكت الكفار بهذه الآية لأنه تعالى أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه تعالى أرسل الرسل الى الكل مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل ماهو المقصود من

أى هذا الذى أنت عليه يامحمد دين ربك (مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وهم المؤمنون (لهم دار السلام) أى الجنة (عند ربهم) مضمونة لهم حتى يدخلوها (وهو وليهم) أى يتولى ايصال الكرامات اليهم (بما كانوا يعملون) من الطاعات (ويوم نحشرهم جميعا) الجن والانس فيقال لهم (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) أى من اغوائهم واضلالهم (وقال أولياؤهم) الذين أضلهم الجن (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى طاعة الانس للجن وقبولهم منهم ماكانوا يغرونهم به من الضلالة وتزيين الجن للانس ماكانوا يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنى الموت والظاهر أنه البعث والحشر (قال النار مثواكم) أى فيها مقامكم (خالدين فيها الا ماشاء الله) أى من شاء الله وهم من سبق فى علم الله أنهم يسلمون (ان ربك حكيم) حكم للذين احتشى بالتوبة والتصديق (عليم) بمالى قلوبهم من البر (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) كما خذلنا عصاة الجن والانس نكل بعض الظالمين الى بعض حتى يضل بعضهم بعضا (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) الرسل كانت من الانس والذين بلغوا الجن عن الرسل كانوا من الجن وهم النذر كالذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم من الجن فبلغوه قومهم

ازاحة العذر وازالة العلة (يقصون عليكم آياتى) أى يتلونها عليكم مع التوضيح (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم الحشر الذى عاينوا فيه ما أعدلهم من أفانين العقوبات الهائلة (قالوا) عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على أنفسنا) أن الرسل أتونا وقد بلغوا الرسالة وأنذرونا عذاب يومنا هذا (و) انما وقعوا فى ذلك الكفر بسبب أنهم (غرتهم الحياة الدنيا) أى اغتروا من الدنيا بما فى الزهرة والنعيم (وشهدوا) فى الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) فى الدنيا (كافرين) فهم وان بالغوا فى عداوة الأنبياء والطعن فى شرائعهم ومعجزاتهم أقروا على أنفسهم بالكفر فى عاقبة أمرهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ثابت لانتفاء كون ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه قبل أن ينبهوا على بطلانه برسول وكتاب أو المعنى ارسال الرسل ثابت لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى ملتبسين بظلم وهم غافلون عن تبليغ الرسل وعن أمرهم ونهيهم (ولكل درجات مما عملوا) أى ولكل عامل من الجن والانس مراتب من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة (وما ربك بغافل عما يعملون) أى فلا يترك شيئا مما يستحق كل عامل من الفريقين من الجزاء فيجزى كلا بما يليق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر وحده تعملون على الخطاب (وربك الغنى ذو الرحمة) أى ان تخصيص الله المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لأجل أنه تعالى محتاج الى طاعة المطيعين أو ناقص بمعصية المذنبين فانه تعالى غنى لذاته عن جميع العالمين ومع كونه تعالى غنيا فان رحمته عامة كاملة ومن رحمته تعالى على الخلق ترتيب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومن رحمته تعالى ارسال الرسل وعدم استئصالهم بالهلاك بذنوبهم فى وقت واحد (ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أى ويوجد من بعد اذهابكم خلقا آخر مخالفا للجن والانس فتخصيص الرحمة بهؤلاء ليس لأجل أنه لا يمكنه اظهار رحمته الا بخلق هؤلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى وينشئ الله انشاء كائنا كانشائكم من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم فى العصيان أى فكما أن الله تعالى قادر على تصوير هذه الأجسام بهذه الصورة الخاصة كذلك قادر على تصويرهم بصورة مخالفة لها (انما توعدون) من مجىء الساعة (لآت) أى لواقع لابد لأنهم كانوا ينكرون القيامة وكل ما تعلق بالوعد من الثواب والعقاب فهو آت لا محالة (وما أنتم بمعجزين) أى لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمنا (قل) يا أشرف الخلق لكفار قريش (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على أقصى امكانكم واستطاعتكم واثبتوا على حالتكم من الكفر والعداوة (انى عامل) بما أمرت به من الثبات على حالتى من الاسلام والمصابرة (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعرفون أى أحد الفريقين له العاقبة المحمودة وهى الاستراحة واطمئنان الخاطر أنحن أم أنتم وذلك حاصلة فى الجنة وقرأ حمزة والكسائى من يكون بالياء (انه) أى الشأن (لا يفلح الظالمون) أى لا يفوز الكافرون بمطالبهم البتة فلا ينجون من عذاب الله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) أى عين كفار مكة لله مما خلقه من الحرث والأنعام وكذا من الثمار

(ذلك) أى الذى قصصنا عليك من أمر الرسل لأنه (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أى بذنوبهم ومعاصيهم من قبل أن يأتيهم الرسول فينهاهم وهو معنى قوله (وأهلها غافلون) أى قبل بعث الرسول (ولكل درجات) أى ولكل عامل بطاعة الله درجات من الثواب ثم أوعد المشركين فقال (وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغنى) أى عن عبادة خلقه (ذو الرحمة) أى بخلقه فلا يعجل عليهم بالعقوبة (ان يشأ يذهبكم) يعنى أهل مكة (ويستخلف من بعدكم) أى وينشئ من بعدكم خلقا آخر (كما أنشأكم) أى خلقكم ابتداء (من ذرية قوم آخرين) يعنى آباءهم الماضين (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على حالاتكم التى أنتم عليها (انى عامل) أى على مكانتى وهذا أمر تهديد يقول اعملوا ما أنتم عاملون انى عامل ما أنا عامل (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى أينا تكون له الجنة (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يسعد من كفر بالله وأشرك به (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم نصيبا وللأوثان نصيبا فما كان للصنم أنفق عليه وما كان لله أطعم الضيفان والمساكين فما سقط مما جعلوه لله فى نصيب الأوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط مما جعلوه للأوثان وسائر فى نصيب الله التقطوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير فذلك قوله (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) ثم ذم فعلهم فقال

وسائر أموالهم نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين ونصيبا من ذلك لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون ذبائح عندها فقالوا هذا لله بكذبهم فى جهة أنه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لافى وجه التقرب به اليه وهذا لآلهتنا ثم ان رأوا ماعينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم فأعطوا نصيب الله لسدنة الأصنام وان رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه لها فلم يصرفوه للمساكين بل يصرفونه للسدنة وكان اذا أصابهم قحط استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ماجعلوه لآلهتهم ولم يأكلوا منه فاذا هلك ماجعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها وان سقط مما جعلوه لله فى نصيب الأوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط مما جعلوه للأوثان فى نصيب الله أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير (ساء مايحكمون) أى بئس الذى يحكمون حكمهم من أنهم رجحوا جانب الأصنام على جانب الله ومن أنهم جعلوا شيئا لغير الله تعالى مع أن الله تعالى الخالق للجميع ومن أنهم أحدثوا الحكم من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة الأموال بين الله والآلهة (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بوأدانائهم ونحر ذكورهم (شركاؤهم) أى أولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصبا على المفعولية وأولادهم خفضا بالاضافة وشركاؤهم رفعا على الفاعل أى وهكذا زين لهم شياطينهم قتل أولادهم فأمروا بأن يئدوا بناتهم خشية الفقر والسبي وبأن ينحروا ذكورهم لآلهتهم فكان الرجل فى الجاهلية يقوم فيحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب لينحرن عبد الله وقرأ ابن عامر وحده زين مبنيا للمفعول وقتل رفعا على الفاعلية وأولادهم نصبا على المفعولية وشركائهم خفضا على اضافة المصدر الى فاعله أى زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عامر على أبى الدرداء وواثلة بن الأسقع وفضالة ابن عبيد ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة المخزومى وقرأ أيضا على عثمان وولد هو فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليردوهم) أى يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم) أى وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أى ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم لانهم كانوا على دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة أرادوا أن يزيلوهم عن ذلك الدين الحق واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولوشاء الله مافعلوه) أى مافعل كثير من المشركين قتل الأولاد بدفن البنات فى حياتها وبنحر الأولاد الذكور للأصنام (فذرهم ومايفترون) أى فاتركهم وكذبهم فى قولهم ان الله يأمرهم بقتل أولادهم فان فى ماشاء الله تعالى حكما بالغة وذلك دليل على أن كل مافعله المشركون فهو بمشيئة الله تعالى (وقالوا) أى المشركون الذين قسموا نصيب آلهتهم أقساما ثلاثة (هذه) أى التى جعلناها للآلهة (أنعام وحرث) أى زروع (حجر) أى محرمة (لايطعمها الامن نشاء) أى لايأكل هذه الأنعام والحرث الاخدمة الأوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) أى قالوا ماذكر ملتبسين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنعام حرمت ظهورها) وهى البحائر والسوائب والحوامى والوصائل (و) هذه (أنعام لايذكرون اسم الله عليها) اذا ركبت واذا حملت واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (افتراء عليه) وهذا امامفعول له وعامله قالوا أوحال من ضميره أومصدر مؤكد له لان قولهم ذلك هو الافتراء (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أى ان الله سيكافئهم بسبب تقولهم عليه (وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى ما ولد من البحائر والسوائب حيا حلال

(وكذلك) أى ومثل ذلك الفعل القبيح (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) يعنى الشياطين أمروهم بأن يئدوا أولادهم خشية العيلة (ليردوهم) أى ليهلكوهم فى النار (وليلبسوا عليهم دينهم) أى ليخلطوا ويدخلوا عليهم الشك فى دينهم ثم أخبر أن جميع مافعلوه كان بمشيئته فقال (ولوشاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون) من أن لله شريكا (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) حرموا أنعاما وحرثا وجعلوه لأصنامهم فقالوا (لايطعمها الامن نشاء بزعمهم) أعلم الله أن هذا التحريم كذب من جهتهم (وأنعام حرمت ظهورها) كالسائبة والبحيرة والحامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) يقتلونها لآلهتهم خنقا أو وقذا (افتراء عليه) أى يفعلون ذلك للافتراء على الله وهو أنهم زعموا أن الله أمرهم بذلك (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) يعنى أجنة ماحرموا من البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا) أى حلال للرجال خاصة دون النساء هذا ان خرجت الأجنة أحياء وان كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء

للذكور خاصة ومحرم على جنس أزواجنا وهى الاناث وماولد منهاميتا أكله الرجال والنساء جميعا (سيجزيهم وصفهم) أى سيوصل الله لهم جزاء ذنوبهم وهو وصفهم بالتحليل والتحريم فالواصف بذلك عمرو بن لحى وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى جهنم يجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الأنعام (انه حكيم) فى التحليل والتحريم (عليم) فى وصفهم بذلك (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) بالوأد للبنات و بالنحر للذكور (سفها بغير علم) وهم ربيعة ومضر وأمثالهم من العرب و بنو كنانة لا يفعلون ذلك وسبب هذا الخسران لان الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فاذا سعى فى ابطاله استحق الذم العظيم فى الدنيا لان الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه والعقاب العظيم فى الآخرة وسببه خفة العقل لان قتل الولد انما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة انما نشأت من الجهل الذى هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء (وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) فان تحريم الحلال من أعظم أنواع الحماقة لانه يمنع نفسه تلك المنافع و يستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب أوأن الجراءة على الله أعظم الذنوب وهم قد ضلوا عن الرشد فى مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصل لهم الاهتداء قط (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أى وهو الذى خلق بساتين مرفوعات على ما يحملها من العروش والساق وملقيات على وجه الارض و يقال معروشات أى وهو ماغرسه الناس فى البساتين وغير معروشات وهو ما أنبته الله فى الجبال والبرارى (و) أنشأ (النخل والزرع) أى جميع الحبوب التى يقتات بها (مختلفا أكله) أى مختلف المأكول من كل منهما فى الهيئة والطعم (والزيتون والرمان) أى أنشأ شجرهما (متشابها وغير متشابه) فى اللون أو الطعم (كلوا من ثمره) أى ثمر كل واحد من ذلك (اذا أثمر) ولو قبل النضج وقرأ حمزة والكسائى برفع الثاء والميم من ثمره (وآتوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الحاء أى اعزموا على ايتاء الزكاة لكل من الزروع والثمار يوم الحصاد ولا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء وانما يجب اخراج الزكاة بعد التصفية والجفاف والأمر بايتائها يوم الحصاد لئلا يؤخر عن وقت امكان الأداء وليعلم أن وجوبها بالادراك ولو فى البعض لا بالتصفية والمعنى آتوا حق كل ما وجب يوم الحصاد بعد التصفية وفائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وادراكه وانما يجب يوم حصاده وحصوله فى يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله فى يد مالكه وهذا يقتضى وجوب الزكاة فى الثمار كما قاله أبو حنيفة و يقتضى ثبوت حق فى القليل والكثير فالعشر واجب فى القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة (ولا تسرفوا) أى لا تجاوزوا الحد فى الاعطاء والبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وتعطوا كله وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها ثم قسمها فى يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقد جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (انه لا يحب المسرفين) فكل مكلف لا يحبه الله تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الأنعام حمولة) أى ما يحمل الأثقال (وفرشا) أى ما يفرش للذبح أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أى كلوا بعض مارزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحرث والأنعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى ولا تسلكوا الطريق الذى يسوله لكم الشيطان بتحريم الحرث والأنعام (انه) أى الشيطان (لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لأحتنكن ذريته الا قليلا

به من التحليل والتحريم الذى كله كذب (انه حكيم عليم) أى هو أحكم وأعلم من أن يفعل ما يقولون (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) أى بالوأد (سفها) يعنى للسفه (وحرموا مارزقهم الله) أى من الأنعام يعنى البحيرة وما ذكر معها (وهو الذى أنشأ) أى أبدع وخلق (جنات معروشات) يعنى الكرم (وغير معروشات) أى ما قام على ساق ولم يعرش له كالنخل والشجر (والنخل والزرع مختلفا أكله) أى أكل كل واحد منهما فلكل نوع من الثمر له طعم غير طعم النوع الآخر وكل حب من حبوب الزرع له طعم غير طعم الآخر (كلوا من ثمره اذا أثمر) أمر اباحة (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى العشر ونصف العشر (ولا تسرفوا) أى فتعطوا كله حتى لا يبقى لعيالكم شىء (انه لا يحب المسرفين) أى المجاوزين أمر الله (ومن الأنعام) أى وأنشأ من الأنعام (حمولة) وهى كل ما يحمل عليها مما أطاق العمل والحمل (وفرشا) وهى الصغار التى لا تحمل كالبقر والغنم والابل الصغار (كلوا مما رزقكم الله) أى أحل لكم ذبحه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى تحريم شىء مما أحله الله (انه لكم عدو مبين) بين العداوة أخرج أباكم من الجنة وقال لأحتنكن ذريته ثم فسر الحمولة والفرش فقال (ثمانية

(ثمانية أزواج) أي أصناف أربعة ذكور من كل من الابل والبقر والغنم وأربعة اناث كذلك وهذا بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين) بدل من ثمانية أزواج أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة (ومن المعز اثنين) أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز (قل) لهم اظهارا لانقطاعهم عن الجواب (آلذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) أي الله تعالى كما تزعمون أنه هو المحرم (أم الانثيين) وهما النعجة والعنز (أم مااشتملت عليه أرحام الانثيين) أي أم ماحملت به اناث النوعين حرم الله تعالى ذكرا كان أو أنثى (نبئوني بعلم) أي أخبروني بعلم ناشئ عن طريق الاخبار من الله بأنه حرم ماذكر (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان الله حرم بحيرة أوسائبة أو وصيلة أوحاما (ومن الابل اثنين) أي وأنشأ من الابل اثنين الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكرا وأنثى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم مااشتملت عليه أرحام الانثيين) من ذينك النوعين (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) أي بل أكنتم حاضرين حين أمركم الله بهذا التحريم والمراد هل شاهدتم الله حرم هذا ان كنتم لاتؤمنون برسول فانكم لاتقرون بنبوة أحد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم ممن تعمد على الله كذبا بنسبة التحريم اليه. قال المحققون اذا ثبت ان من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فمن افترى على الله الكذب في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد وأشق (ليضل الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه أو حال من فاعل افترى أي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى أي فمن افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه (ان الله لايهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي أولئك المشركين أي لاينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان (قل لاأجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه) أي قل ياأشرف الخلق لهؤلاء الجهلة الذين يحكمون بالحلال والحرام من عند أنفسهم لاأجد في القرآن طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها على آكل يأكله من ذكر أو أنثى (الاأن يكون ميتة) قرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتأنيث ميتة بالنصب على تقدير الا أن تكون المحرمة ميتة وقرأ ابن عامر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الاأن توجد ميتة أو الاأن تكون هناك ميتة وقرأ الباقون يكون بالتذكير ميتة بالنصب أي الاأن يكون ذلك المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون مابعد هذا معطوفا على أن يكون الواقعة مستثناة أي الاحدوث ميتة (أودما مسفوحا) أي جاريا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد (أولحم خنزير فانه) أي الخنزير (رجس) أي نجس فكل نجس يحرم أكله (أوفسقا) أي ذبيحة خارجة عن الحلال (أهل لغير الله به) أي ذبح على اسم الأصنام (فمن اضطر) أي فمن أصابه الضرورة الداعية الى أكل الميتة (غير باغ) في ذلك على مضطر مثله (ولاعاد) أي متجاوز قدر الضرورة وهو الذي يسد الرمق (فان ربك غفور رحيم) أي فلا يؤاخذه ربك بالأكل من ذلك لأنه مبالغ في المغفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي وحرمنا على اليهود كل ذي مخلب وبرثن (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) وهو

(ثمانية أزواج) الذكر زوج والأنثى زوج وهي الضأن والمعز وقد ذكرا في هذه الآية والابل والبقر ذكرا فيما بعدها وجعلها ثمانية لانه أراد الذكر والأنثى من كل صنف وهو قوله (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فالضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر (قل) يا محمد للمشركين الذين حرموا على أنفسهم ماحرموا من النعم (آلذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الانثيين) فان كان حرم من الغنم ذكورها فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين فكل الاناث حرام (أم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين) وان كان حرم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز فقد حرم الأولاد كلها وكلها أولاد فكلها حرام (نبئوني بعلم) أي فسروا ما حرمتم بعلم ان كان لكم علم في تحريمه وهو قوله (ان كنتم صادقين) وقوله (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) أي هل شاهدتم الله قد حرم هذا ان كنتم لاتؤمنون برسوله فلما لزمتهم الحجة بين الله انهم فعلوا ذلك كذبا على الله فقال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدي القوم الظالمين) يعني عمرو بن لحي وهو الذي غير دين اسمعيل وسن هذا التحريم ثم ذكر المحرمات بأمر الله فقال (قل لاأجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاأن يكون ميتة أودما مسفوحا) أي سائلا (أوفسقا أهل لغير الله به) يعني ماذبح على النصب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) يعني الابل والنعامة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما

الاماحملت ظهورهما أوالحوايا) وهى المباعر (أوما اختلط بعظم) فانى لاأحرمه يعنى ماتعلق من الشحم بهذه الأشياء ( ذلك ) التحريم جزيناهم ببغيهم) أى عاقبناهم بذنوبهم (وانا الصادقون) فى الاخبار عن التحريم وعن بغيهم فلماذكرلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحرم على المسلمين وماحرم على اليهود قالوا له ماأصبت فكذبوه فأنزل الله تعالى (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) كذلك لايعجل عليكم بالعقوبة (ولايرد بأسه) أى عذابه اذاجاء الوقت (عن القوم المجرمين) يعنى الذين كذبوك بما تقول ( سيقول الذين أشركوا) أى اذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ماهم عليه (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب) أى جعلوا قولهم لو شاء الله ماأشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا ان الله رضى منا مانحن عليه وأراده منا وامرنابه ولولم يرضه لحال بيننا وبينه ولاحجة لهم فى هذا لانهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشيئته وأمر الله بمعزل عن ارادته لأنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع مايريد فعلى العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه وليس له أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر فقال الله (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كما كذبك هؤلاء كذب كفار الامم الخالية أنبياءهم ولم يتعرض لقولهم لو شاء الله بشئ (قل) لهم (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) أى من كتاب نزل فى تحريم ما حرمتم ( ان تتبعون الاالظن) أى ماتتبعون فيما أنتم عليه الا الظن ولا لا العلم واليقين (وان أنتم الاتخرصون) أى فما أنتم الا كاذبون (قل فلله الحجة البالغة) بالكتاب والرسول والبيان (فلوشاء لهداكم أجمعين) اخبار عن تعلق مشيئة الله بكفرهم وأن ذلك حصل بمشيئته اذلوشاء لهداهم (قل هلم شهداءكم) أى هاتوا شهداءكم وقربوهم وباقى الآية ظاهر.

شحم الكرش والكلى (الاماحملت ظهورهما) أى الاالشحم الذى حملته ظهورهما ( أو الحوايا ) أى أو الاالشحم الذى حملته المباعر (أوما اختلط بعظم) أى أوالاشحما مختلطا بعظم مثل شحم الألية فانه متصل بالعصعص فتلخص أن الذى حرم عليهم من الشحوم هو شحم الكرش والكلى وأن ماعدا ذلك حلال لهم (ذلك جزيناهم ببغيهم) أى ذلك التحريم عاقبناهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) فى الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بغيهم وهم كاذبون فى قولهم حرم ذلك اسرائيل على نفسه بلاذنب منا فنحن مقتدون به (فان كذبوك) أى فان كذبك اليهود فى الحكم المذكور أوكذبك المشركون فى ادعاء النبوة والرسالة وفى تبليغ هذه الاحكام (فقل) لهم (ربكم ذورحمة واسعة) فلذلك لايعجل عليكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لااهمال (ولايرد بأسه) أى عقابه اذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) الذين كذبوك فيما تقول وقيل المعنى ذورحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين (سيقول الذين أشركوا) عنادا لااعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله ) عدم اشراكنا وعدم تحريمنا (ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنامن شئ) ففعلنا حق مرضى عند الله تعالى ولولا أنه تعالى رضى مانحن فيه لحال بيننا وبينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذبك هؤلاء فى أن الله منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب كفار الامم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبيا قال الكل بمشيئة الله تعالى فهذا الذى أنا فيه من الكفر انما حصل بمشيئة الله تعالى فلم يمنعنى منه وفى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم فى قولهم ان مافعلوه حق مرضى عند الله تعالى كذب من قبلهم فى ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عذابنا الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم الرسل وبكذبهم فى قولهم ان الله أمرنا بالشرك (قل) لهؤلاء المشركين (هل عندكم من علم) أى بيان على ماتقولون من تحريم ماحرمتم ومن أن الله راض بشرككم (فتخرجوه) أى فتظهروه (لنا) كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (ان تتبعون الاالظن) أى ماتتبعون فيما أنتم عليه الاالظن الباطل الذى لايغنى من الحق شيئا (وان أنتم الاتخرصون) أى وما أنتم فى ذلك الا تكذبون على الله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) أى قل لهم ان لم تكن لكم حجة فلله الحجة الواضحة التى تقطع عذر المحجوج وتزيل الشك عمن نظر فيها وهى انزال الكتب وارسال الرسل (فلوشاء) هدايتكم جميعا الى الحجة البالغة (لهداكم أجمعين) ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض (قل) ياأكرم الرسل لهم (هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى أحضروا قدوتكم الذين ينصرون قولكم ان الله حرم الذى حرمتموه (فان شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلاتشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل بين لهم فساده لان السكوت قد يشعر بالرضا (ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) أى ان وقع منهم شهادة فانما هى باتباع الهوى فلاتتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا القرآن

ولايؤمنون بالبعث بعد الموت ويجعلون لله تعالى عديلا (قل) ياأكرم الرسل لمن سألك أى شئ حرم الله وهم مالك بن عوف وأصحابه (تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على (أن) مفسرة لفعل التلاوة (لاتشركوابه) أى بربكم (شيئا) من الاشراك (وبالوالدين) أى وأحسنوابهما (احسانا) ولم يقل الله ولاتسيئوا الوالدين لان مجرد عدم تلك الاساءة اليهما غير كاف فى قضاء حقوقهما (ولاتقتلوا أولادكم من املاق) أى من خوف الفقر وكانوا يدفنون البنات أحياء فبعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الفقر وهذاهو السبب الغالب فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله (نحن نرزقكم واياهم) أى أولادكم (ولاتقربوا الفواحش) أى الزنا (ماظهر منها ومابطن) أى مايفعل منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب أراذلهم ومايفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة أشرافهم وجمع الفواحش للنهى عن أنواعها ولذلك ذكر ماأبدل عنها بدل اشتمال وتوسيط النهى عن الزنا بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن القتل مطلقا لانه فى حكم قتل الأولاد فان أولاد الزنا فى حكم الأموات وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حق العزل ذاك وأدخفى (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها معصومة بالاسلام أو بالعهد (الابالحق) أى الاقتلا ملتبسا بالحق وهو أن يكون القتل للقصاص أوللردة أوللزنا بشرطه (ذلكم) أى التكاليف الخمسة (وصاكم به) أى أمركم به ربكم أمرامؤكدا (لعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا فوائد هذه التكاليف فى الدين والدنيا (ولاتقربوا مال اليتيم الابالتى هى أحسن) أى الابالخصلة التى هى أحسن لليتيم كحفظه وتحصيل الربح به (حتى يبلغ أشده) أى قوته مع الرشد ومبدؤه من البلوغ وانتهاؤه الى الثلاثة والثلاثين (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أى أتموا الكيل بالمكيال والوزن بالميزان بالعدل من غير نقصان من المعطى ومن غير طلب الزيادة من صاحب الحق (لانكلف نفسا) عند الكيل والوزن (الاوسعها) أى الاطاقتها فى الايفاء والعدل فان الواجب فى ايفاء الكيل والوزن هو القدر الممكن فى ايفائهما أما التحقيق فغير واجب (واذاقلتم فاعدلوا ولوكان ذاقربى) أى ولوكان القول على ذى قرابة منكم فاذا دعا شخص الى الدين وأقام الدليل عليه ذكر الدليل ملخصا عن الزيادة بألفاظ معتادة واذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلاينقص عن القدر الواجب ولايزيد فى الايذاء والايحاش واذاحكى الحكايات فلايزيد فيها ولاينقص عنها واذا بلغ الرسالات عن الناس فيجب أن يؤديها من غير زيادة ولانقصان واذاحكم فيجب أن يحكم بالعدل وأن يسوى فى القول بين القريب والبعيد وذلك لطلب رضاالله تعالى (وبعهدالله أوفوا) أى أتموا ماعاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وغيرهما (ذلكم) أى التكاليف الأربعة (وصاكم به) أى أمركم به أمرامؤكدا (لعلكم تذكرون) ولما كانت التكاليف الخمسة فى الآية الأولى أمورا ظاهرة ممايجب تفهمها ختمت بقوله تعالى لعلكم تعقلون ولما كانت هذه التكاليف الأربعة غامضة لابدفيها من الاجتهاد فى الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون وحاصل ماذكر فى هاتين الآيتين من المحرمات تسعة أشياء خمسة بصيغ النهى وأربعة بصيغ الأمر وتؤول الأوامر بالنهى لأجل التناسب وهذه الاحكام لاتختلف باختلاف الأمم والأعصار (وأن هذا) أى الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام (صراطى) أى دينى (مستقيما) أى لااعوجاج فيه قرأ ابن عامر وأن هذا بفتح الهمزة وسكون النون فأصلها وأنه هذا فالهاء ضمير الشأن والحديث وهو اسم ان والجملة التى بعده خبره وقرأ حمزة والكسائى وان بكسر الهمزة وتشديد النون فالتقدير أتل ماحرم وأتل

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) أى أقرأ عليكم الذى حرمه الله ثم ذكر فقال (ألاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) أى وأوصيكم بالوالدين احسانا (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أى من مخافة الفقر (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن) يعنى سر الزنا وعلانيته (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) يريد القصاص (ولا تقربوا مال اليتيم الابالتى هى أحسن) وهو أن يصلح ماله ويقوم فيه بما يثمره ثم يأكل بالمعروف ان احتاج اليه (حتى يبلغ أشده) أى احفظوه عليه حتى يحتلم (وأوفوا الكيل) أى أتموه من غير نقص (والميزان) أى وزن الميزان (بالقسط) أى بالعدل لابخس ولاشطط (لا نكلف نفسا الا وسعها) أى الا ما يسعها ولانضيق عليها وهو أنه لوكلف المعطى الزيادة لضاقت نفسه عنه وكذلك لوكلف الآخذ أن يأخذ بالنقصان (واذا قلتم فاعدلوا) أى اذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق (ولوكان) المشهود له أو عليه (ذاقربى وبعهدالله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا) أى ولان هذا (صراطى مستقيما) يريد دينى دين الحنيفية أقوم الأديان

(فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) أى اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان (فتفرق بكم عن سبيله) أى فتضل بكم عن دينه (ذلكم) الذى ذكر (وصاكم) أى أمركم (به) فى الكتاب (لعلكم تتقون) كى تتقوا السبل (ثم آتينا) أى



ان هذا يعنى قل وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون والتقدير واتل عليهم ان هذا صراطى مستقيما (فاتبعوه) أى هذا الصراط (ولاتتبعوا السبل) المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) أى فتميل بكم هذه السبل عن سبيل الله الذى لاعوج فيه وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل منها شيطان يدعو اليها (ذلكم) أى اتباع دين الله (وصاكم به) فى الكتاب (لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلالات (ثم آتينا موسى الكتاب) أى ثم بعد تعديد المحرمات وغيرها من الأحكام انى أخبركم انا أعطينا موسى التوراة (تماما) أى لأجل تمام نعمتنا (على الذى أحسن) أى على من أحسن العمل بأحكامه كما يدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا وقرأ يحيى بن يعمر بالرفع بحذف المبتدأ أى على الذى هو أحسن دينا كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع (وتفصيلا لكل شىء) أى ولبيان كل ما يحتاج اليه فى الدين فيدخل فى ذلك بيان نبوة سيدنا محمد ودينه (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) أى لكى يؤمن بنو اسرائيل بلقاء ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب (وهذا) أى الذى تلوت عليكم (كتاب) أى قرآن (أنزلناه) اليكم بلسانكم (مبارك) أى كثير المنافع دينا ودنيا لا يتطرق اليه النسخ (فاتبعوه) أى فاتبعوا يا أهل مكة ما فيه من الأوامر والنواهى والأحكام (واتقوا لعلكم ترحمون) أى اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة (أن تقولوا) أى أنزلناه كراهة أن تقولوا يوم القيامة (انما أنزل الكتاب) وهو التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) وهم اليهود والنصارى (وان كنا عن دراستهم لغافلين) أى وانه كنا عن قراءتهم لجاهلين فلا ندرى ما فى كتابهم اذ لم يكن بلغتنا والمراد بهذه الآيات اثبات الحجة على أهل مكة بانزال القرآن على سيدنا محمد كى لا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على اليهود والنصارى ولا نعلم ما فيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا) أى لاعذر لكم فى القيامة بقولكم (لو أنا أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكنا أهدى منهم) أى أصوب دينا منهم وأسرع اجابة للرسول منهم (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) أى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم قرآن من ربكم فانه بيان فيما يعلم سمعا وهو هدى فيما يعلم سمعا وعقلا وهو نعمة فى الدين (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى لا أحد أجرأ على الله ممن كذب بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ومال عن ذلك (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أى شدته (بما كانوا يصدفون) أى بسبب اعراضهم (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) أى ما ينتظر أهل مكة الا أحد هذه الأمور الثلاثة أى فلا يؤمنون بك الا اذا جاءهم أحد هذه الأمور وقرأ حمزة والكسائى على التذكير (أو يأتى ربك) أى بحسب ما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وهم كانوا كفارا واعتقاد الكافر ليس بحجة وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت لقبض أرواحهم وباتيان الله تعالى اتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة كلها وقيل المعنى أو يأتى ربك يوم القيامة بلا كيف (أو يأتى بعض آيات ربك) أى بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة وهى عشرة وهى العلامات

ثم أخبركم أنا آتينا (موسى الكتاب تماما على الذى أحسن) أى على الذى أحسنه موسى من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة أى علمه ومعنى تماما على ذلك أى زيادة عليه حتى تم له العلم بما آتيناه (وتفصيلا) أى آتيناه تفصيلا للتمام والتفصيل هو البيان (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) أى لكى يؤمنوا بالغيب ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه مبارك) مضى تفسيره فى هذه السورة (أن تقولوا) أى لئلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وان كنا عن دراستهم لغافلين) أى وما كنا الا غافلين عن تلاوة كتبهم والخطاب لأهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد كى لا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما وقوله (وصدف عنها) أى أعرض. (هل ينظرون) اذ كذبوك (الا أن تأتيهم الملائكة) عند الموت تقبض أرواحهم وذكرنا معنى هل ينظرون فى سورة البقرة (أو يأتى ربك) أى أمره فيهم بالقتل (أو يأتى بعض آيات ربك) يعنى طلوع الشمس من مغربها والمعنى ان هؤلاء الذين كذبوك اما أن يموتوا فيقعوا فى العذاب أو تؤمر فيهم بالسيف أو يمهلوا قدر مدة الدنيا فيتوالدون ويتنعمون فيها فاذا ظهرت أمارات القيامة

الكبرى وهى الدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن تسوق الناس الى المحشر (يوم يأتى بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لاينفع نفسا) كافرة (ايمانها لم تكن آمنت من قبل) أى قبل اتيان بعض الآيات (أو) نفسا مؤمنة عاصية توبتها لم تكن (كسبت فى ايمانها خيرا) فحكم الايمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من المغرب حكم من آمن أو عمل عند الغرغرة وذلك لايفيد شيئا أما من كان يومئذ مؤمنا مذنبا فتاب أو صغيرا أو مولودا بعد ذلك فانه ينفع توبتهم وايمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال: لايزال الشمس تجرى من مطلعها الى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فبينما الناس كذلك اذ نادى مناد الأن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فأما الصالحون والأبرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة. قال عمر بن الخطاب للنبى ﷺ : وما باب التوبة يارسول الله فقال ياعمر خلق الله بابا للتوبة جهة المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجواهر مابين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب. قال أبى بن كعب يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال ياأبى ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النار ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس بعد ذلك فيلحون على الدنيا ويعمرونها ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البنيان ثم تمكث الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة السنة منها بقدر شهر والشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لايتمنون شيئا الا أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة فى وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله ﷺ : صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الأمة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتجف الأقلام لايزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (قل انتظروا) ماتنتظرونه من اتيان أحد الأمور الثلاثة (انا منتظرون) لذلك لنشاهد مايحل بكم من سوء العاقبة والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى أحزابا فى الضلالة (لست منهم فى شئ) أى لست من البحث فى تفرقهم فأنت منهم برئ وهم منك براء ولست من قتالهم فى هذا الوقت فى شئ (انما أمرهم الى الله) أى يدبره كيف يشاء يؤاخذهم فى الدنيا متى شاء ويأمركم بقتالهم اذا أراد (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) أى ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤوس الاشهاد ويعلمهم

(لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) أى قدمت طاعة وهى مؤمنة (قل انتظروا) أحد هذه الأشياء (انا منتظرون) بكم أحدها (ان الذين فارقوا دينهم) يعنى اليهود والنصارى أخذوا ببعض ما أمروا به وتركوا بعضه كقوله اخبارا عنهم نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض (وكانوا شيعا) أى أحزابا مختلفة بعضهم يكفر بعضا (لست منهم فى شئ) يقول لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ هذا

أى شئ شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء والمراد بهؤلاء الفرقين الخوارج كما أخرجه ابن أبى حاتم من حديث أبى امامة أوهم أصحاب البدع والأهواء كما أخرجه الطبرانى من حديث عائشة. وقال قتادة هم اليهود والنصارى كما أخرجه عبد الرزاق وكما أخرج ابن أبى حاتم عن السدى وقال النبى ﷺ: افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق أهل الكتابين انما هو باعتبار ماقبل النسخ وأما بعده فالكل فى الهاوية وان اختلفت أسباب دخولهم وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة رواه أبو داود والترمذى والحاكم. وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بالألف أى باينوا بأن تركوا بعض دين آبائهم والباقون فرقوا بالتشديد أى اختلفوا فى دينهم كما اختلف المشركون بعضهم يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله و بعضهم يعبدون الأصنام و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و بعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين (فله عشر أمثالها) أى فله جزاء عشر أمثالها وهذا أقل ماوعد من الأضعاف فالمراد بالعشرة الأضعاف مطلقا لا التحديد وقد جاء الوعد بسبعين و بسبعمائة و بغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص (ومن جاء بالسيئة) أى بالأعمال السيئة (فلا يجزى الا مثلها) أى الاجزاء السيئة الواحدة ان جوزى (وهم لايظلمون) أى لاينقصون من ثواب طاعتهم ولا يزادون فى عقاب سيئاتهم (قل) ياأشرف الخلق للمشركين الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم من أهل مكة واليهود والنصارى (اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) أى أرشدنى ربى بالوحى و بما نصب من الآيات التكوينية فى الأنفس و فى السموات والأرض الى طريق حق (دينا قيما) أى لاعوج فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح القاف وكسر الياء مشددة والباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة وهو مصدر كالصغر والكبر والحول والشبع أى دينا ذا قيم أى صدق (ملة ابراهيم حنيفا) أى مائلا عن الضلالة الى الاستقامة (وما كان من المشركين) وقوله تعالى دينا بدل من محل صراط لأن محله النصب على أنه مفعول ثان أو مفعول لفعل مقدر والتقدير الزموا دينا وقوله تعالى ملة ابراهيم عطف بيان لدينا وحنيفا حال من ابراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل ان صلاتى) أى الصلوات الخمس (ونسكى) أى ذبيحتى وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر أوالمعنى وكل ماتقربت به الى الله تعالى فان معنى الناسك من صفا نفسه من دنس الآثام (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة (لله رب العالمين) أى ان صلاتى وسائر عباداتى وحياتى ومماتى كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه (لاشريك له) فى الخلق والتقدير (و بذلك) أى و بهذا التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين) أى المستسلمين لقضاء الله وقدره فانه ﷺ أول من أجاب ببلى يوم العهد لسؤال الله تعالى ألست بربكم أوالمعنى وأنا أول المنقادين لله من أهل ملتى وهذا بيان لمسارعته ﷺ الى الامتثال بأمر الله (قل) ياأشرف الرسل للكفار الذين قالوا لك ارجع الى ديننا (أغير الله أبغى ربا) أى أأعبد ربا غير الله (وهو رب كل شئ) أى والحال أن الله رب كل شئ مع أن الذين اتخذوا ربا غير الله أقروا بأن الله خالق الأشياء كما قال تعالى قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون. وأصناف المشركين أربعة عبدة الأصنام فهم معترفون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض وللأصنام بأسرها وعبدة الكواكب فهم معترفون بأن الله خالقها والقائلون بيزدان واهرمن فهم معترفون بأن الشيطان محدث وأن محدثه هو

الله

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى من عمل من المؤمنين حسنة فله عشر أمثالها أى كتبت له عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة) أى الخطيئة (فلا يجزى الا مثلها) أى جزاء مثلها لا يكون أكثر منها (وهم لايظلمون) أى لاينقص ثواب أعمالهم (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا) أى عرفنى دينا (قيما) مستقيما (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى من حجى وقربانى (ومحياى ومماتى لله) أى هو الذى يحيينى و يميتنى وأنا أتوجه بصلاتى وسائر المناسك الى الله لا الى غيره وقوله (و بذلك أمرت) أى بذلك أوحى الى (وأنا أول المسلمين) أى من هذه الأمة (قل أغير الله أبغى ربا) أى سيدا و الها (وهو رب كل شئ) أى مالكه وسيده

اللهوالقائلون بأن المسيح ابن الله والملائكة بناته فهم معترفون بأن الله خالق الكل واذا ثبت هذا فنقول العقل الخالص يشهد بأنه لايجوز جعل المربوب شريكا للرب وجعل المخلوق شريكا للخالق (ولاتكسب كل نفس) ذنبا (الا عليها) أى الاحالة كونه مستعليا عليها بالمضرة أوحالة كونه مكتوبا عليها لاعلى غيرها (ولاتزر وازرة وزرأخرى) أى ولاتحمل نفس آثمة ولاغيرآثمة اثم نفس أخرى فلاتحمل نفس طائعة أوعاصية ذنب غيرها وانماقيد فى الآيات بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو أن الوليدبن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعواسبيلى أحمل عنكم أوزاركم (ثم الى ربكم) أى الى مالك أموركم (مرجعكم) أى رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) من الأديان فى الدنيا (وهوالذى جعلكم خلائف الأرض) أى جعلكم يخلف بعضكم بعضا فى الارض (ورفع بعضكم) فى الشرف والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة فجعل الله منهم الحسن والقبيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف واظهار هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والبخل فانه تعالى منزه عن ذلك وانماهو لأجل الامتحان وهو المراد من قوله (ليبلوكم فيما آتاكم) أى ليعاملكم معاملة المختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقر أيكم يشكر وأيكم يصبر وهوأعلم بأحوال عباده منهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم ان المكلف اما أن يكون مقصرا فيما كلف به أوموفرا فيه فان كان مقصرا كان نصيبه من التخويف قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر به ولايشكره ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوآت قريب وان كان المكلف موفرا فى الطاعات كان نصيبه من الترغيب قوله تعالى (وانه لغفور رحيم) لمن راعى حقوق ماأعطاه الله تعالى كما ينبغى * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يتبعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

## ﴿ سورة الاعراف مكية وآياتها مائتان وست آيات . وكلماتها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة . وحروفها أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المص) قيل هى حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهى سره تعالى فى كتابه العزيز (كتاب) أى هذا قرآن (أنزل اليك) أى ان الملك انتقل به من العلو الى أسفل (فلا يكن فى صدرك حرج منه) أى فلا يكن فيك شك من هذا الكتاب فى كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى أوالمعنى لايكن فيك ضيق صدر من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر فى القيام بحقه أومخافة أن يكذبوك (لتنذر به) أى بهذا الكتاب الكافرين (وذكرى للمؤمنين) فان النفوس البشرية على قسمين نفوس جاهلة غريقة فى طلب اللذات والشهوات ونفوس شريفة مشرقة بالأنوار الالهية فبعثة الرسل فى حق القسم الاول تخويف وفى حق القسم الثانى تنبيه (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم) أى من كتابه وسنة رسوله (ولاتتبعوا من دونه) أى من غير ربكم (أولياء) من الشياطين والكهان فيحملوكم على البدع والأهواء وقيل الضمير للموصول مع حذف المضاف فى أولياء أى ولاتتبعوا من دون ماأنزل أباطيل أولياء وقرأ مالك بن دينار ولاتبتغوا (قليلا ماتذكرون) أى تذكرا قليلا أوزمانا قليلا تذكرون ومامزيدة للتوكيد وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالتاء وتخفيف الذال والباقون بالتاء وتشديد الذال (وكم من قرية أهلكناها) أى كثير من أهل قرية أردنا

كان يقول اتبعوا سبيلى أحمل أوزاركم فأنزل الله ولاتزر وازرة وزر أخرى أى لايحمل أحد جناية غيره حتى لايؤاخذ بها الجانى (وهوالذى جعلكم) يامحمد (خلائف الارض) أى خلائف الأمم الماضية فى الارض أى بأن أهلكهم وأورثكم الارض بعدهم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالغنى والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) أى ليختبركم فيمارزقكم (ان ربك سريع العقاب) لأعدائه (وانه لغفور) لأوليائه (رحيم) بهم والله أعلم

﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المص) أنا الله أعلم وأفصل (كتاب) أى هذا كتاب (أنزل اليك) أى من ربك (فلا يكن فى صدرك حرج منه) أى فلا يضيقن صدرك بابلاغ ما أرسلت به (لتنذر به) أى أنزل لتنذر به الناس (وذكرى للمؤمنين) أى ومواعظ للمصدقين (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن (ولاتتبعوا من دونه أولياء) أى لاتتخذوا أولياء غير الله (قليلا ماتذكرون) أى قليلا يامعشر المشركين اتعاظكم (وكم من قرية أهلكناها) يعنى أهلها

اهلا كها (لجاءها) أى لجاءأهلها (بأسنا) أى عذابنا (بياتا) أى نائمين فى الليل كمافى قوم لوط (أوهم قائلون) أى نائمون فى نصف النهار أومستريحون فيه من غير نوم كمافى قوم شعيب والمعنى جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمارة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكأنه قيل للكفار لاتغتروا بأسباب الامن والراحة والفراغ فان عذاب الله اذاوقع وقع دفعة من غير سبق امارة فلاتغتروا بأحوالكم (فما كان دعواهم) أى استغاثتهم بربهم واعترافهم بالجناية (اذجاءهم بأسنا) أى عذابنا فى الدنيا (الاأن قالوا انا كنا ظالمين) فأقروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حيث لم يتبعوا ماأنزل اليهم من ربهم وذلك حين لم ينفعهم الاعتراف والندامة والمختار عند النحويين أن يكون محل أن قالوا رفعا بكان ودعواهم نصبا بدليل تذكير كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه الاأن قالوا وقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار وقوله تعالى وما كان حجتهم الاأن قالوا (فلنسألن الذين أرسل اليهم) أى فلنسألن فى موقف الحساب الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبتم المرسلين (ولنسألن المرسلين) قائلين ماذا أجبتم وذلك للرد على الكفار اذا أنكروا التبليغ بقولهم ماجاءنا من بشير ولانذير فاذا أثبت الرسل أنهم لم يصدر منهم تقصير البتة فيتضاعف اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير وتضاعف أسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار لماثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقصن عليهم) أى المرسلين والأمم لما سكتوا عن الجواب (بعلم) أى فلنخبرنهم بما فعلوا اخبارا ناشئا عن علم منا (وما كنا غائبين) عنهم فى حال من الأحوال فيخفى علينا شئ من أحوالهم (والوزن) أى وزن الأعمال (يومئذ) أى كائن يوم اذ يسأل الله الأمم والرسل (الحق) أى العدل أوالمعنى والوزن يوم اذ يكون السؤال والقص هو الحق فالحق اماصفة للوزن أوخبر له ويومئذ اما ظرف له أوخبره (فمن ثقلت موازينه) بسبب ثقل الحسنات فى الميزان (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه) بسبب خفة الحسنات فى الميزان أو بسبب الاعمال التى لااعتداد بها فى الوزن (فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والفائدة فى وضع ذلك الميزان أن يظهر ذلك الرجحان لأهل القيامة فان كان ظهور الرجحان فى طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لأهل القيامة وان كان بالضد فيزداد حزنه وخوفه فى موقف القيامة ثم اختلفوا فى كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان فى الكفة. قال العلماء الناس فى الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم وكفار ومخلطون وهم الذين يأتون الكبائر فأما المتقون فان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم لايجعل الله لهاوزنا بل تكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر وتثقل الكفة النيرة ويؤمر بهم الى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكافر فانه يوضع كفره فى الكفة المظلمة ولاتوجد له حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة فيأمر الله تعالى بهم الى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين خلطوا فحسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وان كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار الاأن يعفو الله وان تساويا كان من أصحاب الأعراف. هذا ان كانت الكبائر فيما بينه وبين الله وأما ان كان عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من حسناته فيرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع (ولقد مكناكم فى الارض) أى جعلنالكم يابنى آدم فيها مكانا وأقدرناكم

(لجاءها بأسنا) أى عذابنا (بياتا) يعنى ليلا (أوهم قائلون) أى نائمون نهارا يعنى جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له (فما كان دعواهم) أى دعاؤهم وتضرعهم (اذجاءهم بأسنا الاأن) أقروا على أنفسهم بالشرك و (قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم) أى نسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل (ولنسألن المرسلين) أى ونسأل الرسل هل بلغوا ماأرسلوا به (فلنقصن عليهم بعلم) أى لنخبرنهم بماعملوا بعلم منا (وما كنا غائبين) أى عن الرسل والأمم ماذا بلغت وماردعليهم قومهم (والوزن يومئذ) يعنى وزن الأعمال يوم السؤال الذى ذكر فى قوله فلنسألن (الحق) العدل وذلك أن أعمال المؤمن تتصور فى صورة حسنة وأعمال الكافر فى صورة قبيحة فتوزن تلك الصور فذلك قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) أى الناجون الفائزون وهم المؤمنون (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى صاروا الى العذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) أى يجحدون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد مكناكم فى الارض) أى ملكناكم فيما بين مكة الى اليمن والى الشام يعنى مشركى مكة

على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) أى وجوه المنافع وهى على قسمين ما يحصل بخلق الله تعالى ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها وما يحصل بالاكتساب وكلاهما بفضل الله وتمكينه فيكون الكل انعاما من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليلا ما تشكرون) تلك النعمة ونعم الله على الانسان كثيرة فلا انسان الا و يشكر الله تعالى فى بعض الأوقات على نعمه وانما التفاوت فى أن بعضهم يكون كثير الشكر و بعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه أحسن تصوير وتحسن هذه الكناية لأن آدم أصل البشر (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تعظيم (فسجدوا) أى الملائكة بعد الأمر (الا ابليس) فانه أبو الجن كان مفردا مستورا بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى قوله تعالى للملائكة الخ (لم يكن من الساجدين) لآدم (قال) تعالى لابليس (مامنعك أن لا تسجد) أى ما صرفك الى أن لا تسجد كما قال القاضى ذكر الله المنع وأراد الداعى فكأنه تعالى قال ما رعاك الى أن لا تسجد لآدم لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها و يسأل عن الداعى اليها (اذ أمرتك) والمشهور أن كلمة لا لتأكيد معنى النفى فى منعك والاستفهام للتوبيخ ولاظهار كفر ابليس واذ منصوب بتسجد أى ما منعك من السجود فى وقت أمرى اياك به (قال) ابليس (أنا خير منه) أى انما لم أسجد لآدم لأنى خير منه (خلقتنى من نار) فهى أغلب أجزائى (وخلقته من طين) أى وهو أغلب أجزائه فالنار أفضل من الطين لأن النار مشرقة علوية لطيفة يابسة مجاورة لجواهر السموات والطين مظلم سفلى كثيف بعيد عن مجاورة السموات والمخلوق من الأفضل أفضل وقد أخطأ ابليس طريق الصواب لأن النار فيها الخفة والارتفاع والاضطراب وأما الطين فشأنه الرزانة والحلم والتثبت وأيضا فالطين سبب للحياة من انبات النبات والنار سبب لهلاك الأشياء والطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفريقها (قال) تعالى (فاهبط منها) أى من الجنة وكانوا فى جنة عدن وفيها خلق آدم أو أخرج من زمرة الملائكة المعززين (فما يكون لك) أى فما ينبغى لك (أن تتكبر فيها) أى فى الجنة أو فى زمرة الملائكة (فاخرج انك من الصاغرين) أى من الاذلاء (قال أنظرنى) أى لا تمتنى (الى يوم يبعثون) أى آدم وذريته وهو وقت النفخة الثانية وأراد ابليس أن يأخذ ثأره منهم باغوائهم وأن ينجو من الموت لاستحالته بعد البعث ولأنه قد تم عند النفخة الأولى (قال) تعالى (انك من المنظرين) أى من المؤجلين الى النفخة الأولى فيموت كغيره (قال) ابليس (فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى فبسبب اغوائك اياى لاجلهم أقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته دينك الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أى فأشككهم فى صحة البعث والقيامة والحساب وألقى اليهم أن الدنيا قديمة لا تفنى (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) أى أفترهم عن الحسنات وأقوى دواعيهم فى السيئات ونقل عن شقيق أنه قال ما من صباح الا و يأتينى الشيطان من الجهات الأربع فيقول من قدامى لا تخف فان الله غفور رحيم فأقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفى يخوفنى من وقوع أولادى فى الفقر فأقرأ وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها و يأتينى بالثناء من قبل يمينى فأقرأ والعاقبة للمتقين و يأتينى بالترغيب فى الشهوات من قبل شمالى فأقرأ وحيل بينهم و بين ما يشتهون والحاصل أن الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة الا و يلقيها فى القلب و يروى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الأربع فأوحى الله تعالى اليهم انه بقى للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق فى

(وجعلنا لكم فيها معايش) أى ما تعيشون به من الرزق والمال والتجارة (قليلا ما تشكرون) أى انكم غير شاكرين لما أنعمت عليكم (ولقد خلقناكم) يعنى آدم (ثم صورناكم) فى ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال مامنعك أن لا تسجد) لا زائدة معناه مامنعك أن تسجد وهو سؤال توبيخ وتعنيف (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) معناه منعنى من السجود له أنى خير منه اذ كنت ناريا وكان طينيا فترك الأمر وقاس فعصى (قال فاهبط منها) أى فانزل من الجنة وقيل من السماء (فما يكون لك أن تتكبر فيها) عن أمرى وتعصينى (فاخرج انك من الصاغرين) أى الاذلاء بترك الطاعة (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) يريد النفخة الثانية (قال انك من المنظرين قال فبما أغويتنى) يريد فبما أضللتنى أى بأغوائك اياى (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى الصراط المستقيم الذى يسلكونه الى الجنة بأن أزين لهم الباطل (ثم لآتينهم من بين أيديهم) يعنى آخرتهم التى يردون عليها فأشككهم فيها (ومن خلفهم) أى دنياهم التى يخلفونها فأرغبهم فيها (وعن أيمانهم) أى أشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) أى أشهى لهم المعاصى

الدعاء على سبيل الخضوع أووضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة
(ولا تجد أكثرهم شاكرين) أى مطيعين وانما قال هذا لأنه رأى منهم أن مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير
واحد وذلك أنه حصل للنفس قوة واحدة تدعو النفس الى عبادة الله تعالى وطلب السعادات الروحانية
وهى العقل وتسع عشرة قوة تدعوها الى اللذات الجسمانية والطيبات الشهوانية فخمسة منها هى
الحواس الظاهرة وخمسة أخرى هى الحواس الباطنة واثنان الشهوة والغضب وسبعة هى القوى الكامنة
وهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ولاشك أن استيلاء تسع عشرة
قوة أكمل من استيلاء القوة الواحدة فيلزم القطع بأن أكثر الخلق يكونون طالبين لهذه اللذات البدنية
معرضين عن معرفة الحق ومحبته (قال اخرج منها) أى من الجنة ومن صورة الملائكة (مذءوما) أى
محقورا (مدحورا) أى مبعدا من كل خير (لمن تبعك منهم) أى ولد آدم (لأملأن جهنم منكم) أى
منك ومنهم (أجمعين) ففى اللام ومن فى قوله تعالى لمن تبعك وجهان فالاظهر أن اللام لام التوطئة لقسم
محذوف ومن شرطية فى محل رفع مبتدأ ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب
الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده والوجه الثانى أن اللام لام الابتداء ومن موصولة وتبعك
صلتها وهى فى محل رفع مبتدأ ولأملأن جواب قسم محذوف وذلك القسم وجوابه فى محل رفع خبر
المبتدا والتقدير للذى تبعك منهم والله لأملأن جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية الواقعة خبرا عن
المبتدأ متضمن فى قوله منكم لانه لما اجتمع ضمير غيبة وخطاب غلب الخطاب وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك بكسر اللام على أنه خبر لأملأن والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد وهذه الآية تدل على أن جميع
أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لان كلهم متابعون لابليس والله أعلم (ويا آدم اسكن)
هذه القصة معطوفة على قوله تعالى للملائكة اسجدوا أى وقلنا لآدم يا آدم اسكن أو معطوفة على اخرج
أى وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط ابليس وأخرجه من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن اسحق
خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أى ادخل فيها وقال ابن عباس وغيره خلقت فى الجنة
بعد دخول آدم فيها لانه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من
شقه الأيسر ليأنس بها والمعنى انزل فى الجنة (فكلا من حيث شئتما) أى فكلا من ثمار الجنة فى أى
مكان شئتما الأكل فيه وفى أى وقت شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) أى فتصيرا
من الضارين لأنفسكما (فوسوس لهما الشيطان) أى ففعل ابليس الوسوسة لاجلهما (ليبدى
لهما ماووري عنهما من سوآتهما) أى ليظهر لهما ماستر عنهما بلباس النور أو بثياب الجنة من
عورتهما فاللام اما للعاقبة لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان قصده أن يحملهما
على المعصية فقط أو للعلة فظهور العورة كناية عن زوال الجاه فان غرضه من القاء تلك الوسوسة
الى آدم ذهاب منصبه وروى أن ابليس بعد ما صار ملعونا مطرودا من الجنة رأى آدم وحواء
فى طيب عيش ونعمة ورأى نفسه فى مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل
الجنة ليوسوس لهما فمنعه الخزنة فجلس على باب الجنة ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وهى بقدر ثلاث
ساعات من ساعات الآخرة فلقى آدم مرارا كثيرة ورغبه فى أكل الشجرة بطرق كثيرة فلاجل
المداومة على هذا التمويه أثر كلامه فى آدم عليه السلام (وقال) أى ابليس لآدم وحواء
(مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة) أى عن الأكل منها (الا أن تكونا ملكين) أى الا
كراهة أن تكونا كملكين فى عدم الشهوة وفى القدرة على الطيران والتشكل وفى قراءة شاذة ملكين
بكسر اللام (أو تكونا من الخالدين) أى الذين لايموتون ولايخرجون من الجنة أصلا (وقاسمهما)

(قال اخرج منها مذءوما) مذموما بأبلغ ذم (مدحورا) مطرودا ملعونا (لمن تبعك منهم) أى من أولاد آدم (لأملأن جهنم منكم) أى من الكافرين وقرنائهم من الشياطين (ويا آدم اسكن) سبق تفسيره فى سورة البقرة (فوسوس لهما الشيطان) أى حدث لهما فى أنفسهما (ليبدى لهما) هذه لام العاقبة وذلك أن عاقبة تلك الوسوسة أدت الى أن بدت لهما سوآتهما يعنى يتهافت اللباس عنهما وهو قوله (ماووري عنهما) أى ماستر عنهما (من سوآتهما وقال مانهيكما ربكما عن هذه الشجرة) أى عن أكلها (الا أن تكونا) لا ههنا مضمرة أى الا أن لا تكونا (ملكين) تبقيان ولا تموتان كما لا تموت الملائكة يدل على هذا قوله (أو تكونا من الخالدين وقاسمهما) أى حلف لهما

أى حلف لهما (انى لكما لمن الناصحين) فى حلفى لكما (فدلاهما بغرور) أى فخدعهما بزخرف من القول الباطل حتى أكلا قليلا قصدا الى معرفة طعم ذلك الثمر لغلبة الشهوة لا لكونهما صدقا قول ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) أى فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة يسيرا لمعرفة طعمه ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وزال عنهما ثوبهما وزال النور عنهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى وجعلا يلزقان على عورتهما من ورق التين للاستحياء (وناداهما ربهما) يا آدم و يا حواء (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) أى عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) أى ظاهر العداوة حيث أبى السجود كما حكى الله تعالى هذا القول فى سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الآية. روى أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ماظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لأهبطنك الى الأرض ثم لا تنال العيش الا كدا فأهبطوا وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أى ضررناها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك من أكل الشجرة التى نهيتنا عن الأكل منها وانما اعترف آدم بكونه ظالما لانه ترك الأولى فان هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة بطريق النسيان ولان القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على الوجه الأكمل (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أى من المغبونين بالعقوبة (قال) تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس الى الأرض فهبط آدم بسرنديب جبل فى الهند وحواء بجدة وابليس بالابلة بضم الهمزة والموحدة وبتشديد اللام جبل بقرب البصرة (بعضكم لبعض عدو) فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكم فى الارض مستقر) أى مكان عيش وقبر (ومتاع) أى انتفاع (الى حين) أى الى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أى الارض (تحيون) أى تعيشون مدة حياتكم (وفيها تموتون) وتدفنون (ومنها تخرجون) الى البعث للجزاء قرأ حمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء وكذلك فى الروم والزخرف والجاثية وقرأ ابن عامر ههنا وفى الزخرف كذلك وفى الروم والجاثية بضم التاء وفتح الراء والباقون بضم التاء فى الجميع (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا) أى قد خلقنا لكم بأسباب نازلة من السماء لباسين من قطن وغيره لباسا يغطى عوراتكم من العرى ولباسا يزينكم فان الزينة غرض صحيح وروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال فى النهار والنساء فى الليل و يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت هذه الآية تذكيرا ببعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالحذر من قبول وسوسة الشيطان فى قوله تعالى لا يفتننكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الأنبياء حصول العبرة لمن يسمعها (ولباس التقوى ذلك خير) وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بنصب لباس عطفا على لباسا أى وأنزلنا عليكم لباس التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والسدى وابن جريج أو العمل الصالح كما قاله ابن عباس أو السمت الحسن كما قاله عثمان بن عفان أو خشية الله كما قاله ابن الزبير أو الحياء كما قاله معبد والحسن ذلك أى اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الأولين لانه يستر من فضائح الآخرة. وقرأ الباقون ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو اللباس الأول أو هو الملبوسات المعدة لأجل اقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه لبس المتواضع (ذلك) أى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظيم فضله وعميم رحمته على عباده (لعلهم يذكرون) أى

(انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور) أى غرهما باليمين ومعنى دلاهما جرأهما على أكل الشجرة بما غرهما به من يمينه (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) أى تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه فاستحيا (وطفقا يخصفان) أى أقبلا وجعلا يرقعان الورق كهيئة الثوب ليستترا به (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر) أى موضع قرار ثم فسر ذلك بقوله (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) ولما ذكر عرى آدم وحواء من علينا بما خلق لنا من اللباس فقال (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أى خلقنا لكم لباسا (يوارى سوآتكم) أى يستر عوراتكم (وريشا) أى مالا وما تتجملون به من الثياب الحسنة (ولباس التقوى) أى ستر العورة يتقى الله فيوارى عورته (ذلك خير) لصاحبه اذا أخذ به أو خير من التعرى وذلك أن جماعة من المشركين كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت (ذلك من آيات الله) أى من فرائضه التى أوجبها بآياته يعنى ستر العورة (لعلهم يذكرون) كى يتعظوا

(يابني آدم لايفتننكم الشيطان) أي لايخدعنكم ولايضلنكم (كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما) أضاف النزع اليه وان لم يتول ذلك لانه كان بسبب منه (انه يراكم هو وقبيله) يعني ومن كان من نسله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) أي سلطناهم عليهم ليزيدوا في غيهم كما قال انا أرسلنا الشياطين على الكافرين الآية (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) يعني طوافهم بالبيت عارين (قل أمر ربي بالقسط) رد لقولهم والله أمرنا بها والقسط العدل (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة (وادعوه مخلصين له الدين) أي وحدوه ولاتشركوا به شيئا (كما بدأكم) في الخلق شقيا وسعيدا فكذلك (تعودون) سعداء وأشقياء يدل على صحة هذا معنى قوله (فريقا هدى) أي أرشد الى دينه وهم أولياؤه (وفريقا حق عليهم الضلالة) أي أضلهم وهم أولياء الشياطين (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) ثم أمرهم أن يلبسوا ثيابهم ولايتعروا فقال (يابني آدم خذوا زينتكم) يعني مايواري العورة (عندكل مسجد) لصلاة أو طواف (وكلوا واشربوا) كان أهل الجاهلية لايأكلون أيام حجهم الا قوتا ولايأكلون دسما يعظمون حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله (وكلوا) يعني اللحم والدسم (واشربوا) اللبن والماء وما أحل لكم (ولاتسرفوا) بحظركم على أنفسكم ماقد أحللته لكم من اللحم والدسم (انه لايحب المسرفين) أي لايحب من فعل ذلك أي لايثيبه عليه ولايدخله الجنة

فيعرفون عظيم النعمة في ذلك اللباس (يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) أي لايخرجنكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتمنعوا من دخول الجنة اخراجا مثل اخراجه أبويكم من الجنة بفتنته بأمره لهما بمخالفة أمري فمنعا من سكنى الجنة (ينزع عنهما لباسهما) بغروره وكان اللباس من ثياب الجنة أو من نور (ليريهما سوآتهما) أي ليرى آدم سوأة حواء وترى هي سوءة آدم (انه) أي الشيطان (يراكم هو وقبيله) أي أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لاترونهم) اذا كانوا على صورهم الاصلية لكن قد يكونون مرئيين في بعض الاحيان لبعض الناس دون بعض. وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع: نرى ولانرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) أي انا صيرنا الشياطين قرناء الذين لايؤمنون بمحمد والقرآن مسلطين عليهم (واذا فعلوا) أي العرب (فاحشة) كعبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف (قالوا) جوابا للناهي عنها معللين فعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أي على هذه الأشياء (آباءنا) فاعتقدنا أنها طاعات واقتدينا بهم فيها (والله أمرنا بها) فان أجدادنا انما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله لايأمر بالفحشاء) فان عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال والحث على نفائس الخصال (أتقولون على الله مالاتعلمون) أي انكم ماسمعتم كلام الله مشافهة ولاأخذتموه عن الأنبياء لانكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله مالاتعلمون (قل أمر ربي بالقسط) أي بالتوحيد بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم عندكل مسجد) أي واستقبلوا بوجوهكم القبلة عندكل صلاة (وادعوه) أي اعبدوا الله باتيان أعمال الصلاة (مخلصين له الدين) أي الطاعة (كما بدأكم تعودون) أي كما أوجدكم الله بعد العدم يعيدكم بعده أحياء يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) أي ثبت الضلالة عليهم في الأزل والجملتان الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم وفريقا الثاني منصوب بفعل مقدر موافق في المعنى للمذكور المفسر أي بدأكم حال كونه تعالى هاديا فريقا للايمان ومضلا فريقا. ويجوز أن تكون الجملتان الفعليتان في محل نصب على النعت لفريقا وفريقا وهذان على الحال من فاعل تعودون والعائد على المنعوت محذوف أي فريقا هداهم الله وفريقا حق عليهم الضلالة ويؤيد هذا الاعراب قراءة أبي بن كعب تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا مادعوهم اليه ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل (ويحسبون) أي يظن أهل الضلالة (أنهم مهتدون) بدين الله ودلت هذه الآية على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب كونه هدى أو لم يحسب ذلك (يابني آدم خذوا زينتكم) أي البسوا ثيابكم التي تستر عوراتكم (عندكل مسجد) أي عندكل وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) من اللبن (ولاتسرفوا) بالتعدي الى الحرام أو بتحريم الحلال أو بالافراط في الطعام (انه لايحب المسرفين) أي انه تعالى لايرتضى

فعلهم

مباحة لهم مع اشتراك الكافرين معهم فيها فى الدنيا ثم هى تخلص للمؤمنين يوم القيامة وليس للكافرين فيها شئ وهو معنى قوله (خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات) أى نفسر ما أحللت وما حرمت (لقوم يعلمون) أنى أنا الله لا شريك لى (قل انما حرم ربى الفواحش) أى الكبائر والقبائح (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلانيتها (والاثم) يعنى المعصية التى توجب الاثم (والبغى) ظلم الناس وهو أن يطلب ما ليس له (وأن تشركوا بالله) أى تعدلوا به فى العبادة (ما لم ينزل به سلطانا) أى لم ينزل كتابا فيه حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من أنه حرم الحرث والأنعام والملائكة بنات الله (ولكل أمة أجل) أى وقت مضروب لعذابهم وهلاكهم (فاذا جاء أجلهم) للعذاب لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يعذبوا (يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى)

فعلهم قال ابن عباس ان أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف فى ثياب أصبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب وكانت المرأة منهم تتخذ سترا تعلقه على حقويها لتستتر به عن قريش فانهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانت بنو عامر لا يأكلون فى أيام حجهم من الطعام الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم فى أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة الله) من الثياب (التى أخرج) الزينة (لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (و) من حرم (الطيبات من الرزق) أى المستلذات من المآكل والمشارب (قل هى) أى الزينة والطيبات ثابتة (للذين آمنوا) بطريق الاصالة (فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لأنه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) أى لا يشاركهم فيها غيرهم قرأ نافع خالصة بالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر لمبتدا محذوف أى وهى خالصة والباقون بالنصب حال من الضمير المستكن فى الخبر (كذلك نفصل الآيات) أى مثل هذا التبيين نبين سائر الأحكام (لقوم يعلمون) أن الله واحد لا شريك له فأحلوا حلاله وحرموا حرامه (قل) للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم فى الطواف والذين يحرمون أكل الطيبات (انما حرم ربى الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى جهرها وسرها (والاثم) أى شرب الخمر (والبغى) أى الظلم على الناس (بغير الحق) فالقتل والقهر بالحق ليس بغيا (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى وأن تسووا بالله فى العبادة معبودا ليس على ثبوته حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه من التحريم والتحليل فالجنايات محصورة فى خمسة أنواع أحدها الجنايات على الأنساب وهى المرادة بالفواحش وثانيها الجنايات على العقول وهى المشار اليها بالاثم وثالثها الجنايات على النفوس والأموال والأعراض واليها الاشارة بالبغى ورابعها الجنايات على الأديان وهى من وجهين اما الطعن فى توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى وأن تشركوا بالله واما القول فى دين الله من غير معرفة واليه الاشارة بقوله تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذه الأشياء الخمسة أصول الجنايات وأما غيرها فهى كالفروع (ولكل أمة) كذبت رسولها (أجل) أى وقت معين لهلاكها (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أى فاذا جاء وقت هلاكهم لا يتركون بعد الأجل طرفة عين ولا يهلكون قبل الأجل طرفة عين فالجزاء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته والمعنى ان الوقت المحدود لا يتغير (يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أى يا بنى آدم ان يأتكم رسول من جنسكم بنى آدم يبين لكم أحكامى وشرائعى فمن اتقى كل منهى واتقى تكذيبه وأصلح عمله بأن يأتى كل مأمور فلا يخاف فى الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فاته فى الدنيا أما حزنه على عقاب الآخرة فيرتفع بما حصل له من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التى يجىء بها رسولنا (واستكبروا عنها) أى امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون أما الفاسق

أى فرائضى وأحكامى (فمن اتقى) أى اتقانى وخافنى (وأصلح) ما بينى وبينه (فلا خوف عليهم) اذا خاف الخلق فى القيامة (ولا هم يحزنون) اذا حزنوا

(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فجعل له ولدا وشريكا (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى ما كتب لهم من العذاب وهو سواد الوجوه و زرقة العيون (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يريد الملائكة أى يقبضون أرواحهم (قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله) سؤال تبكيت وتقريع (قالوا اضلوا عنا)  أى بطلوا وذهبوا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا عند معاينة الموت وأقروا على أنفسهم بالكفر (قيل ادخلوا) أى قال الله تعالى لهم ادخلوا النار مع (أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها) يعنى الامة التى سبقتها الى النار لأنهم ضلوا باتباعهم (حتى اذا اداركوا) أى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا (جميعا) فى النار (قالت أخراهم) أى آخرهم دخولا النار (لأولاهم) دخولا يعنى قالت الاتباع للقادة (ربنا هؤلاء أضلونا) لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلها (فآتهم عذابا ضعفا) أى أضعف عليهم العذاب بأشد ما تعذبنا به (قال) الله تعالى (لكل ضعف) أى للتابع والمتبوع عذاب مضاعف (ولكن لاتعلمون) ياأهل الدنيا مامقدار ذلك وقوله (فما كان لكم علينا من فضل) لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم فى الكفر سواء (ان الذين كذبوا بآياتنا) أى بحججنا التى تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن الايمان بها والانقياد لأحكامها (لاتفتح لهم أبواب السماء) أى لاتصعد أرواحهم ولا أعمالهم ولا شىء مما يدعون به الله الى السماء (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى ثقب الابرة يعنى أبدا (وكذلك) أى كما وصفنا (نجزى المجرمين) أى المكذبين بآيات الله ثم أخبر عن

---

من أهل الصلاة فلا يبقى مخلدا فى النار لأنه ليس موصوفا بذلك التكذيب والاستكبار (فمن أظلم) أى أعظم ظلما (ممن افترى على الله كذبا) أى كاثبات الشريك والولد اليه تعالى واضافة الأحكام الباطلة اليه تعالى (أو كذب بآياته) كانكار كون القرآن كتابا نازلا من عند الله تعالى وانكار نبوة محمد ﷺ (أولئك ينالهم) فى الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (يتوفونهم) أى حال كونهم قابضين أرواحهم (قالوا) لهم (أينما كنتم تدعون من دون الله) أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا ادعوها لتدفع عنكم مانزل بكم (قالوا ضلوا) أى غابوا (عنا) أى لاندرى مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أى وأقروا عند الموت بأنهم كانوا فى الدنيا عابدين لما لايستحق العبادة أصلا ولا تعارض بين هذا و بين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لأنه من طوائف مختلفة أو فى أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) أى ادخلوا فى النار فيما بين الأمم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين النوعين (كلما دخلت أمة) أى أهل دين فى النار (لعنت أختها) فى الدين وهى التى تلبست بذلك الدين قبلها فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس (حتى اذا اداركوا) أى اجتمعوا (فيها) أى النار (جميعا) وأدرك بعضهم بعضا واستقر معه (قالت أخراهم لأولاهم) أى قال آخر كل أمة لأولها (ربنا هؤلاء) أى الأولون (أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل (فآتهم عذابا ضعفا من النار) أى عذبهم مثل عذابنا مرتين (قال) تعالى لهم (لكل) منهم ومنكم (ضعف) فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر الى غير نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية أما القادة فلكفرهم واضلالهم وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم (ولكن لاتعلمون) قرأه أبو بكر عن عاصم بالغيبة أى ولكن لايعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر والباقون بالتاء على الخطاب ولكن لاتعلمون أيها السائلون مالكل فريق منكم من العذاب أو المعنى ولكن لاتعلمون ياأهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا من فضل) فى الدنيا أى انا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب لأنكم كفرتم اختيارا لأنا حملناكم على الكفر اجبارا فلا يكون عذابنا ضعفا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) أى تقولون وتعملون فى الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة للأتباع وأن يكون من قول الله تعالى للجميع (ان الذين كذبوا بآياتنا) أى بالدلائل الدالة على أصول الدين (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن الايمان بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) أى لاتفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشىء مما يريدون به طاعة الله ولا لأرواحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى كما يستحيل دخول الذكر من الابل فى خرق الابرة يستحيل دخول الكفار الجنة و يقال حتى يدخل القلس الغليظ وهو الحبل الذى تشد به السفينة فى خرق الابرة وكل ثقب ضيق فهو سم (وكذلك نجزى المجرمين) أى

ونجزى

ونجزي المشركين جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم الجنة وانما يدخلون النار بهذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أي للذين كذبوا واستكبروا من جهنم فراش من تحتهم ومن فوقهم أغطية وهذه الآية اخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف ﴿تنبيه﴾ تنوين غواش عوض من الياء المحذوفة على الصحيح فان الاعلال بالحذف مقدم على منع الصرف فأصله غواشي بتنوين الصرف فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت الياء ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الأصل فحذف تنوين الصرف خيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتي بالتنوين عوضا عنها فغواش المنون ممنوع من الصرف لان تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وانما كان الراجح تقديم الاعلال لان سببه ظاهر وهو الثقل وسبب منع الصرف خفي وهو مشابهة الفعل (وكذلك نجزي الظالمين) أي كالجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين نجزي الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا ما يسهل عليها من الأعمال وما يدخل في قدرتها ولا ضيق فيه عليها وقوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا والخبر لانه من جنس ما قبله فانه بيان أن ذلك العمل غير خارج عن قدرتهم وتنبيه على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعب (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي صفينا طباعهم من الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجري من تحتهم الانهار) أي تجري في الآخرة من تحت سررهم أنهار الخمر والماء والعسل واللبن زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) اذا بلغوا الى منازلهم أو الى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي للعمل الذي ثوابه هذا المنزل وهذه العين التي تجري من تحتنا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) أي لولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا الى الايمان والعمل الصالح قرأ ابن عامر ما كنا بغير واو كما في مصاحف أهل الشام وذلك لانه جار مجرى التفسير لقوله هدانا لهذا فلما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا القسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا تبجحا بما نالوه أي والله لقد جاءت رسل ربنا في الدنيا بالحق أي ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب صدق فقد حصل لنا عيانا (ونودوا) أي نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلكم الجنة) أي تلك الجنة التي وعدتكم الرسل بها في الدنيا فأن مفسرة لما في النداء وكذا في سائر المواضع الخمسة (أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعطيتموها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا فالجنة ومنازلها لا تنال الا برحمة الله تعالى فاذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته اذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل منه عليهم (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجحا بحالهم وتنديما لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم في محالهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على ألسنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وعلى طاعته (حقا فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أي

احاطة النار لهم من كل جانب فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) يعني لهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (وكذلك نجزي الظالمين) يعني الذين أشركوا بالله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها) أي الا ما تطيقه ولا تعجز عنه والمعنى لا نكلف نفسا منهم الا وسعها ثم أخبر بباقي الآية عما لهم فقال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا (تجري من تحتهم) أي من تحت منازلهم وقصورهم (الأنهار) فاذا استقروا في منازلهم (قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي هدانا لما صيرنا الى هذا الثواب من العمل الذي أدى اليه وأقروا أن المهتدي من هداه الله بقوله (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وحين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا قالوا (لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة) أي قيل لهم هذه تلكم الجنة التي وعدتم (أورثتموها) أي أورثتم منازل أهل النار فيها لو عملوا لطاعة الله (بما كنتم تعملون) أي توحدون الله وتطيعونه (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) في دار الدنيا من الثواب (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العذاب (حقا) وهذا سؤال تعيير وتقرير فأجاب أهل النار أي (قالوا

أهل النار مجيبين لأهل الجنة (نعم) قرأ الكسائى نعم بكسر العين فى كل القرآن (فأذن مؤذن) قيل هو اسرافيل وقيل جبريل (بينهم) أى نادى مناد أسمع الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس من قبول الدين الحق تارة بالزجر والقهر وأخرى بسائر الحيل قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم أن لعنة بتخفيف أن ورفع لعنة والباقون بالتشديد و بالنصب (ويبغونها عوجا) أى يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك فى دلائل الدين الحق (وهم بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (كافرون) أى جاحدون (وبينهما) أى بين الجنة والنار أو بين أهلهما (حجاب) أى سور (وعلى الأعراف) أى أعالى ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (رجال) قيل هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لآبائهم وقيل هم قوم كان فيهم عجب وقيل هم قوم كان عليهم دين فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الأعراف أقوام يكونون فى الدرجة النازلة من أهل الثواب وقيل انهم الاشراف من أهل الثواب وقيل انهم الأنبياء وانما أجلسهم الله على ذلك المكان العالى تمييزا لهم على سائر أهل القيامة وقيل انهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الايمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا الى الدرجات وأهل العقاب وصلوا الى الدركات كما قال تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة وأهل النار زيادة على معرفتهم بكونهم فى الجنة وكونهم فى النار (بسيماهم) أى بعلامتهم التى أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده وقيل ان أصحاب الاعراف كانوا يعرفون المؤمنين فى الدنيا بظهور علامات الايمان والطاعات عليهم و يعرفون الكافرين فى الدنيا أيضا بظهور علامات الكفر والفسق عليهم فاذا شاهدوا أولئك الأقوام فى محفل القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التى شاهدوها عليهم فى الدنيا (ونادوا) أى رجال الأعراف (أصحاب الجنة) أى حين رأوهم (أن سلام عليكم) يا أهل الجنة وهذا بطريق التحية والدعاء أو بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون) حال من فاعل يدخلوها أى لم يدخل رجال الأعراف الجنة وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وقيل قوله لم يدخلوها مستأنف لانه جواب سؤال سائل عن رجال الأعراف فقال ماصنع بهم فقيل لم يدخلوها ولكنهم يطمعون فى دخولها وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أى وهم يعلمون أنهم سيدخلون الجنة (واذا صرفت أبصارهم) أى رجال الأعراف بغير قصد (تلقاء أصحاب النار) أى الى جهتهم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى فى أن لا يجعلهم من زمرتهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف عن التقليد الردىء (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا) أى أصحاب الاعراف لهم وهم فى النار يا وليد بن المغيرة و يا أباجهل بن هشام و يا أمية بن خلف و يا ابن خلف الجمحى و يا أسود بن عبد المطلب و يا سائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أى أى شىء دفع عنكم جمعكم فى الدنيا من المال والخدم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق وعلى الناس المحقين وقرىء تستكثرون أى من الأموال والجند ثم زادوا على هذا التبكيت بقولهم (أهؤلاء) الضعفاء الذين عذبتموهم فى الدنيا كصهيب و بلال وسلمان وخباب وعمار وأشباههم (الذين أقسمتم) أى حلفتم فى الدنيا يا معشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلهم الله الجنة وقد

الظالمين الذين يصدون) أى يمنعون (عن سبيل الله) دين الله وطاعته (و يبغونها عوجا) أى و يطلبونها بالصلاة لغير الله وتعظيم مالم يعظمه (و بينهما) أى و بين أهل الجنة وأهل النار (حجاب) أى حاجز وهو سور الاعراف (وعلى الأعراف) يريد سور الجنة (رجال) وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسوادها وذلك أن موضعهم عال مرتفع فهم يرون الفريقين (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى اذا نظروا الى الجنة سلموا على أهلها (لم يدخلوها) يعنى أصحاب الاعراف (وهم يطمعون) أى فى دخولها (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) أى جهة لقائهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء المشركين فيقولون لهم (ما أغنى عنكم جمعكم) المال واستكثاركم منه (وما كنتم تستكبرون) عن عبادة الله ثم يقسم أصحاب النار أن أصحاب الاعراف داخلون معهم النار فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الاعراف (أهؤلاء الذين أقسمتم) يا أهل النار (لا ينالهم الله برحمة)

دخلوا الجنة على رغم أنوفكم وقد قيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل الله فهذا من بقية كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الاشارة أى أهؤلاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة فظهر كذبكم فى اقسامكم و يدل على ذلك قراءتان شاذتان ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا وعلى هاتين القراءتين تقع هذه الجملة خبرا والتقدير دخلوا الجنة مقولا فى حقهم (لاخوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف لما قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوا الجنة فلما عيروهم بذلك قيل لأهل الأعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى هذا فالمراد بأصحاب الاعراف المقصرون فى العمل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى ألقوا (علينا من الماء أو مما رزقكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بضريع لايسمن ولايغنى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب و يستغيثون فيدفع اليهم الحميم والصديد فيقطع ما فى بطونهم و يستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية و يقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بعد ألف عام و يقولون ربنا أخرجنا منها فيجيبهم بقوله تعالى اخسأوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير و يأخذون فى الزفير والشهيق (قالوا) أى أهل الجنة (ان الله حرمهما على الكافرين) أى منعهم من طعام الجنة وشرابها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الاعرف الى الجنة طمع أهل النار بالفرج بعد اليأس فقالوا يارب ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم و ينظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول ياأبى و ياأخى قد احترقت بشدة حر جهنم أفض على من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم لهوا) أى باطلا (ولعبا) أى فرحا فاللهو صرف الهم الى مالايحسن أن يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلتهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فاليوم) أى يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) أى نتركهم فى عذابهم تركا مثل تركهم العمل للقاء يومهم هذا أو المعنى نعاملهم معاملة من نسى فنتركهم فى النار لأنهم أعرضوا بآياتنا والمراد من هذا النسيان أنه تعالى لايجيب دعاءهم ولا يرحمهم (وما كانوا بآياتنا يجحدون) أى ولكونهم منكرين بآياتنا انها من عندنا وذلك يدل على ان حب الدنيا مبدأ كل آفة وقد يؤدى الى الضلال والكفر (ولقد جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى بقرآن أنزلناه عليك يا أكرم الرسل (فصلناه على علم) أى ميزناه مشتملا على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم الانواع التسعة فى قوله

حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

وقرأ الجحدرى وابن محيصن بالضاد المعجمة أى فضلناه على غيره من الكتب السماوية عالمين بفضله (هدى ورحمة) أى هاديا من الضلالة الى الرشد وذا رحمة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون الا تأويله) أى ماينتظر أهل مكة اذ لايؤمنون الا عاقبة ما وعدوا به فى القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة (يوم يأتى تأويله) أى يوم يأتى عاقبة ما وعد لهم فى القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أى أعرضوا

ثم يقولون لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ) يعنى الطعام وهذا يدل على جوعهم وعطشهم (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) تحريم منع ( الذين اتخذوا دينهم ) الذى شرع لهم (لهوا ولعبا) يعنى المستهزئين المقتسمين (فاليوم ننساهم) نتركهم فى جهنم (كما نسوا لقاء يومهم) أى كما تركوا العمل لهذا اليوم ( وما كانوا بآياتنا يجحدون) أى وكما جحدوا بآياتنا ولم يصدقوا بها (ولقد جئناهم ) يعنى المشركين ( بكتاب ) هو القرآن (فصلناه) أى بيناه (على علم) فيه يعنى ما أودع من العلوم و بيان الاحكام (هدى) أى هاديا (ورحمة) أى وذا رحمة (لقوم يؤمنون) أى لقوم أريد به هدايتهم وايمانهم (هل ينظرون ) أى ينتظرون يعنى كأنهم ينتظرون ذلك لأنه يأتيهم لامحالة ( الا تأويله ) أى عاقبة ما وعد الله فى الكتاب من البعث والنشور (يوم يأتى تأويله ) وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه

عنه (من قبل) أى من قبل اتيان مايؤول اليه أمره وهو صدقه بما أخبر به والمعنى ان هؤلاء الذين تركوا الايمان بالقرآن فى الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وكذبناهم أى انهم أقروا يوم القيامة بأن ماجاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشر والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أو نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) أى لما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا الاطريق لنا الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد الا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو ان يردنا الله تعالى الى الدنيا حتى نوحد الله تعالى بدلا عن الكفر ونطيعه بدلا عن المعصية وقرئ شاذا بنصب نرد اما عطفا على يشفعوا فالمسؤول أن يكون لهم شفعاء لأحد الأمرين اما لدفع العذاب أو للرد الى الدنيا واما بناء على ان أو بمعنى الى أى فالمطلوب أن يكون لهم شفعاء للرد الى الدنيا فقط وقرئ شاذة برفع فنعمل أى فنحن نعمل فى الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم ماكانوا يفترون) أى وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون أن الأصنام التى كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعاؤهم عنده يوم القيامة (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) والمقصود من هذا الكلام أنه تعالى وان كان قادرا على ايجاد جميع الأشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شئ حدا محدودا ووقتا مقدرا فلا يدخله فى الوجود الا على ذلك الوجه فهو تعالى وان كان قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين فى الحال وعلى ايصال العقاب الى المذنبين فى الحال الا أنه يؤخرهما الى أجل معلوم مقدر فهذا التأخير ليس لأجل انه تعالى أهمل العباد بل لانه تعالى خص كل شئ بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من أنه تعالى انما خلق العالم فى ستة أيام ليعلم عباده الرفق فى الامور والصبر فيها ولاجل أن لا يحمل المكلف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أى حصل له تعالى تدبير المخلوقات على ما أراد أى بعد ان خلق السموات والارض استوى على عرش الملك والجلال وصح أن يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض بمعنى أنه انما ظهر تصرفه فى هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض وذلك لان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرش السلطان أى انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ماقاله القفال ونظير هذا قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذى يكثر الضيافة فلان كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيبا وليس المراد فى شئ من هذه الالفاظ اجراؤها على ظواهرها وانما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا هنا فالمراد بذكر الاستواء على العرش هو نفاذ القدرة وجريان المشيئة. والواجب علينا أن نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى (يغشى الليل النهار) أى يأتى بالليل على النهار فيغطيه واللفظ يحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية حفص يغشى بتخفيف الشين وهكذا فى الرعد وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية أبى بكر بالتشديد وكذا فى الرعد وقرأ حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح ياء يغشى ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل (يطلبه حثيثا) أى يطلب كل من الليل والنهار الآخر طلبا سريعا فأخبر الله تعالى بما فى تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة فان بتعاقبهما يتم أمر الحياة وتكمل المنفعة والمصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى مذللات

من قبل) أى تركوا الايمان به والعمل له من قبل اتيانه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى بالصدق والبيان (فهل لنا من شفعاء) أى هل يشفع لنا شافع (أو) هل (نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) أى نوحد الله ونترك الشرك يقول الله تعالى (قد خسروا أنفسهم) حين صاروا الى الهلاك (وضل عنهم ماكانوا يفترون) أى سقط عنهم ماكانوا يقولون ان مع الله الها آخر (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من الاحد الى السبت واجتمع الخلق فى الجمعة (ثم استوى على العرش) أى أقبل على خلقه وقصد الى ذلك بعد خلق السموات والارض (يغشى الليل النهار) أى يلبسه ويدخله عليه (يطلبه حثيثا) أى يطلب الليل النهار دائبا لاغفلة له (والشمس) أى وخلق الشمس (والقمر والنجوم مسخرات) أى مذللات لنا يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع

لطلوع

لطلوع وغروب ومسير ورجوع باذنه وقرأ ابن عامر برفع الأربعة على الابتداء والخبر والباقون بنصب الثلاثة عطفا على السموات ونصب مسخرات على الحال من هذه الثلاثة (ألا له الخلق) أى المخلوقات (والأمر) أى التصرف فى الكائنات وفى هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم (تبارك الله رب العالمين) أى كثر خير الله مالك العالمين وتعالى بالوحدانية فى الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى متذللين ومسرين والتضرع اظهار ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحكيم الترمذى ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العمل صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا عن شائبة الرياء كان الأولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (انه لا يحب المعتدين) أى المجاوزين بترك هذين الأمرين التضرع والاخفاء أى انه تعالى لا يثيبه البتة ولا يحسن اليه وعن النبى ﷺ سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا فى الأرض) أى كافساد النفوس بالقتل وقطع الأعضاء وافساد الأموال بنحو الغصب وافساد الأديان بالكفر والبدعة وافساد الأنساب بسبب الاقدام على نحو الزنا وبسبب القذف وافساد العقول بنحو تناول المسكرات (بعد اصلاحها) بسبب ارسال الأنبياء وانزال الكتب وقيل بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب فان الله تعالى يمسك المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) أى ذوى خوف نظرا الى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم مطلوبكم وذوى طمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه وهذه الآية بيان فائدة الدعاء ومنفعته ففائدة الدعاء أحد هذين الامرين أما الآية الاولى فهى بيان شرط صحة الدعاء وهى لابد أن يكون الدعاء مقرونا بالتضرع وبالاخفاء والداعى لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة فى قبول ذلك الدعاء وطامعا فى حصول تلك الشرائط بأسرها ومعنى قوله تعالى خوفا وطمعا أى حال كونكم جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى كل أعمالكم فلا تقطعوا انكم أديتم حق ربكم وان اجتهدتم (ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالقول والفعل ومن الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالخوف والطمع وكل من حصل له الاقرار والمعرفة كان من المحسنين كالصبى اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر وكصاحب الكبيرة من أهل الصلاة (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على لفظ الواحد والباقون الرياح على الجمع قرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين جمع بشير أى مبشرات وقرئ بفتح الباء بمعنى باشرات وقرأ حمزة والكسائى نشرا بالنون المفتوحة وبسكون الشين بمعنى ناشرة للسحاب أو بمعنى منشورة فكأن الرياح كانت مطوية فأرسلها الله منشورة بعد انطوائها وهى كناية عن اتساعها وقرأ ابن عامر بضم النون واسكان الشين وقرأ الباقون بضم النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أى مفرقة من كل جانب أو طيبة لينة تنشر السحاب والريح هواء متحرك يمنة ويسرة وهى أربعة الصبا وهى الشرقية فتحرك السحاب والدبور وهى الغربية تفرقه والشمال التى تهب من تحت القطب الشمالى تجمعه والجنوب وهى التى تكثر ارسال المطر وعن النبى ﷺ قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة (حتى اذا أقلت سحابا ثقالا) أى حتى اذا رفعت هذه الرياح سحابا ثقيلا بالماء (سقناه) أى السحاب (لبلد ميت) أى الى مكان لا نبات فيه لعدم الماء (فأنزلنا به) أى فى ذلك البلد (الماء فأخرجنا به) أى

(ألا له الخلق) يعنى ان جميع مافى العالم مخلوق له (والأمر) أى وله الأمر فيهم يأمر بما يشاء (تبارك الله) تمجد وتعظم وارتفع وتعالى (ادعوا ربكم تضرعا) أى تملقا (وخفية) أى سرا (انه لا يحب المعتدين) أى المجاوزين ما أمروا به (ولا تفسدوا فى الأرض) أى بالشرك والمعاصى وسفك الدماء (بعد اصلاحها) أى بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسول (وادعوه خوفا) من عقابه (وطمعا) فى ثوابه (ان رحمة الله) أى ثواب الله (قريب من المحسنين) وهم الذين يطيعون الله فيما أمر (وهو الذى يرسل الرياح نشرا) أى طيبة لينة من النشر وهو الرائحة الطيبة وقيل متفرقة من كل جانب بمعنى المنتشرة (بين يدى رحمته) أى قدام مطره (حتى اذا أقلت) أى حملت هذه الرياح (سحابا ثقالا) أى بما فيها من الماء (سقناه) يعنى السحاب (لبلد ميت) أى مكان ليس فيه نبات (فأنزلنا به) أى بذلك البلد (الماء فأخرجنا به) أى بذلك الماء

بذلك الماء أو فى ذلك البلد (من كل الثمرات) فالله تعالى انما يخلق الثمرات بواسطة الماء وقال أكثر المتكلمين ان الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى أجرى عادته بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب (كذلك نخرج الموتى) أى كما يخلق الله النبات بواسطة الأمطار فكذلك يحيى الله الموتى بواسطة مطر ينزله على تلك الأجسام الرميمة وروى أنه تعالى يمطر على أجساد الموتى فيما بين النفختين مطرا كالمنى أربعين يوما وأنهم يصيرون عند ذلك أحياء وقيل المعنى انه تعالى كما أحيا هذا البلد بعد خرابه فأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر فكذلك يحيى الموتى ويخرجهم من الأجداث بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا الكلام اقامة الدلالة على أن البعث والقيامة حق (لعلكم تذكرون) أى لكى تعتبروا أيها المنكرون للبعث وتتذكروا أن القادر على احياء هذه الأرض بالأشجار المزينة بالأزهار والثمار بعد موتها قادر على أن يحيى الأجساد بعد موتها (والبلد الطيب) أى المكان الذى ليس بسبخة (يخرج نباته باذن ربه) أى بارادة ربه وتيسيره كذلك المؤمن يؤدى ما أمر الله طوعا بطيبة النفس (والذى خبث) أى المكان السبخة (لايخرج) أى نباته (الا نكدا) أى بتعب وكذلك المنافق لايؤدى ما أمر الله الا كرها بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الأرض السبخة يقل نفعها ومع ذلك ان صاحبها لايتركها بل يتعب نفسه فى اصلاحها طمعا منه فى تحصيل ما يليق بها من المنفعة فالطلب للنفع العظيم فى الدار الآخرة بالمشقة فى أداء الطاعات أولى من طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة (كذلك) أى مثل ذلك التصريف (نصرف الآيات) أى نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) واسم نوح عبد الغفار وهو ابن لمكا بن متوشلخ بن أخنوخ وسمى نوحا اما لدعوته على قومه بالهلاك أو لمراجعته ربه فى شأن ولده كنعان أو لأنه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ ياقبيح فأوحى الله اليه أعبتنى أم عبت الكلب فكثر نوحه على نفسه لذلك (فقال ياقوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده (مالكم من إله) أى من مستحق للعبادة (غيره) قرأ الكسائى بالجر على أنه نعت لاله باعتبار لفظه والباقون بالرفع صفة له باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالنصب على الاستثناء بمعنى مالكم من إله الا اياه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى انى أعلم ان العذاب ينزل بكم اما فى الدنيا أو فى الآخرة ان لم يقبلوا ذلك الدين (قال الملأ من قومه) أى قال الكبراء الذين جعلوا أنفسهم أضداد الأنبياء (انا لنراك) يانوح (فى ضلال مبين) فى المسائل الأربع وهى التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد (قال ياقوم ليس بى ضلالة) أى ليس بى نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكنى رسول) اليكم (من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى) قرأ أبو عمرو بسكون الباء (وأنصح لكم) فتبليغ الرسالة هو أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه والنصيحة هى أن يرغبهم فى الطاعات ويحذرهم عن المعاصى بأبلغ الوجوه (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى انكم ان عصيتم أمره عاقبكم فى الدنيا بالطوفان وفى الآخرة بعقاب شديد خارج عما تتصوره عقولهم (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) أى أاستبعدتم وعجبتم من أن جاءكم وحى من مالك أموركم على لسان رجل من جنسكم أى فانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لينذركم) أى لأجل أن يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) عبادة غير الله (ولعلكم ترحمون) أى ولكى ترحموا فلا تعذبوا وهذا الترتيب فى غاية الحسن فان المقصود من البعثة الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل مالا ينبغى والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة فى دار الآخرة (فكذبوه) أى نوحا فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف من الله وأصروا على ذلك التكذيب

(من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى) أى نحيى الموتى مثل ذلك الاحياء الذى وصفناه فى البلد الميت (لعلكم تذكرون) أى لعلكم بما بينا تتعظون فتستدلون على توحيد الله وقدرته على البعث ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال (والبلد الطيب) يعنى العذب التراب (يخرج نباته باذن ربه) وهذا مثل للمؤمن يسمع القرآن فينتفع به ويحسن أثره عليه (والذى خبث) ترابه وأصله (لايخرج الا نكدا) عسرا مبطئا وهو مثل الكافر يسمع القرآن ولايؤثر فيه أثرا محمودا كالبلد الخبيث لايؤثر فيه المطر (كذلك نصرف الآيات) أى نبينها (لقوم يشكرون) أى نعم الله ويطيعونه (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) ظاهر الى قوله (وأنصح لكم) أى أدعوكم الى مادعانى الله اليه (وأعلم من الله مالا تعلمون) من انه غفور لمن رجع عن معاصيه وان عذابه أليم لمن أصر عليها (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أى موعظة من الله (على رجل) أى على لسان رجل (منكم) تعرفون نسبه وقوله

تلك المدة المتطاولة (فأنجيناه والذين معه في الفلك) من الغرق والعذاب وكان من صحبوه في الفلك أربعين رجلا وأربعين امرأة روي ان نوحا عليه السلام صنع السفينة بنفسه في عامين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحوش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطير وركبها في عاشر رجب ونزل منها في عاشر المحرم (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي برسولنا نوح بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد (والى عاد أخاهم) أي وأرسلنا الى عاد الأولى واحدا منهم في النسب لا في الدين (هودا) أما عاد الثانية وهم ثمود فقوم صالح و بينهما مائة سنة (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من إله غيره أفلا تتقون) أي أتغفلون فلا تتقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما لم يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا (قال الملأ) أي الرؤساء (الذين كفروا من قومه) وانما قال هنا الذين كفروا من قومه لأن الملأ من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مرثد بن أسعد أسلم وكان يكتم ايمانه بخلاف الملأ من قوم نوح فكلهم أجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن أحد منهم مؤمنا في أول دعائهم الى الايمان (انا لنراك في سفاهة) أي انا نتيقنك ياهود متمكنا في خفة عقل حيث فارقت دين آبائك فان هودا نهاهم عن عبادة الأصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك من الكاذبين) في ادعاء الرسالة (قال ياقوم ليس بي سفاهة) أي ليس بي شيء مما تنسبونني اليه (ولكني رسول من رب العالمين) أي فانه بي غاية من الرشد والصدق (أبلغكم رسالات ربي) بالأمر والنهي (وأنا لكم ناصح) أي أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى الايمان والتوبة (أمين) أي موثوق على رسالة ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فكأن هودا قال لهم كنت قبل هذه الدعوى أمينا فيكم ما وجدتم مني غدرا ولا مكرا ولا كذبا واعترفتم لي بكوني أمينا فكيف نسبتموني الآن الى الكذب (أوعجبتم أن جاءكم ذكر) أي أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أي على لسان آدمي مثلكم (لينذركم) أي ليحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) بأن أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع والمصالح أو جعلكم ملوكا في الأرض فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج الى شجر عمان (وزادكم في الخلق) أي في الناس (بسطة) وهي مقدار ما تبلغه يد الانسان ففضلوا على أهل زمانهم بهذا القدر أو المراد انهم متشاركون في القوة والشدة ولأن بعضهم يكون ناصرا للبعض الآخر وأزال العداوة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصح ان يقال انهم زادوا في الخلق بسطة قرأ نافع والبزي وشعبة والكسائي بالصاد وأبو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسين وابن ذكوان وخلاد بهما (فاذكروا آلاء الله) أي نعماء الله عليكم واعملوا عملا يليق بتلك الانعامات (لعلكم تفلحون) أي لكي تنجوا من الكروب وتفوزوا بالمطلوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة (أجئتنا) ياهود (لنعبد الله وحده) أي لنخصه بالعبادة (ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام (فأتنا بما تعدنا) أي بما تهددنا من العذاب بقولك أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) في اخبارك بنزول العذاب وغرضهم بذلك القول اذا لم يأتهم هود بذلك العذاب ظهر للقوم كونه كاذبا (قال) أي هود (قد وقع عليكم من ربكم رجس) أي رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لالفكم الكفر (وغضب) أي عذاب (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (سميتموها) أي سميتم بها (أنتم وآباؤكم) أصناما فانهم سموا الأصنام بالآلهة مع ان معنى الألوهية فيها معدوم (ما نزل الله بها)

(انهم كانوا قوما عمين) أي عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته (والى عاد) أي وأرسلنا الى عاد (أخاهم) أي ابن أبيهم (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) أي وحدوه (مالكم من إله غيره أفلا تتقون) أفلا تخافون نقمته (قال الملأ) أي الرؤساء والجماعة (الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة) أي حمق وجهل (وانا لنظنك من الكاذبين) أي فيما جئت به من ادعاء النبوة وقوله (ناصح أمين) أي على الرسالة لا أكذب فيها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي استخلفكم في الأرض بعد هلاكهم (وزادكم في الخلق بسطة) أي فضيلة في الطول (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله عليكم (لعلكم تفلحون) أي كي تسعدوا وتبقوا في الجنة وقوله (فأتنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) أي أن العذاب نازل بنا (قال قد وقع) وجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) أي عذاب وسخط (أتجادلونني في أسماء سميتموها) كانت لهم أصنام سموها أسماء مختلفة فلما دعاهم الرسول الى التوحيد استنكروا عبادة الله وحده (ما نزل الله بها

أى بعبادتها (من سلطان) أى برهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وان الأصنام لو استحقت العبادة كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو نصب دليل وقوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان عبارة عن خلو مذاهبهم عن الحجة والبينة (فانتظروا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام وهو ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا (انى معكم من المنتظرين) لما يحل بكم (فأنجيناه) أى هودا (والذين معه) فى الدين (برحمة) عظيمة (منا) أى من جهتنا (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلنا الذين كذبوا برسولنا هود (وما كانوا مؤمنين) أى ما أبقينا أحدا من الذين لا يؤمنون فلو علم الله أنهم سيؤمنون لأبقاهم وقصتهم أن عادا قوم كانوا باليمن بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموا أحدها صمودا والآخر صداء والآخر هباء فبعث الله تعالى اليهم هودا وكان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فلما توجهوا الى البيت الحرام وهم سبعون رجلا من أماثلهم منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية اسم احداهما وردة والأخرى جرادة فلما رأى معاوية ذهولهم باللهو عما قدموا له أحزنه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى واستحيى ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

ومعنى فهينم أى أخف الدعاء والغمام هنا المطر فلما غنتا به أزعجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيا كم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يسمى وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم وهى باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان ابتداء مجيئها فى صبيحة الأربعاء فى الحادى والعشرين من شوال فى آخر الشتاء وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها الى أن ماتوا. وروى عن على رضى الله عنه أن قبر هود بحضرموت فى كثيب أحمر (والى ثمود أخاهم) أى وأرسلنا الى ثمود أخاهم فى النسب لا فى الدين (صالحا) وثمود قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) أى شاهدة بنبوتى وهى الناقة (من ربكم) خلقها بلا واسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على رسالة الله واضافة الناقة الى الله لتعظيمها وتخصيصها كما يقال بيت الله أو لأنها لا مالك لها غير الله أو لأنها حجة الله على القوم. ووجه كونها آية لخروجها من

من سلطان) أى من حجة وبرهان لكم فى عبادتها (فانتظروا) العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلك فى تكذيبكم اياى وقوله

الجبل

الجبل لا من ذكر وأنثى ولكمال خلقتها من غير تدريج وناقة الله عطف بيان لهذه أو مبتدأ ثان ولكم خبر عامل في آية في نصبها على الحال ويجوز أن يكون عامل الحال معنى التنبيه أو معنى الاشارة وجملة قوله هذه ناقة الله لكم آية في محل رفع بدل من قوله بينة لانها مفسرة له وجاز ابدال جملة من مفرد لانها في معناه (فذروها) أي فاتركوها (تأكل في أرض الله) في الحجر أي الناقة ناقة الله والأرض أرض الله فاتركوها تأكل في أرض ربها ما تأكل فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم (ولا تمسوها بسوء) أي ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الأذى اكراما لآية الله تعالى (فيأخذكم عذاب أليم) أي بسبب أذاها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي فلما أهلك الله عادا عمر ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا (وبوأكم في الأرض) أي أنزلكم في أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) أي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر للصيف وسميت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وحبسهم عن نيلها (وتنحتون الجبال بيوتا) أي وتنقبون في الجبال بيوتا للشتاء وذلك لطول أعمارهم فان السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلثمائة سنة الى ألف سنة كقوم هود (فاذكروا آلاء الله) أي نعمة الله عليكم بعقولكم فانكم متنعمون مترفهون (ولا تعثوا في الارض مفسدين) أي ولا تعملوا في الارض شيئا من أنواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم) أي قال الجماعة الذين تكبروا عن الايمان بصالح للمساكين الذين آمنوا به فقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل وضمير منهم راجع لقومه أي قالوا للمؤمنين الذين استرذلوهم بطريق الاستهزاء بهم (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) أي نحن مصدقون بما جاء به صالح (قال الذين استكبروا) عن امتثال أمر ربهم وهو الذي أوصله الله اليهم على لسان صالح بقوله فذروها تأكل في أرض الله (انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة) أي قتلها قدار بن سالف بأمرهم في يوم الأربعاء فقال لهم صالح ان آية العذاب أن تصبحوا غدا صفرا ثم أن تصبحوا في يوم الجمعة حمرا ثم أن تصبحوا يوم السبت سودا ثم يصبحكم العذاب يوم الأحد (وعتوا عن أمر ربهم) أي ارتفعوا فأبوا عن قبول أمر ربهم الذي أمرهم صالح (وقالوا) استهزاء (ياصالح ائتنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من المرسلين) فانهم كذبوا صالحا في قوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في بلدهم خامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب من غير اضطراب ولا حركة روي أنه تعالى لما أهلك عادا اقام ثمود مقامهم وطال عمرهم وكثر تنعمهم ثم عصوا الله وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم صالحا وكان منهم فطالبوه بالمعجزة فقال ما تريدون فقالوا تخرج معنا في عيدنا ونخرج أصنامنا فتسأل الهك ونسأل أصنامنا فاذا ظهر أثر دعائك اتبعناك وان ظهر أثر دعائنا اتبعتنا فخرج معهم ودعوا أوثانهم فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو لصالح عليه السلام وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لتلك الصخرة كاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة كبيرة جوفاء وبراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم المواثيق أنه ان فعل ذلك آمنوا فقبلوا فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الحامل ثم انفرجت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء وكانت في غاية الكبر ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه وأراد

(فذروها تأكل في أرض الله) أي سهل الله عليكم أمرها فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها وقوله (وبوأكم في الارض) أي أسكنكم وجعل لكم فيها مساكن (تتخذون من سهولها قصورا) أي تبنون القصور بكل موضع (وتنحتون من الجبال بيوتا) يريد بيوتا في الجبال يسقفونها فكانوا يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف (قال الملأ) وهم الأشراف (الذين استكبروا من قومه) عن عبادة الله (للذين استضعفوا) يريد المساكين (لمن آمن منهم) بدل من قوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم لانهم المؤمنون (فعقروا الناقة) أي نحروها (وعتوا عن أمر ربهم) أي عصوا الله وتركوا أمره في الناقة (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (فأخذتهم الرجفة) وهي الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أي بلدهم (جاثمين) أي خامدين ميتين

أشراف ثمود أن يؤمنوا به فنهاهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترده غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل مافيها ثم تفرج بين رجليها فيحلبون ماشاءوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فيهرب منها أنعامهم واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادى فتهرب مواشيهم فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة وصدقة لما أضرت به من مواشيهم فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فرقى ولدها جبلا مسمى بقارة فرغا ثلاثا وقال صالح عليه السلام لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع واشتد الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم وهلكوا (فتولى عنهم) أى خرج صالح من بينهم قبل موتهم (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) أى بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك كما قال (ولكن لاتحبون الناصحين) أى لم تطيعوا الناصحين بل تستمروا على عداوتهم وروى أن صالحا خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا ابن هاران الى قومه أى فأرسله الله تعالى الى أهل سدوم وهى بلد بحمص (اذقال لقومه) أى وقت قوله لهم فارساله اليهم لم يكن فى أول وصوله اليهم (أتأتون الفاحشة) أى أتفعلون اللواطة (ماسبقكم بها) أى بهذه الفاحشة (من أحد من العالمين) قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فألح عليهم فقصدوهم فأصابوا غلمانا حسانا فاستحكم فيهم ذلك (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أى انكم لتأتون أدبار الرجال لمجرد الشهوة لا للولد ولا للألفة متجاوزين فروج النساء اللاتى هن محال الاشتهاء وقرأ نافع وحفص عن عاصم انكم بهمزة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف وهو بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن كثير بهمزتين بدون ألف بينهما وبتسهيل الثانية وأبو عمرو كذلك لكنه أدخل الألف بينهما وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مد والباقون بتحقيقهما من غير مد بينهما على الأصل وهذا الاستفهام معناه الانكار (بل أنتم قوم مسرفون) أى مجاوزون الحلال الى الحرام وأنتم قوم عادتكم الزيادة فى كل عمل (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) أى ما كان جوابا من جهة قومه شىء من الأشياء فى المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينه وبينهم الا قولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الأمور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام (أخرجوهم) أى لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريتكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أدبار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه (فأنجيناه) أى لوطا (وأهله) وهم بنتاه (الا امرأته) الكافرة واسمها واهلة (كانت من الغابرين) أى الباقين فى ديارهم فهلكت فى العذاب مع الهالكين فيها لانها تسر الكفر موالية لأهل سدوم وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى الله له الارض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم وهو فى فلسطين (وأمطرنا عليهم مطرا) أى وأرسلنا عليهم ارسال المطر آجرا محروقا معجونا بالكبريت والنار قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء

(فتولى) أى أعرض (عنهم) صالح بعد نزول العذاب بهم (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) أى خوفتكم عقاب الله وهذا كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى بدر (ولوطا) يعنى وأرسلنا لوطا أى واذكر لوطا (اذقال لقومه أتأتون الفاحشة) يعنى اتيان الذكران (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) قالوا مايرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) يعنى لوطا وأتباعه (انهم أناس يتطهرون) أى عن اتيان الرجال فى أدبارهم (فأنجيناه وأهله) أى ابنتيه (الا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقين فى عذاب الله (وأمطرنا عليهم مطرا) يعنى حجارة

ثم

(والى مدين) وهم قبيلة من ولد ابراهيم عليه السلام (قد جاءتكم بينة من ربكم) أى موعظه (فأوفوا الكيل والميزان) أى أتموهما وكانوا أهل كفر وبخس للمكيال والميزان (ولا تفسدوا فى الارض) أى لاتعملوا فيها بالمعاصى بعد أن أصلحها الله ببعثه شعيبا والأمر بالعدل (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أى لاتقعدوا على طريق الناس تخوفون أهل الايمان بشعيب بالقتل ونحو ذلك (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أى وتصرفون عن الاسلام من آمن بشعيب (وتبغونها عوجا) أى تلتمسون لها الزيغ (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) أى بعد القلة وأعزكم بعد الذلة وذلك أنه كان مدين بن ابراهيم زوجته ريثا بنت لوط فولدت حتى كثر عدد أولادها (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا

ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة وقيل المعنى وأنزلنا على الخارجين من المدائن الخمسة حجارة من السماء معلمة عليها اسم من يرمى بها وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) أى فانظر يامن يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع فى النزول على من يعمل ذلك العمل المخصوص وكيف أسقط مدائنها مقلوبة الى الارض (والى مدين أخاهم) أى وأرسلنا الى أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أخاهم فى النسب لافى الدين (شعيبا) بن ميكيل وقيل شعيب بن ثويب بن مدين بن ابراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفر وبخس للمكيال والميزان (ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) أى معجزة (من ربكم) دالة على رسالة الله وعلى صدق ماجئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه الى موسى وتلك العصا حاربت التنين وأنه قال لموسى ان هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد فى أوائلها و بياض فى أواخرها وقد وهبتها منك فكان الأمر كما أخبر عنه وأنه وقع على يده عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام وقيل ان المراد بالبينة نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الكيل والميزان) أى أتموا كيل المكيال ووزن الميزان (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) أى ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بطريق الحيل وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيئا الامكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا فى الأرض) بالمعاصى (بعد اصلاحها) بعد أن أصلحها الله بتكثير النعم فيها قال ابن عباس كانت الارض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها المعاصى وتستحل فيها المحارم وتسفك فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض وكل نبى يبعث الى قومه فهو صلاحهم وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى أصلين أحدهما التعظيم لأمر الله ويدخل فيه الاقرار بالتوحيد والنبوة وثانيهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك البخس وترك الافساد (ذلكم) أى هذه الأمور الخمسة (خير لكم) مما أنتم فيه فى طلب المال لأن الناس اذا علموا منكم الوفاء والصدق والامانة رغبوا فى المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى قولى هذا (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أى ولا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس تهددون من مر بكم من الغرباء فكانوا قطاع طريق وكانوا مكاسين (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أى وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتبغونها عوجا) أى وتطلبون سبيل الله معوجة بالقاء الشكوك والشبهات فكانوا يجلسون على الطرق ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب ارجع لايفتنك عن دينك فان آمنت به قتلناك وجملة الافعال الثلاثة التى هى توعدون وتصدون وتبغون أحوال أى لاتقعدوا موعدين وصادين و باغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قليلا) بالعدد (فكثركم) بالعدد قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله تعالى فى نسلهما بالبركة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أى كيف صار آخر أمر المشركين قبلكم بالهلاك بتكذيبهم رسلهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به) من الشرائع والأحكام (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أى فانتظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا من مؤمن وكافر باعلاء درجات المؤمنين و باظهار هوان الكافرين (وهو خير الحاكمين) أى انه تعالى حاكم عادل منزه عن الجور (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) أى قال الجماعة الذين أنفوا من قبول قوله وبالغوا فى العتو (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق

فى ملتنا فلا نقاركم على مخالفتنا ف(قال) شعيب (أولو كنا كارهين) أى تجبروننا على العود فى ملتكم وان كرهنا ذلك وقوله (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أى الا أن يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته أن نعود فيها (وسع ربنا كل شىء علما) أى علم ما يكون قبل أن يكون (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أى احكم واقض وقوله (كأن لم يغنوا فيها) أى لم يقيموا فيها ولم ينزلوا وقوله (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف يشتد حزنى عليهم ومعناه الانكار أى لا آسى (وما أرسلنا فى قرية) أى فى مدينة (من نبى) فكذبه أهلها (الا أخذناهم بالبأساء والضراء) أى بالفقر والجوع (لعلهم يضرعون) أى كى يستكينوا ويرجعوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى بدل البؤس والمرض الغنى والصحة (حتى عفوا) أى كثروا وسمنوا وسمنت أموالهم (وقالوا) من غرتهم وجهلهم (قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد أصاب آباءنا فى الدهر مثل ما أصابنا وتلك عادة الدهر ولم يكن ما مسنا عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه فلما فسدوا على الأمرين جميعا أخذهم الله (بغتة

بالاخراج لا بالايمان أى والله لنخرجنك وأتباعك من مدين (أولتعودن فى ملتنا) أى أو لتصيرن الى ملتنا (قال أو لو كنا كارهين) أى قال شعيب أتصيروننا فى ملتكم وان كنا كارهين للدخول فيها (قد افترينا على الله كذبا) عظيما حيث نزعم أن لله تعالى ندا (ان عدنا) أى ان دخلنا (فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) أى من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أى وما يجوز لنا أن ندخل فى ملتكم الا أن يأمر الله بالدخول فيها وهيهات ذلك (وسع ربنا كل شىء علما) أى ربما كان فى علمه تعالى حصول بقائنا فى هذه القرية من غير أن نعود الى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت أمرنا ذليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أى فى أن يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أى يا ربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاتحين) أى الحاكمين أو المعنى أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبينهم بأن تنزل عليهم عذابا يتميز به المحق من المبطل (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى وقال الرؤساء من قوم شعيب للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) فى دينه (انكم اذا لخاسرون) فى الدين وفى الدنيا لانه يمنعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا المقال كمل حالهم فى الضلال والاضلال فاستحقوا الاهلاك (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة المهلكة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فصاروا فى مساكنهم خامدين ساكنين بلا حياة (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) أى الذين كذبوا شعيبا استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا فى قريتهم أصلا أى عوقبوا بقولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لادخول بعده أبدا (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون) دينا ودنيا دون الذين اتبعوه فانهم الرابحون فى الدارين (فتولى عنهم) أى خرج شعيب من بينهم قبل الهلاك وقال الكلبى ولم يعذب قوم نبى حتى أخرج من بينهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى) بالأمر والنهى (ونصحت لكم) أى حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم الى الايمان والتوبة وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة للايمان فلما أن نزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كحبس الريح عنهم سبعة أيام حصل فى قلبه الحزن من جهة القرابة والمجاورة وطول الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف آسى) أى أحزن حزنا شديدا (على قوم كافرين) لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم على الكفر وقيل قال شعيب ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى فكيف آسى عليكم والمراد أنهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الانسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف آسى بامالتين (وما أرسلنا فى قرية من نبى) فكذبه أهلها (الا أخذنا أهلها) أى عاقبناهم (بالبأساء) أى الشدة فى أحوالهم كالخوف وضيق العيش (والضراء) أى الأمراض والأوجاع (لعلهم يضرعون) أى كى يتذللوا وينقادوا لله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى ثم أعطيناهم السعة والصحة بدل ما كانوا فيه من البلاء والمرض لان ورود النعمة فى المال والبدن يدعو الى الاشتغال بالشكر (حتى عفوا) أى كثروا فى أنفسهم وأموالهم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما أصابنا وهذه عادة الزمان فى أهله فمرة يحصل فيهم الشدة والنكد ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فصبروا على دينهم فنحن مثلهم نقتدى بهم وليست عقوبة من الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم ينقادوا بالشدة وبالرخاء ولم ينتفعوا بذلك الامهال أخذهم الله بغتة أينما كانوا كما قال تعالى (فأخذناهم) بعد ذلك (بغتة) أى فجأة بالعذاب

(وهم

وهم لا يشعرون) أي لا يعلمون بنزول العذاب بهم وهذا تخويف لمشركي قريش (ولو أن أهل القرى آمنوا) أي وحدوا الله (واتقوا) أي واتقوا الشرك (لفتحنا عليهم بركات من السماء) أي بالمطر (و)من (الارض) أي بالنبات والثمار (ولكن

(وهم لا يشعرون) أي وقت نزول العذاب ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره (ولو أن أهل القرى) الذين أهلكناهم (آمنوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واتقوا) مانهى الله عنه (لفتحنا عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار والمواشي وحصول الأمن والسلامة وقرأ ابن عامر لفتحنا بتشديد التاء للتكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يتقوا ماحرمه الله (فأخذناهم) بالجدوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) أي أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي ليلا (وهم نائمون) أي غافلون عن ذلك (أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهارا (وهم يلعبون) أي يشتغلون بما ينفعهم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بسكون الواو (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وهم الذين لا يعرفون ربهم لغفلتهم فلا يخافونه وسمى العذاب مكرا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قرأ الجمهور يهد بالياء من تحت أي أولم يتبين للذين يرثون أرض مكة من المتقدمين ويسكنونها من بعد هلاك أهلها تعذيبنا اياهم بسبب ذنوبهم لوشئنا ذلك كما عذبنا من قبلهم وفاعل يهد مصدر مؤول من أن ومافي حيزها ان نزل يهد منزلة اللازم والا فمفعوله محذوف والتقدير أولم يوضح للوارثين أرض مكة من بعد هلاك أهلها عاقبة أمرهم أن الشأن لو نشاء الاصابة أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين (ونطبع على قلوبهم) أي ان لم نهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون موعظة من أخبار الأمم المهلكة والمراد اما الاهلاك واما الطبع على القلب لان الاهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فاذا أهلك شخص يستحيل أن يطبع على قلبه وانما يحصل الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولا ثم يصير مطبوعا عليه في الكفر ولم يكن هذا التقرير منافيا لصحة عطف قوله ونطبع على أصبناهم (تلك القرى) وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا أكرم الرسل (من أنبائها) كيف أهلكت وانما خص الله أنباء هذه القرى لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا أنهم على الحق فذكرها الله تعالى تنبيها لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة أنبياؤهم الذين أرسلوا اليهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجبة للايمان (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) أي فبعد رؤية المعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع التي كذبوها قبل رؤية تلك المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتسامعون بكلمة التوحيد من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيء نبيهم الذي أرسل اليهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أن لا يؤمنوا أبدا (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أي وما وجدنا أكثر الناس على ايمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي عاهدهم الله وهم في صلب آدم حيث قال ألست بربكم قالوا بلى فلما أقروا بربوبية الله تعالى في عالم الذر ثم خالفوا ذلك في هذا العالم صار كأنه ما كان لهم عهد (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وان الشأن والحديث وجدنا أكثر

كذبوا) أي كذبوا الرسل (فأخذناهم) أي بالجدوبة والقحط (بما كانوا يكسبون) أي من الكفر والمعصية (أفأمن أهل القرى) يعني مكة وماحولها ومعنى هذه الآية وما بعدها أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلا ولا نهارا بعد تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله (وهم يلعبون) أي وهم في غير ما يجدي عليهم (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله أن يأتيهم بغتة (أولم يهد) أي يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها) يعني كفار مكة ومن حولهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم) حتى يموتوا على الكفر فيدخلوا النار والمعنى أولم يعلموا أنا لو نشاء فعلنا ذلك (تلك القرى) أي التي أهلكت أهلها (نقص عليك من أنبائها) أي نتلو عليك من أخبارها كيف أهلكت (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني الذين أرسلوا اليهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) أي فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب (كذلك) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم (يطبع الله على قلوب الكافرين) أي الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا أبدا (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)

الأمم فى عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد انقضاء الرسل المذكورين أو من بعد هلاك الأمم المحكية (موسى بآياتنا) التسع الدالة على صدقه (الى فرعون) واسمه قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة ولم ير فى تلك المدة مكروها قط من وجع أو حمى أو جوع ولو حصل له ذلك لما ادعى الربوبية (وملئه) أى عظماء قومه (فظلموا بها) أى بتلك الآيات أى وضعوا الانكار فى موضع الاقرار ووضعوا الكفر فى موضع الايمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فانظر) أيها المخاطب بعين عقلك (كيف كان عاقبة المفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول اليك والى قومك (من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) وقرأ نافع على بتشديد الياء فحقيق مبتدأ وخبره ما دخلت عليه أن أى واجب على ترك القول على الله الا بالحق والباقون بمد اللام والمعنى أنا ثابت بأن لا أقول على الله الا الصدق وقرأ أبى بأن لا أقول بالباء وقرأ عبد الله والأعمش أن لا أقول بدون حرف جر (قد جئتكم ببينة) أى معجزة شاهدة على رسالتى (من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل) أى خلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم مع أموالهم فكان فرعون عاملهم معاملة العبيد فى الاستخدام (قال) أى فرعون (ان كنت جئت بآية فأت بها) أى ان كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأحضرها عندى ليثبت صدقك (ان كنت من الصادقين) فى دعواك أنك رسول (فألقى) موسى (عصاه فاذا هى ثعبان) أى حية ضخمة صفراء ذكر (مبين) أى ظاهر لا يشك فى كونه ثعبانا روى أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الارض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليبتلعه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا (ونزع يده) أى أخرجها من طوق قميصه (فاذا هى بيضاء) بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس (للناظرين قال الملأ من قوم فرعون) أى الرؤساء منهم وهم أصحاب مشورته (ان هذا) أى موسى (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فانهم قالوا ذلك مع فرعون على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فماذا تأمرون) قاله لفرعون خدمه والأكابر فان الأتباع يفوضون الأمر والنهى الى المخدوم والمتبوع أولا ثم يذكرون ما حضر فى خواطرهم من المصلحة بقولهم أرجه وأخاه قال تعالى (قالوا أرجه) فيه ست قراآت ثلاثة باثبات الهمزة التى بعد الجيم وهى كسر الهاء من غير اشباع لابن ذكوان عن ابن عامر وضمها كذلك لأبى عمرو وباشباع حتى يتولد من الضمة واو على الأصل لابن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بحذف الهمزة وهى سكون الهاء وصلا ووقفا لعاصم وحمزة وكسر الهاء من غير اشباع لقالون وبه حتى يتولد منها ياء لنافع والكسائى وورش أى أخر أمر موسى ولا تعجل فى أمره بحكم والمراد أنهم حاولوا معارضة معجزته بسحرهم ليكون ذلك أقوى فى ابطال قول موسى (وأخاه) هرون (وأرسل فى المدائن حاشرين) أى وأرسل فى مدائن صعيد مصر شرطا يحشرون اليك ما فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة ومهرتهم فى أقصى مدائن الصعيد (يأتوك بكل ساحر عليم) أى ماهر فى السحر وقرأ حمزة والكسائى سحار كما اتفقوا عليه فى سورة الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعدما أرسل الشرط فى طلبهم (قالوا ان لنا لأجرا) على الغلبة قرأ نافع

(موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها) أى فكذبوا وجحدوا (فانظر) أى بعين قلبك (كيف كان عاقبة المفسدين) أى كيف كان عاقبتهم وكيف فعلنا بهم وقوله (حقيق على أن لا أقول) أى أنا حقيق بأن لا أقول (على الله الا الحق) أى الا ما هو الحق وهو أنه واحد لا شريك له (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى بأمر بكم وهو العصا (فأرسل معى بنى اسرائيل) أى أطلق عنهم وخلهم وكان فرعون قد استخدمهم فى الأعمال الشاقة وقوله (فاذا هى) أى العصا (ثعبان) وهو أعظم ما تكون من الحيات (مبين) أى بين أنه حية لا لبس فيه (ونزع يده) أى أخرجها من جيبه وقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم) هذا من قول الأشراف من قوم فرعون قالوا يريد موسى أن يخرجكم معشر القبط من أرضكم ويزيل ملككم بتقوية عدوكم بنى اسرائيل عليكم فقال فرعون لهم (فماذا تأمرون) ايش تشيرون به على (قالوا أرجئه وأخاه) أى أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل (وأرسل فى المدائن) أى فى مدائن صعيد مصر (حاشرين) أى رجالا يحشرون اليك من فى الصعيد من السحرة فأرسل (وجاء السحرة فرعون) فطالبوه بالمال والجوائز ان غلبوه فأجابهم فرعون الى ذلك (وابن

وابن كثير وحفص عن عاصم ان بهمزة واحدة والباقون بهمزتين وأدخل أبو عمرو والألف بينهما (ان كنا نحن الغالبين) لموسى (قال نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين (وانكم لمن المقربين) أى نعم لكم الأجر ولكم المنزلة الرفيعة عندى زيادة على الأجر أى فانى لا أقتصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة انى أجعلكم من المقربين الى بالمنزلة (قالوا ياموسى اما أن تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون نحن الملقين) مامعناه من الحبال والعصى أولا فلما راعوا حسن الأدب حيث قدموا ذكر موسى عليه السلام رزقهم الايمان ببركة رعاية هذا الادب (قال) موسى مريد الابطال ما أتوا به من السحر وازدراء شأنهم (ألقوا) ماتلقون (فلما ألقوا) عصيا وحبالا (سحروا أعين الناس) أى صرفوها عن ادراك حقيقتها فتخيلوا أحوالا عجيبة مع أن الأمر فى الحقيقة ما كان على وفق ماتخيلوه قيل انهم أتوا بالحبال والعصى ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق فى دواخل تلك العصى فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالناس تخيلوا أنها تتحرك وتلتوى باختيارها وقدرتها (واسترهبوهم) أى بالغوا فى تخويف عظيم للعوام من حركات تلك الحبال والعصى وخاف موسى أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته فكان خوفه لأجل فزع الناس واضطرابهم عما رأوه من أمر تلك الحيات وليس خوفه لأجل سحرهم لأنه كان على ثقة من الله تعالى أنهم لم يغلبوه وهو غالبهم (وجاءوا بسحر عظيم) فى باب السحر وعند السحرة وان كان حقيرا فى نفسه قيل كانت الحبال والعصى حمل ثلثمائة بعير وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشابا طوالا فاذا هى حيات كأمثال الحبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا وكانت سعة الأرض ميلا فى ميل فصارت كلها حيات (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكها فكان ما بين فكيها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم أصلا كما قال تعالى (فاذا هى تلقف) أى تلقم (ما يأفكون) أى الذى يقلبونه عن الحق الى الباطل (فوقع الحق) أى فظهر الحق مع موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أى واضمحل ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لا لأجل السحر (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هنالك) أى فى المكان الذى وقع فيه سحرهم (وانقلبوا صاغرين) أى صاروا ذليلين مبهوتين (وألقى السحرة ساجدين) أى خروا سجدا لله تعالى أى فمن سرعة سجودهم كأنهم ألقوا قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه ليس بسحر فعند ذلك خروا ساجدين (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون اياى تعنون قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى فى الحال وجعلوا ذلك السجود شكرا لله تعالى على الفوز بالايمان والمعرفة وعلامة على انقلابهم من الكفر الى الايمان واظهارا للخضوع والتذلل لله تعالى فكأنهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع وأولئك القوم كانوا عالمين بحقيقة السحر فلما وجدوا معجزة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر الهى فاستدلوا بها على أن موسى نبى صادق من عند الله تعالى فلأجل كمالهم فى علم السحر انتقلوا من الكفر الى الايمان فاذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الانسان فى علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به)

وهو قوله (قال نعم وانكم لمن المقربين) أى ولكم من الأجر المنزلة الرفيعة عندى (قالوا ياموسى اما أن تلقى) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) أى مامعنا من الحبال والعصى (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس) أى قلبوها عن صحة ادراكها حيث رأوها حيات (وجاءوا بسحر عظيم) وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا فاذا هى حيات قد ملأت الوادى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف) تبتلع (ما يأفكون) أى يكذبون فيه وذلك أنهم زعموا أن حبالهم وعصيهم حيات وكذبوا فى ذلك (فوقع الحق) أى ظهر وغلب (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) أى ذليلين (وألقى السحرة ساجدين) أى خروا عابدين سامعين مطيعين (قال فرعون آمنتم به

أي برب موسى وهرون واختلف القراء في هذا الحرف هنا و في طه و في الشعراء فان القراء في ذلك
على أربع مراتب الاولى قراءة الأخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزتين في السور الثلاث
من غير ادخال ألف بينهما وهو استفهام انكار وأما الألف الثالثة فالكل يقرأونها كذلك وهي فاء
الكلمة يجب قلبها ألفا لكونها بعد همزة مفتوحة وأما الأولى فمحققة ليس الا والثانية قراءة
حفص وهي آمنتم بهمزة واحدة بعدها ألف والثالثة قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر والبزي عن
ابن كثير وهي تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين والرابعة قراءة قنبل عن ابن كثير فقرأ في هذه
السورة حال الابتداء أآمنتم بهمزتين أولاهما محققة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها كقراءة
البزي وحال الوصل يقرأ قال فرعون وآمنتم بابدال الأولى واوا وتسهيل الثانية بين بين وألف بعدها
وقرأ في سورة طه كقراءة حفص وفي سورة الشعراء كقراءة البزي (قبل أن آذن لكم) أي بغير أن
آذن لكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي ان ايمان هؤلاء حيلة
احتلتموها مع مواطأة موسى في مصر قبل أن تخرجوا الى الميعاد وان غرضهم بذلك اخراج القوم من
مصر وابطال ملكهم وهاتان شبهتان ألقاهما فرعون الى أسماع عوام القبط ليمنعهم بها عن الايمان بنبوة
موسى عليه السلام (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل
شق طرفا (ثم لأصلبنكم) أي أعلقكم ممدودة أيديكم لتصير على هيئة الصليب أوحتى يتقاطر صليبكم
وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين قالوا) أي السحرة (انا الى ربنا منقلبون) أي راجعون بالموت بلا شك
سواء كان بقتلك أولا فيحكم بيننا وبينك وانا الى رحمة ربنا راغبون (وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا) أي ما تعيب علينا الا الايمان بآيات ربنا أوما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا الايمان
بآيات ربنا حين جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي صب علينا صبرا كاملا تاما عند القطع والصلب لكيلا
نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين) أي مخلصين على دين موسى قيل فعل فرعون ما توعدهم به وقيل
لم يقع من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الدعاء في قولهم وتوفنا مسلمين لأنهم سألوه تعالى
أن يكون توفيهم من جهته تعالى لا بقتل فرعون (وقال الملأ من قوم فرعون) له لما خلى سبيل موسى
(أتذر موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الأرض) أي ليفسدوا على الناس في أرض مصر
بتغيير دينهم واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة كان كلما رأى موسى خافه أشد الخوف فلهذا السبب
لم يتعرض له الا أن قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على أخذه وحبسه (ويذرك وآلهتك) أي معبوداتك
بكسر اللام جمع إله وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب والاهتك بفتح
اللام ومده أي وعبادتك وقرأ العامة بنصب يذرك عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو وقرأ
الحسن ونعيم بن ميسرة بالرفع عطفا على أتذر أو استئنافا أو حالا وقرئ بالسكون (قال) فرعون لما لم
يقدر على موسى أن يفعل معه مكروها لخوفه منه (سنقتل أبناءهم) أي أبناء بني اسرائيل ومن آمن
بموسى صغارا كما قتلناهم أول مرة وقرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون وسكون القاف والباقون
بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء (ونستحيي نساءهم) أي ونترك هن أحياء للخدمة (وانا فوقهم
قاهرون) كما كنا وهم مقهورون تحت أيدينا وانما نترك موسى وقومه من غير حبس لعدم التفاتنا
اليهم لا لعجز ولا لخوف واختلف المفسرون فمنهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال لم يفعل
ذلك لعدم قدرته لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون (قال موسى لقومه) بني اسرائيل حين

قبل أن آذن لكم) أي صدقتم موسى من قبل أمري اياكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) لصنيع صنعتموه فيما بينكم
و بين موسى في مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع (لتخرجوا منها أهلها) أي لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها وتستولوا عليها بسحركم (فسوف تعلمون) أي ما يظهر لكم (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي على مخالفة وهو أن يقطع من كل شق طرفا (قالوا انا الى ربنا منقلبون) أي راجعون بالتوحيد والاخلاص (وما تنقم منا) أي وما تطعن علينا ولا تكره منا (الا أن آمنا بآيات ربنا) أي ما أتى به موسى من العصا واليد (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين) ثم أغرى الملأ من قوم فرعون بموسى (قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أي ليدعوا الناس الى مخالفتك وعبادة غيرك (ويذرك وآلهتك) وذلك أن فرعون كان قد صنع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام فذلك قوله أنا ربكم الأعلى
ف(قال) فرعون (سنقتل أبناءهم) وكان قد ترك قتل أبناء بني اسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان
أعاد عليهم فذلك قوله سنقتل أبناءهم (ونستحيي نساءهم) أي للمهنة والخدمة (وانا فوقهم قاهرون) أي وانا على ذلك قادرون فشكا

تضجروا

بنو اسرائيل الى موسى اعادة القتل على أبنائهم فقال لهم موسى (استعينوا بالله واصبروا) أي على ما يفعل بكم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) أطمعهم موسى أن يؤتيهم الله ملكهم ومالهم (والعاقبة للمتقين) أي الجنة لمن اتقى الله وقيل النصر والظفر (قالوا أوذينا) بالقتل الاول (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعد ما جئتنا) أي باعادة القتل علينا والاتعاب في العمل (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أي فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) أي يملككم ما كان يملك فرعون (فينظر كيف تعملون) أي فيرى ذلك بوقوع ذلك منكم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي بالجدوب لأهل البوادي



(ونقص من الثمرات) لأهل القرى (لعلهم يذكرون) أي كي يتعظوا (فاذا جاءتهم الحسنة) أي الخصب وسعة الرزق (قالوا لنا هذه) أي انا مستحقوه على العادة التي جرت لنا من النعمة ولم يعلموا أنه من الله فشكروا عليه (وان تصبهم سيئة) أي قحط وجدب (يطيروا) أي يتشاءموا (بموسى) وقومه وقالوا انما أصابنا هذا الشر بشؤمهم (ألا انما طائرهم عند الله) أي شؤمهم جاءهم بكفرهم بالله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي أن الذي أصابهم من الله (وقالوا) لموسى (مهما تأتنا به من آية) أي متى تأتنا بآية (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم السماء بالماء حتى امتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة فذلك قوله (فأرسلنا عليهم الطوفان) ودام ذلك سبعة أيام فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن بك فدعا ربه فكشف فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم فوعدوه أن يؤمنوا ان كشف عنهم فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل وهو الذباب الصغار التي لا أجنحة لها فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم فصرخوا وصاحوا فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع تدخل في طعامهم وشرابهم فعاهدوا موسى أن يؤمنوا فكشف عنهم فعادوا الى كفرهم فأرسل الله عليهم الدم وسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما فذلك قوله

تضجروا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا) على ما سمعتم من أقاويله الباطلة (ان الارض) أي أرض مصر (لله يورثها من يشاء من عباده) وقرأ الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة للتكثير وقرئ يورثها بفتح الراء مبنيا للمفعول (والعاقبة) أي الجنة أو فتح البلاد والنصر على الأعداء (للمتقين) أي الذين أنتم منهم فمن اتقى الله تعالى فالله يعينه في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة عطفا على الارض فالاسم معطوف على الاسم والخبر على الخبر فهو من عطف المفردات (قالوا) أي بنو اسرائيل لموسى لما سمعوا تهديد فرعون بالقتل للابناء مرة ثانية (أوذينا) من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعد ما جئتنا) رسولا قالوا ذلك استكشافا لكيفية وعد موسى اياهم بزوال تلك المضار هل هو في الحال أولا لا كراهة لمجيء موسى بالرسالة (قال) أي موسى مسليا لهم حين رأى شدة جزعهم مما شاهدوه من فعل فرعون (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الذي توعدكم باعادة فعله (ويستخلفكم في الارض) أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر بعد هلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) أي فيرى سبحانه وتعالى كيف تعملون في طاعته وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى فالله تعالى يرى وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم في الأزل وانما يجازيهم على ما يقع منهم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي باحتباس المطر وبالجوع (ونقص من الثمرات) أي ذهاب الثمرات باصابة العاهات (لعلهم يذكرون) أي كي يقفوا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد (فاذا جاءتهم الحسنة) أي الخصب والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادة التي جرت (وان تصبهم سيئة) أي جدوبة وشدة وبلاء (يطيروا) أي يتشاءموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين أي يقولوا انما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه (ألا انما طائرهم) أي حظهم (عند الله) أي كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره وقيل المعنى انما جاءهم الشر بقضاء الله تعالى وحكمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير وأصل الفأل الكلمة الحسنة كانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) أي آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أي أي شيء تظهره لدينا من علامة من عند ربك لتصرفنا عما نحن عليه من الدين بذلك الشيء فما نحن لك بمصدقين بالرسالة وكان موسى رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) أي الماء من السماء فدخل بيوت

القبط وقاموا فى الماء الى تراقيهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ولم يدخل ذلك الماء بيوت بنى اسرائيل مع أنها كانت فى خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل الى موسى فقال اكشف عنا العذاب فقد صارت مصر بحرا واحدا فان كشفت هذا العذاب آمنا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل الرياح فجففت الارض وخرج من النبات مالم يروا مثله قط فقالوا هذا الذى جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى اسرائيل فنكثوا العهد (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا الى موسى فدعا موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فألقته فى البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت فنظر أهل مصر الى مابقى من زرعهم فقالوا هذا الذى بقى يكفينا ولا نؤمن بك (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله عليهم (القمل) أى الجراد الصغير بلا أجنحة من سبت الى سبت فلم يبق فى أرضهم عود أخضر الا أكله فصاحوا ودعا موسى فأرسل الله عليه ريحا حارة فأحرقته وألقته فى البحر وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فأخذت فى أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم فصرخوا وفزعوا الى موسى فدعا فرفع الله عنهم القمل وقالوا قد تيقنا اليوم أنك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة فرعون لا نؤمن بك أبدا (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع فى الثياب والأطعمة فكان الرجل منهم يستيقظ وعلى رأسه ذراع من الضفادع فصرخوا الى موسى وحلفوا لئن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأمات الضفادع وأرسل عليها المطر فاحتملها الى البحر بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ثم أظهروا الكفر (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله عليهم (الدم) فصارت مياه قلبهم وأنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهد وبنو اسرائيل يجدون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشراف قومه يركبون الى أنهار بنى اسرائيل فجعل يدخل الرجل منهم النهر فاذا اغترف الماء صار فى يده دما ومكثوا سبعة أيام فى ذلك لا يشربون الا الدم فقال فرعون لموسى عليه السلام لئن رفعت عنا العذاب لنصدقن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل مع أموالهم (آيات مفصلات) أى مبينات لا يخفى على كل عاقل أن هذه الخمسة من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره ومفرقات بعضها من بعض بزمان لامتحان أحوالهم أيقبلون الحجة أو يستمرون على التقليد وكان كل عذاب يبقى عليهم أسبوعا من سبت الى سبت و بين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بها وعن عبادة الله (وكانوا قوما مجرمين) أى مصرين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أى كلما نزل عليهم العذاب من الأنواع الخمسة (قالوا) فى كل مرة (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما علمك به وهو كشف العذاب عنا ان آمنا والمعنى أقسمنا بعهد الله عندك وهو النبوة (لئن كشفت عنا الرجز) أى لئن رفعت عنا العذاب الذى نزل علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) أى مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) أى حد معين (هم بالغوه) لا بد وهو وقت اهلاكهم بالغرق فى اليم (اذاهم ينكثون) أى فلما رفعنا عنهم العذاب فاجأوا نكث العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك الأجل لا نزيل عنهم العذاب بل نهلكهم به (فانتقمنا منهم) أى فلما بلغوا الأجل الموقت أهلكناهم (فأغرقناهم فى اليم) أى البحر الملح والفاء تفسيرية (بأنهم كذبوا بآياتنا) التسع الدالة على صدق رسولنا (وكانوا عنها) أى تلك الآيات (غافلين) أى معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بقتل أبنائهم وأخذ الجزية منهم واستعمالهم

(آيات مفصلات) أى مبينات (فاستكبروا) عن عبادة الله (ولما وقع عليهم الرجز) أى العذاب وهو ما كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أوصاك به وتقدم اليك أن تدعوه به (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه) يعنى الى الأجل الذى غرقهم فيه (اذاهم ينكثون) أى ينقضون العهد ولا يوفون (فانتقمنا منهم) أى سلبنا نعمتهم بالعذاب (فأغرقناهم فى اليم) أى فى البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا) أى جزاء بتكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) أى غير معتبرين بها (وأورثنا القوم) أى ملكناهم (الذين كانوا يستضعفون) بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم

في الأعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشارق الأرض) أي أرض الشام ومصر (ومغاربها التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الأرزاق وبالنيل (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) أي ومضى وعده تعالى عليهم (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على الشدائد فمن قابل البلاء بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج ومن قابله بالجزع وكله الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) ففرعون اسم كان ويصنع خبر كان مقدم أي وخربنا الذي كان فرعون يصنعه من المدائن والقصور (وما كانوا يعرشون) أي يرفعون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرها (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) مع السلامة بأن فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا روى أن موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصامه شكرا لله تعالى (فأتوا) أي فمروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) أي يواظبون على عبادة أصنام لهم وكانت تماثيل على صور البقر وهم من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عند ماشاهدوا أحوالهم (ياموسى اجعل لنا إلها) أي عين لنا تماثيل تتقرب بعبادتها الى الله تعالى (كما لهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلا جهل أعظم مما ظهر منهم فانهم قالوا ذلك بعد ما شاهدوا المعجزة العظمى (ان هؤلاء) أي القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبر ما هم فيه) أي مهلك ما هم فيه من الدين أي ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعملون) من عبادتها أي فلا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر (قال) موسى (أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) أي أأطلب لكم غير الله معبودا والحال أنه تعالى وحده فضلكم على عالمي زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرات فانه لم يحصل مثلها لأحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر الخصال مثاله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفي الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والمعنى أآمركم أن تعبدوا ربا يتخذ ويطلب بل الاله هو الذي يكون قادرا على الايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أنجيناكم من آل فرعون) أي واذكروا وقت انجائنا اياكم من فرعون وقومه باهلاكهم بالكلية وقرأ ابن عامر أنجاكم بحذف الياء والنون (يسومونكم سوء العذاب) أي يعطونكم أشد العذاب (يقتلون أبناءكم) صغارا (ويستحيون نساءكم) أي يستخدمون نساءكم كبارا (وفي ذلكم) أي الانجاء (بلاء من ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفي ذلكم العذاب بلية عظيمة من ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) روى أن موسى وهو بمصر وعد بني اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فمه فتسوك بعود

(مشارق الأرض ومغاربها) أي جهات شرق أرض أهل الشام وجهات غربها (التي باركنا فيها) أي باخراج الزرع والثمار والأنهار والعيون (وتمت كلمة ربك الحسنى) أي مواعيده التي لا خلف فيها بما كانوا يحبون وذلك جزاء صبرهم على صنيع فرعون بهم (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي أهلكنا ما عمل فرعون وقومه بأرض مصر (وما كانوا يعرشون) أي وما بنوا من المنازل والبيوت (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) أي يعبدونها مقيمين عليها (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها) من دون الله (كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) نعمة الله عليكم وما صنع بكم حيث توهمتم أنه تجوز عبادة غيره (ان هؤلاء) يعني القوم الذين عكفوا على أصنامهم (متبر ما هم فيه) أي مهلك ومدمر (وباطل ما كانوا يعملون) يعني أن عملهم للشيطان ليس لله فيه نصيب (قال أغير الله أبغيكم) أي أطلب لكم (إلها) معبودا (وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم بما أعطاكم من الكرامات (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يترقب انقضاءها للمناجاة وهي ذو القعدة أمره الله أن يصوم فلما انسلخ الشهر استاك لمناجاة ربه يريد إزالة الخلوف فأمر بصيام عشرة من ذي الحجة ليكلمه بخلوف فيه فذلك قوله (وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه) أي الوقت الذي قدره لصوم موسى (أربعين ليلة) فلما أراد الانطلاق الى الجبل استخلف أخاه هرون على قومه وهو معنى قوله

خرنوب فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل للمناداة (اخلفني) أي كن خليفتي (في قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح) أمور بني اسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهي صلاحهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي ومن دعاك منهم الى طريق المفسدين بالمعاصي فلا توافقه (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي لميعادنا في مدين في يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله تعالى فيه من غير واسطة وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (وكلمه ربه) أي أزال الحجاب بين موسى و بين كلامه فسمعه من كل جهة (قال رب أرني أنظر اليك) أي أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (لن تراني) أي لن تقدر أن تراني في الدنيا ياموسى (ولكن انظر الى الجبل) في مدين (فان استقر مكانه فسوف تراني) أي فان استقر الجبل مكانه لرؤيتي فلعلك تراني والرؤية متأخرة عن النظر لانه تقليب الحدقة السليمة جهة المرئي التماسا لرؤيته والرؤية الادراك بالباصرة بعد النظر (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أي فلما ظهرت عظمته تعالى لجبل زبير جعله مكسورا وقيل ان جبل زبير أعظم جبل في مدين فانه صار ستة أجبل فوقع ثلاثة منها بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء أي أمر الله تعالى ملائكة السماء السابعة بحمل عرشه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي دكاء بالمد أي مستويا بالأرض وقرأ ابن وثاب دكا بضم الدال و بالقصر جمع دكاء أي قطعا (وخر موسى صعقا) أي مغشيا عليه من هول ما رآه من النور (فلما أفاق) من غشيته (قال سبحانك) أي تنزيها لك عن أن ترى في الدنيا (تبت اليك) من الجراءة على السؤال بغير اذن منك (وأنا أول المؤمنين) أي القرين بأنك لا ترى في الدنيا لكل الأنبياء وقد ثبتت الرؤية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك الا باذنك (قال) تعالى له (ياموسى انى اصطفيتك) أي فضلتك (على الناس) أي بني اسرائيل (برسالاتي) أي بكتب التوراة وقرأ نافع وابن كثير برسالتي بالافراد أي تبليغ رسالتي (و بكلامي) أي و بتكلمي معك بغير واسطة (فخذ ما آتيتك) أي فاعمل ما أعطيتك من الرسالة أي الوحي (وكن من الشاكرين) أي واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بلوازمها علما وعملا ولا يضق قلبك بسبب منعك الرؤية (وكتبنا له في الألواح) أي وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (من كل شيء) يحتاج اليه موسى وقومه في دينهم من الحلال والحرام والمحاسن والقبائح (موعظة وتفصيلا لكل شيء) بدل من قوله تعالى من كل شيء باعتبار محله وهو النصب أي كتبنا له كل شيء من المواعظ التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (فخذها) أي فقلنا اعمل بهذه الأشياء (بقوة) أي بجد ونية صادقة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي التوراة أي يعملوا بمحكمها و يؤمنوا بمتشابهها وقال بعضهم الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أي سأدخلكم الشام بطريق الايراث وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متوطنين فيها من الجبابرة

(وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح) أي ارفق بهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي في الوقت الذي وقتناه (وكلمه ربه) فلما سمع كلام الله (قال رب أرني) أي أرني نفسك (أنظر اليك) والمعنى اني قد سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك (قال لن تراني) في الدنيا (ولكن اجعل بيني و بينك ما هو أقوى منك وهو الجبل (فان استقر مكانه) أي سكن وثبت (فسوف تراني) وان لم يستقر مكانه فانك لا تطيق رؤيتي (فلما تجلى ربه) أي ظهر و بان (للجبل جعله دكا) أي مدقوقا مع الارض كسرا ترابا (وخر) أي سقط (موسى صعقا) أي مغشيا عليه (فلما أفاق قال سبحانك) تنزيها لك من السوء (تبت اليك) من مسألتي الرؤية في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) أي أول قومي ايمانا (قال ياموسى اني اصطفيتك) أي اتخذتك صفوة (على الناس برسالاتي) أي بوحيي اليك (و بكلامي) أي كلمتك من غير واسطة (فخذ ما آتيتك) من الفضيلة والشرف (وكن من الشاكرين) أي لأنعمي (وكتبنا له في الالواح) يعني ألواح التوراة (من كل شيء) يحتاج اليه في دينه (موعظة) أي نهيا عن الجهل (وتفصيلا لكل شيء) يعني من الحلال والحرام (فخذها) أي وقلنا له فخذها (بقوة) أي بجد وصحة عزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بحسنها وكلها حسن (سأريكم دار الفاسقين) يعني جهنم أي فلتكن منكم على ذكر لتحذروا منهم

الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها فلا تفسقوا مثل فسقهم وقرئ سأورثكم بالثاء المثلثة (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أي سأزيل الذين يتكبرون في الارض بالدين الباطل عن ابطال آياتي باهلاكهم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال مارآه من الآيات فلا يقدرون على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بها أي وانما يرى بنو اسرائيل دار الفاسقين بعد هلاكهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي وان يشاهدوا كل معجزة كفروا بكل واحدة منها (وان يروا سبيل الرشد) أي الدين الحق والخير (لا يتخذوه سبيلا) أي لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين وروي عن ابن عامر بضمتين وقال أبو عمرو بن العلاء الرشد بضم وسكون الصلاح في النظر و بفتحتين الاستقامة في الدين (وان يروا سبيل الغي) أي الضلال (يتخذوه سبيلا) أي يختارونه مسلكا لأنفسهم (ذلك) أي تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي حاصل بسبب أنهم كذبوا بكتابنا الدال على بطلان اتصافهم بالقبائح (وكانوا عنها غافلين) أي وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أي بكتابنا (ولقاء الآخرة) أي و بلقائهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حبطت أعمالهم) أي حسناتهم التي لا تتوقف على نية كصلة الأرحام واغاثة الملهوفين وان نفعتهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أي ما يجزون في الآخرة الا على ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا) أي صاغ موسى السامري المنافق وهو من بني اسرائيل من بعد انطلاق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجلا من ذهب (جسدا) أتى بهذا البدل لدفع توهم انه صورة عجل منقوشة على حائط مثلا (له خوار) أي صوت وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة أي صياح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه و يستعيرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكا لهم فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم صائغا فصاغ السامري عجلا وأخذ كفا من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام فألقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا إلهكم و إله موسى (ألم يروا) أي ألم يعلم قوم موسى (أنه) أي العجل (لا يكلمهم) بشيء (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه (اتخذوه) أي عبدوه (وكانوا ظالمين) لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أي لما اشتد ندمهم على عبادة العجل وسقط مبني للمجهول وأصل الكلام سقطت أفواههم على أيديهم ففي بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة أن الانسان اذا ندم بقلبه على شيء عض بفمه على أصابعه فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية (ورأوا أنهم قد ضلوا) أي تبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم بحيث تيقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (لئن لم يرحمنا ربنا و يغفر لنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة وقرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب في الفعلين حكاية لدعائهم و بنصب ربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لأجل عبادتهم العجل (أسفا) أي حزينا لأن الله تعالى فتنهم (قال بئسما خلفتموني من بعدي) أي بئسما قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعد انطلاقي الى الجبل وهذا الخطاب اما لعبدة العجل من

بغير الحق) يعني المشركين يقول أعاقبهم بحرمان الهداية (وان يروا سبيل الرشد) أي الهدى والبيان الذي جاء من الله (لا يتخذوه سبيلا) أي دينا (وان يروا سبيل الغي) أي طاعة الشيطان (يتخذوه سبيلا) أي دينا (ذلك) أي فعل الله بهم ذلك (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي جحدوا الايمان بها (وكانوا عنها غافلين) أي غير ناظرين فيها ولا معتبرين بها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يريد الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) أي ضل سعيهم (هل يجزون الا ما كانوا) أي جزاء ما كانوا يعملون (واتخذ قوم موسى من بعده) أي من بعد انطلاقه الى الجبل (من حليهم) التي بقيت في أيديهم مما استعاروه من القبط (عجلا جسدا) أي لحما ودما (له خوار) يعني له صوت (ألم يروا) يعني قوم موسى (أنه) أي أن العجل (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) أي لا يرشدهم الى دين (اتخذوه) أي الها معبودا (وكانوا ظالمين) أي مشركين (ولما سقط في أيديهم) أي ندموا على عبادة العجل (ورأوا أنهم قد ضلوا) وعلموا أنهم قد ابتلوا بمعصية الله وهذا كان بعد رجوع موسى اليهم وذلك قوله (ولما رجع موسى الى قومه غضبان) عليهم (أسفا) أي حزينا لان الله فتنهم (قال بئسما خلفتموني من بعدي) حين اتخذتم العجل الها وكفرتم بالله

السامرى وأشياعه أى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى واما لهرون والمؤمنين معه أى بئسما خلفتمونى حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم هذه (أعجلتم أمر ربكم) أى أعجلتم وعد ربكم من الأربعين فلم تصبروا له وذلك أنهم قدروا أن موسى لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات فانهم عدوا عشرين يوما بلياليها أربعين (وألقى الالواح) أى وضع ألواح التوراة فى موضع ليتفرغ لما قصده من مكالمة قومه فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) أى بشعر رأس هرون (يجره اليه) أى الى نفسه لاعلى سبيل الاهانة بل ليستكشف منه كيفية تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بكسر الميم هنا وفى طه والباقون بفتحها فى السورتين (ان القوم استضعفونى) أى وجدونى ضعيفا (وكادوا يقتلوننى) لانى نهيتهم عن عبادة العجل (فلاتشمت بى الاعداء) أى فلاتسر الاعداء أصحاب العجل بما تفعل بى من المكروه (ولاتجعلنى مع القوم الظالمين) أى ولاتظن أنى واحد من الذين عبدوا العجل مع براءتى منهم وانما قال هرون تلك المقالة لأنه يخاف أن يتوهم جهال بنى اسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما أنه غضبان على عبدة العجل (قال) موسى (رب اغفرلى) فيما أقدمت على أخى هرون من هذا الغضب (ولأخى) فى تركه التشديد على عبدة العجل (وأدخلنا فى رحمتك) أى جنتك بمزيد الانعام بعد غفران ماسلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا العجل) أى عبدوه واستمروا على عبادته كالسامرى وأشياعه (سينالهم غضب) عظيم كائن (من ربهم) فى الآخرة (وذلة فى الحياة الدنيا) وهى الاغتراب والمسكنة المنتظرة لهم ولأولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامرى هو الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس ويروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس أحدهم أحدا غيرهم حما جميعا فى الوقت (وكذلك نجزى المفترين) أى الكاذبين على الله والمعنى أن كل مفتر فى دين الله فجزاؤه غضب الله والذلة فى الدنيا قال مالك بن أنس مامن مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة لان المبتدع مفتر فى دين الله (والذين عملوا السيئات) أى التى من جملتها عبادة العجل (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أى من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا بالله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لااله غيره ولم يصروا على مافعلوا كالطائفة الأولى (ان ربك) أى ياأفضل الخلق (من بعدها) أى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) أى مبالغ فى افاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية أى من أتى بجميع السيئات ثم تاب فان الله يغفرها له وهذا من أعظم مايفيد البشارة للمذنبين (ولماسكت) أى زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وتوبة القوم وقرئ سكن بالنون وأسكت بالتاء مع الهمزة على أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه (أخذ الالواح وفى نسختها) أى وفى المكتوب فيها من اللوح المحفوظ (هدى) أى بيان للحق (ورحمة) للخلق بارشادهم الى مافيه الخير

---

(أعجلتم أمر ربكم) أى أسبقتم باتخاذ العجل ميعاد ربكم يعنى الأربعين ليلة وذلك أنه كان قد وعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثين ليلة فلما لم يأتهم على رأس الثلاثين قالوا انه قد مات (وألقى الألواح) التى فيها التوراة (وأخذ برأس أخيه) أى بذوائبه وشعره يجره اليه أى انكارا عليه اذ لم يلحقه فيعرفه ماصنع بنو اسرائيل كما قال فى سورة طه ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى الآية فأعلمه هرون أنه انما قام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله (قال ابن أم) وكان أخاه لأبيه وأمه ولكنه قال ياابن أم لترققه عليه (ان القوم استضعفونى) أى استذلونى وقهرونى (وكادوا) أى وهموا (يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء) يعنى أصحاب العجل بضربى واهانتى (ولا تجعلنى) فى مؤاخذتك وعقوبتك لى (مع القوم الظالمين) أى الذين عبدوا العجل فلما عرف براءة هرون مما يوجب العتب عليه اذا بلغ من انكاره على عبدة العجل ماخاف على نفسه القتل (قال رب اغفرلى) ماصنعت الى أخى (ولأخى) ان قصر فى الانكار (وأدخلنا فى رحمتك) أى جنتك (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهم أبناء الذين اتخذوا العجل الها فأضيف اليهم تعييرا لهم فعل آبائهم (سينالهم غضب من ربهم) أى عذاب فى الآخرة (وذلة فى الحياة الدنيا) وهى الجزية (وكذلك نجزى المفترين) أى كذلك أعاقب من اتخذ الها من دونى (والذين عملوا السيئات) أى الشرك (ثم تابوا) أى رجعوا عنها (وآمنوا) أى صدقوا أنه لااله غيرى (ان ربك من بعدها) أى من بعد التوبة (لغفور رحيم ولماسكت عن موسى الغضب أخذ الالواح) أى التى كان ألقاها (وفى نسختها) أى وفيما كتب فيها (هدى) أى من الضلالة (ورحمة) أى من العذاب

(للذين هم لربهم يرهبون) أى للخائفين من ربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا لميقاتنا) أمره الله أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعده لذلك موعدا فاختار موسى منهم سبعين رجلا ليعتذروا فلما سمعوا كلام الله قالوا لموسى أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهى الحركة الشديدة فماتوا جميعا (فقال) موسى (رب لوشئت أهلكتهم من قبل وإياى) أى من قبل خروجنا الى الميقات فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولايتهموننى وظن أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل فقال (أتهلكنا بمافعل السفهاء منا) وانما أهلكوا بمسألتهم الرؤية (ان هى الافتنتك) أى الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أى اختبارك وابتلاؤك أضللت بها قومافافتتنوا وعصمت قوما آخرين وهذا معنى قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) (واكتب لنا) أى أوجب لنا (فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة) أى اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة (انا هدنا) أى تبنا ورجعنا (اليك) أى بالتوبة (قال عذابى أصيب به من أشاء) أى آخذ به من أشاء على الذنب اليسير (ورحمتى وسعت كل شئ) يعنى أن رحمته فى الدنيا وسعت البر والفاجر وهى فى الآخرة للمؤمنين خاصة وهذامعنى قوله عزوجل (فسأكتبها) أى فسأوجبها فى الآخرة (للذين يتقون) يريدأمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكاة) أى صدقات الأموال عند محلها (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يصدقون بما أنزل على محمد والنبيين (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) وهوالذى لايقرأ ولا يكتب وكانت هذه الخلة مؤكدة لمعجزته فى القرآن (الذى يجدونه) أى بنعته وصفته (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل

---

الخير والصلاح (للذين هم لربهم يرهبون) اللام الأولى متعلق بمحذوف هوصفة لرحمة والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) روى أن موسى اختار من اثنى عشر سبطا ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طورسيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا الى موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أى لن نصدقك فى أن الآمر بما سمعنا من الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة الجبل فماتوا يوما وليلة ﴿ تنبيه ﴾ اختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن ثم يحذف حرف الجر ويوصل الفعل الى المجرور وسبعين مفعول أول (فلما أخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة (قال) موسى (رب لوشئت أهلكتهم من قبل) أى من قبل خروجهم الى الميقات (وإياى) معهم قاله تسليما لقضاء الله تعالى أى اناكنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك إياه (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى ظن موسى انما أهلكهم الله بعبادة قومهم العجل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استفهام استعطاف أى لاتهلكنا بسبب فعل عباد العجل (ان هى الافتنتك) أى ماالفتنة التى وقع فيها السفهاء الامحنتك بأن أوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به وأسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك حتى طمعوا فيما فوق ذلك (تضل بها) أى بتلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلايهتدى الى التثبت (وتهدى من تشاء) هدايته الى الحق فلايتزلزل فى أمثالها فيقوى بها ايمانه (أنت ولينا) أى أنت القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية (فاغفر لنا) ماقارفناه من المعاصى (وارحمنا) بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية علينا (وأنت خير الغافرين) لأنك تغفر ذنوب عبادك لالغرض بل لمحض الفضل والكرم أماغيرك فانما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثواب الجزيل أوللثناء الجميل أودفعا للربقة الخسيسة عن القلب (واكتب لنا) أى أثبت لنا (فى هذه الدنيا حسنة) أى نعمة وطاعة (وفى الآخرة) أى واكتب لنا فى الآخرة حسنة وهى الجنة (انا هدنا اليك) أى رجعنا عما صنعنا من المعصية التى جئناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابى أصيب به من أشاء) وليس لأحد على اعتراض لأن الكل ملكى وقرأ الحسن من أساء فعل ماض من الاساءة واختار الشافعى هذه القراءة (ورحمتى وسعت كل شئ) أى ان رحمته فى الدنيا عمت الكل وأما فى الآخرة فرحمته مختصة بالمؤمنين كما أشار تعالى اليه بقوله تعالى (فسأكتبها) أى فسأثبتها فى الآخرة (للذين يتقون) أى الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) أى يعطون زكاة أموالهم (والذين هم بآياتنا) أى دلائل وحدانيتنا وقدرتنا (يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) أى الذى لم يمارس القراءة والكتابة ومع ذلك قد جمع علوم الأولين والآخرين (الذى يجدونه) يلقون اسمه ونعته (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) اللذين تعبد بهما بنواسرائيل

(يأمرهم بالمعروف) أى بالتوحيد و بمكارم الأخلاق و بر الوالدين وصلة الأرحام (و ينهاهم عن المنكر) أى عبادة الأوثان والقول فى صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين وقطع الرحم وعقوق الوالدين (و يحل لهم الطيبات) أى الأشياء المستطابة بحسب الطبع فكل ماتستطيبه النفس و يستلذه الطبع فهو حلال الا بدليل منفصل (و يحرم عليهم الخبائث) أى كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس فكل مايستخبثه الطبع حرام الا بدليل منفصل وعلى هذا فرع الشافعى تحريم بيع الكلب لأنه روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال الكلب خبيث وخبيث ثمنه واذا ثبت أن ثمنه خبيث ثبت أن يكون حراما والخمر محرمة لأنها رجس والرجس خبيث باطباق أهل اللغة عليه والخبيث حرام (و يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) أى يخفف عنهم ثقلهم والشدائد التى كانت فى عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبى وقتل النفس فى التوبة وتعيين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم تواضعا لله تعالى فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة أى وكانت هذه الاثقال فى شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد ﷺ نسخ ذلك كله و يدل عليه قوله ﷺ بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقرأ ابن عامر وحده آصارهم على الجمع (فالذين آمنوا به) أى بنبوة محمد ﷺ من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه (وعزروه) أى أعانوه بمنع أعدائه منه (ونصروه) على أعدائه فى الدين بالسيف (واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى واتبعوا القرآن الذى أنزل مع نبوة محمد ﷺ فان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن وعبر عنه بالنور الدال على كونه مظهرا للحقائق (أولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطلوب فى الدنيا والآخرة والناجون من السخط والعذاب لا غيرهم من الأمم (قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض) الذى (لااله الا هو يحيي و يميت) واعلم أن هذه الدعوى وهى دعوى رسول الله لاتظهر فائدتها الا بتقرير أصول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم إلها حيا عالما قادرا والذى يدل عليه مافى قوله تعالى الذى له ملك السموات والارض لأنه بتقدير عدم حصول مؤثر للعالم فى وجوده أو بتقدير كون المؤثر موجبا بالذات لافاعلا بالاختيار لم يصح القول ببعثة الأنبياء عليهم السلام وثانيها اثبات أن إله العالم واحد منزه عن الشريك والضد والند واليه الاشارة بقوله تعالى لااله الا هو لانه اذا لم يثبت كون الاله تعالى واحدا لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائزا لانه بتقدير كون إلهين للعالم يجوز أن يكون الانسان الذى يدعوه رسول أحدهما مخلوقا للاله الثانى فايجاب الطاعة للاله الذى لم يخلقه ظلم و باطل وثالثها اثبات أنه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة واليه الاشارة بقوله تعالى يحيي و يميت لانه تعالى لما أحيا أولا ثبت كونه تعالى قادرا على الاحياء ثانيا و يكون قادرا على ايصال الجزاء لانه بتقدير عدم ثبوت الاعادة كان الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية عبثا ولغوا ولما ثبت القول بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف لان الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) واعلم أن هذا اشارة الى المعجزات الدالة على كون محمد نبيا حقا ومعجزات رسول الله كانت على نوعين الاول المعجزات التى ظهرت فى ذاته المباركة وأجلها أنه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء ومع ذلك فتح الله عليه باب العلم وأظهر عليه القرآن المشتمل على علوم الأولين والآخرين فظهور هذه العلوم العظيمة على من كان

يأمرهم بالمعروف) أى بالتوحيد وشرائع الاسلام (و ينهاهم عن المنكر) أى عن عبادة الاوثان ومالا يعرف فى شريعة (و يحل لهم الطيبات) يعنى ماحرم عليهم فى التوراة من لحوم الابل وشحوم الضأن (و يحرم عليهم الخبائث) أى الميتة والدم وماذكر فى سورة المائدة (و يضع عنهم اصرهم) أى و يسقط عنهم ثقل العهد الذى أخذ عليهم (والأغلال التى كانت عليهم) كقطع أثر البول وقتل النفس فى التوراة وقطع الأعضاء الخاطئة (فالذين آمنوا به) أى من اليهود (وعزروه) وقروه (ونصروه) أى على عدوه (واتبعوا النور الذى أنزل معه) يعنى القرآن الآية

صفته أميا من أعظم المعجزات والثانى المعجزات التى ظهرت من خارج ذاته مثل انشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه وهى تسمى بكلمات الله تعالى لانها لما كانت أمورا غريبة خارقة للعادة تسمى بكلمات الله كما أن عيسى عليه السلام لما كان حدوثه أمرا غريبا مخالفا للمعتاد سماه الله تعالى كلمة وقال ابن عباس ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وان قرئ وكلمته بالافراد كان معناه عيسى وهذا تنبيه على على أن من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه وتعريض باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر الله الطريق الذى به يمكن معرفة شرعه بالتفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه) أى فى كل ما يأتى وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب (ومن قوم موسى أمة) أى جماعة (يهدون بالحق) أى يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أى بالحق (يعدلون) فى الأحكام الجارية فيما بينهم فقيل هم اليهود الذين كانوا فى زمان الرسول وأسلموا مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وقيل انهم قوم مشوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما كفروا وقتلوا الانبياء بقى سبط من جملة الاثنى عشر فما صنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين عند مطلع الشمس على نهر رمل يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما) أى فرقنا بنى اسرائيل اثنتى عشرة فرقة لانهم كانوا من اثنى عشر رجلا من أولاد يعقوب وميزنا بعضهم من بعض أسباطا قائم مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثنتى عشرة وأمما بدل من أسباطا أى وصيرناهم أمما لان كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم واستسقاء موسى لهم (أن اضرب بعصاك الحجر) الذى معك (فانبجست) أى فضرب فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أى كل سبط (مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم (وظللنا عليهم الغمام) فى التيه من حر الشمس تسير الغمام بسيرهم وتسكن باقامتهم وتضئ لهم فى الليل مثل السراج (وأنزلنا عليهم المن) وهو شئ حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس ويأخذ كل انسان صاعا (والسلوى) أى الطير السمانى بتخفيف الميم وبالقصر وتسوقه الريح الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو يموت اذا سمع صوت الرعد فيلهمه الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أوانهما فيخرج من الجزائر وينتشر فى الارض وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى وقلنا لهم كلوا من مستلذاته من المن والسلوى والمعنى قصر أنفسهم على ذلك الطعوم وعلى ترك غيره فامتنعوا من ذلك وسئموا وسألوا غير ذلك (وما ظلمونا) بمقابلة تلك النعم بالكفران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمخالفتهم ما أمروا به (واذ قيل لهم) أى اذكر يا أكرم الرسل لبنى اسرائيل وقت قوله تعالى لأسلافهم (اسكنوا هذه القرية) أى قرية الجبارين قوم من بقية عاد رئيسهم عوج بن عنق أى قال الله تعالى على لسان موسى لهم اذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان يوشع بعد خروجهم من التيه اسكنوا أريحاء (وكلوا منها) أى القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا حطة) أى أمرك حطة لذنوبنا (وادخلوا الباب) أى باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها (سجدا) شكرا على اخراجهم من التيه (نغفر لكم خطيئاتكم) وقرأ نافع وابن عامر تغفر بالتاء المضمومة وقرأ نافع خطيئاتكم بجمع السلامة وابن عامر خطيئتكم على التوحيد والباقون نغفر بنون

(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أى يدعون الى الحق (وبه يعدلون) أى وبالحق يحكمون وهم قوم وراء الصين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم لا يصل الينا منهم أحد ولا منا لهم أحد وقوله (فانبجست) أى انفجرت وهذه الآية مفسرة فى سورة البقرة الى قوله

(واسألهم) يعنى سؤال توبيخ وتقرير (عن القرية) وهى أيلة (التى كانت حاضرة البحر) أى مجاورته (اذيعدون فى السبت) أى يظلمون فيه بصيد السمك (اذتأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) أى ظاهرة على الماء (و يوم لايسبتون) أى لايفعلون مايفعل فى السبت يعنى سائر الأيام (لاتأتيهم) أى الحيتان (كذلك) أى مثل هـذا الاختبار الشديد (نبلوهم) أى نختبرهم (بما كانوا يفسقون) أى بعصيانهم الله أى شددت عليهم المحنة بفسقهم ولما فعلوا ذلك صار أهـل القرية ثلاث فرق فرقة صادت وأكلت وفرقة نهت وزجرت وفرقة أمسكت عن الصيد وهم الذين قال الله تعالى (واذ قالت أمة منهم) أى قالوا للفرقة الناهية (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أى لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم (معذرة الى ربكم) أى الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا الى الله تعالى (ولعلهم يتقون) فيتركون الصيد فى السبت (فلما نسوا ماذكروا به) أى تركوا ماوعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) أى اعتدوا فى السبت (بعذاب بئس) أى شديد وهو المسخ جزاء (بما كانوا يفسقون) أى جزاء بفسقهم وخروجهم عن أمر الله (فلما عتوا) أى طغوا واستكبروا (عمانهوا عنه) أى عن ترك مانهوا عنه من صيد الحيتان يوم السبت (قلنالهم كونوا قردة خاسئين) هذه الآية مفسرة فى سورة البقرة (واذتأذن ربك) أى أعلم ربك (ليبعثن) أى ليرسلن (عليهم) يعنى على اليهود (من يسومهم) أى يذيقهم

مفتوحة وأبو عمرو خطايا كم بجمع التكسير والباقون خطيئاتكم بجمع السلامة وفى قراءة يغفر بالياء فعلى هذا لايقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لايقرأ خطايا (سنزيد المحسنين) بالطاعة فى احسانهم (فبدل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولا غير الذى قيل لهم) أى غير الذى أمروا به من التوبة وقالوا مكان حطة حنطة وروى أنهم دخلوا زاحفين على أدبارهم استخفافا بأمر الله تعالى واستهزاء بموسى (فأرسلنا عليهم) عقب مافعلوا من غير تأخير (رجزا من السماء) أى عذابا كائنا منها وهو الطاعون (بما كانوا يظلمون) أنفسهم لانهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى أنه مات منهم فى ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر) أى واسأل ياأشرف الخلق اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع عن خبر أهل المدينة التى كانت قريبة من بحر القلزم وهى ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هى قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونا وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يصدر من بنى اسرائيل كفر ولا مخالفة للرب فأمره الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هـذه القرية فى زمن داود عليه السلام تقريعا فانهم يعتقدون أنه لايعلمه أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (اذيعدون فى السبت) أى يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الحيتان يوم السبت وقد نهوا عنه (اذتأتيهم حيتانهم يوم سبتهم) أى يوم تعظيمهم لأمر السبت بالتجرد للعبادة (شرعا) أى ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لايسبتون) وقرئ شاذا بضم الباء وقرأ على رضى الله عنه بضم الياء من الرباعى وعن الحسن بالبناء للمفعول أى لايدخلون فى السبت (لاتأتيهم) قال ابن عباس ومجاهد ان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فاذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت وماتعود الا فى السبت المقبل (كذلك) أى مثل ذلك البلاء (نبلوهم) أى نعاملهم معاملة من يختبرهم (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم (واذقالت أمة منهم) أى جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب فى موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا من قبولهم لاقوام آخرين لايقلعون عن وعظهم رجاء للنفع وطمعا فى فائدة الانذار (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أى مخزيهم فى الدنيا (أومعذبهم عذابا شديدا) فى الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق (قالوا) أى الواعظون (معذرة) قرأه حفص عن عاصم بالنصب أى وعظناهم لأجل المعذرة والباقون بالرفع أى موعظتنا معذرة (الى ربكم) لئلا ننسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر (ولعلهم يتقون) أى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ماذكروا به) أى فلما تركوا ماوعظوا به بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ أصلا (أنجينا الذين ينهون عن السوء) أى عن أخذ الحيتان يوم السبت وهم الفريقان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الحيتان ذلك اليوم (بعذاب بئيس) أى شديد وقرأ أبو بكر بيئس على وزن ضيغم وابن عامر بئس بوزن حذر (بما كانوا يفسقون) أى أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم فالباآن متعلقان بأخذنا (فلما عتوا عما نهوا عنه) أى فلما أبوا عن ترك مانهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أذلاء بعداء عن الناس (واذتأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم) أى يذيقهم

(سوء العذاب) أى واذكر ياأكرم الرسل اذأعلم الله أسلاف اليهود على ألسنة أنبيائهم ان لم يؤمنوا بأنبيائهم أن يسلط عليهم من يقاتلهم الى أن يسلموا أو يعطوا الجزية وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته (ان ربك لسريع العقاب) اذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم فى الدنيا أما قبل مجىء وقت العذاب فهو شديد الحلم (وانه لغفور رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام (وقطعناهم فى الأرض أمما) أى فرقنا اليهود الذين كانوا قبل زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأرض فرقا كثيرة حتى لاتكون لهم شوكة فلا يوجد بلد الاوفيه طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم أو الذين وراء نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) أى ومنهم من ثبت على اليهودية وخرج من الصلاح (و بلوناهم بالحسنات) أى بالنعم والخصب والعافية (والسيئات) أى بالجدوبة والشدائد (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن معصيتهم الى طاعة ربهم فان كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة بالترغيب والترهيب (فخلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بدل سوء (ورثوا الكتاب) أى أخذوا التوراة من أسلافهم (يأخذون عرض هذا الادنى) أى متاع الدنيا على تحريف الكلام فى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الاحكام وهم يستحقرون ذلك الذنب (و يقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) أى و يقولون لايؤاخذنا الله تعالى وان يأتهم متاع مثل ما أتاهم أمس يأخذوه لحرصهم على الدنيا ولا يستمتعون منه أو المعنى انهم يتمنون المغفرة من الله تعالى والحال أنهم مصرون على الذنب غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الا الحق) أى ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن فى التوراة أن لايقولوا على الله الا الصدق وقد منعوا فيها عن تحريف الكتاب وتغيير الشرائع لاجل أخذ الرشوة والتمنى ففيه افتراء على الله تعالى ففيها من ارتكب ذنبا عظيما فانه لايغفر له الا بالتوبة وأن لايقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا مافيه) أى ذكروا مافى الكتاب لانهم قرأوه أوذكروا ماأخذ عليهم لذلك وهذا عطف على ورثوا أوعلى ألم يؤخذ فان المقصود من الاستفهام التقريرى اثبات ما بعد النفى والمعنى قد أخذ عليهم الميثاق ودرسوا مافى ذلك الميثاق (والدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين يتقون) عقاب الله من تلك الرشوة الخبيثة (أفلا تعقلون) أن الدنيا فانية والآخرة باقية. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب التفاتا لهم ويكون المراد اعلاما بتناهى الغضب وتشديد التوبيخ أو يكون خطابا لهذه الامة أى أفلا تعقلون حالهم والباقون بالياء على الغيبة مراعاة لما فى الضمائر السابقة (والذين يمسكون) قرأه أبو بكر عن عاصم بسكون الميم والباقون بفتحها وتشديد السين (بالكتاب) أى والذين يعملون بما فى الكتاب (وأقاموا الصلاة) وانما أفردت بالذكر لانها أعظم العبادات بعد الايمان (انا لانضيع أجر المصلحين) وهذه الجملة خبر للموصول والربط حاصل بلفظ المصلحين لانه قائم مقام الضمير لاسيما وهو فيه الألف واللام فانها تكفى فى الربط عند الكوفيين وقيل الخبر محذوف والتقدير مثابون وقوله تعالى انا لانضيع اعتراض وهذه الآية نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) أى واذكر ياأشرف الخلق اذ قلعنا الجبل الذى سمع موسى عليه كلام ربه وأعطى الالواح

سوء العذاب) أى الى يوم القيامة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته يقاتلونهم أو يعطوا الجزية (ان ربك لسريع العقاب) لمن استحق تعجيله (وقطعناهم فى الأرض أمما) أى فرقناهم فى البلاد فلم تجتمع لهم كلمة (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا (ومنهم دون ذلك) أى الذين كفروا (و بلوناهم) أى عاملناهم معاملة المختبر (بالحسنات) أى الخصب والعافية (والسيئات) أى الجدب والشدائد (لعلهم يرجعون) أى كى يتوبوا (فخلف من بعدهم خلف) أى من بعد هؤلاء الذين قطعناهم خلف من اليهود يعنى أولادهم (ورثوا الكتاب) أى أخذوه عن آبائهم (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى يأخذون ماأشرف لهم من الدنيا حلالا وحراما (و يقولون سيغفر لنا) أى و يتمنون على الله المغفرة (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) يعنى وان أصابوا عرضا أى متاعا من الدنيا مثل رشوتهم تلك التى أصابوا بالامس قبلوه وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الا الحق) وهو ماأكد الله عليهم فى التوراة أن لايقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهو قولهم سيغفر لنا وليس فى التوراة ميعاد المغفرة مع الاصرار (ودرسوا مافيه) أى وهم ذاكرون لما أخذ عليهم من الميثاق لانهم قرأوه (والذين يمسكون بالكتاب) أى يؤمنون به و يحكمون بما فيه يعنى مؤمنى أهل الكتاب (وأقاموا الصلاة) أى التى شرعها محمد صلى الله عليه وسلم (انا لانضيع أجر المصلحين) منهم (واذ نتقنا الجبل فوقهم) أى رفعناه باقتلاعه من أصله يعنى ماذكرنا عند قوله ورفعنا فوقهم الطور الآية

وجعلناه فوق رءوسهم كأنه سقيفة (وظنوا أنه واقع بهم) ان لم يقبلوا أحكام التوراة (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى وقلنا لهم اعملوا بما أعطيناكم بجد على احتمال تكاليفه (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب و يقال احفظوا ما فيه من الأمر والنهى و يقال اعملوا بما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أى راجين أن تنتظموا فى سلك المتقين (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وقرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر على الجمع والباقون على التوحيد أى واذكر يا أكرم الخلق لليهود حين أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) وذكر هذه الآية يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين والمقصود من ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس كافة ومنعهم عن التقليد وحملهم على الاستدلال. وفى تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف فطريق السلف أن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاذرية آدم كالذر من ظهره أى من مسام شعر ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط فى النفوذ فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصئبان من العرق السائل ثم أخرج من هذا الذر الذى أخرجه من آدم ذريته ذرا ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا وهكذا الى آخر النوع الانسانى وانحصر الجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والنطق وجعل الذر المسلم أبيض والكافر أسود وخاطب الجميع بقوله تعالى ألست بربكم فقال الجميع بلى أى أنت ربنا ثم أعاد الجميع الى ظهر آدم ويجب اعتقاد اخراج الذرية من ظهر آدم كما شاء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أى استنطقهم بربوبيته تعالى فأقروا بذلك وقال الحكيم الترمذى ان الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم ايمانهم وطريق الخلف أن الله تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى فى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعه فبالاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللسان فمحصل هذه الطريقة انه لا اخراج ولا قول ولا شهادة بالفعل وانما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلى فشبه حال النوع الانسانى بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الادلة على ربوبية الله المقتضية لان ينطق ويقر بمقتضاها بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالاقرار بما ذكر وحينئذ فمعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أى ونصب الله لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل والله أعلم بحقيقة الحال (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل) وقرأ أبو عمرو بالياء على الغيبة والباقون بالتاء وفى قوله تعالى شهدنا قولان فقيل انه من كلام الملائكة وذلك لانهم لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا عليهم لئلا يقولوا ما أقررنا أو لئلا تقولوا أيها الكفرة أو شهدنا عليهم كراهة أن يقولوا. وقيل انه من بقية كلام الذرية أى وأشهدهم على أنفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا يوم القيامة عند ظهور الامر انا كنا عن وحدانية الربوبية لا نعرفه أو كراهية أن يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بلى وقوله أو تقولوا معطوف على أن تقولوا. والمعنى ان المقصود من هذا الاشهاد لئلا يقول الكفار انما أشركنا لأن

آباءنا

(وظنوا) أى وأيقنوا (أنه واقع بهم) ان خالفوا وباقى الآية قد مضى فيما سبق (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) أى أخرج الله ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء وجميع ذلك أخرجه من صلب آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا وذلك قوله (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) أى قال ألست بربكم (قالوا بلى) فأقروا له بالربوبية فقالت الملائكة عند ذلك (شهدنا) أى على اقراركم (أن يقولوا) أى لئلا يقولوا يعنى الكفار (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) أى لم نحفظه ولم نذكره ويذكرون الميثاق ذلك اليوم ولا يمكنهم الانكار مع شهادة الملائكة وهذه الآية تذكير لجميع المكلفين ذلك الميثاق لانها وردت على لسان صاحب المعجزة فقامت فى النفوس مقام ما هو على ذكر منها (أو يقولوا) أى الذرية محتجين يوم القيامة (انما أشرك آباؤنا من قبل) أى من قبلنا ونقضوا العهد

(وكنا ذرية من بعدهم) صغارا فاقتدينا بهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى أفتعذبنا بما فعل المشركون أى المكذبون بالتوحيد وانما اقتدينا بهم وكنا فى غفلة عن الميثاق وهذه الآية قطع لعذرهم فلا يمكنهم الاحتجاج بكون الآباء على الاشراك بعد تذكير الله بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية (وكذلك) أى وكما بينا فى أمر الميثاق (نفصل الآيات) أى نبينها ليتدبرها العباد (ولعلهم يرجعون) أى ولكى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (واتل عليهم) أى واقرأ



واقصص يا محمد على قومك (نبأ) خبر (الذى آتيناه آياتنا) أى علمناه حجج التوحيد (فانسلخ) خرج منها (فأتبعه الشيطان) أى أدركه (فكان من الغاوين) أى الضالين يعنى بلعم بن باعوراء أعان أعداء الله على أوليائه بدعائه فنزع عنه الايمان (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعناه بالعمل بها يعنى وفقناه للعمل بالآيات فكنا نرفع بذلك منزلته (ولكنه أخلد الى الأرض) أى مال الى الدنيا وسكن اليها وذلك أن قومه أهدوا اليه رشوة ليدعو على موسى فأخذها (واتبع هواه) أى انقاد لما دعاه اليه الهوى (فمثله كمثل الكلب) أراد أن هذا الكافر ان زجرته لم ينزجر وان تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتى الكلب اللاهث فانه ان حمل عليه بالطرد كان لاهثا وان ترك وربض كان أيضا لاهثا هكذا الكافر فى الحالتين ضال وذلك أنه زجر فى المنام عن الدعاء على قوم موسى فلم ينزجر وترك عن الزجر فلم يهتد فضرب الله له أخس شئ فى أخس أحواله وهو حال اللهث مثلا وهو ادلاع اللسان من الاعياء أو العطش والكلب يفعل ذلك فى حال الكلال وحال الراحة ثم عم بهذا التمثيل جميع المكذبين فقال (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم فلما جاءهم من لا يشكون فى صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا أيضا لما دعوا بالرسول فكانوا ضالين عن الرشد فى الحالتين

---

آباءنا أشركوا من قبل زماننا فقلدناهم فى ذلك الشرك وقال الخلف معنى هذه الآية أنا نصبنا هذه الدلائل وأظهرناها للعقول كراهة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فما نبهنا عليه منبه أو كراهة أن يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لأسلافنا لأن نصب الأدلة على التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على الاقتداء بالآباء كما قالوا (وكنا ذرية من بعدهم) لا نقدر على الاستدلال بالدليل (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) من آبائنا المضلين فالمؤاخذة انما هى عليهم والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك لأنه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق فى الدنيا فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة بنسيانهم بعد اخبار الرسل (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) أى مثل ما بينا خبر الميثاق فى هذه الآية نبين سائر الآيات ليتدبروها فيرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) أى واتل يا أكرم الخلق على اليهود خبر الذى آتيناه علوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الأعظم وهو أحد علماء بنى اسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فيجاب بعين ما طلب فى الحال وكان بحيث اذا نظر رأى العرش وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان أول من صنف كتابا أن ليس للعالم صانع وهذا معنى فانسلخ منها أى انسلخ من تلك الآيات انسلاخ الحية من جلدها بأن كفر بها فأدركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآية فى بلعم بن باعوراء وذلك لأن موسى عليه السلام قصد بلده الذى هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الأعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب بأى ذنب وقعنا فى التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى عليه أن ينزع منه اسم الله الأعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء (ولو شئنا لرفعناه بها) أى ولو شئنا رفعه لرفعناه للعمل بتلك الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الأعمال الصالحة (ولكنه أخلد الى الأرض) أى مال الى الدنيا فآثر الدنيا الدنية على المنازل السنية (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا معرضا عن تلك الآيات الجليلة (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أى صفة بلعم كصفتى الكلب فى حالتى التعب والراحة فهذا الكلب ان شد عليه لهث وان ترك أيضا لهث لأجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له فكذلك هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لأجل أن ذلك الضلال طبيعة ذاتية له واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد أى فالكلب دائم اللهث سواء أزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حاله بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد الا عند التعب (ذلك) أى المثل السيء (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)

وهم اليهود حيث أوتوا فى التوراة ماأوتوا من نعوت النبي ﷺ و بشروا النـاس باقتراب مبعثه فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة (فاقصص القصص) أى فاقصص ياأكرم الرسل على قومك قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أى يتعظون (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب فى آيات الله وظلم أنفسهم خاصة وقرأ الجحدرى ساء مثل القوم (من يهد الله فهو المهتدى) أى من يخلق الله فيه الاهتداء فهو المهتدى لدينه باثبات الياء وصلا ووقفا عند جميع القراء لثبوتها فى الرسم بخلاف مافى الكهف والاسراء (ومن يضلل) أى بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره جهتها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة (هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران فى الدنيا والآخرة فالهداية والضلالة من جهة الله تعالى وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية فى حصول الاهتداء من غير تأثير لهـا فيه سوى كونها دواعى الى صرف العبد اختياره جهة تحصيله كسائر أفعال العباد (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها) بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل الفهم فلهم وصف أو حال من كثيرا وقلوب فاعل به (ولهم أعين لايبصرون بها) شيئا من المبصرات ابصار اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) أى شيئا من المسموعات سماع تأمل فلايفهمون بقلوبهم ولايبصرون بأعينهم ولايسمعون بآذانهم مايرجع الى مصالح الدين (أولئك) أى الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) فى انتفاء الشعور (بل هم أضل) من الأنعام لأنها تعرف صاحبها وتطيعه وهؤلاء الكفار لايعرفون ربهم ولايطيعونه وفى الخبر كل شىء أطوع لله من ابن آدم (أولئك هم الغافلون) عما أعد الله لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب (ولله الأسماء الحسنى) أى الأسماء التى هى أحسن الأسماء وأجلها لدلالتها على أحسن المعانى وأشرفها (فادعوه بها) أى فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) أى واجتنبوا الذين يميلون فى شأن أسماء الله تعالى عن الحق الى الباطل اما بأن يسموه تعالى بما لااذن فيه من كتاب وسنة أو بما يوهم معنى فاسدا فلايجوز أن يقال لله تعالى ياسخى ولاياعاقل ولاياطبيب ولايافقيه ولايجوز أن يقال لله تعالى يانجى ياأبا المكارم ياأبيض الوجه لأن أسماء الله تعالى توقيفية أى تعليمية من الشرع لااصطلاحية وقوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الانسان لايدعو ربه الابتلك الأسماء الحسنى وهـذه الدعوة لاتتأتى الااذا عرف معانى تلك الأسماء وعرف بالدليل أن له إلـهاو ربا خالقا موصوفا بتلك الصفات الشريفة فاذا عرف بالدليل ذلك فحينئذ يحسن أن يدعو ربه بتلك الأسماء والصفات ثم ان لتلك الدعوة شرائط كثيرة منها أن يستحضر الأمرين عزة الربوبية وذلة العبودية فهنالك يحسن ذلك الدعاء و يعظم موقع ذلك الذكر وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء و وافقه عاصم والكسائى فى النحل (سيجزون) فى الآخرة (ما كانوا يعملون) وهذا تهديد لمن ألحد فى أسماء الله تعالى (وممن خلقنا أمة) أى طائفة كثيرة (يهدون بالحق) أى يهدون الناس ملتبسين بالحق و يدلونهم على الاستقامة (و به يعدلون) أى و بالحق يحكمون فى الحكومات الجارية فيما بينهم ولايجورون فيها (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون)

(فاقصص القصص) يعنى قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أى فيتعظون ثم ذم مثلهم فقال (ساء مثلا القوم) أى بئس مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) أى بذلك التكذيب يعنى انما يجزون حظهم (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) وهم الذين حقت عليهم الشقاوة (لهم قلوب لايفقهون بها) أى لايعقلون بها الخير والهدى (ولهم أعين لايبصرون بها) أى سبل الهدى (ولهم آذان لايسمعون بها) أى مواعظ القرآن (أولئك كالأنعام) يأكلون و يشربون ولا يلتفتون الى الآخرة (بل هم أضل) لأن الأنعام مطيعة لله والكافر غير مطيع (أولئك هم الغافلون) عما فى الآخرة من العذاب (ولله الأسماء الحسنى) يعنى التسعة والتسعين (فادعوه بها) كقولك ياالله ياقدير ياعليم (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) أى يميلون عن القصد وهم المشركون عدلوا بأسماء الله عما هى عليه فسموا بها أوثانهم و زادوا فيها ونقصوا واشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز والمناة من المنان (سيجزون) جزاء (ما كانوا يعملون) أى فى الآخرة (وممن خلقنا أمة) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال فى قوم موسى ومن قوم موسى الآية (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن يعنى أهل مكة (سنستدرجهم) أى سنمكر بهم (من حيث لايعلمون) أى كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة

أي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق وهو القرآن سنقربهم الى مايهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لايعلمون مايراد به وذلك لأنهم كلما أتوا بجرم فتح الله عليهم بابا من أبواب النعمة والخير في الدنيا فيزدادون بطرا وانهماكا في الفساد ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرتهم أغفل مايكونون (وأملي لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم (ان كيدي متين) أي ان استدراجي قوي لايدافع بقوة ولا بحيلة وسمى العذاب كيدا لأن ظاهره احسان ولطف وباطنه خذلان وقهر (أولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) أي أكذبوا بآياتنا ولم يتفكروا ليس بنبيهم محمد ﷺ حالة قليلة من الجنون والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم للاعلام بأن طول مصاحبتهم له صلى الله عليه وسلم مما يطلعهم على نزاهته ﷺ عن شائبة جنون فما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا (ان هو الا نذير مبين) أي ماهو الا رسول مخوف مظهر لهم في التخويف بلغة يعلمونها (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء) أي أكذبوا بها ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفيما خلق الله فيهما من جليل ودقيق ليدلهم ذلك على العلم بوحدانية الله تعالى وبسائر شئونه التي تنطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فان كل فرد من أفراد الأكوان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى التوحيد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي وفي أن الشأن عسى أن يكون أجلهم قد اقترب أي لعلهم يموتون عن قريب فما لهم لايسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فيهلكوا على الكفر ويصيروا الى النار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به أي لأنهم اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن مع مافيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرجى منهم الايمان بغيره (من يضلل الله فلا هادي له) فان اعراضهم عن الايمان لاضلال الله اياهم (ويذرهم في طغيانهم) أي ضلالهم (يعمهون) أي يتحيرون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع على طريقة الالتفات وأبو عمرو بالياء والرفع وحمزة والكسائي بالياء والجزم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ (يسألونك) ياأشرف الخلق سؤال استهزاء (عن الساعة) أي عن وقت القيامة منهم حمل بن أبي قشير وشمويل بن زيد والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة على حين غفلة من الخلق أو لأن حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة أو لأنها مع طولها في نفسها كساعة واحدة عند الخلق (أيان مرساها) أي متى حصولها (قل انما علمها عند ربي) أي انه تعالى قد انفرد به بحيث لم يخبر به أحدا من ملك مقرب أو نبي مرسل (لايجليها لوقتها) أي لايظهر أمرها الذي تسألونني عنه في وقتها المعين (الا هو) أي لايقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام الا هو (ثقلت في السموات والارض) أي ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والأرض فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين متى وقوعها (لاتأتيكم الا بغتة) أي فجأة على غفلة قال النبي ﷺ ان الساعة تفجأ الناس فالرجل يصلح موضعه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) أي يسألونك عن كنه ثقل الساعة مشبها حالك عندهم بحال من هو بالغ في العلم بها وحقيقة الكلام كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في

(وأملي لهم) أي أطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي (ان كيدي) مكري (متين) أي شديد نزلت في المستهزئين من قريش قتلهم الله في ليلة واحدة بعد أن أمهلهم طويلا (أولم يتفكروا) فيعلموا (مابصاحبهم) محمد (من جنة) أي جنون (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) ليستدلوا بها على توحيد الله وفسرنا ملكوت السموات والأرض في سورة الأنعام (وماخلق الله من شيء) أي وفيما خلق الله من الأشياء كلها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي وفي أن آجالهم قريبة فيهلكوا على الكفر ويصيروا الى النار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي قرآن غير ماجاء به محمد ﷺ يصدقون يعني أنه خاتم الرسل ولا وحي بعده ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة) أي الساعة التي يموت فيها الخلق يعنون يوم القيامة نزلت في قريش قالت لمحمد ﷺ أسر الينا متى الساعة (أيان مرساها) يعني متى وقوعها وثبوتها (قل انما علمها) أي العلم بوقوعها ووقتها (عند ربي لايجليها لوقتها) أي لايظهرها في وقتها (الا هو ثقلت في السموات والأرض) أي ثقل وقوعها وكبر على أهل السموات والارض لما فيها من الأهوال (لاتأتيكم الا بغتة) أي فجأة (يسألونك كأنها حفي عنها) أي عالم بها مسئول عنها

(قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) أى أن علمها عند الله حين سألوا محمدا ﷺ عن ذلك (قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ) الآية وذلك أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشترى من الرخيص لنربح فيه و بالأرض التى تريد أن تجدب فنرتحل منها فأنزل الله تعالى هذه الآية فمعنى قوله لاأملك لنفسى نفعا أى اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرا أى دفع ضر بأن أرتحل من الأرض التى تريد أن تجدب الا ماشاء الله أن أملكه بتمليكه (ولو كنت أعلم الغيب) أى مايكون



قبل أن يكون (لاستكثرت من الخير) أى لادخرت فى زمن الخصب لزمن الجدب (ومامسنى السوء) أى وما أصابنى الضر والفقر (ان أنا الانذير) لمن لايصدق ماجئت به (و بشير) لمن اتبعنى وآمن بى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (وجعل منها زوجها) أى حواء خلقها من ضلعه (ليسكن اليها) أى ليأنس بها و يأوى اليها (فلما تغشاها) أى جامعها (حملت حملا خفيفا) يعنى النطفة والمنى (فمرت به) أى استمرت بذلك الحمل الخفيف وقامت وقعدت يعنى لم يثقلها (فلما أثقلت) أى صارت الى حال الثقل ودنت ولادتها (دعوا الله ربهما) أى آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أى بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) وذلك أن ابليس أتاها فى غير صورته التى عرفته وقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما أدرى قال انى أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا وذكرت ذلك لآدم فلم يزالا فى هم من ذلك ثم أتاها فقال ان سألت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك أتسمينه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث ولم يزل بها حتى غرها فلما ولدت ولدا سوى الخلق سمته عبد الحارث برضا آدم فذلك قوله (فلما آتاهما صالحا) أى بشرا سويا (جعلا له شركاء) يعنى ابليس فأوقع الواحد موقع الجمع (فيما آتاهما) من الولد اذ سمياه عبد الحارث ولا ينبغى أن يكون عبدا الا لله تعالى ولم تعرف حواء أنه ابليس ولم يكن هذا شركا بالله لأنهما لم يذهبا الى أن الحارث ربهما لكنهما قصدا الى أنه كان سبب نجاته وسلامة أمه وتم الكلام عندقوله آتاهما ثم ذكر كفار مكة فقال

حكم المبالغة فى العلم بها (قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) أى لايعلمون السبب الذى لأجله أخفيت معرفة وقته المعين عن الخلق (قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله) أى أنا لاأدعى علم الغيب ان أنا الا نذير و بشير ونظيره قوله تعالى فى سورة يونس و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لاأملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله لكل أمة أجل وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى فنربح و بالأرض التى تجدب لنرتحل الى الأرض الخصبة فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق جاءت ريح فى الطريق ففرت الدواب منها فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظروا أين ناقتى فقال عبد الله بن أبى مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتى فى هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ماقال فأنزل الله تعالى قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله أى أن يفعل بى من النفع والضر (ولو كنت أعلم الغيب) أى جلب منافع الدنيا ودفع مضراتها (لاستكثرت من الخير) أى لحصلت كثيرا من الخير بترتيب الأسباب (ومامسنى السوء) لاحترازى عنه باجتناب الأسباب (ان أنا الانذير) من النار (و بشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) بالجنة والنار (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أى ليستأنس بها (فلما تغشاها) أى جامعها (حملت حملا خفيفا) فى مبادى الامر (فمرت به) أى فاستمرت بالحمل على سبيل الخفة وكانت تقوم وتقعد وتمشى من غير ثقل (فلما أثقلت) أى صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها (دعوا الله ربهما) أى آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) لنعمائك (فلما آتاهما صالحا) أى ولدا آدميا مستوى الاعضاء خاليا عن العوج والعرج (جعلا له) تعالى (شركاء فيما آتاهما) أى فى تسمية ما آتاهما من الولد وقيل لما آتاهما ذلك الولد السوى الصالح عزما على أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الاطلاق ثم بدا لهما فى ذلك فتارة كانوا ينتفعون به فى مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وان كان منا قربة وطاعة الا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل لما ثقل الولد فى بطنها أتاها ابليس فى صورة رجل وقال ماهذا ياحواء انى أخاف أن يكون كلبا أو بهيمة ومايدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك

سيقتلك أو ينشق بطنك فخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا في هم من ذلك ثم أتاها
وقال ان سألت الله أن يجعله صالحا سويا مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبد الحارث وكان اسم
ابليس في الملائكة الحارث فآدم وحواء سميا ذلك الولد بعبد الحارث تنبيها على أنه إنما سلم من الآفات
ببركة دعاء هذا الشخص المسمى بالحارث فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد لا جرم صار آدم عليه السلام
معاتبا في هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد وهذا لا يقدح في كون الولد عبدا لله
من جهة كونه مملوكه ومخلوقه الا أنا قد ذكرنا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين (فتعالى الله
عما يشركون) قيل ان المشركين كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام ويرجع في
طلب الخير ودفع الشر اليها فذكر تعالى قصة آدم وحواء وذكر أنه تعالى لو آتاهما ولدا سويا صالحا
لاستقلوا بشكر تلك النعمة ثم قال تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فقوله تعالى جعلا له شركاء
ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد والتقدير فلما آتاهما صالحا أجعلا له شركاء فيما آتاهما
ثم قال تعالى فتعالى الله عما يشركون أي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك
وينسبونه الى آدم (أيشركون) بالله تعالى في العبادة (مالا يخلق شيئا) ومن حق المعبود أن يكون
خالقا لعابده والعبد غير خالق لأفعاله لان من كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لأفعال نفسه كان
إلها ولما كان ذلك باطلا علمنا أن العبد غير خالق لأفعال نفسه (وهم) أي الأصنام (يخلقون)
فهي منحوتة أو المعنى والكافرون مخلوقون فلو تفكروا في ذلك لآمنوا ولا يشركون بالخالق شيئا
(ولا يستطيعون) أي الأصنام (لهم) أي لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) أي ان
الأصنام لا تنصر من أطاعها ولا تدفع عن أنفسها مكروها فان من أراد كسرها لم تقدر على دفعه عنها
والمعبود يجب أن يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضرر وهذه الأصنام ليست كذلك فكيف
يليق بالعاقل عبادتها (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) أي وان تدعوا يا معشر الكفار الأصنام
الى أن يهدوكم الى الحق لا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) أي
مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم فلا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن
حكم الجمادية (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى
من الأصنام وتسمونهم آلهة مماثلة لكم من حيث انها مملوكة لله تعالى مسخرة لأمره عاجزة عن النفع
والضر (فادعوهم) في جلب نفع أو كشف ضر (فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في
ادعاء أنها آلهة ومستحقة للعبادة (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) أي بل ألهم
أيد يأخذون بها ما يرون أخذه (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) وقد قرئ
ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين
تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقرير النفي
المماثلة باثبات النقصان (قل ادعوا شركاءكم) قال الحسن ان مشركي أهل مكة كانوا يخوفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بآلهتهم فقال الله تعالى له قل يا أكرم الرسل لهم ادعوا آلهتكم واستعينوا بهم
في عداوتي (ثم كيدون) أي اعملوا أنتم وآلهتكم في هلاكي وبالغوا في تهيئة ما تقدرون عليه من مكر
(فلا تنظرون) أي اعجلوا أنتم وآلهتكم في كيدي ولا تؤجلون فاني لا أبالي بكم وبآلهتكم لاعتمادي
على حفظ الله تعالى (ان وليي الله الذي نزل الكتاب) أي ان ناصري هو الله الذي أنزل الكتاب
المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة (وهو يتولى الصالحين) أي ينصرهم فلا تضرهم عداوة من

وهم مخلوقون يعني الأصنام (ولا يستطيعون لهم نصرا) أي لا تنصر من أطاعها (ولا أنفسهم ينصرون) أي ولا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم بكسر أو نحوه ثم خاطب المؤمنين فقال (وان تدعوهم الى الهدى) يعني المشركين (لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام (عباد) أي مملوكون مخلوقون (أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) أي فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم (ان كنتم صادقين) أي أن لكم عند الأصنام منفعة أو ثوابا أو شفاعة ثم بين فضل الآدمي عليهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) مشي بني آدم (أم لهم أيد يبطشون بها) فيتناولون بها مثل بطش بني آدم (قل ادعوا شركاءكم) الذين تعبدون من دون الله (ثم كيدوني) أي أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) أي فلا تمهلون واعجلوا في كيدي (ان وليي الله) أي الذي يتولى حفظي ونصرتي (الذي نزل الكتاب) أي القرآن (وهو يتولى الصالحين) أي الذين لا يعدلون بالله شيئا وقوله

عاداهم وروى أن عمر بن عبد العزيز ما كان يدخر لأولاده شيئا فقيل له فى ذلك فقال ولدى اما أن يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوليه الله ومن كان الله له وليا فلا حاجة له الى مالى وان كان من المجرمين فقد قال تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم أشتغل باصلاح مهماته (والذين تدعون من دونه) أى والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الأصنام (لايستطيعون نصركم) فى أمر من الأمور (ولا أنفسهم ينصرون) أى يمنعون مما يراد بهم فكيف أبالى بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) أى وان تدعوا أيها المشركون تلك الأوثان الى أن يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم لا يجيبوا دعاءكم فضلا عن المساعدة لانهم أموات غير أحياء (وتراهم ينظرون اليك) أى وترى يا أشرف الخلق الأصنام يشبهون الناظرين اليك لانهم مصورون بالعين والأنف والأذن (وهم لايبصرون) أى والحال أنهم غير قادرين على الابصار لانهم أموات غير أحياء (خذ العفو) أى اقبل الميسور من أخلاق الناس من غير تجسس لئلا تتولد العداوة أو المعنى خذ ما تيسر من المال فما أتوك به فخذه ولا تسأل عما وراء ذلك (وأمر بالعرف) أى باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلين) من غير مماراة ولا مكافأة قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد ان ربك يقول هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لانك لو وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا آتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أى ان يصيبنك وسوسة من الشيطان فالتجئ اليه تعالى فى دفعه عنك (انه سميع عليم) أى انه تعالى سميع باستعاذتك بلسانك عليم فى ضميرك من استحضار معانى الاستعاذة فالقول اللسانى بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والاثر وروى أنه لما نزلت تلك الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ (ان الذين اتقوا) أى اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (اذا مسهم طائف من الشيطان) أى اذا أصابهم وسوسة من الشيطان وغضب (تذكروا) ما أمرهم الله به من ترك امضاء الغضب ومن أن الانسان اذا أمضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية والحيات القاتلة وان تركه واختار العفو كان شريكا لأكابر الأنبياء والأولياء ومن أنه ربما انقلب ذلك الضعيف قويا قادرا على الغضب فحينئذ ينتقم منه على أسوأ الوجوه أما اذا عفا كان ذلك احسانا منه الى ذلك الضعيف (فاذاهم مبصرون) أى اذا حضرت هذه التذكرات فى عقولهم ففى الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان ويحصل الانكشاف فينتهون عن المعصية (واخوانهم يمدونهم فى الغى) أى واخوان الشياطين من الكفار يقوون الشياطين فى الضلال وذلك لأن شياطين الانس اخوان لشياطين الجن فشياطين الانس يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الاضلال (ثم لايقصرون) أى لا ينكف الغاوون عن الضلال والمغوون عن الاضلال (واذا لم تأتهم) أى أهل مكة (بآية) كما طلبوا (قالوا لولا اجتبيتها) أى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا فانهم يزعمون أن سائر الآيات كذلك أو هلا اقترحتها على الهك ان كنت صادقا فى أن الله يقبل دعاءك ويجيب التماسك وعند هذا أمر الله رسوله أن يذكر الجواب الشافى بقوله تعالى (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) أى ليس لى أن أقترح على ربى فى أمر من الأمور وانما أنتظر الوحى فكل شئ أكرمنى به قلته والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح

(وتراهم ينظرون اليك) أى تحسبهم يرونك (وهم لايبصرون) وذلك لان لها أعينا مصنوعة مركبة بالجواهر حتى يحسب الانسان أنها تنظر اليه (خذ العفو) اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا لاتستقص عليهم وقيل هو أن يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه (وأمر بالعرف) أى بالمعروف الذى يعرف حسنه كل أحد (وأعرض عن الجاهلين) أى لاتقابل السفيه بسفهه فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزلت (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) أى يعرض لك من الشيطان عارض وينالك منه أدنى وسوسة (فاستعذ بالله) أى اطلب النجاة من تلك البلية بالله (انه سميع) لدعائك (عليم) أى عالم بما عرض لك (ان الذين اتقوا) يعنى المؤمنين (اذا مسهم) أى أصابهم (طيف من الشيطان) أى عارض من وسوسة (تذكروا) أى استعاذوا بالله (فاذاهم مبصرون) أى مواقع خطئهم فينزعون عن مخالفة الله (واخوانهم) يعنى الكفار وهم اخوان الشياطين (يمدونهم فى الغى) أى الشياطين يطولون لهم الاغواء والضلالة (ثم لا يقصرون) أى عن الضلالة ولا يبصرونها كما اقتصر المتقى عنها حين أبصرها (واذا لم تأتهم) يعنى أهل مكة (بآية) سألوكها (قالوا لولا اجتبيتها) أى اختلقتها وأنشأتها من قبل نفسك (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) الآية أى لست آتى بالآيات من قبل نفسى

(هذا)أى هذا القرآن الذى أتيت به (بصائر من ربكم) أى حجج ودلائل تقود الى الحق (واذاقرئ القرآن) نزلت فى تحريم الكلام
فى الصلاة وكانوا يتكلمون فى الصلاة فى بدء الأمر قيل نزلت فى ترك الجهر بالقراءة وراء الامام وقيل نزلت



الاقتراح فعدم الاتيان بالمعجزات التى اقترحوها لايقدح فى الغرض لأن ظهور القرآن على وفق دعواه صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فذكر الله تعالى فى وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أى القرآن (بصائر من ربكم) أى بمنز البصائر للقلوب فيه تبصر الحق وتدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) بالقرآن فالقرآن فى حق أصحاب عين اليقين وهم من بلغوا الغاية فى معارف التوحيد بصائر وفى حق أصحاب علم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات المستدلين هدى وفى حق عامة المؤمنين رحمة (واذاقرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم القرآن فى مسلك الاحتجاج بكونه معجزا على صدق نبوته فانهم قالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فأمروا بالاستماع حتى يمكنهم الوقوف على مافى القرآن ولذا قال تعالى (لعلكم ترحمون) أى لعلكم تطلعون على مافى القرآن من دلائل الاعجاز فتؤمنوا بالرسول فتصير وامرحومين (واذكر ربك فى نفسك) أى اذكر ربك عارفا بمعانى الاذكار التى تقولها بلسانك مستحضرا لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعظمة وذلك لأن الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعا وخيفة) أى متضرعا وخائفا امافى تقصير الأعمال أو فى الخاتمة أو فى أنه كيف يقابل نعمة الله التى لاحصر لها بالطاعة الناقصة والاذكار القاصرة (ودون الجهر من القول) أى متوسطا بين الجهر والمخافتة بأن يذكر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين) والمعنى أن قوله تعالى بالغدو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكر حاصلا فى كل الأوقات وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين يدل على أن الذكر القلبى يجب أن يكون دائما وأن لايغفل الانسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة لأن كل أثر حصل فى جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت فى البدن صعدت منه نتائج الى الروح. ألاترى ان الانسان اذا تخيل الشئ الحامض ضرس سنه واذا تخيل حالة مكروهة وغضب سخن بدنه فهذه آثار تنزل من الروح الى البدن. واعلم أن قوله تعالى واذكر ربك فى نفسك وان كان ظاهره خطابا مع النبى صلى الله عليه وسلم الا أنه عام فى حق كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد جوهر نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أى ان الملائكة مع غاية طهارتهم و براءتهم عن بواعث الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لايستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها حسب ما أمروا به (ويسبحونه) أى ينزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أى لايسجدون لغير الله تعالى فالتسبيح يرجع الى المعارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن الاصل فى العبودية أعمال القلوب و يتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

﴿سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانها نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال. وآياتها ست وسبعون. وكلماتها ألف ومائة وثلاثون. وحروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال) أى يسألك يا أشرف الخلق أصحابك منهم سعد بن أبى

فى السكوت للخطبة وقوله (وأنصتوا) أى عما يحرم من الكلام فى الصلاة أو عن رفع الصوت خلف الامام أواسكتوا الاستماع الخطبة (واذكر ربك فى نفسك) يعنى القراءة فى الصلاة (تضرعا وخيفة) أى استكانة لى وخوفا من عذابى (ودون الجهر) أى دون الرفع (من القول) أى من القرآن (بالغدو والآصال) أى بالبكر والعشيات أمر أن يقرأ فى نفسه فى صلاة الاسرار ودون الجهر فيما يرفع فيه الصوت (ولاتكن من الغافلين) أى الذين لايقرأون فى صلاتهم (ان الذين عند ربك) يعنى الملائكة وهم بالقرب من رحمة الله (لايستكبرون عن عبادته) أى هم مع منزلتهم ودرجتهم يعبدون الله كأنه قيل من هو أكبر منك أيها الانسان لايستكبرون عن عبادة الله (ويسبحونه) أى ينزهونه عن السوء (وله يسجدون)

﴿تفسير سورة الأنفال﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يسألونك عن الأنفال) أى الغنائم لمن هى نزلت حين اختلفوا فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لانا باشرنا الحرب وقالت الأشياخ كنا ردءا لكم لانا وقفنا فى المصاف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوانهزمتم لانحزتم الينا فلاتذهبوا

بينهم على السواء (فاتقوا الله) أى بطاعته واجتناب معاصيه (وأصلحوا ذات بينكم) يعنى حقيقة وصلكم أى لاتخالفوا (وأطيعوا الله ورسوله) أى سلموا لهما فى الأنفال فانهما يحكمان فيها ما أرادا (ان كنتم مؤمنين) ثم وصف المؤمنين فقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى المؤمن اذا خوف بالله فرق قلبه وانقاد لأمره (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) أى تصديقا ويقينا (وعلى ربهم يتوكلون) أى بالله يثقون لايرجون غيره (أولئك هم المؤمنون حقا) أى صدقا منهم من غير شك لا كايمان المنافق (لهم درجات عند ربهم) يعنى درجات الجنة (ومغفرة ورزق كريم) وهو رزق الجنة (كما أخرجك) أى امض لأمر الله فى الغنائم وان كره بعضهم ذلك لأن الشبان أرادوا أن تستبدوا بها فقال الله أعط من شئت وان كرهوا كما مضيت لأمر الله فى الخروج وهم له كارهون ومعنى كما أخرجك (ربك من بيتك)

وقاص أوقرابتك عن الغنائم يوم بدر وسميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم ولانها عطية من الله تعالى زائدة على الثواب الأخروى للجهاد (قل الأنفال لله والرسول) أى قل ياأشرف الخلق حكم الأنفال يوم بدر مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) فى أخذ الغنائم واتركوا المنازعة فيها (وأصلحوا ذات بينكم) أى أصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح وارضوا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين) فالايمان لايتم حصوله الا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا الخروج عنها (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى انما الكاملون فى الايمان الذين فزعت قلوبهم لمجرد ذكر الله من غير أن يذكر هناك مايوجب الفزع من صفاته وأفعاله استعظاما له تعالى. وقال أصحاب الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للعصاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لايزول عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا الخوف فى قلبه أكمل (واذا تليت عليهم آياته) أى الله التى هى القرآن (زادتهم ايمانا) أى يقينا بقول الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى و يعتمدون بالكلية على فضل الله و ينقطعون بالكلية عما سوى الله (الذين يقيمون الصلاة) أى يتمون الصلوات الخمس بحقوقها (ومما رزقناهم ينفقون) أى ويؤدون زكاة أموالهم (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقا) أى ايمانا حقا لانهم حققوا ايمانهم بضم الأعمال القلبية والقالبية اليه (لهم درجات عند ربهم) فمراتب السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يتجاوز الله عن سيئاتهم. وقال العارفون هى ازالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام بن عروة هو ما أعد الله لهم فى الجنة من لذيذ المآكل والمشارب وهناء العيش (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون) أى انهم رضوا بهذا الحكم فى الأنفال وان كانوا كارهين له كما أخرجك ربك من المدينة بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الاسلام والنصر على أعداء الله والحال أن فريقا من المؤمنين لكارهون الخروج للقتال لقلة العدد أوالمعنى الأنفال ثابتة لله ثبوتا بالحق كاخراجك من بيتك بالمدينة بالحق أى بالوحى وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا و بلغوا وادى دقران وهو قريب من الصفراء نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يامحمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى أصحابه فقال ماتقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير وهوا سم عسكر مجتمع فقالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أى بجميع أهل مكة ومضى الى بدر فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فاحسنا فى القول ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لوسرت الى عدن ماتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو يارسول الله امض كما أمرك الله فانا معك حيثما

أمرك بالخروج من المدينة لعير قريش (بالحق) أى بالوحى الذى أتاك به جبريل (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) أى الخروج معك كراهية الطبع لاحتمال المشقة لأنهم علموا أنهم لايظفرون بالعير دون القتال

حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن
اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون مادامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال أشيروا على أيها الناس فقال سعد بن معاذ امض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره أن تلقى بنا عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا
فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم (يجادلونك في الحق)
تلقي النفير (بعدما تبين) أي بعد اعلامك انهم ينصرون أينما توجهوا وجدالهم هو قولهم ماكان
خروجنا الا للعير وهلا ذكرت لنا القتال لنتأهب له وكان ذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون
الى الموت وهم ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف الى القتل والحال أنهم ينظرون الى
أسباب الموت (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) أي واذكروا وقت أن يعدكم الله بأن
احدى الطائفتين العير أو العسكر مختصة بكم تسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم
(وتودون) أي وتحبون (أن غير ذات الشوكة) أي القوة (تكون لكم) وهو العير اذ لم يكن فيها
الا أربعون فارسا ورئيسهم أبو سفيان وذات الشوكة وهي العسكر وهم ألف مقاتل ورئيسهم أبو جهل
(ويريد الله أن يحق الحق) أي يثبت النصر على الأعداء (بكلماته) أي بأسباب النصر من
أوامره تعالى للملائكة بالامداد (ويقطع دابر الكافرين) والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور
وهو العير للفوز بالمال والله تعالى يريد معاليها بأن تتوجهوا الى النفير لما فيه من اعلاء الدين الحق
واستئصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر الشريعة ويقوي الدين (ويبطل الباطل) أي
وليظهر بطلان الباطل بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون
ذلك الاظهار (اذ تستغيثون ربكم) أي تطلبون منه الغوث كأن يقولوا ربنا انصرنا على عدوك
ياغياث المستغيثين أغثنا أي فرج عنا قال ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر
ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف استقبل
القبلة ومد يديه وهو يقول اللهم أنجز لي ماوعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض ولم يزل
كذلك حتى سقط رداؤه ورده أبو بكر ثم التزمه ثم قال كفاك يانبي الله مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ماوعدك فنزلت هذه الآية. واذ تستغيثون بدل من اذ يعدكم معمول لعامله ويجوز أن يكون العامل
في اذ هو قوله تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أني ممدكم) أي معينكم (بألف من الملائكة
مردفين) وقرأ عيسى بن عمر ويروى أيضا عن أبي عمرو اني بكسر الهمزة على اضمار القول أو على
اجراء استجاب مجرى قال والعامة على فتح الهمزة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم
ويروى عن قنبل أيضا مردفين بفتح الدال أي ان الله أردف المسلمين بهم وأيدهم بهم بمعنى ان
الملائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم والباقون بكسرها أي متتابعين يأتي بعضهم اثر بعض
وروي أنه نزل جبريل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة قاتل
بها في يسار الجيش وفيه علي (وماجعله الله الا بشرى) أي وماجعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا
الا للبشرى لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن به) أي بالأمداد (قلوبكم) كما كانت السكينة لبني
اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لامن عند غيره أي ان الله ينصركم أيها المؤمنون

(يجادلونك في الحق بعدما تبين) أي في القتال بعدما أمرت به وذلك أنهم خرجوا للعير ولم يأخذوا أهبة الحرب فلما
أمروا بحرب النفير شق
عليهم ذلك فطلبوا الرخصة
في ترك مثل ذلك فهو
جدالهم (كأنما يساقون
الى الموت وهم ينظرون)
أي لشدة كراهتهم لقاء
القوم كأنهم يساقون الى
الموت عيانا (واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين) العير
والنفير (أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة) أي
العير التي لاسلاح فيها
(تكون لكم ويريد الله
أن يحق الحق) أي يظهره
ويعليه (بكلماته) أي
بعداته التي سبقت بظهور
الاسلام (ويقطع دابر
الكافرين) أي آخر من
بقي منهم يعني انه انما أمركم
بحرب قريش هذا (ليحق
الحق) ويقطع دابر
الكافر يعني ليظهر الحق
ويعليه (ويبطل الباطل)
أي ليهلك الكفر ويفنيه
(ولو كره المجرمون) أي
ذلك (اذ تستغيثون
ربكم) أي تطلبون منه
المعونة بالنصر على العدو
لقلتكم (فاستجاب لكم
أني ممدكم بألف من
الملائكة مردفين) أي
متتابعين جاءوا بعد
المسلمين ومن فتح الدال
أراد بألف أردف الله
المسلمين بهم (وماجعله الله)
أي الارداف (الا بشرى لكم) الآية ماضية في سورة آل عمران

فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم (ان الله عزيز) أي قاهر لا يقهر (حكيم) فيما ينزل من النصرة فيضعها في موضعها (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه) أي يجعل الله النعاس مغطيا لكم آمنا من خوف العدو من الله تعالى واذ بدل ثان من اذ يعدكم قال الزجاج محلها نصب على الظرفية والمعنى وما جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يغشيكم بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وقرأ نافع بضم الياء وسكون الغين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبو عمرو وابن كثير يغشاكم بفتح الياء والشين وسكون الغين والنعاس فاعل أي اذ يلقى عليكم النوم الخفيف أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (وينزل عليكم من السماء ماء) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (ليطهركم به) من الاحداث وفي الخبر ان المشركين سبقوا الى موضع الماء وطمعوا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنون وخافوا من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة وأكثرهم احتلموا وموضعهم كان رملا تغوص فيه الارجل ويرتفع منه الغبار الكثير وكان الخوف في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة آلتهم فلما أنزل الله ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول النصرة وعظمت النعمة به (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته روى أنهم لما ناموا واحتلم أكثرهم تمثل لهم ابليس وقال أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء فأنزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادي واتخذ المسلمون حيضانا واغتسلوا وتلبد الرمل حتى ثبتت عليه الأقدام (وليربط على قلوبكم) أي ليحفظ قلوبكم بالصبر (ويثبت به) أي الماء (الأقدام) على الرمل فقدروا على المشي عليه كيف أرادوا (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم) فانه تعالى أوحى الى الملائكة أني مع المؤمنين (فثبتوا الذين آمنوا) أي فانصروهم وبشروهم بالنصرة وقد روى أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فان الله تعالى ناصركم (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي المخافة من محمد ﷺ وأصحابه (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) أي فاضربوا رؤسهم واضربوا أطراف الأصابع أي اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها الى أسافلها كيف شئتم لان الله تعالى ذكر الأشرف والأخس فهو اشارة الى كل الأعضاء (ذلك) أي لقاؤهم الخزي من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوهما في الأوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أي ومن يخالفهما فان الله يعاقبه في القيامة وهو شديد العقاب فالذي نزل بهم في ذلك اليوم قليل بالنسبة لما أعده الله لهم من العقاب في القيامة (ذلكم) أي الأمر ذلكم فالخطاب للكفرة (فذوقوه) في الدنيا (وأن للكافرين عذاب النار) والمعنى حكم الله ذلكم من أن ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار لكم آجلا (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي مثل الزاحفين على أدبارهم في بطء السير لاجتماعهم (فلا تولوهم الأدبار) أي لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم (ومن يولهم يومئذ) أي يوم اللقاء (دبره الا متحرفا لقتال) بأن يخيل عدوه أنه منهزم ثم ينعطف عليه

(اذ يغشيكم النعاس أمنة منه) وذلك أن الله تعالى آمنهم أمنا غشيهم النعاس معه وهذا كما كان في يوم أحد وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران (وينزل من السماء ماء ليطهركم به) وذلك أنهم لما بايتوا المشركين ببدر أصابت جماعة منهم جنابات وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء فوسوس اليهم الشيطان فقال كيف ترجون الظفر وقد غلبوكم على الماء وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه فأنزل الله مطرا سال منه الوادي حتى اغتسلوا وزالت الوسوسة فذلك قوله (ليطهركم به) من الاحداث والجنابات (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته التي تكسب عذاب الله (وليربط على قلوبكم) أي باليقين والنصر (ويثبت به الأقدام) وذلك أنهم كانوا قد نزلوا على كثيب تغوص فيه أرجلهم فلبده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام (اذ يوحي ربك الى الملائكة) أي الذين أمد بهم المسلمين (أني معكم) بالعون والنصرة (فثبتوا الذين آمنوا) بالتبشير بالنصر فكان الملك يسير أمام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف من أوليائي (فاضربوا فوق الأعناق) أي الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أي الاطراف من اليدين والرجلين (ذلك) الضرب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي باينوهما وخالفوهما (ذلكم) القتل والضرب ببدر (فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) (أو أي بعدما نزل بهم من ضرب الأعناق (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي مجتمعين متدانين اليكم للقتال (فلا تولوهم الأدبار) أي لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم (ومن يولهم يومئذ) أي يوم لقاء الكفار (دبره الا متحرفا لقتال) أي منعطفا مستطردا يطلب العودة

(أومتحيزا الى فئة) أى متنحيا الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو (فقد باء) أى رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم و بئس المصير) والفرار من الزحف من أكبر الكبائر اذا لم يزد العدد على الضعف (فلم تقتلوهم) أنتم بقوتكم (ولكن الله قتلهم) لتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم أى فلم تؤثر قوتكم فى قتلهم ولكن التأثير لله (ومارميت) ياأكرم الرسل (اذ رميت) أى ومارميت فى الحقيقة وقت رميت التراب الى وجوه المشركين (ولكن الله رمى) أى أوصل رميك اليهم روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ماوعدتنى فنزل اليه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه أعطنى قبضة من التراب من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم و يأسرونهم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع اسم الجلالة (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) أى ولينعم الله عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والثواب وهذا معطوف على قوله تعالى ولكن الله رمى (ان الله سميع) لاستغاثتهم (عليم) بأحوال قلوبهم الداعية الى الاجابة (ذلكم) أى الأمر ذلكم أى البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بعدم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو عمرو كذلك لكن مع فتح الواو وتشديد الهاء أى والأمر ان الله مضعف صنيع الكافرين (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) قال الحسن ومجاهد والسدى وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدى ان المشركين لما أرادوا الخروج الى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى ان تستنصروا أيها الكفار لاعلى الجندين فقد جاءكم النصر لاعلاهما وقد زعمتم انكم الأعلى فالتهكم فى المجىء أو فقد جاءكم الهزيمة فالتهكم فى نفس الفتح وان تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خير لكم فى الدين بالخلاص من العقاب والفوز بالثواب و فى الدنيا بالخلاص من القتل والأسر والنهب وان تعودوا الى القتال نعد الى تسليط المسلمين على قتلكم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا من الضرر ولو كثرت وقيل هذا خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن المنازعة فى أمر الأنفال وعن طلب الفداء على الأسرى فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعة نعد الى ترك نصرتكم ثم لاتنفعكم كثرتكم (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن بفتح الهمزة وهو خبر مبتدأ محذوف أى والأمر أن الله مع الكاملين فى الايمان (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله) فى الاجابة الى الجهاد والى ترك المال اذا أمره بتركه (ولا تولوا عنه) أى ولا تعرضوا عن الرسول أى عن قبول قوله وعن معونته فى الجهاد (وأنتم تسمعون) دعاءه الى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا)

(أومتحيزا) أى منضما (الى فئة) يعنى الى جماعة يريدون العود الى القتال (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم و بئس المصير) وأكثر المفسرين على ان هذا الوعيد انما كان لمن فر يوم بدر (فلم تقتلوهم) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بتسبيبه ذلك من المعونة عليه وتشجيع القلب (ومارميت اذ رميت) وذلك أن جبريل قال للنبى ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من حصباء الوادى فرمى به فى وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل عينه منها شئ فكان ذلك سبب هزيمتهم فقال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى أن كفا من الحصباء لايملأ عيون ذلك الجيش الكثير برمية بشر ولكن الله تولى ايصال ذلك الى أعينهم (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) أى ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ففعل ذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) بنياتهم (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) يعنى رسوله باهانة كيد عدوه حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم (ان تستفتحوا) هذا خطاب للمشركين وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين وأهدى الفئتين فقال الله تعالى ان تستفتحوا أى تستنصروا لأهدى الفئتين (فقد جاءكم الفتح) أى النصر (وان تنتهوا) أى عن الشرك بالله (فهو خير لكم وان تعودوا) أى لقتال محمد ﷺ (نعد) أى نعد عليكم بالقتل والأسر (ولن تغنى) أى ولن تدفع (عنكم فئتكم) أى جماعتكم (شيئا ولو كثرت) أى فى العدد (وأن الله مع المؤمنين) أى فى النصر لهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله ولا تولوا عنه) أى لاتعرضوا عنه بمخالفة أمره (وأنتم تسمعون) أى ما نزل من القرآن (ولا تكونوا كالذين قالوا

بألسنتهم (سمعنا وهم لايسمعون) أى انا قبلنا تكاليف الله تعالى والحال أنهم بقلوبهم لايقبلونها (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون) أى ان شر كل حيوان فى حكم الله تعالى من لايسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقه أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد ﷺ فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أى ولو حصل فى بنى عبد الدار خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تفهم (ولو أسمعهم) بعد أن علم أنه لاخير فيهم (لتولوا) عنها ولم ينتفعوا بها (وهم معرضون) أى والحال انهم مكذبون بها قيل ان الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يحيى لهم قصى بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبر وهم بصحة نبوته ﷺ فبين الله تعالى أنه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الأموات لأحياهم الله تعالى حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لايقولون أحى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك الا على سبيل العناد والتعنت وانه لو أسمعهم الله كلام قصى وغيره لتولوا عن قبول الحق على أدبارهم ولأعرضوا عما سمعوه بقلوبهم (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) أى أجيبوا الله والرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم الرسول الى ما فيه سبب حياتكم الأبدية من الايمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ مر على باب أبى بن كعب وهو فى الصلاة فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ﷺ له مامنعك عن اجابتى قال كنت فى الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول فقال لاجرم لاتدعونى الا أجيبك (واعلموا) يامعشر المؤمنين (أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يحول بين المرء وبين مايريده بقلبه فان الأجل يحول دون الأمل فكأنه قال تعالى بادروا الى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على مايقع فى قلوبكم من توقع طول البقاء فان ذلك غير موثوق به. وقال مجاهد المراد من القلب هنا العقل أى فان الله يحول بين المرء وعقله والمعنى فبادروا الى الأعمال وأنتم تعقلون فانكم لاتأمنون زوال العقل والله يحول بين المرء الكافر وطاعته ويحول بين المرء المطيع ومعصيته والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ولا يستطيع المرء أن يؤمن ولا أن يكفر الا باذنه تعالى (وأنه) أى واعلموا أن الشأن (اليه) أى الله تعالى (تحشرون) فى الآخرة فيجزيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا الى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وحذر تلك الفتنة بالنهى عن المنكر فالواجب على كل من رآه أن يزيله اذا كان قادرا على ذلك فاذا سكت عليه فكلهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله تعالى الراضى بمنزلة العامل فانتظم فى العقوبة. وعلامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذى يقع فى الدين بفعل العاصى فلا يتحقق كون الانسان كارها له الا اذا تألم له تألمه لفقد ماله أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر

بكما عن التكلم به بين الله ان هؤلاء شر مادب على الأرض من الحيوان (ولو علم الله فيهم خيرا) أى لو علم انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته (لأسمعهم) اياها سماع تفهم (ولو أسمعهم) بعد ان علم ان لاخير فيهم ماانتفعوا بذلك (لتولوا وهم معرضون يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) أى أجيبوا لهما بالطاعة (اذا دعاكم لما يحييكم) يعنى الجهاد لأن به يحيى أمرهم ويقوى ولأنه سبب الشهادة والشهداء أحياء عند ربهم ولأنه سبب للحياة الدائمة فى الجنة (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن الا باذنه ولا أن يكفر فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء (وانه اليه تحشرون) أى للجزاء على الأعمال (واتقوا فتنة) الآية أمر الله المؤمنين ان لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والفتنة هنا اقرار المنكر وترك التغيير له وقوله (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى تصيب الظالم والمظلوم

سببه

ولا تكون خاصة بالظلمة وحدهم ولكنها عامة والتقدير واتقوا فتنة ان لاتتقوها لاتصيب الذين ظلموا خاصة أى لاتقع بالظالمين دون غيرهم لكنها تقع بالصالحين والطالحين (واعلموا أن الله شديد العقاب) حث على لزوم الاستقامة خوفا من الفتنة ومن عقاب الله بالمعصية فيها

(واذكروا) يعني المهاجرين (اذ أنتم قليل) يعني حين كانوا بمكة في عنفوان الاسلام قبل أن يكملوا أربعين (مستضعفين في الارض) يعني أرض مكة (تخافون أن يتخطفكم الناس) أي المشركون والعرب لو خرجتم منهما (فآواكم) أي جعل لكم مأوى ترجعون اليه وضمكم الى الأنصار (وأيدكم بنصره) أي يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أحلها لكم (لعلكم تشكرون) أي كي تطيعوا (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بترك فرائضه (والرسول) أي بترك سنته (وتخونوا) أي ولا تخونوا (أماناتكم) وهي كل ما ائتمن الله عليها العباد وكل أحد مؤتمن على ما افترض الله عليه (وأنتم تعلمون) انها أمانة من غير شبهة وقيل نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم وقالوا له ما ترى لنا أننزل على حكم سعد فينا فأشار أبو لبابة الى حلقه وأنه الذبح فلا تفعلوا وكانت تلك منه خيانة لله ولرسوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي محنة يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه ولذلك مال أبو لبابة الى قريظة في اطلاعهم على حكم سعد لان ماله وولده كان فيهم (وأن الله عنده أجر عظيم) أي لمن أدى الأمانة ولم يخن (يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) أي باجتناب الخيانة فما ذكر (يجعل لكم فرقانا) أي يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم) أي لا يمنعكم ما وعدكم على طاعته (واذ يمكر بك الذين كفروا) وذلك أن مشركي قريش تآمروا في دار الندوة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم قيدوه نتربص به ريب المنون وقال بعضهم أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال أبو جهل لعنه الله ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه ضربة رجل واحد فاذا اقتلوه تفرق دمه في القبائل ولا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها فأوحى الله الى نبيه ﷺ بذلك وأمره بالهجرة فذلك قوله عز وجل (ليثبتوك) أي ليوثقوك ويشدوك (أو يقتلوك) بأجمعهم قتلة رجل واحد كما قال اللعين أبو جهل (أو يخرجوك) من مكة الى طرف من أطراف الارض (ويمكرون ويمكر الله) أي يجازيهم جزاء مكرهم بنصر المؤمنين عليهم (والله خير الماكرين) أي أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وذلك أنه أهلك هؤلاء الذين نووا لنبيه الكيد وخلصه منهم

سببه والمعنى الزموا الاستقامة خوفا من عذاب الله تعالى (واذكروا) يا معشر المهاجرين (اذ أنتم قليل) في العدد في أول الاسلام (مستضعفون في الارض) أي مقهورون في أرض مكة (تخافون أن يتخطفكم الناس) تخافون اذا خرجتم من البلد أن تأخذكم مشركو العرب بسرعة لشدة عداوتهم لكم ولقربهم منكم (فآواكم) أي نقلكم الى المدينة فصرتم آمنين من كفار مكة (وأيدكم بنصره) أي قواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) أي من الغنائم وهي كانت محرمة على من كان قبل هذه الأمة (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) في الدين وفي الاشارة الى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم (وأنتم تعلمون) أن ما وقع منكم خيانة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فسألوه صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح بني النضير على أن يسيروا الى اخوانهم في أذرعات وأريحا من الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله عندهم فأرسله اليهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى لنا أننزل على حكم سعد بن معاذ فينا فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه أي حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فكان ذلك منه خيانة لله ورسوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة لانه يشغل القلب بالدنيا ويصيره حجابا عن خدمة المولى (وأن الله عنده أجر عظيم) فان سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لانها أعظم في الشرف وفي المدة لانها تبقى (يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) أي نجاة مما تخافون في الدارين (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يسترها في الدنيا (ويغفر لكم) أي يزلها في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) على عباده بالمغفرة والجنة (واذ يمكر بك الذين كفروا) أي واذكر يا أشرف الخلق وقت احتيالهم بك في ايصال الضرر والهلاك (ليثبتوك) أي ليسجنوك أو ليثبتوك بالوثاق كما قرئ ليقيدوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) أي يريدون هلاكك يا أكرم الرسل (ويمكر الله) أي يرد مكرهم عليهم وذلك بأن أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا (والله خير الماكرين) أي أقواهم فكل مكر يبطل في مقابلة فعل الله تعالى قال المفسرون ان مشركي قريش عرفوا لما أسلمت

الأنصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كبار قريش فى دار الندوة أى فى الدار التى يقع فيها الاجتماع للتحدث ورءوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان وطعيمة بن عدى وجبير بن معطم والحرث بن عامر والنضر بن الحرث وأبو البحترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم ابن حزام وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ودخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا من أهل نجد وتشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام قيدوه وسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فقال ابليس لا مصلحة فيه لانه يغضب له قومه فتسفك فيه الدماء فقال أبو البحترى بن هشام أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه لكم فقال ابليس لا مصلحة فيه لانه يجمع طائفة على نفسه ويقاتلكم بهم وقال أبو جهل الرأى أن نجمع من كل قبيلة رجلا فيضربوه بأسيافهم ضربة واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على محاربة قريش كلها فيرضون بأخذ الدية فقال ابليس هذا هو الرأى الصواب فأوحى الله تعالى الى نبيه بذلك وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن له فى الهجرة الى المدينة وأمر عليا أن يبيت فى مضجعه وقال له تسج ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وهم المشركون بالولوج عليه صلى الله عليه وسلم فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها لسبة فى العرب أن يتحدثوا عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا وباتوا مترصدين على الباب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب وثره على رءوسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر الى الغار فلما أصبحوا ساروا الى مضجعه صلى الله عليه وسلم فأبصروا عليا فقالوا له وأين صاحبك فقال لا أدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم تنسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا من الليالى ثم قدم المدينة (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين) أى ما هذا القرآن الا ما كتب الاولون من القصص. روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة بلدة بقرى الكوفة تاجرا واشترى أحاديث كايلة ودمنة وكان يقعد مع المستهزئين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين كالفرس والروم وكان يزعم أنها مثل ما يذكره محمد من قصص الأولين واسناد القول الى الكل مع أن القائل هو النضر لما أنه كان رئيسهم وقاضيهم وهو الذى يقولون بقوله ويأخذون برأيه (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أى الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو للفصل (من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو ائتنا بعذاب أليم) غير الحجارة قاله النضر استهزاء وقد أسره المقداد يوم بدر فقتله النبى صلى الله عليه وسلم أو قاله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود يوم بدر (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أى لا يفعل الله بهؤلاء الكفار عذاب الاستئصال مادام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا معهم تعظيما له وأيضا ان عادة الله مع جميع الأنبياء المتقدمين لم يعذب أهل قرية الا بعد أن يخرج رسولهم منها كما كان فى حق هود وصالح ولوط (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة بقى فيها من لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) أى ولا مانع من اهلاك الله لهم بعد ما خرجت من بينهم وحالهم يمنعونك والمسلمين عن الطواف ببيت الله يوم الحديبية (وما كانوا أولياءه) أى والحال أنهم ما كانوا أولياء

فكان يقعد مع المستهزئين فيقرأ عليهم فكلما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا ان هذا الا ما سطره الاولون فى كتبهم وقال النضر أيضا ان كان هذا الذى يقول محمد حقا من عندك (فأمطر علينا حجارة من السماء) كما أمطرتها على قوم لوط (أو ائتنا بعذاب أليم) أى ببعض ما عذبت به الأمم حمله عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم على مثل هذا القول ليوهم أنه على بصيرة من أمره وغاية الثقة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس بحق (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أى وما كان الله ليعذب المشركين وأنت مقيم بين أظهرهم لانه لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبى منها والذين آمنوا معه وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم المؤمنون يستغفرون يعنى المسلمين ثم قال (وما لهم ألا يعذبهم الله) أى ولم لا يعذبهم الله بالسيف بعد خروج من عنى بقوله وهم يستغفرون من بينهم (وهم يصدون) أى يمنعون النبى والمؤمنين (عن المسجد الحرام) ان يطوفوا به (وما كانوا اولياءه) وذلك أنهم قالوا نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله

المسجد وهذا رد لقولهم نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياؤه الا المتقون) أى ما أولياء المسجد الا الذين يتحرزون عن المنكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية ومن كانت هذه حاله لم يكن وليا للمسجد الحرام بل هم أهل لأن يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنه لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم) أى عبادتهم (عند البيت الا مكاء) أى صفيرا (وتصدية) أى تصفيقا أى ما كان شىء مما يعدونه عبادة الا هذين الفعلين قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون باحدى اليدين بالأخرى (فذوقوا العذاب) أى عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن و بمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى عن دينه قال مقاتل والكلبى نزلت هذه الآية فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من كبار قريش أبى جهل وأصحابه يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت فى أبى سفيان وكان استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق فيهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا وأخرج ابن اسحق عن مشايخه أنها نزلت فى أبى سفيان ومن كان له فى العير من قريش تجارة (فسينفقونها) أى أموالهم (ثم تكون) أى الأموال (عليهم حسرة) أى ندامة لفواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم يغلبون) آخر الأمر (والذين كفروا) أى أصروا على الكفر أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) أى يساقون يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى ليميز الله الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين واللام متعلقة بيحشرون أو بيغلبون أو المعنى ليميز الله نفقة الكافر على عداوة محمد من نفقة المؤمن فى جهاد الكفار كانفاق أبى بكر وعثمان فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائى ليميز بضم الياء الأولى وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) أى ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض (فيركمه) أى فيجمعه (جميعا) لفرط ازدحامهم (فيجعله) أى يطرحه (فى جهنم) وقيل المعنى يضم الله تعالى تلك الأموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيها فى جهنم ويعذبهم بها (أولئك) أى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون فى الغبن (قل للذين كفروا) أبى سفيان وأصحابه أى قل يا أشرف الخلق لاجلهم (ان ينتهوا) عن الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله (وان يعودوا) الى الكفر ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم أى وان يرتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه ويرجعوا للكفر وقتال النبى ننتقم منهم بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أى لأنه قد سبقت سيرة الأولين الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتدمير كما جرى على أهل بدر (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) أى قاتلوا كفار أهل مكة لئلا توجد فتنة فقد خرج المسلمون الى الحبشة وتآمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم حين بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وليكون الدين كله لله فى أرض مكة وما حولها لا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر وسائر المعاصى بالتوبة والايمان

(ان أولياؤه الا المتقون) يعنى المهاجرين والأنصار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى غيب علمى وما سبق فى قضائى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) أى صفيرا وتصفيقا وكانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون جعلوا ذلك صلاة لهم فكان تقربهم الى الله بالتصفيق والتصفير (فذوقوا العذاب) أى ببدر (بما كنتم تكفرون) أى تجحدون توحيد الله (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) الآية نزلت فى المنفقين على حرب رسول الله أيام بدر وكانوا اثنى عشر رجلا قال (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) أى بذهاب الأموال وفوات المراد (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى انما يحشرون الى جهنم ليميز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة (ويجعل الخبيث) أى الكافر وهو اسم الجنس (بعضه على بعض) أى يلحق بعضهم ببعض (فيركمه جميعا) أى يجمعه حتى يصير كالسحاب المركوم (فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون) أى لانهم اشتروا بأموالهم عذاب الله فى الآخرة (قل للذين كفروا) أى لأبى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) أى عن الشرك وقتال المؤمنين (يغفر لهم ما قد سلف) أى تقدم من الزنا والشرك لأن الحربى اذا أسلم صار كهو يوم ولدته أمه (وان يعودوا) أى لقتالك (فقد مضت سنة الأولين) أى بنصر الله رسله ومن آمن على من كفر (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى كفر (ويكون الدين كله لله) أى لا يكون مع دينكم كفر فى جزيرة العرب (فان انتهوا) أى عن الشرك وقتال محمد

(فأن الله بماتعملون بصير ) أى يجازيهم مجازاة البصير بهم و بأعمالهم (وان تولوا) أى أبوا أن يدعوا الشرك وقتال محمد صلى الله عليه
وسلم (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم يامعشر المؤمنين (واعلموا أنما غنمتم من شئ) أى أخذتموه قسرا من الكفار (فأن لله
خمسه) هذا تزيين لافتتاح الكلام ومصرف الخمس الى حيث ذكر وهو قوله (وللرسول) كان له خمس الخمس يصنع فيه ماشاء واليوم
يصرف الى مصالح المسلمين (ولذى  القربى) وهم بنوهاشم و بنو المطلب الذين حرمت عليهم الصدقات المفروضة
لهم خمس الخمس من الغنيمة (واليتامى) وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم ينفق عليهم من خمس الخمس (والمساكين) يعنى أهل الفاقة والحاجة من المسلمين لهم أيضا خمس الخمس (وابن السبيل) وهو المنقطع به فى سفره فخمس الغنيمة يقسم على خمسة أخماس كما ذكره الله عزوجل وأربعة أخماسه تكون للغانمين وقوله (ان كنتم آمنتم بالله) أى فاقبلوا ماأمرتم به فى الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى هذه السورة (يوم الفرقان) أى اليوم الذى فرقت فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) حزب الله تعالى وحزب الشيطان (والله على كل شئ قدير) اذ نصركم وأنتم أقلة أذلة (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) نزول بشفير الوادى الأدنى الى المدينة وعدوكم نزول بشفير الوادى الاقصى الى
مكة (والركب) أبو سفيان وأصحابه وهم أصحاب الابل يعنى العير (أسفل منكم) الى ساحل البحر من (ولو
تواعدتم) أى للقتال (لاختلفتم فى الميعاد) أى لاختلفتم ونقضتم الميعاد لكثرتهم وقلتكم (ولكن) جمعكم الله من غير الميعاد (ليقضى
الله أمرا كان مفعولا) أى فى علمه وحكمه من نصر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن
بينة) أى ليضل وليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره و يؤمن من آمن على مثل ذلك وأراد بالبينة نصرة المؤمنين مع
قلتهم على ذلك الجمع الكثير مع كثرتهم وشوكتهم

(فأن الله بما يعملون بصير ) أى عالم لايخفى عليه شئ يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) عن التوبة
والايمان (فاعلموا) يامعشر المؤمنين (أن الله مولاكم) أى حافظكم ورافع البلاء عنكم ( نعم
المولى) أى الولى بالحفظ (ونعم النصير ) لايغلب من نصره وكل من كان فى حماية الله تعالى كان آمنا
من الآفات مصونا عن المخوفات والمعنى وان تولوا عن الايمان فلا تخشوا بأسهم لأن الله مولاكم
(واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه) أى واعلموا يامعشر المؤمنين أن الذى أصبتموه كائنا
من شئ قليلا كان أو كثيرا فواجب أن لله خمسه يعنى أنه تعالى أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة
فذكر لله للتعظيم وقوله أن لله خمسه خبر مبتدا محذوف أى فكون خمسه لله واجب وهذه الجملة
خبر لأن (وللرسول) اما بعد وفاته فيصرف سهمه الى مصالح المسلمين عند الشافعى وقال أبو حنيفة
سهمه ساقط بسبب موته وقال مالك مفوض الى رأى الامام ( ولذى القربى) أى ولقرابة النبى
صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم و بنى المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وفقرائهم يقسم الخمس
بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين (واليتامى) أى الذين مات آباؤهم وهم فقراء غير يتامى بنى
عبد المطلب (والمساكين) أى ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج فى سفره
ولا معصية بسفره (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات
والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا
أو بآمنتم (يوم التقى الجمعان) أى الفريقان من المسلمين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان
أو منصوب بالفرقان والمعنى ان كنتم آمنتم بالله و بالمنزل على محمد يوم بدر فاعلموا أن خمس الغنيمة
مصروف الى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا أطماعكم عنه واقنعوا بالاخماس الأربعة (والله على كل شئ
قدير ) يقدر على نصر القليل على الكثير (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل ثان من يوم الفرقان أى
اذ أنتم كائنون فى شط الوادى القربى من المدينة ( وهم بالعدوة القصوى) أى والمشركون فى شفير
الوادى البعدى منها (والركب أسفل منكم) أى العير التى خرجوا لها التى يقودها أبو سفيان وأصحابه
كائنون بمكان أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل
مكة على القتال (لاختلفتم فى الميعاد) أى لخالف بعضكم بعضا فى الميعاد هيبة منهم لكثرتهم وقلتكم
(ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير ميعاد ( ليقضى الله أمرا كان مفعولا ) أى
ليمضى أمرا كان مفعولا فى علمه وهو النصرة والغنيمة للنبى وأصحابه والهزيمة والقتل لأبى جهل
وأصحابه و يكون استيلاء المؤمنين على المشركين معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
( ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حى عن بينة) وهو بدل من ليقضى أى ليموت من مات عن بينة
عاينها و يعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة أو ليصدر كفر من كفر وايمان

(وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (اذ يريكهم الله فى منامك) أى فى عينك وهو موضع النوم (قليلا) لتحقروهم وتجترئوا عليهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) أى لجبنتم ولتأخرتم عن حربهم وقتالهم (ولتنازعتم فى الأمر) واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) أى عصمكم وسلمكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بذات الصدور) أى علم مافى صدوركم من اليقين ثم خاطب المؤمنين جميعا بهذا المعنى فقال (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) قال ابن مسعود لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين فقال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم قال ألف (ويقللكم فى أعينهم) ليجترئوا عليكم ولا يرجعوا عن قتالكم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) فى علمه بنصر الاسلام وأهله وذل الشرك وأهله (والى الله ترجع الأمور) أى وبعد هذا الى مصيركم فأكرم أوليائى وأعاقب أعدائى (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) أى جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) أى ادعوه بالنصر عليهم (لعلكم تفلحون) أى كى تسعدوا وتبقوا فى الجنة فانما هما خصلتان اما الغنيمة واما الشهادة (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) أى ولا تختلفوا (فتفشلوا) أى تجبنوا (وتذهب ريحكم) أى جلدكم وجرأتكم ودولتكم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى النفر (بطرا) أى طغيانا فى النعمة وذلك أنهم خرجوا بالمعازف والقيان يشربون الخمور (ورئاء الناس) أى

من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بحاجتكم وضعفكم فأصلح مهمكم (اذ يريكهم الله فى منامك) قبل يوم بدر (قليلا) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقالوا رؤيا النبى حق فصار بذلك تشجيعا للمؤمنين (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) أى ولو أراك الله المشركين كثيرا لذكرته للقوم ولو سمعوا ذلك لجبنوا (ولتنازعتم فى الأمر) أى لاختلفتم فى أمر القتال ولتفرقت آراؤكم فى الفرار والثبات (ولكن الله سلم) أى سلمكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بذات الصدور) أى بالخطرات التى تقع فى القلوب من الصبر والجزع والجراءة والجبن ولذلك دبر مادبر (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) أى واذ يبصركم أيها المؤمنون اياهم قليلا حتى قال ابن مسعود لمن فى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة وهم فى نفس الأمر ألف تصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ولتزداد جراءة المؤمنين عليهم (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال أبو جهل انما أصحاب محمد أكلة جزور أى قليل يشبعهم جزور واحد فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال وقلل الله عدد المؤمنين فى أعين المشركين قبل التحام الحرب لئلا يبالغ الكفار فى تحصيل الاستعداد والحذر فيصير ذلك سببا لانكسارهم فلما التحم القتال أرى الكفار المسلمين مثلى الكفار وكانوا ألفا فرأوا المسلمين قدر ألفين ليهابوا وتضعف قلوبهم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أى ليصير ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الأمور) بالبناء للمفعول أى ترد وللفاعل أى تصير ويصرف الله الأمور كلها كيفما يريد ولا تجرى على مايظنه العبيد (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا) أى اذا حاربتم جماعة من الكفرة فجدوا فى المحاربة ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان فى أثناء القتال ومن الذكر مايقع حال القتال من التكبير (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بمرامكم من النصرة والمثوبة (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر القتال وغيره (ولا تنازعوا) أى لا تختلفوا فى أمر الحرب (فتفشلوا) أى فتجبنوا (وتذهب ريحكم) أى شدتكم (واصبروا) على شدائد الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والكلاءة (ولا تكونوا) فى الاستكبار والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أى شديد المرح (ورئاء الناس) أى ولثناء الناس عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك ان قريشا خرجوا من مكة لحفظ العير فلما بلغوا جحفة أتاهم رسول أبى سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلمت عيركم فأبوا الا اظهار آثار الجلادة وأيضا لما وردوا الجحفة بعث الحقاف الكنانى الى أبى جهل وهو صديق له بهدايا مع ابن له فلما أتاه قال ان أبى يقول لك ان شئت أن أمدك بالرجال أمددتك وان شئت أن أزحف اليك بمن معى من قرابتى فعلت فقال أبو جهل قل لأبيك جزاك الله خيرا ان كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله مالنا بالله من طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله مانرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرا فنشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان وننحر الجزور فى بدر فيثنى الناس علينا بالشجاعة والسماحة وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الدفوف بنوح النائحات وبدل نحر الجزور بنحر رقابهم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون واعلم أن النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها الى مرضاته تعالى وعرف أنها من الله تعالى فذاك هو الشكر وأما ان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمغالبة بالكثرة على أهل الزمان فذاك هو البطر

اظهاراً للجميل مع ابطان القبيح (و يصدون عن سبيل الله) أى بمعاداة المؤمنين وقتالهم (والله بما يعملون محيط) أى عالم فيجازيهم به (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية وذلك أن قريشا لما اجتمعت للسير خافت كنانة و بنى مدلج لغوائل كانت بينهم فتبدى لهم ابليس فى جنده على صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ثم المدلجى فقالوا له نحن نريد قتال هذا الرجل ونخاف من قومك فقال انى جار لكم أى حافظ من قومى لاغالب لكم اليوم من الناس (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان (نكص على عقبيه) أى رجع موليا فقيل له ياسراق أفرارا من غير قتال فقال (انى أرى مالا ترون) وذلك أنه رأى جبريل مع الملائكة جاؤا لنصر المؤمنين (انى أخاف الله) أن يهلكنى فيمن يهلك (والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) وهم قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فلما خرجت قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم وقالوا نكون مع أكثر الفئتين فلما رأوا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير ثم قتلوا جميعا مع المشركين قال الله تعالى (ومن يتوكل على الله) أى يسلم أمره الى الله (فان الله عزيز) أى منيع (حكيم) فى خلقه (ولوترى) يامحمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى يأخذون أرواحهم الملائكة يعنى من قتلوا ببدر (يضربون وجوههم وأدبارهم) أى مقاديمهم اذا أقبلوا الى المسلمين وما خيرهم اذا ولوا (وذوقوا) أى ويقولون لهم بعد الموت ذوقوا (عذاب الحريق)

(و يصدون عن سبيل الله) أى و يمنعون الناس من الدخول فى دين الله وهذا معطوف على بطرا وانما ذكر البطر والرياء بصيغة الاسم والصد بصيغة الفعل لأن أبا جهل و رهطه كانوا مجبولين على المفاخرة والرياء وأما صدهم عن سبيل الله فانما حصل فى الزمان الذى ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أى والله عالم بما فى دواخل القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فان الانسان ربما أظهر من نفسه أن الحامل له الى ذلك الفعل طلب مرضاة الله تعالى مع أنه لا يكون الأمر فى الحقيقة كذلك (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) أى واذ كر وقت تزيين الشيطان أعمالهم فى معاداة المؤمنين وخروجهم من مكة فان المشركين حين أرادوا السير الى بدر خافوا من بنى بكر بن كنانة لأنهم كانوا قتلوا منهم واحدا فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم فتصور لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بنى بكر بن كنانة وكان من أشرافهم فى جند من الشياطين ومعه راية (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) أى لاغالب عليكم اليوم من بنى كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وانى جار لكم) أى حافظكم من مضرتهم (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الأخرى ورأى ابليس نزول الملائكة من السماء (نكص على عقبيه) أى رجع الى خلفه هاربا (وقال انى برىء منكم) فكان ابليس فى صف المشركين وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فقال له الحارث الى أين تترك نصرتنا فى هذه الحالة قال ابليس (انى أرى مالا ترون) وأرى جبريل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس ولم تروه ودفع ابليس فى صدر الحارث و(انى أخاف الله) أن يهلكنى بتسليط الملائكة على وقيل لما رأى ابليس الملائكة ينزلون من السماء خاف أن يكون الوقت الذى أنظر اليه قد حضر فقال ماقال اشفاقا على نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بسطا لعذره وحينئذ فهو تعليل أو مستأنف من محض كلامه تعالى تهديدا لابليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الاوس والخزرج (والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم قوم من قريش أسلموا ولم يقو اسلامهم فى قلوبهم ولم يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس الفاكه والحارث بن زمعة وعدى بن أمية والعاص بن منبه والعامل فى اذ يزن أو اذ كر مقدرا (غر هؤلاء) أى محمدا وأصحابه (دينهم) فانهم خرجوا وهم ثلثمائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وماذاك الا أنهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لما خرج قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا فلما خرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا للكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر ولم يحضر منافق فى بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم الا واحد وهو عبد الله بن أبى (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) أى ومن يعول على احسان الله ويثق بفضله و يسلم أمره الى الله فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شىء حكيم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه (ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ولو رأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم الملائكة فى بدر (يضربون وجوههم وأدبارهم و) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار لانه كان مع

ذلك) أى هذا العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بما كسبتم وجنيتم (وأن الله ليس بظلام للعبيد) لأنه حكم فيما يقضى (كدأب آل فرعون) الآية يريد عادة هؤلاء فى التكذيب كعادة آل فرعون فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون (ان الله قوى) أى قادر لا يغلبه شئ (شديد العقاب) أى لمن كفر به وكذب



رسله (ذلك بأن الله لم يك مغيرا

الملائكة مقامع وكلما ضربوا بها التهبت النار منها فى الأجزاء وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا لا يكاد يوصف (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أى عادة كفار قريش فيما فعلوه من الكفر وما فعل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد وأضرابهم من الكفر والعناد فى ذلك (كفروا بآيات الله) أى أنكروا الدلائل الالهية وهذه الجملة تفسير لدأب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم (ان الله قوى) بالأخذ (شديد العقاب) أى اذا عاقب (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أى تعذيب الكفرة بما قدمت أيديهم بسبب أن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعم بها عليهم كالعقل وازالة الموانع حتى يغيروا أحوالهم فاذا صرفوا تلك النعمة الى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن (وأن الله سميع عليم) أى و بسبب أنه تعالى يسمع و يعلم جميع ما يأتون وما يذرون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) أى حتى يغيروا ما بأنفسهم تغييرا كائنا كتغيير الأمم الماضية (كذبوا بآيات ربهم) أى كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى رباهم وأنعم عليهم فأنكروا دلائل التربية والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أى أهلكنا بعضهم بالرجفة و بعضهم بالخسف و بعضهم بالحجارة و بعضهم بالريح و بعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أى وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولأنبيائهم بالتكذيب ولسائر الناس بالايذاء والايحاش فالله تعالى انما أهلكهم بسبب ظلمهم اللهم أهلك الظالمين وطهر وجه الأرض منهم فلا يقدر أحد على دفعهم الا أنت فادفع ياقهار ياجبار يامنتقم (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى ان شر الخلق فى حكم الله وعلمه الذين أصروا على الكفر فهم لا يرجى منهم ايمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) أى من مرات المعاهدة قال ابن عباس هم قريظة فان رسول الله ﷺ كان عاهد يهود بنى قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح فى يوم بدر ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضا وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف الى مكة فحالفهم على محاربة رسول الله ﷺ (وهم لا يتقون) عن نقض العهد (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أى ان تظفرن بهؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد فى أثناء الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتعذيب يفرق بسببهم من خلفهم من أهل مكة واليمن أى اذا فعلت بقريظة العقوبة فرقت شمل قريش اذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قريظة فأمر رسول الله ﷺ أن يفرقهم فى ذلك الوقت تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء) أى وان

نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) ان الله أطعم أهل مكة من جوع وآمنهم من خوف و بعث اليهم محمدا رسولا وكان هذا كله مما أنعم الله به عليهم ولم يكن يغير عنهم لو لم يغيروا هم وتغييرهم كفرهم بها وترك شكرها فلما غيروا ذلك غير الله ما بهم فسلبهم النعمة وأخذهم ثم نزل فى يهود قريظة (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم) الآية وذلك أنهم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم اعتذروا وقالوا أخطأنا فعاهدهم ثانية فنقضوا العهد يوم الخندق وذلك قوله (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون) عقاب الله فى ذلك (فاما تثقفنهم فى الحرب) أى فان أدركتهم فى القتال وأسرتهم (فشرد بهم من خلفهم) أى فافعل بهم فعلا من التنكيل والعقوبة تفرق به جمع كل ناقض فيعتبروا بما فعلت بهؤلاء فلا ينقضون العهد وذلك قوله تعالى (لعلهم يذكرون واما تخافن) أى تعلمن (من قوم خيانة) يعنى نقضا للعهد بدليل يظهر لك (فانبذ اليهم على سواء) أى انبذ عهدك الذى عاهدتهم عليه لتكون أنت وهم سواء فى العداوة فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب أى أعلمهم أنك نقضت عهدهم بالغدر لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بالغدر

تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد بأمارات ظاهرة فاطرح اليهم عهدهم على طريق ظاهر مستو بأن تعلمهم قبل حربك اياهم أنك قطعت مابينك و بينهم من الوصلة حتى تكون أنت وهم فى العلم بنقض العهد سواء ولا تبادرهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله لايحب الخائنين) فى العهود والحاصل ان ظهرت الخيانة بأمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب على الامام أن ينبذ اليهم العهد و يعلمهم الحرب وذلك كما فى قريظة فانهم عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أباسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم عليه ﷺ وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد واعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة فانهم لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة النبى صلى الله عليه وسلم وصل اليهم جيش النبى ﷺ بمر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالياء التحتية أى ولا يحسبن الذين كفروا من قريش أنفسهم فاتوا من عذابنا بهر بهم يوم بدر وقرأ الباقون بالتاء الفوقانية على مخاطبة النبى ﷺ أى ولا تحسبن ياأشرف الخلق الذين كفروا الذين خلصوا منك فى بدر فاتتين من عذابنا (انهم لايعجزون) أى انهم بهذا الفرار لايعجزون الله من الانتقام منهم اما بالقتل فى الدنيا واما بعذاب النار فى الآخرة وقرأ ابن عامر أنهم بفتح الهمزة على التعليل (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل) قيل انه لما اتفق لأصحاب النبى ﷺ فى قصة بدر أنهم قصدوا الكفار بلا آلة أمرهم الله تعالى أن لايعودوا لمثله فقال وأعدوا الخ أى هيئوا لحرب الكفار مااستطعتم من كل مايتقوى به فى الحرب من كل ماهو آلة للجهاد ومن الخيل المربوط سواء كان من الفحول أومن الاناث وروى أنه كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات (ترهبون به) أى بذلك الاعداد وقرئ تخزون (عدوالله وعدوكم) وهم كفار مكة (وآخرين من دونهم) أى من غير كفار مكة من الكفرة (لاتعلمونهم) على ماهم عليه من العداوة أى فان تكثير آلات الجهاد كما يرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يرهب الأعداء الذين لانعلم أنهم أعداء سواء كانوا مسلمين أوكفارا (الله يعلمهم) لاغيره (وماتنفقوا من شئ) قل أو جل (فى سبيل الله) أى فى طاعة الله فى الجهاد وفى سائر وجوه الخيرات (يوف اليكم) أى لايضيع الله فى الآخرة أجره و يعجل عوضه فى الدنيا (وأنتم لاتظلمون) أى لاتنقصون من الأجر (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) أى وان مال الكفار للصلح بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة مابكم من الاستعداد فاقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) أى فوض الأمر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة ولكى ينصرك عليهم اذا نقضوا العهد (انه) تعالى (هو السميع) لما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه و يرد كيدهم فى نحرهم (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) أى وان يريدوا الكفار باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فاعلم أن الله كافيك من شرورهم وناصرك عليهم (هو الذى أيدك بنصره) أى قواك بنصره فى سائر أيامك (وبالمؤمنين) من المهاجرين والأنصار

(ان الله لايحب الخائنين) ى الذين يخونون فى العهود وغيرها (ولا تحسبن الذين كفر واسبقوا) وذلك أن من أفلت من حرب بدر من الكفار خافوا أن تنزل بهم هلكة فى الوقت فلما لم تنزل طغوا و بغوا فقال الله لاتحسبنهم سبقونا بسلامتهم الآن فانهم لايعجزوننا ولا يفوتوننا فيما يستقبلون من الأوقات (وأعدوا لهم) أى خذوا العدة لعدوكم (مااستطعتم من قوة) أى ماتتقوون به على حربهم من السلاح والقسى وغيرها (ومن رباط الخيل) أى مما يرتبط من الفرس فى سبيل الله (ترهبون به عدوالله وعدوكم) أى مشركى مكة وكفار العرب (وآخرين من دونهم) وهم المنافقون (لاتعلمونهم الله يعلمهم) لأنهم معكم يقولون لااله الا الله و يغزون معكم والمنافق يرهبه عدد المسلمين (وما تنفقوا من شئ) أى من آلة وسلاح وصفراء و بيضاء (فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (يوف اليكم) أى يخلف لكم من العاجل و يوفر لكم أجره فى الآخرة (وأنتم لاتظلمون) أى لاتنقصون من الثواب (وان جنحوا للسلم) أى مالوا الى الصلح (فاجنح لها) أى فمل اليها يعنى المشركين واليهود ثم نسخ هذا بقوله قاتلوا الذين لايؤمنون بالله (وتوكل على الله) أى ثق به (انه هو السميع العليم) بما فى قلوبكم (وان يريدوا أن يخدعوك) أى بالصلح لتكف عنهم (فان حسبك الله) أى فالذى يتولى كفايتك الله (هو الذى أيدك بنصره) أى قواك بنصره يوم بدر (و بالمؤمنين) يعنى الأنصار

(وألف بين قلوبهم) أي بين الأوس والخزرج وهم الأنصار (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي للعداوة التي كانت بينهم (ولكن الله ألف بينهم) لان قلوبهم بيده يؤلفها كيف يشاء (انه عزيز) أي لا يمتنع عليه شيء (حكيم) أي عليم بما يفعله (يأيها النبي حسبك الله) الآية أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية والمعنى يكفيك الله (و) يكفي (من اتبعك من المؤمنين يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حضهم على نصر دين الله (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) يريد الرجل منكم بعشرة منهم في الحرب (وان يكن مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) أي هم على جهالة فلا يثبتون اذا صدقتموهم القتال بخلاف من يقاتل على بصيرة يرجو ثواب الله فكان الحكم على هذا زمانا يصابر الواحد من المسلمين العشرة من الكفار فتضرعوا وشكوا الى الله ضعفهم فنزل (الآن خفف الله عنكم) هون الله عليكم (وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) فصار الرجل من المسلمين برجلين من الكفار وقوله باذن الله أي بارادته ذلك (ما كان لنبي أن تكون له أسرى) نزلت في فداء أسارى بدر فادوهم بأربعة آلاف فأنكر الله على نبيه ذلك بقوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى أي لم يكن لنبي أن يحبس كافرا قدر عليه للفداء فلا يكون لك أيضا وقوله (حتى يثخن في الارض) أي يبالغ في قتل أعدائه (تريدون عرض الدنيا) أي الفداء (والله يريد الآخرة) أي يريد لكم الجنة بقتلهم وهذه الآية بيان عما يجب أن يجتنب من اتخاذ الأسرى للمن أو الفداء قبل الاثخان في الارض بقتل الاعداء وكان هذا يوم بدر ولم يكن قد أثخنوا في الارض فلذلك أنكر الله عليهم ثم نزل فاما منا بعد واما فداء

---

والأنصار (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) أي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى قوم تكبرهم شديد حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثاره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا وأيضا كانت الخصومة بين الأوس والخزرج شديدة والمحاربة دائمة ثم زالت الضغائن وحصلت الألفة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها بالمحبة القوية مما لا يقدر عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (انه) تعالى (عزيز) أي قاهر يقلب القلوب من العداوة الى الصداقة (حكيم) أي يفعل ما يفعله مطابقا للمصلحة (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كفاك الله وكفى أتباعك ناصرا أو المعنى كفاك الله والمؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال فالمراد بالمؤمنين هنا أهل غزوة بدر وهم المهاجرون والأنصار وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين (وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) وانما وجب هذا الحكم عند حصول هذه الشروط منها أن يكون المؤمن شديد الأعضاء قويا جلدا ومنها أن يكون قوي القلب شديد البأس شجاعا غير جبان ومنها أن يكون غير متحرف لقتال أو متحيزا الى فئة فعند حصول هذه الشروط وجب على الواحد أن يثبت للعشرة (بأنهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا في الموضعين أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون امتثالا لأمر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لمرضاته وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واثارة العدوان وهم يعتمدون على قوتهم والمسلمون يستعينون بربهم بالتضرع ومن كان كذلك كان النصر أليق به (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) في البدن أو في معرفة القتال لا في الدين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) أي بارادته وهذه الآية دلت على أن ذلك الشرط مفقود في حق هذه الجماعة فلم يثبت ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل النسخ ألبتة فقد أنكر أبو مسلم الاصفهاني النسخ (والله مع الصابرين) أي ان العشرين ان قدروا على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدروا على مصابرتهم فالحكم المذكور هناك زائل وهذا يدل على صحة مذهب أبي مسلم (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) أي ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار حتى يقوى ويغلب بل اللائق قتلهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) أي متاع الدنيا الذي هو الفداء (والله يريد الآخرة) أي انما يرضى الله

مايفضى الى السعادات الأخروية المصونة عن الزوال (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم مايليق بكل حال كما أمر بالاثخان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بين أخذ الفداء وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أى لولا أنه تعالى حكم فى الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) أى قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حال كونه حلالا مستلذا روى أنهم أمسكوا عن الغنائم فى بدر ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت هذه الآية (واتقوا الله) فى مخالفة أمره ونهيه فى المستقبل (ان الله غفور رحيم) فى الحالة الماضية من استباحة الفداء قبل ورود الاذن من الله تعالى فيه (يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمرو من الأسارى بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف و بالامالة أى من الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) أى ايمانا وعزما على طاعة الله ورسوله فى جميع التكاليف وتوبة عن الكفر وجميع المعاصى (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء (و يغفر لكم) ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته روى أن العباس كان أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس فكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة الى بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر وأخذ ذلك العشرون منه فقال العباس كنت مسلما الا أنهم أكرهونى فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ماتذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس فكلمت رسول الله أن يرد ذلك الذهب على فقال ﷺ أما شىء خرجت به تستعين به علينا فلا قال العباس وكلفنى الرسول فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركنى أتكفف قريشا مابقيت فقال رسول الله ﷺ أين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما أدرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس ومايدريك يا ابن أخى قال صلى الله عليه وسلم أخبرنى به ربى قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب وأمر ابنى أخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فأسلما قال العباس فأبدلنى الله خيرا مما أخذ منى ولى الآن عشرون عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفا وأعطانى زمزم وما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأنا أرجو المغفرة (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) أى بنقض العهد فاعلم أنه سيمكنك منهم فانه صلى الله عليه وسلم كلما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته صلى الله عليه وسلم والى معاهدة المشركين بالعون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد خانوا الله من) أى من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أى أقدر المؤمنين عليهم قتلا وأسرا فى بدر (والله عليم) أى ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة (ان الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة حبا لله تعالى ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها الى السلاح وأنفقوها على المحاويج

وأنفسهم

(لولا كتاب من الله سبق) يا محمد أن الغنائم وفداء الأسرى لك ولأمتك حلال (لمسكم فيما أخذتم) أى من الفداء (عذاب عظيم) فلما نزل هذا أمسكوا أيديهم عما أخذوا من الغنائم فنزل قوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله) بطاعته (ان الله غفور) أى غفر لكم ما أخذتم من الفداء (رحيم) رحمكم لأنكم أولياؤه (يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ارادة للاسلام (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء يعنى ان أسلمتم وعلم الله اسلام قلوبكم أخلف عليكم خيرا مما أخذ منكم (و يغفر لكم) ما كان من كفركم وقتالكم رسول الله (وان يريدوا خيانتك) وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم آمنا بك ونشهد أنك رسول الله فقال الله ان خانوك وكان قولهم هذا خيانة (فقد خانوا الله من قبل) أى كفروا به (فأمكن منهم) يعنى ببدر وهذا تهديد لهم ان عادوا الى القتال (والله عليم) أى بخيانة ان خانوها (حكيم) أى فى تدبيره ومجازاته اياهم (ان الذين آمنوا وهاجروا) الآية نزلت فى الميراث كانوا فى ابتداء الاسلام يتوارثون بالهجرة والنصرة فكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرث أخاه فذلك قوله ان الذين آمنوا وهاجروا أى هجروا قومهم وديارهم وأموالهم

(والذين آووا ونصروا) يعني الأنصار أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي هؤلاء الذين يتوارث بعضهم من بعض (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء) أي ليسوا لكم بأولياء، ولا يثبت التوارث بينكم و بينهم (حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين) يعني هؤلاء الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم (الا أن يستنصروكم (على قوم بينكم و بينهم ميثاق) عهد فلا تغدروا ولا تعاونوهم (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي فلا توارث بينكم و بينهم ولا ولاية والكافر ولي الكافر دون المسلم (الا تفعلوه) أي الا تعاونوا وتناصروا وتأخذوا في الميراث بما أمرتكم (تكن فتنة في الارض) أي شرك (وفساد كبير) وذلك أن المسلم اذا هجر قريبه الكافر كان ذلك أدعى الى الاسلام واذا لم يهجره وتوارثا يقيم الكافر على كفره وقوله (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) أي هم الذين حققوا ايمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة خلاف من أقام بدار الشرك (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) يعني الذين هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) نسخ الميراث بالهجرة والحلف بعد فتح مكة رد الله الميراث الى ذوي الارحام من الأخ والعم وغيرهما وقوله في كتاب الله أي في حكم الله (ان الله بكل شيء عليم) ﴿تفسير سورة التوبة﴾

(وأنفسهم) بمباشرة القتال و بالخوض في المهالك (في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين آووا) أي أنزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر (بعضهم أولياء بعض) أي يكونون يدا واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد للآخر جاريا مجرى حبه لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة الى المدينة (ما لكم من ولايتهم) أي من تعظيمهم (من شيء حتى يهاجروا) فلو هاجروا لحصل الاكرام والاجلال وقرأ حمزة من ولايتهم بكسر الواو والباقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) أي ان قطع التعظيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استعانوكم في الدين على المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم الا على قوم منهم بينكم معاهدة فانه لا يجوز لكم نقض عهدهم بنصرهم عليهم اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره كي لا يحل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي في النصرة فان كفار قريش كانوا في غاية العداوة لليهود فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاونوا على ايذائه ومحاربته والمشركون واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة سببا لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض. وتلك العداوة لمحض الحسد لا لأجل الدين لان كل واحد منهم كان في نهاية الانكار لدين صاحبه (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي ان لم تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل بين المسلمين ومن قطع المحبة بينهم و بين الكفار تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة فان المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة عددهم وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم فربما صارت تلك المخالطة سببا لالتحاق المسلم بالكفار وان المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم فيصير ذلك سببا لجراءة الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) فالله تعالى ذكرهم أولا لتبيين حكمهم وهو اكرام بعضهم بعضا ثم ذكرهم ههنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم وأثنى عليهم من ثلاثة أوجه وهي وصفهم بكونهم محقين محققين في طريق الدين لان من لم يكن محقا في دينه لم يفارق الاهل والوطن ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه الاحوال من المتسارعين (لهم مغفرة) تامة عن جميع الذنوب والتبعات (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أي بعد الهجرة الأولى وهؤلاء هم التابعون باحسان (وهاجروا) من مكة الى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وجاهدوا معكم) في بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار في السر والعلانية (وأولوا الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) آخر منهم في التوارث من الاجانب (في كتاب الله) أي في حكم الله الذي بينه في كتابه بالسهام المذكورة في سورة النساء (ان الله بكل شيء عليم) فالعالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب

﴿سورة التوبة مدنية وقد قيل الا الآيتين آخرها فانهما مكيتان. وآياتها مائة وثلاثون
وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وسبعون. وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة
وسبعة وثمانون. والصحيح أن التسمية لم تكتب لان جبريل عليه السلام
ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري﴾

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) أخذ المشركون ينقضون عهودا بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله أن ينقض عهودهم و ينبذها اليهم وأنزل هذه الآية والمعنى قد برىء الله ورسوله من اعطائهم العهد والوفاء به اذ نكثوا ثم خاطب المشركين فقال (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) أى سيروا فيها آمنين حيث شئتم يعنى شوالا الى صفر وهذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فاذا انقضت هذه المدة قتلوا حيثما أدركوا (واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى لا تفوتونه وان أجلتم هذه المدة (وأن الله مخزى الكافرين) أى مذلهم بالقتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وأذان من الله ورسوله) أى اعلام من الله ورسوله (الى الناس) يعنى العرب (يوم الحج الأكبر) أى يوم عرفة وقيل يوم النحر والحج الأكبر الحج بجميع أعماله والأصغر العمرة (أن الله برىء من المشركين ورسوله) أمر الله رسوله أن يعلم مشركى العرب فى يوم الحج الأكبر ببراءته من عهودهم فبعث عليا رضى الله عنه حتى قرأ صدر براءة عليهم يوم النحر ثم خاطب المشركين فقال (فان تبتم) أى رجعتم عن الشرك (فهو خير لكم) من الاقامة عليه (وان توليتم) أى عن الايمان (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) أى لا تفوتونه بأنفسكم عن العذاب ثم أوعدهم بعذاب فى الآخرة فقال (و بشر الذين كفروا بعذاب أليم) ثم استثنى قوما من براءة العهود فقال (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم) أى من شروط العهد (شيئا) وهم بنو ضمرة و بنو كنانة (ولم يظاهروا عليكم أحدا) أى لم يعاونوا عليكم عدوا (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم)

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) أى هذه براءة من جهة الله تعالى ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين فان الله قد أذن فى معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدهم. ثم ان المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما يحذرهم من ذلك وقيل اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم من المشركين (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) أى سيروا أيها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال فى هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يحج سنة تسع فقيل له المشركون يحضرون و يطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج و بعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل شرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلى ابن أبى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على معاهدهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال على بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه و بين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى الحج فقال المشركون لعلى عند ذلك أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا و بينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف . ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى واعلموا يامعشر الكفار أن هذا الامهال ليس لعجز بل للطف ليتوب من تاب أى اعلموا أنى أمهلتكم وأطلقت لكم فافعلوا كل ما أمكنكم فعله من اعداد الآلات وتحصيل الأسباب فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم (وأن الله مخزى الكافرين) أى مذلهم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى وهذا اعلام صادر من الله ورسوله واصل الى الناس (يوم الحج الأكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام كان فيه (أن الله برىء من المشركين) الناقضين للعهد (ورسوله) بالرفع باتفاق السبعة فهو معطوف على الضمير المستتر فى برىء (فان تبتم) من الشرك (فهو خير لكم) أى فالتوب خير لكم فى الدارين لا شر (وان توليتم) أى أعرضتم عن المتاب من الشرك (فاعلموا) يامعشر المشركين (أنكم غير معجزى الله) أى غير فائتين من عذاب الله فان الله قادر على انزال أشد العذاب بهم (و بشر الذين كفروا بعذاب أليم) أى أخبرهم بالقتل بعد أربعة أشهر فالبشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال اكرامهم الشتم وتحيتهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط الميثاق ولم يضروكم قط وقرىء بالضاد المعجمة أى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم أحدا) من أعدائكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر والمعنى لا تمهلوا الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين

في المسارعة الى قتالهم بل أتموا اليهم عهدهم ولا تجعلوا الوافين كالغادرين وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فانهم ماغدروا من هذين الوجهين (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوافي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أي فاذا خرج الاشهر التي حرم الله القتل والقتال فيها وهي من يوم النحر الى العاشر من ربيع الآخر (فاقتلوا المشركين) الناكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أي في حل أو حرم أو في شهر حرام أو غيره (وخذوهم) أي وأسروهم (واحصروهم) أي امنعوهم من اتيان المسجد الحرام ومن التقلب في البلاد (واقعدوا لهم) أي لأجلهم خاصة (كل مرصد) أي في كل ممر يسلكونه لئلا ينبسطوا في البلاد (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلاة) أي أقروا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أي أقروا بأداء الزكاة (فخلوا سبيلهم) أي فاتركوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر (ان الله غفور رحيم) لمن تاب من الكفر والغدر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أي وان سألك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم أن تؤمنه بعد انقضاء مدة السياحة فأمنه حتى يسمع قراءتك لكلام الله ويطلع على حقيقة ماتدعو اليه ونقل عن ابن عباس أنه قال ان رجلا من المشركين قال لعلي بن أبي طالب ان أردنا أن نأتي الرسول بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله أو لحاجة أخرى فهل نقتل فقال علي لا فان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ثم أبلغه مأمنه) أي ثم أوصله الى ديار قومه التي يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم (ذلك) أي اعطاء الأمان (بأنهم قوم لا يعلمون) أي بسبب أنهم قوم لا يفقهون ماالايمان وماحقيقة ماتدعوهم اليه فلا بد من اعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معهم معذرة أصلا (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي لا ينبغي أن يبقى للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم ينقضون العهد (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أي لكن الذين عاهدتم من المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم المستثنون من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في قوله تعالى سابقا الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الخ وهم بنو كنانة وبنو ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقتلوهم (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي فأي زمان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله أو المعنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوه باعانتهم بني بكر وهم كنانة حلفاؤهم على خزاعة حلفائه ﷺ روي أنه عدت بنو بكر على بني خزاعة في حال غيبة رسول الله ﷺ وعاونتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله ﷺ فأنشده

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم (كيف وان يظهروا عليكم) أي وحالهم أنهم ان يقدروا عليكم (لا يرقبوا فيكم) أي لا يحفظوا فيكم (الا) أي قرابة (ولا ذمة) أي عهدا والمعنى كيف لا تقاتلونهم وهم ان يغلبوكم لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ضمانا بل يؤذوكم مااستطاعوا

وكان قد بقي لهم من مدتهم تسعة أشهر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتمامها لهم (ان الله يحب المتقين) أي من اتقاه بطاعته (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) يعني مدة التأجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) في حل أو حرم (وخذوهم) أي بالأسر (واحصروهم) ان تحصنوا (واقعدوا لهم كل مرصد) أي على كل طريق يأخذون فيه (فان تابوا) أي رجعوا عن الشرك (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) من العين والمواشي والثمار (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ماشاؤا (ان الله غفور رحيم) أي لمن تاب وآمن (وان أحد من المشركين) أي الذين أمرتك بقتلهم (استجارك) أي طلب منك الأمان من القتل (فأجره) أي فاجعله في أمن (حتى يسمع كلام الله) القرآن فيقيم عليه حجة ويبين له دين الله (ثم أبلغه مأمنه) اذا لم يرجع عن الشرك لينظر في أمره (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أي تفعلون كل هذا لأنهم جهلة لا يعلمون دين الله وتوحيده (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي مع اضمارهم الغدر ونكثهم العهد (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعني الذين استثناهم من البراءة (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي ما أقاموا على الوفاء بعهدهم فأقيموا أنتم (كيف) أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (ان يظهروا عليكم) أي ان يظفروا بكم و يقدروا عليكم (لا يرقبوا) أي لا يحفظوا (فيكم إلا ولا ذمة)

(يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) أى تنكر قلوبهم مايفيد كلامهم أى فانهم يقولون بألسنتهم كلاما حلوا طيبا والذى فى قلوبهم بخلاف ذلك فانهم لا يضمرون الا الشر والايذاء ان قدروا عليه (وأكثرهم فاسقون) أى ناقضون للعهد مذمومون عند جميع الناس وفى جميع الأديان (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) أى تركوا آيات الله الآمرة بالاستقامة فى كل أمر وأخذوا بدلها شيئا يسيرا من الدنيا لأجل تحصيل الشهوات وذلك أن أبا سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء النبى ﷺ وحملتهم تلك الأكلة على نقض العهد فنقضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الأكلة (فصدوا عن سبيله) أى عن دينه أو عن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى ساءهم الذى كانوا يعملونه ما مضى من صدهم عن سبيل الله وما معه (لا يرقبون) أى لا يحفظون (فى مؤمن الا) أى قرابة (ولا ذمة) كرر ذلك مع ابدال الضمير بمؤمن لأن الأول وقع جوابا لقوله تعالى وان يظهروا والثانى وقع خبرا عن تقبيح حالهم أو هذا خاص بالذين اشتروا الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وأشباههم من اليهود وغيرهم (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون فى الظلم والشرارة (فان تابوا) من مساوى أعمالهم (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقروا بحكمهما وعزموا على اقامتهما (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) أى لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أى نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الأحكام (وان نكثوا أيمانهم) أى عهودهم التى بينكم وبينهم (من بعد عهدهم) أى لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوا دينكم بالتكذيب وتقبيح الأحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى قاتلوا الكفار بأسرهم فانهم صاروا بذلك ذوى تقدم فى الكفر أحقاء بالقتل والقتال (انهم لا أيمان لهم) أى انهم لا عهود لهم على الحقيقة لأنهم لا يعدون نقضها محذورا وهم لما لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان وان أجروها على ألسنتهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة أى لا تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا فيكون الايمان مصدرا بمعنى اعطاء الأمان فهو ضد الاخافة (لعلهم ينتهون) أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم سببا فى انتهائهم عما هم عليه من الكفر والطعن فى دينكم والمعاونة عليكم (ألا) أى هلا (تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) بعد عهد الحديبية باعانة بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) أى باخراجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله فى الهجرة أو من المدينة لقصد قتله (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لأنهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم لأن اعانة بنى بكر عليهم بالسلاح قتال معهم فالاعانة على القتال تسمى قتالا (أتخشونهم) أى أتخافون أيها المؤمنون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) فى ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على أن المؤمن ينبغى أن يخشى ربه وأن لا يخشى أحدا سواه (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بالقتل تارة والأسر أخرى واغتنام الأموال ثالثا (ويخزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدى المؤمنين ذليلين (وينصركم عليهم) أى

أى قرابة ولا عهدا (يرضونكم بأفواههم) أى يقولون بألسنتهم كلاما حلوا (وتأبى قلوبهم) أى الوفاء به (وأكثرهم فاسقون) أى كاذبون ناقضون للعهد (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) أى استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا (فصدوا عن سبيله) أى فأعرضوا عن طاعته (انهم ساء) بئس (ما كانوا يعملون) أى من اشترائهم الكفر بالايمان (لا يرقبون) يعنى هؤلاء الناقضين للعهد (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون للحلال الى الحرام بنقض العهد (فان تابوا) أى عن الشرك (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين ونفصل الآيات) أى نبين آيات القرآن (لقوم يعلمون) أنها من عند الله (وان نكثوا أيمانهم) أى نقضوا عهودهم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوكم وعابوا دينكم (فقاتلوا أئمة الكفر) أى رؤساء الضلالة يعنى صناديد قريش (انهم لا أيمان لهم) أى لا عهود لهم (لعلهم ينتهون) أى كى ينتهوا عن الشرك بالله ثم حرض المؤمنين عليهم فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعنى كفار مكة أى نقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) أى من مكة (وهم بدؤكم) أى بالقتال (أول مرة) حين قاتلوا حلفاءكم خزاعة فبدؤا بنقض العهد (أتخشونهم) أى أن ينالكم من قتالهم مكروه فتتركون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) يجعلكم أى فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى فى ترك قتالهم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بعقاب الله وثوابه (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) أى يقتلهم بسيوفكم ورماحكم (ويخزهم) أى ويذلهم بالقهر والأسر

يجعلكم جميعا غالبين عليهم أجمعين فانكم تنتفعون بهذا النصر (و يشف صدو رقوم مؤمنين) ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله ﷺ يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب وكان شفاء صدورهم من زحمة الانتظار فانه الموت الأحمر (و يذهب غيظ قلوبهم) من بني بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه على أحسن الوجوه كان سروره أعظم (و يتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهم أسلموا يوم فتح مكة وحسن اسلامهم (والله عليم) بكل مايفعل في ملكه (حكيم) أي مصيب في أفعاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بل أحسبتم أن يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذي سئمتموه والحال أنه لم يصدر الجهاد عنكم خاليا عن النفاق والرياء والتودد الى الكفار وابطال مايخالف طريقة الدين والمقصود من هذه الآية بيان أن المكلف في هذه الواقعة لايتخلص عن العتاب الا عند حصول أمرين الأول أن يصدر الجهاد عنهم والثاني أن يأتي بالجهاد مع الاخلاص فان المجاهد قد يجاهد و باطنه خلاف ظاهره وهو الذي يتخذ الوليجة من دون الله و رسوله والمؤمنين المخلصين أي وهو الذي يطلع الكفار على الأسرار الخفية والمقصود بيان أنه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الغرض أن يؤتى به انقياد الأمر الله تعالى وحكمه ليظهر به بذل النفس والمال في طلب رضوان الله تعالى فحينئذ يحصل به الانتفاع (والله خبير بما تعملون) من موالاة المشركين وغيرها فيجازيكم عليه فيجب على الانسان أن يبالغ في أمر النية ورعاية القلب (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي ماصح للمشركين أن يعمروا المسجد الحرام بدخوله والقعود فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو مسجد الله على الواحد والباقون مساجد على الجمع وانما جمع المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد كلها وامامها ثم شهادتهم على أنفسهم بالكفر أنهم أقروا بعبادة الأوثان وتكذيب القرآن وانكار نبوة محمد ﷺ وان أبوا أن يقولوا نحن كفار (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام ومايضاهيها من أعمال البر مع ماهم من الكفر (حبطت أعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا (و في النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ علي عليه القول فقال العباس تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أي نخدمها ونسقي الحجيج ونفك العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (انما يعمر مساجد الله) أي انما يصح أن يعمر المساجد عمارة يعتد بها (من آمن بالله) لأن المساجد موضع يعبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لايبني موضعا يعبد الله فيه (واليوم الآخر) لأن الاشتغال بعبادة الله لاتفيد الا في القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فان المقصود الأعظم من بناء المساجد اقامة الصلوات (وآتى الزكاة) وانما اعتبر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المسجد لأن الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في المسجد فتحصل عمارة المسجد بذلك المسجد واذا كان مؤتيا للزكاة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور

بالنبي والمؤمنين من بني بكر (و يذهب غيظ قلوبهم) أي كربها وجدها بمعونة قريش بكرا عليهم (و يتوب الله على من يشاء) أي من المشركين كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو هداهم الله للاسلام (أم حسبتم) أيها المنافقون (أن تتركوا) على ما أنتم عليه من التلبيس وكتمان النفاق (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي بنية صادقة يعني العلم الذي يتعلق بهم بعد الجهاد وذلك أنه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعداءهم (ولم يتخذوا) أي ولما يعلم الله الذين لم يتخذوا (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي أولياء ودخلاء (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) نزلت في العباس حين عير بالكفر لما أسر فقال انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فرد الله ذلك عليه بقوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله أي بدخوله والقعود فيه لأنهم ممنوعون عن ذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي بسجودهم للأصنام واتخاذها آلهة (أولئك حبطت أعمالهم) لأن كفرهم أذهب ثوابها (انما يعمر مساجد الله) أي يزارتها والقعود فيها (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة) الآية والمعنى أن من آمن وكان بهذه الصفة فهو من أهل عمارة

وسقاية الحاج سقيهم الشراب أيام الموسم وقوله (وعمارة المسجد الحرام) يريد تجميره وتخليقه (كمن آمن بالله) أى كايمان من آمن بالله (لا يستوون عند الله) أى فى الفضل (والله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة سماهم ظالمين بشركهم (الذين آمنوا) الى قوله (أعظم درجة عند الله) أى من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقى الحاج (وأولئك هم الفائزون) أى الذين ظفروا بأمنيتهم (يبشرهم ربهم برحمة منه) أى يعلمهم فى الدنيا مالهم فى الآخرة (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) الآية لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة كان من الناس من تعلق به زوجته وولده وأقاربه فيقولون ننشدك الله أن لاتضيعنا فيرق لهم ويدع الهجرة فأنزل الله لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء يعنى أصدقاء تؤثرون القيام بين أظهرهم على الهجرة (ان استحبوا) اختاروا (الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) أى مشرك مثلهم فلما نزلت هذه الآية قالوا يانبى الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين نقطع أبناءنا وعشائرنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فأنزل الله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها وهو من الكسب (فتربصوا) أى مقيمين بمكة فبين

(ولم يخش الا الله) فى باب الدين بأن لايختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فعسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) الى مطالبهم من الجنة ومافيها وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ألف المسجد ألفه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله) أى فى طاعة الله يوم بدر أى أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام فى الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله الخ ويقوى هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام قال ابن عباس ان عليا لما أغلظ الكلام على العباس قال العباس ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فنزلت هذه الآية (لايستوون) أى الفريقان (عند الله) فى الفضل (والله لايهدى القوم الظالمين) لأنفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أى الذين جمعوا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكثر كرامة عند الله ممن لم يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الفائزون) بسعادة الدنيا والآخرة (يبشرهم) أى هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم برحمة منه ورضوان) أى بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو حد الثواب (وجنات لهم فيها نعيم) أى منافع خالصة عن الكدرات (مقيم) أى دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أى الجنات (أبدا) أى لايخرجون منها (ان الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة التى هى النجاة من النيران فى مقابلة الايمان وثنى بالرضوان الذى هو نهاية الاحسان فى مقابلة ترك الأوطان ثم ثلث بالجنات التى هى المنافع العظيمة فى مقابلة الجهاد الذى فيه بذل الأنفس والأموال وانما خصوا بالأجر العظيم لأن ايمانهم أعظم الايمان (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) أى بطانة تفشون اليهم أسراركم (ان استحبوا الكفر) أى اختاروه (على الايمان ومن يتولهم منكم) فى الدين (فأولئك) المتولون (هم الظالمون) أى فهو مشرك مثلهم لأنه رضى بشركهم والرضا بالكفر كفر كما أن الرضا بالفسق فسق قيل ان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتبرى عن المشركين قالوا كيف تمكن المقاطعة التامة بين الرجل وابنه وأمه وأخيه فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والأولاد والاخوان واجب بسبب الكفر (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أى أهلكم الأدنون الذين تعاشرونهم وقرأ أبو بكر عن عاصم وعشيراتكم بالجمع (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها (وتجارة) أى أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) أى عدم رواجها (ومساكن ترضونها) أى منازل تعجبكم الاقامة فيها (أحب اليكم من الله ورسوله) بالحب الاختيارى (وجهاد فى سبيله) أى طاعته (فتربصوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يارسول الله كيف يمكن البراءة منهم بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا واخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا وخراب ديارنا

فبين الله تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليما وذكر أنه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا بما تحبون (حتى يأتى الله بأمره) وهى عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى الخارجين عن طاعته الى معصيته (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) وهى مشاهد الحروب كوقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أى واذكروا يوم قتالكم هوازن فى حنين فهوازن قبيلة حليمة السعدية وحنين واد بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا وذلك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج فى شوال فى تلك السنة وهى سنة ثمان متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف (اذ أعجبتكم كثرتكم) وهم اثنا عشر ألفا عشرة من المهاجرين والأنصار الذين فتحوا مكة وألفان من الطلقاء وهم الاسراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وهم أسلموا بعد فتحها فى هذه المدة اليسيرة وبين هوازن وثقيف أربعة آلاف ومعهم أمداد سائر العرب فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الأنصارى لن نغلب اليوم من قلة أى من أجلها افتخارا بكثرتهم أى نحن كثيرون فلا نغلب فأحزنت هذه الكلمة رسول الله ﷺ (فلم تغن عنكم شيئا) أى فلم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الدفع أى فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى انكم لشدة الخوف ضاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أى منهزمين من الله وقال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا عمه العباس وهو آخذ بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وهو آخذ بركابه وهو صلى الله عليه وسلم يركض بغلته الشهباء نحو الكفار لا يبالى وهو يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناد المهاجرين والأنصار وكان العباس رجلا صيتا فجعل ينادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصى فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم يومئذ أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى يحصل بها سكون وثبات وأمن (على رسوله وعلى المؤمنين) واعلم أنه لما شق الاعراض عن مخالطة الآباء والأبناء والاخوان والأزواج وعن الأموال والمساكن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على أن من ترك الدنيا لأجل الدين فانه يوصله الى مطلوبه من الدنيا أيضا وضرب الله تعالى لهذا مثلا وذلك أن عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى واقعة حنين كانوا فى غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ثم فى حال الانهزام لما تضرعوا الى الله قواهم به حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على أن الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الدين والدنيا على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن لأجل مصلحة الدين ووعدا لهم على سبيل الرمز بأنهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى أقاربهم وأموالهم على أحسن الوجوه (وأنزل) من السماء (جنودا لم تروها) أى بأبصاركم وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة فى قلوبهم والقاء الرعب فى قلوب المشركين (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وهم قوم مالك بن عوف الدهمانى وقوم كنانة بن عبد ياليل

(حتى يأتى الله بأمره) يعنى فتح مكة فيسقط فرض الهجرة وهذا أمر تهديد (والله لا يهدى القوم الفاسقين) تهديد لهؤلاء بحرمان الهداية (لقد نصركم الله فى مواطن) أماكن (كثيرة ويوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف قاتل عليه نبى الله هوازن وثقيفا (اذ أعجبتكم كثرتكم) وذلك أنهم قالوا لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا (فلم تغن) أى لم تدفع عنكم شيئا (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الارض على سعتها أى فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم (ثم وليتم مدبرين) أى انهزمتم أعلمهم الله انهم ليسوا يغلبون بكثرتهم انما يغلبون بنصر الله (ثم أنزل الله سكينته) وهو ما يسكن اليه القلب من لطف الله ورحمته (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يريد الملائكة (وعذب الذين كفروا) أى بأسيافكم ورماحكم

(وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) أي فيهديه الى الاسلام من الكفار (والله غفور رحيم) أي بمن آمن
(يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي لايغتسلون من جنابة ولايتوضأون من حدث (فلا



النفى (وذلك) التعذيب (جزاء الكافرين) فى الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أى ماجرى عليهم من الخذلان (على من يشاء) أن يتوب عليه منهم أى يوفقه للاسلام (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن آمن وعمل صالحا روى أن ناسا منهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقال صلى الله عليه وسلم ان عندى ماترون ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا وهى مفاخر آبائه من الذرارى والنساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاءونا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده أسير وطابت نفسه أن يرده فشأنه أى فيلزم شأنه ومن لافليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم انا لاندرى لعل فيكم من لايرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أنهم قد رضوا ولم تقع غنيمة أعظم من غنيمتهم فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا ومن الغنم مالايحصى عددا ومن الأسرى ستة آلاف من نسائهم وصبيانهم وكان فيها غير ذلك (يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذوو نجس لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) أى جميع الحرم (بعد عامهم هذا) وهى السنة التى حصل فيها النداء بالبراءة من المشركين وهى السنة التاسعة من الهجرة ولما امتنع المشركون من دخول الحرم وكانوا يتجرون ويأتون مكة بالطعام وكانت معايش أهل مكة من التجارات خافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى قوله (وان خفتم عيلة) أى فقرا بسبب منع الكفار (فسوف يغنيكم الله من فضله) أى عطائه من وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا أغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل جدة وحنين وصنعاء وتبالة وجرش فحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله الحاجة مما كانوا يخافون الى مبايعة الكفار فأغناهم بالفيء والجزية (ان الله عليم) بأحوالكم وبمصالحكم (حكيم) فلا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب لما فرغ من الكلام على مشركى العرب بقوله تعالى براءة من الله الى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين فقال (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فاليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لايأكلون ولايشربون ولاينكحون وهم يكذبون أكثر الأنبياء (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) أى لايعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام كثيرة من قبل أنفسهم (ولايدينون دين الحق) أى لايعتقدون صحة دين الأسلام الذى هو الدين الحق (من الذين أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبى ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك (حتى يعطوا الجزية) أى حتى يقبلوا أن يعطوا مايعطى المعاهد على عهده (عن يد) أى عن غنى فلا تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن انعام عليهم لان ترك أرواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أى أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف

يقربوا) أى لايدخلوا (المسجد الحرام) منعوا من دخول الحرم والحرم حرام على المشركين (بعد عامهم هذا) يعنى عام الفتح فلما منعوا من دخول الحرم قال المسلمون انهم كانوا يأتون بالمير فالآن تنقطع المتاجر فأنزل الله سبحانه (وان خفتم عيلة) أى فقرا (فسوف يغنيكم الله من فضله) فأسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون (ان الله عليم) أى بما يصلحكم (حكيم) أى فيما حكم فى المشركين ثم نزل فى جهاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى قوله (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعنى كايمان الموحدين وايمانهم غير ايمان اذا لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) يعنى الخمر والميسر (ولايدينون دين الحق) أى لايتدينون بدين الاسلام (حتى يعطوا الجزية) وهو مايعطى المعاهد على عهده (عن يد) أى يعطونها بأيديهم يمشون بها كارهين ولايجيئون بها ركبانا ولايرسلون بها (وهم صاغرون) أى ذليلون مقهورون يجرون الى الموضع الذى يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها عن يدهم (وقالت اليهود

أو

أوفنحاص بن عازوراء (عزير ابن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذى فيه التوراة وأنساهم التوراة ومحاها من قلوبهم فتضرع عزير الى الله تعالى ودعاه أن يرد اليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت التوراة اليه فأعلم قومه وقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها على فتعلموا منه عن ظهر لسانه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على مافى التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدر عزير وهو غلام الا لأنه ابنه (وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى أن أتباع عيسى كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة فى بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عهد الى أربعة رجال اسم واحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فعلم نسطور أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان وأنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال عيسى وعلم رجلا آخر من الروم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله ثم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خليفتى فادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عنى وانى غدا أذبح نفسى لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فتفرقوا ودعوا الناس الى مذاهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله (ذلك) أى ماصدر عنهم (قولهم بأفواههم) أى مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (يضاهئون) أى يشبهون فى الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أى من قبلهم أى يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين الملائكة بنات الله وقول أهل مكة اللات والعزى ومناة بنات الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وكذلك قال بعض النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم شريكه وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولدا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شئ (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أى اتخذ اليهود علماءهم من ولد هارون واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أربابا من دون الله بأن أطاعوهم فى تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) أى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابن الله (وما أمروا) أى والحال أن هؤلاء الكفار ما أمروا فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الها واحدا) عظيم الشأن هو الله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية لالها (سبحانه عما يشركون) أى تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك فى التكليف وفى كونه معبودا ومسجودا له وفى وجوب نهاية التعظيم والاجلال (يريدون) أى رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أى دلائل الله المنيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أى يريدون أن يردوا القرآن فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والأولاد ومن الشرائع من أمر الحل والحرمة (بأفواههم) أى

عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ليس فيه برهان ولا بيان انما هو قولهم بالفم فقط (يضاهون) أى يتشبهون بقول المشركين حين قالوا الملائكة بنات الله وقد أخبر الله عنهم بقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد وهذا تعجيب للنبى صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أى علماءهم وعبادهم (أربابا) أى آلهة (من دون الله) حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله (والمسيح ابن مريم) أى اتخذوه ربا (وما أمروا) أى فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الها واحدا) وهو الذى لا اله غيره (سبحانه عما يشركون) تنزيها له عن شركهم (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) أى يخمدوا دين الاسلام بتكذيبهم

( و يأبى الله الا أن يتم نوره) أى الا أن يظهر دينه (هو الذى أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أى بالقرآن (ودين الحق) أى الحنيفية (ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان) أى من فقهاء أهل الكتاب وعلمائهم (ليأكلون أموال الناس بالباطل) يعنى ما يأخذونه من الرشا فى الحكم (و يصدون عن سبيل الله) أى و يصرفون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم أنزل الله فى مانعى الزكاة من أهل القبلة (والذين يكنزون) يجمعون (الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) أى لا يؤدون زكاتها (فبشرهم بعذاب أليم) أى أخبرهم أن لهم عذابا أليما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) أى يوم تدخل كنوزهم النار حتى تحمى وتشتد حرارتها (فتكوى بها) أى فتلصق بجباههم وجنوبهم وظهورهم حتى يلتقى الحر فى أجوافهم و يقال لهم (هذا) الذى تكوون به (ما كنزتم) أى جمعتم (لأنفسكم) و بخلتم به عن حق الله سبحانه (فذوقوا) العذاب (ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) أى عدد شهور المسلمين التى تعبدوا بأن يجعلوها لسنتهم اثناعشر شهرا على منازل القمر واستهلال الأهلة لا كما يعده أهل الروم وفارس (فى كتاب الله) أى فى الامام الذى عند الله كتبه (يوم خلق السموات والارض

بأقوالهم الباطلة (و يأبى الله) أى لا يريد (الا أن يتم نوره) باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام (ولو كره الكافرون) وجواب لو محذوف أى ولو كره الكافرون تمام نوره لأتمه ولم يبال بكراهتهم (هو الذى أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أى ملتبسا بالقرآن (ودين الحق) أى دين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليعلى الله دين الاسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به فان المسلمين قد قهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وماوالاها الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم مما يلى الترك والهند فثبت أن الذى أخبر الله عنه فى هذه الآية قد حصل وكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان معجزا وروى عن أبى هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الاسلام غالبا على جميع الأديان وتمام هذا انما يحصل عند خروج عيسى فلا يبقى أهل دين الادخلوا فى الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار والوصف بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) أى علماء اليهود (والرهبان) أى علماء النصارى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) أى ليأخذون الأموال من سفلتهم بطريق الرشوة فى تخفيف الاحكام والمسامحة فى الشرائع (و يصدون عن سبيل الله) أى لانهم يمنعون عن متابعة الاخيار من الخلق والعلماء فى ذلك الزمان فى المسلك المقرر فى التوراة والانجيل وفى زمان محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يبالغون فى المنع عن متابعته صلى الله عليه وسلم فى منهجه الصحيح بجميع وجوه المكر والخداع (والذين يكنزون الذهب والفضة) أى يجمعونهما (ولا ينفقونها فى سبيل الله) أى ولا يخرجون من جملة كل واحد منهما سواء كانت آنية أودنانير ودراهم ماوجب اخراجه عن تلك الجملة من الزكاة والكفارات ونفقة الحج والجمعة ومما يجب اخراجه فى الدين والحقوق ونفقة الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات (فبشرهم بعذاب أليم) أى فاخبرهم يا أشرف الخلق بعذاب أليم هو مذكور فى قوله تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) أى يوم توقد على تلك الأموال التى هى الذهب والفضة نار ذات حر شديد فى نار جهنم (فتكوى بها) أى فتحرق بتلك الاموال (جباههم) أى جهة أمامهم كلها (وجنوبهم) من اليمين واليسار (وظهورهم) يقال لهم (هذا) أى الكى (ما كنزتم) أى جزاء ما جمعتم من الاموال (لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى فذوقو جزاء ما كنتم تمنعون حقوق الله تعالى فى أموالكم (ان عدة الشهور) القمرية التى تؤدى فيها الزكاة وعليها يدور فلك الاحكام الشرعية (عند الله) أى فى حكمه (اثناعشر شهرا) وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمية عشرة أيام وربع يوم فبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل آخر فيقع الصوم والحج تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف (فى كتاب الله) أى فى اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض) وهذه الظروف الثلاثة أبدل البعض من البعض والتقدير ان عدة الشهور اثنا عشر شهرا عند الله فى كتاب الله يوم خلق السموات أى منذ خلق الله الاحرام والازمنة أى ان ذلك العدد ثابت فى علم الله وفى كتاب الله من أول ما خلق

الله

الله تعالى العالم (منها) أى من تلك الشهور الاثنى عشر (أربعة حرم) هى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب (ذلك) أى عدة الشهور (الدين القيم) أى الحساب الصحيح (فلا تظلموا فيهن) أى فى الاربعة الحرم (أنفسكم) باتيان المعاصى فانه أعظم وزرا كاتيانها فى الحرم وقال ابن عباس فلا تظلموا فى الشهور الاثنى عشر أنفسكم وذلك منع الانسان عن اتيان الفساد فى جميع العمر (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أى قاتلوا المشركين بأجمعكم مجتمعين على قتالهم فى جميع الأشهر كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة وكونوا عباد الله متوفقين فى مقاتلة الأعداء (واعلموا أن الله مع المتقين) أى مع أوليائه الذين يخشونه فى أداء الطاعات واجتناب المحرمات (انما النسىء) أى انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة فى الكفر) لان ضم هذا العمل الى الأنواع المتقدمة من الكفر زيادة فى الكفر (يضل به الذين كفروا) قرأ حفص وحمزة والكسائى يضل بالبناء للمفعول والباقون بفتح الياء على البناء للفاعل وقرأ أبو عمرو فى رواية من طريق ابن مقسم ويعقوب من العشرة بضم الياء وكسر الضاد والمعنى حينئذ يضل بهذا التأخير الذين كفروا تابعيهم والآخذين بأقوالهم (يحلونه عاما) أى يحلون التأخير عاما وهو العام الذى يريدون أن يقاتلوا فى المحرم (ويحرمونه عاما) أى ويحرمون التأخير عاما آخر وهو العام الذى يتركون المحرم على تحريمه. وسبب هذا التأخير ان العرب كانت تعظم الأشهر الاربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة والحروب فشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية وقالوا ان توالت ثلاثة أشهر حرم لا نصيب فيها شيئا لهلكنا وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم (ليواطئوا) أى ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الأشهر الأربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم ما أحلوا شهرا من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لأجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى. قال الكلبى أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم ويخطب فى الموسم ويقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الازجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكنانى وكان مطاعا فى الجاهلية كان يقول على جمل فى الموسم بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم * ومنا ناسىء الشهر قلمس * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أول من سن النسىء عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس أى زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسنا (والله لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم فى الأزل انهم من أهل النار (يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض) أى أى شىء ثبت لكم من الأعذار حال كونكم متثاقلين ومشتهين الاقامة فى أرضكم فى وقت قول الرسول لكم اخرجوا الى الغزو فى طاعة الله

---

منها أربعة حرم) رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم يعظم انتهاك المحارم فيها بأشد مما يعظم فى غيرها (ذلك الدين القيم) أى الحساب المستقيم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) يعنى تحفظوا من أنفسكم فى الحرم فان الحسنات فيها تضعف وكذلك السيئات (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أى قاتلوهم كلهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم (واعلموا أن الله مع المتقين) أى مع أوليائه الذين يخافونه (انما النسىء) أى تأخير حرمة شهر حرمه الله الى شهر آخر لم يحرمه الله وذلك أن العرب فى الجاهلية ربما كانت تستحل المحرم وتحرم بدله صفرا فأخبر الله تعالى أن ذلك (زيادة فى الكفر) حيث أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله (يضل به) أى بذلك التأخير (الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى اذا قاتلوا فيه أحلوه وحرموا مكانه صفرا واذا لم يقاتلوا فيه حرموه (ليواطئوا) أى ليوافقوا (عدة ما حرم الله) وهو أنهم لم يحلوا شهرا من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لئلا تكون الحرم أكثر من أربعة كما حرم الله فتكون موافقة للعدد (زين لهم سوء أعمالهم) أى زين لهم الشيطان ذلك (يأيها الذين آمنوا مالكم) نزلت فى حث المؤمنين على غزوة تبوك وذلك أنهم دعوا اليها فى زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر فشق عليهم الخروج فأنزل الله مالكم (اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله) أى اخرجوا الى الجهاد لحرب العدو (اثاقلتم الى الارض) أى أحببتم المقام

روى ان هذه الآية نزلت فى غزوة تبوك مكان على طرف الشام بينه و بين المدينة أربع عشرة مرحلة و يقال لها غزوة العسرة وغزوة الفاضحة وكانت فى رجب فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة وسببها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء فأمر ﷺ أصحابه بالجهاد و بعث الى مكة وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله وهى آخر غزواته فجهز عثمان عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيل وهى تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد وما يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة والأغنياء و بعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى وتخلف عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين بعد ان خرجوا الى ثنية الوداع وكان من تخلف عشر قبائل وانما تباطأ الناس فى خروجهم للقتال لشدة الزمان فى قحط وضيق عيش ولبعد المسافة والحاجة الى الاستعداد الزائد على ما جرت به العادة فى سائر الغزوات ولشدة الحر فى ذلك الوقت ولمهابة عسكر الروم ولادراك الثمار فى المدينة فى ذلك الوقت فاقتضى اجتماع هذه الأسباب تثاقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) أى بدل نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل) أى فما التمتع بلذائذ الدنيا فى مقابلة نعيم الآخرة الا قليل لان سعادة الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة فى البحر وترك الخير الكثير لاجل السرور القليل سفه (الا تنفروا يعذبكم) الله (عذابا أليما) أى ان لم تخرجوا الى ما طلب الخروج منكم اليه يهلككم الله بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه (و يستبدل قوما غيركم) أى يأتى بعد اهلاككم بدلكم بقوم مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه شيئا) أى لا يضر الله جلوسكم شيئا لانه غنى عن العالمين أو لا يضر الرسول تثاقلكم فى نصرة دينه أصلا لان الله عصمه من الناس (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر نبيه ودينه ولو من غير واسطة (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) أى ان لم تنصروا محمدا فسينصره الله الذى قد نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد اذ جعله كفار مكة مثل المضطر الى الخروج حيث أذن له ﷺ فى الخروج حين هموا بقتله حال كونه أحد اثنين والآخر أبو بكر الصديق اذ هما فى غار جبل ثور اذ يقول محمد ﷺ لأبى بكر الصديق لا تحزن ان الله معيننا وكان الصديق قد حزن على رسول الله ﷺ لا على نفسه فقال له يا رسول الله اذا مت أنا فانا رجل واحد واذا مت أنت هلكت الأمة والدين. روى ان قريشا ومن بمكة من المشركين تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ فأمره الله تعالى أن يخرج أول الليل الى الغار وخرج هو وأبو بكر أول الليل الى الغار وأمر ﷺ عليا أن يضطجع على فراشه ليمنع السواد من طلبه حتى يبلغ الى ما أمر الله به فلما وصل الى الغار دخل أبو بكر فيه أولا يلتمس ما فيه فقال له النبى ﷺ مالك فقال بأبى أنت وأمى الغار مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بى لا بك وكان فى الغار جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذى الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا بنصره فجعل يمسح الدموع عن خده وروى لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال صلى الله

(أرضيتم بالحياة الدنيا) أى بدلا (من الآخرة) يعنى الجنة (فما متاع الحياة الدنيا) يريد الدنيا كلها (فى الآخرة الا قليل) أى عند كل شئ من الجنة (الا تنفروا) أى تخرجوا مع نبيكم الى الجهاد (يعذبكم عذابا أليما) أى بالقحط وحبس المطر (و يستبدل قوما غيركم) أى يأت بقوم آخرين ينصر بهم رسوله (ولا تضروه شيئا) لان الله عصمه من الناس ولا يخذله ان تثاقلتم كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة وهم به الكفار فتولى الله نصره وهو قوله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا) أى اضطروه الى الخروج لما هموا بقتله فكانوا سببا لخروجه من مكة هاربا منهم (ثانى اثنين) أى واحد اثنين وهو أبو بكر رضى الله عنه والمعنى نصره الله منفردا الا من أبى بكر (اذ هما فى الغار) وهو غار بجبل بمكة يقال له ثور (اذ يقول لصاحبه) أبى بكر (لا تحزن) وذلك أنه خاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) يمنعهم منا و ينصرنا

(فأنزل الله سكينته عليه) أى ألقى فى قلب أبى بكر ما سكن به (وأيده) أى رسوله (بجنود لم تروها) أى قواه وأعانه بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا) وهى كلمة الشرك (السفلى وكلمة الله هى العليا) أى لأنها علت فظهرت وكان هذا يوم بدر (انفروا خفافا وثقالا) أى شبابا وشيوخا (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير



لكم) من التثاقل الى الأرض (ان كنتم تعلمون) أى ما لكم من الثواب والجزاء ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن هذه الغزوة (لو كان عرضا قريبا) أى لو كان ما دعوا اليه غنيمة قريبة (وسفرا قاصدا) أى قريبا هينا (لاتبعوك) طمعا فى الغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة (وسيحلفون بالله) أى عندك اذا رجعت اليهم (لو استطعنا لخرجنا معكم) أى لو قدرنا وكان له سعة فى المال (يهلكون أنفسهم) أى بالكذب والنفاق (والله يعلم انهم لكاذبون) لأنهم كانوا يستطيعون الخروج (عفا الله عنك لم أذنت لهم) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لطائفة فى التخلف عنه من غير مؤامرة ولم يكن له أن يمضى شيئا الا بوحى فعاتبه الله وقال لم أذنت لهم فى التخلف (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أى حتى تعلم من له العذر منهم ومن لا عذر له فيكون اذنك لمن له العذر (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى فى القعود والتخلف عن الجهاد كراهة (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) أى فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم) أى شكوا فى دينهم (فهم فى ريبهم يترددون) أى فى شكهم يتمادون (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) أى من الزاد والمركوب لأنهم كانوا مياسير

---

عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا (فأنزل الله سكينته) أى أمنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) أى على صاحبه صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق (وأيده) أى أعانه صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين وهذه الجملة معطوفة على جملة نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) أى جعل الله يوم بدر كلمة الشرك سافلة حقيرة (وكلمة الله) أى قوله لا اله الا الله (هى العليا) أى الغالبة الظاهرة (والله عزيز) أى قاهر غالب (حكيم) أى لا يفعل الا الصواب (انفروا خفافا وثقالا) أى اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك خفافا فى الخروج لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) أى جاهدوا فى طاعة الله بما أمكن لكم اما بكليهما أو بأحدهما (ذلكم) أى الجهاد (خير لكم) أى خير عظيم فى نفسه لكم (ان كنتم تعلمون) أن الجهاد خير فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) أى لو كان ما دعوا اليه متاعا قريب المنال سهل الأخذ وسفرا متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك فى الخروج الى تبوك طمعا فى تلك المنافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة التى تقطع بمشقة فتخلفوا عن الجهاد بسبب انهم كانوا يستعظمون غزو الروم فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة (وسيحلفون) أى المتخلفون عن الغزو عند رجوعك من تبوك وهم عبد الله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم قائلين (بالله لو استطعنا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بسبب الحلف الكاذب فان الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال ﷺ اليمين الغموس تدع الديار بلاقع (والله يعلم انهم لكاذبون) فى أيمانهم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك) يا أشرف الخلق ما وقع منك من ترك الأولى والأكمل (لم أذنت لهم) أى لأى سبب أذنت لهم فى التخلف (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم الكاذبين) فى ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى ليس من عادة المؤمنين الخلص أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه وكان الأكابر من المهاجرين والأنصار يقولون لانستأذن النبى ﷺ فى الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد أخرى فأى فائدة فى الاستئذان ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا بحيث لو أمرهم الرسول بالقعود لشق عليهم ذلك (والله عليم بالمتقين) الذين يسارعون الى طاعته (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى انما يستأذنك يا أشرف الخلق فى التخلف عن الجهاد من غير عذر المنافقون فانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت قلوبهم) أى شكت قلوبهم فى الدين (فهم فى ريبهم يترددون) أى فهم حال كونهم فى شكهم المستقر فى قلوبهم يتحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك (لأعدوا له) أى للخروج (عدة) أى أهبة من الزاد والراحلة والسلاح

(ولكن كره الله انبعاثهم) أي خروجهم معك (فثبطهم) أي نخذلهم وكسلهم (وقيل اقعدوا) وحيا الى قلوبهم يعني أن الله ألهمهم أسباب الخذلان (مع القاعدين) أي الزمنى وأولى الضرر ثم بين لم كره خروجهم فقال (لوخرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يقول لوخرجوا لأفسدوا عليكم أمركم (ولاوضعوا خلالكم) أي لأسرعوا بالنميمة لافساد ذات بينكم (يبغونكم



الفتنة) أي يبطئونكم ويفرقون كلمتكم حتى تنازعوا فتفتتنوا (وفيكم سماعون لهم) أي من يسمع كلامهم ويطيعهم ولوصحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم (والله عليم بالظالمين) أي المنافقين (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي طلبوا لك الشر والعنت قبل تبوك وهو أن جماعة منهم أرادوا الفتك به ليلة العقبة (وقلبوا لك الأمور) أي اجتهدوا في الحيلة عليك والكيد بك (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) أي حتى أخزاهم الله باظهار الحق واعزاز الدين على كره منهم (ومنهم من يقول ائذن لي) نزلت في جد بن قيس المنافق قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال ائذن لي يا رسول الله في القعود عنك وأعينك بمالي (ولا تفتني) ببنات بني الأصفر فاني مستهتر بالنساء واني أخشى ان رأيتهن أن لا أصبر عنهن فقال الله (ألا في الفتنة سقطوا) أي في الشرك وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمرك (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي محدقة بمن كفر بالله جامعة لهم (ان تصبك حسنة) أي نصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) أي من قتل وهزيمة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) أي أخذنا حذرنا وعملنا بالحزم حين تخلفنا (ويتولوا) أي وينصرفوا (وهم فرحون) أي معجبون بذلك وبما نالك من السوء (قل لن يصيبنا) خير وشر الا وهو مقدر مكتوب علينا

---

(ولكن كره الله انبعاثهم) أي ولكن لم يرض الله نهوضهم للخروج معك (فثبطهم) أي حبسهم بالكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) أي تخلفوا مع المتخلفين والقائل الشيطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أوهو أمر النبي بذلك أمر توبيخ أو ألقاه الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي (لوخرجوا فيكم) أي معكم (ما زادوكم الا خبالا) أي فسادا (ولأوضعوا خلالكم) أي ولسار واعلى الابل وسطكم ولاسرعوا بينكم بالنمائم (يبغونكم الفتنة) أي يطلبون لكم ماتفتتنون به بالقاء الرعب في قلوبكم و بافساد نياتكم (وفيكم سماعون لهم) أي فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين (والله عليم بالظالمين) لأنفسهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب أنهم سعوا في القاء غيره في وجوه الآفات (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي من قبل واقعة تبوك كما فعل عبد الله ابن أبي يوم أحد حيث انصرف مع أصحابه عن النبي ﷺ (وقلبوا لك الأمور) أي اجتهدوا في الحيلة عليك وفي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) أي استمر هؤلاء المنافقون على اثارة الفتنة وتنفير الناس عن قبول الدين حتى جاء النصر الالهي وكثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أي غلب دينه بظهور الأسباب التي تقوي شرع محمد ﷺ (وهم كارهون) أي والحال انهم كارهون لمجيء هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتني) أي ومن المنافقين وهو الجد بن قيس من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود في المدينة ولاتوقعني في الاثم بأن لاتأذن لي فانك ان منعتني من القعود وقعدت بغير اذنك وقعت في الاثم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر أي في جهاد ملوك الروم فقال الجد يارسول الله قد علمت الأنصار أني مغرم بالنساء فلاتفتني ببنات الأصفر واني أخشى ان رأيتهن لاأصبر عنهن ولكني أعينك بمال فاتركني (ألا) أي تنبهوا (في الفتنة سقطوا) أي انهم في عين الفتنة وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله و رسوله والتمرد عن قبول التكليف وهم خائفون من نزول آيات في بيان نفاقهم (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وقيل ان أسباب تلك الاحاطة حاصلة في الحال فكأنهم في وسطها لأنهم كانوا محرومين عن كل السعادات وانهم اشتهروا بين الناس بالنفاق والطعن في الدين وقصد الرسول بكل سوء وكانوا يشاهدون أن دولة الاسلام أبدا في الترقي وكانوا في أشد الخوف على أنفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصبك حسنة تسؤهم) أي ان تصبك في بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنيمة أو انقياد بعض ملوك الأطراف يحزنهم ذلك (وان تصبك) في بعض الغزوات (مصيبة) أي شدة وان صغرت (يقولوا) متبجحين برأيهم (قد أخذنا أمرنا) أي حذرنا بالاعتزال عن المسلمين والتخلف عنهم والمداراة مع الكفرة (من قبل) أي من قبل هذه المصيبة (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) بما أصابك من المصيبة و بسلامتهم منها (قل) ياأشرف الخلق للمنافقين بيانا لبطلان اعتقادهم (لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا) أي لن

يصيبنا

يصيبنا خير ولاشر ولارخاء ولاشدة ولاخوف ولاأمن الا وهو مقدر علينا مكتوب عندالله فاذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للأجر العظيم وان صرنا غالبين صرنا مستحقين للثواب فى الآخرة وفزنا بالمال الكثير والثناء الجميل فى الدنيا (هو) أى الله (مولانا) يحسن منه التصرف فى العالم كيف شاء فان أوصل الى بعض عبيده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فالواجب على المؤمن أن يفوض أمره الى الله وأن يرضى بفعله تعالى وأن يطمع من فضله تعالى ورحمته (قل) يا أشرف الخلق للمنافقين (هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) أى ماتنتظرون بنا الا احدى الحالتين الشريفتين النصر أو الشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى الغزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز بالاسم الحسن فى الدنيا وهى الرجولية والشوكة و بالثواب العظيم الذى أعده الله للشهداء فى الآخرة وان صار غالبا فاز فى الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وفى الآخرة بالثواب العظيم (ونحن نتربص بكم) احدى الحالتين الخسيستين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) كأن ينزل عليكم صاعقة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر أى ان المنافق اذا قعد فى بيته كان مذموما منسوبا الى الجبن وضعف القلب والرضا بأمر يشاركه فيه النسوان والصبيان والعاجزون ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله فى قتله وقع فى القتل والأسر والنهب مع الذل وان مات انتقل الى العذاب الدائم فى الآخرة (فتربصوا) بنا احدى الحالتين الشريفتين (انا معكم متربصون) وقوعكم فى احدى الحالتين الخسيستين (قل) يا أشرف الخلق لهذا المنافق وأمثاله وهذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبي ﷺ ائذن لى فى القعود وهذا مالى أعينك به (أنفقوا) أموالكم (طوعا) أى من غير الزام من الله ورسوله (أوكرها) أى الزاما منهما وسمى الالزام اكراها لان الزام المنافقين بالانفاق كان شاقا عليهم كالاكراه وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى النساء والأحقاف كرها بضم الكاف وقرأ عاصم وابن عامر فى الأحقاف بالضم من المشقة وفى النساء والتوبة بالفتح من الاكراه والباقون بفتح الكاف فى جميع ذلك (لن يتقبل منكم) والأمر هنا بمعنى الخبر أى نفقتكم غير مقبولة سواء كانت طوعا أوكرها (انكم كنتم قوما فاسقين) أى منافقين فانهم كافرون فى الباطن (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله و برسوله ولايأتون الصلاة الا وهم كسالى) أى لايأتونها فى حال من الأحوال الاحال كونهم متثاقلين فان هذا المنافق ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل لانه لايصلى طاعة لأمر الله وانما يصلى خوفا من مذمة الناس (ولاينفقون الا وهم كارهون) أى لارغبة لهم فانهم لاينفقون لغرض الطاعة بل رعاية للمصلحة الظاهرة حتى انهم كانوا يعدون الانفاق مغرما بينهم (فلاتعجبك أموالهم ولاأولادهم) والمراد بهذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولاتعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم (انما يريد الله ليعذبهم بها) أى بالأموال والأولاد (فى الحياة الدنيا) وسبب كون المال والولد عذابا فى الدنيا هو مايحصل من المتاعب والمشاق فى تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق فى حفظهما و يزداد الغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما وهم اعتقدوا أنه لاسعادة الا فى هذه الخيرات العاجلة فالمال والولد عذاب على المنافق فى الدنيا دون المؤمن لانه علم أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له فى الدنيا (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أى يريد الله أن تخرج أرواحهم والحال أنهم كافرون فيكون عذابهم فى الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى يحلف المنافقون للمؤمنين اذا جالسوهم انهم على دينكم (وماهم منكم) أى ليسوا على دينكم

(قل هل تربصون بنا) أى هل تنتظرون أن يقع بنا (الا احدى الحسنيين) الغنيمة أو الشهادة (ونحن نتربص بكم) أى ننتظر بكم (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) أى بقارعة من السماء (أو بأيدينا) أى يأذن لنا فى قتلكم فنقتلكم (فتربصوا انا معكم متربصون) أى فانتظروا مواعيد الشيطان انا منتظرون مواعيد الله من اظهار دينه وهلاك من خالفه ثم ذكر فى الآية الثانية والثالثة أنه لايقبل منهم ما أنفقوه فى الجهاد لان منهم من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد عنك وأعينك بمالى فأخبر الله أنه لايقبل ذلك فعلوه طائعين أومكرهين و بين أن المانع لقبول ذلك كفرهم بالله ورسوله وكسلهم فى الصلاة لانهم لايرجون لها ثوابا وكراهتهم الانفاق فى سبيل الله لانهم يعدونه مغرما (فلاتعجبك أموالهم ولاأولادهم) أى لاتستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال الكثيرة والأولاد (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) يعنى بالمصائب فيها فهى لهم عذاب وللمؤمن أجر (وتزهق أنفسهم) وتخرج أرواحهم وهم على الكفر (و يحلفون بالله انهم لمنكم) أى انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين

(ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون القتل فأظهروا الايمان وأسروا النفاق (لو يجدون ملجأ) أى حرزا يلجأون اليه تحصنا منكم من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أى كهوفا فى الجبل يخفون فيها أنفسهم (أو مدخلا) أى سربا تحت الارض كالآبار يندسون فيه (لولوا) أى لصرفوا وجوههم (اليه) أى الى أحد هذه الوجوه الثلاثة التى هى شر الأمكنة (وهم يجمحون) أى يسرعون اسراعا لا يردوجوههم شئ لشدة تأذيهم من الرسول ومن المسلمين (ومنهم) أى المنافقين أبى الأحوص وأصحابه (من يلمزك) أى من يعيبك سرا (فى الصدقات) قالوا لم يقسم بيننا بالسوية والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الاهواء فنزلت هذه الآية (فان أعطوا منها) أى الصدقات قدر ما يريدون فى الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون (اذا هم يسخطون) أى يفاجئون السخط فان رضاهم وسخطهم لطلب النصيب لا لأجل الدين (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) من الصدقات وطابت نفوسهم وان قل (وقالوا حسبنا الله) أى كفانا ذلك (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) أى سيغنينا الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم (انا الى الله) أى الى طاعته واحسانه (راغبون) لكان ذلك أعود عليهم ونقل أن عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ثم مر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه فقالوا الرغبة فى الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته فقال أنتم المحبون المحققون (انما الصدقات للفقراء والمساكين) أى انما الزكوات مصروفة للفقراء وهم المحتاجون الذين لا يجدون شيئا ولا يسألون الناس وهم أهل صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نحو أربعمائة رجل لا منزل لهم والمساكين هم الطوافون الذين يسألون الناس كما قاله ابن عباس ومن سأل وجد فكان المسكين أقل حاجة (والعاملين عليها) وهم السعاة لجباية الصدقة وهؤلاء يعطون من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعى وعبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات (والمؤلفة قلوبهم) وهم أصناف صنف دخلوا فى الاسلام ونيتهم ضعيفة فيتألفون ليثبتوا وآخرون لهم شرف فى قومهم يطلب بتألفهم اسلام نظرائهم وأثبت الشافعى والأصحاب سهم هذين الصنفين وصنف يراد بتألفهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مانعى الزكاة و يقبضوا زكاتهم وهذان فى معنى الغزاة والعاملين وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية لكن يجوز صرفه اليهما كما أفتى به الماوردى (وفى الرقاب) أى وفى فك الرقاب فسهمهم موضوع فى المكاتبين ليعتقوا به كما هو مذهب الشافعى والليث بن سعد أو موضوع لعتق الرقاب يشترى به عبيد فيعتقون كما هو مذهب مالك وأحمد واسحق وقال الزهرى سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين من المسلمين ونصف يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة (والغارمين) أى المديونين فى طاعة الله (وفى سبيل الله) و يجوز للغازى أن يأخذ من مال الزكاة وان كان غنيا كما هو مذهب الشافعى ومالك واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا ونقل القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و بناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى فى سبيل الله عام فى الكل (وابن السبيل) وهو الذى يريد

(ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون فيحلفون تقية (لو يجدون ملجأ) أى مهربا (أو مغارات) أى سراديب (أو مدخلا) أى وجها يدخلونه (لولوا اليه) أى لرجعوا اليه (وهم يجمحون) أى يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شئ أى لو أمكنهم الفرار من بين المسلمين بأى وجه كان لفروا ولم يقيموا بينهم (ومنهم) أى ومن المنافقين (من يلمزك) أى يعيبك و يطعن عليك (فى) أمر (الصدقات) يقول انما يعطيها محمد من أحب فان أكثرت لهم من ذلك فرحوا وان أعطيتهم قليلا سخطوا ثم ذكر فى الآية الثانية أنهم لو رضوا بذلك وتوكلوا على الله لكان خيرا لهم وهو قوله (ولو أنهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) ثم بين لمن الصدقات فقال (انما الصدقات للفقراء) وهم المتعففون عن السؤال (والمساكين) أى والذين يسألون و يطوفون على الناس (والعاملين عليها) أى السعاة لجباية الصدقة (والمؤلفة قلوبهم) كانوا قوما من أشراف العرب استألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليردوا عنه قومهم و يعينوه على عدوه (وفى الرقاب) أى المكاتبين (والغارمين) أى أهل الدين (وفى سبيل الله) أى الغزاة والمرابطين (وابن السبيل) أى المنقطع فى سفره.

السفر فى غير معصية فيعجز عن بلوغ سفره الا بمعونة و يصرف مال الزكاة الى الأصناف الأربعة الأول حتى يتصرفوا فيه كما شاءوا وفى الأربعة الأخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لأجلها استحقوا سهم الزكاة ومذهب أبى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الأصناف فقط كما هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال الشافعى لابد من صرفها الى الأصناف الثمانية كما هو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز (فريضة من الله) أى فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة والمقصود من هذا التأكيد تحريم اخراج الزكاة عن هذه الأصناف (والله عليم) فيعلم بمقادير المصالح (حكيم) لا يشرع الا ماهو الأصوب الاصلح (ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن) روى أن جماعة من المنافقين حذام بن خالد واياس بن قيس وسماك بن يزيد وعبيد بن مالك والجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت ذكروا النبى صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغى من القول ثم قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو و يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن انه صلى الله عليه وسلم ليس له ذكاء بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل مايسمع (قل) ياأشرف الخلق لهؤلاء المنافقين (أذن خير لكم) قرأ عاصم فى رواية الأعمش وعبد الرحمن عن أبى بكر عنه أذن خير مرفوعين أى ان كان صلى الله عليه وسلم كما تقولون انه أذن فأذن يقبل منكم خير لكم من ان يكذبكم والباقون بالاضافة أى هو أذن خير لا أذن شر أى يصدقكم بالخير لا بالكذب ثم بين الله كونه صلى الله عليه وسلم أذن خير بقوله (يؤمن بالله) لما قام عنده من الادلة (و يؤمن للمؤمنين) أى و يرضى لهم و يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو رفق بالذين أظهروا الايمان منكم حيث لا يكشف أسرارهم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرأ ابن عامر ورحمة بالنصب علة لمحذوف أى و يأذن لكم رحمة (والذين يؤذون رسول الله) بقولهم هو أذن ونحوه (لهم عذاب أليم) فى الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) أى انهم حلفوا على انهم ماقالوا ماحكى عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى والحال انه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوهما بالاخلاص والتوبة والمتابعة وايفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم فى باب الاجلال مشهدا ومغيبا لا باتيانهم بالأيمان الفاجرة (ان كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أى أولئك المنافقون جلاس وأصحابه (أنه) أى الشأن (من يحادد الله) أى من يخالف الله (ورسوله فأن له نار جهنم) أى فحق أن له نار جهنم أى فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالدا فيها ذلك) أى العذاب الخالد (الخزى العظيم) أى الندم الشديد وهى ثمرات نفاقهم (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) أى يخاف المنافقون أن تنزل فى شأنهم سورة تذيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم اذاعة ظاهرة فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال فكأن السورة تخبرهم بها وهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ و يقول انه بطريق الوحى يكذبونه و يستهزئون به (قل استهزئوا) أى افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (ان الله مخرج ماتحذرون) أى فان الله مظهر ماتحذرونه من انزال السورة (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) قال الحسن وقتادة لما سار

(و يقولون هو أذن) وذلك انهم قالوا فيما بينهم نقول ماشئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا لأنه أذن فقال الله (قل أذن خير لكم) أى مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد ثم أكد هذا و بينه فقال (يؤمن بالله) أى يسمع ماينزله الله تعالى فيصدق به (و يؤمن للمؤمنين) أى و يصدق المؤمنين فيما يخبرونه لا الكافرين بالله (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة لأنه كان سبب ايمانهم (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) أى يحلف هؤلاء المنافقون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول والطعن عليه أنهم ما أتوا ذلك ليرضوكم بيمينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فيؤمنوا بهما و يصدقوهما ان كانوا على مايظهرون (يحذر المنافقون أن تنزل) على المؤمنين (سورة تنبئهم) أى تخبرهم (بما فى قلوبهم) أى من الحسد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وذلك أنهم كانوا يفرقون من هتكهم (قل استهزئوا) أمر وعيد (ان الله مخرج) أى مظهر (ماتحذرون) أى ظهوره (ولئن سألتهم) أى عما كانوا فيه من الاستهزاء (ليقولن انما كنا نخوض ونلعب)

وذلك أن رجلا من المنافقين قال فى غزوة تبوك مارأيت مثل هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء هذا القائل ليعتذر فوجد القرآن قد سبقه فقال يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق وهو معنى قوله انما كنا نخوض ونلعب أى فى الباطل من الكلام كما يخوض الركب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) أى ظهر كفركم بعد اظهاركم الايمان ( ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) وذلك أنهم كانوا ثلاثة نفر فهزأ اثنان وضحك واحد وهو المعفو عنه فلما نزلت هذه الآية برئ من النفاق (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى على دين بعض (يأمرون بالمنكر) أى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) أى عن اتباعه (ويقبضون أيديهم) أى عن النفقة فى سبيل الله (نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فنسيهم) أى فتركهم من كل خير وخذلهم (ان المنافقين هم الفاسقون) أى الخارجون عما أمر الله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) الآية ظاهرة ثم خاطبهم فقال ( كالذين من قبلكم) أى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم حيث (فاستمتعوا بخلاقهم) أى رضوا بنصيبهم من الدنيا ففعلتم أنتم أيضا مثل مافعلوا (وخضتم) فى الطعن على النبى ﷺ كما خاضوا هم فى الطعن على أنبيائهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لأنها لاتقبل منهم ولايثابون عليها

---

الرسول الى تبوك قال المنافقون بينهم أتراه يظهر على الشام و يأخذ حصونها وقصورها هيهات هيهات فعند رجوعه صلى الله عليه وسلم دعاهم وقال أنتم القائلون بكذا وكذا فقالوا واما كان ذلك بالجد فى قلوبنا وانما كنا نتحدث ونضحك فيما بيننا (قل أبالله) أى بتكاليف الله (وآياته) أى و بالقرآن و بسائر مايدل على الدين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم ( كنتم تستهزئون لاتعتذروا ) أى لاتذكروا هذا العذر فى دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد ايمانكم) أى قد ظهر كفركم للمؤمنين بالطعن فى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كنتم عندهم مسلمين (ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) قرأ عاصم نعف ونعذب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقون يعف بالياء وتعذب بالتاء بالبناء للمفعول وطائفة بالرفع روى أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جهير بن حمير والاثنان طائفة وهما وديعة بن جذام وجد بن قيس فالذى عفى عنه جهير بن حمير لأنه كان ضحك معهم ولم يستهزئ معهم فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم انى لاأزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لايقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (بأنهم كانوا مجرمين) أى مستمرين على النفاق والاستهزاء فأوجب التعذيب ( المنافقون ) وكانوا ثلاثمائة ( والمنافقات ) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى متشابهون فى صفة النفاق والأفعال الخبيثة (يأمرون) أى يأمر بعضهم بعضا ( بالمنكر) أى بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) أى عن الايمان والطاعة ( و يقبضون أيديهم) عن كل خير من زكاة وصدقة وانفاق فى سبيل الله ( نسوا الله ) أى تركوا أمر الله (فنسيهم) أى جازاهم بتركهم من رحمته ( ان المنافقين هم الفاسقون ) أى الكاملون فى الفسق الذى هو الانسلاخ من كل خير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) أى المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار المخلدة من أعظم العقوبات (هى حسبهم) أى تلك العقوبة كافية لهم ولا شئ أبلغ منها ولايمكن الزيادة عليها (ولعنهم الله) أى أهانهم الله بالذم ملحقا بتلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزمهرير وكمقاساة تعب النفاق فى الدنيا اذهم دائما فى حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أى فعلكم أيها المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم فى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الأيدى عن الخيرات ( كانوا أشد منكم قوة) فى الأبدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم ) أى فتمتعوا مدة بنصيبهم من لذات الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أى فأنتم أيها المنافقون استمتعتم بنصيبكم استمتاعا كاستمتاع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية (وخضتم كالذى خاضوا) أى وتلبستم بتكذيب الأنبياء فى السر و بالمكر والغدر بهم كالتلبس الذى تلبسوا به من تكذيب أنبياء الله والغدر بهم (أولئك) الموصوفون بالأفعال الذميمة (حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) أى بطلت حسناتهم بسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف و بسبب الموت وفى الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (وأولئك هم الخاسرون)

حيث أتعبوا أنفسهم فى الرد على الأنبياء فما وجدوا منه الا فوات الخيرات فى الدنيا والآخرة والا حصول العقاب فى الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أى المنافقين (نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) أى المنقلبات التى جعل الله عالى القرى سافلها (أتتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات فكذبوهم فعجل الله هلاكهم والله أهلك قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بارسال الريح العقيم وثمود قوم صالح بارسال الصيحة والصاعقة وقوم ابراهيم بالهدم وسلب النعمة عنهم و بتسليط البعوضة على دماغ نمروذ وقوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالخسف و بجعل عالى أرضهم سافلها و بامطار الحجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية و بلادهم قريبة من بلاد العرب وهى الشام والعراق واليمن فكانوا يمرون عليها و يعرفون أخبار أهلها (فما كان الله ليظلمهم) بايصال العذاب اليهم لأنهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية (يأمرون بالمعروف) أى بالايمان بالله و رسوله واتباع أمره (وينهون عن المنكر) أى الشرك والمعاصى (ويقيمون الصلاة) أى المفروضة باتمام الأركان والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) فى كل أمر ونهى فى السر والعلانية (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (سيرحمهم الله) أى يفيض عليهم آثار رحمته والسين للتوكيد والمبالغة (ان الله عزيز) أى لا يمنع من مراده فى عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أى مدبر أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار) أى تجرى من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها ومساكن طيبة) وهى قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (فى جنات عدن) وهى أبهى أماكن الجنات وأسناها وقال عبد الله بن عمر إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد (و رضوان من الله أكبر) مما هم فيه اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة و روى انه تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شىء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ شعبة و رضوان بضم الراء والباقون بالكسر (ذلك) أى المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التنعم بطيبات الدنيا (يأيها النبى جاهد الكفار) أى المجاهرين بالسيف (والمنافقين) أى الساترين كفرهم بظهور الاسلام باظهار الحجة لا بالسيف لنطقهم بكلمتى الشهادة (واغلظ عليهم) أى اشدد على كلا الفريقين بالفعل والقول (ومأواهم جهنم و بئس المصير) هى وهذه الجملة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بتوافقهم على فتك النبى ﷺ وطعنهم على نبوته (وكفروا بعد اسلامهم) أى أظهروا الكفر وجاهروا بالحرب بعد ان أظهروا الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) روى أن المنافقين هموا بقتله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد اتفقوا على أن يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحلته ليقع فى الوادى فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل الى العقبة التى

ليظلمهم) أى ليعذبهم قبل بعث الرسل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أى فى الرحمة والمحبة (يأمرون بالمعروف) أى يدعون الى الاسلام (وينهون عن المنكر) أى الشرك بالله (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يريد قصور الزبرجد والدر والياقوت (فى جنات عدن) هى قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن (ورضوان من الله أكبر) أى مما يوصف (يأيها النبى جاهد الكفار) أى بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) يريد شدة الانتهار والنظر بالبغضة والمقت (يحلفون بالله ما قالوا) نزلت حين أساء المنافقون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فى الدين وقالوا اذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبى تاجا نباهى به رسول الله ﷺ فسعى بذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فدعاهم فحلفوا ما قالوا (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى سبهم الرسول ﷺ وطعنهم فى الدين (وهموا بما لم ينالوا) أى من عقد التاج على رأس ابن

بين تبوك والمدينة نادى مناديه بأمره ان رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره
واسلكوا يامعشر الجيش بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك النبى
العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة وكان النبى قد أمر عمار بن
ياسر أن يأخذ بزمام ناقته و يقودها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فبينما النبى يسير فى العقبة
اذ زحمه المنافقون فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وعلموا انه اطلع على
مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب الناقة فقال
له النبى هل عرفت أحدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين والليلة مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبى
انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى عنها وان الله أخبرنى بهم وبمكرهم فلما أصبح
جمعهم وأخبرهم بما مكروا به فحلفوا بالله ماقالوا بتكذيب النبى ونسبه الى التصنع فى ادعاء الرسالة ولا
أرادوا افتكه فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومانقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) أى وما أنكروا
على رسول الله ﷺ شيئا من الأشياء الا أغناء الله تعالى اياهم من فضله فان هؤلاء المنافقين كانوا
قبل قدوم النبى ﷺ المدينة فى ضنك من العيش لايركبون الخيل ولايحرزون الغنيمة و بعد
قدومه أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وقتل للجلاس مولى فأمر له رسول الله ﷺ
بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى وذلك يوجب عليهم أن يكونوا محبين له ﷺ مجتهدين فى بذل
النفس والمال لأجله فعملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره ﷺ ان كرهوه وعابوه (فان
يتوبوا) من النفاق كما وقع للجلاس بن سويد فانه تاب وحسنت توبته (يك) أى التوب (خيرا لهم)
فى الدارين (وان يتولوا) أى يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بقتلهم وسبى
أولادهم وأزواجهم واغتنام أموالهم لأنه لما ظهر كفرهم بين الناس صاروا مثل أهل الحرب فيحل
قتالهم (والآخرة) بالنار وغيرها من أفانين العقاب (ومالهم فى الأرض) مع سعتها (من ولى) أى حافظ
(ولا نصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أى المنافقين (من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) باجرامهم على العهد (وهم
معرضون) بقلوبهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم) أى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا
فى قلوبهم أى فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (الى يوم يلقونه) أى الى يوم موتهم الذى يلقون
فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه) أى بسبب اخلافهم الله الوعد من
التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) أى وبسبب كونهم مستمرين على الكذب فى وعدهم
روى أن ثعلبة بن حاطب كان صحيح الاسلام فى ابتداء أمره وصار منافقا فى آخر أمره وكان ملازما
لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقب بحمامة المسجد ثم رآه النبى ﷺ يسرع الخروج
من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت
ولى ولامرأتى ثوب أجىء به للصلاة ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلى به فجاء ثعلبة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ﷺ ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير
من كثير لاتطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله أمالك
فى أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك
وقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا من أوديتها فجعل يصلى الظهر

أى وقيل من الاغتيال
بالرسول (ومانقموا) أى
كرهوا (الا أن أغناهم الله
ورسوله) من فضله بالغنيمة
حتى صارت لهم الأموال
أى أنهم عملوا بضد الواجب
فجعلوا موضع شكر الغنا
ان نقموه ثم عرض عليهم
التوبة فقال (فان يتوبوا
يك خيرا لهم وان يتولوا)
أى يعرضوا عن الايمان
(يعذبهم الله عذابا أليما فى
الدنيا) أى بالقتل (و) فى
(الآخرة) بالنار (ومالهم
فى الأرض من ولى ولا نصير)
أى لايتولاهم أحد من
المسلمين (ومنهم من عاهد
الله) يعنى ثعلبة بن حاطب
عاهد به لئن وسع عليه
أن يؤتى كل ذى حق حقه
ففعل الله ذلك فلم يف بما
عاهد ومنع الزكاة وهذا
معنى قوله (لئن آتانا من
فضله لنصدقن) أى لنعطين
الصدقة (ولنكونن من
الصالحين) أى ولنعملن
مايعمل أهل الصلاح فى
أموالهم (فلما آتاهم من
فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون فأعقبهم نفاقا)
أى صير عاقبة أمرهم ذلك
بحرمان التوبة حتى ماتوا
على النفاق جزاء لاخلافهم
الوعد وكذبهم فى العهد
وهو قوله (الى يوم يلقونه
بما أخلفوا الله ماوعدوه
وبما كانوا يكذبون

والعصر مع رسول الله و يصلي في غنمه باقي الصلوات ثم نمت وكثرت فتباعد من المدينة حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم نمت وكثرت حتى تباعد وترك الجمعة فاذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار ثم سأل رسول الله عنه فأخبر بخبره فقال ياويح ثعلبة ثلاثا فنزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة فبعث صلى الله عليه وسلم اليه رجلين من بني سليم ومن بني جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب فخذا صدقاته فأتياه وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ماهذه الا الجزية أو أخت الجزية فلم يدفع الصدقة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقيل له قد أنزل فيك كذا وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله منعني من قبول ذلك فجعل يحثوا التراب على رأسه فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك فما أطعتني فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء بها الى عمر أيام خلافته فلم يقبلها فاما ولي عثمان أتاه بها فلم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وانما امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة لأن المقصود من الأخذ غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (ألم يعلموا) أي المنافقون (أن الله يعلم سرهم) وهو ماتنطوي عليه صدورهم (ونجواهم) وهو مايفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم (وأن الله علام الغيوب) أي ماغاب عن الخلق (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون الاجهدهم) أي ويطعنون على الذين لايجدون الاطاقتهم (فيسخرون منهم) أي ويهزئون بالفريق الأخير بقلة الصدقة (سخر الله منهم) وهذه الجملة خبر للموصول وقال الاصم أي قبل الله من هؤلاء المنافقين ماأظهروه من أعمال البر مع أنه لايثيبهم عليها فكان ذلك كالسخرية وقال ابن عباس فتح الله لهم في الآخرة بابا الى الجنة (ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وجاء عمر بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقا من تمر وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء أبو عقيل عبد الرحمن بن تيحان بصاع من تمر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ماجاؤوا بصدقاتهم الارياء وسمعة وأما أبو عقيل فانما جاء بصاع ليذكر مع سائر الأكابر والله غني عن صاعه فأنزل الله تعالى هذه الآية (استغفر لهم أولاتستغفر لهم) روى أنه لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وظهر نفاقهم للمؤمنين جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا يارسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأستغفر لكم واشتغل بالاستغفار لهم فنزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار وهذا الأمر تخيير له صلى الله عليه وسلم في الاستغفار وتركه ومعناه اخبار باستواء الأمرين أي ان شئت فاستغفر لهم وان شئت فلاتستغفر لهم فاستغفارك لهم وعدمه سواء (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره فان عدة مراتبه سبعة آحاد عشرات مئين آحاد ألوف عشرات ألوف مئين ألوف آحاد ألوف الألوف والسبعون عند العرب غاية مستقصاة لانه عبارة عن جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لان عدد السموات والارض والبحار والاقاليم والنجوم والأيام والأعضاء هو هذا العدد (ذلك) أي امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار (بأنهم كفروا بالله ورسوله) أي بسبب كفرهم لالعدم الاعتداد بالاستغفار (والله لايهدي القوم الفاسقين) أي فان تجاوزهم عن الحدود مانع من الهداية (فرح المخلفون) أي الذين تركهم النبي صلى الله عليه

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون) أي يعيبون ويغتابون (المطوعين) أي المتطوعين المتنفلين (من المؤمنين في الصدقات) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء بعض الصحابة بالمال الكثير وبعضهم وهم الفقراء بالقليل فاغتابهم المنافقون وقالوا ان من أكثر أراد ومن أقل أراد أن يذكر نفسه فأنزل الله هذه الآية (والذين لايجدون الاجهدهم) وهو القليل الذي يتعيش به (فيسخرون منهم سخر الله منهم) أي جازاهم جزاء سخريتهم حين صاروا الى النار ثم آيس رسوله من ايمانهم ومغفرتهم فقال (استغفر لهم أولاتستغفر لهم) وهذا تخيير لرسوله ثم قال (ان تستغفر لهم سبعين مرة) أي ان استكثرت من الدعاء بالاستغفار للمنافقين لن يغفر الله لهم (فرح المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين

وسلم (بمقعدهم) أى فى المدينة (خلاف رسول الله) أى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
سار الى تبوك للجهاد وأقاموا فى المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فان فى
المجاهدة اتلاف النفس والمال (وقالوا) لاخوانهم أو للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف
(لاتنفروا فى الحر) أى لاتخرجوا الى الجهاد فى الحر الشديد (قل) تجهيلا لهم (نارجهنم) التى
ستدخلونها بما فعلتم (أشدحرا) مما تحذرون من الحر المعتاد وتحذرون الناس منه (لوكانوا يفقهون)
أن بعد هذه الدار دارا أخرى وأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)
وهذا اخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ورد بصيغة الأمر أى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم
فى الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم وحزنهم فى الآخرة لان الدنيا بأسرها قليلة وعقابهم فى الآخرة دائم
لاينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من النفاق (فان رجعك الله) من غزوة تبوك (الى
طائفة منهم) أى المنافقين فى المدينة (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك
(فقل) لهم يا أشرف الخلق (لن تخرجوا معى أبدا) فى سفر من الأسفار (ولن تقاتلوا معى عدوا)
من الاعداء (انكم رضيتم بالقعود) عن الغزو (أول مرة) وهى غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد
(مع الخالفين) أى النساء والصبيان والرجال العاجزين (ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على
قبره) أى لاتقف عليه للدفن أو للدعاء فانه صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره
ودعا له (انهم كفروا بالله ورسوله) أى لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله فى السر مدة حياتهم
(وماتوا وهم فاسقون) أى متمردون فى الكفر بالكذب والخداع والمكر عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه لما اشتكى عبدالله بن أبى ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن
يصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه أرسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قميصه ليكفن
فيه فأرسل اليه القميص الفوقانى فرده وطلب منه الذى يلى جلده ليكفن فيه فأرسله اليه فقال عمر
رضى الله عنه لم تعطى قميصك للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قميصى لايغنى عنه من الله
شيئا فلعل الله أن يدخل به ألفا فى الاسلام وكان المنافقون لايفارقون عبدالله فانه رأسهم فلما رأوه
يطلب هذا القميص ويرجوا أن ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبدالله جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابنه واسمه عبدالله فانه كان من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة
وأشرحهم صدرا يعرفه صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يارسول الله ان لم تصل
عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا
يصلى عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وانما دفع القميص اليه تطييبا
لقلب ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبى واكراما له لأنه كان من الصالحين ولان العباس عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبدالله بن أبى قميصه
بأمره صلى الله عليه وسلم (ولاتعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله) بتمتيعهم بالأموال والأولاد
(أن يعذبهم بها فى الدنيا) بمكابدتهم الشدائد فى شأنها (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أى فيموتوا
كافرين باشتغالهم بالتمتع بها (واذا أنزلت سورة) من القرآن مشتملة على الأمر (أن آمنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك) فى التخلف عن الغزو (أولوا الطول منهم) أى ذو والسعة فى
المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن
قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعدين) أى من الضعفاء من الناس والساكنين فى

(فى الحر قل نارجهنم أشدحرا لوكانوا يفقهون) أى يعلمون أن مصيرهم اليها (فليضحكوا قليلا) أى فى الدنيا لانها تنقطع عنهم (وليبكوا كثيرا) أى فى النار بكاء لاينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) أى فى الدنيا من النفاق (فان رجعك الله) أى ردك (الى طائفة منهم) يعنى الذين تخلفوا بالمدينة (فاستأذنوك للخروج) أى الغزو معك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) أى الى غزاة (ولن تقاتلوا معى عدوا) أى من أهل الكتاب (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) حين لم تخرجوا الى تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعنى النساء والصبيان والزمنى الذين يخلفون الذاهبين الى السفر ثم نهى رسوله عن الصلاة عليهم اذا ماتوا والدعاء لهم عند الوقوف على القبر فقال (ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولاتعجبك أموالهم) مضى تفسيره (واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) يعنى أصحاب الغنى والقدرة يستأذنونك فى التخلف

(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى النساء اللاتى تخلفن فى البيوت (وطبع على قلوبهم) أى بالنفاق (فهم لا يفقهون) الايمان وشرائعه وأمر الله (وجاء المعذرون) أى المعتذرون وهم قوم من الأعراب



اعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التخلف فعذرهم وهو قوله (ليؤذن لهم) أى فى القعود (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أى لم يصدقوا نبيه واتخذوا اسلامهم جنة ثم ذكر أهل العذر فقال (ليس على الضعفاء) يعنى الزمنى والمشايخ والعجزة (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله) أى أخلصوا أعمالهم من الغش لهما (ما على المحسنين من سبيل) أى من طريق بالعقاب لأنه قد سد طريقه باحسانه (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) نزلت فى سبعة نفر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم على الدواب فقال لا أجد ما أحملكم عليه فانصرفوا باكين شوقا الى الجهاد وحزنا لضيق ذات اليد (يعتذرون اليكم) أى بالأباطيل (اذا رجعتم اليهم) من هذه الغزوة (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) أى لن نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أخبرنا الله بسرائركم وما تخفى صدوركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى فيما تستأنفون تبتم من النفاق أم أقمتم عليه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى من يعلم ما غاب عنا من ضمائركم

البلد بغير عذر (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى مع النساء اللاتى يلزمن البيوت (وطبع على قلوبهم) أى منعت من حصول الايمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أى لا يفهمون أسرار حكمة الله فى الأمر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا (وأولئك لهم الخيرات) أى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة (وأولئك هم المفلحون) أى المتخلصون من السخط والعذاب (أعد الله لهم) أى هيأ لهم فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى مقيمين فى الجنة (ذلك) أى نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المعذرون) أى الذين أتوا باعذار كاذبة وتكلفوا عذرا بباطل (من الأعراب) أى من بنى غفار (ليؤذن لهم) بالتخلف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم الله (وقعد) عن الجهاد بغير اذن (الذين كذبوا الله ورسوله) فى ادعائهم الايمان وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا الى الرسول ولم يعتذروا (سيصيب الذين كفروا منهم) أى المعذرين لا من أسلم منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس على الضعفاء) كالشيوخ (ولا على المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لفقرهم كمزينة وجهينة و بنى عذرة (حرج) أى اثم فى التخلف عن الجهاد (اذا نصحوا لله ورسوله) أى آمنوا بهما وأطاعوا لهما فى السر والعلن (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم (والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون) أى وليس على من أتوك يسألونك ان تحملهم الى غزوة تبوك ثم خرجوا من عندك يبكون لعدم وجدان ما ينفقون فى الجهاد سبيل فى لومهم ولذلك سموا البكائين وهم سبعة من الأنصار: معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبدالله ابن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبدالله بن مغفل وعبدالله بن زيد فانهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وهو ألف وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة النساء (وطبع الله على قلوبهم فهم) لأجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد من منافع الدين والدنيا (يعتذرون) أى هؤلاء المنافقون وهم بضع وثمانون رجلا (اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم) من غزوة تبوك (اليهم) بالأعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم (لا تعتذروا) بما عندكم من المعاذير (لن نؤمن لكم) أى لن نصدقكم فيما تقولون من العلل أبدا (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أعلمنا الله بعض أحوالكم مما فى ضمائركم من الخبث والنفاق والمكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيقع عملكم معلوما لله ولرسوله هل تبقون على نفاقكم أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء مما ظهر منكم من الأعمال

(فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيخبركم بما كنتم تكتمون وتسرون (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) أى رجعتم (اليهم) من تبوك أنهم ماقدروا على الخروج (لتعرضوا عنهم) أى اعراض الصفح (فأعرضوا عنهم) أى اتركوا كلامهم وسلامهم (انهم رجس) أى ان عملهم قبيح من عمل الشيطان ثم نزل فى أعاريب أسد وغطفان (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) أى من أهل المدن لانهم أجفى وأقسى (وأجدر) أولى وأحق (أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) من الحلال والحرام (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) لانه لايرجو له ثوابا (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر أن ينقلب الأمر عليكم بموت الرسول (عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون فى محمد ودينه الا ما يسوءهم ثم نزل فيمن أسلم منهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) يتقرب بذلك الى الله (وصلوات الرسول) يعنى دعاءه بالخير والبركة والمعنى أنه يتقرب بصدقته ودعاء الرسول الى الله تعالى (ألا انها قربة لهم) أى نور ومكرمة عند الله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين) يعنى الذين شهدوا بدرا (والأنصار) يعنى الذين آمنوا منهم قبل قدوم الرسول عليهم فهؤلاء السبق من الفريقين وقيل أراد كل من أدركه من أصحابه فانهم كلهم سبقوا هذه الأمة بصحبة النبى ﷺ ورؤيته (والذين اتبعوهم باحسان) يعنى من اتبعهم على منهاجهم الى يوم القيامة ممن يحسن القول فيهم

(فينبئكم) عند وقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) فى الدنيا أى فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) أى اذا رجعتم اليهم من تبوك انهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا عنهم) أى لتعرضوا عن ذمهم اعراض الصفح (فأعرضوا عنهم) اعراض المقت وترك الكلام قال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لاتجالسوهم ولاتكلموهم (انهم رجس) أى ان خبث باطنهم رجس روحانى فكما يجب على الانسان الاحتراز عن الأرجاس الجسمانية يجب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية حذرا من أن يميل طبع الانسان الى الاعمال القبيحة (ومأواهم جهنم) أى وكفتهم النار توبيخا فلاتتكلفوا أنتم فى ذلك (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون السيئات (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بالحلف وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضيتم أيها المؤمنون عنهم بما حلفوا لكم فلا ينفعهم رضاكم لان الله ساخط عليهم ولاأثر لرضاكم لكون ارادتكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لايجوز (الاعراب) أى جنس أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لتوحشهم واستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم و بعدهم عن أهل العلم (وأجدر أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) أى أحق بأن لايعلموا مقادير التكاليف والأحكام (والله عليم) بما فى قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض من فرائضه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) أى من الاعراب أسد وغطفان من يعتقد ان الذى ينفقه فى سبيل الله خسران لانه لاينفق الا رياء وخوفا من المسلمين لا لوجه الله (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر أن تنقلب الأمور عليكم بموت الرسول وأن يعلو عليكم المشركون فيتخلص مما ابتلى به من الانفاق (عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور البلاء والحزن فلا يرون فى محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الا ما يحزنهم (والله سميع) لقولهم عند الانفاق من كلام لاخير فيه (عليم) بنياتهم الفاسدة (ومن الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) فى السر والعلانية (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) أى و يأخذ لنفسه ما ينفقه فى سبيل الله سببا لحصول القربات الى الله فى الدرجات وسببا لحصول دعوات الرسول فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة و يستغفر لهم (ألا) أى تنبهوا (انها) أى ان نفقتهم (قربة لهم) الى الله فى الدرجات (سيدخلهم الله فى رحمته) أى جنته وهذا تفسير للقربة ووعد لهم باحاطة رحمته الواسعة كما أن قوله تعالى والله سميع عليم تهديد للاولين عقب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقيق الوقوع (ان الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم وغفار وشىء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن وغطفان (والسابقون الاولون) أى فى الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا كما قاله ابن عباس (والأنصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر والعقبة الثانية وكانوا اثنى عشر رجلا والعقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير (والذين اتبعوهم) أى الفريقين (باحسان) وهم الذين يذكرون

المهاجرين

(ومن حولكم من الأعراب منافقون) يعنى مزينة وجهينة وغفارا (ومن أهل المدينة) الأوس والخزرج (مردوا على النفاق) أى لجوا فيه وأبوا غيره (سنعذبهم مرتين) أى بالأمراض والمصائب فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أى فى التخلف عن الغزو (خلطوا عملا  صالحا) وهو جهادهم مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل هذا (وآخر سيئا) وهو تقاعدهم عن هذه الغزوة (عسى الله) أى واجب من الله (أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ثم تاب الله على هؤلاء وعذرهم فقالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فخذها منا صدقة وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وكانت كفارة للذنوب التى أصابوها وهو قوله (تطهرهم) يعنى هذه الصدقة تطهرهم من الذنوب (وتزكيهم بها) أى ترفعهم أنت يا محمد بهذه الصدقة من منازل المنافقين (وصل عليهم) أى ادع لهم (ان صلواتك سكن لهم) أى دعواتك مما تسكن نفوسهم اليه بأن قد تاب الله عليهم (والله سميع) لقولهم (عليم) أى بندامتهم فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين كانوا بالامس معنا



لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع الى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم فأنزل الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى يقبلها (وأن الله هو التواب الرحيم) أى يرجع على من رجع اليه بالرحمة والمغفرة

---

المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم (رضى الله عنهم) لأعمالهم وكثرة طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمه الجليلة فى الدنيا والآخرة والسابقون مبتدأ وخبره جملة رضى الله عنهم (وأعد لهم) فى الآخرة (جنات تجرى تحتها الأنهار) وقرأ ابن كثير من تحتها بكلمة من كما فى سائر المواضع وعلى هذا الزم صلة الميم فى المواضع الثلاثة والباقون بغير كلمة من وفتح التاء (خالدين فيها أبدا) أى من غير انتهاء (ذلك) أى الرضوان والجنات (الفوز العظيم) أى النجاة الوافرة (وممن حولكم) أى حول بلدتكم (من الأعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حول المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أى من أهل المدينة كعبد الله ابن أبى وأصحابه من ثبتوا على النفاق ولم يتوبوا عنه (لا تعلمهم) أى لا تعلم نفاقهم مع قوة خاطرك وصفاء نفسك لشدة ابطان الكفر واظهار الاخلاص (نحن نعلمهم) أى نحن نعلم سرائرهم التى فى ضمائرهم (سنعذبهم مرتين) بعذاب الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار المؤبدة (وآخرون) أى ومن أهل المدينة قوم آخرون أبو لبابة مروان ابن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا عملا صالحا) وهو خروجهم مع الرسول الى سائر الغزوات (وآخر سيئا) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أى خلطوا كل واحد من العمل الصالح والعمل السيئ بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أى ثبت أن يقبل الله توبتهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه (خذ من أموالهم صدقة) أى لما أظهروا التوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم أقروا بأن السبب المؤدى لذلك التخلف حبهم للأموال أمر الله رسوله أن يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم فكأنه قيل لهم انما يظهر صحة قولكم فى ادعاء هذه التوبة لو أخرجتم الزكاة الواجبة بانشراح قلب لان الدعوى انما يشهد عليها الامتحان فعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فان أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين فى تلك التوبة والا فهم كاذبون (تطهرهم) أى تطهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها منهم عن نجاسة الذنوب (وتزكيهم بها) أى ترفعهم بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين وتثنى عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتجعل النقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سببا لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال الشافعى رضى الله عنه والسنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهورا (ان صلاتك سكن لهم) أى ان دعاءك يوجب طمأنينة قلوبهم (والله سميع) لقولهم (عليم) بنياتهم قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقون صلواتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلم أولئك التائبون قبل توبتهم وصدقتهم أن الله يقبل التوبة الصحيحة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا أنه تعالى المنفرد ببلوغ الغاية القصوى

من قبول التوبة وايصال الرحمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي وقل ياأشرف الخلق اعملوا ماتشاؤن من الأعمال فسيرى الله عملكم خيرا كان أو شرا ويراه رسوله باطلاع الله اياه على أعمالكم ويراه المؤمنون بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين فان لعملكم في الدنيا حكما وفي الآخرة حكما أما حكمه في الدنيا فانه يراه الله والرسول والمسلمون فان كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وان كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وهذا ترغيب عظيم للمطيعين وترهيب عظيم للمذنبين وفي الخبر لوأن رجلا عمل في صخرة لاباب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان ( وستردون ) بعد الموت ( الى عالم الغيب والشهادة ) والمراد من الرد تعريف عقاب الخزي والفضيحة (فينبئكم بما كنتم تعملون) في الدنيا أي فيعرفكم أحوال أعمالكم من خير وشر فيجازيكم عليها لان المجازاة من الله تعالى في الآخرة لاتحصل الا بعد التعريف ليعرف كل أحد أن الذي وصل اليه عدل لاظلم (وآخرون مرجون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم مرجئون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة والباقون مرجون بدون تلك الهمزة أي ومن أهل المدينة قوم من المتخلفين غير المعترفين مؤخرون عن قبول التوبة (لأمر الله) أي لحكمه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار فنزل قوله تعالى وآخرون مرجون لأمر الله فوقف الرسول أمرهم بعد نزول هذه الآية خمسين ليلة بقدر مدة التخلف اذ كانت غيبته ﷺ عن المدينة خمسين ليلة ونهى الناس عن مجالستهم وأمرهم باعتزال نسائهم وارسالهن أهاليهن لانه لما تمتعوا بالراحة في المدينة مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بهجرهم تلك المدة فلما مضى خمسون يوما نزلت توبتهم بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي وبقوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) وهذه الجملة في محل نصب على الحال أي ومنهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وهؤلاء القوم كانوا نادمين على تأخرهم عن الغزو ولم يحكم الله بكونهم تائبين بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم فلعلهم خافوا من أمر الرسول بايذائهم أو خافوا من الخجلة والفضيحة وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى أن سهل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم عندهم فعند ذلك ندموا على المعصية لنفس كونها معصية وعند ذلك صحت توبتهم وكلمة اما للشك بالنسبة لاعتقاد العباد والمراد منه ليكن أمرهم على الخوف والرجاء فجعل أناس يقولون هلكوا اذا لم ينزل الله لهم عذرا وأناس يقولون عسى الله أن يغفر لهم فالناس مختلفون في شأنهم فصاروا عندهم مرجئين لأمر الله تعالى (والله عليم) بما في قلوب هؤلاء المؤمنين (حكيم) فيما يحكم فيهم وفيما يفعل بهم (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) أي ومنهم الذين بنوا مسجدا وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين لاضرار أهل مسجد قباء (وكفرا) أي ولتقوية الكفر بالطعن على النبي صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قباء أي لكي يصلي طائفة من المؤمنين في ذلك المسجد فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) أي انتظارا لابي عامر الراهب الفاسق (من قبل) متعلق باتخذوا أي اتخذوا ذلك المسجد

---

(وقل اعملوا) أي يامعشر عبادي المحسن والمسيء (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي ان الله يطلعهم على مافي قلوب اخوانهم من الخير والشر فيحبون المحسن ويبغضون المسيء بايقاع الله ذلك في قلوبهم وباقي الآية قد سبق تفسيره (وآخرون مرجئون لأمر الله ) أي مؤخرون ليقضي الله فيهم ماهو قاض وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع كانوا تخلفوا من غير عذر ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أولئك الذين تصدقوا بأموالهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم وهم مهجورون حتى نزل قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآيات (اما يعذبهم) بعقابه جزاء لهم (واما يتوب عليهم) بفضله (والله عليم) بما يؤول اليه حالهم (حكيم) أي فيما يفعله بهم (والذين اتخذوا) أي ومنهم الذين اتخذوا (مسجدا ضرارا) وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وهو قوله ضرارا (وكفرا) بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ( وتفريقا بين المؤمنين) أي يفرقون به جماعتهم لأنهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيختلفون بسبب ذلك ( وارصادا ) أي وانتظارا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعني أبا عامر الراهب كان قد خرج من الشام ليأتي بجند يحارب بهم رسول الله ﷺ وأرسل الى المنافقين أن ابنوا لي مسجدا

من قبل أن ينافق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو عامر قد تنصر فى الجاهلية وترهب أى لبس المسوح وطلب العلم فلما قدم ﷺ المدينة عاداه لأنه زالت رياسته وقال للنبى ﷺ يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ولم يزل يقاتله ﷺ الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآت من عنده بجند فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا هذا المسجد الى جنب مسجد قباء وانتظروا مجىء أبى عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) أى قالوا لرسول الله ﷺ ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الاحسان الى المؤمنين وهو الرفق بهم فى التوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن الذهاب الى مسجد رسول الله ﷺ (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه أبدا) أى لا تصل فى ذلك المسجد أبدا روى انه لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك نزل بذى أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه اتيان مسجدهم فنزلت عليه ﷺ هذه الآية فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن و وحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله ﷺ أن يجعل ذلك الموضع مكان كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بقنسرين غريبا وحيدا (لمسجد أسس على التقوى) أى بنى أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس رسول الله ﷺ مسجد قباء وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أى أن تصلى فيه ذلك المسجد (فيه) أى فى هذا المسجد (رجال يحبون أن يتطهروا) من الأحداث والجنابات والنجاسات وسائر النجاسات وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب المطهرين) أى يرضى عنهم روى ابن خزيمة عن عويمر ابن ساعدة أنه ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به أى الذى تحصلون الطهارة بسببه قالوا والله يارسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى حديث رواه البزار فقالوا فى جواب سؤاله لهم نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أى أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة قوية هى الخوف من عقاب الله والرغبة فى ثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) أى أم من أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله واضرار بعباد الله (فانهار به فى نار جهنم) أى فسقط المسيل مصاحباله أى للمؤسس فى قعر نار جهنم أى مثل الضلال مثل شفا جرف هار من أودية جهنم فكان قريب السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما ينهار فى قعر جهنم وقرأ نافع وابن عامر أسس مبنيا للمفعول و بنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يغفر للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) أى لا يزال مسجدهم سبب شك فى الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله ﷺ بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم فى نبوته وعظم خوفهم منه فى جميع الأوقات وصاروا مرتابين فى أن رسول الله هل يخلى سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الا أن تقطع قلوبهم) وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة بفتح التاء والطاء المشددة والباقون بضم التاء مبنى للمجهول وعن

(وليحلفن ان أردنا) ببنائه (الا) الفعلة (الحسنى) وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة عليهم فلما بنوا المسجد سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم فيصلى بهم فى ذلك المسجد فنهاه الله وقال (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس) أى بنيت جدره و رفعت قواعده على طاعة الله (من أول يوم) أى من أول يوم بنى وحدث بناؤه وهو مسجد رسول الله ﷺ وقيل مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) للصلاة (فيه رجال) يعنى الأنصار (يحبون أن يتطهروا) يعنى غسل الأدبار بالماء وكان من عادتهم فى الاستنجاء استعمال الماء بعد الحجر (والله يحب المطهرين) أى من الشرك والنفاق (أفمن أسس بنيانه) أى بناءه الذى بناه (على تقوى من الله) أى مخافة من الله ورجاء ثوابه وطلب مرضاته (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف) أى على حرف مهواة (فانهار به) أى أوقع بانيه (فى نار جهنم) وهذا مثل والمعنى أن بناء هذا المسجد كبناء على حرف جهنم يتهور بأهله فيها لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) أى شكا (فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم) أى بالموت والمعنى لا يزالون فى شك منه الى الموت يحسبون أنهم فى بنيانه محسنون

(والله عليم) أى بخلقه (حكيم) أى فيما جعل لكل أحد (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية نزلت فى بيعة العقبة لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم قالوا فاذا فعلنا ذلك يارسول الله فماذا لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية ومعنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم (بأن لهم الجنة) أى أن المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله أخذ من الله الجنة فى الآخرة جزاء لما فعل وقوله (وعدا) أى وعدهم الجنة وعدا (عليه حقا) أى لا خلف فيه (فى التوراة والانجيل والقرآن) أى ان الله بين فى الكتابين أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين فى القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى بما وعد من الله ثم مدحهم فقال (التائبون) أى هم التائبون من الشرك (العابدون) أى يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أى الحامدون الله على كل حال (السائحون) أى الصائمون (الراكعون الساجدون) أى فى الفرائض (الآمرون بالمعروف) أى بالايمان بالله وفرائضه وحدوده (والناهون عن المنكر) أى الشرك وترك فرائض الله (والحافظون لحدود الله) العاملون بما افترض الله عليهم (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت فى استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب وأبيه وأمه واستغفار المسلمين لآبائهم المشركين نهوا عن ذلك وكان رسول الله ﷺ قال لأستغفرن لأبى كما استغفر ابراهيم لأبيه فبين الله تعالى كيف كان ذلك فقال

ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أى الا أن تجعل قلوبهم قطعا بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب الى أن تقطع وأبو حيوة كذلك الا أنه قرأ بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقلوبهم بالنصب وفى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب والمعنى أن هذه الريبة باقية فى قلوبهم أبدا ويموتون على هذا النفاق والا بمعنى الى بدليل القراءة الشاذة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فى الأحكام التى يحكم بها عليهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله) وهذا استئناف لبيان البيع الذى يستلزمه الشراء كأنه قيل كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله أى يبذلون أنفسهم وأموالهم فى طاعة الله والمؤمن متى قاتل فى سبيل الله حتى يقتله كافر وأنفق ماله فى سبيل الله فانه يأخذ من الله فى الآخرة الجنة جزاء لما فعل وهو تسليم المبيع من الأنفس والأموال (فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول على المبنى للفاعل والباقون بعكسه فمعنى تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقاتلون الكفار ولا يرجعون عنهم الى أن يصيروا مقتولين وأما تقديم المفعول على الفاعل فالمعنى أن طائفة كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء قاتلين لهم بقدر الامكان (وعدا عليه حقا) أى وعدهم الله وعدا ثابتا على الله (فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى (فاستبشروا) أى فافرحوا غاية الفرح (ببيعكم الذى بايعتم به) أى بجهادكم الذى فزتم به بالجنة (وذلك) أى الجنة التى هى ثمن بذل الأنفس والأموال (هو الفوز العظيم) أى فلا فوز أعظم منه (التائبون) وهو رفع على المدح أى هم التائبون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود وأبى والأعمش التائبين بالياء الى قوله تعالى والحافظين اما نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين ويجوز أن يكون التائبون رفعا على البدل من الواو فى يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة انما تحصل باجتماع أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور المعصية ثانيها الندم على ما مضى ثالثها العزم على الترك فى المستقبل رابعها أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها دفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم أو لغرض آخر من الأغراض الدنيوية فليس بتائب ولابد من رد المظالم الى أهلها ان كانت (العابدون) قال ابن عباس رضى الله عنهما الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أى الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه دينا ودنيا ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم (السائحون) أى الصائمون لقوله ﷺ سياحة أمتى الصيام وقال عكرمة أى طلاب العلم فانهم ينتقلون من بلد الى بلد (الراكعون الساجدون) أى المصلون الصلوات الخمس (الآمرون بالمعروف) أى بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) أى عن الشرك والمعاصى (والحافظون لحدود الله) أى لتكاليف الله المتعلقة بالعبادات وبالمعاملات (وبشر المؤمنين) الموصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان للنبى) أى ما جاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) أى ذوى قرابات

قرابات لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بأن ماتوا على الكفر وسبب
نزول هذه الآية استغفار ناس لآبائهم الذين ماتوا على الكفر روي عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت
رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت أتستغفر لأبويك وهما مشركان قال أليس قد استغفر
ابراهيم لأبيه فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فروى ابن
جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المسلمون يستغفرون لآبائهم المشركين
حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى
يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) أي الا لأجل موعدة
وعدها ابراهيم اياه بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرة لك بالتوفيق للايمان فانه يمحو ما قبله (فلما
تبين له أنه عدو لله) أي انه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي ان
ابراهيم استغفر لأبيه ما كان حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن
كعب القرظي قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي ﷺ فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمه وقد
استغفر ابراهيم لأبيه فاستغفروا لقراباتهم من المشركين فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا
الآية ثم أنزل وما كان استغفار ابراهيم الآية وروى ابن جرير عن عمرو بن دينار أن النبي ﷺ
قال استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه
لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي لعمه فأنزل الله ما كان للنبي الآية الى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الأخبار
أن الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين لا في حق أبي طالب لأن هذه السورة كلها مدنية
نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وأيضا ان عم ابراهيم آزر كان يتخذ
أصناما آلهة ولم ينقل عن أبي طالب أنه اتخذ أصناما آلهة أو عبد حجرا أو نهى النبي ﷺ عن عبادة
ربه وانما هو ترك النطق بالشهادتين لخوف مسبة لا للعناد للاسلام أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه
مشحون بتصديق النبي ﷺ ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا
بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الائمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عم ابراهيم في مرتبة
واحدة فان أبا طالب رباه ﷺ صغيرا وآواه كبيرا ونصره وعزره ووقره وذب عنه ومدحه ووصى
باتباعه وأما ما روي أن عليا ضحك على المنبر ثم قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي ببطن نخلة
فقال ماذا تصنعان فدعاه النبي الى الاسلام فقال ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا يعلوني استي أبدا
فهذا في أول الاسلام قبل أن تفرض الصلاة وقد أقر بأنه لا بأس بالتوحيد وإباؤه عن صلاة النفل لا يدل
على إبائه عن التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دلالة قطعية على شركه وأما قوله ﷺ
استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب فهذا يمكن أن يكون معناه أن ابراهيم
استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا أستغفر أنا لأبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا أزال أستغفر له حتى
ينهاني عنه ربي ولم ينه ﷺ بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص عمه كما صرح بهذا ما روي
عن قتادة أن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الاستغفار لآبائهم فقال والله اني لأستغفرن
لأبي أي لعمي كما استغفر ابراهيم لأبيه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فقال النبي ﷺ
أمرت أن لا أستغفر لمن كان كافرا فقوله صلى الله عليه وسلم اني لأستغفرن لأبي ولم يقل أمرت أن
لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع اشارة خفية الى أن عمه لم يكن مشركا والله
أعلم (ان ابراهيم لأواه) أي كثير الدعاء والتضرع (حليم) أي صبور على المحنة (وما كان الله ليضل قوما

(وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) وذلك أنه كان وعده أن يستغفر له رجاء اسلامه وأن ينقله الله باستغفاره اياه من الكفر الى الاسلام وهذا ظاهر في قوله سأستغفر لك ربي وقوله لأستغفرن لك فلما مات أبوه مشركا (تبرأ منه) وقطع الاستغفار (ان ابراهيم لأواه) أي دعاء كثير البكاء من خشية الله (حليم) أي لم يعاقب أحدا الا في الله ولم ينتصر من أحد الا لله فلما حرم الاستغفار للمشركين بين أنه لم يؤاخذهم بما فعلوا لأنه لم يكن قبله قد بين لهم أنه لا يجوز ذلك فقال (وما كان الله ليضل قوما

بعد اذهداهم حتى يبين لهم مايتقون) أى مايجب أن يحترزوا عنه أى لما نزل المنع من الاستغفار للمشركين خاف المؤمنون من المؤاخذة بما صدر عنهم منه قبل المنع وقد مات قوم منهم قبل النهى عن الاستغفار فوقع الخوف فى قلوب المسلمين على من مات منهم أنه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه الآية و بين أنه تعالى لايؤاخذهم بعمل الا بعد أن يبين لهم أنه يجب عليهم أن يحترزوا عنه أى وما كان الله ليقضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية و وفقكم للايمان به و برسوله حتى يبين لكم بالوحى مايجب الاحتراز عنه من محظورات الدين فلا تنزجروا عما نهيتم عنه (ان الله بكل شىء عليم) فيعلم حاجتهم الى بيان قبح مالا يستقل العقل فى معرفته فبين لهم ذلك (ان الله له ملك السموات والأرض) من غير شريك له فيه (يحيى و يميت ومالكم من دون الله من ولى) أى متولى الأمور (ولا نصير) أى لما أمر الله بالبراءة من الكفار بين أن له ملك السموات والأرض فاذا كان هو ناصرا لكم فهم لايقدرون على اضراركم أى انكم ان صرتم محرومين عن معاونتهم فالاله الذى هو المالك للسموات والأرض والمحيى والمميت ناصركم فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم والواجب عليكم أن تنقادوا لحكم الله وتكليفه لكونه إلهكم ولكونكم عبيدا له (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى فى الزمان الذى صعب الأمر عليهم جدا فى السفر الى تبوك وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من الماء فربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها حتى لايبقى من التمرة الا النواة وكان معهم شىء من شعير مسوس فكان أحدهم اذا وضع اللقمة فى فيه أخذ أنفه من نتن اللقمة وكان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكانوا قد خرجوا فى قيظ شديد وأصابهم فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه و يشربه أى لقد عفى الله عن النبى فى اذنه للمنافقين فى التخلف عنه فى غزوة تبوك وهو شىء صدر عنه من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقابا وعفى الله عن المهاجرين والأنصار من الوساوس التى كانت تقع فى قلوبهم فى ساعة العسرة كما قال تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أى من بعد ما قرب أن تميل قلوب بعضهم الى أن يفارق النبى ﷺ فى ذلك الغز ولحر شديد ولم ترد الميل عن الدين و ربما وقع فى قلوب بعضهم أنا لانقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب عليهم) أى عفى الله عنهم ماوقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية لما صبروا وندموا على ذلك الهم (انه بهم رءوف رحيم) فلا يحملهم مالا يطيقون من العبادة و يوصل اليهم المنافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى وتاب الله على الثلاثة الذين أخروا فى قبول التوبة عن الطائفة الأولى ابن لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة كعب بن مالك الشاعر وهلال بن أمية الذى نزلت فيه آية اللعان ومرارة بن الربيع (حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أى أخر أمرهم الى أن ضاقت الأرض عليهم مع سعتها بسبب مجانبة الأحباء ونظر الناس لهم بعين الاهانة لأن النبى ﷺ كان معرضا عنهم ومنع المؤمنين من مكالمتهم وأمرهم باعتزال أزواجهم و بقوا على هذه الحالة خمسين يوما (وضاقت عليهم أنفسهم) أى ضاقت قلوبهم اذا رجعوا الى أنفسهم لايطمئنون بشىء بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) أى علموا أنه لا ملجأ لأحد من سخطه تعالى الا اليه بالتضرع (ثم تاب عليهم) أى ثم وفقهم للتوبة الصحيحة المقبولة (ليتوبوا) أى ليحصلوا التوبة (ان الله هو التواب الرحيم) ولما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجرته وهو عند أم سلمة فقال الله أكبر قد أنزل الله عذر أصحابنا فلما صلى الفجر ذكر ذلك لأصحابه و بشرهم بأن الله تاب عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى الله

عليه

بعد اذهداهم) أى ليوقع الضلالة فى قلوبهم بعد الهدى (حتى يبين لهم مايتقون) فلا يتقون فعند ذلك يستحقون الاضلال (لقد تاب الله على النبى) أى من اذنه للمنافقين فى التخلف عنه وهو ماذكر فى قوله عفا الله عنك الآية (والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى فى زمان عسرة الظهر وعسرة الماء وعسرة الزاد (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أى من بعد ماهم بعضهم بالتخلف عنه والعصيان ثم لحقوا به (ثم تاب عليهم) أى ازداد عنهم رضى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى عن التوبة عليهم يعنى من ذكرناهم فى قوله وآخرون مرجئون (حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) لأنهم كانوا مهجورين لايعاملون ولا يكلمون (وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا) أى أيقنوا (أن لا ملجأ من الله الا اليه) أى لا معتصم من عذاب الله الآية (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى لطف بهم فى التوبة و وفقهم لها

(يأيها الذين آمنوا) يعنى أهل الكتاب (اتقوا الله) أى بطاعته (وكونوا مع الصادقين) أى محمد وأصحابه يأمرهم أن يكونوا معهم فى الجهاد والشدة والرخاء وقوله (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يرضون لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر والمشقة (ذلك) أى ذلك النهى عن التخلف (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) وهو شدة العطش (ولا نصب) أى اعياء من التعب (ولا مخمصة) أى مجاعة (ولا يطأون موطئا) أى ولا يقفون موقفا (يغيظ الكفار) يغضبهم (ولا ينالون من عدو نيلا) أى من أسر أو قتل الا كان ذلك قربة لهم عند الله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أى تمرة فما فوقها (ولا يقطعون واديا) أى يجاوزونه فى سيرهم (الا كتب لهم) أى آثارهم وخطاهم (ليجزيهم الله أحسن) أى بأحسن (ما كانوا يعملون) فلما عيب من تخلف من غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة بعد هذا ولا عن سرية أبدا فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرايا الى العدو نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة فأنزل الله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أى ليخرجوا جميعا الى الغزو (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أى فهلا خرج الى الغزو من كل قبيلة جماعة (ليتفقهوا فى الدين) أى ليتعلموا القرآن والسنن والحدود يعنى الفرقة القاعدين (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) أى وليعلموهم بما نزل من القرآن ويخوفوهم به (لعلهم يحذرون) فلا يعملون

عليه وسلم وتلا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبتى الى الله تعالى أن أخرج مالى صدقة فقال لا قلت فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع الصادقين) أى مع الرسول وأصحابه فى الغزوات ولا تكونوا جالسين مع المنافقين فى البيوت وقرئ شاذة من الصادقين فعلى هذا فمع بمعنى من أى كونوا ملازمين الصدق روى أن واحدا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال انى رجل أريد أن أومن بك الا أنى أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الأشياء ولا طاقة لى على تركها بأسرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسألنى الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فتاب عن الكل فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسدت أبواب المعاصى على (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) أى ما جاز لأهل دار الهجرة ومن حولهم من سكان البوادى (أن يتخلفوا عن رسول الله) اذا دعاهم وأمرهم لانه تتعين الاجابة والطاعة لرسول الله وكذلك غيره من الولاة والأئمة اذا ندبوا وعينوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه (ذلك) أى وجوب المشايعة لرسول الله (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أى شدة عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى مجاعة شديدة يظهر بها ضمور البطن (فى سبيل الله) أى فى طريق دينه (ولا يطأون) أى لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف بعيرهم (موطئا) أى دوسا (يغيظ الكفار) أى يغضبهم بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) أى شيئا من الأسرا أو قتلا أو هزيمة (الا كتب لهم به) أى بكل واحد من الأمور الخمسة (عمل صالح) مستوجب للثواب ومن قصد طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته حسنات مكتوبة عند الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى ولا يجاوزون مسلكا فى سيرهم (الا كتب لهم) أى الا كتب الله لهم ذلك الانفاق والسير فى الذهاب والرجوع (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أى ليجزيهم الله على أحسن أعمالهم وهو الواجب والمندوب دون المباح أو ليجزيهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على المعنى الاول وصفة الجزاء على الثانى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أى ما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم فانه يخل بأمر المعاش هذه الآية اما كلام لا تعلق له بالجهاد واما من بقية أحكام الجهاد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فعلى الاول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى حضرة الرسول ليتفقهوا فى الدين بل ذلك غير واجب وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذى يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له فهلا نفر من كل فرقة من فرق الساكنين فى البلاد طائفة الى حضرة الرسول ليتفقهوا فى الدين ويعودوا الى أوطانهم فينذروا قومهم لكى يحذروا عقاب الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه وعلى هذا التقدير

فيكون المراد وجوب الخروج الى حضرة الرسول للتعلم لانه يحدث كل وقت تكليف جديد أما في زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة فاذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجبا وعلى الاحتمال الثاني يقال ان النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم الرسول المدينة من تبوك وأرسل السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا النبي وحده في المدينة فنزلت هذه الآية فالمعنى لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعا ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفر الى الجهاد وقهر الكفار وطائفة تكون مع رسول الله لتعلم العلم والفقه في الدين لان أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئا بعد شيء والماكثون يحفظون ما تجدد فاذا قدم الغزاة علموا ما تجدد في غيبتهم وبهذا الطريق يتم أمر الدين والمعنى فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين مع رسول الله طائفة الى جهاد العدو ليتفقه المقيمون في الدين بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم الخارجين الى الجهاد اذا رجع الخارجون من جهادهم اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم لكي يحذروا معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أرشدهم الى الطريق الأصلح وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا الى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة فان أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فان رسول الله ﷺ قاتل أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انهم انقلبوا الى العراق (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معينهم بالنصرة على أعدائهم والمراد أن يكون الاقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (واذا ما أنزلت سورة) من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة فضيحة لهم (فمنهم من يقول) أي فمن المنافقين فريق يقول لأصحابه استهزاء بالقرآن والمؤمنين (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) قال تعالى تعيينا لحالهم (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم) أي هذه السورة (ايمانا) بانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق لانهم يقرون عند نزولها بأنها حق من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجسا الى رجسهم) عقيدة باطلة مضمومة الى عقيدتهم الباطلة فانهم كانوا مكذبين بالسور النازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذبين بهذه السورة الجديدة فقد انضم كفر الى كفر وانهم كانوا في العداوة واستنباط وجوه المكر والآن ازدادت تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة (وماتوا وهم كافرون) وهذه الحالة أقبح من الحالة الأولى فان الأولى ازدياد الرجاسة وهذه مداومة الكفر وموتهم عليه (أولا يرون) أي المنافقون فالاستفهام للتوبيخ وقرأ حمزة بالتاء على الخطاب للمؤمنين فالاستفهام للتعجيب أي ألا ينظرون ولا يرون (أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) أي انهم يبتلون بأفانين البليات مرارا كثيرة من المرض والجوع ومن اظهار الفضيحة على نفاقهم وعلى تخلفهم من الغزو (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولا هم يذكرون) بتلك الفتن الموجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما بعده عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يفتنون على قراءة حمزة (واذا ما أنزلت سورة) فيها بيان حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تغامزوا بالعيون يدبرون الهرب



بخلاف القرآن (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) أي يقربون منكم أمروا بقتال الأدنى فالأدنى من عدوهم الى المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة وعنفا (واذا ما أنزلت سورة فمنهم) أي من المنافقين (من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) أي يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزؤا فقال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) أي تصديقا لأنهم صدقوا بالأولى والثانية (وهم يستبشرون) أي يفرحون بنزول السورة (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (فزادتهم رجسا الى رجسهم) أي كفرا الى كفرهم لانهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) أي يمتحنون بالأوجاع والأمراض وهن روائد الموت (ثم لا يتوبون) أي من النفاق ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن بالمرض (واذا ما أنزلت سورة) الآية كان اذا أنزلت سورة فيها عيب للمنافقين وتلاها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شق ذلك عليهم (نظر بعضهم الى بعض) أي يريدون الهرب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض

(هل يراكم من أحد) ان قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحدا يراهم ثبتوا مكانهم حتى يفرغ من خطبته (ثم انصرفوا) أى على عزم الكفر والتكذيب (صرف الله قلوبهم) أى عن كل رشد وهدى (بأنهم قوم لا يفقهون) أى جزاء لهم على فعلهم وهو أنهم لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم اليه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من العرب لا من بنى اسرائيل لتفهموا عنه (عزيز عليه ماعنتم) أى شديد عليه مشقتكم وكل مضرة تصيبكم (حريص عليكم) أى أن تؤمنوا وهذا خطاب للكفار ومن لم يؤمن به ثم ذكر أنه (بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا) أى أعرضوا يعنى المنافقين والمشركين (فقل حسبى الله) أى الذى يكفينى الله (لا اله الا هو عليه توكلت) أى به وثقت (وهو رب العرش العظيم) وخص العرش بالذكر لأنه أعظم ما خلق الله عز وجل



﴿ تفسير سورة يونس (عليه السلام)﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب) أى هذه الآيات التى أنزلتها عليك آيات القرآن (الحكيم) أى الحاكم بين الناس (أكان للناس) يعنى أهل مكة (عجبا أن أوحينا الى رجل منهم) وذلك أنهم قالوا ماوجد الله من يرسله الينا الا يتيم أبى طالب (أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا) أى بعثناه بشيرا ونذيرا (أن لهم قدم صدق عند ربهم) يعنى الأعمال الصالحة (قال الكافرون ان هذا) يعنى القرآن (لسحر مبين ان ربكم الله) مفسر فى سورة الأعراف وقوله

ليتخلصوا عن تأذى سماعها يقولون بطريق الاشارة (هل يراكم من أحد) من المسلمين ان قمتم من المجلس (ثم انصرفوا) جميعا عن مجلس نزول الوحى خوفا من الافتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وعن استماع القرآن (بأنهم قوم لا يفقهون) لسوء الفهم وعدم التدبر (لقد جاءكم) أيها العرب (رسول) عظيم الشأن (من أنفسكم) أى من جنسكم بشر عربى قرشى مثلكم وقرئ بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم قيل هذه قراءة فاطمة وعائشة رضى الله عنهما (عزيز عليه ماعنتم) أى شاق شديد على هذا الرسول ما أثمتم فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب (حريص عليكم) فى ايمانكم وصلاح حالكم فهو شديد الرغبة على ايصال الخيرات اليكم فى الدنيا والآخرة (بالمؤمنين) أى بجميعهم (رءوف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطائعين منهم مريد الانعام على المذنبين (فان تولوا) أى فان أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان والتوبة وناصبوك الحرب (فقل حسبى الله) أى يكفينى الله فهو ثقتى (لا اله الا هو) أى لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أى وثقت (وهو رب العرش) أى السرير (العظيم) فان جعل صفة للرب فمعنى العظمة هى وجوب الوجود والتقدس عن الجسمية والاجزاء وكمال العلم والقدرة والتنزه عن ان يتمثل فى الأوهام وتصل اليه الافهام وان جعل صفة للعرش فمعنى العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور والكفار سمعوه من أسلافهم أو من اليهود والنصارى

﴿ سورة يونس مكية الا قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين فانها مدنية لأنها نزلت فى اليهود مائة وتسع آيات. وكلماتها ألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة. وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أى تلك الآيات الحاصلة فى سورة الر هى آيات ذلك الكتاب المحكم الذى لا يمحوه الماء ولا يغيره كرور الدهر (أكان للناس) أى لأهل مكة (عجبا أن أوحينا) أى ايحاؤنا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة (أن أنذر الناس) أى انه أى الشأن قولنا أنذر الناس أى خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان أهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ماوجد رسولا الى خلقه الا يتيم أبى طالب (و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أى بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم (قال الكافرون) أى المتعجبون (ان هذا لساحر مبين) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى بصيغة اسم الفاعل أى ان الكافرين لما جاءهم رسول منهم فأنذرهم و بشرهم قالوا متعجبين ان هذا الذى يدعى أنه رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباقون لسحر بكسر السين وسكون الحاء أى ان هذا القرآن لكذب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على عظم القرآن عندهم من حيث تعذر عليهم فيه المعارضة فأرادوا بهذا الكلام أن القرآن كلام مزخرف حسن الظاهر ولكنه باطل فى الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به انه لكمال فصاحته وتعذر مثله جار مجرى السحر وهذا مدح له وانما لم يؤمنوا به عنادا (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) أى مقدار ستة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بسائر الاجسام والمعنى ثم تصرف الله فى ملكه وليس معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والأرض لان تكوين العرش سابق على تخليق السموات والأرضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه

على الماء بل المراد انه تعالى لماخلق السموات والأرض واستدارت الافلاك والكواكب وجعل بسبب دورانها الفصول الأربعة ففي هذا الوقت قدحصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى وهذا انما حصل بعد تخليق السموات والأرض فصح ادخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراده (يدبر الأمر) أى يقدر على الوجه الأكمل أمرملكوت السموات والأرض (مامن شفيع الامن بعداذنه) أى ان الله تعالى ينفرد في التدبير فان تدبيره تعالى للأشياء لايكون بشفاعة شفيع ولا يستجرئ أحد أن يشفع اليه فى شئ الا بعداذنه تعالى ولايدخل أحد فى الوجود الا بعدأن قال تعالى له كن حتى كان (ذلكم الله ربكم فاعبدوه) فان العبادة لاتصلح الا له وهو المستحق لجميع العبادات لأجل أنه هو المنعم بجميع النعم (أفلا تذكرون) فالتفكر فى مخلوقات الله تعالى واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالته أعلى المراتب (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا) بالبعث فلاحكم الاحكمه ولانافذ الا أمره (وعدالله حقا) أى وعدكم الله بالرجوع اليه وعدا وحق ذلك الوعد حقا (انه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم يميتهم (ثم يعيده) من العدم بالبعث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أى بعدلهم والمراد به هنا الايمان وهذا تنبيه على أن المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة وايصال الرحمة وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم) أى ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) أى بالغ فى الايلام (بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أى الذى خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور فما بالذات ضوء وما بالعرض نور فنور القمر مستفاد من الشمس (وقدره منازل) أى جعل للقمر وهيأ له منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا وأسماؤها السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فينزل القمر كل ليلة فى واحد منها على تقدير مستو من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان فى آخر منازل له دق واستقوس ثم لايرى ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس فى كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (لتعلموا) باعتبار نزول كل منهما فى تلك المنازل (عدد السنين والحساب) أى حساب الاوقات فيمكنكم ترتيب مهمات المعاش من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء والصيف (ماخلق الله ذلك) أى المذكور من الشمس والقمر على تلك الاحوال (الا بالحق) أى الا على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة فى أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أى يذكر هذه الدلائل الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (لقوم يعلمون) الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها من الوحدانية وكمال القدرة والعلم وفى قوله تعالى يفصل قراءتان قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بالياء والباقون بالنون (ان فى اختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما أو فى تفاوتهما بازدياد وانتقاص أو فى تفاوتهما بحسب الامكنة فى الطول والقصر (وماخلق الله فى السموات والارض) من أنواع الموجودات (لآيات) دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الداعى الى التدبير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة (ان الذين لايرجون لقاءنا) أى لايطمعون فى ثوابنا لانهم لايؤمنون بالله واليوم الآخر (ورضوا بالحياة الدنيا) أى استغرقوا فى طلب اللذات الجسمانية (واطمأنوا بها) أى سكنوا فى الاشتغال بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا الظاهرة فى الاكوان (غافلون) أى

(يدبر الأمر) أى يقضيه (مامن شفيع الا من بعد اذنه) رد لقولهم الأصنام شفعاؤنا عند الله (هو الذى جعل الشمس ضياء) ذات ضياء (والقمر نورا) أى ذا نور (وقدره) أى وقدر له منازل على عدد أيام الشهر (ماخلق الله ذلك) يعنى ماتقدم ذكره (الا بالحق) أى بالعدل أى هو عادل فى خلقه لم يخلقه ظلما ولا باطلا (يفصل الآيات) أى يبينها (لقوم يعلمون) أى يستدلون بها على قدرة الله (ان الذين لايرجون لقاءنا) أى لايخافون البعث (ورضوا بالحياة الدنيا) أى بدلا من الآخرة (واطمأنوا بها) أى ركنوا اليها (والذين هم عن آياتنا غافلون) أى ماأنزلنا من الحلال والحرام والشرائع غافلون وقوله

لايتفكرون فيها أصلا (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات (مأواهم النار بما كانوا يكسبون) أى من الأعمال القلبية ومن أنواع المعاصى والسيئات (ان الذين آمنوا) أى شغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أى شغلوا جوارحهم بالخدمة فعينهم مشغولة بالاعتبار وأذنهم مشغولة بسماع كلام الله تعالى ولسانهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور طاعة الله (يهديهم ربهم بايمانهم) أى يهديهم الى الجنة ثوابالهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة (تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) أى انهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة فى البساتين والأنهار تجرى من بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى اشتغال أهل الجنة بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لأجل أن سعادتهم فى هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أى تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام وتحية الملائكة لهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أى ان أهل الجنة لما عاينوا ماهم فيه من السلامة عن الآفات والمخافات علموا أن كل هذه الأحوال السنية انما كانت باحسان الله تعالى عليهم فاشتغلوا بالثناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على الحمد لان الاشتغال بشكر النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة والمعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله ووجدوا فيها النعم العظيمة وعرفوا أنه تعالى كان صادقا فى وعده اياهم بتلك النعم مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال فقالوا سبحانك اللهم أى نسبحك عن الخلف فى الوعد والكذب فى القول وعما لايليق بحضرتك العلية ولما حياهم الله والملائكة بالسلامة عن الآفات وبالفوز بأنواع الكرامات أثنوا عليه تعالى بصفات الاكرام (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) أى ولو يعجل الله لهم العذاب عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم كشف الشدائد عند استعجالهم به لأميتوا وأهلكوا بالمرة وما أمهلوا طرفة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب وقرأ عبد الله لقضينا اليهم أجلهم (فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) أى فنترك الذين لايؤمنون بالبعث والجزاء مع تمردهم فى ضلالتهم يتحيرون فى شأنهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أوقاعدا أوقائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) وهذه الآية بيان أن الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند وجدان النعماء فاذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا أوقاعدا أوقائما مجتهدا فى ذلك الدعاء طالبا من الله تعالى ازالة تلك المحنة وتبديلها بالمنحة فاذا كشف الله تعالى عنه بالعافية أعرض عن الشكر ولم يتذكر ذلك الضر ولم يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى لكشف ضره فالواجب على العاقل أن يكون صابرا عند نزول البلاء شاكرا عند الفوز بالنعماء وأن يكون كثير الدعاء والتضرع فى أوقات الراحة والرفاهية حتى يكون مجاب الدعوة فى وقت المحنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أى هكذا زين لمن بذل العقل والفهم والحواس لأجل لذات الدنيا وهى خسيسة جدا فى مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك فى الشهوات والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه (ولقد أهلكنا القرون) أى الأمم (من قبلكم) أى من قبل زمانكم يا أهل مكة مثل قوم نوح وعاد وأشباههم (لما ظلموا) أى حين فعلوا الظلم بالتكذيب (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الدالة على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) أى وقد علم الله منهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أى مثل ذلك الاهلاك الشديد الذى هو

شيئا قالوا سبحانك اللهم جاءهم مايشتهون فاذا طعموا مايشتهون قالوا (الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم) الآية نزلت فى دعاء الرجل على أهله وماله وولده بما يكره أن يستجيب له والمعنى لو استجيب لهم فى الشر كما يحبون أن يستجاب لهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) لماتوا وفرغ لمن هلاكهم نزلت فى النضر ابن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق الآية يدل على هذا قوله (فنذر الذين لايرجون لقاءنا) يعنى الكفار الذين لايخافون البعث (واذا مس الانسان) يعنى الكافر (الضر) أى المرض والبلاء (دعانا لجنبه) أى مضطجعا (أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر) أى طاغيا على ترك الشكر (كأن لم يدعنا الى ضر مسه) أى لنسيانه ما دعا الله فيه وما صنع به (كذلك زين) أى كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والاعراض عند الرخاء زين (للمسرفين) عملهم وهم الذين أسرفوا على أنفسهم اذ عبدوا الوثن (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية (وما كانوا ليؤمنوا) لان الله طبع على قلوبهم جزاء لهم على كفرهم (كذلك

الاستئصال بالمرة (نجزى القوم المجرمين) أى نجزى كل طائفة مجرمين لاشتراكهم لأولئك المهلكين فى الجرائم التى هى تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) ياأهل مكة (خلائف فى الأرض من بعدهم) أى من بعد اهلاك أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أى لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما يكون منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (واذا تتلى عليهم) أى أهل مكة الوليد بن المخزومى والعاص بن وائل السهمى والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن الحنظلة (آياتنا) الدالة على بطلان الشرك (بينات) أى ظاهرة فى دلالتها على وحدانيتنا وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قال الذين لايرجون لقاءنا) أى لايرجون فى لقائنا خيرا على طاعة لانهم لايؤمنون بالبعث بعد الموت (إئت بقرآن غير هذا) أى بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أو بدله) بأن تجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالا ومكان الذم مدحا وانما قالوا ذلك على سبيل السخرية كقولهم لوجئتنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لآمنابك أو على سبيل التجربة حتى انه صلى الله عليه وسلم لوفعل ذلك علموا أنه كذاب فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى) أى مايستقيم لى أن أغيره من قبل نفسى (ان أتبع الا مايوحى الى) أى ما أتبع فى شئ مما أفعل وأترك الا ما يوحى الى فى القرآن من غير تغيير له فى شئ أصلا (انى أخاف ان عصيت ربى) بالاعراض عن اتباع الوحى (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به) أى قل يا أشرف الخلق للذين طلبوا منك تغيير القرآن لوشاء الله عدم تلاوتى للقرآن عليكم بأن لم ينزله على ولم يأمرنى بتلاوته ماتلوته عليكم وما أعلمكم به بواسطتى وقرأ الحسن ولاأدرؤكم به أى ولا أجعلكم بتلاوته عليكم خصماء تدرءوننى بالجدال وتكذبوننى وقرأ ابن عباس ولاأنذرتكم به وعن ابن كثير ولادراكم بلام التأكيد التى تقع فى جواب لو أى ولأعلمكم به على لسان غيرى فانه حق لامحيص عنه ولو لم يرسلنى الله به لأرسل غيرى به (فقد لبثت فيكم عمرا) أى فقد مكثت فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالى طرا (من قبله) أى قبل أن يوحى الى هذا القرآن لم آتكم بشئ (أفلا تعقلون) أى ألاتدبرون فلاتعقلون ان القرآن ليس من تلقاء نفسى ووجه هذا الاحتجاج ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك الوقت وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يطالع كتابا ولم يتلمذ لأستاذ ثم بعد أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والأدب والفصاحة ماأعجز العلماء والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم أن هذا القرآن لايحصل الا بالوحى من الله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى انى لم أفتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان هذا القرآن من عند الله ولو لم يكن من عند الله بحيث افتريته على الله لما كان فى الدنيا أحد أظلم على نفسه منى فاذا أنكرتم ذلك فقد كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (انه لايفلح المجرمون) أى لاينجو من عذاب الله المشركون (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله مالايضرهم) فى الدنيا والآخرة (ولاينفعهم) فيهما وهو الأصنام كان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة يعبدون عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) الأوثان (شفعاؤنا عند الله) أى فانهم يزعمون أنها تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم لانهم كانوا لايعتقدون بعثا بعد الموت أو تشفع لهم فى الآخرة أن يبعثوا

بعدهم) يعنى أهل مكة (لننظر كيف تعملون) أى لنختبر أعمالكم (واذا تتلى عليهم) أى على هؤلاء المشركين (آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) أى الذين لايخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (أو بدله) أى تكلم به من ذات نفسك فبدل منه ماتنكره (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى) أى ما أخبركم الا ما أخبرنى الله به أى الذى أتيت به من عند الله لامن عند نفسى فأبدله (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم) أى ماقرأت عليكم القرآن (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم الله به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أى أقمت فيكم أربعين سنة لاأحدثكم شيئا (أفلا تعقلون) أى انه ليس من قبلى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر أى لم أفتر على الله ولم أكذب عليه وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكا (انه لايفلح المجرمون) أى لايسعد من كذب أولياء الله (و يعبدون من دون الله مالايضرهم) أى ان لم يعبدوه (ولاينفعهم) ان عبدوه (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أى فى اصلاح معاشنا فى الدنيا لأنهم لايقرون بالبعث

(قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض) أى أتخبرون الله أن له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الأرض ثم نزه نفسه عما افتروه فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الأمة واحدة) يعنى من لدن عهد ابراهيم الى أن غير الدين عمرو بن لحى (فاختلفوا) واتخذوا الأصنام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى بتأخير



العذاب أى عذاب هذه الأمة الى يوم

لأنهم كانوا شاكين فى البعث (قل) تبكيتا لهم (أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض) أى أتخبرون الله بالذى لم يعلمه الله وهو شفاعة الأصنام واذا لم يعلم الله شيئا استحال وجود ذلك الشيء لأنه تعالى لا يعزب عن علمه شيء (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله وقرأ حمزة والكسائى تشركون بالتاء على الخطاب (وما كان الناس الا أمة واحدة) أى كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر بعضهم وثبت آخرون على دين الاسلام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا أنه تعالى أخبر بأنه يبقى التكليف على عباده وان كانوا كافرين (لقضى بينهم) بتعجيل الحساب والعقاب لكفرهم ولما كان ذلك سببا لزوال التكليف وكان ابقاؤه أصلح أخر الله العقاب الى الآخرة (فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى اختلفوا بسببه (ويقولون) أى كفار مكة (لولا أنزل عليه) أى هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) أخرى سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما يقول كما كان لصالح من الناقة ولموسى من العصا (فقل) لهم فى الجواب (انما الغيب لله) أى ان ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله هو من الغيوب المختصة بالله تعالى لا علم لى به (فانتظروا) نزوله (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لاجترائكم على جحود الآيات القرآنية واقتراح غيرها (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا) أى ان مشركى أهل مكة عادتهم اللجاج والعناد لأنه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون فأنزل الله الأمطار النافعة على أراضيهم حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك ثم انهم أضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب أو الأصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ما سألوا من انزال ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم (قل الله أسرع مكرا) أى ان هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالمكر فالله تعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك وهو اهلاكهم يوم بدر وحصول الفضيحة والخزى فى الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة ومعنى الوصف بالأسرعية أنه تعالى قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر أى اخفاء الكيد (ان رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكتبون ما تمكرون) أى مكركم ويعرض عليكم ما فى بواطنكم الخبيثة يوم القيامة (هو الذى يسيركم فى البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرأ ابن عامر ينشركم بنون ساكنة فشين معجمة مضمومة أى يبسطكم (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) أى بالذين فيها (بريح طيبة) موافقة للمقصود (وفرحوا بها) أى بتلك الريح فرحا تاما (جاءتها) أى تلقت تلك الريح الطيبة (ريح عاصف) أى شديد أزعجت سفينتهم (وجاءهم الموج) العظيم الذى أرجف قلوبهم (من كل مكان) أى ناحية (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى ظنوا القرب من الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أى من غير أن يشركوا معه تعالى شيئا من آلهتهم أى وهم مقرون بوحدانية الله وربوبيته لأجل علمهم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله تعالى فيكون ايمانهم جاريا مجرى الايمان الاضطرارى قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه)

القيامة (لقضى بينهم) بنزول العذاب (ويقولون) يعنى أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى مثل العصا وما جاءت به الأنبياء (فقل انما الغيب لله) أى ان قولكم هلا أنزل عليه آية غيب وانما الغيب لله لا يعلمه أحد لم يفعل ذلك (فانتظروا) أى نزول الآية (انى معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس) أى كفار مكة (رحمة) أى مطرا وخصبا (من بعد ضراء مستهم) أى فقر وبؤس (اذا لهم مكر فى آياتنا) أى قول بالتكذيب اذا أخصبوا بطروا فاحتالوا الدفع آيات الله (قل الله أسرع مكرا) أى أسرع نقمة يعنى أن ما يأتيهم من العذاب أسرع فى اهلاكهم مما أتوه من المكر فى ابطال آيات الله (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) أى للمجازاة به فى الآخرة (هو الذى يسيركم فى البر) على المراكب والظهور (و) فى (البحر) على السفن (حتى اذا كنتم فى الفلك) يعنى السفن

(وجرين بهم) يعنى وجرت السفن بمن ركبها فى البحر (بريح طيبة) يعنى بريح رخاء (وفرحوا بها) أى بتلك الريح للينها واستوائها (جاءتها ريح عاصف) أى شديدة (وجاءهم الموج) وهو ما ارتفع من الماء (من كل مكان) من البحر (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى دنوا من الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أى تركوا الشرك وأخلصوا لله بالربوبية وقالوا (لئن أنجيتنا من هذه) الريح العاصف

(لنكونن من الشاكرين) أى الموحدين الطائعين (فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الأرض بغير الحق) أى يعملون بالفساد والمعاصى والجراءة على الله (يأيها الناس) يعنى أهل مكة (انما بغيكم على أنفسكم) أى بغى بعضكم على بعض (متاع الحياة الدنيا) أى ما تنالونه بهذا الفساد والبغى (انما تتمتعون به فى الحياة الدنيا (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة) يعنى الحياة الفانية فى هذه الدار (كماء) أى كمطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) أى بذلك المطر وبسببه (نبات الأرض مما يأكل الناس) أى من البقول والحبوب والثمار (والأنعام) أى من المراعى والكلا (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها) أى زينتها وحسنها (وازينت) أى بنباتها (وظن أهلها) أى أهل تلك الأرض (أنهم قادرون عليها) أى على حصادها والانتفاع بها (أتاها أمرنا) أى عذابنا (فجعلناها حصيدا) أى لاشىء فيها (كأن لم تغن بالأمس) لم تكن بالأمس كذلك الحياة فى الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه ممتنع به سلب ذلك عنه بموته أو بحادثة تهلكه وقوله (كذلك نفصل الآيات) أى كما بينا هذا المثل للحياة الدنيا كذلك نبين آيات القرآن (لقوم يتفكرون) أى فى المعاد (والله يدعو الى دار السلام) وهى الجنة أى ببعث الرسول ونصب الأدلة (ويهدى من يشاء) عم بالدعوة وخص بالهداية من يشاء (للذين أحسنوا) أى قالوا لا اله الا الله (الحسنى) أى الجنة (وزيادة) أى النظر الى وجه الله الكريم (ولا يرهق) أى ولا يغشى (وجوههم قتر) أى سواد من الكآبة (ولا ذلة) أى كما يصيب أهل جهنم وهذا بعد نظرهم الى ربهم (والذين كسبوا السيئات) أى عملوا الشرك (جزاء سيئة) أى فلهم جزاء سيئة بمثلها

الشدائد (لنكونن من الشاكرين) لنعمك (فلما أنجاهم) من هذه البلية العظيمة (اذاهم يبغون فى الأرض بغير الحق) أى يترقون فى الفساد والجراءة على الله تعالى بالكفر والمعاصى (يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الأكثرون متاع بالرفع فبغيكم مبتدأ ومتاع خبره أو على أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أى ان ظلم بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا وهى مدة حياتكم لا بقاء لها أو ان الظلم لبعضكم كائن عليكم فى الحقيقة لا على الذين تظلمون عليهم وهو منفعة سريعة الزوال وقرأ حفص عن عاصم بنصب متاع على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر أى تتمتعون متاع أو مصدر وقع موقع الحال أى متمتعين بالحياة الدنيا (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من البغى أى قصد الاستعلاء بالظلم فنجازيكم على أعمالكم (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى لأنه اذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة (مما يأكل الناس والأنعام) من البقول والزروع والحشيش (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها) أى حتى اذا جعلت الأرض آخذة لباسها من كل نبات (وازينت) بجميع الألوان الممكنة فى الزينة من حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أى أهل النبات الموجود فى الأرض (أنهم قادرون عليها) أى على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أتاها) أى نبات الأرض (أمرنا) بهلاكها بنار أو برد أو ريح (ليلا أو نهارا فجعلناها) أى نبات الأرض (حصيدا) أى شبيها بالمقلوع فلا شىء على الأرض (كأن لم تغن بالأمس) أى كأن تلك النباتات لم تكن قائمة على ظهر الأرض فى الزمن الماضى والمعنى ان هذه الحياة الدنيا التى ينتفع بها المرء مثل النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه بالهلاك والمتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) أى نبين الآيات القرآنية فى فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعو الى دار السلام) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلى ومثلكم شبه سيد بنى دارا ووضع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دين الاسلام والمائدة الجنة والداعى محمد ﷺ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) أى الى اجابة تلك الدعوة (للذين أحسنوا) أى أتوا بالمأمور به واجتنبوا المنهيات (الحسنى وزيادة) أى نضرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أن الحسنى هى الحسنة والزيادة عشر أمثالها وعن على الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة (ولا يرهق) أى لا يعلو (وجوههم قتر) أى سواد (ولا ذلة) أى أثر هوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون بلا انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الكفر والمعاصى (جزاء سيئة

بمثلها) من غير زيادة بعدل الله تعالى (وترهقهم ذلة) أي ويعلو أنفسهم ذلة عظيمة (مالهم من الله من عاصم) أي مالهم عاصم من عذاب الله (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أي كأن الوجوه ألبست سوادا من الليل لفرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا) أي نحشر الكل حال اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) أي ثم نقول للمشركين من بينهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم) أي الزموا أنتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تسئلوا وتنظروا ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أي فباعدنا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبرأ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم ايانا تعبدون) بأمرنا وارادتنا انما كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغووكم فانها الآمرة لكم بالاشراك (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) أي انا كنا عن عبادتكم لجاهلين لا نعلمها ولا نرضى بها (هنالك) أي في ذلك المقام أو في ذلك الوقت (تبلو كل نفس ما أسلفت) بالتاء فالباء على القراءة المشهورة أي تذوق كل نفس سعيدة أو شقية ما قدمت من عمل فتعلم نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو بتاءين أي تقرأ كل نفس في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر أو تتبع ما أسلفت لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة أو الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل نفس بالنون والباء ونصب كل أي نختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أي نفعل بها فعل المختبر أو المعنى نصيب بالبلاء الذي هو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا الى الله مولاهم الحق) أي أعرض الذين أشركوا عن المولى الباطل ورجعوا الى المولى الحق وأقروا بألوهيته بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره وردوا الى حكمه (وضل عنهم) أي ضاع عنهم في الموقف (ما كانوا يفترون) أي يدعون أن معبوداتهم آلهة وأنها تشفع لهم (قل) لأولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والارض) أي رزقا مبتدأ منهما (أمن يملك السمع والأبصار) أي بل من يستطيع خلق الاسماع والأبصار ومن يحفظهما من الآفات وعن علي رضي الله تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي ومن يقدر أن يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة وأن يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الأمر) أي من يدبر أحوال العالم جميعا (فسيقولون الله) أي ان الرسول اذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال كانوا يعرفون الله وهم الذين قالوا في عبادتهم للأصنام انها تقربنا الى الله وانها تشفع عند الله وكانوا يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر فعند ذلك قال الله تعالى لرسوله (فقل) عند ذلك تبكيتا لهم (أفلا تتقون) أي أتعلمون ذلك فلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في المعبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل من رحمة الله وبأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر ألبتة (فذلكم الله) أي فمن هذه قدرته ورحمته هو الله (ربكم الحق)

---

(بمثلها وترهقهم ذلة) أي يصيبهم ذل وخزي وهوان (مالهم من الله) أي من عذاب الله (من عاصم) أي من مانع يمنعهم (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعا) أي طائفة (من الليل مظلما) أي وهو مظلم (ويوم نحشرهم) أي نجمعهم (جميعا) يعني الكفار وآلهتهم (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي قفوا والزموا مكانكم (أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم) أي فرقنا وميزنا بينهم بين المشركين وبين شركائهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا (وقال شركاؤهم) وهي الأوثان (ما كنتم ايانا تعبدون) أي أنكروا عبادتهم وقالوا ما كنا نشعر بأنكم ايانا تعبدون والله تعالى ينطقها بهذا (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) هذا من كلام الشركاء قالوا يشهد الله على علمه فينا ما كنا عن عبادتكم الا غافلين لانا كنا جمادا لم يكن فينا روح (هنالك) أي في ذلك الوقت (تبلوا) أي تختبر (كل نفس ما أسلفت) أي جزاء ما قدمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولاهم) أي الذي يملك تولي أمورهم ويجازيهم بالحق (وضل) أي زال وبطل (عنهم ما كانوا يفترون) أي في الدنيا من التكذيب (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي من ينزل من السماء المطر ويخرج النبات من الارض (أمن يملك السمع والأبصار) أي من جعلها وخلقها لكم على معنى من يملك خلقها (ومن يخرج الحي من الميت) أي المؤمن من الكافر والنبات من الارض والانسان من النطفة (و) على الضد من ذلك (يخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر) أي أمر الدنيا والآخرة (فسيقولون الله) أي الله يفعل هذه الأشياء فاذا أقروا بعد الاحتجاج عليهم (فقل أفلا تتقون) أفلا تخافون الله ولا تشركوا به (فذلكم الله ربكم الحق) أي الذي هذا كله فعله هو الحق ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء

(فماذا بعد الحق) أي بعد عبادة الله (الا الضلال) أي عبادة الشيطان (فأنى تصرفون) يريد كيف تصرف عقولكم الى عبادة مالا يرزق ولا يحيي ولا يميت (كذلك) أي هكذا (حقت) أي صدقت (كلمة ربك) أي بالشقاوة والخذلان (على الذين فسقوا) أي تمردوا في الكفر (أنهم لا يؤمنون (٣٦٨) قل هل من شركائكم) يعني آلهتكم (من يهدي) أي من يرشد (الى الحق) أي الى دين الاسلام (قل الله يهدي للحق) أي الى الحق (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي) أي الله الذي يهدي ويرشد الى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره أم الأصنام التي لا تهدي أحدا (الا أن يهدى) أي يرشد وهي وان هديت لم تهتد ولكن الكلام نزل على أنها ان هديت أهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن من يعلم (فما لكم) أي أي شيء لكم في عبادة الأوثان وهذا كلام تام (كيف تحكمون) أي كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شريكا تعالى (ومايتبع أكثرهم) يعني الرؤساء لان السفلة يتبعون قولهم (الا ظنا) أي يظنون انها آلهة (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) أي ليس الظن كاليقين يعني أن الظن لا يقوم مقام العلم (ان الله عليم بما يفعلون) أي من كفرهم (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) هذا جواب لقولهم ائت بقرآن غير هذا يقول ما كان هذا القرآن افتراء من دون الله (ولكن) أي كان (تصديق الذي الافتراء
بين يديه) أي من الكتب (وتفصيل الكتاب) يعني تفصيل المكتوب من الوعد لمن آمن به والوعيد لمن عصى (لا ريب فيه) أي لا شك في نزوله (من رب العالمين) أي من عند رب العالمين (أم يقولون) بل يقولون (افتراه) محمد (قل فأتوا بسورة مثله) ان كان مفترى

أي الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه (فماذا بعد الحق الا الضلال) أي ليس غير الحق الا الضلال أي فاذا ثبت أن عبادة الله حق ثبت أن عبادة غيره من الأصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما (فأنى تصرفون) أي فكيف تمالون من التوحيد الى الاشراك وعبادة الأصنام (كذلك) أي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به (حقت كلمة ربك) أي حكمه (على الذين فسقوا) أي خرجوا عن حد الصلاح (أنهم لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أي هل من الأصنام التي أثبتم شركتها لله في استحقاق العبادة (من يبدأ الخلق) أي ينشىء المخلوقات من العدم (ثم يعيده) في القيامة للجزاء ولما لم يقدروا على الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) أي فكيف تقلبون من الحق الى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) أي الى ما فيه صلاح أمركم فان أدنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعابديه الى ذلك (قل الله يهدي للحق) دون غيره وذلك بنصب الأدلة وارسال الرسل وانزال الكتب وبالتوفيق للنظر (أفمن يهدي الى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أي حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهدي الا أن يهدى) أي أم من لا ينتقل الى مكان الا أن ينقل اليه لان الأصنام خالية عن الحياة والقدرة أو المعنى أم من لا يهتدي في حال من الأحوال الا في حال هدايته تعالى له وهذا حال أشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أم من لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقرأ عاصم وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء وقرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهاء (فما لكم) أي أي شيء ثبت لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فانهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم (كيف تحكمون) أي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (ومايتبع أكثرهم الا ظنا) أي ما يتبع أكثرهم في معتقداتهم الا ظنا واهيا أما بعضهم فقد يتبعون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن لا يقبلون العلم عنادا وفي ذلك دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الظن لا يغني من الحق) أي عن العلم (شيئا) من الاغناء في العقائد (ان الله عليم بما يفعلون) من الاتباع للظنون الفاسدة والاعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أي وما صح أن يكون هذا القرآن المشحون بفنون الحجج الناطقة ببطلان الشرك وحقية التوحيد مفترى من الخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن القرآن تصديق الذي قبله من الكتب الالهية المنزلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أي وتفصيل جميع العلوم العقلي والنقلي الذي يمتنع حصوله في سائر الكتب (لا ريب فيه) أي منتفيا عنه الريب (من رب العالمين) أي كائنا من رب العالمين (أم يقولون افتراه) أي أيقرون بالقرآن بل يقول كفار مكة اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أي ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن في الفصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه

الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة وأشد تمرنا منى فى النظم والعبارة (وادعوا) للمعاونة (من استطعتم) دعاءه (من دون الله) أى من سائر خلق الله (ان كنتم صادقين) فى أنى افتريته (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) أى بل كذبوا بما لم يدرك علمهم به مسرعين فى ذلك من غير أن يتدبروا فيه ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب من غير تدبر (كذب الذين من قبلهم) ما كذبوا من المعجزات التى ظهرت على أيدى أنبيائهم (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) فانهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتتهم الدنيا والآخرة فبقوا فى الخسار العظيم (ومنهم) أى ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أى القرآن عند الاحاطة بعلمه أى اما يعتقد بحقية القرآن فقط بأن يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند واما سيؤمن به ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أى بأن لا يصدق به فى نفسه لفرط غباوته أو لسخافة عقله وعجزه عن تخليص علوم عن مخالطة الظنون أو بأن يموت على كفره وهم المستمرون على اتباع الظن من غير انقياد للحق (وربك أعلم بالمفسدين) أى بالمصرين على الكفر من المعاندين والشاكين (وان كذبوك) أى أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدى (فقل) لهم (لى عملى) من الايمان وجزاء ثوابه (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) أى لا تؤاخذون بعملى ولا أؤاخذ بعملكم (ومنهم) أى من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أى أأنت تقدر على اسماع الصم (ولو كانوا لا يعقلون) أى ولو انضم الى صممهم عدم عقلهم (ومنهم من ينظر اليك) أى من يعاين دلائل صدقك (أفأنت تهدى العمى) أى أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أى لا يستبصرون بقلوبهم ولا يعتبرون (ان الله لا يظلم الناس شيئا) أى بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بافساد الحواس والعقول وتفويت منافعها عليها فان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظلما منه تعالى لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف فى ملكه لا يكون ظالما (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) أى وأنذر المشركين المنكرين للبعث يوم يحشرهم فى الموقف مشبهين من لم يلبث فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا مقدار ساعة من النهار فان عاقبة الكافر خالصة دائمة مقرونة بالاهانة ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهموم الكثيرة وكانت تلك اللذات مغلوبة بالمؤلمات والآفات وكانت لم تحصل الا فى بعض الاوقات أما آلام الآخرة فهى سرمدية لا تنقطع البتة ونسبة عمر جميع الدنيا الى الآخرة الأبدية أقل من الجزء الذى لا يتجزأ بالنسبة الى ألف ألف عالم مثل العالم الموجود فمتى قوبلت الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة بالآفات الحاصلة للكافر وجدت أقل من اللذة بالنسبة الى جميع العالم (يتعارفون بينهم) أى يوبخ بعضهم بعضا فيقول كل فريق للآخر



(وادعوا) أى الى معاونتكم على المعارضة كل من تقدرون عليه (ان كنتم صادقين) أى فى أن محمدا اختلقه من عند نفسه ونظير هذه الآية فى سورة البقرة وان كنتم فى ريب الآية (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى بما فى القرآن من ذكر الجنة والنار والبعث والقيامة (ولما يأتهم تأويله) أى لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا فى الكتاب (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى بالبعث والقيامة (ومنهم) أى من كفار مكة (من يؤمن به) يعنى قوما علم أنهم يؤمنون (ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) يريد المكذبين وهذا تهديد لهم (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) نسختها آية الجهاد (ومنهم من يستمعون اليك) نزلت فى المستهزئين كانوا يستمعون للاستهزاء والتكذيب قال الله تعالى (أفأنت تسمع الصم) يريد أنهم بمنزلة الصم لشدة عداوتهم (ولو كانوا لا يعقلون) أى ولو كانوا مع كونهم صما جهالا أخبر الله تعالى أنهم بمنزلة الصم الجهال اذ لم ينتفعوا بما سمعوا (ومنهم من ينظر اليك) أى متعجبا منك غير منتفع بنظره (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) يريد أن الله أعمى قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى (ان الله لا يظلم الناس شيئا) لما ذكر أهل الشقاوة ذكر أنه لم يظلمهم بتقدير الشقوة عليهم لأنه يتصرف فى ملكه (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) أى بكسبهم المعاصى (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) أى كأن لم يلبثوا فى قبورهم الا قدر ساعة من نهار استقصروا تلك المدة لهول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة (يتعارفون بينهم) أى يعرف بعضهم بعضا تعارف توبيخ لان كل فريق يقول للآخر أنت أضللتنى وما يشبه هذا

(قد خسر) أى ثواب الجنة (الذين كذبوا بلقاء الله) أى بالبعث (وما كانوا مهتدين وإما نرينك بعض الذى نعدهم) يريد ماابتلوا به يوم بدر (أو نتوفينك) أى قبل ذلك (فالينا مرجعهم) أى فنعذبهم فى الآخرة (ثم الله شهيد على مايفعلون) أى من محاربتك وتكذيبك فيجزيهم بها ومعنى الآية ان لم ينتقم منهم فى العاجل ينتقم منهم فى الآجل (ولكل أمة رسول) أى يرسل اليهم (فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) وهو هلاك من كذبه ونجاة من تبعه (وهم لايظلمون) أى لا ينقص ثواب المصدق ويجازى المكذب بتكذيبه (ويقولون متى هذا الوعد) قالوا ذلك حين قال لهم وإما نرينك الآية فقالوا متى هذا الوعد الذى تعدنا يامحمد ان كنت أنت يامحمد وأتباعك صادقين (قل لا أملك لنفسى) الآية مفسرة فى آيتين من سورة الاعراف فلما استعجلوا العذاب قيل للنبى صلى الله عليه وسلم (قل أرأيتم) أى أعلمتم (ان آتاكم عذابه) أى عذاب الله (بياتا) أى ليلا (أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) أى أى شئ يستعجل المجرمون من العذاب وهذا استفهام معناه التهويل والتفظيع أى ماأعظم مايلتمسون ويستعجلون كما تقول أعلمت ماذا تجنى على نفسك فلما قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا قالوا نكذب بالعذاب ونستعجله فاذا وقع آمنا به فقال الله (أثم اذا ماوقع) وحل بكم (آمنتم به) بعد نزوله فلايقبل منكم الايمان ويقال لكم (الآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا مستهزئين (ويستنبئونك) أى يستخبرونك (أحق) ماأخبرتنا به من العذاب والبعث (قل اى) نعم (وربى انه لحق) يعنى العذاب نازل بكم (وما

أنت أضللتنى يوم كذا وزينت لى الفعل الفلانى من القبائح (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) أى قد هلكوا بتكذيبهم بالبعث بعد الموت وضلوا وما كانوا عارفين لطريق النجاة وهذه شهادة من الله تعالى على خسرانهم (وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم) أى وان أريناك بعض العذاب الذى نعدهم به بأن نعجله لهم فى حياتك فى الدنيا فتراه وان توفيناك قبل نزول العذاب بهم فانك ستراه فى الآخرة لأن العذاب لايفوتهم بل ننزله بهم فى الآخرة (ثم الله شهيد على مايفعلون) أى ثم الله معاقب على مايفعلونه وقرئ ثمة أى هنالك (ولكل أمة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) فبلغهم ماأرسل اليهم فكذبه بعضهم وصدقه بعضهم (قضى بينهم بالقسط) أى بالعدل أى فصل بينهم وحكم بهلاك المكذبين وبنجاة الرسول ومن صدقه (وهم لايظلمون) فى ذلك القضاء بتعذيبهم لانه بجرمهم (ويقولون) أى قال كل أهل دين لرسولهم على وجه التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم من نزول العذاب للأعداء (متى هذا الوعد) الذى تعدنا بنزول العذاب (ان كنتم صادقين) فى أنه يأتينا (قل) يا أشرف الخلق لقومك الذين استعجلوا نزول العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار (لاأملك لنفسى ضرا ولا نفعا) أى لاأقدر على دفع ضر ولاجلب نفع لنفسى (الاماشاء الله) أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) أى وقت معين خاص بهم (اذا جاء أجلهم) أى وقت هلاكهم (فلايستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أى شيئا قليلا من الزمان (ولا يستقدمون) عليه (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) أى قل للذين يستعجلون العذاب أخبرونى عن عذاب الله ان أتاكم وقت اشتغالكم بالنوم أو عند اشتغالكم بمشاغلكم أى شئ تستعجلون من عذاب الله وليس شئ من العذاب يستعجله عاقل اذ العذاب كله مر المذاق موجب لنفار الطبع منه (أثم اذا ماوقع آمنتم به) أى أبعد ماوقع العذاب بكم حقيقة آمنتم به حين لاينفعكم الايمان (آلآن) تؤمنون بالعذاب (وقد كنتم به) أى بالعذاب (تستعجلون) أى تكذبون فان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار (ثم قيل) يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب (للذين ظلموا) أى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق (ذوقوا عذاب الخلد) أى العذاب المؤلم على الدوام (هل تجزون) فى الآخرة (الا بما كنتم تكسبون) فى الدنيا من أصناف الكفر والمعاصى وهذا استثناء مفرغ والجار والمجرور مفعول ثان لتجزون والأول قائم مقام الفاعل ﴿ تنبيه ﴾ أين ماذكر الله تعالى العذاب ذكر هذه العلة كأن سائلا يقول يارب العزة أنت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد فهو تعالى يقول ماأنا عاملته بهذه المعاملة ابتداء بل هذا وصل اليه جزاء على عمله الباطل (ويستنبئونك) أى يستخبرونك ياأشرف الخلق والقائل حيى بن أخطب لماقدم مكة بطريق الاستهزاء والانكار (أحق هو) أى ماتعدنا من نزول العذاب علينا فى الدنيا وماتعدنا من البعث والقيامة (قل) لهم فى الجواب هذه الأمور الثلاثة غير ملتفت الى استهزائهم (إى وربى) فاى من حروف الجواب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة (انه) أى العذاب الموعود (لحق) أى لثابت

(وماأنتم بمعجزين) يعنى بعد العذاب فتجازون بكفركم (ولوأن لكل نفس ظلمت) أى أشركت (مافى الأرض لافتدت به) أى لبدلته لدفع العذاب عنها (وأسروا) أى أخفوا وكتموا (الندامة) يعنى الرؤساء من السفلة الذين أضلوهم (وقضى بينهم) أى بين السفلة والرؤساء (بالقسط) أى بالعدل فيجازى الكل على صنيعه (ألاان وعدالله حق) أى ماوعد لأوليائه ولأعدائه (ولكن أكثرهم لايعلمون) يعنى المشركين (يأيها الناس) يعنى قريشا (قدجاءتكم موعظة من ربكم) يعنى القرآن (وشفاء لمافى الصدور) أى دواء لداء الجهل (وهدى) أى بيان من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) أى ونعمة من الله لأصحاب محمد (قل بفضل الله) أى الاسلام (وبرحمته) يعنى القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحواهو) أى ما آتاهم الله من الاسلام والقرآن (خيرممايجمعون) هم وغيرهم من الدنيا (قل) لكفار مكة (أرأيتم ماأنزل الله) أى خلقه وأنشأه (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) يعنى ماحرموه مما هو حلال لهم من البحيرة وأمثالها وأحلوه مما هو حرام من الميتة وأمثالها (قل آلله أذن لكم) أى فى ذلك التحليل والتحريم (أم) بل (على الله تفترون وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أى ماظنهم ذلك اليوم بالله وقدافتروا عليه (ان الله لذوفضل على الناس) يعنى أهل مكة حين جعلهم فى أمن وحرم الى سائر ما أنعم به عليهم (ولكن أكثرهم لايشكرون) أى يوحدون ولايطيعون (وماتكون) يامحمد (فى شأن) أى أمر من أ ورك (وماتتلو منه) أى من الله (من قرآن) أنزله عليك (ولاتعملون من عمل) خاطبه وأمته

---

(وماأنتم بمعجزين) لمن وعدكم بالعذاب أن ينزله عليكم (ولوأن لكل نفس ظلمت) وهولاحق بكم بالشرك أوغيره من أنواع الظلم ولومرة (مافى الأرض) أى مافى الدنيامن الأموال (لافتدت به) أى لفادت بما فى الدنيانفسهامن عذاب الله (وأسروا الندامة لمارأوا العذاب) أى أخفوا الندامة على ترك الايمان حين عاينوا العذاب فلم يقدروا على أن ينطقوا بشىء لشدة الأهوال وفظاعة الحال (وقضى بينهم) أى بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أى بالعدل (وهم) أى الظالمون (لايظلمون) فيما فعل بهم من العذاب (ألاان لله مافى السموات والارض) أى ماوجد فيهما (ألاان وعدالله حق) أى ان جميع ماوعدالله به ثابت لابدأن يقع ووعده تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لايعلمون) أى غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) فى الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء (يأيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أى قدجاءكم كتاب فيه بيان ماينفع المكلف ومايضره ودواء القلوب وهدى الى الحق ورحمة للمؤمنين بانجائهم من الضلال الى نور الايمان وتخلصهم من دركات النيران الى درجات الجنان والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير الظاهر عما لاينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أى فليفرحوا بتلك النعم لامن حيث هى بل من حيث انها بفضل الله وبرحمة الله قال الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهومشرك أمامن فرح بنعمة الله من حيث انهامن الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة وقال أبوسعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله (هو) أى المذكور من فضل الله ورحمته (خيرممايجمعون) من الدنيا لأن الآخرة أبقى وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب وأمافليفرحوا فبالياء التحتية عند السبعة ولايقرؤه بالتاء الفوقية الايعقوب من العشرة كما هومروى عن زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فلتفرحوا ياأصحاب محمد هوخيرممايجمع الكفار (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ماأنزل الله لكم من رزق) أى الذى خلقه الله لكم من حرث وانعام (فجعلتم منه حراما وحلالا) أى فحكمتم بأن بعض الرزق حرام وبعضه حلال مع كون كله حلالا (قل آلله أذن لكم) فقل تأكيد الأمر بالاستخبار أى أخبرونى آلله أمركم بذلك الحكم فأنتم ممتثلون بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أى أم لم يأذن لكم فى ذلك بل على الله تكذبون بنسبة ذلك اليه (وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أى أى شىء ظنهم يوم عرض الأفعال والأقوال أيحسبون أنهم لايسئلون عن افترائهم أولايجازون عليه ولأجل ذلك يفعلون مايفعلون كلا انهم لفى أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصى (ان الله لذوفضل على الناس) باعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب وامهالهم على سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لايشكرون) تلك النعم فلايستعملون العقل فى التأمل فى دلائل الله تعالى ولايقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولاينتفعون باستماع كتب الله (وماتكون) ياأشرف الخلق (فى شأن) أى أمر من أمور الدنيا (وماتتلو منه) أى الشأن (من قرآن ولاتعملون من عمل)

(الا كنا عليكم شهودا) أى نشاهد ماتعملون (اذ تفيضون) أى تأخذون (فيه ومايعزب) أى يغيب ويبعد (عن ربك من مثقال) أى وزن (ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) يريد اللوح المحفوظ الذى 

أثبت الله تعالى فيه الكائنات (ألا ان أولياء الله) وهم الذين تولى الله هداهم (الذين آمنوا) صدقوا النبى صلى الله عليه وسلم (وكانوا يتقون) أى خافوا مقامهم بين يدى الله (لهم البشرى) فى الحياة الدنيا تأتيهم الملائكة بالبشرى من الله (وفى الآخرة) يبشرون بثواب الله وجنته (لا تبديل لكلمات الله) أى لا خلف لمواعيده (ولا يحزنك قولهم) أى تكذيبهم اياك (ان العزة لله) أى القوة والقدرة لله (جميعا) وهو ناصرك (هو السميع) أى يسمع قولهم (العليم) بما فى ضميرهم فيجازيهم بما يقتضيه حالهم (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض) أى يفعل بهم وفيهم مايشاء (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أى ليسوا يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء وشفعاء لهم وليست على مايظنون (ان يتبعون الا الظن) أى مايتبعون الا ظنهم أنها تشفع لهم (وان هم الا يخرصون) أى يقولون مالا يكون وقوله (والنهار مبصرا) أى مضيئا لتهتدوا به فى حوائجكم (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سماع اعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) يعنى قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) أى تنزيها له عما قالوه (هو الغنى) أن تكون له زوجة أو ولد (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم من حجة بهذا وقوله (متاع فى الدنيا) أى لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به أياما يسيرة وقوله قليل

أى أى عمل كان (الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون) أى تشرعون (فيه) أى فى ذلك المذكور (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) أى ولا يغيب عن علم ربك مايساوى فى الثقل نملة صغيرة أوهباء فى دائرة الوجود وقرأ الكسائى بكسر الزاى (ولا أصغر من ذلك) أى الذرة (ولا أكبر الا فى كتاب مبين) أى فى لوح محفوظ وقرأ حمزة بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب على أن لا نافية للجنس ومابعدها اسمها وخبرها (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب (الذين آمنوا) بكل ماجاء من عند الله تعالى (وكانوا يتقون) والتقوى هنا التجنب عن كل اثم والتنزه عن كل مايشغل السر عن الله تعالى والتبتل اليه تعالى بالكلية وهذا تفسير للأولياء (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فالبشرى فى الدنيا محبة الناس لهم وذكرهم اياهم بالثناء الحسن والرؤيا الصالحة وبشرى الملائكة لهم عند الموت وفى الآخرة تلقى الملائكة اياهم مبشرين بالفوز والكرامة وبياض الوجوه واعطاء الصحف بأيمانهم ومايقرءون منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) أى لا خلف فى أقواله (ذلك) أى حصول البشرى لهم فى الدارين (هو الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (ولا يحزنك قولهم) أى لا تحزن بما يتفوهون به فى شأنك مما لا خير فيه ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى (ان العزة لله جميعا) أى ان القوة لله جميعا فهو يعصمك منهم وينصرك عليهم حتى تكون أقوى منهم (هو السميع العليم) أى يسمع مايقولون فى حقك ويعلم مايعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء فى ملكه تعالى فالجمادات أحق أن لا تكون شركاء له تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أى ومايتبع الذين يعبدون من دون الله آلهة شركاء فآلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (ان يتبعون الا الظن) أى ان المشركين ما اتبعوا شريك الله تعالى انما اتبعوا شيئا ظنوه شريكا لله تعالى (وان هم الا يخرصون) أى ماهم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدرون ان معبوداتهم شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى هو الذى صير لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب النهار والنهار مضيئا لتهتدوا به فى حوائجكم بالابصار ولتتحركوا فيه لمعاشكم (ان فى ذلك) أى الجعل (لآيات) أى لعبرات (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن فيعلمون بذلك أن الذى خلق هذه الأشياء كلها هو الله المنفرد بالوحدانية فى الوجود (قالوا) أى كفار مكة (اتخذ الله ولدا) أى الملائكة بنات الله (سبحانه) قال تعالى ذلك تنزيها لنفسه عما نسبوه اليه وتعجيبا من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) عن كل شىء فى كل شىء (له مافى السموات ومافى الأرض) من ناطق وصامت ملكا وخلقا (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ماعندكم حجة بهذا القول الباطل (أتقولون على الله مالا تعلمون) أى أتنسبون اليه تعالى مالا يجوز نسبته اليه تعالى جهلا منكم (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أى لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال فى ذات الله تعالى وصفاته قولا بغير علم وبغير حجة بينة كان داخلا فى هذا الوعيد (متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) أى حياتهم متاع

قليل فى الدنيا ثم لابد من الموت وعند الموت لابد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لابد وأن يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أى المشركين (نبأ نوح) أى خبره مع قومه الذين هم أشباه قومك فى العناد ليصير داعيا الى مفارقة الانكار للتوحيد والنبوة (اذقال لقومه) وهم بنو قابيل (ياقوم ان كان كبر) أى ثقل (عليكم مقامى) أى مكثى فيكم مدة طويلة (وتذكيرى) أى وعظى اياكم (بآيات الله) أى بحجته (فعلى الله توكلت) أى فوضت أمرى الى الله (فأجمعوا أمركم) أى فاعزموا على أمركم الذى تريدون بى من السعى فى اهلاكى (وشركاءكم) أى وادعوا من يشاركونكم فى الدين والقول أوادعوا أوثانكم التى سميتموها بالآلهة وتقدير ادعوا هو كما فى مصحف أبى ويصح أن يكون وشركاءكم مفعولا معه من الضمير فى فأجمعوا وقرأه الحسن وجماعة من القراء بالرفع عطفا عليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى خفيا وليكن ظاهرا (ثم اقضوا الى) أى أدوا الى ذلك الأمر الذى تريدون بى ونفذوه الى (ولا تنظرون) أى لا تمهلون بعد اعلامكم اياى ما اتفقتم عليه (فان توليتم فما سألتكم من أجر) أى ان أعرضتم عن نصيحتى فلا ضير على لأنى ما سألتكم بمقابلة وعظى من أجر تؤدونه الى حتى يؤدى ذلك الى اعراضكم (ان أجرى الا على الله) أى ما ثوابى على التذكير الا عليه تعالى يثيبنى به آمنتم أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى وانى مأمور بالاستسلام لكل ما يصل الى منكم لأجل هذه الدعوة (فكذبوه) أى استمروا على تكذيب نوح بعد ما بين لهم المحجة (فنجيناه ومن معه فى الفلك) أى السفينة من المسلمين من الغرق وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (وجعلناهم) أى أصحاب نوح (خلائف) من الهالكين بالغرق فيسكنون فى الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) ياأشرف الخلق (كيف كان عاقبة المنذرين) أى كيف صار آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم) كان منهم هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب (فجاؤهم بالبينات) أى فجاء كل رسول قومه المخصوصين به بالمعجزات الدالة على صدق ما قالوا (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أى فما كانوا ليصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التى أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم اليها من قبل مجىء رسلهم أى كانت حالهم بعد مجىء الرسل كحالهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (نطبع على قلوب المعتدين) أى المتجاوزين عن الحدود فى كل زمن (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد أولئك الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أى وأشراف قومه (بآياتنا) أى التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الأموال (فاستكبروا) أى فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما أى ادعوا الكبر من غير استحقاق (وكانوا قوما مجرمين) أى ذوى آثام عظام فلذلك اجترأوا على الاستهانة برسالة الله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو العصا واليد البيضاء (قالوا) من فرط عنادهم (ان هذا) أى الذى جاء به موسى (لسحر مبين) أى ظاهر يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) ما تقولون من أنه سحر (أسحر هذا) أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف (ولا يفلح الساحرون) أى والحال أنه لا يفلح فاعلو السحر وهذه جملة حالية من الواو فى أتقولون (قالوا) لموسى وهارون عاجزين عن المحاجة (أجئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الأرض) أى أرض مصر (وما نحن

---

(ان كان كبر عليكم مقامى) أى عظم وشق عليكم مكثى ولبثى فيكم (وتذكيرى بآيات الله) أى وعظى وتخويفى اياكم عقوبة الله (فعلى الله توكلت) أى فافعلوا ما شئتم وهو قوله (فأجمعوا أمركم) أى اعزموا على أمر محكم تجتمعون عليه (وشركاءكم) أى مع شركائكم وقيل معناه وادعوا شركاءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى ليكن أمركم ظاهرا منكشفا تتمكنون فيه مما شئتم لا كمن يكتم أمرا ويخفيه فلا يقدر أن يفعل ما يريد (ثم اقضوا الى) أى ثم افعلوا ما تريدون وامضوا الى بمكروهكم (ولا تنظرون) أى لا تؤخروا أمرى والمعنى لا تألوا فى الجمع والقوة فانكم لا تقدرون على مساءتى لأن لى إلها يمنعنى وفى هذا تقوية لقلب محمد ﷺ لأن سبيله مع قومه كسبيل الأنبياء من قبله (فان توليتم) أى أعرضتم عن الايمان (فما سألتكم من أجر) أى مالا تعطونيه وهذا من قول نوح لقومه وقوله (فما كانوا ليؤمنوا) يعنى أمم الأنبياء والرسل بما كذب به قوم نوح أى هؤلاء الآخرون لم يؤمنوا بما كذب به أولهم وقد علموا أن الله أغرقهم بتكذيبهم ثم قال (كذلك) أى كما طبعنا على قلوبهم (نطبع على قلوب المعتدين) أى المجاوزين الحق الى الباطل وقوله (أجئتنا لتلفتنا) أى لتردنا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الأرض) أى فى أرض مصر وقوله

لكما بمؤمنين) أى بمصدقين (وقال فرعون) لملئه (ائتونى بكل ساحر عليم) بفنون السحر حاذق فيه وقرأ حمزة والكسائى سحار (فلما جاء السحرة) أى فأتوا بالسحرة قالوا لموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى ما معكم من الحبال والعصى (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم واسترهبوا الناس (قال) لهم (موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر أى التمويه الذى يظهر بطلانه لا ما سماه فرعون وقومه سحرا فهو من آيات الله تعالى وقرأ أبو عمرو آلسحر بهمزة الاستفهام بابدال الهمزة الثانية ألفا ومدها مدا لازما أو بتسهيلها من غير قلب وعلى كليهما تجب الامالة فى موسى والمعنى الذى جئتم به أهو السحر أم لا وهو استفهام على وجه التحقير والتوبيخ (ان الله سيبطله) أى سيهلكه بالكلية ويظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتأكيد (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يكمله (ويحق الله الحق) أى يظهره ويقويه (بكلماته) أى بوعده لموسى وقضائه (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) أى فما آمن من قوم موسى الا قليل منهم وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب وذلك أن موسى دعا الآباء الى دينه فلم يجيبوا خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم مع الخوف (على خوف من فرعون وملئهم) أى مع خوف من فرعون لأنه كان شديد البطش وخوف على رؤساء الذرية فان أشراف بنى اسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من اجابة موسى خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يفتنهم) أى يصرفهم عن الايمان بتسليط أنواع العذاب عليهم (وان فرعون لعال فى الارض) أى لغالب فى أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أى المجاوزين الحد بكثرة القتل والتعذيب لمن يخالفه فى أمر من الامور وبالكبر حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء (وقال موسى) لمن آمن به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) ولا تخافوا أحدا غيره (ان كنتم مسلمين) أى منقادين لامره تعالى قال الفقهاء الشرط المتأخر يجب أن يكون متقدما مثاله قول الرجل لامرأته ان دخلت الدار فأنت طالق ان كلمت زيدا فمجموع قوله ان دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله ان كلمت زيدا والمشروط متأخر عن الشرط فكأنه يقول لامرأته حال ما كلمت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل أن كلمت المرأة زيدا لم يقع الطلاق فقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرطا لأن يصيروا مخاطبين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكأنه تعالى يقول للمسلم حال اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والأمر كذلك لأن الاسلام هو الانقياد لتكاليف الله وترك التمرد والايمان هو معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تصرفه واذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل فى القلب نور التوكل على الله تعالى (فقالوا) مجيبين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولا نلتفت الى أحد سواه ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تجعلنا مفتونين لهم أى لا تمكنهم من أن يحملونا بالقهر على أن ننصرف عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى خلصنا برحمتك من أيدى فرعون وقومه ومن سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) أى اجعلا بمصر بيوتا لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مصلى (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم أى ان موسى ومن معه كانوا فى أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم لئلا يظهروا على الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون فى أول الاسلام بمكة على هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر فى الدنيا وبالجنة فى العقبى وخص الله تعالى موسى بالبشارة لانه

(ان الله سيبطله) أى سيهلكه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يجعله ينفعهم (ويحق الله الحق) أى يظهره بالدلائل الواضحة (بكلماته) أى بوعده (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) يعنى من آمن به من بنى اسرائيل وكانوا ذرية أولاد يعقوب (على خوف من فرعون وملئهم) أى ورؤسائهم (أن يفتنهم) أى يصرفهم عن دينهم بمحنة وبلية يوقعهم فيها (وان فرعون لعال) أى متطاول (فى الأرض) أى أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أى حيث كان عبدا فادعى الربوبية وقوله (لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا طغيانا ويقولوا لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم فيفتتنوا (وأوحينا الى موسى وأخيه) الآية لما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بنى اسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلون فيها خوفا من فرعون فذلك قوله (أن تبوآ لقومكما) أى اتخذا لهم (بمصر بيوتا) فى دورهم (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى صلوا فى بيوتكم لتأمنوا من الخوف وقوله

الاصل فى الرسالة وهرون تبع له (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه) أى أشراف قومه (زينة) أى مايتزين به من اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعا عليهم بلفظ الأمر والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها قال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها قاسية ومربوطة حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان (فلايؤمنوا) جواب الدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا (حتى يروا العذاب الأليم) وانما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لايؤمنون فوافق دعاء موسى ماقدر وقضى عليهم (قال) الله لموسى وهرون (قد أجيبت دعوتكما) فموسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والتأمين دعاء وحصول المدعو به بعد أربعين سنة لان فرعون لبث بعد هذا الدعاء أربعين سنة (فاستقيما) أى فاثبتا على ماأنتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) بعادات الله تعالى فى تعليق الأمور بالمصالح والحكم أى ولاتسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصلا فى الحال والاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله يصدران من الجهال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) أى جعلناهم مجاوزين بحر السويس بأن جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه على يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع بخروجهم خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فانفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لايشذ منهم أحد فدنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج انطبق البحر عليهم (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) أى مفرطين فى محبة قتلهم ومجاوزين الحد (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أى بأن الشأن (لااله الاالذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) أى الذين أسلموا نفوسهم لله فقال له جبريل (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أى آلآن تؤمن وتتوب وقد ضيعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية وقد كنت من الغالين فى الضلال والاضلال عن الايمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه انما آمن عند نزول العذاب وانما أقر بعزة الربوبية ووحدانية الله تعالى ولم يقر بنبوة موسى ولان ذلك الاقرار كان مبنيا على محض التقليد وهو كان دهريا منكرا لوجود الصانع وانما كرر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع تلك البلية الحاضرة (فاليوم ننجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ ننحيك بالحاء أى نلقيك بناحية الساحل (لتكون لمن خلفك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنو اسرائيل اذ قالوا امامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم ولما حصل فى قلوبهم من الرعب من أجله فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور

(ربنا ليضلوا عن سبيلك) أى جعلت هذه الأموال سببا لضلالهم لانهم بطروا فاستكبروا عن الايمان (ربنا اطمس على أموالهم) أى امسخها وأذهبها عن صورتها فصارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة منقوشة صحاحا وانصافا وكذلك سائر أموالهم (واشدد على قلوبهم) أى اطبع عليها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان (فلايؤمنوا) دعاء عليهم (حتى يروا العذاب الأليم) يعنى الغرق فاستجيب له فى ذلك فلم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق (قال قد أجيبت دعوتكما) وذلك أن موسى دعا وأمن هرون (فاستقيما) أى على الرسالة والدعوة (ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون) أى لاتسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فتستعجلا قضائى وقوله (فأتبعهم فرعون وجنوده) أى طلبوا أن يلحقوا بهم (بغيا) أى طلبا للاستعلاء بغير حق (وعدوا) أى ظلما (حتى اذا أدركه الغرق) تلفظ بما أخبر الله عنه حين لم ينفعه ذلك لانه رأى البأس وعاينه فقيل له (آلآن وقد عصيت قبل) أى الآن تؤمن أوتتوب فلما غرقه الله جحد بعض بنى اسرائيل غرقه وقال هو أعظم شأنا من أن يغرق فأخرجه الله من الماء حتى رأوه فذلك قوله (فاليوم ننجيك) أى نخرجك من البحر بعد الغرق (ببدنك) أى بجسدك الذى لاروح فيه (لتكون لمن خلفك آية) أى نكالا وعبرة

فرآه بنو اسرائيل فعرفوه وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا أى لتكون لمن يأتى بعدك من الأمم نكالا
من الطغيان وقرئ لمن خلقك بالقاف أى لتكون لخالقك آية كسائر آياته فان افراده تعالى اياك
بالالقاء الى الساحل لابطال دعوى ألوهيتك لان الاله لا يموت (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)
أى لا يتفكرون فيها (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) أى أسكناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا
أعداءهم منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والخصب وأورثهم الله جميع ما كان
تحت أيدى فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أى اللذائذ (فما اختلفوا) فى أمر دينهم
(حتى جاءهم العلم) أى حتى قرأوا التوراة فحينئذ تنبهوا للمسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم
(ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل والصديق من
الزنديق (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق) أى القرآن (من ربك) فيه خبر الأولين (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين
(ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أنفسا وأعمالا وهذا كله خطاب
للنبى ظاهر أو المراد به غيره ممن عنده شك ومثل هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمير وكان
تحت راية ذلك الأمير جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه يوجه الخطاب على ذلك الأمير
ليكون ذلك أقوى تأثيرا فى قلوبهم وقيل هذا الخطاب ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن
الناس فى زمانه كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون فى أمره الشاكون فيه فخاطبهم
الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد
فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الدارى
وكعب الأحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك) أى ثبت عليهم حكمه
بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار (لا يؤمنون) أبدا اذ لا كذب فى كلامه (ولو جاءتهم
كل آية) أى ولو جاءتهم الدلالة التى لا حصر لها لان الدليل لا يهدى الا باعانة الله تعالى (حتى
يروا العذاب الأليم) كدأب آل فرعون وأشباههم (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب ابن عباس كل
ما فى كتاب الله تعالى من ذكر لولا فمعناه هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت فمعناه فما كانت قرية
آمنت فلولا كان من القرون من قبلكم فمعناه فما كان من القرون وتقدير الآية فما كان أهل قرية
آمنوا فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارة العذاب صرفنا عنهم العذاب فى الحياة
الدنيا (ومتعناهم) بمتاع الدنيا بعد صرف العذاب عنهم (الى حين) أى الى وقت انقضاء آجالهم روى
أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه
خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم أربعون ليلة
فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر فى السماء غيم أسود هائل
فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع فى المدينة وسود سطوحهم فخرجوا الى الصحراء

(وان كثيرا من الناس) يريد أهل مكة (عن آياتنا) أى عما يراد بهم (لغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) أى أنزلنا قريظة
والنضير منزل صدق يعنى محمودا مختارا يريد من أرض يثرب ما بين المدينة والشام (ورزقناهم من الطيبات) أى من النخل والثمار ووسعنا
عليهم الرزق (فما اختلفوا) أى فى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وأنه رسول مبعوث (حتى جاءهم



العلم) أى جاءهم حقيقة ما كانوا يعلمونه وهو محمد بنعته وصفته والقرآن وذلك أنهم كانوا يخبرون عن زمانه ونبوته ويؤمنون به فلما أتاهم اختلفوا فكفر به أكثرهم (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) الآية هذا فى الظاهر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشاكين فى الدين وقوله (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) يعنى من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فيشهدون على صدق محمد ويخبرونك بنبوته وباقى الآية والتى تليها خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك) أى وجبت عليهم كلمة العذاب (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) وذلك أنهم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا فقال الله تعالى لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية (حتى يروا العذاب الأليم) فلا ينفعهم
حينئذ الايمان كما لم ينفع فرعون (فلولا كانت قرية) أى فما كانت قرية (آمنت فنفعها ايمانها) وفرقوا
عند نزول العذاب (الا قوم يونس لما آمنوا) عند نزول العذاب (كشفنا عنهم عذاب الخزى) يعنى سخط الله (ومتعناهم الى حين) يريد
حين آجالهم وذلك أنهم لما رأوا الآية التى تدل على قرب العذاب أخلصوا التوبة وترادوا المظالم وتضرعوا الى الله فكشف عنهم العذاب

وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات وكثرت التضرعات وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وخرج يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدونى كذابا وكان كل من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) أى مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه (أفأنت تكره الناس) على ما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) أى لا قدرة لك على التصرف فى أحد (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى وما يتأتى لنفس واحدة أن يقع فيها ايمان فى وقت ما الا بارادة الله و باقداره عليه (ويجعل الرجس) أى الكفر (على الذين لا يعقلون) أى الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الدلائل والمضارع بمعنى الماضى وهو معطوف على مقدر والتقدير فأذن الله لبعضهم فى الايمان وجعل الكفر لبعض آخر (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) أى قل يا أشرف الخلق مخاطبا لاهل مكة تفكروا أى شئ بديع فى السموات والأرض من عجائب صنع الله الدالة على وحدته وكمال قدرته (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وما تنفع الدلائل السماوية والأرضية والرسل المنذرون عن قوم لا يؤمنون فى علم الله تعالى وحكمه (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) أى فما ينتظر المشركون الا عذابا مثل عذاب الأمم الماضية من الكفار (قل فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) لذلك (ثم ننجى رسلنا) أى أهلكنا الأمم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم (والذين آمنوا) لأن العذاب لا ينزل الا على الكفار (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء الذى نجينا الرسل ومن آمن بهم (حقا علينا ننجى المؤمنين) بك يا أشرف الخلق من كل شدة وعذاب وجب ذلك علينا وجوبا بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على خالقه شيئا (قل) لجمهور المشركين (يأيها الناس) أى أهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) الذى أدعوكم اليه أى ان كنتم لا تعرفون دينى فأنا أبينه لكم على سبيل التفصيل (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) فى وقت من الاوقات (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) بقبض أرواحكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى (وأن أقم وجهك للدين) أى وأمرت بتوجيه العقل بالكلية الى طلب الدين و بالاستقامة فى الدين بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح و باستقبال القبلة فى الصلاة (حنيفا) أى مائلا الى الدين ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا فقوله وأمرت أن أكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم وجهك للدين حنيفا اشارة الى الاستغراق فى نور الايمان (ولا تكونن من المشركين) أى وأمرت بأن لا التفت الى غير ذلك الدين فمن عرف مولاه والتفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك الالتفات شركا وهذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله) أى لا تعبد من غير الله (ما لا ينفعك ولا يضرك)

(ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يؤمن جميع الناس فأخبر الله تعالى أنه لا يؤمن الا من سبق لهم من الله السعادة وهو قوله (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى الا بما سبق لها من قضاء الله وقدره (ويجعل الرجس) أى العذاب (على الذين لا يعقلون) أى عن الله أمره ونهيه وما يدعوهم اليه (قل) للمشركين الذين يسألونك الآيات (انظروا ماذا) أى الذى أعظم منها (فى السموات والارض) أى من الآيات والعبر التى تدل على وحدانية الله فتعلموا أن ذلك كله يقتضى صانعا لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ثم بين أن الآيات لا تغنى عمن سبق فى علم الله أنه لا يؤمن فقال (وما تغنى الآيات والنذر) جمع نذير (عن قوم لا يؤمنون) يقول الانذار غير نافع لهؤلاء (فهل ينتظرون) أى يجب أن لا ينتظروا بعد تكذيبك (الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) أى الا مثل وقائع الله فيمن سلف قبلهم من الكفار (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) هذا اخبار عما كان الله يفعل فى الأمم الماضية من انجاء الرسل والمصدقين لهم عما يعذب به من كفر (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء (ننجى المؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم من عذابى (قل يأيها الناس) يريد أهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) أى الذى جئت به (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى بشككم فى دينى فلا أعبد غير الله (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) أى يأخذ أرواحكم وفى هذا تهديد لهم لان وفاة المشركين ميعاد عذابهم وقوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) أى استقم باقبالك على ما أمرت به بوجهك (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)

أى شيئا مالأنه لايتحقق الضر والنفع الامن الله فكأنه قال ولاتدع من دون الله شيئا (وان يمسسك الله بضر) أى بمرض وفقر (فلا كاشف له) أى لامزيل له (الاهو



وان يردك بخير) أى وان يرد بك الخير (فلاراد لفضله) أى لامانع لما تفضل به عليك من رخاء ونعمة (يصيب به) أى بكل واحد مما ذكر (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يأيها الناس) يعني أهل مكة (قد جاءكم الحق) يعني القرآن (من ربكم) وفيه البيان والشفاء (فمن اهتدى) أى من الضلالة (فانما يهتدى لنفسه) يريد من صدق محمدا فانما يحتاط لنفسه (ومن ضل) أى بتكذيبه (فانما يضل عليها) أى انما يكون وبال ضلاله على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أى بحفيظ من الهلاك حتى لاتهلكوا (واتبع مايوحى اليك) من ربك (واصبر حتى يحكم الله) نسخته آية السيف لأن الله حكم بالقتل على المشركين والجزية على أهل الكتاب

﴿تفسير سورة هود عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) أنا الله الرحمن (كتاب) أى هذا كتاب (أحكمت آياته) يعني بعجيب النظم وبديع المعانى ورصين اللفظ (ثم فصلت) أى بينت بالاحكام من الحلال والحرام وجميع مايحتاج اليه (من لدن حكيم) أى فى خلقه (خبير) أى بمن يصدق نبيه وبمن يكذبه (أن لاتعبدوا) أى بأن لا والتقدير هذا كتاب بأن لاتعبدوا (الا الله و) بـ(أن استغفروا ربكم) أى من ذنوبكم السالفة (ثم توبوا اليه) أى من المستأنفة متى وقعت (يمتعكم متاعا حسنا)

فلانافع الاالله ولاضار الاالله ولاحكم الاالله ولارجوع فى الدارين الاالى الله وهذه الجملة عطف على جملة الأمر وهى أقم فتكون داخلة فى صلة أن المصدرية (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) أى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الواضعين للشئ فى غير موضعه وطلب الشبع من الأكل والرى من الشرب لايقدح فى الاخلاص لان وجود الخبز وصفاته كلها بايجاد الله وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله لذلك لايكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الاأن شرط هذا الاخلاص أن لايقع بصر عقله على شئ من هذه الموجودات الاو يشاهد بعين عقله أنها معدومة بذواتها وموجودة بايجاد الله فحينئذ يرى ماسوى الله عدما محضا بحسب أنفسها و يرى نور وجوده تعالى وفيض احسانه عاليا على الكل (وان يمسسك الله بضر) أى ان يصبك بضر كمرض وفقر (فلاكاشف له) أى فلارافع لذلك الضر (الاهو وان يردك بخير فلاراد لفضله) أى وان يرد أن يصيبك بخير فلا دافع لعطيته الذى أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الارادة لأن ارادة الله تعالى قديمة لاتتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل قال الرازى وتقديم الانسان فى اللفظ وهو المشار اليه بالخطاب دليل على أن المقصود هو الانسان أما سائر الخيرات فهى مخلوقة لاجله (يصيب به) أى يخص بالفضل الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) ممن كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أى البالغ الستر للذنوب (الرحيم) أى البالغ فى الاكرام (قل) مخاطبا لأولئك الكفرة لاجل أن تنقطع معذرتهم (يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام (فمن اهتدى) بالايمان به (فانما يهتدى لنفسه) أى فمنفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فانما يضل عليها) أى فوبال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أى بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير فلا يجب على السعى فى ايصالكم الى الثواب وفى تخليصكم من العذاب (واتبع مايوحى اليك) أى يؤمر لك فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على مايطرأ عليك من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالأمر بالقتال (وهو خير الحاكمين) فحكم بالجهاد وبالجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم فى الصبر شعرا فقال

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى
سأصبر حتى يعلم الصبر أننى * صبرت على شئ أمر من الصبر

﴿سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية وألف وسبعمائة وخمس وعشرون كلمة. وستة آلاف وستمائة وخمسة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته) أى نظمت نظما رصيفا متقنا (ثم فصلت) أى جعلت فصولا من دلائل التوحيد والنبوه والاحكام والمواعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أوصلة للفعلين كأنه تعالى يقول أحكمت آياته من عند حكيم أى واضع الشئ بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أى عالم بكيفيات الأمور (أن لاتعبدوا الاالله) فأن تفسيرية لفصلت فانها فى معنى القول (اننى لكم منه) أى من جهة الحكيم الخبير (نذير) بعذابه ان عبدتم غير الله تعالى (وبشير) بثوابه ان تمحضتم فى عبادته (وأن استغفروا ربكم) معطوف على أن لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) أى اطلبوا من ربكم ستر ماسلف منكم من الشرك ثم أقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (يمتعكم متاعا حسنا

ألى أجل مسمى) أى يعشكم عيشا مرضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر أعماركم فمن أخلص لله فى القول والعمل عاش فى أمن من العذاب وراحة مما يخشاه ومن اشتغل بمحبة الله كان انقطاعه عن الخلق أكمل وسروره أتم لانه آمن من زوال محبوبه ومن كان مشتغلا بحب غير الله كان أبدا فى ألم الخوف من فوات المحبوب (ويؤت) أى يعط فى الدنيا وفى الآخرة (كل ذى فضل) فى الاسلام والطاعة (فضله) أى ثوابه (وان تولوا) أى تعرضوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة (فانى أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يو القيامة (الى الله مرجعكم بالموت ثم البعث للجزاء (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبكم بأفانين العذاب (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم) أى تنبه أن الكفار يضمرون خلاف مايظهرون ليستخفوا من الله تعالى حين يغطون رؤسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى الاخنس بن شريق وأصحابه من منافقى مكة وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة و يضمر فى قلبه العداوة (يعلم مايسرون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم (انه عليم بذات الصدور) أى انه تعالى مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدرهم فلا فائدة لهم فى استخفائهم (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) أى غذاؤها اللائق بها روى أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفى فيها شئ يجرى مجرى الغذاء لها ورفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول سبحان من يرانى و يسمع كلامى و يعرف مكانى و يذكرنى ولاينسانى (و يعلم مستقرها) أى مكانها فى الأرض قبل الموت و بعده (ومستودعها) أى موضعها قبل الاستقرار من صلب أورحم أو بيضة (كل) من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها وأحوالها (فى كتاب مبين) أى ثابت فى علم الله ومذكور فى اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) أى خلق السموات فى يومين والأرض فى يومين وماعليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك فى يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) قال صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شئ ثم كان عرشه على الماء أى والعرش الذى هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك يدل على كمال قدرته تعالى (ليبلوكم) أى خلق السموات والأرض ومافيهما ورتب فيهما جميع ماتحتاجون اليه من مبادى وجودكم وأسباب معايشكم وأودع فيهما ماتستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن عملا) أى أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به (ولئن قلت) ياأشرف الخلق لأهل مكة (انكم مبعوثون) أى محيون (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا الاسحر مبين) أى ماهذا القول الا خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واحرازا لهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم

أى يتفضل عليكم بالرزق والسعة (الى أجل مسمى) يعنى أجل الموت (ويؤت كل ذى فضل) أى يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته (فضله) يعنى الجنة وهى فضل الله (وان تولوا) أى تتولوا عن الايمان فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهو يوم القيامة (ألا انهم يثنون صدورهم) نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم بنا فأنزل الله (ألا انهم يثنون صدورهم) أى يعطفونها و يطوونها على عداوة محمد (ليستخفوا منه) أى ليتواروا عنه و يكتموا عداوته (ألاحين يستغشون ثيابهم) أى يتدثرون بها (يعلم مايسرون ومايعلنون) أعلم الله تعالى أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهراتهم (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى النفوس من الخير والشر (وما من دابة) أى حيوان يدب (فى الأرض الا على الله رزقها) فضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) أى حيث تأوى اليه (ومستودعها) أى حيث تموت (كل فى كتاب) يريد اللوح المحفوظ والمعنى ان ذلك ثابت فى علم الله تعالى (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ذكرنا تفسيره فى سورة الاعراف (وكان عرشه على الماء) يعنى قبل خلق السموات والارض (ليبلوكم) أى خلقهما لكى يختبركم بالمصنوعات فيهما من آياته ليعلم احسان المحسن واساءة المسئ وهو قوله (أيكم أحسن عملا) أى أعمل بطاعة الله (ولئن قلت) أى للكفار بعد خلق الله السموات والارض و بيان قدرته (انكم مبعوثون من بعد الموت) كذبوا بذلك وقالوا (ان هذا الاسحر) أى باطل وخداع

وقرأ حمزة والكسائى الاساحر أى كاذب وحينئذ فاسم الاشارة عائد على النبى أو القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الذى هددهم الرسول صلى الله عليه وسلم به (الى أمة معدودة) أى الى انقراض جماعة من الناس بعد هذا التهديد بالقول (ليقولن) بطريق الاستعجال استهزاء (مايحبسه) أى أى شئ يمنع العذاب من المجئ الينا (ألا) أى تنبهوا (يوم يأتيهم) أى العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى فلا يرفع رافع أبدا عذاب الآخرة ولا يدفع عنهم دافع عذاب الدنيا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى أحاط بهم ذلك العذاب (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) أى أعطيناه نعمة كغنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤوس) أى قاطع رجاءه من عود أمثالها لقلة صبره وعدم ثقته بالله (كفور) أى عظيم الكفران لما سلف من النعم (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وفرج بعد شدة (ليقولن ذهب السيئات عنى) أى المصائب التى تحزننى (انه لفرح) أى بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس بما أوتى من النعم مشغول بذلك عن الشكر (الا الذين صبروا) عند البلاء استسلاما لقضاء الله (وعملوا الصالحات) عند الراحة والخير شكرا على ذلك (أولئك لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وان جمت (وأجر) أى ثواب (كبير) لاعمالهم الحسنة (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك) فلعل للزجر والتبعيد أى لا تترك تبليغ بعض مايوحى اليك من البينات الدالة على حقيقة نبوتك ولا يضق صدرك بتلاوته عليهم فى أثناء الدعوة والمحاجة كراهة (أن يقولوا لولا أنزل عليه) أى على محمد (كنز) أى مال كثير مخزون يدل على صدقه (أو جاء معه ملك) يصدقه والمعنى لا تترك التبليغ ولا يضق صدرك به بسبب قول القوم لك ان كنت صادقا فى انك رسول الاله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ و بأنك عزيز عنده مع انك فقير فهلا أنزل عليك ماتستغنى به وتغنى أحبابك من الكد والعناء وان كنت صادقا فهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة فى أمرك فلما لم يفعل الهك ذلك فأنت غير صادق فنزل قوله تعالى (انما أنت نذير) فلا تبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شئ وكيل) أى حفيظ فتوكل عليه فى جميع أمورك فانه فاعل بهم مايليق بحالهم (أم يقولون افتراه) أى بل أيقولون افترى محمد القرآن من تلقاء نفسه وليس من عند الله (قل) لهم ارخاء للعنان ان كان الأمر كما تقولون (فأتوا بعشر سور مثله) أى القرآن فى البلاغة وحسن النظم (مفتريات) من عند أنفسكم فانكم أقدر ذلك منى لانكم عرب فصحاء ممارسون للاشعار ومزاولون أنواع النظم والنثر (وادعوا) للمعاونة فى المعارضة (من استطعتم من دون الله) أى من الأصنام (والكهنة

---

(ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) أى الى أجل وحين معلوم (ليقولن مايحبسه) أى مايحبس العذاب عنا تكذيبا واستهزاء فقال الله تعالى (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) أى اذا أخذتهم سيوف المسلمين لم تغمد عنهم حتى تبار أهل الكفر وتعلو كلمة الاخلاص (وحاق) أى نزل وأحاط (بهم) جزاء (ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب والقتل (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الوليد بن المغيرة (منا رحمة) أى رزقا (ثم نزعناها) أى سلبناها (منه انه ليؤوس) أى موئس قانط (كفور) أى كافر بالنعمة يريد انه لجهله بسعة رحمة الله يستشعر القنوط واليأس عند نزول الشدة (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى) الآية معناها أنه يبطر فينسى حالة الشدة ويترك حمد الله على ماصرف عنه وهو قوله ليقولن ذهب السيئات عنى أى فارقنى الضر والفقر (انه لفرح فخور) أى يفاخر المؤمنين بما وسع الله عليه ثم ذكر المؤمنين فقال (الا الذين) يعنى لكن الذين (صبروا) أى على الشدة والمكاره (وعملوا الصالحات) أى فى السراء والضراء (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك) الآية قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك وقال بعضهم هلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالصدق أو تعطى كنزا تستغنى به أنت واتباعك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع سب آلهتهم فأنزل الله تعالى (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) أى لعظيم مايرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك (وضائق به صدرك أن يقولوا) أى ضائق به صدرك بأن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير) عليك أن تنذرهم وليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون (والله على كل شئ وكيل) أى حافظ لكل شئ (أم يقولون) بل يقولون (افتراه) أى افترى القرآن فأتى به من قبل نفسه (قل فأتوا بعشر سور مثله) أى مثل القرآن فى البلاغة (مفتريات) أى بزعمكم (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى للمعاونة على المعارضة .

والكهنة (ان كنتم صادقين) فى ادعاء كون القرآن مفترى على الله (فان لم يستجيبوا) أى من تدعونهم من دون الله (لكم) أيها الكفار فى الاعانة على المعارضة (فاعلموا) يامعشر الكفار (أنما أنزل بعلم الله) أى ان الذى أنزل ملتبس بعلم الله أى هو من عند الله اذلو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدر واعليه ثبت انه من عند الله (وأن لا اله الا هو) أى واعلموا أنه لاشريك له فى الالوهية ولا يقدر على مايقدر هو عليه أحد أى لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فى دعوى الرسالة وفى خبره انه لا اله الا الله (فهل أنتم مسلمون) أى فهل أنتم داخلون فى الاسلام والمعنى فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون فى ملماتكم الى المعاونة فاعلموا أن القرآن خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر واعلموا أيضا أن آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة فى الألوهية فهل أنتم داخلون فى الاسلام بعد قيام هذه الحجة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) بعمل الخير من العبادات وايصال المنفعة الى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم ثمرات أعمالهم فى الحياة الدنيا كاملة (وهم فيها) أى فى الحياة الدنيا (لا يبخسون) أى لا ينقصون نقصا كليا ولا يحرمون من ذلك حرمانا كليا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك (أولئك) أى المريدون لزينة الدنيا الموفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) بسبب هذه الأعمال الفاسدة المقرونة بالرياء روى أن رسول الله ﷺ قال تعوذوا بالله من جب الحزن قيل وما جب الحزن قال واد فى جهنم يلقى فيه القراء المراؤون وقال ﷺ أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه (وحبط ماصنعوا فيها) وهذا ان تعلق بحبط فالضمير عائد على الآخرة أى وظهر فى الآخرة حبط ماصنعوه من الأعمال وان تعلق بصنعوا فالضمير يعود على الحياة الدنيا أى وحبط ماصنعوه فى الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) فباطل اماخبر مقدم ومابعده مبتدأ مؤخر أو عطف على الخبر ومابعده فاعل له ويرجح هذا قراءة زيد بن على وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الماضى معطوف على حبط أى ظهر بطلان عملهم فى نفسه فى أثناء تحصيل المطالب الدنيوية وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية أو فى معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) أى أفمن كان على برهان من ربه عرف به صحة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل مجيء الشاهد الذى هو القرآن شاهد آخر وهو كتاب موسى حال كونه مقتدى به فى الدين وسببا لحصول الرحمة لأنه يهدى الى الحق فى الدنيا والدين كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها فى انهم ليس لهم فى الآخرة الا النار لا بل بين الفريقين تباين بين فالحاصل انه اجتمع فى تثبيت صحة هذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية اليقينية على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين فى القوة والجلاء الى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى فى صحته شك (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الجيدة (يؤمنون به) أى بالقرآن كعبد الله بن سلام وغيره ممن اتصف

(ان كنتم صادقين) أنه افتراه (فان لم يستجيبوا لكم) أى فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة ولا تهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أى أنزل والله عليم بانزاله وعالم أنه من عنده (فهل أنتم مسلمون) استفهام معناه الأمر كقوله فهل أنتم منتهون (من كان يريد الحياة الدنيا) أى من كان يريدها من الكفار فلا يؤمنوا بالبعث ولا بالثواب والعقاب (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى جزاء أعمالهم فى الدنيا يعنى ان من أتى من الكافرين فعلا حسنا من اطعام جائع أو كسوة عار أو نصر مظلوم من المسلمين عجل له ثواب ذلك فى دنياه بالزيادة فى ماله (وهم فيها) أى فى الدنيا (لا يبخسون) أى لا ينقصون ثواب مايستحقون فاذا وردوا الآخرة وردوا على عاجل الحسرة اذلا حسنة لهم هنالك وهو قوله (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون أفمن كان) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (على بينة) بيان (من ربه) وهو القرآن (ويتلوه شاهد) يعنى جبريل (منه) أى من الله يريد أنه يتبعه ويؤيده ويشهده (ومن قبله) أى ومن قبل القرآن (كتاب موسى) أى التوراة يتلوه فى التصديق لأن موسى بشر به فى التوراة فالتوراة تتلو النبى ﷺ فى التصديق وقوله (اماما ورحمة) يعنى ان كتاب موسى كان اماما لقومه ورحمة وتقدير الآية أفمن كان بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة فترك ذكر المضاد له (أولئك يؤمنون به) يعنى من آمن به من أهل الكتاب

بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له فى الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أى بالقرآن (من الأحزاب) أى أصناف الكفار (فالنار موعده) أى مكان وعده وهى التى فيها مالا يوصف من أفانين العذاب روى سعيد بن جبير عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال لا يسمع ابن يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى الا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت فى نفسى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك) أى فلاتك فى شك من القرآن انه الحق من ربك نزل به جبريل أو المعنى فلاتك فى شك من أن مصير من كفر بالقرآن النار ان هذا الوعد هو الثابت ممن يربيك فى دينك ودنياك والخطاب للنبى والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما لاختلال أفكارهم و إما لعنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب اليه مالا يليق به كقولهم فى الأصنام انها شفعاؤهم عند الله (أولئك) الموصوفون بالافتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضا تظهر به فضيحتهم أى يساقون الى الأماكن المعدة للحساب والسؤال (و يقول الأشهاد) من الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم فى الدنيا والأنبياء عند العرض (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليه ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم فى القيامة أخبر عن حالهم فى الحال بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالتزام الكفر والضلال أى انهم فى الحال ملعونون من عند الله (الذين يصدون عن سبيل الله) أى الذين يمنعون من الدين الحق كل من يقدرون على منعه بالقاء الشبهات (و يبغونها عوجا) أى يطلبون سبيل الله زيغا بتعويج الدلائل المستقيمة (وهم) أى والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أى بالبعث بعد الموت جاحدون (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) أى لا يمكنهم أن يفلتوا بأنفسهم من عذاب الله بالهرب من الأرض مع سعتها ان أراد الله تعذيبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى أنصار يدفعون عذاب الله عنهم أى ان عدم نزول العذاب ليس لأجل أنهم قدروا على منع الله من انزال العذاب بالفرار ونحوه ولا لأجل أن لهم ناصرا يمنع العذاب عنهم كما زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله بل لأنه تعالى أمهلهم كى يتوبوا عن كفرهم فاذا أبوا الا الثبات عليه فلابد من مضاعفة العذاب فى الآخرة كما قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أى فيعذبون فى الآخرة على ضلالهم فى أنفسهم وعلى اضلالهم غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقرأ ابن كثير وابن عامر و يعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا تعليل لمضاعفة العذاب أى لانهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى فانهم اشتروا عبادة الاصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من شفاعة الاصنام لهم فلم يبق معهم غير الندامة (لاجرم) أى لابد (أنهم فى الآخرة هم الأخسرون) بذهاب الجنة ومافيها أى أنهم أخسر من كل خاسر لانهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى ان الذين آمنوا بكل مايجب الايمان به وأتوا بالأعمال الصالحات واطمأنت قلوبهم عند أداء الاعمال الى ذكر الله فارغة عن الالتفات الى ماسوى الله تعالى واطمأنت الى صدق وعد الله بالثواب على تلك الاعمال وخافت قلوبهم من أن يكونوا أتوا بتلك الاعمال مع وجود الاخلال ومن أن لاتكون مقبولة (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) أى صفة الكافر كصفة شخص متصف بالعمى والصمم

ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعنى أهل مكة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فجعل له ولدا وشريكا (أولئك يعرضون على ربهم) أى يوم القيامة (و يقول الأشهاد) وهم الانبياء والملائكة والمؤمنون (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله) أى ابعاده من رحمته (على الظالمين) أى المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) تقدم تفسير هذه الآية (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) أى سابقين فائتين يعنى لم يعجزونا أن نعذبهم فى الدنيا ولكن أخرنا عقوبتهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى يمنعونهم من عذاب الله (يضاعف لهم العذاب) أى لاضلالهم الاتباع (ما كانوا يستطيعون السمع) أى لانى حلت بينهم و بين الايمان فكانوا صما عن الحق فلا يسمعونه وعميا عنه فلا يبصرونه ولا يهتدون اليه (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى بأن صاروا الى النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى بطل افتراؤهم فى الدنيا فلم ينفعهم شيئا (لاجرم) أى حقا (انهم فى الآخرة هم الأخسرون) وقوله (أخبتوا الى ربهم) أى اطمأنوا وسكنوا وقيل تابوا (مثل الفريقين) أى فريق الكافرين وفريق المسلمين (كالاعمى والأصم) وهو الكافر (والبصير والسميع) وهو المؤمن

والصمم فلا يهتدى لمقصوده وصفة المؤمن كصفة شخص متصف بالبصر والسمع فاهتدى لمطلوبه (هل يستويان مثلا) أى صفة وحالا (أفلا تذكرون) أى أتشكون فى عدم الاستواء ولا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير) للعصاة من العقاب (مبين) أى بين النذارة فأبين لكم طريق الخلاص من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى أنى بفتح الهمزة أى متلبسا بالانذار والباقون بالكسر على معنى فقال انى لكم (أن لا تعبدوا الا الله) بدل من أنى لكم الخ على قراءة الفتح ومجرور بالباء المقدرة التى للتعدية المتعلقة بأرسلنا (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فى الدنيا أو فى الآخرة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى الأشراف منهم (مانراك الا بشرا مثلنا) أى مانعلمك الا آدميا مثلنا ليس فيك مزية تخصك بوجوب الطاعة علينا (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أى أخساؤنا كالحجامين والنساجين والأساكفة (بادى الرأى) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائى بادئ بالهمزة والباقون بالياء ونصبه على الظرفية أى فى ابتداء حدوث الرأى ولو احتاطوا فى الكفر مااتبعوك أو فى ظاهر رأى العين (ومانرى لكم علينا من فضل) أى لا نرى لك ولمن تبعوك بعد الاتباع فضلا علينا لا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) أى بل نظنك يانوح فى دعوى النبوة ونظن أصحابك كاذبين فى تصديق نبوتك (قال) أى نوح (ياقوم أرأيتم) أى أخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) أى على برهان عقلى فى معرفة ذات الله وصفاته ومايجب ومايمتنع ومايجوز عليه (وآتانى رحمة من عنده) أى نبوة ومعجزة دالة على النبوة (فعميت عليكم) أى وصار ذلك البرهان مشكوكا فى عقولكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) أى فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون الى معرفة ذلك البرهان وأنتم منكرون له والمعنى انكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس أخبرونى ان امتزت عنكم بحيازة فضيلة من ربى وهى دليل العقل وآتانى بحسبها نبوة من عنده فخفى عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتى لها الى الآن حتى زعمتم أنى مثلكم وهى متحققة فى نفسها أنلزمكم قبول نبوتى التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام لطلب الاقرار وحاصل الكلام أنهم لما قالوا ومانرى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام أن ذلك بسبب أن الحجة عميت عليكم واشتبهت فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتم فى الدليل لظهور المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وأنا لا أقدر على اعطائكم الالهام والمعرفة فى تلك الحجة وانما أقدر على أن أدعوكم الى الله (و ياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) أى قال نوح عليه السلام أنا لا أطلب منكم على تبليغ دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وما أجرى على هذه الطاعة الا على رب العالمين وان ظننتم انى انما اشتغلت بهذا التبليغ لأجل أخذ أموالكم فهذا الظن منكم خطأ وانما أسعى فى طلب الدين لا فى طلب الدنيا وهذا يوجب فضلى عليكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم لى امنع واطرد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحى أن نجلس معهم فى مجلسك (انهم ملاقوا ربهم) أى انهم فائزون فى

(هل يستويان مثلا) أى فى المثل أى هل يتشابهان (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون ياأهل مكة (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) أى فقال لهم انى لكم نذير مبين (أن لا تعبدوا الا الله) أى انى أنذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره (انى أخاف عليكم) أى بكفركم (عذاب يوم أليم) مؤلم (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) وهم الأشراف والرؤساء (مانراك الا بشرا مثلنا) أى انسانا مثلنا لا فضل لك علينا (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أى أخساؤنا يعنون الذين لا شرف لهم ولا مال (بادى الرأى) أى اتبعوك فى ظاهر الرأى و باطنهم على خلاف ذلك (ومانرى لكم) يعنون لنوح وقومه (علينا من فضل) وهذا تكذيب منهم لأن الفضل كله فى النبوة (بل نظنكم كاذبين) أى ليس ماأتيتنا به من الله (قال ياقوم أرأيتم) أى أعلمتم (ان كنت على بينة من ربى) أى يقين و برهان (وآتانى رحمة من عنده) أى نبوة (فعميت) نخفيت (عليكم) لان الله سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق (أنلزمكموها) أى أنلزمكم قبولها ونضطركم الى معرفتها اذ كرهتم (و ياقوم لا أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) سألوه طرد المؤمنين عنه ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء فقال لا يجوز لى طردهم اذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بايمانهم و يأخذ لهم من ظالمهم وصغر شؤونهم وهو قوله (انهم ملاقوا ربهم

ولكنى أريكم قوما تجهلون) أى ان هؤلاء خير منكم لايمانهم وكفركم (وياقوم من ينصرنى من الله) أى من يمنعنى من عذاب الله (ان طردتهم أفلاتذكرون ولاأقول لكم  عندى خزائن الله) يعنى مفاتيح الغيب وهذا جواب لقولهم اتبعوك فى ظاهر ماترى منهم وهم فى الباطن على خلافك فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله أى غيوب الله (ولاأعلم الغيب) أى مايغيب عنى مما يسترونه فى نفوسهم فسبيلى قبول ماظهر منهم (ولاأقول انى ملك) جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا (ولاأقول للذين تزدرى) أى تستصغر وتستخس (أعينكم) يعنى المؤمنين (لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم) أى بضمائرهم وليس على أن أطلع على مافى نفوسهم (انى اذا لمن الظالمين) أى ان طردتهم تكذيبا لهم بعد ماظهر لى منهم الايمان وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم ويوقع الغى فى قلوبكم لما سبق لكم من الشقاء (هو ربكم) أى خالقكم وسيدكم فله أن يتصرف فيكم كيفما شاء (أم يقولون) أى بل يقولون (افتراه) أى اختلق ماأتى به من الوحى (قل ان افتريته فعلى اجرامى) أى عقوبة جرمى (وأنابرىء مما تجرمون) أى من الكفر والتكذيب وقوله (فلاتبتئس) أى لاتحزن ولاتغتم (واصنع الفلك بأعيننا) أى بمرأى مناوتأويله بحفظنا اياك أى حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك (ووحينا) وذلك انه لم يعلم صنعة الفلك حتى أوحى الله اليه كيف يصنعها (ولاتخاطبنى) أى لاتراجعنى ولاتحاورنى (فى الذين ظلموا) أى فى امهالهم وتأخير العذاب عنهم وقوله

الآخرة بلقا الله تعالى فان طردتهم استخصمونى فى الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) ان منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وان طردهم يوجب غضب الله تعالى (وياقوم من ينصرنى من الله) أى بدفع نزول سخطه عنى (ان طردتهم) فان الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلاتذكرون) أى أتأمرونى بطردهم فلاتتعظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أدعى النبوة (عندى خزائن الله) أى رزقه وأمواله وهذا رد لقولهم ومانرى لكم علينا من فضل كالمال (ولاأعلم الغيب) أى ولاأقول انى أعلم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد وهذا رد لقولهم ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى أى فى ظاهر حالهم وأول فكرهم وفى الباطن لم يتبعوك فقال نوح لهم انى انما أعول على الظاهر لانى لاأعلم الغيب فاحكم به (ولاأقول انى ملك) رد لقولهم مانراك الا بشرا مثلنا فكأن نوحا قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ذلك أى انكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة الى تكذيبى والحال انى لاأدعى شيئا من ذلك ولا الذى أدعيه يتعلق بشىء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر (ولاأقول للذين تزدرى أعينكم) أى ولاأقول كما تقولون فى حق الذين تحتقرهم أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) أى هداية وأجرا (الله أعلم بما فى أنفسهم) أى بما فى قلوبهم من الايمان (انى اذا) أى اذا قلت ذلك (لمن الظالمين) لنفسى ولهم فى وصفهم بأنهم لاخير لهم مع أن الله أعطاهم خيرى الدارين (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أى فأتيت بأنواع الجدال (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيما تقول (قال) أى نوح (انما يأتيكم به الله) أى ان الاتيان بالعذاب الذى تستعجلونه أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله تعالى (ان شاء وما أنتم بمعجزين) أى بمانعين من العذاب بالهرب أو بالمدافعة كما تدفعوننى فى الكلام (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد الله أن يغويكم) أى ان كان الله يريد أن يضلكم عن الهدى فان أردت أن أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوحيد لاينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هو ربكم) أى مالك التصرف فى ذواتكم وفى صفاتكم قبل الموت وعند الموت (واليه) تعالى (ترجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه) أى بل أيقول قوم نوح ان نوحا افترى بما أتانا به من عند نفسه مسندا الى الله تعالى (قل) يانوح (ان افتريته) أى ان اختلقت الوحى الذى بلغته اليكم من تلقاء نفسى (فعلى اجرامى) أى فعلى عقاب اكتسابى للذنب وان كنت صادقا وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب (وأنابرىء مما تجرمون) أى من عقاب كسبكم الذنب باسناد الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلاتبتئس بما كانوا يفعلون) أى فلاتحزن بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والايذاء فى هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة ملتبسا بابصارنا لك وتعهدنا بتعليمك كيفية صنعها (ووحينا) أى وبأمرنا لك (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لاتدعنى باستدفاع العذاب عنهم أو المعنى لاتراجعنى فى نجاة الذين كفروا ابنك كنعان وامرأتك راعلة (انهم مغرقون) أى محكوم عليهم بالاغراق بالطوفان (ويصنع الفلك) أى أقبل نوح يصنعها

وجعل

وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء القار وكل ما يحتاج اليه في عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره (وكلما مر عليه ملأ من قومه) أي طبقة من كبرائهم (سخروا منه) أي كانوا يتضاحكون لعمله السفينة ويقولون يا نوح كنت تدعي رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا وكان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جدا وكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اليوم منا أي ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب في الدنيا يهينه وهو عذاب الغرق من هو أحق بالسخرية ومن هو أحمد عاقبة (ويحل عليه عذاب مقيم) أي وأينا ينزل عليه عذاب النار الدائم في الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا) أي عذابنا الموعود به (وفار التنور) أي نبع الماء من تنور الخبز وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها روي أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تقمر فيه الخبز فصار الى نوح وكان من حجارة وهو في الكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة في المسجد (قلنا احمل فيها) أي السفينة (من كل زوجين اثنين) وقرأ حفص من كل بالتنوين أي من كل شيء زوجين اثنين كل منهما زوج للآخر والجمهور على الاضافة أي من كل فردين متزاوجين اثنين بأن تحمل من الطير ذكرا وأنثى ومن الغنم ذكرا وأنثى وهكذا وتترك الباقي والمراد من الحيوانات التي تنفع والتي تلد أو تبيض فيخرج المضرات والتي تنشأ من العفونة والتراب كالدود والقمل والبق والبعوض (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة حفص وعلى اثنين على قراءة غيره (الا من سبق عليه القول) بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فانهما كانا كافرين فحمل في السفينة زوجته المؤمنة وأولادها الثلاثة مع نسائهم سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك (ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واحمل من آمن من غير أهلك (وما آمن معه الا قليل) وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال مقاتل في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين (اركبوا فيها بسم الله) أي اركبوا في السفينة ذاكرين اسم الله (مجريها ومرسيها) أي وقت جريها وارسائها قيل كان نوح عليه السلام اذا أراد أن يجريها يقول بسم الله فتجري واذا أراد أن يرسيها يقول بسم الله فترسو (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته تعالى ورحمته اياكم لما نجاكم لانكم لا تنفكون عن أنواع الزلات (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الرياح الشديدة في ذلك الوقت قال علماء السير أرسل الله تعالى المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير السفينة (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب

من العذاب (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي فسوف تعلمون من أخسر عاقبة (حتى اذا جاء أمرنا) أي بعذابهم واهلاكهم (وفار التنور) بالماء يعني تنور الخابز وذلك كان علامة لنوح فركب السفينة (قلنا احمل فيها) أي في الفلك (من كل زوجين) أي من كل شيء له زوج (اثنين) ذكرا وأنثى (وأهلك) أي واحمل أهلك أي ولدك وعيالك (الا من سبق عليه القول) يعني من كان في علم الله أنه يغرق بكفره وهو امرأته واعلة وابنه كنعان (ومن آمن) أي واحمل من صدقك (وما آمن معه الا قليل) ثمانون انسانا (وقال) نوح لقومه الذين أمر بحملهم (اركبوا) يعني الماء (فيها) في الفلك (بسم الله مجريها ومرسيها) يريد تجري باسم الله وترسى باسم الله فكان اذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله جرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست أي ثبتت (ان ربي لغفور) لأصحاب السفينة (رحيم) بهم (وهي تجري بهم في موج) جمع موجه وهو ما يرتفع من الماء (كالجبال) في العظم (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان كافرا (وكان في معزل) عن السفينة يعني في ناحية بعيدة عنها

بار كبوا(يابنى اركب معنا) فى السفينة (ولاتكن مع الكافرين) أى فى المكان وهو وجه الأرض خارج السفينة لافى الدين لأن نوحا عليه السلام يحذر ابنه عن الهلكة لاينهى عن الكفر فى ذلك الوقت ( قال سآوى) أى ألتجئ (الى جبل يعصمنى من الماء) لارتفاعه (قال)أى نوح(لاعاصم اليوم من أمر الله) أى عذابه (الامن رحم) أى الاالله الراحم والتقدير لافرار من الله الاالى الله وهذا تأويل فى غاية الحسن وقيل لامكان يعصم من عذاب الله الامكان من رحمة الله وهو السفينة وقيل لاذا عصمة الامن رحمه الله (وحال بينهما الموج) أى حال الموج بين نوح وابنه كنعان (فكان من الغرقين ) أى فصار كنعان من المهلكين بالطوفان (وقيل) أى قال الله (ياأرض ابلعى ماءك) أى أنشفى ماعلى وجهك من ماء الطوفان (و ياسماء أقلعى) أى أمسكى عن ارسال المطر ( وغيض الماء) أى ونقص مابين السماء والأرض من الماء (وقضى الأمر) أى أتم الأمر من هلاك قوم نوح ( واستوت ) أى استقرت الفلك (على الجودى) أى على جبل بالجزيرة قريب من الموصل يقال له الجودى وكان ذلك الجبل منخفضا روى أنه عليه السلام ركب فى الفلك فى عاشر رجب ومرت بالبيت الحرام فطافت به سبعا ونزل عن الفلك عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وأمر من معه بصيامه شكرالله تعالى و بنوا قرية بقرب ذلك الجبل فسموها قرية الثمانين فهى أول قرية عمرت على الأرض بعد الطوفان (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى قال نوح وأصحابه بعدوا بعدا من رحمة الله للقوم المشركين بحيث لايرجى عودهم وهذا الكلام جار مجرى الدعاء عليهم لأن الغالب ممن يسلم من الأمر الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام(ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى) كنعان (من أهلى)وقد وعدتنى انجاءهم فى ضمن قولك واحمل أهلك(وان وعدك الحق) أى ان كل وعد تعده لايتطرق اليه خلف (وأنت أحكم الحاكمين) أى لانك أعدل الحاكمين وهذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام فى غاية التلطف وهو مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (قال)أى الله تعالى(يانوح انه) أى هذا الابن الذى سألتنى نجاته (ليس من أهلك)الذى وعدتك أن أنجيهم معك (انه عمل غير صالح) أى لأن هذا الابن ذو عمل غير مرضى وقرأ الكسائى و يعقوب عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أى لانه عمل عملا غير مرضى وهو الشرك (فلا تسألن ماليس لك به علم) أى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى مطلبا لاتعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) أى انى أنهاك عن أن تكون من الجاهلين بالسؤال سمى سؤاله عليه السلام جهلا لان حب الولد شغله عن تذكر استثناء من سبق عليه القول منهم بالاهلاك (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم) أى أعوذ بك من أن أطلب منك من بعد هذا مطلوبا لاأعلم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفرلى) جهلى واقدامى على سؤال ماليس لى به علم(وترحمنى) بقبول توبتى (أكن من الخاسرين) أعمالا وليس فى الآيات مايقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى اقدامه على سؤال مالم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية وانما لجأ الى الله تعالى وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقربين ( قيل ) أى قال الله ( يانوح اهبط ) أى انزل من السفينة (بسلام) أى ملتبسا بأمن من جميع المكاره المتعلقة بالدين (منا و بركات عليك

(قال سآوى)أنضم (الى جبل يعصمنى) يريد يمنعنى (من الماء)فلاأغرق(قال) نوح(لاعاصم اليوم من أمر الله) يعنى لامانع اليوم من عذاب الله (الامن رحم) أى لكن من رحم الله فانه معصوم (وحال بينهما) أى بين نوح و بين الجبل (الموج )أى ماارتفع من الماء(وقيل ياأرض ابلعى ) أى اشربى(ماءك و ياسماء أقلعى ) أى أمسكى عن انزال الماء (وغيض الماء) أى نقص(وقضى الأمر ) أى أهلك قوم نوح وفرغ من ذلك (واستوت ) السفينة (على الجودى ) وهوجبل بالجزيرة (وقيل بعدا ) أى من رحمة الله (للقوم الظالمين ) أى المتخذين من دونه الها ( ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى ) يعنى كنعان (من أهلى وان وعدك الحق) أى وعدتنى أن تنجينى وأهلى فأنجه من الغرق ( وأنت أحكم الحاكمين ) أى أعدل العادلين (قال يانوح انه ليس من أهلك) الذين وعدتك أن أنجيهم (انه عمل غير صالح ) أى ان سؤالك اياى أن أنجى كافرا عمل غير صالح وقيل معناه ان ابنك ذو عمل غير صالح (فلا تسألنى ماليس لك به علم) وذلك أن نوحا لم يعلم أن سؤاله ربه نجاة ابنه محظور عليه مع اصراره على الكفر حتى أعلمه الله ذلك والمعنى أنهاك فلا تسألنى ماليس لك به علم بجواز مسألته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) أى أنهاك أن تكون من الآثمين فاعتذر نوح لما أعلمه الله أنه لايجوز له أن يسأل ذلك (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى ) جهلى (وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط) من السفينة الى الارض (بسلام) أى بسلامة وقيل بتحية (منا و بركات عليك) وذلك

أنه صار أبا البشر لأن جميع من بقي كانوا من نسله (وعلى أمم ممن معك) أي من أولادهم وذراريهم وهم المؤمنون وأهل السعادة الى يوم القيامة (وأمم سنمتعهم) في الدنيا يعني الأمم الكافرة من ذريته الى يوم القيامة (تلك) أي القصة التي أخبرتك بها (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك وعن قومك (فاصبر) أي كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة للمتقين) أي آخر الأمر بالظفر لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح وقوله (ان أنتم الا مفترون) ما أنتم الا كاذبون في اشراككم معه الأوثان وقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي كثير الدر يعني المطر (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعني المال والولد وكان الله قد حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نسائهم فقال لهم هود ان آمنتم أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد قالوا منكرين نبوته (يا هود ما جئتنا ببينة) أي بحجة واضحة وقوله (الا اعتراك) أي أصابك ومسك (بعض آلهتنا بسوء) أي بجنون فأفسد عقلك فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير ف(قال) نبي الله عند ذلك (اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه) أي اذا كانت عندكم الأصنام عاقبتني لطعني عليها فاني أزيد الآن في الطعن وقوله (فكيدوني جميعا) أي احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي (ثم لا تنظرون) أي لا تؤجلوني وقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي هي في قبضته وتنالها بما شاء قدرته (ان ربي على صراط مستقيم) أي الذي بعثني الله به دين مستقيم (فان تولوا) أي تتولوا بمعنى تعرضوا أي عما دعوتكم اليه من الايمان (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) أي فقد ثبتت الحجة عليكم بابلاغي (ويستخلف ربي قوما غيركم) أي ويخلق بعدكم من هو أطوع له منكم (ولا تضرونه) أي باعراضكم (شيئا) انما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شيء) من أعمال العباد (حفيظ) حتى يجازيهم عليها

أي خيرات نامية عليك وهذا بشارة من الله تعالى بالسلامة من التهديد وبنيل الحاجات من المأكول والمشروب (وعلى أمم ممن معك) أي وعلى أمم مؤمنة ناشئة من الذين معك الى يوم القيامة (وأمم) كافرة متناسلة ممن معك (سنمتعهم) مدة في الدنيا (ثم) في الآخرة (يمسهم منا عذاب أليم) فقوله وأمم مبتدا وجملة قوله سنمتعهم خبر (تلك من أنباء الغيب) أي تلك التفاصيل التي بيناها من الأخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحيها) أي تلك الأخبار (اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل ايحائنا اليك بنزول القرآن (فاصبر) على أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة) أي آخر الأمر بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة (للمتقين) كما عرفته في نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة (والى عاد أخاهم) أي ولقد أرسلنا الى عاد واحدا منهم في النسب نبيهم (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) بالرفع صفة للمحل وبالجر على قراءة الكسائي صفة للفظ (ان أنتم الا مفترون) أي كاذبون في قولكم ان الأصنام تستحق العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على ارشادكم الى التوحيد (أجرا ان أجري الا على الذي فطرني) أي خلقني (أفلا تعقلون) أني مصيب في المنع من عبادة الأصنام (ويا قوم استغفروا ربكم) أي سلوه أن يغفر لكم ما تقدم من شرككم (ثم توبوا اليه) من بعد التوحيد بالندم على ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا لمثله (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان (ويزدكم قوة الى قوتكم) بالمال والولد والشدة في الأعضاء قيل حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تتولوا مجرمين) أي ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه مصرين على آثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بمعجزة (وما نحن بتاركي آلهتنا) أي بتاركي عبادتها (عن قولك) أي لأجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين بالرسالة (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أي ما نقول في شأنك الا قولنا أصابك بعض آلهتنا بجنون لانك شتمتها ومنعت عن عبادتها (قال اني أشهد الله) على (واشهدوا) أنتم على (أني بريء مما تشركون من دونه) أي من اشراككم آلهة من دون الله (فكيدوني جميعا) أي فاعملوا في هلاكي أنتم وآلهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي لا تؤجلوني (اني توكلت على الله ربي وربكم) أي اني فوضت أمري الى الله مالكي ومالككم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي ما من حيوان الا وهو تحت قهره وقدرته وهو منقاد لقضائه وقدره (ان ربي على صراط مستقيم) أي انه تعالى وان كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم الا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) أي فان تعرضوا عن الايمان والتوبة لم أعاتب على تقصير في الابلاغ لأني قد أبلغتكم وصرتم محجوجين من الله تعالى لانكم أصررتم على التكذيب (ويستخلف ربي قوما غيركم) أي يخلق ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهذا اشارة الى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرونه شيئا) أي لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (ان ربي على كل شيء حفيظ)

(ولما جاء أمرنا) أي بهلاك عاد (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) أي حيث هديناهم للايمان وعصمناهم من الكفر (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني ما عذب به الذين كفروا (وتلك عاد) يعني القبيلة (جحدوا بآيات ربهم) أي كذبوها فلم يقروا بها (وعصوا رسله) يعني هودا الان من كذب  رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل (واتبعوا أمر كل جبار عنيد)

أي واتبع السفلة الرؤساء والعنيد المعارض لك بالخلاف (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة كما قال لعنوا في الدنيا والآخرة (الا ان عادا كفروا ربهم) قيل بربهم وقيل بنعمة ربهم (ألا بعدا لعاد) يريد بعدوا من رحمة الله وقوله (هو أنشأكم) أي خلقكم (من الارض) أي من آدم وآدم خلق من تراب الارض (واستعمركم فيها) اي جعلكم عمارها (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) وذلك أن صالحا كان يعدل عن دينهم ويشنأ أصنامهم وكانوا يرجون رجوعه الى دين عشيرته فلما أظهر دعاءهم الى الله زعموا أن رجاءهم انقطع منه وقوله (مريب) أي موقع في الريب (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته) يقول أعلمتم من ينصرني من الله

أي من يمنعني من عذاب الله ان عصيته أي بعد بينة من ربي ونعمة (فما تزيدونني غير تخسير) فليس

أي ما تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام وقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا الا نسبتي اياكم الى الخسارة أي كلما اعتذرتم بشيء زادكم تخسيرا وقيل معنى الآية ما تزيدونني غير تخسير لي ان كنتم أنصاري ومعنى التخسير التضليل والابعاد من الخير وقوله

---

فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا الدنيوي وهو السموم التي تدخل من أنوفهم وتخرج من أدبارهم فترفعهم في الجو وتصرعهم على الارض على وجوههم فتتقطع أعضاؤهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كائنة (منا ونجيناهم من عذاب عظيم) وهو العذاب الأخروي (وتلك) القبيلة (عاد جحدوا بآيات ربهم) أي دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسله) وجمع الرسول مع أنه لم يرسل اليهم غير هود لبيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) أي مرتفع متمرد (عنيد) أي منازع معارض أي واتبع السفلة أمر رؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أي جعل الابعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير مصاحبا لهم وملازما في الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أي كفروا بربهم (ألا بعدا لعاد) وهذا دعاء عليهم بالهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وهذه عاد القديمة إرم ذات العماد واحترز به عن عاد الثانية (والى ثمود أخاهم صالحا) وثمود اسم أبي القبيلة وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) فان الانسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم وهو متولد من الأغذية وهي اما حيوانية واما نباتية فانتهاء الحيوانية الى النبات وهو متولد من الارض فثبت أن الله تعالى أنشأ الانسان من الارض (واستعمركم فيها) أي جعلكم سكان الارض وصيركم عامرين لها أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة أعماركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه) أي آمنوا بالله وحده (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (ان ربي قريب) بالعلم والسمع والرحمة (مجيب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي قبل نهيك ايانا عن عبادة الأوثان لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد فانك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا فقوي رجاؤنا فيك أنك من الأحباب ومن أنصار ديننا فكيف أظهرت العداوة ثم قالوا متعجبين تعجبا شديدا (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أي ما عبدوه من الأوثان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الأوثان (مريب) أي موقع في اضطراب القلوب وانتفاء الطمأنينة (قال ياقوم أرأيتم) أي أخبروني (ان كنت) في الحقيقة (على بينة) أي بصيرة وبرهان (من ربي وآتاني منه رحمة) أي نبوة (فمن ينصرني من الله) أي من ينجيني من عذابه (ان عصيته) أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة وفي المجاراة معكم (فما تزيدونني غير تخسير) أي فما تزيدونني بما تقولون غير بصيرة في خسارتكم أي وما زادني قولكم الا قولي لكم انكم لخاسرون (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) أي معجزة دالة على صدق نبوتي فان الله خلقها من الصخرة في جوف الجبل حاملا من غير ذكر على تلك الصورة دفعة واحدة وقد حصل منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم (فذروها) أي فاتركوها (تأكل في أرض الله) أي ترع نباتها وتشرب ماءها

فليس عليكم كلفة فى مؤنتها وكانت هى تنفعهم ولا تضرهم لأنهم كانوا ينتفعون بلبنها (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشىء من السوء (فيأخذكم عذاب قريب) أى عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها) أى فقتلها قدار بن سالف ومصدع بن زهر وقيل زينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فضربها قدار بأمرهم فى رجليها فأوقعها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا) أى عيشوا (فى داركم) أى فى بلادكم (ثلاثة أيام) من العقر الأربعاء والخميس والجمعة ثم يأتيكم العذاب فى اليوم الرابع يوم السبت وانما أقاموا ثلاثة أيام لأن الفصيل رغى ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها ولما عقروا الناقة أنذرهم صالح بنزول العذاب ورغبهم فى الايمان فقالوا ياصالح وما علامة العذاب فقال تصير وجوهكم فى اليوم الأول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة وفى الرابع يأتيكم العذاب صبيحته (ذلك) أى نزول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا) أى عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) أى ونجينا صالحا والذين آمنوا معه من العذاب النازل بقومه الكافرين ومن الخزى الذى لزمهم وبقى العيب منسوبا اليهم لأن معنى الخزى العيب الذى تظهر فضيحته ويستحيا من مثله وقرأ الكسائى ونافع فى رواية ورش وقالون هنا وفى المعارج يومئذ بفتح الميم لاضافة يوم الى اذ وهو مبنى فيكون مبنيا والباقون بكسر الميم فيهما لاضافة يوم الى الجملة من المبتدا والخبر فلما قطع المضاف اليه عن اذ نون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال لسكونها وسكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم الى المبنى أن يكون مبنيا لأن هذه الاضافة غير لازمة (ان ربك هو القوى العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب الى الكافر وصان أهل الايمان عنه وهذا التمييز لا يصح الا من القادر الذى يقدر على قهر طبائع الأشياء فيجعل الشىء الواحد بالنسبة الى انسان بلاء وعذابا وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أى صيحة جبريل فقد صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شىء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين لا يتحركون ولا يضطربون عند ابتداء نزول العذاب ساقطين على وجوههم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يقيموا فى بلادهم فانهم صاروا رمادا (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) قوم صالح من رحمة الله (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) أى متلبسين بالبشارة له بالولد من سارة (قالوا سلاما) أى سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أى قال ابراهيم أمرى سلام أى لست مريدا غير السلامة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الذاريات بكسر السين وسكون اللام (فما لبث) أى ابراهيم (أن جاء بعجل) أى فى المجىء بولد بقرة (حنيذ) أى مشوى على حجارة محماة فى حفرة فى الأرض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) أى العجل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس) أى أدرك (منهم خيفة) وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) منا ياابراهيم (انا أرسلنا) بالعذاب (الى قوم لوط) وهو ابن هاران أخى ابراهيم (وامرأته قائمة) تخدم الأضياف وتسمع مقالتهم وابراهيم عليه السلام جالس معهم (فضحكت) أى ففرحت سارة بزوال الخوف عنها وعن ابراهيم وبحصول البشارة بحصول الولد وبهلاك أهل الفساد وقال مجاهد وعكرمة أى حاضت سارة عند فرحها بالسلامة

(تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) أى عيشوا فى بلدكم ثلاثة أيام (ذلك وعد) أى للعذاب (غير مكذوب) أى غير كذب وقوله (ومن خزى يومئذ) أى نجيناهم من العذاب الذى أهلك قومه ومن الخزى الذى لزمهم وبقى العار فيه مأثورا عنهم فالواو فى ومن نسق على محذوف وهو العذاب (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أى لما أصبحوا يوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل شىء صاعقة وصوت كل شىء فى الأرض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم (ولقد جاءت رسلنا) يعنى الملائكة الذين أتوا (ابراهيم) على صورة الأضياف (بالبشرى) بالبشارة يعنى بالولد (قالوا سلاما) أى سلموا سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) أى الى العجل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس منهم خيفة) أى أضمر منهم خوفا ولم يأمن أن يكونوا جاؤا لبلاء لما لم يتغذوا بطعامه فلما رأوا علامة الخوف على وجهه (قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط) أى بالعذاب (وامرأته) سارة (قائمة) وراء الستر تسمع الى الرسل (فضحكت) سرورا بالأمن حين قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وذلك أنها خافت كما خاف ابراهيم فقيل لها يا أيتها الضاحكة ستلدين غلاما فذلك قوله

(فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق) أى بعده (يعقوب) وذلك أنهم بشروها بأنها تعيش الى أن ترى ولد ولدها (قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز) وكانت بنت تسع وتسعين (وهذا بعلى شيخا) وكان ابن مائة سنة (ان هذا) الذى تذكرون من ولادتى على كبر سنى وسن بعلى (لشئ عجيب) أى معجب



(قالوا أتعجبين من أمر الله) أى من قضاء الله وقدرته (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم فكان من تلك البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من ابراهيم وسارة وكان هذا دعاء من الملائكة لهم وقوله (انه حميد مجيد) أى محمود فى أفعاله مجيد أى كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى الفزع (وجاءته البشرى) أى بالولد (يجادلنا) أى أقبل وأخذ يجادل رسلنا (فى قوم لوط) وذلك أنهم لما قالوا لابراهيم انا مهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الآية فهذا معنى جداله وعند ذلك قالت الملائكة (ياابراهيم أعرض عن هذا) أى عن هذا الجدال وخرجوا من عنده فأتوا قرية قوم لوط وذلك قوله (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) أى حزن بمجيئهم لأنه رآهم فى أحسن صورة فخاف عليهم قومه وعلم أنه يحتاج الى المدافعة عنهم وكانوا قد أتوه فى صورة الأضياف (وضاق بهم ذرعا) صدرا (وقال هذا يوم عصيب) أى شديد ولما علم قومه بمجىء قوم حسان الوجوه أضيافا للوط قصدوا داره وذلك قوله (وجاءه

---

من الخوف فلما ظهر حيضها بشرت بحصول الولد (فبشرناها باسحاق) على ألسنة رسلنا وانما نسبت البشارة لسارة دون سيدنا ابراهيم عليه السلام لأنها كانت أشوق الى الولد منه لأنها كانت لم يأتها ولد قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل اسحاق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء اسحاق يعقوب) قرأه ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أى ووهبنا يعقوب من بعد اسحاق والباقون بالرفع على الابتداء أى ومن بعد اسحق يعقوب مولود (قالت ياويلتا) هى كلمة تقال للتعجب عند أمر عظيم أى ياذلى احضر فهذا أوان حضورك (أألد وأنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بعلى) أى زوجى (شيخا) ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) أى حصول الولد من هرمين مثلنا (لشئ عجيب) بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصودها استعظام نعمة الله تعالى عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا استبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أى الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) أى من قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أى ياأهل بيت ابراهيم أى رحمة الله الواسعة لكل شئ وخيراته الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم فاذا رأيتم أن الله خرق العادات فى تخصيصكم بهذه الكرامات العالية فكيف يليق به التعجب (انه حميد) أى فاعل ما يستوجب الحمد موصل العبد المطيع الى مراده (مجيد) أى كريم لا يمنع الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط) أى فلما زال عن ابراهيم الخوف وحصل له السرور بسبب مجىء البشرى بحصول الولد جادل رسلنا فى شأن قوم لوط حيث قال للملائكة حين قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين (ان ابراهيم لحليم) أى غير عجول على كل من أساء اليه فلذلك طلب تأخير العذاب عنهم رجاء اقدامهم على الايمان والتوبة عن المعاصى (أواه) أى كثير التضرع الى الله عند وصول الشدائد الى الغير (منيب) أى رجاع الى الله فى ازالة ذلك العذاب عنهم قالت الملائكة لابراهيم (ياابراهيم أعرض عن هذا) أى اترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر ربك) بايصال هذا العذاب اليهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) أى غير مصروف عنهم ولا مدفوع بجدال ولا دعاء ولا غيرهما (ولما جاءت رسلنا) أى هؤلاء الملائكة (لوطا سيء بهم) أى حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) أى صدرا لأنهم انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليهما السلام ودخلوا عليه فى صور شبان مرد حسان الوجوه فخاف أن يقصدهم قومه وأن يعجز عن مدافعتهم وبين القريتين أربع فراسخ (وقال هذا يوم عصيب) أى شديد على فلما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته الكافرة فأخبرت قومها وقالت دخل دارنا قوم ما رأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة منهم

(وجاءه قومه يهرعون اليه) أى يسرعون (ومن قبل) أى ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعنى فعلهم المنكر (قال ياقوم هؤلاء بناتى) أزوجكموهن فـ(هن أطهر لكم) من نكاح الرجال أراد أن يقي أضيافه ببناته (فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى) أى لاتفضحونى فيه لانهم اذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة (أليس منكم رجل رشيد) أى يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى لسن لنا بأزواج فنستحقهن (وانك لتعلم مانريد) أى أنا نريد الرجال لا النساء (قال لو أن لى بكم قوة) أى لو أن معى جماعة أقوى بها عليكم (أو آوى) أى أنضم (الى ركن شديد) أى عشيرة تنصرنى وتمنعنى لحلت بينكم و بين المعصية فلما رأت الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ر بك لن يصلوا اليك) أى بسوء فانا نحول بينهم و بين ذلك (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فى ظلمة الليل (ولا يلتفت منكم أحد) أى لا ينظر وراءه اذا خرج من قريته (الا امرأتك) فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم (وانه مصيبها ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) يعنى للعذاب فقال لوط أريد أعجل من ذلك بل الساعة ياجبريل فقال له (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا) أى عذابنا (جعلنا عاليها سافلها) وذلك أن جبريل أدخل جناحه تحتها حتى قلعها وصعد بها الى السماء ثم قلبها الى الأرض (وأمطرنا عليها حجارة) قبل قلبها الى الارض (من سجيل) أى من طين طبخ حتى صار كالآجر فهو سنكگل بالفارسية وعرب وقوله

(وجاءه) أى لوطا وهو فى بيته مع أضيافه (قومه يهرعون) أى يسوق بعضهم بعضا (اليه) لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أى والحال من قبل مجىء هؤلاء الملائكة الى لوط (كانوا يعملون السيئات) وهى اتيان الرجال فى أدبارهم أى فهم معتادون لذلك فلاحياء عندهم (قال) أى لوط (ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) أى فتزوجوهن والمراد بالجمع مافوق الواحد لما صحت الرواية أن لسيدنا لوط عليه السلام بنتين فقط وهما زتنا وزعوراء وقال السدى اسم الكبرى ريا والصغرى رغوثا وكان فى ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم جواز تزويج المسلمات من الكفار (فاتقوا الله) بترك الفواحش (ولاتخزون فى ضيفى) أى لاتخجلونى فى أضيافى لان مضيف الضيف يلزمه الخجل من كل فعل قبيح يصل الى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق و يرعوى عن الباطل و يرد هؤلاء الأو باش عن أضيافى (قالوا لقد علمت) يالوط (مالنا فى بناتك من حق) أى شهوة أى انك قد علمت أن لا سبيل الى المناكحة بيننا و بينك (وانك لتعلم مانريد) من اتيان الذكران (قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) أى لو قويت على دفعكم بنفسى أو رجعت الى عشيرة قوية لبالغت فى دفعكم وانما قال ذلك لانه لم يكن من قومه نسب بل كان غريبا فيهم لانه كان أولا بالعراق مع ابراهيم فلما هاجرا الى الشام أرسله الله تعالى الى أهل سذوم وهى قرية عند حمص أو المعنى لو قويت على الدفع لدفعتكم بل أعتصم بعناية الله تعالى (قالوا) أى هؤلاء الملائكة (يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بضرر فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فصاروا لايعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فاخرج مع أهلك فى نصف الليل لتسبقوا العذاب الذى موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك) وقرأه ابن كثير وأبو عمرو بالرفع أى لا يتأخر منكم أحد الا امرأتك واعلة المنافقة والباقون بالنصب والمعنى ولا ينظر أحد الى ورائه منك ومن أهلك الا امرأتك وانما نهوا عن الالتفات ليسرعوا فى السير فان من يلتفت الى ماوراءه لا يخلو عن أدنى وقفة وهذه القراءة تقتضى كون لوط غير مأمور بالاسراء بها وقراءة الرفع تقتضى كونه مأمورا بذلك (انه مصيبها) أى امرأتك (ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أى ان وقت عذابهم وهلاكهم الصبح لانه وقت الراحة فحلول العذاب حينئذ أفظع وهذا تعليل للنهى عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع (أليس الصبح بقريب) وهذا تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع فى الاسراء للتباعد عن مواضع العذاب (فلما جاء أمرنا) أى وقت عذابنا وهو الصبح (جعلنا عاليها) أى عالى قرى قوم لوط وهى خمس مدائن فيها أربعمائة ألف ألف (سافلها) روى أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنكفئ لهم جرة ولم ينكب لهم اناء ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الارض (وأمطرنا عليها) أى على أهل تلك القرى الخارجين عنها فى الأسفار وغيرها (حجارة من سجيل)

أى من طين متحجر (منضود) أى كان بعض الحجارة فوق بعض فى النزول (مسومة) أى مخططة بالسواد والحمرة والبياض أى كان عليها علامة تتميز بها عن حجارة الارض (عند ربك) أى فى خزائنه التى لايتصرف فيها أحد الا هو (وماهى من الظالمين ببعيد) أى ماهذه الحجارة من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أى فان الظالمين حقيق بأن تمطر عليهم (والى مدين) أى وأرسلنا الى أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام (أخاهم) فى النسب (شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله) وحده ولاتشركوا به شيئا (مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان) أى لاتنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (انى أراكم بخير) أى ملتبسين بسعة تغنيكم عن النقص (وانى أخاف عليكم) ان لم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم محيط) أى يحيط بكم ولاينفلت منكم أحد (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموهما (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولانقصان (ولاتبخسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بهما (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) أى ولاتعملوا فى افساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة افساد مصالح أنفسكم (بقيت الله خير لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطفيف (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى مقالتى لكم وقرئ تقية الله بالفوقية أى تقواه تعالى عن المعاصى (وما أنا عليكم بحفيظ) أى أحفظكم من القبائح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لو لم تتركوا هذا العمل القبيح لزالت النعم عنكم (قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء) وقوله أو أن نفعل معطوف على مايعبد وأو بمعنى الواو والمعنى هل صلاتك تأمرك بتكليفك ايانا ترك عبادة مايعبد آباؤنا من الأوثان وترك فعلنا مانشاء من الأخذ والاعطاء والزيادة والنقص روى أن شعيبا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية (انك لأنت الحليم الرشيد) أى كنت عندنا مشهورا بأنك حليم رشيد فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده باعانته بلا كد منى (رزقا حسنا) أى مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم أن أخون فى وحيه وأن أخالفه فى أمره ونهيه وهذا الجواب مطابق لقولهم لسيدنا شعيب انك لأنت الحليم الرشيد فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن دين آبائنا فكأن شعيبا قال ان نعم الله تعالى عندى كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف يليق بى مع كثرة نعم الله تعالى على أن أخالف أمره ومعنى الآية على هذا الوجه ياقوم أخبرونى ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فما تأتون وما تذرون (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى ليس مرادى أن أمنعكم عن التطفيف

وأن

(منضود) أى يتلو بعضه بعضا (مسومة) أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا (عند ربك) أى فى خزائنه التى لايتصرف فى شئ منها الا باذنه (وماهى من الظالمين ببعيد) يعنى كفار قريش يرهبهم بها (والى مدين) ذكرنا تفسير هذه الآية فى سورة الاعراف وقوله (انى أراكم بخير) يعنى النعمة والخصب يقول أى حاجة بكم الى التطفيف مع ما أنعم الله به عليكم من المال ورخص الأسعار (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يوعدهم بعذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد (وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أى أتموهما بالعدل (بقيت الله) أى ما أبقى الله لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خير) من التخسير يعنى من تعجل النفع (ان كنتم مؤمنين) أى بشرط الايمان لانهم انما يعرفون صحة مايقول اذا كانوا مؤمنين (وما أنا عليكم بحفيظ) أى لم أومر بقتالكم واكراهكم على الايمان (قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) يريدون دينك يأمرك أى فى دينك الآمر بهذا (أوأن نفعل فى أموالنا مانشاء) أى من البخس والظلم ونقص المكيال والميزان (انك لأنت الحليم الرشيد) أى السفيه الجاهل وقالوا الحليم الرشيد على طريق الاستهزاء (قال ياقوم أرأيتم) أى أعلمتم (ان كنت على بينة) أى بيان وحجة (من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) أى حلالا وذلك انه كان كثير المال وجواب ان محذوف على معنى ان كنت على بينة من ربى ورزقنى المال الحلال أتبع الضلال فأبخس وأطفف يريد أن الله قد أغناه بالمال الحلال (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى لست أنهاكم عن شئ وأدخل فيه وانما أختار لكم ما أختار لنفسى

وأن أفعله (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) أي ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتي مدة استطاعتي للاصلاح لا أقصر فيه والمعنى انكم تعرفون من حالي أني لا أسعى الا في الاصلاح وازالة الخصومة حتى انكم أقررتم بأني حليم رشيد فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايذاء الناس فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه ايقاع الخصومة فانكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق ولا أدور الا على ما يوجب الصلاح بقدر طاقتي وذلك هو الابلاغ والانذار (وما توفيقي) أي ما قدرتي على تنفيذ كل الأعمال الصالحة (الا بالله) أي الا بمعونته وهدايته (عليه توكلت) أي عليه تعالى اعتمدت في جميع أموري (واليه أنيب) أي عليه أقبل (و ياقوم لا يجرمنكم شقاق) أي لا تكسبنكم معاداتكم لي (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) أي وما خبر اهلاك قوم لوط بالخسف منكم ببعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدين واهلاكهم أقرب الاهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الأوثان (ثم توبوا اليه) عن النجس (ان ربي رحيم) أي عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أي محب لهم (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) أي ما نفهم مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى النع عن طريق الحق كما هو ديدن المفحم المحجوج (وانا لنراك فينا) أي فيما بيننا (ضعيفا) أي لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان أرادوا بك سوأ (ولولا رهطك) أي لولا حرمة قومك عندنا بسبب كونهم على ملتنا (لرجمناك) أي لقتلناك بالحجارة أو لشتمناك وطردناك (وما أنت علينا بعزيز) أي معظم فيسهل علينا قتلك وايذاؤك وانما نمتنع من ذلك لرعاية حرمة عشيرتك لموافقتهم لنا في الدين لا لقوة شوكتهم (قال) لهم (ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله) والمعنى حفظكم اياي رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم اياي رعاية لحق رهطي فالله تعالى أولى أن يتبع أمره (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي جعلتم الله شيئا منبوذا خلف ظهرك منسيا لا يعبأ به (ان ربي بما تعملون) من الاعمال السيئة (محيط) أي عالم فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم عليها (و ياقوم اعملوا على مكانتكم) أي على غاية استطاعتكم من ايصال الشرور الى (اني عامل) بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) أي سوف تعرفون الشقي الذي يأتيه عذاب يهلكه والذي هو كاذب في ادعاء القوة والقدرة على رجم شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعف (وارتقبوا) أي انتظروا عاقبة ما أقول (اني معكم رقيب) أي منتظر (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه) من ذلك العذاب (برحمة منا) أي بسبب مرحمة كائنة منا لهم (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل

(أن أريد) أي ما أريد (الا الاصلاح) أي فيما بيني و بينكم يعني أن تعبدوا الله وحده وتفعلوا ما يفعل من يخاف الله (ما استطعت) أي بقدر طاقتي وطاقته الابلاغ والانذار ثم أخبر أنه لا يقدر هو ولا غيره على الطاعة الا بتوفيق فقال (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) أي أرجع في المعاد (و ياقوم لا يجرمنكم شقاق) أي لا يكسبكم خلافي وعداوتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الرجفة والصيحة (وما قوم لوط منكم ببعيد) أي في الزمان الذي بينكم و بينهم وكان اهلاكهم أقرب الاهلاكات التي عرفوها (واستغفروا ربكم) أي اطلبوا منه المغفرة (ثم توبوا اليه) أي توصلوا اليه بالتوبة (ان ربي رحيم) أي بأوليائه (ودود) أي محب لهم (قالوا ياشعيب ما نفقه) أي ما نفهم (كثيرا مما تقول) أي صحته يعنون ما يذكر من التوحيد والبعث والنشور (وانا لنريك فينا ضعيفا) لأنه كان أعمى (ولا رهطك) أي عشيرتك (لرجمناك) أي قتلناك (وما أنت علينا بعزيز) أي بمنيع (قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله) يريد أمنع عليكم من الله كأنه يقول حفظكم اياي في الله أولى منه في رهطي (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي ألقيتموه وراء ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه (ان ربي بما تعملون محيط) أي خبير بأعمال العباد حتى يجازيهم بها ثم هددهم فقال (و ياقوم اعملوا على مكانتكم) الآية يقول اعملوا على ما أنتم عليه (اني عامل) على ما أنا عليه من طاعة الله وسترون منزلتكم من منزلتي وهو قوله (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يفضحه و يذله (ومن هو كاذب) أي منا (وارتقبوا اني معكم رقيب) أي ارتقبوا العذاب من الله اني مرتقب من الله الرحمة وهو قوله (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أي صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فماتوا في أمكنتهم

والزلزلة أيضا فأهلكوا بهما (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أي ميتين ملازمين لاماكنهم (كأن لم يغنوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا في ديارهم أحياء مترددين (ألا بعدا لمدين) أي هلاكا لقوم شعيب (كما بعدت ثمود) أي كما هلكت قوم صالح أي فانهما أهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة الا أن هؤلاء صيح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا في أهل قرية شعيب وأما أصحاب الايكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار نزلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أي ولقد أرسلنا موسى بالتوراة مع ما فيها من الاحكام وأيدناه بمعجزات قاهرة دالة على صدق نبوته ورسالته (الى فرعون وملئه) أي جماعته (فاتبعوا أمر فرعون) أي أمره اياهم بالكفر بموسى ومعجزاته (وما أمر فرعون برشيد) أي بمرشد الى خير فانه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم (يقدم قومه) أي يقود قومه جميعا (يوم القيامة فأوردهم النار) أي ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال وفي دخول البحر والغرق في الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة في دخول النار والحرق (وبئس الورد المورود) أي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك (وأتبعوا) أي الملأ الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة) من الأمم بعدهم الى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل الموقف قاطبة (بئس الرفد المرفود) أي بئس العون المعان عونهم أي بئس اللعنة الأولى المعان باللعنة الثانية عونهم وهي اللعنة في الدارين وسميت اللعنة عونا لانها اذا تبعتهم في الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله وأعانتهم على ما هم فيه من الضلال وسميت رفدا أي عونا لهذا المعنى على التهكم وسميت معانا لأنها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين الى طريق الجحيم (ذلك) أي الذي ذكرناه في هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى نقصه عليك) أي ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجناية أهلها مقصوص عليك لتخبر به قومك لعلهم يعتبرون والا فينزل بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة (منها) أي القرى (قائم) أي أثر باق (و) منها (حصيد) أي ذاهب الأثر فشبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما محي منها بالزرع المحصود (وما ظلمناهم) بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) أي فما نفعتهم أصنامهم الذين يعبدونها في شيء ألبتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم حين جاءهم (وما زادوهم غير تتبيب) أي وما زادت الأصنام عابديها غير اهلاك فان الكفار كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضار ثم زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب اليهم مضار الدنيا والآخرة فكان ذلك من أعظم موجبات الخسران وقرئ آلهتهم اللاتي بالجمع ويدعون بالبناء للمجهول (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى) وقرأ عاصم والجحدري اذ أخذ بألف واحدة (وهي ظالمة) أي ومثل ذلك الأخذ المذكور أخذ ربك أهل القرى اذا أخذهم وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أي ان كل من شارك أولئك المتقدمين في فعل ما لا ينبغي فلابد وأن يشاركهم في ذلك الأخذ (ان أخذه أليم شديد) أي وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص (ان في ذلك) أي القصص السبعة (لآية) أي لموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) فينتفع بسماع هذه القصص ويعلم أن القادر على انزال عذاب الدنيا

(ألا بعدا لمدين) أي قد بعدوا من رحمة الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يريد التوراة وما أنزل الله فيها من الأحكام (وسلطان مبين) أي وحجة بينة وهي العصا (وما أمر فرعون برشيد) أي بمرشد الى خير (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم الى النار وهو قوله (فأوردهم النار) أدخلهم (وبئس الورد المورود) أي المدخل المدخول (وأتبعوا في هذه) الدنيا (لعنة) يعني الغرق (ويوم القيمة) يعني ولعنة يوم القيامة وهو عذاب جهنم (بئس الرفد المرفود) يعني اللعنة بعد اللعنة وقوله (منها قائم وحصيد) أي من القرى التي أهلكت قائم بقيت حيطانه وحصيد أي مخسوف به قد محي أثره (وما ظلمناهم) أي بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم) أي ما نفعتهم وما دفعت عنهم (آلهتهم التي يدعون) أي يعبدون (من دون الله) أي سوى الله (وما زادوهم) أي وما زادتهم عبادتهم (غير تتبيب) أي بلاء وهلاك وخسارة (وكذلك) أي وكما ذكر من اهلاك الأمم (أخذ ربك) أي بالعقوبة (اذا أخذ القرى وهي ظالمة) يعني أهلها (ان في ذلك) يعني ما ذكره من عذاب الأمم الخالية (لآية) أي لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة

ذلك يوم مجموع له الناس) لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهده البر والفاجر (وما نؤخره) أي وما نؤخر ذلك اليوم ولا نقيمه عليكم (الا لأجل معدود) أي لوقت معلوم لا يعلمه أحد غير الله (يوم يأت) أي ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي) أي فمن الأنفس في ذلك اليوم شقي (وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) وهما من أصوات المكروبين المحزونين فالزفير مثل أول نهيق الحمار والشهيق آخره اذا ردده في الجوف (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) أبدا وهذا من ألفاظ التأبيد (الا ما شاء ربك) يعني أن يخرجهم ولكنه لا يشاء ذلك والمعنى لو شاء أن لا يخلدهم لقدر وقيل الا ما شاء ربك أن يخرجهم يعني الا مقدار مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب ثم يصيرون الى النار أبدا وقوله (عطاء غير مجذوذ) أي مقطوع (فلا تك) يا محمد (في مرية) أي في شك (مما يعبد هؤلاء) أي من حال ما يعبدون في أنها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أي الا كعبادة آبائهم يريد أنهم على طريق التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم (وانا لموفوهم نصيبهم) من العذاب (غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له باختلاف قوم موسى في كتابه (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عن قومك (لقضي بينهم) أي لعجل عقابهم وفرغ من ذلك (وانهم لفي شك منه) أي من العذاب (مريب) أي موقع للريبة (وان كلا) من البر والفاجر والمؤمن والكافر (لما) بمعنى لمن في قول الفراء وفي قول البصريين ما زائدة والمعنى وان كلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أي ليتمن لهم جزاء أعمالهم

---

قادر على انزال عذاب الآخرة فان في هذه القصص عذاب الدارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أي يوم الآخرة (يوم مجموع له الناس) أي يجمع في ذلك اليوم الأولون والآخرون للمحاسبة والجزاء (وذلك يوم مشهود) أي يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما نؤخره) أي ذلك اليوم (الا لأجل معدود) أي الا لأجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر (لا تكلم نفس الا باذنه) أي الله تعالى في التكلم فالمأذون في الكلام هو الجوابات الصحيحة والممنوع عنه هو ذكر الأعذار الباطلة (فمنهم) أي من أهل الموقف (شقي) أي من مات على الكفر وان تقدم منه ايمان (وسعيد) أي من مات على الايمان وان تقدم منه كفر (فأما الذين شقوا ففي النار) أي فمستقرون فيها (لهم فيها زفير) أي صوت شديد (وشهيق) أي صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) والا في المعنى بمعنى واو العطف والاستثناء منقطع يقدر بلكن أو بسوى فالمعنى دائمين في النار مثل دوام السموات والارض منذ خلقت الى أن تفنى وزيادة على هذه المدة وهي ما شاء الله مما لا نهاية له (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) أي مثل دوام السموات والارض منذ خلقتا سوى ما شاء ربك زائدا على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع وعطاء نصب على المصدرية أي يعطيهم عطاء وهذا ظاهر في أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وماذكر من أن عذاب الكفار في جهنم دائم أبدا هو مادلت عليه الآيات والأخبار وأطبق عليه جمهور الامة سلفا وخلفا ولا ظلم على الله في ذلك لان الكافر كان عازما على الكفر ما دام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب بالدائم الا على دائم فلم يكن عذابه الا جزاء وفاقا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين والباقون بفتحها (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلا تك يا أشرف الخلق في شك من حال ما يعبد كفار قريش من الاوثان في أنها لا تنفع لهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أي ليس لهم في عبادة الاصنام مستند الا تقليد آبائهم فانهم أشبهوا آباءهم في لزوم الجهل والتقليد (وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) أي انا معطو هؤلاء الكفرة ما يخصهم من العذاب ونصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية تاما كما أعطينا آباءهم أنصباءهم من ذلك (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) أي في شأنه فآمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف قومك في القرآن فلا تحزن فان ما وقع لك وقع لمن قبلك (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) أي لولا الحكم الازلي بتأخير العذاب عن أمتك الى يوم القيامة لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز وابه عن المحقين (وانهم) أي وان كفار قومك (لفي شك) عظيم (منه) أي القرآن (مريب) أي ظاهر الشك أو موقع في الشك (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم ان ولما مخففتين

(فاستقم) على العمل بأمر ربك والدعاء اليه (كما أمرت) فى القرآن (ومن تاب معك) يعنى أصحابه أى وليستقيموا هم أيضا على ما أمروا
(ولا تطغوا) أى تواضعوا لله ولا تجبروا على أحد (انه بما تعملون بصير) أى لا تخفى عليه
أعمال بنى آدم (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أى لا تداهنوهم ولا ترضوا بأعمالهم يعنى الكفار (فتمسكم النار) أى فيصيبكم لفحها (ومالكم من دون الله من أولياء) أى مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) استئناف (وأقم الصلاة طرفى النهار) أى الصبح والمغرب (وزلفا من الليل) أى صلاة العشاء قرب أول الليل والزلف أول ساعات الليل وقيل صلاة طرفى النهار الفجر والظهر والعصر وأما المغرب والعشاء فانهما من صلاة زلف الليل (ان الحسنات يذهبن السيئات) أى ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب اذا اجتنبت الكبائر (ذلك ذكرى) أى هذه موعظة (للذاكرين واصبر) أى على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى المصلين (فلولا كان من القرون من قبلكم) أى ما كان منهم (أولوا بقية) دين وتمييز وفضل (ينهون عن الفساد فى الأرض)
أى عن الشرك والاعتداء فى حقوق الله تعالى والمعصية (الا قليلا) يريد لكن قليلا
(ممن أنجينا منهم) وهم أتباع الأنبياء وأهل الحق نهوا عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى آثروا اللذات على أمر الآخرة
وركنوا الى الدنيا والأموال وما أعطوا من نعيمها

وأبو عمرو والكسائى شددا ان وخففا لما وحمزة وابن عامر وحفص شددوهما أى وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين والله لفريق يوفيهم ربك أجزية أعمالهم أو المعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية قالوا وأحسن ماقيل ان أصل لما لما بالتنوين بمعنى جميعا (انه بما يعملون خبير) أى ان ربك بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر عالم لا يخفى عليه شىء من أعمال عباده وان دقت (فاستقم كما أمرت) أى مثل الاستقامة التى أمرت بها فى العقائد والأعمال والأخلاق فان الاستقامة فى العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفى الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان وفى الأخلاق التباعد عن طرفى الافراط والتفريط وهذا فى غاية العسر وعن بعضهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيبتنى هود وأخواتها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله تعالى فاستقم كما أمرت (ومن تاب معك) من الكفر وشاركك فى الايمان فمن منصوب على أنه مفعول معه أو مرفوع عطف على الضمير فى أمرت (ولا تطغوا) أى لا تنحرفوا عما حد لكم بافراط أو تفريط فان كلا طرفى قصد الأمور ذميم (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أى ولا تميلوا أدنى ميل الى الذين وجد منهم الظلم (فتمسكم النار) أى فتصيبكم بسبب ذلك (ومالكم من دون الله من أولياء) أى من أنصار ينقذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركتكم فى شىء من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل فى الركون (وأقم الصلاة طرفى النهار) أى غدوة وعشية فالصبح فى الغدوة والظهر والعصر فى العشية (وزلفا من الليل) أى ساعات منه قريبة من النهار وهى المغرب والعشاء (ان الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) أى يكفرنها وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر روى أن أبا اليسر بن عمرو الأنصارى قال أتتنى امرأة تشترى تمرا فقلت لها ان فى البيت تمرا أطيب من هذا فدخلت معى البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر حتى أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال لى أخنت رجلا غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا وأطرق رسول الله ﷺ طويلا حتى نزلت هذه الآية فقرأها على فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت (ذلك) أى القرآن (ذكرى للذاكرين) أى عظة للمتعظين أو ذلك الحسنات كفارات لذنوب التائبين (واصبر) يا أشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى ان الله يوفى الصابرين أجور أعمالهم من غير بخس أصلا (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم) والمراد بالتحضيض النفى أى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب جودة فى العقل وفضل ينهون عن الفساد الا قليلا وهم من أنجيناهم من العذاب نهوا عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى واتبع الذين تركوا النهى عن المنكرات ما أنعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أى كافرين فان سبب استئصال الأمم المهلكة فشو الظلم وشيوع ترك النهى

(وما كان ربك ليهلك القرى) أى أهلها (بظلم) أى بشرك (وأهلها مصلحون) أى فيما بينهم أى ليس من سبيل الكفار اذا قصدوا الحق فى المعاملة أن ينزل الله بهم عذاب الاستئصال كقوم لوط عذبوا باللواط وقوم شعيب عذبوا ببخس المكيال (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى مسلمين كلهم (ولا يزالون مختلفين) أى فى الأديان (الا من رحم ربك) يعنى أهل الحق (ولذلك خلقهم) أى خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة (وكلا نقص عليك) أى كل الذى تحتاج اليه (من أنباء الرسل) أى نقص عليك (ماثبت به فؤادك) ليزيدك يقينا (وجاءك فى هذه) السورة (الحق) يعنى ماذكر من أقاصيص الأنبياء ومواعظهم وذكر أهل السعادة والشقاوة وهذا تشريف لهذه السورة لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أى يتعظون اذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم لما كذبوا أنبياءهم (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) أمر تهديد أى اعملوا ما أنتم عاملون (وانتظروا) مايعدكم الشيطان (انا منتظرون) مايعدنا ربنا من النصر (ولله غيب السموات والأرض) أى علم ماغاب عن العباد فيهما (واليه يرجع الأمر كله) أى فى المعاد حتى لايكون لأحد سواه أمر البتة (وما ربك بغافل عما يعملون) أى أنه يجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته

﴿ تفسير سورة يوسف عليه السلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر) أنا الله الرحمن (تلك) أى هذه (آيات الكتاب المبين) أى للحلال والحرام والأحكام يعنى القرآن

---

عن المنكرات مع الكفر (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أى لايهلك ربك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين فى المعاملات بينهم أى ان عذاب الاستئصال لاينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك بل انما ينزل ذلك اذا أساءوا فى المعاملات وسعوا فى الايذاء للناس وظلم الخلق لفرط مسامحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوقه تعالى عند تزاحم الحقوق (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى أهل ملة واحدة وهى الاسلام بحيث لايختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك) أى ولايزالون مخالفين لدين الحق الاقوما قدهداهم الله تعالى بفضله اليه فلم يخالفوه (ولذلك خلقهم) أى وللمذكور من الاختلاف والرحمة خلق الناس كافة فان الله تعالى خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ومصيرهم النار وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين ومصيرهم الجنة (وتمت كلمة ربك) أى ثبت قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفارهما أجمعين (وكلا) أى كل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) أى من أخبارهم وماجرى لهم مع قومهم (ماثبت به فؤادك) أى مانقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك (وجاءك فى هذه) الأنباء المقصوصة عليك (الحق) أى البراهين الدالة على التوحيد والنبوة (وموعظة) أى تنفير عن الدنيا (وذكرى للمؤمنين) أى ارشاد لهم الى الأعمال الصالحة (وقل للذين لايؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكانتكم) أى ثابتين على حالتكم وهى الكفر (انا عاملون) على حالتنا وهى الايمان أو المعنى افعلوا كل ماتقدرون عليه فى حق من الشر فنحن عاملون على قدرتنا والمراد بهذا الأمر التهديد (وانتظروا) مايعدكم الشيطان به من الخذلان (انا منتظرون) ماوعدنا الرحمن من أنواع الغفران والاحسان (ولله غيب السموات والارض) فان علمه تعالى نافذ فى جميع الكليات والجزئيات والحاضرات والغائبات عن العباد (واليه يرجع الأمر كله) أى أمر الخلق كلهم فى الدنيا والآخرة (فاعبده) أى فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات الجسدانية فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السكنات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحانية فهى الفكر والتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى ملكوت السموات والارض (وتوكل عليه) أى ثق به تعالى فى جميع أمورك فانه كافيك (وما ربك بغافل عما يعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أى فانه تعالى لايضيع طاعات الطيعين ولايهمل أحوال المتمردين الجاحدين وذلك بأن يحضروا فى موقف القيامة ويحاسبوا على النقير والقطمير ويعاتبوا فى الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر فريق فى الجنة وفريق فى السعير

﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة آية. وألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة. وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وعن ابن عباس أنه قال سألت اليهود النبى ﷺ فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة (الر تلك آيات الكتاب المبين) أى تلك الآيات التى نزلت اليك فى هذه السورة المسماة الر هى آيات الكتاب المبين وهو القرآن الذى بين الهدى وقصص

الأولين (انا أنزلناه) أى هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) أى لكى تفهموا معانيه فى أمر الدين فتعلموا أن قصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) أى بسبب ايحائنا اليك يا أكرم الرسل هذه السورة لما فيه من العبر من أنه لا مانع من قدرة الله تعالى وأن الحسد سبب للخذلان وأن الصبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أى وانه أى الشأن كنت من قبل ايحائنا اليك هذه السورة (لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يابنى أى قال يعقوب يابنى وقت قول يوسف له كيت وكيت أو بدل من أحسن القصص بدل اشتمال (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام (ياأبت انى رأيت) فى منام النهار (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعتها فذكر ذلك لأبيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيبغوا لك الغوائل روى عن جابر رضى الله عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله ﷺ فقال يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودى اذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروخ والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى إى والله انها لأسماؤها (قال) أى يعقوب ليوسف فى السر (يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) أى فيفعلوا لأجل هلاكك كيدا خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته (ان الشيطان للانسان) أى لبنى آدم (عدو مبين) أى ظاهر العداوة فلا يقصر فى اضلال اخوتك وحملهم على الحسد ومالا خير فيه كما فعل بآدم وحواء واخوة يوسف الذين يخشى غوائلهم الأحد عشر هم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة فهؤلاء بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالى وجاد وآشر فهؤلاء بنوه من سريتين زلفة وبلهة وأما بنيامين فهو شقيق يوسف وأمهما راحيل التى تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أى كما اجتباك لهذه الرؤية الدالة على كبر شأنك (يجتبيك ربك) للنبوة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أى تعبير الرؤيا اذ هى أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (ويتم نعمته عليك) بسعادات الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فالاكثار من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع فى المال والجاه والاجلال فى قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق فى معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أى أولاده (كما أتمها) أى نعمته (على أبويك من قبل) أى من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأبويك (ان ربك عليم حكيم) فالله أعلم حيث يجعل رسالته ومقدس عن العبث فلا يضع النبوة الا فى نفس قدسية وهذا يقتضى حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا ان رؤية يوسف اخوته كواكب دليل على مصير أمرهم الى النبوة فان الكواكب يهتدى بأنوارها وكانت تأويلها بأحد عشر نفسا لهم فضل يستضىء بعلمهم ودينهم أهل الأرض لأنه لا شىء أضوأ من الكواكب وأما ما وقع منهم فى حق يوسف فهو قبل النبوة

(انا أنزلناه) يعنى الكتاب (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى كى تفهموا (نحن نقص عليك أحسن القصص) أى نبين لك أحسن البيان (بما أوحينا) أى بايحائنا (اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) أى وما كنت من قبل أن يوحى اليك الا من الغافلين (اذ قال) اذكر اذ قال (يوسف لأبيه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) رأى يوسف هذه الرؤيا فلما قصها على أبيه أشفق عليه من حسد اخوته له (قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) أى يحتالوا فى هلاكك لأنهم يعلمون تأويلها (وكذلك) أى ومثل ما رأيت (يجتبيك ربك) أى يصطفيك ويختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أى تعبير الأحلام (ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) يعنى المختصين منهم بالنبوة (كما أتمها) أى النبوة (على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم) حيث يضع النبوة (حكيم) فى خلقه

(لقدكان في يوسف واخوته) أي في خبرهم وقصتهم (آيات) أي عبر وأعاجيب (للسائلين) أي الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأخبرهم بها وهو غافل عنها لم يقرأ كتابا فكان في ذلك



أوضح دلالة على صدقه (اذقالوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف وأخوه) لأبيه وأمه (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) أي جماعة (ان أبانا لفي ضلال مبين) أي ضل بايثاره يوسف وأخاه علينا ضلال خطأ (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) أي في أرض يبعد فيها عن أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أي يقبل بكليته عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) ثم تحدثوا توبة بعد ذلك يقبلها الله منكم (قال قائل منهم) وهو يهوذا أكبر اخوته (لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب) أي في موضع مظلم من البئر لايلحقه نظر الناظرين (يلتقطه بعض السيارة) أي مارة الطريق (ان كنتم فاعلين) أي ماقصدتم من التفريق بينه وبين أبيه فلما تآمروا بينهم ذلك وعزموا على طرحه في البئر (قالوا) لأبيهم (مالك لاتأمنا على يوسف) أي لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) أي في الرحمة والبر والشفقة (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) أي يسعى وينشط (وانا له لحافظون) أي من كل ما تخافه (قال اني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به يحزنني لانه يفارقني فلا أراه (وأخاف أن يأكله الذئب) وذلك أن أرضهم كانت مذأبة (وأنتم عنه غافلون) أي مشتغلون برعيتكم (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة نحضره (انا اذا

---

فالعصمة من المعاصي انما تعتبر وقت النبوة لاقبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم (آيات) أي عبرات (للسائلين) أي لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو للطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم المنتفعون بها دون من عداهم (اذقالوا) أي بعض العشرة لبعضهم (ليوسف وأخوه) الشقيق بنيامين بكسر الباء وفتحها (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) أي والحال أنا جماعة قائمون بدفع المفاسد والآفات مشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات وقائمون بمصالح الأب فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بذلك وبكوننا أكبر سنا ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قرأ ونحن عصبة بالنصب (ان أبانا لفي ضلال) عن رعاية المصالح في الدنيا (مبين) أي ظاهر الحال وانما خصص على يوسف أبوه بالبر لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة مالم يجد في سائر الأولاد ولانه وان كان صغيرا كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى مما كان يصدر عن سائر الأولاد قال شمعون ودان والباقون كانوا راضين الا من قال لاتقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أي يقبل عليكم أبوكم بكليته ولايلتفت الى غيركم (وتكونوا من بعده) أي من بعد يوسف من قتله أو تغريبه في أرض بعيدة (قوما صالحين) أي تائبين الى الله تعالى من الكبائر ومتفرقين لاصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أبيكم باصلاح مابينكم وبينه (قال قائل منهم) أي من اخوة يوسف هو يهوذا فانه أقدمهم في الرأي والفضل وأقربهم الى يوسف سنا (لاتقتلوا يوسف) وقال قتادة القائل لاخوته روبيل حتى قال القتل كبيرة عظيمة (وألقوه في غيابت الجب) أي في قعره وقرأ نافع غيابات بالجمع في الموضعين قال قتادة الجب هنا هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (يلتقطه بعض السيارة) أي يرفعه بعض طائفة تسير في الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتي ولم يقطع القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم وحذرا من نسبتهم له الى الافتيات أو ان كنتم فاعلين ماعزمتم عليه من ازالته من عند أبيه ولابد فافعلوا هذا القدر أي القاءه في البئر والاولى أن لاتفعلوا شيئا من القتل والتغريب (قالوا) لأبيهم اعمالا للحيلة في الوصول الى مقاصدهم مستفهمين على وجه التعجب لانه علم منهم السوء وهذا مبني على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواشينا فنستبق ونصيد وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا له (ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف) أي أي شيء ثبت لك لاتجعلنا أمناء عليه مع أنه أخونا وأنت أبونا ونحن بنوك (و) الحال (انا له لناصحون) أي لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه أي هم أظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) أي نتسع في أكل الفواكه ونحوها (ونلعب) بالاستباق والانتضال تمرينا لقتال الأعداء وبالاقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر لاللهو وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بمثناة تحتية على اسناد الفعل ليوسف لانهم سألوا ارسال يوسف معهم ليفرح هو باللعب لاليفرحوا به (وانا له لحافظون) من أن يناله مكروه (قال اني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لاأصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب في تلك الارض (وأنتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالاتساع في الملاذ وبنحو التناضل (قالوا) لأبيهم (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة كثيرة عشرة تكفي الخطوب بآرائنا (انا اذا) أي اذا لم نقدر على حفظ

أخينا (لخاسرون) أى لقوم عاجزون وهذا جواب عن عذر يعقوب الثانى وأما عذره الاول فلم يجيبوا عنه لكون غرضهم ايقاعه فى الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له فتغافلوا عنه (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) أى فأرسله معهم فلما ذهبوا به وعزموا على جعله فى ظلمة البئر جعلوه فيها قال السدى ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهروا له العداوة الشديدة وجعل هذا الأخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ولا يرى فيهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك لأبكاك فقال يهوذا أليس قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب يدلونه فيه وهو متعلق بشفير البئر فنزعوا قميصه وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم و يعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قميصى لاتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا لتؤنسك ثم دلوه فى البئر حتى اذا بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام بها وهو يبكى فنادوه فظن أن رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فقام يهوذا فمنعهم من ذلك وكان يهوذا يأتيه بالطعام و بقى فيها ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما ألقى فى الجب قال يا شاهدا غير غائب و يا قريبا غير بعيد و يا غالبا غير مغلوب اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وروى أن ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة وعلقها فى عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجه من التميمة وألبسه اياه وروى أن جبريل قال له اذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين و يا غوث المستغيثين و يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شىء من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب (وأوحينا اليه) فى الجب ازالة لوحشته عن قلبه وتبشيرا له بما يؤول اليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) أى لتخبرن يا يوسف اخوتك بصنيعهم هذا لك بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) فى ذلك الوقت أنك يوسف حتى تخبرهم لعلو شأنك و بعد حالك عن أوهامك والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه المحنة و يصيرون تحت قهره وقدرته (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) أى لما طرحوا يوسف فى الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء فى ظلمة الليل متباكين وقرئ عشيا بالتصغير لعشى أى آخر النهار وقرئ عشى بالضم والقصر جمع أعشى فعند ذلك فزع يعقوب وقال هل أصابكم فى غنمكم شىء قالوا لا قال وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) يسابق بعضنا بعضا فى الرمى روى أن فى قراءة عبد الله انا ذهبنا ننتضل (وتركنا يوسف عند متاعنا) من ثياب وأزواد وغيرهما ليحفظه (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لنا فى هذه المقالة (ولو كنا صادقين) أى ولو كنا عندك موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاءوا على قميصه) أى فوق قميص يوسف (بدم كذب) أى بدم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أى جاءوا كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضى الله عنها بدم كدب بالدال المهملة أى كدر أو طرى (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى قال يعقوب ليس الأمر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون قيل لما جاءوا على قميصه بدم جدى وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص صحيحا قال كذبتم لو أكله الذئب لخرق قميصه وقال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منه الى قتله وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل

لحوم

---

لخاسرون) يعنى لعاجزون (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) أى وعزموا على ذلك (وأوحينا اليه) أى الى يوسف فى البئر تقوية لقلبه لتصدقن رؤياك ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد اليوم (وهم لا يشعرون) أى بأنك يوسف فى وقت اخبارك اياهم (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أى نشتد ونعدو لنعلم أينا أسرع عدوا (وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن) أى بمصدق (لنا ولو كنا صادقين) أى فى كل الأشياء لاتهمتنا فى هذه القصة (وجاءوا على قميصه بدم كذب) لانه لم يكن دمه انما كان دم سخلة (قال) يعقوب (بل) أى ليس كما تقولون (سولت لكم) أى زينت لكم (أنفسكم) فى شأنه (أمرا) غير ما تصفون

لحوم الأنبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت فى أرض كنعان قال جئت لصلة الرحم قرابة لى فأخذونى وأتوا بى اليك فأطلقه يعقوب (فصبر جميل) أى فصبرى صبر جميل أو فصبر جميل أولى من الجزع وهو أن لا يشكو البلاء لاحد غير الله تعالى (والله المستعان) أى المطلوب منه العون (على ماتصفون) أى على تحمل ماتصفون من هلاك يوسف وكأن الله تعالى قد مضى على يعقوب أن يوصل اليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليكثر رجوعه الى الله تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية فى العبودية لايمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن الشديدة والله أعلم (وجاءت سيارة) أى رفقة تسير من جهة مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون فى الأرض حتى وقعوا فى الاراضى التى فيها الجب وهى أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا عليه (فأرسلوا واردهم) أى ساقيهم ليطلب لهم الماء وهو من يهيء الارشية والدلاء فيتقدم الرفقة الى الماء يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ابن أخى سيدنا شعيب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين (فأدلى دلوه) أى فأرخى دلوه فى جب يوسف فتعلق هو فلم يقدر الساقى على نزعه من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى أصحابه (قال يابشرى) أى ياأصحابى وقال الأعمش انه دعا امرأة اسمها بشرى وقال السدى انه نادى صاحبه واسمه بشرى كما قرأه حمزة وعاصم والكسائى بغير ياء المتكلم بعد الألف المقصورة وقال أبو على الفارسى والوجه أن يجعل البشرى اسما للبشارة فنادى ذلك بشارة لنفسه كأنه يقول يأيتها البشرى هذا الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب لخوطبت الآن ولأمرت بالحضور ويدل على هذا قراءة الباقين يابشراى بفتح ياء المتكلم بعد الياء على الاضافة قالوا ماذا لك يامالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان فكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحكه واذا تكلم ظهر من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا عليه فأخرجوه من الجب بعد مكثه فيها ثلاثة أيام (وأسروه بضاعة) أى أخفوه حال كونه متاعا للتجارة أى كتم الوارد مالك وأصحابه من بقية القوم وذلك لأنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب أن نقول ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر (والله عليم بما يعملون) أى بما ينشأ من عمل اخوة يوسف ليوسف من ايقاعه فى البلاء الشديد وهو سبب لوصوله الى مصر ولتنقله فى أحوال الى أن صار ملك مصر وحصل ذلك الذى رآه فى النوم فرحم الله به العباد والبلاد (وشروه) أى باع يوسف من استخرجوه من البئر (بثمن بخس) أى حرام (دراهم معدودة) فانهم فى ذلك الزمان كانوا لايزنون ما كان أقل من أربعين دينارا (وكانوا) أى البائعون (فيه) أى فى يوسف (من الزاهدين) أى من الذين لايرغبون لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم فكذلك باعوه من أول مساوم بأوكس الأثمان (وقال الذى اشتراه من مصر) أى فى مصر من مالك بن ذعر وكان اشتراؤه بعشرين درهما وحلة ونعلين فالذى اشتراه فى مصر هو قطفير خازن الملك الريان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد آمن الملك بيوسف ومات فى حياة يوسف عليه السلام فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشترى ذلك الوزير يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة عشرين سنة (لامرأته) زليخا وقال ابن اسحق اسمها راعيل بنت رعيائيل (أكرمى مثواه) أى اجعلى منزله عندك كريما حسنا مرضيا والمعنى أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) أى يقوم باصلاح

(فصبر) أى فشأنى صبر (جميل) وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى (والله المستعان على ماتصفون) أى به أستعين فى مكابدة هذا الأمر (وجاءت سيارة) أى رفقة تسير للسفر (فأرسلوا واردهم) وهو الذى يرد الماء ليسقى للقوم (فأدلى دلوه) أى فأرسلها فى البئر فتشبث يوسف بالرشاء فأخرجه الوارد فلما رآه (قال يابشرى) أى يافرحتا (هذا غلام وأسروه بضاعة) أى أسره الوارد ومن كان معه من التجار عن غيرهم وقالوا هى بضاعة استبضعناها بعض أهل الماء (والله عليم بما يعملون) أى بيوسف فلما علم اخوته ذلك أتوهم وقالوا هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم فبيعوناه فباعوه منهم فذلك قوله (وشروه بثمن بخس) أى حرام لأن ثمن الحر حرام (دراهم معدودة) أى باثنين وعشرين درهما (وكانوا) يعنى اخوته (فيه) أى فى يوسف (من الزاهدين) أى لم يعرفوا موضعه من الله وكرامته عليه (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته) وهو العزيز صاحب ملك مصر (أكرمى مثواه) أى أحسنى اليه طول مقامه عندنا (عسى أن ينفعنا) يعنى أن يكفينا اذا بلغ وفهم الأمور بعض شئوننا

مهماتنا (أو تتخذه ولدا) أى تتبناه وكان قطفير لا يأتى النساء (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى وكما نجينا يوسف من القتل والجب وجعلنا فى قلب الوزير حنوا عليه نعطيه مكانة أى رتبة عالية فى أرض مصر ( ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أى تعبير بعض المنامات التى أعظمها رؤيا الملك وصاحبى السجن وهذا عطف على مقدر متعلق بمكنا أى جعلنا يوسف وجيها بين أهل مصر ومحببا فى قلوبهم لينشأ منه ما جرى بينه و بين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الرؤيا (والله غالب على أمره) أى أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه فى أرضه وسمائه (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) أن الأمر كله لله وأن قضاء الله غالب فمن تأمل فى أحوال الدنيا عرف ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والأربعين (آتيناه حكما وعلما) أى حكمة عملية وحكمة نظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العلمية لأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية وأما أصحاب الافكار العقلية والانظار الروحانية فانهم يصلون الى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الاول لأنه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزي المحسنين) أى كل من يحسن فى عمله وعن الحسن من أحسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت زليخا من يوسف أن يجامعها (وغلقت الأبواب) أى أبواب البيت السبعة ثم دعته الى نفسها ( وقالت هيت لك ) قرأ نافع وابن عامر فى رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن عمار عن أبى عامر هئت لك بكسر الهاء و بالهمزة الساكنة وضم التاء والباقون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء وان قرئ هيت بفتح الهاء والتاء أو ضم التاء فمعناه تعال و بادر أنا لك وان قرأت بكسر الهاء ثم بالهمزة الساكنة وضم التاء فمعناه تهيأت لك ( قال ) يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله معاذا مما تدعينني اليه (انه) أى الشأن العظيم ( ربى ) أى سيدى العزيز (أحسن مثواى) أى تعهدى حيث أمرك باكرامى فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الاحسان بالخيانة فى حرمه (انه) أى الشأن (لا يفلح الظالمون ) أى المجازون للاحسان بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أى قصدت زليخا مخالطة يوسف مع التصميم وقصد مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل (لولا أن رأى برهان ربه) أى لولا أن أيقن بحجة ربه الدالة على كمال قبح الزنا وجواب لولا محذوف أى لولا مشاهدته برهان ربه فى شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى لكنه حيث كان البرهان الذى هو الحكم والعلم حاضرا لديه حضور من يراه بالعين فلم يهم أصلا والحاصل أن هذا البرهان عند المحققين المثبتين لعصمة الأنبياء هو حجة الله تعالى فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب أو المراد برؤية البرهان حصول الاخلاق الحميدة وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل ان البرهان هو النبوة المانعة من اتيان الفواحش

(أو نتخذه ولدا) وكان حصورا لا يولد له (وكذلك) أى وكما نجيناه من القتل والبئر (مكنا ليوسف فى الأرض) يعنى أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أى فعلنا ذلك تصديقا لقول أبيه و يعلمك من تأويل الأحاديث (والله غالب على أمره) أى على ما أراد من قضائه لا يغلبه على أمره غالب ولا يبطل ارادته منازع (ولكن أكثر الناس) وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر (لا يعلمون) أن قدر الله غالب ومشيئته نافذة (ولما بلغ أشده) يعنى ثلاثين سنة (آتيناه حكما وعلما) أى عقلا وفهما (وكذلك) أى ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف (نجزي المحسنين) يريد الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى امرأة العزيز طلبت منه أن يواقعها ( وغلقت الأبواب) أى أغلقتها (وقالت هيت لك) أى هلم وتعال (قال معاذ الله) أى أعوذ بالله أن أفعل هذا (انه ربى) أى ان الذى اشترانى هو سيدى (أحسن مثواى) أى أنعم على باكرامى فلا أخونه فى حرمته ( انه لا يفلح الظالمون) أى لا يسعد الزناة (ولقد همت به وهم بها) أى طمعت فيه وطمع فيها (لولا أن رأى برهان ربه) وهو أنه مثل له يعقوب عاضا على أصابعه وقيل يقول أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى الأنبياء فاستحيا منه وجواب لولا محذوف على معنى لولا أن راى برهان ربه لأمضى ما هم به

وقيل انه عليه السلام رأى مكتوبا فى سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقالوا انه رأى يعقوب عاضا على ابهامه أوهتف به هاتف وقال له لا تعمل عمل السفهاء واسمك فى ديوان الأنبياء أوتمثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت منيه من أنامله أو رأى كفا من غير ذراع مكتوبا فيه وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا الآية (كذلك) أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه (لنصرف عنه السوء) أى مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة (والفحشاء) أى الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام فى جميع القرآن أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى والباقون بفتح اللام أى الذين اختارهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها أو أخلصهم من كل سوء (واستبقا الباب) أى تسابقا الى الباب البرانى الذى هو المخلص فان سبق يوسف فتح الباب للخروج وان سبقت زليخا أمسكت الباب لمنع الخروج (وقدت قميصه من دبر) أى شقت قميص يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه فغلبها يوسف وخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها) أى صادفا زوجها قطفير (لدى الباب) أى البرانى روى كعب رضى الله عنه أنه لما هرب يوسف عليه السلام صار فراش القفل يتناثر حتى خرج من الأبواب (قالت) لزوجها خائفة من التهمة (ماجزاء من أراد بأهلك سوأ) قيل ان يوسف أراد أن يضربها و يدفعها عن نفسه وكان ذلك بالنسبة اليها جاريا مجرى السوء فذكرت كلاما مبهما ثم خافت أن يقتله العزيز وهى شديدة الحب له فقالت (الا أن يسجن أو عذاب أليم) أى ليس جزاؤه الا السجن أو الضرب الوجيع وانما أخرت ذكر الضرب لان المحب لا يشتهى ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن يوما أو أقل على سبيل التخفيف أما الحبس الطويل فلا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين (قال هى راودتنى عن نفسى) ولم يقل هذه ولا تلك لفرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة ولم يكن يوسف يريد أن يهتك سترها ولكن لما لطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فصرح بالأمر فقال هى طالبتنى للمواتاة (وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن داية زليخا أو ابن خال لها وكان عمره شهرين أنطقه الله تعالى لبراءة يوسف وروى أن العزيز اشترى يوسف بوزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه لؤلؤا ووزنه مرجانا ووزنه مسكا ووزنه عنبرا فلما ذهب به الى البيت شغفت به زليخا فقالت لحاضنتها ما الحيلة فقالت لها ياسيدتى لو نظر اليك لكان أسرع حبا منك اليه ولو رأى حسنك وجمالك وصفاء لونك ماقر له قرار دونك فقالت وكيف ذلك فقالت مكنينى من الأموال فقالت خزائنى بين يديك فخذى ماشئت لا حساب عليك وأمرت باحضار أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتا يرى الوجه فى سقفه وفى حيطانه كما يرى فى المرآة المصقولة فقالوا نعم فبنوا لها بيتا سمته القيطون فلما تم دعت المصور وأمرته بصنع سرير من ذهب مرصع بالجواهر واليواقيت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صورة يوسف وزليخا متعانقين ثم زينت زليخا وخرجت الى يوسف مستعجلة وقالت يا يوسف أجب سيدتك فانها تدعوك فى بيتها القيطون وكان سميعا مطيعا وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرماه وأسرع لباب البيت فلما وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالشر وأراد الرجوع فأسرعت زليخا اليه وجرته للسرير فغمض عينيه وأطرق رأسه وبكى حياء من الله تعالى وراودته عن نفسه فأبى فقالت لم تخالف أمرى فقال خوفا من الله واكراما لسيدى الذى أحلنى محل أولاده فقالت أما الملك فأنا أعطيك جميع الأموال تصدق بها لربك ليغفر لك هذا الذنب وأما سيدك فأنا أطعمه السم حتى يسهرى لحمه وأكون أنا وأموالى ملكك فقام وبادر الى الباب من غير أن يكون بينه و بينها سبب من الاسباب جذبته مزقت قميصه من خلفه وهو فار

(كذلك) أى أريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) وهو خيانة صاحبه (والفحشاء) ركوب الفاحشة (انه من عبادنا المخلصين) أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادرا الى الباب واتبعته المرأة تبغى التشبث فلم تصل الا الى دبر قميصه فقدته (وألفيا) ووجد زوج المرأة عند الباب فحضرها فى الوقت كيد فأوهمت زوجها أن الذى سمع من العدو المبادرة الى الباب كان منها لا من يوسف (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) تريد الزنا (الا أن يسجن) أى يحبس فى السجن (أو عذاب أليم) أى بالضرب فلما قالت ذلك غضب يوسف و (قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد) أى وحكم حاكم و بين مبين من أهلها وهو ابن عم المرأة فقال

فوافق ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب فنظر العزيز لزليخا فرآها مزينة حاسرة عن وجهها ونظر الى
يوسف فرآه منكس الرأس باكى العين فوقف متحيرا فى أمرهما ينظر اليه مرة واليها مرة فقالت له
ان غلامك هذا يريد أن يخونك فى أهلك أى شئ جزاؤه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز
يا يوسف ما كان هذا جزائى منك أحللتك محل أولادى وتخوننى فى أهلى فقال يوسف عليه السلام ان لى
شاهدا يشهد لى بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معكما فى البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهد لى بالبراءة
فأوحى الله لجبريل أن اهبط على الطفل وشق له لسانه حتى يشهد لعبدى يوسف بالبراءة فعند ذلك تنحنح
الطفل وقال أيها الملك ان عندى فى أمرك هذا مالك فيه فرج ومخرج أنظر الى قميص الغلام العبرانى
(ان كان قميصه قد من قبل) أى شق من قدام (فصدقت) أى فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين)
فى قوله هى راودتنى (وان كان قميصه قد من دبر) أى من خلف (فكذبت) أى فقد كذبت المرأة فى
دعواها (وهو من الصادقين) فى قوله هى راودتنى (فلما رأى) أى زوجها (قميصه قد من دبر قال) لها
زوجها قطفير وقد قطع بصدقه وكذبها (انه) أى هذا القذف له فى ضمن قولك ما جزاء من أراد بأهلك
سوءا (من كيدكن) أى من جنس مكركن أيتها النساء (ان كيدكن عظيم) لأن لهن فى هذا الباب من
الحيل مالا يكون للرجال ولأن كيدهن فى هذا الباب يورث من العار مالا يورثه كيد الرجال (يوسف
أعرض عن هذا) أى يا يوسف أعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم
بسببها واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفرى) يا زليخا (لذنبك) الذى صدر عنك أى
توبى الى الله تعالى عما رميت يوسف به وهو برىء منه (انك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين) فى هذا
القول الذى لا يليق بمقام الأنبياء وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل
الغيرة قال فى البحر ان تربة مصر تقتضى هذا ولهذا لا ينشأ فيها الاسد ولو دخل فيها ما يبقى ثم أخبرت
زليخا بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن بل أشعن الأمر (وقال نسوة فى المدينة)
أى أشعن الأمر فى مصر (امرأة العزيز) أى الملك قطفير (تراود فتاها عن نفسه) أى وقال جماعة من
النساء وكن خمسا وهن امرأة صاحب دواب الملك وامرأة صاحب سجنه وامرأة خبازه وامرأة صاحب
مطبخه وامرأة ساقيه فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز تراود عبدها الكنعانى عن نفسه وهو
يمتنع منها (قد شغفها حبا) أى قد شق فتاها شغاف قلبها من جهة الحب وقرأ جماعة من الصحابة
والتابعين شعفها بالعين المهملة أى قد أحرق حبها فتاها حجاب قلبها والمعنى ان اشتغالها بحبه صار حجابا
بينها وبين كل ماسوى هذه المحبة فلا يخطر ببالها الا هو (انا لنراها فى ضلال مبين) أى انا نعلمها فى ضلال
واضح عن طريق الرشد بسبب حبها اياه (فلما سمعت بمكرهن) أى قولهن المستدعى لنظرهن الى وجه
يوسف (أرسلت اليهن) أى أرادت اظهار عذرها فاتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة من أشرف
مدينتها فيهن الخمس المذكورات (وأعتدت) أى أحضرت (لهن متكأ) أى وسائد يتكئن
عليها هذا ان قرئت مشددة فان قرئت مخففة فمعناها اترنجة فانهم كانوا يتكئون على المسانيد عند
الطعام والشراب والحديث على عادة المتكبرين ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله
عليه وسلم لا آكل متكئا (وآتت) أى أعطت (كل واحدة منهن سكينا) لاجل أكل الفاكهة
واللحم لانهم كانوا لايأكلون من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) أى زليخا ليوسف
وهى مشغولات باعمال الخناجر فى الطعام (اخرج عليهن) أى ابرز لهن ومر عليهن فان يوسف

فلما رأى قميصه) من حكم
الشاهد وبيانه مايوجب
الاستدلال به على تمييز
الكاذب من الصادق فلما
رأى زوج المرأة قميص
يوسف (قد من دبر قال
انه من كيدكن) أى قولك
ماجزاء من أراد بأهلك
سوءا الآية (يوسف) أى
يا يوسف (أعرض عن
هذا) أى اترك هذا الأمر
لاتذكره (واستغفرى
لذنبك انك كنت من
الخاطئين) أى الآثمين ثم
شاع ماجرى بينهما فى
مدينة مصر حتى تحدث
بذلك النساء وخضن فيه
وهو قوله (وقال نسوة فى
المدينة امرأة العزيز تراود
فتاها) أى غلامها (عن
نفسه قد شغفها حبا) أى
قد دخل حبه شغاف قلبها
وهو موضع الدم الذى
يكون داخل القلب
(انا لنراها فى ضلال مبين)
أى عن طريق الرشد
بحبها اياه (فلما سمعت)
أى امرأة العزيز
(بمكرهن) أى بمقالتهن
وسميت مكرا لانهن
قصدن بهذه المقالة أن
تريهن يوسف ليقوم لها
العذر فى حبه اذا رأين جماله
وكن يشتهين ذلك لان
يوسف وصف لهن بالجمال
(أرسلت اليهن) تدعوهن (وأعتدت) أى وأعدت (لهن متكأ) أى
طعاما مما يقطع بالسكين قيل هو الاترج (وآتت) أى وناولت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن

عليه السلام ماقدر على مخالفتها خوفا منها (فلما رأينه أكبرنه) أي أعظمنه وهبنه ودهشن عند رؤيته من شدة جماله وقيل معنى أكبرن أي حضن والهاء اما للسكت أو ضمير راجع الى يوسف على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق وأيضا ان المرأة اذا فزعت فربما أسقطت ولدها فحاضت ويقال أكبرت المرأة أي دخلت في الكبر وذلك اذا حاضت لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر (وقطعن أيديهن) أي جرحن أيديهن حتى سال الدم ولم يجدن الألم لفرط دهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف (وقلن حاش لله) أي تنزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جميل مثل هذا (ماهذا بشرا) أي ليس يوسف آدميا وقرأ ابن مسعود ماهذا بشر بالرفع وقرئ ماهذا بشرى أي ماهو بعبد مملوك للبشر حاصل بشراء (ان هذا الا ملك كريم) على الله فانه قد ثبت في العقول أنه لاشيء أحسن من الملك كما ثبت فيها أن لاشيء أقبح من الشيطان وقيل ان النسوة لما رأين يوسف لم يلتفت اليهن البتة ورأين عليه هيبة النبوة والرسالة وسيما الطهارة قلن إنا ما رأينا فيه أثرا من آثار الشهوة ولا صفة من الانسانية فهذا قد تطهر عن جميع الصفات المغروزة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية (قالت) أي زليخا لهن (فذلكن الذي لمتنني فيه) أي فهذا الذي ترينه هو ذلك العبد الكنعاني الذي عيرتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو حصلت صورته في خيالكن لتركتن هذه الملامة (ولقد راودته عن نفسه) حسبما سمعتن وقلتن (فاستعصم) أي فامتنع عني بالعفة (ولئن لم يفعل ما آمره) أي ان لم يفعل يوسف مقتضى أمري اياه من قضاء شهوتي (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونن من الصاغرين) أي من الذليلين في السجن فقلن ليوسف أطع مولاتك (قال) أي يوسف مناجيا لربه عز وجل (رب السجن أحب الي) أي يارب دخول السجن أحب عندي (مما يدعونني اليه) من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الأليم (والا تصرف عني كيدهن) بالتثبيت على العصمة فان كل واحدة منهن كانت ترغب يوسف على موافقة زليخا وتخوفه على مخالفتها (أصب اليهن) أي أمل الى اجابتهن على قضية الطبيعة البشرية وحكم القوة الشهوية (وأكن من الجاهلين) أي وأصر من الذين لايعملون بعلمهم (فاستجاب له ربه) دعاءه الذي في ضمن قوله والا تصرف عني الخ فان فيه التجاء الى الله تعالى جريا على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات وطلب النجاة من الشرور على جناب الله تعالى كقول المستغيث أدركني والا هلكت (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى وطن نفسه على مشقة السجن (انه هو السميع) لدعاء المتضرعين اليه (العليم) للنيات فيجيب ماطاب منه العزم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) أي ثم ظهر للعزيز وأصحابه المشاركين له في الرأي من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص من دبر وقطع النساء أيديهن سجنه عليه السلام قائلين والله (ليسجننه حتى حين) أي الى انقطاع مقالة الناس في المدينة فان زليخا لما أيست من يوسف بجميع حيلها كي تحمله على موافقة مرادها قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر اليهم واما أن تسجنه فسجنه (ودخل معه السجن فتيان) أي عبدان للملك مصر الكبير وهو الريان بن

فلما رأينه أكبرنه) أي أعظمنه وهالهن أمره وبهتن (وقطعن أيديهن) أي حززنها بالسكاكين ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف (وقلن حاش لله) أي بعد يوسف عن أن يكون بشرا (ان هذا) ماهذا (الا ملك كريم) فلما رأت امرأت العزيز ذلك (قالت فذلكن الذي) أي فهو الذي (لمتنني فيه) أي في حبه والشغف به ثم أقرت عندهن بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع وأبى وتوعدته بالسجن ثم قالت (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فأمرنه بطاعتها وقلن له انك الظالم وهي المظلومة فقال يوسف (رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) أي من معصيتك (والا تصرف عني كيدهن) أي كيد جميع النسوة (أصب) أي أمل (اليهن وأكن من الجاهلين) أي المذنبين (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) حتى لم يقع في شيء مما يطالبنه به (انه هو السميع) لدعائه (العليم) بما يخاف من الاثم (ثم بدا لهم) أي للعزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) أي آيات براءة يوسف (ليسجننه حتى حين) وذلك أن المرأة قالت ان هذا العبد فضحني في الناس يخبرهم أني راودته عن نفسه فأحبسه حتى تنقطع هذه المقالة فذلك قوله حتى حين أي الى انقطاع الاذئة (ودخل معه السجن فتيان) أي غلامان للملك الأكبر رفع اليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وصاحب شرابه مالأه على ذلك فأدخلهما السجن ورأيا يوسف يعبر الرؤيا فقالا انا لنجرب هذا العبد العبراني فتحالما من غير أن يكونا رأيا شيئا وهو قوله

الوليد العمليق سمى أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسمى الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الأول مرطش والثانى رأسان وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهما رشوة على أن يسما الملك فى طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدى الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف فلما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الأحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) أى انى رأيت نفسى أعصر عنبا وأسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى) أى رأيتنى (أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بتفسير رؤيانا (انا نراك من المحسنين) أى من العالمين بتفسير الرؤيا ومن المحسنين الى أهل السجن فيسليهم ويقول اصبروا وأبشروا وتؤجروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يافتى فقال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك واختر أى بيوت السجن شئت أى ان الساقى قال لسيدنا يوسف أيها العالم انى رأيت فى المنام كأنى فى بستان وفيه شجرة عنب فيها ثلاثة أغصان وعليها ثلاثة عناقيد من العنب فجنيتها وكأن كأس الملك فى يدى فعصرتها وسقيت الملك فشربه وقال الخباز انى رأيت فى المنام كأنى أخرج من مطبخ الملك وعلى رأسى ثلاث سلال من الخبز فوقع طير على أعلاها وأكل منها ولما قصا عليه الرؤيا كره أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فيها من المكروه لأحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد لأنه علم أن أحدهما هالك فأراد أن يدخله فى الاسلام فبدأ باظهار المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أى لا يأتيكما طعام ترزقانه فى منزلكما على حسب عادتكما المطردة الا أخبرتكما بعاقبته فهو يفيد الصحة أو السقم وبلونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) وكيف لا أعلم تعبير رؤياكما وهذا راجع الى أن يوسف ادعى الاخبار عن الغيب وهو يجرى مجرى قول عيسى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم (ذلكما) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمنى ربى) بالوحى والالهام لا على جهة الكهانة والنجوم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) أى انى امتنعت عن دين قوم لا يؤمنون بالله وبالبعث بعد الموت (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) وانما قال يوسف ذلك ترغيبا لصاحبيه فى الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال (ما كان) أى لا يصح (لنا) معاشر الأنبياء (أن نشرك بالله من شئ) أى أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا عن أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك) أى التوحيد الذى هو ترك الاشراك (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) بارسالنا اليهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يوحدون الله تعالى (ياصاحبى السجن) أى ياصاحبى فى السجن أو ياساكنى السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) أى مختلفون فى الكبر والصغر واللون من ذهب وفضة وحديد وصفر وخشب وحجارة وغير ذلك (خير) لكما (أم الله الواحد القهار) أى هذه الأصنام معمولة ومقهورة فان الانسان اذا أراد كسرها قدر عليها فهى مقهورة ولا ينتظر حصول منفعة من جهتها واله العالم فعال قهار قادر على ايصال الخيرات ودفع الآفات والمراد أعبادة آلهة شتى مقهورة خير أم عبادة

---

(قال أحدهمـا) وهو الساقى (انى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا (وقال الآخر) وهو صاحب الطعام (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) أى رأيت كأن فوق رأسى خبزا واذا سباع الطير ينهشن منه (نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بتفسيره (انا نراك من المحسنين) أى تؤثر الاحسان وتأتى جميل الأفعال فعدل يوسف عن جواب مسألتهما ودلهما أولا على أنه عالم بتفسير الرؤيا ف(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) أى تأكلان منه فى منامكما (الا نبأتكما بتأويله) أى فى اليقظة (قبل أن يأتيكما) التأويل (ذلكما مما علمنى ربى) أى لست أخبركما عن جهة التكهن والتنجم انما ذلك بعلم من الله ثم أخبر عن ايمانه واجتنابه الكفر بسياق الآية وقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ يريد أن الله عصمنا من أن نشرك به (ذلك من فضل الله علينا) أى اتباعنا الايمان بتوفيق الله وتفضله علينا (وعلى الناس) أى وعلى من عصمه الله من الشرك حتى اتبع دينه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى نعمة الله بتوحيده والايمان بالرسل ثم دعاهمـا الى الايمان فقال (ياصاحبى السجن) يعنى ياساكنيه (أأرباب متفرقون) يعنى الأصنام (خير) أى أعظم فى صفة المدح (أم الله الواحد القهار) أى الذى يقهر كل شئ

الله

الله المتوحد بالألوهية الغالب على خلقه ولا يغالب خير (ما تعبدون من دونه) أى من غير الله شيئا (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى الاذوات أوجدتم وآباؤكم لها أسماء آلهة بمحض ضلالتكم (ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المتبعة للعبادة (من سلطان) أى من حجة تدل على صحتها وتحقيق مسمياتها فى تلك الذوات فكأنكم لا تعبدون الا الأسماء المجردة عن الذوات والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الا لله) أى ليس الحكم فى أمر العبادة الا لله فليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام (أمر) على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الا اياه) لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بمن حصل منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أى الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين المستقيم لجهلهم بتلك البراهين ولما فرغ سيدنا يوسف من الدعاء الى عبادة الله تعالى رجع الى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبى السجن أما أحدكما) وهو الشرابى (فيسقى ربه) أى سيده (خمرا وأما الآخر) وهو الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روى أن الساقى لما قص رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الكرم فهو العمل الذى كنت فيه وأما العنب فهو عزك فى ذلك العمل وأما الأغصان الثلاثة فثلاثة أيام يوجه اليك الملك عند انقضائهن وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو أن يردك الى عملك فتصير كما كنت بل أحسن ولما قص الخباز رؤياه على يوسف قال له بئسما رأيت أما خروجك من المطبخ فهو أن تخرج من عملك وأما ثلاث سلال فهى ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو أن يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك ففزع التعبير رؤيا الخباز وقالا جميعا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب فقال لهما يوسف (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى تم الأمر الذى تسألان عنه رأيتما أو لم تريا فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون (وقال) أى يوسف عليه السلام (للذى ظن أنه ناج) أى للرجل الذى ظنه ناجيا من القتل (منهما) أى من صاحبيه وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) أى عند سيدك الملك الكبير فقل له ان فى السجن غلاما يحبس ظلما خمس سنين (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى أنسى الشيطان بوسوسته الشرابى ذكره ليوسف عند الملك ويقال فأنسى الشيطان يوسف أن يذكر ربه حتى طلب الفرج من مخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالناس فى دفع الظلم جائزة فى الشريعة الا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فالأولى بالصديقين أن لا يشتغلوا الا بمسبب الأسباب ولذلك جوزى يوسف بسنتين فى الحبس كما قال تعالى (فلبث) أى يوسف (فى السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أى سبع سنين خمس منها قبل ذلك القول وثنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الريان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت فى منامى (سبع بقرات سمان) قد خرجن من النهر ثم خرج منه بعدهن سبع بقرات مهازيل (يأكلهن سبع عجاف) أى ابتلعت العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يتبين على العجاف شىء منهن (و) انى أرى (سبع سنبلات خضر) أى قد انعقد حبها (وأخر) أى وسبعا أخر (يابسات) أى قد بلغت أوان الحصد فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شىء فقلق الملك لما رأى الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف

---

(ما تعبدون) أى أنتما ومن على مثل حالكما (من دونه) أى من دون الله (الا أسماء) أى لا معانى وراءها (سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله) أى ما الفصل بالأمر والنهى الا لله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب ثم ذكر تأويل رؤياهما بقوله (ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا ما رأينا شيئا فقال (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) يعنى سيقع بكما ما عبرت لكما صدقتما أم كذبتما (وقال) يوسف (للذى ظن) علم (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) أى عند الملك صاحبك وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى أنسى الشيطان يوسف الاستعانة بربه وأوقع فى قلبه الاستعانة بالملك فعوقب بأن لبث فى السجن بضع سنين فلما دنا فرجه وأراد الله خلاصه رأى الملك رؤيا وهى قوله (وقال الملك انى أرى) الآية فلما استفتاهم فيها

من السجن فهذا هو قوله (يأيها الملأ) أى السحرة والكهنة والمعبرون للرؤيا (أفتونى فى رؤياى) أى بينوا الى تعبير رؤياى هذه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أى ان كنتم تعلمون بانتقال الرؤيا من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها (قالوا) أى أشراف العلماء والحكماء (أضغاث أحلام) أى هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لاحقيقة لها (ومانحن بتأويل الأحلام) أى المنامات الباطلة التى لا أصل لها (بعالمين) أى لانه لاتأويل لها وانما التأويل للرؤيا الصادقة (وقال الذى نجا منهما) أى الذى خلص من السجن من صاحبى يوسف بعد أن جلس بين يدى الملك أى قال الشرابى للملك ان فى الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق فى الكل وما أخطأ فى حرف فان أذنت مضيت اليه وجئتك بالجواب (وادكر بعد أمة) أى تذكر الشرابى يوسف بعد مدة طويلة وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم ثم بالهاء أى بعد نسيان (أنا أنبئكم بتأويله) أى أنا أخبرك أيها الملك بتعبير رؤياك (فأرسلون) الى السجن فأرسله اليه فأتى يوسف فقال له (يوسف أيها الصديق) أى البالغ فى الصدق (أفتنا) أى بين لنا (فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع) من البقر (عجاف و) فى (سبع سنبلات خضر و) فى سبع (أخر) من السنابل (يابسات) أى فى رؤيا ذلك رآها الملك (لعلى أرجع الى الناس) أى أعود الى الملك وجماعته بفتواك (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فان الساقى علم عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف أن يعجز يوسف عنه أيضا (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أى متتابعة على عادتكم فى الزراعة (فما حصدتم) من الزرع فى كل سنة (فذروه فى سنبله) أى كوافره ولاتدوسوه لئلا يقع فيه السوس فان ذلك أبقى له على طول الزمان (الاقليلا مما تأكلون) أى إلا كل ما أردتم أكله فدوسوه فى تلك السنين وهذا تأويل السبع السمان والسبع الخضر (ثم يأتى من بعد ذلك) أى من بعد السبع سنين المخصبة (سبع شداد) أى سبع سنين قحطة صعاب على الناس وهذا تأويل السبع العجاف والسبع اليابسات (يأكلن ماقدمتم لهن) أى تأكلون الحب المزروع وقت السنين المخصبة المتروك فى سنبله فى السنين المجدبة (الاقليلا مما تحصنون) أى تدخرون للبذر فأكل ماجمع أيام السنين المخصبة فى السنين المجدبة تأويل ابتلاع العجاف السمان (ثم يأتى من بعد ذلك) أى من بعد السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أى ينقذ الناس من كرب الجدب (وفيه يعصرون) ما من عادته أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وقيل معناه يمطرون وقيل معناه ينجون من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبناء للمفعول وهذا من مدلولات المنام لانه لما كانت العجاف سبعا دل ذلك على أن السنين المجدبة لاتزيد على هذا العدد فالحاصل بعده هو الخصب على العادة الالهية حيث يوسع الله على عباده بعد تضييقه عليهم فلما رجع الشرابى الى الملك وأخبره بما ذكره يوسف استحسنه الملك (وقال الملك ائتونى به) أى بيوسف لما علم من فضله وعلمه فرجع الساقى الى يوسف (فلما جاءه) أى يوسف (الرسول) وقال له أجب الملك (قال) أى يوسف له (ارجع الى ربك) أى الى سيدك الملك الكبير (فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) أى فاسأل الملك بأن يفتش عن شأن النسوة ليعلم براءتى عن تلك التهمة وانما لم يخرج يوسف من

السجن

تأويلها (وقال الذى نجا منهما) وهو الساقى (وادكر بعد أمة) أى تذكر أمر يوسف بعد حين من الدهر (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) فأرسل فأتى يوسف فقال (يوسف) أى يا يوسف (أيها الصديق) أى الكثير الصدق وقوله (لعلى أرجع الى الناس) يعنى الملك وأصحابه (لعلهم يعلمون) أى تأويل رؤيا الملك من جهتك (قال تزرعون) أى ازرعوا (سبع سنين دأبا) أى متتابعة وهذه السبع تأويل البقرات السمان (فما حصدتم) أى مما زرعتم (فذروه فى سنبله) لانه أبقى له وأبعد من الفساد (الا قليلا مما تأكلون) فانكم تدرسونه (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) أى مجدبات صعاب وهذه تأويل البقرات العجاف (يأكلن) أى يفنين ويذهبن (ماقدمتم لهن) أى من الحب (الاقليلا مما تحصنون) أى تحرزون وتدخرون (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) أى يمطرون ويخصبون حتى يعصروا من السمسم الدهن ومن العنب الخمر ومن الزيتون الزيت فرجع الرسول بتأويل الرؤيا الى الملك فعرف الملك أن ذلك تأويل صحيح فقال ائتونى بالذى عبر رؤياى فجاء الرسول يوسف فقال أجب الملك فقال للرسول (ارجع الى ربك) يعنى الملك (فاسأله) أن يسأل (مابال النسوة)

أى ماحالهن وشأنهن ليعلم صحة براءتى مماقذفت به وذلك أن النسوة كن قدعرفن براءته باقرار امرأة العزيز عندهن وهو قولها ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فأحب يوسف ان يعلم الملك أنه حبس ظلما وأنه برىء مماقذف به فسأله أن يستعلم النسوة عن ذلك (ان ربى بكيدهن) أى بمافعلن فى شأنى حين رأيننى و بماقلن لى (عليم) فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك النسوة و (قال ماخطبكن) أى ماقصتكن وشأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) جمعهن فى المراودة لأنه لم يعلم من كانت المراودة (قلن حاش لله) أى بعد يوسف عمايتهم به (ماعلمنا عليه من سوء) أى من زنا فلما برأنه أقرت امرأة العزيز فقالت (الآن حصحص الحق) أى بان ووضح وذلك انها خافت ان كذبت شهدت عليها النسوة فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أى فى قوله هى راودتنى عن نفسى (ذلك) أى مافعله يوسف من رد الرسول الى الملك (ليعلم) أى وزير الملك وهو الذى اشتراه (أنى لم أخنه) أى فى زوجته (بالغيب وان الله لايهدى كيد الخائنين) أى لايرشد كيد من خان أمانته أى أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية من الله عزجل فلما قال يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال (وما أبرىء نفسى) أى وما أزكى نفسى (ان النفس لامارة بالسوء) يعنى بالقبيح وماالايحب الله (الامارحم ربى) من رحم فعصمه (وقال الملك ائتونى به) أى بيوسف (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خالصا لايشاركنى فيه أحد

السجن فى الحال لأنه لوخرج قبل ظهور براءته من تلك التهمة عند الملك فلربما يقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بعد خروجه (ان ربى) أى سيدى ومربى وهو ذلك الملك (بكيدهن) أى بمكرهن (عليم) فلما أبى يوسف أن يخرج من السجن قبل تبين الأمر رجع الرسول الى الملك فأخبره بماقال يوسف عليه السلام فأمر الملك باحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أى الملك مخاطبا لهن لان كل واحدة منهن راودت يوسف لأجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطع مولاتك (ماخطبكن) أى ماشأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أى خادعتنه هل وجدتن فيه ميلا الى قولكن (قلن حاش لله) أى تنزيها له (ماعلمنا عليه) أى يوسف (من سوء) أى من خيانة فى شىء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) أى الآن تبين الحق ليوسف (أنا راودته عن نفسه) أى أنا دعوته الى نفسى (وانه لمن الصادقين) أى فى قوله حين افتريت عليه هى راودتنى عن نفسى وانما أقرت زليخا بذنبها وأشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها انما نشأت من جهتها وقد عرفت أن ذلك لرعاية حقها ولتعظيمها ولاخفاء الأمر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بجواب النسوة و بقول زليخا فقال يوسف وهو فى السجن (ذلك) أى الذى فعلت من ردى الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أى الملك الصغير الذى هو قطفير زوج زليخا (أنى لم أخنه) فى حرمته كما زعمه (بالغيب) أى وأنا غائب عنه أوهو غائب عنى (و) ليعلم (أن الله لايهدى كيد الخائنين) أى لاينفذه ولو كنت خائنا لماخلصنى الله تعالى من هذه الورطة (وما أبرىء نفسى) أى والحال انى لم أقصد بذلك تنزيه نفسى من الزلل و براءتها منه (ان النفس) البشرية (لامارة بالسوء) أى ميالة الى القبائح راغبة فى المعصية ولما كان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه جاريا مجرى مدح النفس استدركه بقوله وما أبرىء نفسى أى لاأمدحها (الا مارحم ربى) أى الانفسا عصمها ربى من الوقوع فى المهالك (ان ربى غفور) للهم الذى هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ماعليه أكثر المفسرين وقال بعضهم من اسم الاشارة الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه بالغيب أى انى لم أقل فى يوسف وهو فى السجن خلاف الحق فانى وان أحلت الذنب عليه عند حضوره ماأحلت الذنب عليه عند غيبته وأن الله لايهدى كيد الخائنين أى لايرضاه فانى لما أقدمت على المكر لاشك افتضحت وأن يوسف لما كان بريئا من الذنب لاشك طهره الله عنه وما أبرىء نفسى مع ذلك من الخيانة حيث راودته وقلت فى حقه ماقلت وأودعته فى السجن. ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار مما كان وتنزيه يوسف من الذنب ان كل نفس لأمارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام ان ربى غفور لمن استغفر من ذنبه رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام فى الخروج من السجن لعدم رضاه ملاقاة الملك حتى يتبين أنه انما سجن بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أى الكبير وهو الريان (ائتونى به) أى بيوسف (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خاصا بى دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متنظفا من درن السجن بالثياب النظيفة

والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل على الملك فسلم عليه بالعربية فقال له الملك ماهذا اللسان قال لسان عمى اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وماهذا اللسان قال هذا لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف به وزاد عليه بالعربية والعبرانية وروى أنه لما رآه الملك شابا وهو فى ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرابى أهذا هو الذى علم تأويل رؤياى قال نعم فاقبل على يوسف وقال انى أحب أن أسمع تأويل الرؤيا منك شفاها فاجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف (قال) أى الملك (انك اليوم لدينا مكين) أى ذو منزلة رفيعة (أمين) أى ذو أمانة على كل شىء فماترى أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع فى هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) أى ولنى أمر خزائن أرض مصر (انى حفيظ) لما وليتنى ولجميع مصالح الناس (عليم) بوجوه التصرف فى الاموال وبجميع ألسن الغرباء الذين يأتونى وفى هذا دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل وان كان الطلب من يد الكافر (وكذلك) أى مثل ذلك الانعام الذى أنعمنا عليه من تقريبنا اياه من قلب الملك وانجائنا اياه من غم الحبس (مكنا ليوسف فى الأرض) أى أقدرناه على مايريد برفع الموانع فى أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) أى نازلا فى أى موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين فرسخا وقرأ ابن كثير نشاء بالنون مسندا الى الله تعالى روى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وأخرج خاتم الملك وجعله فى اصبعه وقلده بسيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا وضرب له عليه حلة من استبرق فقال يوسف عليه السلام أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال الملك قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك الأكبر اليه ملكه وأمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطفير بعد ذلك فزوجه عليه السلام الملك امرأته زليخا فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله فأصابها يوسف فوجدها عذراء فولدت له ذكرين أفرائم وميشا فاستولى يوسف على ملك مصر وأقام فيها العدل وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام فى السنة الأولى بالدنانير والدراهم وفى الثانية بالحلى والجواهر وفى الثالثة بالدواب وفى الرابعة بالجوارى والعبيد وفى الخامسة بالضياع والعقار وفى السادسة بأولادهم وفى السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له عليه السلام فقال أهل مصر ماراينا كاليوم ملكا أجل وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فماترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لايبيع من أحد من الممتارين

(فلما كلمه) يوسف (قال انك اليوم لدنيا مكين) أى وجيه ذو مكانة (أمين) أى قد عرفنا أمانتك وبراءتك ثم سأله الملك أن يعبر رؤياه شفاها فأجابه يوسف بذلك فقال له ماترى ان نصنع فقال تجمع الطعام فى السنين المخصبة ليأتيك الخلق فيمتارون منك بحكمك فقال ومن لى بهذا ومن يجمعه (قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الأرض) أى على حفظها وأراد بالأرض أرض مصر (انى حفيظ عليم) أى كاتب حاسب (وكذلك) أى وكما أنعمنا عليه بالخلاص من السجن (مكنا) له قدرناه على مايريد (فى الأرض) أى أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) هذا تفسير التمكين فى الارض

أ كثرمن حمل بعير تقسيطا بين الناس ومات الملك فى حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أى بعطائنا فى الدنيامن الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من عبادنا (ولانضيع أجر المحسنين) لأن اضاعة الاجر اماأن تـكون للعجز أوللجهل أوللبخل والـكل ممتنع فى حق الله تعالى فـكانت الاضاعـة ممتنعة (ولأجر الآخرة خير للذين آمنواوكانوا يتقون) أى ولاجر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والـكتب والرسل واتقوا الفواحش فى الآخرة خير لهم والمراد أن يوسف وان كان قدوصل الى الدرجات الرفيعة فى الدنيا فثوابه الذى أعده الله له فى الآخرة أفضل وأ كمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين (وجاء اخوة يوسف) الى مصر وهم عشرة ليمتاروا أى لما وصل القحط الى البلدة التى يسكنها يعقوب عليه السـلام وهى ثغور الشام من أرض فلسطين قال لبنيه ان بمصر ملـكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشـتروا منه ماتحتاجون اليه من الطعام فخرجوا غير بنيامين حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه) أى على يوسف وهو فى مجلس ولايته (فعرفهم) بأول نظرة نظر اليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أى والحال أنهم لايعرفونه لطول المدة فبين أن ألقوه فى الجب ودخولهم عليه أربعون سـنة ولانهم رأوه جالسا على سرير الملك وعليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فـكلموه بالعبرانية فقال لهم من أنتم وأى شئ أقدمكم بلادى فقالوا قدمنا لاخذ الميرة ونحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لعلـكم عيون تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا فقالوا معاذالله قال من أين أنتم قالوا من بلاد كنعان نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحدا فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسـلى به عن الهالك لانه اخوه الشقيق قال فمن يشهد لـكم أنـكم لستم عيونا وأن ماتقولون حق قالوا نحن ببلاد غربة لايعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فأتونى بأخيكم الذى من أبيكم ان كـنتم صادقين فأنا أ كتفى بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فى أمر الجب فتركوه عنده فأمر بانزالهم واكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) أى فلما أوقر يوسف ابلهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج اليه المسافر (قال ائتونى بأخ لـكم من أبيكم) اذا رجعتم لتمتاروا مرة أخرى لاعلم صدقـكم فيما قلتم ان لنا أخا من أبينا عند أبينا (ألا ترون أنى أوف الـكيل) أى أتمه وأزيدكم حمل بعير آخر لاجل أخيكم وحملا آخر لابيكم لأنهم قالوا ان لنا أبا شيخا كبيرا وأخا آخر بقى معه لان يوسف لايزيد لاحد على حمل بعير (وأنا خير المنزلين) أى خير المضيفين فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده (فان لم تأتونى به) أى بأخيكم من أبيكم اذا عدتم مرة أخرى (فلا كيل لـكم عندى) أى فلا طعام لـكم يكال عندى (ولا تقربون) أى لاتدخلوا بلادى فضلا عن وصولـكم الى (قالوا سنراود عنه أباه) أى سنطلبه من أبيه ونحتال على أن ننزعه من يده (وانا لفاعلون) ماأمرتنا به من أن نجيئك بأخينا فانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكن الامن عنده (وقال لفتيانه) أى لخدامه الـكيالين وقرأ حمزة والـكسائى وحفص عن عاصم لفتيانه بالالف والنون والباقون لفتيته بالتاء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أى دسوا دراهمهم التى اشتروا بها الطعام فى أوعيتهم التى يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أى لـكى يعرفوا

(نصيب برحمتنا من نشاء) أى أتفضل على من أشاء برحمتى (ولانضيع أجر المحسنين)  أى ثواب الموحدين (ولأجر الآخرة) أى مايعطى الله من ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا) أى خير للمؤمنين والمعنى أن مايعطى الله يوسف فى الآخرة خير مما أعطاه فى الدنيا ثم دخل أعوام القحط على الناس فأصاب اخوة يوسف المجاعة فأتوه ممتارين وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليـه فعرفهم وهم له منكرون) لانهم رأوه على زى الملوك وكان قد تقرر فى نفوسهم هلاك يوسف وقيل لأنهم رأوه من وراء ستر (ولما جهزهم بجهازهم) يعنى حمل لـكل رجل منهم بعيرا (قال ائتونى بأخ لـكم من أبيـكم) يعنى بنيامين وذلك أنه سـألهم عن عددهم فأخبروه وقالوا انا خلفنا أخانا عند أبينا فقال يوسف فأتونى بأخ لـكم من أبيكم (ألا ترون انى أوف الـكيل) أى أتمه من غـير بخس (وأنا خير المنزلين) وذلك أنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم ثم أوعدهم على ترك الاتيان بالاخ بقوله (فان لم تأتونى به فلا كيل لـكم عندى ولا تقربون قالوا سـنراود عنه أباه) أى نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا (وانا لفاعلون) اى ماوعدناك من المراودة (وقال لفتيته) أى لغلمانه (اجعلوا بضاعتهم) التى أتوابها لثمن الميرة وكانت دراهم (فى رحالهم) أى فى أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى عساهم يعرفون أنها بضاعتهم بعينها

بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) أى اذا رجعوا الى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) أى لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع الينا لانهم اذا علموا ان ذلك من سخاء يوسف بعثهم على العود عليه والرغبة فى معاملته وأيضا ان سيدنا يوسف يخاف من أن لايكون عند أبيه من الدراهم مايرجعون به مرة أخرى (فلما رجعوا) أى اخوة يوسف غير شمعون (الى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع (ياأبانا منع منا الكيل) أى حكم العزيز بمنع الطعام بعد هذه المرة ان لم يذهب معنا بنيامين اليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين الى مصر وقال يعقوب أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة (نكتل) أى نرفع المانع من الكيل بسببه ونكتل بسببه من الطعام مانشاء وقرأ حمزة والكسائى يكتل بالياء أى يكتل أخونا لنفسه مع اكتيالنا (وانا له لحافظون) من أن يصيبه مكروه وضامنون برده اليك (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى قال لهم يعقوب كيف آمنكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف مافعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمنتم لى حفظه ثم فعلتم فلما لم يحصل الأمن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وانما أفوض الامر الى الله (فالله خير حافظا) منكم قرأ حفص وحمزة والكسائى بفتح الحاء وبألف بعدها على التمييز أى حفظ الله بنيامين خير من حفظكم وقرأ الباقون حفظا بكسر الحاء وسكون الفاء وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الرحمين) وهو أرحم به من والديه ومن اخوته وقيل ان يعقوب لما ذكر يوسف قال فالله خير حافظا الخ أى حفظا ليوسف لانه كان يعلم أن يوسف حى (ولما فتحوا متاعهم) أى أوعيتهم التى وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم (وجدوا بضاعتهم) وهى ثمن الميرة الذى دفعوه ليوسف (ردت اليهم قالوا ياأبانا مانبغى) أى مانكذب بما قلنا من أنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة أو المعنى أى شئ نريد من اكرام الملك (هذه بضاعتنا ردت الينا) هل من مزيد على ذلك فقد أحسن الملك مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا فلا نطلب وراء ذلك احسانا وقيل المعنى نحن لانطلب منك ياأبانا عند رجوعنا الى الملك بضاعة أخرى فان هذه التى ردت الينا كافية لنا فى ثمن الطعام (ونمير أهلنا) أى نأتى بالطعام الى أهلنا برجوعنا الى ذلك الملك بتلك البضاعة وهذا معطوف على محذوف والتقدير فنستعين بهذه البضاعة ونمير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من المكاره فى الذهاب والاياب (ونزداد) بسببه (كيل بعير) أى وقر بعير له (ذلك كيل يسير) أى ذلك الحمل الذى نزداده كيل قليل على الملك لأنه قد أحسن الينا وأكرمنا بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذى نطلب منك أمر يسير (قال) لهم أبوهم (لن أرسله) أى بنيامين (معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى حتى تعطونى عهدا من الله أى حتى يحلفوا بالله (لتأتننى به الا أن يحاط بكم) أى فى حال أن تموتوا أو فى حال أن تصيروا مغلوبين فلا تقدروا الاتيان به الى (فلما آتوه موثقهم) أى أعطوا أباهم عهدهم من الله على رده الى أبيهم فقالوا فى حلفهم بالله رب محمد لنأتينك به (قال) أى يعقوب (الله على ما نقول وكيل) أى شهيد فان وفيتم بالعهد جازاكم الله بأحسن الجزاء وان غدرتم به كافأكم بأعظم العقوبات (وقال) ناصحا لهم لما أزمع على ارسالهم جميعا (يابنى لاتدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبوابها الاربعة (وادخلوا من أبواب متفرقة) انما أمرهم بذلك لأنه خاف عليهم

(اذا انقلبوا الى أهلهم) وفتحوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) عساهم يرجعون اذا عرفوا ذلك لانهم لايستحلون امساكها (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل) (٤١٢) أى حكم علينا بمنع الكيل بعد هذا ان لم نذهب باخينا يعنون قوله فلا كيل لكم عندى ولا تقربون (فأرسل معنا أخانا نكتل) أى نأخذ كيلنا (قال هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل) يقول لا آمنكم على بنيامين الا كأمنى على يوسف يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن فانهم خانوه فهو وان آمنهم فى هذا خاف خيانتهم أيضا ثم قال (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم) أى ما حملوه من مصر (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياأبانا مانبغى) يعنى ما نبغى منك شيئا تردنا به وتصرفنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) فتصرف بها ونمير أهلنا نجلب اليهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يعنى حمل بعير من الطعام لانه كان يكال لكل رجل وقر بعير (ذلك كيل يسير) أى متيسر على من يكيل لنا لسخائه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى حتى تحلفوا بالله (لتأتننى به الا أن يحاط بكم) أى الا أن تموتوا كلكم (فلما آتوه موثقهم) أى عهدهم ويمينهم (قال الله على مانقول وكيل) أى شهيد (و) لما أرادوا الخروج من عنده (قال يابنى لاتدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) قد خاف العين عليهم فأمرهم بالتفرق

العين

العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد تجملوا فى هذه الكرة أكثر مما فى المرة الأولى (وما أغنى عنكم من الله من شىء) أى لا أدفع عنكم بتدبيرى شيئا مما قضى الله عليكم فان الحذر لا يمنع القدر والانسان مأمور بأن يحذر عن الأشياء المهلكة والأغذية الضارة وان يسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان (ان الحكم) أى ما الحكم بالالزام والمنع (الا لله) وحده (عليه توكلت) أى اليه وحده فوضت أمرى وأمركم (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) أى فليثق الواثقون (ولما دخلوا) أى المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أى من الأبواب المتفرقة (ما كان) أى دخولهم متفرقين (يغنى) أى يخرج (عنهم) أى الداخلين (من الله) أى من قضائه (من شىء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) أى لكن الدخول على صفة التفرق أظهر حاجة فى قلب يعقوب وهى خوفه عليهم من اصابة العين وهذا تصديق الله لقول يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شىء (وانه) أى يعقوب (لذو علم لما علمناه) أى لفوائد ما علمناه أى انه عامل بما علمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والعلم (ولما دخلوا على يوسف) أى فى محل حكمه (آوى اليه أخاه) أى أنزله معه فى منزله أى لما أتى اخوة يوسف بأخيه بنيامين قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندى فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم فريدا فأجلسه معه على مائدة وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فبقى بنيامين وحده وقال هذا لا ثانى له فاتركوه معى فضمه يوسف اليه وشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال المثكل وهو لما ولد هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى لا تلتفت الى ما صنعوه فيما تقدم من أعمالهم المنكرة وفيما يعملون بك من الجفاء ويقولون لك من التعيير والأذى قال بنيامين فأنا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بالسرقة لأحتال فى ردك بعد اطلاقك معهم قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى فلما هيأ يوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أحمالهم من الطعام على ابلهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) أى دس مشربته التى كان يشرب فيها فى وعاء طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسير ثم أرسل خلفهم عبده (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد مع رفع صوت مرارا كثيرة (أيتها العير) أى يا أصحاب الابل التى عليها الأحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام اما على سبيل الاستفهام واما على قصد المعاريض والمعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه ليكون للمنادى مندوحة عن الكذب (قالوا) أى اخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أى والحال انهم التفتوا الى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أى أى شىء ضاع منكم (قالوا) أى أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أى نطلب اناء الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وانما اتخذ هذا الاناء مكيالا لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت قال المؤذن (ولمن جاء به) أى بالاناء من عند

---

وما أغنى عنكم من الله من شىء) يعنى ان الحذر لا يمنع من القدر (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) وذلك انهم دخلوا مصر متفرقين من أربعة أبواب (ما كان يغنى عنهم من الله من شىء) أى ما كان ذلك ليرد قضاء قضاه الله (الا حاجة) لكن حاجة يعنى ان ذلك الدخول قضاء حاجة فى نفس يعقوب وهى ارادته ان يكون دخولهم من أبواب متفرقة شفقة عليهم (وانه لذو علم لما علمناه) أى لذو يقين ومعرفة بالله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن يعقوب بهذه الصفة (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) أى ضمه اليه وأنزله عند نفسه (قال انى أنا أخوك) اعترف له بالنسب وقال لا تخبرهم بما ألقيت اليك (فلا تبتئس) أى فلا تحزن ولا تغتم (بما كانوا يعملون) من الحسد لنا وصرف وجه أبينا عنا (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) وهو اناء من ذهب مرصع بالجواهر (فى رحل أخيه) بنيامين (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (أيتها العير) أى الرفقة (انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) يعنون السقاية (ولمن جاء به

حمل بعير) أى من الطعام (وأنا به زعيم) أى كفيل (قالوا تالله لقد علمتم) ى حلفوا على انهم يعلمون صلاحهم وتجنبهم الفساد وذلك انهم كانوا بمصر وفين بأنهم لا يظلمون أحدا ولا يرزأون شيئا لأحد (قالوا فما جزاؤه) أى ما جزاء السارق (ان كنتم كاذبين) اى فى قولكم ما كنا سارقين (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) وكانوا يستعبدون كل سارق بسرقته فلذلك قالوا جزاؤه من وجد فى رحله المسروق (فهو جزاؤه) أى فالسارق جزاء السرق (٤١٤) (كذلك نجزى الظالمين) أى اذا سرق السارق استرق فلما أقروا بهذا الحكم صرف بهم الى يوسف لتفتيش أمتعتهم (فبدأ) يوسف (بأوعيتهم) وهى كل ما استودع شيئا من جراب وجوالق ومخلاة (قبل وعاء أخيه) نفيا للتهمة (ثم استخرجها) يعنى السقاية (من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف) أى ألهمناه مثل ذلك الكيد حتى ضممنا أخاه اليه (ما كان ليأخذ أخاه) أى يستوجب ضمه اليه (فى دين الملك) أى فى حكمه وسيرته وعادته (الا أن يشاء الله) أى الا بمشيئة الله وذلك ان حكم الملك فى السارق ان يضرب ويغرم ضعفى ما سرق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه فى حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطفا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق الاسترقاق (نرفع درجات من نشاء) أى بضروب الكرامات وأبواب العلو كما رفعنا درجة يوسف على اخوته فى كل شىء (وفوق كل ذى علم عليم) أى يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا حتى ينتهى العلم الى الله (أتم فلما خرج الصواع من رحل بنيامين قالوا ليوسف (ان يسرق) الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف وذلك انه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرا منهم فيتصدق به فى المجاعة حتى فطن له اخوته (فأسرها يوسف فى نفسه) أى أسر الكلمة التى كانت جواب قولهم هذا (ولم يبدها لهم) وهوانه (قال) فى نفسه

---

نفسه مظهرا له قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أجرة له (وأنا به) أى بالحمل (زعيم) أى كفيل أؤديه اليه لأن الاناء كان من الذهب وقد اتهمنى الملك (قالوا تالله لقد علمتم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى أرض مصر بحضرة الناس (وما كنا سارقين) لأنه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف فى أموال الناس بالكلية لا بالأكل ولا بارسال الدواب فى مزارع الناس ولأنهم لما وجدوا بضاعتهم فى رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أى أصحاب يوسف (فما جزاؤه) أى فما جزاء سرقة الصواع فى شريعتكم (ان كنتم كاذبين) فى نفى كون الصواع فيكم (قالوا) أى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقة الصواع هو أخذ الانسان الذى وجد الصواع فى متاعه (فهو جزاؤه) أى فاسترقاق ذلك الشخص سنة هو جزاء سرقته لا غير فأفتوا بشريعتهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقة فى أرضنا هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لقول اخوته ذلك (فبدأ) أى يوسف بعد ما رجعوا اليه (بأوعيتهم) أى بتفتيش أوعية الاخوة العشرة (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال اخوة يوسف والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) فقال له فرجك الله كما فرجتنى (كذلك كدنا ليوسف) أى كما ألهمنا اخوة يوسف ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله) أى لم يكن يوسف يأخذ أخاه فى حكم الملك بسبب من الأسباب الا بسبب مشيئة الله وهو حكم أبيه أى وكان حكم ملك مصر فى السارق ان يضرب ويغرم مثلى قيمة المسروق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه عند نفسه الا أن الله تعالى كاد له ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق (نرفع درجات من نشاء) وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالتنوين والباقون بالاضافة أى نرفع رتبا كثيرة عالية من العلم من نشاء رفعه (وفوق كل ذى علم عليم) أى ان اخوة يوسف كانوا علماء فضلاء ويوسف كان زائدا عليهم فى العلم ففوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى فليس فوقه أحد (قالوا) أى اخوة يوسف تبرئة لأنفسهم (ان يسرق) أى بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخ له من قبل) أى قالوا للملك ان هذا الأمر ليس بغريب من بنيامين فان أخاه الذى هلك كان سارقا أيضا قال سعيد بن جبير كان جد يوسف أبو أمه كافرا يعبد الأوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الأوثان ويكسرها فلعله يترك عبادة الأوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة (فأسرها) أى اجابتهم (يوسف فى نفسه) أى فى قلبه (ولم يبدها) أى لم يظهر الاجابة (لهم قال) أى يوسف فى نفسه

(أتتم شرمكانا) أى منزلة فى السرقة من يوسف حيث سرقتم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) أى بحقيقة ماتذكرون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة اليه أم لا (قالوا مستعطفين (ياأيها العزيز) أى ملك مصر (ان له) أى بنيامين (أبا شيخا كبيرا) فى السن لايكاد يستطيع فراقه وهو يفرح به ان رددناه (فخذ أحدنا مكانه) أى بدلا منه فى الاسترقاق (انا نراك من المحسنين) الينا فى حسن الضيافة ورد البضاعة الينا فأتمم احسانك الينا بهذه التتمة (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله معاذا من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتواكم (انا اذا) أى ان أخذنا بريئا بمذنب (لظالمون) فى مذهبكم ومالنا ذلك ولهذا الكلام معنى باطن وهو أن الله تعالى انما أمرنى بالوحى أن آخذ بنيامين لمصالح يعلمها الله تعالى فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحى فصرت ظالما لنفسى (فلما استيأسوا منه) أى من يوسف (خلصوا نجيا) أى تفردوا عن سائر الناس يتناجون (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى العقل وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا) يا اخوتاه (أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) فى رد بنيامين اليه (ومن قبل مافرطتم فى يوسف) فما مزيدة والجار والمجرور متعلق بفرطتم أى ومن قبل أخذكم العهد فى شأن بنيامين قصرتم فى شأن يوسف ولم تفوا بوعدكم على النصح والحفظ له أو مصدرية عطفا على مفعول تعلموا أى ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق فى شأن يوسف أو وتركم ميثاقه فى حق يوسف أو موصولة عطفا على مفعول تعلموا أيضا أى ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا والذى قدمتموه فى حق يوسف من الخيانة العظيمة من قبل تقصيركم فى بنيامين (فلن أبرح الأرض) أى فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها على وجه لايؤدى الى نقض الميثاق أو بخلاص أخى من يد العزيز بسبب من الأسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لايحكم الا بالعدل والحق روى أنهم كلموا العزيز فى اطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردن الينا أخانا أو لأصيحن صيحة لاتبقى بمصر حامل الا ألقت ولدها ووقفت كل شعرة فى جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل فمسه فذهب ذلك الابن فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصيح فركض يوسف عليه السلام على الارض وأخذ بملابسه وجذبه فسقط على الارض وقال له أنتم يامعشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا مانزل بهم ورأوا أن لاسبيل الى الخلاص خضعوا ثم قال لهم كبيرهم (ارجعوا) يا اخوتى (الى أبيكم) دونى (فقولوا) له متلطفين بخطابكم (ياأبانا ان ابنك سرق) صواع الملك من ذهب (وما شهدنا الا بما علمنا) أى رأينا أن الصواع استخرجت من وعائه (وما كنا للغيب) أى باطن الحال (حافظين) أى ان حقيقة الأمر غير معلومة لنا فان الغيب لايعلمه الا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لانعلم ذلك (واسأل القرية التى كنا فيها) أى واسأل أهل قرية من قرى مصر التى كنا فيها (والعير التى أقبلنا فيها) أى واسأل أصحاب الابل التى عليها الاحمال الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون) فى أقوالنا فرجع التسعة الى أبيهم فقالوا له ما قال كبيرهم (قال) أى يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى بل زينت لكم أنفسكم اخراج بنيامين عنى الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك ضرر (فصبر جميل) أى فعلى صبر بلا جزع ولما رجع القوم الى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يابنى لاتخرجون من

(أنتم شرمكانا) أى عند الله بما صنعتم من ظلم أخيكم وعقوق أبيه (والله أعلم بما تصفون) أى قد علم أن الذى تذكرونه كذب (قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) أى فى السن (فخذ أحدنا مكانه) أى واحدا منا تستعبده بدله (انا نريك من المحسنين) أى اذا فعلت ذلك فقد أحسنت الينا (فلما استيئسوا منه) أى يئسوا منه (خلصوا نجيا) أى انفردوا متناجين فى ذهابهم الى أبيهم من غير أخيهم (قال كبيرهم) وهو روبيل وكان أكبرهم سنا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) أى فى حفظ الأخ ورده اليه (ومن قبل ما فرطتم) ما زائدة أى قصرتم (فى) أمر (يوسف) وخنتموه فيه (فلن أبرح الارض) أى لن أخرج من أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) أى يبعث لى أن آتيه (أو يحكم الله لى) أى يقضى الله فى أمرى شيئا (وهو خير الحاكمين) أى أعدلهم وقال لاخوته (ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق) يعنون فى ظاهر الأمر (وما شهدنا الا بما علمنا) لانه وجدت السرقة فى رحله ونحن ننظر (وما كنا للغيب حافظين) أى ما كنا نحفظه اذا غاب عنا (واسئل القرية التى كنا فيها) أى أهل مصر (والعير التى أقبلنا فيها) يريد أهل العير وهم الرفقة فلما رجعوا الى يعقوب قالوا له هذا (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى زينته لكم حتى أخرجتم بنيامين من عندى رجاء منفعة فعاد

من ذلك شر وضرر (وتولى عنهم) أى أعرض عن بنيه وتجدد وجده بيوسف (وقال يا أسفا على يوسف) أى يا طول حزنى عليه (وابيضت عيناه) أى انقلبت الى حال البياض فلم يبصر بهما (من الحزن) والبكاء (فهو كظيم) أى مغموم مكروب أى لا يظهر حزنه بجزع أو شكوى (قالوا تالله تفتؤ) أى لا تزال (تذكر يوسف) لا تفتر من ذكره (حتى تكون حرضا) أى فاسدا دنفا (أو تكون من الهالكين) يعنى الميتين والمعنى لا تزال تذكره بالحزن والبكاء حتى تصير بذلك الى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت بغمه فلما أغلظوا له بالقول (قال انما أشكو بثى) أى ما بى من البث وهو الحزن الذى تفضى به الى صاحبك (وحزنى الى الله) لا اليكم (وأعلم من الله مالا تعلمون) وهو أنه علم أن يوسف حى أخبره بذلك ملك الموت وقال له اطلبه من ههنا وأشار الى ناحية مصر فلذلك قال (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف) أى تبحثوا عنه (ولا تيأسوا من روح الله) أى من الفرج الذى يأتى به (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يريد أن المؤمن يرجو الله فى الشدائد والكافر ليس كذلك فخرجوا الى مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أى أصابنا ومن يختص بنا الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى تدافع بها الأيام وتتقوت وليست بما يتسع به وكانت دراهم زيوفا (فأوف لنا الكيل) سألوه مساهلتهم فى النقد واعطاءهم بدراهمهم مثل ما يعطى بغيرها من الجياد (وتصدق علينا) أى بما بين الثمنين (ان الله يجزى المتصدقين) أى ان الله يتولى جزاء المتصدقين فلما قالوا هذا أدركته الرقة ودمعت عيناه و(قال) توبيخا لهم وتعظيما لما فعلوا (هل



عندى مرة الا ونقص بعضكم ذهبتم مرة فنقص يوسف ومرة ثانية نقص شمعون ومرة ثالثة نقص روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن يأتينى بهم) أى بيوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذى توقف فى مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله تعالى لانه اذا اشتد البلاء كان أسرع الى الفرج ولانه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من رؤيا يوسف (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) أى الذى لم يبتلنى الا لحكمة بالغة (وتولى عنهم) أى وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لما سمع منهم (وقال يا أسفا) أى يا شدة حزنى (على يوسف) أى أشكو الى الله أسفى ولم يسترجع يعقوب أى لم يقل انا لله وانا اليه راجعون لان الاسترجاع خاص بهذه الأمة (وابيضت عيناه من الحزن) أى ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أى ممسك على حزنه فلا يظهره أو ممتلئ من الحزن أو مملوء من الغيظ على أولاده (قالوا) أى الجماعة الذين كانوا فى الدار من أولاد أولاده وخدمه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى والله لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) أى فاسدا فى جسمك وعقلك (أو تكون من الهالكين) أى من الأموات فكأنهم قالوا أنت الآن فى بلاء شديد ونخاف عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء (قال) أى يعقوب لهم (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) أى لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم من رحمته مالا تعلمون وهو أنه تعالى يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب أى انه يعلم ان رؤيا يوسف صادقة ويعلم أن يوسف حى لان ملك الموت قال له اطلبه ههنا وأشار الى جهة مصر ويعلم أن بنيامين لا يسرق وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضربه فغلب على ظنه ان ذلك الملك هو يوسف فمن ذلك قال (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى استعلموا بعض أخبار يوسف وأخيه بنيامين فان حالهما مجهولة ومخوفة بخلاف حال روبيل (ولا تيأسوا من روح الله) أى لا تقنطوا من فرج الله وفضله وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بضم الراء أى من رحمته (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان أن الاله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر فثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا أى فقبلوا من أبيهم تلك الوصية فعادوا الى مصر مرة ثالثة (فلما دخلوا عليه) أى يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أى الملك القادر القوى (مسنا وأهلنا الضر) أى أصابنا ومن تركناهم وراءنا الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى بدراهم رديئة لا تقبل فى ثمن الطعام وتقبل فيما بين الناس (فأوف لنا الكيل) أى أتممه لنا كما تتمم لنا بالدراهم الجياد (وتصدق علينا) بالمسامحة عن ما بين الثمنين (ان الله يجزى المتصدقين) فى الدنيا والآخرة وروى أنهم لما قالوا ذلك وتضرعوا اليه اغرورقت عيناه فعند ذلك (قال) مجيبا عما عرض وابه من طلب رد أخيهم بنيامين

(هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه) أى ماأعظم ماأتيتم من أمر يوسف وأخيه من تفريق يوسف من أبيه وافراده عن أخيه لأبيه وأمه (اذ أنتم جاهلون) أى حال كونكم جاهلين عقبى فعلكم ليوسف من خلاصه من الجب وولايته السلطنة (قالوا) أى اخوته (أئنك لأنت يوسف) قرأ ابن كثير انك على لفظ الخبر وقرأ نافع أينك بفتح الألف غير ممدودة و بالياء وقرأ أبو عمرو آينك بمد الألف وهو رواية قالون عن نافع والباقون أئنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام لأنهم فهموا من فحوى كلامه عليه السلام أو من ابصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك وقال من قرأ على الخبر ان الاخوة لم يعرفوا يوسف حتى رفع التاج عن رأسه فرأوا فى فرقه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان ليعقوب واسحق مثل ذلك فلما عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جوابا لسؤالهم (أنا يوسف وهذا) أى بنيامين (أخى) أى شقيقى (قد من الله علينا) بالجمع بيننا بعد التفرقة و بكل عز ولم يقل عليه السلام فى الجواب هو أنا بل صرح بالاسم تعظيما لما نزل به عليه السلام من ظلم اخوته وما عوضه الله من النصر والملك فكأنه قال أنا يوسف الذى ظلمتمونى على أعظم الوجوه وأنا العاجز الذى قصدتم قتله والله تعالى أوصلنى الى أعظم المناصب كما ترون فكان فى اظهار الاسم هذه المعانى ولهذا قال وهذا أخى مع أنهم كانوا يعرفونه لأن مقصوده عليه السلام أن يقول وهذا أيضا مظلوم ثم صار هو منعما عليه من الله تعالى كما ترون (انه) أى الشأن والحديث (من يتق) معاصى الله (و يصبر) على أذى الناس والمحن (فان الله لايضيع أجر المحسنين) و بقوم الظاهر مقام الضمير لاشتماله على النعتين اللذين هما التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله) أى فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أى وان الشأن كنا (لخاطئين) أى لمتعمدين فى الاثم فهم اعتذروا منه وتابوا (قال لاتثريب عليكم اليوم) خبر ثان أى انى حكمت فى هذا اليوم بأن لاتوبيخ مطلقا وتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الأوقات لأن لاتثريب نفى للماهية فيقتضى انتفاء جميع أفراد الماهية فذلك مفيد للنفى المشتمل لكل الأوقات (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغائر والكبائر أى لما بين يوسف لهم أنه أزال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم طلب من الله أن يزيل عنهم عقاب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تحضرنا فى مائدتك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الأولى و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ولقد شرفت الآن باتيانكم وعظمت فى العيون لما علم الناس أنكم اخوتى وأنى من حفدة ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت) الى (بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين) من النساء والذرارى والموالى وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص يهوذا وقال أنا أحزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه كما أحزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان و بينهما مسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) أى خرجت الابل التى عليها الاحمال لاخوة يوسف من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب لمن حضر عنده من أولاد بنيه وقرابته (انى لاجد ريح يوسف) أى انى لأشم ريح الجنة من قميص يوسف (لولا أن تفندون) أى لولا أن تنسبونى الى الخرف وفساد الرأى من هرم لصدقتمونى. والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل تلك

---

(هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه) من ادخال الغم عليه بافراده من يوسف (اذ أنتم جاهلون) أى آثمون بعقوق أبيكم وقطع رحم أخيكم جهلا منكم ولما قال لهم هذه المقالة رفع الحجاب (قالوا) له (أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف) الذى فعلتم به مافعلتم (وهذا أخى) المظلوم من جهتكم (قد من الله علينا) أى بالجمع بيننا بعد مافرقتم بيننا (انه من يتق) الله (و يصبر) على المصائب (فان الله لايضيع أجر المحسنين) أى أجر من كان هذا حاله (قالوا تالله لقد آثرك الله) أى فضلك الله (علينا) بالعلم والعقل والفضل والحسن (وان كنا لخاطئين) أى آثمين فى أمرك (قال لاتثريب عليكم اليوم) أى لاتأنيب ولاتعيير عليكم بعد هذا اليوم ثم جعلهم فى حل وسأل لهم المغفرة فقال (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ثم سألهم عن أبيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا) وكان قد نزل به جبريل على ابراهيم لما ألقى فى النار وكان فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولا سقيم الا صح فذلك قوله (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) أى يرجع و يعد بصيرا (ولما فصلت العير) أى خرجت من مصر متوجهة الى كنعان (قال أبوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) وذلك أنه هاجت الريح فحملت ريح القميص واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس فى الدنيا من الجنة الا ما كان من ذلك القميص (لولا أن تفندون) أى تسفهون وتجهلون

الرائحة الى سيدنا يعقوب على سبيل اظهار المعجزات لأن وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية
أيام مثلا أمر مناقض للعادة فيكون معجزة له (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لفى ضلالك
القديم) أى لفى حبك الأول ليوسف لاتنساه ولاتذهل عنه وكان يوسف عندهم قدمات (فلما أن جاء
البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير القميص على وجه يعقوب (فارتد
بصيرا) أى فصار يعقوب بصيرا لعظم فرحه (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالاتعلمون) من حياة
يوسف وأن رؤياه صدق وأن الله يجمع بيننا (قالوا) اعتذارا عما حصل منهم (ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا)
أى اطلب لنا من الله غفر ذنوبنا (انا كنا خاطئين) أى متعمدين للاثم فى أمر يوسف (قال سوف
أستغفر لكم ربى) أى أدعو لكم ربى ليلة الجمعة وقت السحر (انه هو الغفور الرحيم) فقام الى
الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عليه
واغفر لأولادى مافعلوه فى حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين روى أن
يوسف عليه السلام وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة مع اخوته ليأتوا بجميع أهله الى مصر وهم يومئذ
اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ستمائة ألف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك
فيهم كثيرا حتى بلغوا هذا العدد فى مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربعمائة سنة فخرج يوسف
فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب فتزينت الصحراء بهم
واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته ونظر الى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة
بالألوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك وكانوا
باكين محزونين مدة لأجلك وهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة
وضرب بالطبول والبوقات فصار اليوم كأنه يوم القيامة وكان دخولهم فى مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا
على يوسف) فى محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقى أبيه (آوى اليه أبويه) أى
ضم يوسف اليه أباه وخالته واعتنقهما فان أمه ماتت فى النفاس بأخيه بنيامين فمعنى بنيامين بالعبرانية
ابن الوجع ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فان الرابة تدعى أما (وقال) أى يوسف لجميع أهله (ادخلوا
مصر) للاقامة بها (ان شاء الله آمنين) على أنفسكم وأموالكم وأهليكم لاتخافون أحدا وكانوا
فيما سلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبويه على العرش) أى لما نزلوا فى مصر أجلس يوسف أباه
وخالته معه فى السرير الرفيع الذى كان يجلس عليه (وخروا له سجدا) أى وخروا لله سجدا شكرا لأجل
يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقبلة لهم كما سجدت الملائكة لآدم فان الله أمر يعقوب بالسجود
لحكمة خفية وذلك لأن اخوة يوسف ربما حملهم التكبر عن السجود على سبيل التواضع لاعلى
سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود فى قلبه لكن لما علم أن الله أمر يعقوب بذلك
سكت ولان يعقوب علم أنهم لولم يفعلوا ذلك لظهر الفتر والاحقاد القديمة بعد كونها فالسجود لزوال
الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جائز فى ذلك الزمان فلما جاءت هذه الشريعة نسخت هذه الفعلة
ويقال كان سجودهم تحيتهم فيما بينهم كهيئة الركوع نحو فعل الاعاجم (وقال) أى يوسف (ياأبت
هذا تأويل رؤياى من قبل) أى هذا السجود تصديق رؤياى الكائنة من قبل المصائب التى وقعت
فكأن يوسف يقول ياأبت لايليق بمثلك على جلالتك فى العلم والدين والنبوة أن تسجد لولدك
الأن هذا أمر أمرت به فان رؤيا الأنبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد جعلها ربى
حقا) وكأنه قيل ليعقوب انك كنت دائم الرغبة فى وصال يوسف ودائم الحزن بسبب فراقه فاذا وجدته

(قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم) أى شقائك القديم يعنى بما تكابد من الاحزان على يوسف وخطئك فى النزاع اليه على بعد عهده منك وكان عندهم أنه قدمات وقوله (فارتد بصيرا) أى عاد ورجع وقوله (سوف أستغفر لكم ربى) أخر ذلك الى السحر ليكون أقرب الى الاجابة وكان قد بعث يوسف مع البشير الى يعقوب عدة السير اليه فتهيأ يعقوب وخرج مع أهله اليه فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) أى ضم اليه (أبويه) أى أباه وخالته وكانت أمه قدماتت (وقال ادخلوا مصر) وذلك أنه كان قد استقبلهم فقال لهم قبل دخول مصر ادخلوا مصر (ان شاء الله آمنين) وكانوا قبل ذلك يخافون دخول مصر الابجواز من ملوكهم (ورفع أبويه على العرش) أى أجلسهما على السرير (وخروا له سجدا) أى سجدوا ليوسف سجدة التحية وهو الانحناء

فاسجد

فاسجدله فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام قال سلمان كان بين رؤياه وتأويلها أربعون عاما (وقد أحسن بي) أي وقد لطف بي محسنا الى (اذ أخرجني من السجن) انما ذكر اخراجه من السجن ولم يذكر اخراجه من الجب لئلا تخجل اخوته ولأن خروجه من السجن كان سببا للصير ورته ملكا ولوصوله الى أبيه واخوته وزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاء بكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية وقال على بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي من بعد أن أفسد الشيطان بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر لما يشاء من خفايا الامور فاذا أراد الله حصول شيء سهل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول (انه هو العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب (الحكيم) أي المحكم في فعله مبرأ عن العبث والباطل وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعا وعشرين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه اسحق فلما مات بمصر حمله يوسف وجعله في تابوت من ساج فوافق ذلك موت عيص أخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه رجع الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعضا منه وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بعضا من تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) أي ياخالقهما (أنت وليي) أي أنت الذي تتولى اصلاح جميع مهماتي (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت الا مسلما اظهار العبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليما لغيره والمطلوب ههنا كمال حال المسلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفسح القلب في ذلك وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر (وألحقني بالصالحين) أي بآبائي المرسلين ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب في ثوابهم ودرجاتهم في الجنة وولد ليوسف أفرائيم وميشا وولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة مصر بعد يوسف ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك) أي خبر يوسف واخوته (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد (نوحيه اليك وما كنت لديهم) أي عند اخوة يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) أي حين عزموا على القائهم يوسف في غيابة الجب (وهم يمكرون) أي والحال أنهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أي ذلك الخبر لا سبيل الى معرفتك اياه الا بالوحي وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور فيكون معجزا لأن محمدا لم يطالع الكتب ولم يأخذ عن أحد من البشر وما كانت بلدته بلد العلماء فاتيانه بهذه القصة على وجه لم يقع فيه غلط كيف لا يكون معجزا (وما أكثر الناس) وهم قريش واليهود (ولو حرصت) أي بالغت في طلب ايمانهم باظهار الآيات الدالة على صدقك (بمؤمنين) لاصرارهم على العناد روي أن اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه (وما تسألهم عليه) أي

من الارض وكان يعقوب و ولده بأرض كنعان أهل مواش و برية (من بعد أن نزغ الشيطان) أي أفسد (بيني وبين اخوتي) بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي عالم بدقائق الامور (انه هو العليم) بخلقه (الحكيم) فيهم بما يشاء ثم دعا ربه وشكره فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يريد تفسير الاحلام (فاطر السموات والارض) أي خالقهما ابتداء (توفني مسلما) أي اقبضني على الاسلام (وألحقني بالصالحين) أي من آبائي ابراهيم واسحق واسماعيل يريد ارفعني الى درجاتهم (ذلك) أي الذي قصصنا عليك من أمر يوسف من الأخبار التي كانت غائبة عنك وهو قوله (من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم) أي لدى اخوة يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) أي عزموا على أمرهم (وهم يمكرون) أي بيوسف (وما أكثر الناس) الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو أن تؤمن به قريش واليهود لما سألوه عن قصة يوسف فشرحها لهم فخالفوا ظنه فقال الله تعالى وما أكثر الناس (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين) لانك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (وما تسألهم عليه) أي على القرآن

(من أجر) أى مال يعطونك (ان هو) أى ماهو (الاذكر للعالمين) أى تذكرة لهم بما هو صلاحهم يريد انا أزحنا العلة فى التكذيب حيث بعثناك مبلغا بلا أجر غير أنه لايؤمن الا من شاء الله ولو حرصت وان حرص النبى ﷺ على ذلك (وكأين) أى وكم (من آية) يعنى من دلالة تدل على التوحيد (فى السموات والارض) يريد من الشمس والقمر والنجوم والجبال

على تبليغ الأنباء التى أوحينا اليك (من أجر) كما يفعله حملة الاخبار (ان هو) أى القرآن الذى أوحينا اليك (الا ذكر للعالمين) عامة أى عظة من الله تعالى لهم فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد والتكاليف والقصص فان الوعظ العام ينافى أخذ الاجر من البعض وهذا القرآن مشتمل على هذه المنافع العظيمة ولا تطلب منهم مالا فلو كانوا عقلاء لقبلوا منك (وكأين من آية) أى وكم من عدد شئت من العلامات الدالة على وجود الصانع و وحدته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التى جئت بها كائنة (فى السموات والارض) من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الارض من العجائب (يمرون عليها) أى يشاهدونها ولا يتأملون فيها وقرئ برفع والارض على الابتداء و يمرون عليها خبره وقرأ السدى بنصبها على معنى و يطؤن الارض (وهم عنها) أى الآية (معرضون) أى غير متفكرين فيها فلا عجب اذا لم يتأملوا فى الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى لايؤمن أكثرهم بوجود الله الا فى حال شركهم فالكافرون مقرون بوجود الله لكنهم يثبتون له شريكا فى المعبودية وعن ابن عباس أن أهل مكة قالوا الله ربنا وحده لاشريك له والملائكة بناته وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاؤنا عنده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحدوا بل أشركوا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده ولاشريك معه (أفأمنوا) أى أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أى أفلم يخافوا أن تأتيهم فى الدنيا عقوبة تشملهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أى فجأة من غير سبق علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (هذه) أى الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص (سبيلى) أى دينى (أدعو الى الله) بهذا الدين (على بصيرة) أى حجة واضحة (أنا ومن اتبعن) فأدعو اما مستأنف أو حال من الياء وعلى بصيرة اما حال من فاعل ادعو أو من الياء وأنا اما توكيد للمستكن فى ادعو أو فى على بصيرة ومن اتبعن عطف على فاعل أدعو قال صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وسبحان الله) أى وأسبح سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ضدا وولدا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف يتعجبون من ارسالنا اياك مع أن سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ولم يبعث الله رسولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل وقرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون مبنيا للفاعل والباقون بالياء مبنيا للمفعول (أفلم يسيروا) أى أهل مكة (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات ممن قبلهم فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى

وغيرها (يمرون عليها) أى يتجاوزونها غير مفكرين ولا معتبرين فقال المشركون فانا نؤمن بالله الذى خلق هذه الاشياء فقال الله (ومايؤمن أكثرهم بالله) أى فى اقراره بأن الله خلقه وخلق السموات والارض (الا وهم مشركون) أى الاوكل واحد منهم مشرك بعبادة الوثن (أفأمنوا) يعنى المشركين (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أى عقوبة تغشاهم وتنبسط عليهم (قل) لهم (هذه) الطريقة التى أنا عليها (سبيلى) أى سنتى ومنهاجى (أدعو الى الله) وتم الكلام ثم قال (على بصيرة) أى (أنا) على دين ويقين (ومن اتبعنى) يعنى أصحابه وكانوا على أحسن طريقة (وسبحان الله) أى وقل سبحان الله تنزيها لله عما أشركوا (وما أنا من المشركين) أى الذين اتخذوا مع الله ندا (وما أرسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم من أهل القرى) يريد

لم نبعث قبلك نبيا الارجالا غير امرأة وكانوا من أهل الامصار ولم نبعث نبيا من بادية وهذا رد لانكارهم الجنة
نبوته يريد أن الرسل من قبلك كانوا على مثل ذلك ومن قبلهم من الامم كانوا على مثل حالهم فأهلكناهم فذلك قوله (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا) الى مصارع الامم المكذبة فيعتبروا بهم (ولدار الآخرة) يعنى الجنة

الجنة (خير للذين اتقوا) معاصى الله (أفلاتعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون على الغيبة (حتى اذا استيأس الرسل) أى لايغررهم تماديهم فيماهم فيه من الراحة والرخاء فان من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قدكذبوا) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الذال المكسورة والمعنى وظن القوم أن الرسل أخلفوا فى وعدهم بالنصر أى أخلف الله وعده لرسلهم بالنصر وقرأ الباقون بالتشديد والمعنى وظن الرسل أنهم قدكذبهم الأمم الذين آمنوا بهم بماجاءوا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهوأحسن الوجوه وقالت ان البلاء لم يزل من الأنبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قدآمنوا بهم (جاءهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنجى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبنى للمفعول والباقون بنونين الثانية ساكنة و بسكون الياء فعل مضارع (ولايرد بأسنا) أى عذابنا (عن القوم المجرمين) أى المشركين اذا نزل بهم (لقد كان فى قصصهم) بفتح القاف أى قصص يوسف واخوته وأبيه عليهم السلام وقرئ بكسر القاف أى قصص الأنبياء وأممهم (عبرة) أى عظة عظيمة (لأولى الألباب) أى لذوى العقول الذين انتفعوا بمعرفتها (ما كان) أى هذا القرآن فقد تقدم ذكره فى قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا (حديثا يفترى) فلايصح من محمد أن يختلق فيه ولا يصح الكذب من القرآن فليس بكذب فى نفسه (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكن كان القرآن مصدق الكتب التى قبله (وتفصيل كل شئ) أى ومبينا بين الحلال والحرام وسائر مايتصل بالدين (وهدى) فى الدنيا من الضلالة (ورحمة) أى سببا لحصول الرحمة من العذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه فانهم المنتفعون به

﴿سورة الرعد مكية الا آيتين فهما مدنيتان وهما قوله تعالى ولايزال الذين كفروا تصيبهم بماصنعوا قارعة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب وقيل مدنية سوى قوله تعالى ولوأن قرآنا سيرت به الجبال الآيتين وآياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم المر﴾ اسم للسورة أى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وقال ابن عباس فى رواية عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال فى رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ماتعملون وتقولون (تلك) أى آيات السورة المسماة بالمر (آيات الكتاب) أى الكتاب العجيب الكامل (والذى أنزل اليك من ربك) وهو القرآن (الحق) أى هو المطابق للواقع فى كل مانطق به (ولكن أكثر الناس) أى مشركى مكة (لايؤمنون) بالقرآن لاخلالهم بالنظر (الله الذى رفع السموات بغير عمد) أى بغير دعائم (ترونها) كلام مستأنف أو حال من السموات أى وأنتم ترون السموات مرفوعة بلاعماد أو صفة لعمد والمعنى ان الله رفع السموات بغير عمد مرئية لكم من العيون بل لها عمد غير مرئية وهى قدرة الله تعالى أى انما بقيت السموات واقفة فى الجو العالى بقدرة الله تعالى (ثم استوى على العرش) أى استولى الله

---

(خير للذين اتقوا) الشرك فى الدنيا (أفلا يعقلون) هذا حتى يؤمنوا (حتى اذا استيأس الرسل) أى يئسوا من قومهم أن يؤمنوا (وظنوا أنهم قدكذبوا) أى أيقنوا أن قومهم كذبوهم (جاءهم نصرنا فننجى من نشاء) وهم المؤمنون أتباع الأنبياء (ولايرد بأسنا) أى عذابنا (لقد كان فى قصصهم) يعنى اخوة يوسف (عبرة) أى فكرة وتدبر (لأولى الألباب) وذلك أن من قدر على اعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد ما كان عبدا لبعض أهلها قادر على أن يعز محمدا و ينصره (ما كان) القرآن (حديثا يفترى) أى يتقوله بشر (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكن كان تصديقا لماقبله من الكتب (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه من أمور الدين (وهدى) أى و بيانا (ورحمة لقوم يؤمنون) أى يصدقون بماجاء به محمد ﷺ

﴿تفسير سورة الرعد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المر) أنا الله أعلم وأرى (تلك) يعنى ماذكر من الأخبار والأحكام قبل هذه الآية (آيات الكتاب) أى القرآن (والذى أنزل اليك من ربك الحق) أى ليس كما يقول المشركون انك تأتى به من قبل نفسك باطلا (ولكن أكثر الناس) يعنى أهل مكة (لايؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد) جمع عماد وهى الأساطين (ترونها) أنتم كذلك مرفوعة بغير عماد (ثم استوى على العرش) بالاستيلاء والاقتدار وأصله استواء التدبير كما أن أصل القيام الانتصاب ثم يقال قائم بالتدبير وثم تدل على حدوث العرش المستولى عليه

على العرش بالحفظ والتدبير وظهر تصرفه فى هذه الأشياء بعد خلق السموات ويقال للسلطان والملك اذا استقام أمره انه استوى على عرشه أى سريره الذى يجلس عليه فالاستواء على العرش كناية عن جريان التدبير والحكم (وسخر الشمس والقمر) أى وذللهما لمنافع الخلق (كل) منهما (يجرى) فى فلكه حسبما أريد منهما (لأجل مسمى) لمدة معينة فيها تتم دورته قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم فى ستة أشهر ثم انها تعود مرة أخرى الى واحد منها فى ستة أشهر أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالله تعالى قدر لكل واحد منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء فلزم أن يكون لهما بحسب كل لحظة حالة أخرى لم تكن حاصلة قبل ذلك (يدبر الأمر) أى يدبر أمر الخلق بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاغناء والافقار وبانزال الوحى وبعثة الرسل وتكليف العباد (يفصل الآيات) أى يحدث الله بعض الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته عقب بعض على سبيل التمييز والتفصيل (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أى لكى تصدقوا بالبعث بعد الموت فهذه الدلائل المذكورة كما تدل على وجود الصانع تدل على صحة القول بالحشر والنشر لأن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها على كثرتها فلأن يقدر على النشر والحشر أولى ويروى أن رجلا قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كيف يحاسب الله الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداءهم ويجيب دعاءهم الآن دفعة واحدة (وهو الذى مد الأرض) أى بسطها طولا وعرضا على الماء (وجعل فيها) أى الأرض (رواسى) أى جبالا ثوابت أوتادا لها (وأنهارا) أى مجارى للماء واسعة لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى وجعل كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة فى الدنيا صنفين اما فى اللون كالأبيض والأسود أو فى الطعم كالحلو والحامض أو فى القدر كالكبير والصغير أو فى الكيفية كالحار والبارد وما أشبه ذلك (يغشى الليل النهار) أى يستر النهار بالليل (ان فى ذلك) المذكور من مد الأرض وايتادها بالرواسى واجراء الأنهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار (لآيات) دالة على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب (وفى الأرض قطع) أى بقاع مختلفة فى الأوصاف (متجاورات) أى متقاربات فمنها أرض سبخة رديئة وبجنبها أرض عذبة جيدة ومنها صلبة وبقربها رخوة الى غير ذلك والاختلاف من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) أى تنبت من أصل واحد ثلاث نخلات فأكثر أى مجتمع أصول الاربعة مثلا فى أصل واحد (وغير صنوان) أى هو مفترق أصولها واحدة واحدة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان كلها بالرفع عطفا على قوله وجنات والباقون بالجر عطفا على أعناب وقرأ حفص عن عاصم فى رواية القواس صنوان بضم الصاد والباقون بكسرها (يسقى بماء واحد) فى الطبع سواء كان السقى بماء الأمطار أو بماء الانهار قرأ عاصم وابن عامر يسقى بالياء أى كل المذكور من القطع وما بعده والباقون بالتاء أى جنات (ونفضل بعضها) أى الجنات (على بعض فى الأكل) بضم الهمزة أى فى المهيأ للأكل طعما وشكلا ورائحة وحلاوة وحموضة ولونا وقدرا ونفعا وضرا وقرأ حمزة والكسائى يفضل بالياء عطفا على يدبر والباقون بالنون (ان فى ذلك) أى المفضل من أحوال القطع والجنات (لآيات) أى دلالات كثيرة ظاهرة (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى التدبر (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) أى وان تعجب يا أكرم الخلق من تكذيبهم

(وسخر الشمس والقمر) أى ذللهما لما يراد منهما (كل يجرى لأجل مسمى) أى الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا (يدبر الأمر) أى يصرفه بحكمته (يفصل الآيات) يعنى يبين الدلالات التى تدل على التوحيد والبعث (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أى لكى توقنوا يا أهل مكة بالبعث (وهو الذى مد الأرض) أى بسطها ووسعها (وجعل لها رواسى) أى أوتدها بالجبال (وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يريد حلوا وحامضا وباقى الآية ماض تفسيره (وفى الأرض قطع متجاورات) أى قرى بعضها قريب من بعض (وجنات) يعنى بساتين (من أعناب) وقوله (صنوان) وهو أن يكون الأصل واحدا ثم يتفرع فيصير نخيلا يحملن وأصلهن واحد (وغير صنوان) وهى المتفرقة واحدة واحدة (تسقى) أى هذه القطع والجنات (بماء واحد ونفضل بعضها على بعض) يعنى اختلاف الطعوم (فى الأكل) يعنى التمر فمن حلو وحامض وجيد وردىء (ان فى ذلك لآيات) أى دلالات (لقوم يعقلون) يريد أهل الايمان الذين عقلوا عن الله (وان تعجب) يا محمد أى من عبادتهم مالا يضر ولا ينفع وتكذيبك بعد البيان فتعجب أيضا من انكارهم البعث وهو معنى قوله (فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد

أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال) جمع غل وهو طوق تقيد به اليد الى العنق (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الآية يعنى مشركى مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب



استهزاء يقول يستعجلونك بالعذاب الذى لم أعاجلهم به وهو قوله قبل الحسنة يعنى احسانه اليهم فى تأخير العقوبة عنهم الى يوم القيامة (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى وقد مضت من قبلهم العقوبات فى الامم المكذبة ولم يعتبروا بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى بالتوبة يعنى يتجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى لمن أصر على الكفر (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أتانا بآية كما أتى به موسى من العصا واليد (انما أنت منذر) بالنار لمن عصى الله وليس اليك من الآيات شىء (ولكل قوم هاد) أى نبى وداع الى الله يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يريدون ويحكمون (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) من علقة ومضغة وزائد وناقص وذكر وأنثى (وماتغيض) أى تنقصه (الأرحام) من مدة الحمل التى هى تسعة أشهر (وما تزداد) أى على ذلك (وكل شىء عنده بمقدار) أى علم كل شىء فقدره تقديرا (عالم الغيب) أى ماغاب عن جميع خلقه (والشهادة) يعنى ماشهده الخلق (الكبير) يريد العظيم القدر (المتعال) أى عما يقول المشركون (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)

اياك بعدما كانوا قد حكموا عليك انك من الصادقين فحقيق بالعجب قولهم أنعاد خلقا جديدا بعد الموت وبعد أن صرنا ترابا وفينا الروح كما كنا قبل الموت فانهم عرفوا أن الله على كل شىء قدير فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة كيف لاتكون وافية باعادة الانسان بعد موته لان القادر على الأقوى قادر على الأضعف بالأولى (أولئك) أى المنكرون لقدرته تعالى على البعث بعد ماعاينوا الآيات الباهرة (الذين كفروا بربهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقه فى خبره (وأولئك) أى أهل الكفر (الأغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أى أهل الأغلال (أصحاب النار) أى سكان النار (هم فيها) أى النار (خالدون) لاينفكون عنها (ويستعجلونك) استهزاء منهم (بالسيئة) أى بنزول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أى قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا فكلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا البعث والجزاء وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له استهزاء بانذاره جئنا بهذا العذاب (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين فمالهم لايعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس) أى لذو امهال لهم وتأخير العذاب عنهم (على ظلمهم) أى حال كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصى (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير مااستعجلوه ليس للاهمال (ويقول الذين كفروا) وهم المستعجلون بالعذاب أيضا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى قالوا عنادا هلا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم ازالة لرغبته فى حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أى انما أنت يا أشرف الخلق رسول مخوف من سوء عاقبة مايأتون ويذرون ولا حاجة الى الزامهم باتيان مااقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبى مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان الغالب فى زمان موسى هو السحر جعل معجزته من جنس ذلك وهو العصا واليد ولما كان الغالب فى أيام عيسى الطب جعل معجزته ما كان من جنس ذلك وهو احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ولما كان الغالب فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الفصاحة جعل معجزته ما كان لائقا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها أليق بطباعهم فبأن لايؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات أولى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) من حين العلوق الى زمن الولادة من أى شىء تحمل وعلى أى حال (وماتغيض الأرحام وماتزداد) أى فى عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وفى جثته فقد يكون الولد مخدجا وتاما وفى مدة ولادته فقد يكون مدة الحمل تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة والى أربع سنين عند الشافعى والى خمسة عند مالك (وكل شىء) من الأشياء (عنده) أى فى علمه تعالى (بمقدار) أى بحد لايجاوزه ولاينقص عنه (عالم الغيب) أى ماغاب عن العباد (والشهادة) أى ماعلمه العباد (الكبير) أى العظيم الذى يصغر غيره بالنسبة الى كبريائه (المتعال) أى المنزه عن كل مالايجوز عليه فى ذاته (سواء منكم من أسر القول) فى نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهر به) أى أظهره لغيره وقال ابن عباس أى سواء ماأضمرته القلوب وأظهرته الألسنة (ومن هو مستخف) أى مستتر (بالليل وسارب) أى بارز يراه كل أحد (بالنهار) وقال مجاهد أى وسواء من أقدم على القبائح سرا فى ظلمات

يقول الجاهر بنطقه والمضمر في نفسه والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات علم الله فيهم جميعا سواء

الليل ومن أتى بهاظاهرابالنهار أى فان علمه تعالى محيط بالكل (له) أى لكل ممن أسر أوجهر والمستخفي والسارب أولعالم الغيب والشهادة (معقبات) أى ملائكة حفظة يعقب بعضهم بعضا في المجيء الى من ذكر يعقبون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أى يحيطون بمن ذكر فيعدون عليه أعماله وأقواله ولايشذ من حفظهم اياها شيء أصلا (يحفظونه) أى من ذكر (من أمر الله) أى من بأس الله حين أذنب بالاستمهال أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به أو بسبب أمر الله كما تدل له قراءة على وابن عباس وزيد بن على وعكرمة بأمر الله (ان الله لايغير مابقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا مابأنفسهم) بترك الشكر (واذا أراد الله بقوم سوءا) أى هلاكا (فلامرد له) أى لم تغن المعقبات شيئا فلاراد لعذاب الله ولاناقض لحكمه (ومالهم من دونه) أى من غير الله (من وال) أى مانع من عذاب الله الذى أراده بهم بتغيير مابهم (هو الذى يريكم البرق) وهو لمعان يظهر من خلال السحاب (خوفا) أى خائفين من وقوع الصواعق (وطمعا) أى وطامعين في نزول الغيث أو ذا خوف لمن له في المطر ضرر كالمسافر وكمن يجفف التمر والزبيب والقمح وذا طمع لمن له فيه نفع كالحراث (وينشئ السحاب) أى ويرفع الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء (ويسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسبيح وقيل هو صوت الآلة الذى يتولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ماهو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق أى آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذى نسمع قال زجره السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسبيحه هو دلالته على وحدانية الله تعالى وفضله المستلزم لحمده (والملائكة من خيفته) أى وتسبح جميع الملائكة من هيبة الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤمر وأنه يحوز الماء في نقرة ابهامه وأنه يسبح الله تعالى فاذا سبح لايبقى ملك في السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (ويرسل الصواعق) وهى نيران تنشأ من السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أى في شأن الله (وهو شديد المحال) أى العقاب نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخى لبيد بن ربيعة فانهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمانه ويريدان الفتك به ﷺ فقال أربد أخو لبيد أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم حديد فلما رجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته ورمى عامرا بغدة كغدة البعير فمات على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبرونى من رب محمد هذا الذى تدعونني اليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مارأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فقال أجيب محمدا الى رب لاأراه ولاأعرفه فرجعوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الأولى بل أخبث منها فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رءوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق الخ

والمستخفي معناه المختفي والسارب الظاهر المار على وجهه (له) أى لله (معقبات) أى ملائكة حفظة تتعاقب في النزول الى الارض بعضهم بالليل وبعضهم بالنهار (من بين يديه) يعني الانسان (ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أى بأمره مما لم يقدر فاذا جاء القدر خلوا بينه وبينه (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أى لايسلب قوما نعمة حتى يعملوا بمعاصيه (واذا أراد الله بقوم سوءا) أى عذابا (فلامرد له) أى فلا راد له (ومالهم من دونه من وال) أى من يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا) يعني للمسافر (وطمعا) أى للحاضر (وينشئ) أى ويخلق (السحاب الثقال) بالماء (ويسبح الرعد) وهو الملك الموكل بالسحاب (بحمده) وهو مايسمع من صوته وذلك تسبيح لله تعالى (والملائكة من خيفته) أى وتسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته (ويرسل الصواعق) وهى التى تحرق من برق السحاب وينتشر على الارض ضوؤه (فيصيب بها من يشاء) كما أصاب أربد حين جادل النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (وهم يجادلون في الله) والواو للحال وكان أربد يجادل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني عن ربنا أمن نحاس أم من حديد فأحرقته الصاعقة (وهو شديد المحال) (له)

أى العقوبة والقوة (له دعوة الحق) أى لله من خلقه الدعوة الحق وهى كلمة التوحيد لا إله إلا الله (والذين يدعون) يعنى المشركين يدعون (من دونه) الأصنام (لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط) أى الا كما يستجاب للذى يبسط (كفيه) يشير (الى الماء) ويدعوه الى فيه (ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أى وما الماء ببالغ فاه بدعوته اياه (وما دعاء الكافرين) أى عبادتهم الأصنام (الا فى ضلال) أى هلاك و بطلان (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا) يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) وهم من أكرهوا على السجود فسجدوا لله من خوف السيف واللفظ عام والمراد به الخصوص (وظلالهم بالغدو والآصال) كل شخص مؤمن أو كافر فان ظله يسجد لله تعالى ونحن لا نقف على كيفية ذلك (قل) يا محمد للمشركين (من رب السموات والأرض) ثم أخبرهم فـ(قل الله) لانهم لا ينكرون ذلك ثم ألزمهم الحجة (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أى توليتم غير رب السماء والارض أى أصناما (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) ثم ضرب مثلا للذى يعبدها والذى يعبد الله فقال (قل هل يستوى الأعمى والبصير) يعنى المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يريد الشرك والايمان (أم جعلوا لله شركاء) الآية يعنى أجعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) أى خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) أى فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكار وتوبيخ أى ليس الأمر على هذا حتى يشتبه الأمر بل الله هو المنفرد بالخلق وهو قوله (قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فسالت أودية) جمع واد (بقدرها) أى بقدر ما يملؤها أراد بالماء القرآن وبالأودية القلوب والمعنى أنزل قرآنا فقبلته القلوب بأقدارها منها ما رزق الكثير ومنها ما رزق القليل ومنها ما لم يرزق شيئا (فاحتمل السيل زبدا) وهو ما يعلو الماء (رابيا) أى عاليا فوقه والزبد مثل للكفر يريد ان الباطل وان ظهر على الحق فى بعض الاحوال فان الله سيمحقه و يبطله و يجعل العاقبة للحق وأهله وهو معنى قوله

---

(له دعوة الحق) أى لله الدعوة المطابقة للواقع حيث جعلها افتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها وهى شهادة أن لا إله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء) والأصنام الذين يعبدهم الكفار من غير الله لا يستجيبون لهم بشىء من طلباتهم الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد (ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أى ليبلغ الماء بنفسه من غير ان يغترف الى فيه وما الماء ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده اليه فكما لا يبلغ الماء فى هذا الرجل العطشان كذلك لا تنفع الأصنام من عبدها (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى وما عبادة الكافرين الا فى ضياع لا منفعة فيها لانهم ان عبدوا الأصنام لم يقدروا على نفعهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لاشراكهم (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) أى ولله يعبد من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة و بعض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طائعين بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالغدو والآصال) أى ولله يسجد ظلال من يسجد غدوة عن أيمانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يا أشرف الخلق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين للجوابية و بأنهم لا ينكرونه البتة ثم ألزمهم الحجة فقال (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أى أبعد اقراركم هذا عبدتم من غير الله أربابا (لا يملكون لانفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة للغير ودفع المضرة عن الغير فاذا عجزوا عن ذلك كانت عبادتهم محض العبث والسفه (قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) أى قل لهم هل يستوى الجاهل بمستحق العبادة والعالم بذلك وهل يستوى الجهل بالحجة والعلم بها (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أى بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها أى هذه الأشياء التى زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله فى كونها خالقة فوجب ان تشاركه فى الألوهية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل البتة واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله فى الألوهية محض الجهل (قل الله خالق كل شىء) فلا شريك له فى الخلق فلا يشاركه فى استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أى المنفرد بالألوهية (القهار) لكل ماسواه (أنزل من السماء) أى من جهتها (ماء فسالت) بذلك الماء (أودية) أى أنهار (بقدرها) من الماء فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء (فاحتمل السيل) أى الجارى (زبدا) أى غثاء (رابيا) أى منتفخا فوق الماء (ومما يوقدون عليه فى النار) أى

(فأما الزبد فيذهب جفاء) وهو مارمى به الوادى (وأماماينفع الناس)أى ممايثبت المرعى (فيمكث) يبقى نفعا (فى الارض)ثم ضرب
مثلا آخر وهوقوله ومما يوقدون عليه  فى النار يعنى جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وغيرها مما

من الجواهر كالنحاس والذهب والفضة (ابتغاء حلية أومتاع) أى لطلب اتخاذ زينة أواتخاذ متاع كالأوانى (زبد) أى خبث (مثله) أى مثل وسخ الماء فى ان كلا منهما شئ من الاكدار (كذلك) أى مثل هذا التبيين للامور الأربعة الماء والجوهر والزبدين (يضرب الله الحق والباطل) أى يبين الله مثل الايمان والكفر (فأما الزبد) من الماء والجوهر (فيذهب جفاء) أى يرميه الماء الى الساحل ويرميه الكير (وأماماينفع الناس) من الماء الصافى والفلز الخالص (فيمكث فى الأرض) فالماء يثبت بعضه فى منافعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والآبار والفلز يصاغ من بعضه أنواع الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل ان القرآن شبه بالماء فالله أنزله من سماء الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب المنورة بالأودية لأن القلوب تستقر فيها أنوار علوم القرآن كما أن الأودية يستقر فيها الماء فيحصل فى كل قلب من أنوار علوم القرآن مايليق به من قوة فهمه وقصوره كما يحصل فى كل واد من مياه الامطار مايليق به من سعته وضيقه وكما ان الماء يعلوه وضر والفلز يخالطه خبث ثم ان ذلك يذهب ويبقى الخالص منه كذلك بيانات القرآن تختلط بها شبهات ثم تزول ويبقى العلم والدين فى الآخر وشبهت القلوب المظلمة بالسيل أى فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها بالنور واحتملت القلوب الظلمة باطلا كثيرا بهواها (كذلك) أى مثل ذلك الضرب العجيب (يضرب الله الامثال) أى يبين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها فى غاية الوضوح (للذين استجابوا لربهم الحسنى) أى للذين أجابوا ربهم الى مادعاهم اليه من التوحيد والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله المنفعة الدائمة الخالصة عن شوائب المضرة المقرونة بالاجلال وهى الجنة (والذين لم يستجيبوا له لوأن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أى والاشقياء الذين عاندوا الحق الجلى لوأن لهم مافى الارض من أصناف الاموال جميعا لجعلوا مافى الارض ومثله فداء أنفسهم من العذاب لان محبوب كل انسان ذاته فاذا كانت فى ضرر وكان مالكا لكل شئ فانه يرضى ان يجعل جميع ملكه فداء لها لانه حب ماسواها ليكون وسيلة الى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يغفر منه شئ (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) أى المستقر هى (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أى أفمن يعلم ان القرآن الذى مثل بالماء النازل من السماء وبالابريز الخالص فى المنفعة هو الحق كمن لايعلم (انما يتذكر أولوا الألباب) أى انما يتعظ بالقرآن وينتفع بهذه الامثلة ذوو العقول الذين يطلبون من كل صورة معناها (الذين يوفون بعهد الله) أى بما كلف الله العبد به فيدخل فيه الاتيان بجميع المأمورات والوفاء بالعقود فى المعاملات وأداء الامانات (ولاينقضون الميثاق) وهو ماالتزمه العبد من أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل) وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والقرابة الثابتة بسبب أخوة الايمان وعيادة المريض وشهود الجنائز وافشاء السلام على الناس والتبسم فى وجوههم وكف الأذى عنهم ويدخل فى العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهرة (ويخشون ربهم) والخشية نوعان خوف من ان يقع خلل فى طاعاته وخوف هيبة وان كان العبد فى عين طاعته (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى ثقل الامراض والمضار والغموم

يدخل النار فيوقدون عليها ويتخذ منها الحلى وهو الذهب والفضة والامتعة وهى الأوانى يعنى النحاس والرصاص وغيرهما وهذا معنى قوله ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله أى مثل زبد الماء يريدان من هذه الجواهر بعضها خبث ينفيه الكير (كذلك) أى كما ذكر من هذه الأشياء (يضرب الله) مثل الحق والباطل وهذه الآية فيها تقديم وتأخير فى اللفظ والمعنى مااخبرتك به (للذين استجابوا لربهم) أى أجابوه الى مادعاهم اليه (الحسنى) أى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لو أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أى جعلوه فداء لنفوسهم أى من العذاب (أولئك لهم سوء الحساب) وهوان لايقبل منهم حسنة ولا يتجاوز عن سيئة (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) نزلت فى أبى جهل لعنه الله وفى حمزة (انما يتذكر) أى يتعظ فيرتدع عن المعاصى (أولوا الالباب) يعنى المهاجرين والأنصار (الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق) يعنى العهد الذى عاهدهم وعلى
عليه وهم فى صلب آدم (والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل) وهو الايمان بجميع الرسل (والذين صبروا) أى على دينهم وماأمروا به

(ابتغاء وجه ربهم) أي طلب تعظيم الله (ويدرأون) أي يدفعون (بالحسنة) يعني بالتوبة (السيئة) يريد المعصية وهو أنهم كلما أذنبوا
تابوا (أولئك لهم عقبى الدار) يريد عقباهم الجنة (جنات عدن  يدخلونها ومن صلح من آبائهم)
أي ومن صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم يلحق بهم كرامة لهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) أي بالتحية من الله والهدايا (سلام عليكم) أي يقولون سلام عليكم والمعنى سلمكم الله من العذاب (بما صبرتم) أي بصبركم في دار الدنيا عما لايحل (فنعم عقبى الدار) أي فنعم العقبى عقبى داركم التي عملتم فيها ما أعقبكم الذي أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) مفسرة في سورة البقرة (الله يبسط الرزق) أي يوسعه لمن يشاء ويقدر أي يضيق (وفرحوا) يعني مشركي مكة (بالحياة الدنيا) أي بما نالوا من الدنيا وبطروا (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني في حياة الآخرة يعني بالقياس اليها (الا متاع) أي قليل ذاهب يتمتع به ثم يفنى (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه) يعني مشركي مكة حين طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآيات (قل ان الله يضل من يشاء) أي عن دينه كما أضلكم بعد ما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها (ويهدي اليه من أناب) يرشد الى دينه من رجع الى الحق

وعلى ترك المشتهيات (ابتغاء وجه ربهم) أي طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا فكما أن العاشق يرضى بضرب معشوقه لالتذاذه بالنظر الى وجهه فكذلك العبد يرضى بالمحنة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردها بالذكر تنبيها على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يمتنع ادخال النوافل فيها (وأنفقوا) نفقة واجبة ومندوبة (مما رزقناهم سرا) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند اعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهرا أو في التطوع (وعلانية) لغير ذلك (ويدرأون بالحسنة السيئة) أي يدفعون المعصية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم عقبى الدار) أي عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي يدخل جنات عدن المنعوتون بتلك النعوت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم وان علوا ذكورا كانوا أو اناثا ومن أزواجهم اللاتي متن في عصمتهم وذرياتهم وان لم يعمل مثل أعمالهم لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة وانما يلحق بهم من آمن من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم كرامة لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وقوله جنات عدن بيان لعقبى أو خبر مبتدا مضمر (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب يدخل عليهم من كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أي سلمكم الله دعاء لهم وبشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن (فنعم عقبى الدار) أي نعم عاقبة الدار التي كنتم عملتم فيها هذه الكرامات التي ترونها (والذين ينقضون عهد الله) أي لا يعملون مقتضى الأدلة (من بعد ميثاقه) أي من بعد أن وثق الله تلك الادلة أو المعنى يتركون فرائض الله من بعد توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي ما أوجب الله وصله فيدخل فيه وصل الرسول بمعاونته دينه ووصل سائر من له حق (ويفسدون في الارض) بالدعاء الى غير دين الله وبالظلم في النفوس والاموال (أولئك) أي الموصوفون بالقبائح (لهم اللعنة) أي الابعاد من خيري الدنيا والآخرة الى نقمة (ولهم سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا (الله يبسط الرزق) أي يوسعه (لمن يشاء) من عباده (ويقدر) أي يعطي من يشاء منهم بقدر كفايته لا يفضل عنه شئ أي ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرد مشيئته تعالى فقد يوسع على الكافر استدراجا ويضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه فالدنيا دار امتحان (وفرحوا) أي فرح من بسط الله له رزقه من كفار مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) لا فرح سرور بفضل الله تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) أي انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما بطروا به في مقابلة ما أعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد كمتاع البيت وزاد الراعي (ويقول الذين كفروا) أي أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هلا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما كانت للرسل الاولين (قل) لهؤلاء المعاندين (ان الله يضل من يشاء) عن دينه (ويهدي اليه) أي يرشد الى دينه (من أناب) أي من أقبل اليه أي ما أعظم عنادكم في الآيات التي ظهرت على يد الرسول ان الله يضل من كان على صفتكم من شدة الشكيمة على الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم

وان أنزلت عليهم كل آية طلبوها ويهدى اليه بأدنى آية جاء بها الرسول من كان على خلاف صفتكم (الذين آمنوا) بما جاء به الرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بكلام الله أى ان علم المؤمنين بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم فى كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله وان شكهم فى انهم أتوا بالطاعات كاملة يوجب الوجل فى قلوبهم (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم النحاسى انقلب ذهبا باقيا على كر الازمان فاكسير جلال الله تعالى اذا وقع فى القلب أولى أن يقلبه جوهرا صافيا نورانيا لايقبل التغير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال طوبى شجرة فى الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة ويقال طوبى شجرة فى الجنة ساقها من ذهب وثمرها من كل لون وثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فتنبت الحلى والحلل وأصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وأغصانها متدليات فى كل دار وغرفة فى الجنة وتحتها كثبان المسك والعنبر والزعفران وينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل (وحسن مآب) أى مقر (كذلك) أى مثل ارسالنا الانبياء الى أمم واعطائنا اياهم كتبا تتلى عليهم (أرسلناك فى أمة) أى الى جماعة كثيرة (قد خلت من قبلها أمم) أى قد تقدمتها أمم كثيرة (لتتلو عليهم) أى على أمتك (الذى أوحينا اليك) فلماذا اقترحوا غيره (وهم) أى والحال ان أمتك (يكفرون بالرحمن) الذى رحمته وسعت كل شئ وما بهم من نعمة فمنه وكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وفى انزال هذا القرآن المعجز عليهم روى الضحاك عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن أى اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن أى الذى لا نعمة لكم الا منه قالوا وما الرحمن متجاهلين فى معرفته فضلا عن معرفة نعمته معبرين بأداة مالايعقل قال الله تعالى (قل) لهم يا أشرف الخلق (هو) أى الرحمن الذى أنكرتم معرفته (ربى) أى خالقى ومبلغى الى مراتب الكمال (لا اله الا هو) أى لامستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى جميع أمورى لاعلى أحد سواه (واليه متاب) أى مرجعى فى الآخرة (ولو أن قرآنا سيرت به) أى زعزعت بتلاوته (الجبال) من أماكنها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام (أو قطعت به الارض) أى شققت وجعلت أنهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه موسى بعصاه أو جعلت قطعا بعيدة (أو كلم به الموتى) بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان هو هذا القرآن لكونه ينطوى على عجائب آثار قدرة الله تعالى. روى أن أهل مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قعدوا فى فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومى ان سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى ينفسح المكان علينا الا انها ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان فلست بأهون على ربك من سليمان كما زعمت أو أحى لنا جدك قصيا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو أن قرآنا الخ (بل لله الأمر جميعا) أى بل لله الامر الذى يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فالله قادر على الاتيان

(الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى اذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يريد قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) وهى شجرة غرسها الله بيده وقيل فرح وقرة أعين (وحسن مآب كذلك) أى كما أرسلنا الانبياء قبلك (أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى فى قرن مضت من قبله قرون (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) يعنى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) وذلك انهم قالوا مانعرف الرحمن الا صاحب اليمامة (قل هو ربى) أى الرحمن الذى أنكرتم معرفته هو الهى وسيدى (لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو أن قرآنا) الآية نزلت حين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا كما تقول فسير عنا جبال مكة فانها ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وأنهارا حتى نغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا من الموتى يكلمونا بأنك نبى فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يريد لو قضيت أن لايقرأ القرآن على الجبال الا سارت ولا على الارض الا تخرقت بالعيون والانهار ولا على الموتى الا تكلموا ما آمنوا لما سبق فى علمى وهذا جواب لو وهو محذوف أى بل دع ذلك الذى قالوا من تسيير الجبال وغيره فالأمر لله جميعا لوشاء أن يؤمنوا لآمنوا واذا لم يشأ لا ينفع ما اقترحوا من الآيات وكان المسلمون قد أرادوا أن يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى

بما

(أفلم ييأس) يعلم (الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس) من غير ظهور الآيات (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) أي من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي داهية تقرعهم من القتل والاسر والحرب والجدب (أو تحل) يا محمد أنت (قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله) يعني القيامة وقيل فتح مكة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي أوذي وكذب (فأمليت للذين كفروا) أي أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ليتمادوا في المعصية (ثم أخذتهم) أي بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي كذلك أصنع بمشركي قومك (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي بجزائها يعني متول كذلك كما يقال قام فلان بأمر كذا اذا كفاه وتولاه والقائم على كل نفس هو الله تعالى والمعنى أفمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وجواب هذا الاستفهام في قوله (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) أي باضافة أفعالهم اليهم ان كانوا شركاء لله كما يضاف الى الله تعالى أفعاله بأسمائه الحسنى نحو الخالق والرازق فان سموهم قل (أتنبؤنه بما لا يعلم في الأرض) أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه بمعنى أنه ليس له شريك (أم بظاهر من القول) والمعنى أم تقولون مجازا من القول وباطلا لا حقيقة له فهو كلام في الظاهر ولا حقيقة له في الباطن ثم قال (بل) أي دع ذكر ما كنا فيه (زين للذين كفروا مكرهم) أي زين الشيطان لهم الكفر (وصدوا عن السبيل) أي وصدهم الله عن سبيل الهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) أي بالقتل والاسر (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد وأغلظ (وما لهم من الله) أي من عذاب الله (من واق) أي من حاجز ومانع (مثل الجنة) أي صفة الجنة (التي وعد المتقون) وقوله (أكلها دائم) يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا

بما اقترحوه من الآيات الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي أغفل المؤمنون عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع الناس الى دينه لهداهم لكنه تعالى لم يشأها فلم يظهر ما اقترحوا من الآيات قيل لما سأل الكفار تلك الآيات طمع المؤمنون في ايمانهم فطلبوا نزولها ليؤمنوا وعلم الله أنهم لا يؤمنون برؤيتها (ولا يزال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) من سوء أعمالهم (قارعة) أي داهية تقرعهم بما ينزل الله عليهم في كل وقت من أنواع البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أي أو تنزل تلك القارعة مكانا قريبا منهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد والمقصود من هذا تقوية قلب الرسول ﷺ وازالة الحزن عنه (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي ان أقوام سائر الأنبياء استهزأوا بهم كما ان قومك استهزأوا بك (فأمليت للذين كفروا) أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في راحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي على أي حالة كان عقابي اياهم هل كان ظلما لهم أو كان عدلا (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أفمن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشر وهو الله القادر على كل الممكنات العالم بجميع الجزئيات والكليات كالأصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا) أي الكفار (لله شركاء قل سموهم) أي سموهم بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فانها لا تستحق ان يلتفت العاقل اليها لحقارتها (أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول) أي أتقدرون على أن تخبروا الله شركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى أم تتفوهون باظهار قول من غير اعتبار معنى أي أتقولون بأفواهكم من غير فكر وأنتم ألباء فتفكروا في ذلك لتعلموا بطلانه وانما خص نفي الشريك عن الأرض وان لم يكن له تعالى شريك البتة لأن الكفار ادعوا أن له تعالى شركاء في الأرض لا في غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي تمويههم الأباطيل فانهم أظهروا أن شركاءهم آلهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم في الباطن الا تقليد الآباء (وصدوا عن السبيل) قرأ عاصم وحمزة والكسائي هنا وفي حم المؤمن بضم الصاد أي منعوا عن سبيل الحق والباقون بفتح الصاد أي أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عنه وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال المكسورة اليها (ومن يضلل الله) عن دينه بسوء اختياره (فما له من هاد) أي موفق للهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسبي واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد من عذاب الدنيا بالقوة وكثرة الأنواع وعدم الانقطاع وعدم اختلاط شيء من الراحة (وما لهم من الله) أي عذابه (من واق) أي حافظ يعصمهم من ذلك (مثل الجنة) أي صفة الجنة (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي (تجري من تحتها الأنهار) أي أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دائم) أي ثمرها لا ينقطع

(وظلها) كذلك أيضا فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبى الذين اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لا غير (والذين آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والانجيل وهم من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة (يفرحون بما أنزل اليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب) أى بقية أهل الكتاب وسائر المشركين (من ينكر بعضه) أى بعض القرآن وهو الشرائع الحادثة (قل انما أمرت أن أعبد الله) وحده فعبادة الله واجبة على المرء فبهذا يبطل القول بالجبر المحض وقول نفاة التكاليف ولا تمكن عبادة الله الا بعد معرفة الله ولا سبيل الى معرفته الا بالدليل فهذا دليل على أن المرء مكلف بالنظر والاستدلال فى معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهذا يدل على نفى الشركاء فيبطل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قال ان المعبود هو الشمس أو القمر أو الكواكب أو الأصنام أو الأرواح العلوية أو يزدان وأهرمن على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية (اليه) أى الى الله خاصة (أدعو) خلقه فكما يجب عليه صلى الله عليه وسلم الاتيان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله عليه وسلم الدعوة الى عبودية الله تعالى وهذا اشارة الى نبوته صلى الله عليه وسلم (واليه) أى الى الله تعالى وحده (مآب) أى مرجعى للجزاء وهذا اشارة الى النشر والحشر والبعث والقيامة فاذا تأمل الانسان فى هذه الألفاظ القليلة عرف أنها محتوية على جميع المطالب فى الدين (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى ما أنزل اليك (حكما) أى حاكما يحكم فى القضايا والواقعات (عربيا) أى مترجما بلسان العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار (بعد ما جاءك من العلم) الفائض من ذلك الحكم العربى (مالك من الله من ولى) أى قريب ينفعك (ولا واق) أى مانع يمنعك من مصارع السوء روى أن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم فى ذلك (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا) أى نساء فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية وكان لأبيه داود مائة امرأة (وذرية) أى أولادا مثل ابراهيم واسحق ويعقوب (وما كان لرسول أن يأتى بآية) مما اقترح عليه (الا باذن الله) أى بارادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الأوقات (كتاب) أى حكم معين مكتوب فى صحف الملائكة التى تنسخها من اللوح المحفوظ فقد أثبت فيها ان أمر كذا يكون فى وقت كذا على ما تقتضيه الحكمة (يمحو الله ما يشاء) من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت (ويثبت) أى يبقيه على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شىء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو فالحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فعند الله كتابان كتاب يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه فى اللوح المحفوظ وهو الباقى روى عن النبى ﷺ أنه قال كان الله ولا شىء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى قيام الساعة. اعلم أن

بذلك مؤمنو أهل الكتاب وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وذلك قوله (ومن الأحزاب) يعنى الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ (من ينكر بعضه) يعنى ذكر الرحمن (وكذلك) أى وكما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه حكما عربيا) يعنى القرآن لأن به يحكم ويفصل بين الحق والباطل وهو بلغة العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) وذلك ان المشركين دعوه الى دين آبائه فتوعده الله على ذلك بقوله (مالك من الله من ولى ولا واق) أى من ناصر ولا أحد يدفع عنك العذاب (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا) نكحوهن (وذرية) أى أولادا أنسلوهم وذلك أن اليهود عيرت رسول الله ﷺ بكثرة النساء وقالوا ماله همة الا النساء والنكاح (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى باطلاقه له الآية وهذا جواب للذين سألوه أن يوسع لهم مكة (لكل أجل كتاب) أى لكل أجل قدره الله تعالى القوم

ولكل أمر قضاه الله كتاب أثبت فيه فلا تكون آية الا بأجل قد قضاه الله فى كتاب (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) أى اللوح المحفوظ يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وظاهر الآية على العموم وقال قوم الا السعادة والشقاوة والموت والرزق والخلق والخلق

القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات في ابطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى انهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وبأكل الطعام والمشي في الأسواق وبكونه من جنس البشر وقالوا لو كان محمد رسولا من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مشتغلا بالنسك والزهد وقالوا الرسول الذي يرسله الله الى الخلق لابد وأن يكون من جنس الملائكة وقالوا لو كان محمد رسولا من الله لما أكل الطعام ولما مشى في الأسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية أي ان الانبياء الذين كانوا قبل محمد كانوا من جنس البشر فاتصفوا بصفاته من الزواج والأكل ونحو ذلك ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكيف يجعلون ذلك قادحا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية قولهم لو كان محمد رسولا من عند الله لكان أي شيء طلبناه من المعجزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله أي ان المعجزة الواحدة كافية في اظهار الحجة فالزائدة عليها مفوضة الى مشيئة الله تعالى ان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب فيهم وظهور النصرة له ولأصحابه فلما تأخر ذلك طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان محمد نبيا لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أي ان نزول العذاب على الكفار وظهور النصرة للأولياء قضى الله بحصولهما في أوقات مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على كونه صلى الله عليه وسلم كاذبا. والشبهة الرابعة قولهم لو كان محمد صادقا في دعوى الرسالة لم ينسخ الاحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة لكنه حرفها كما في القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والانجيل فوجب أن لا يكون نبيا فأجاب الله عنه بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت (واما نرينك) أي ان نرك (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) أي نقبضنك قبل أن نرينك (فانما عليك البلاغ) أي سواء أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي في حياتك أو توفيناك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء رسالته وأمانته فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية (وعلينا الحساب) أي وعلينا لا عليك محاسبة أعمالهم السيئة ومجازاتها (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي أنكر أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أنا نأخذ أرضهم نفتحها من نواحيها للمسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والاجلاء أليس هذا من ذلك (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لا معقب لحكمه) أي لاراد له (وهو سريع الحساب) أي فبعد زمن قليل يحاسبهم في الآخرة غب ما عذبهم في الدنيا بالقتل والأسر والاخراج من ديارهم (وقد مكر الذين من قبلهم) أي وقد مكر الكفار الذين مضوا من قبل كفار مكة بأنبيائهم فنمرود مكر بابراهيم وفرعون مكر بموسى واليهود مكروا بعيسى كما مكر هؤلاء بك (فلله المكر جميعا) أي ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه تعالى وارادته فوجب أن لا يكون الخوف الا من الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع فلا قدرة للعبد على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح ابن حبيش وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أي سيخبر (لمن عقبى الدار) أي لمن العاقبة الحميدة (ويقول الذين كفروا) أي اليهود وغيرهم (لست مرسلا) من الله يا محمد (قل) لهم يا أكرم الرسل (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه تعالى قد أظهر المعجزات

(واما نرينك بعض الذي نعدهم) أي من العذاب (أو نتوفينك) أي قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) يريد قد بلغت (وعلينا الحساب) أي الى مصيرهم فأجازيهم أي ليس عليك الا البلاغ كيفما صارت حالهم (أولم يروا) يعني مشركي مكة (أنا نأتي الارض) أي نقصد أرض مكة (ننقصها من أطرافها) أي بالفتوح على المسلمين يقول أولم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ما حولها من القرى أفلا يخافون أن تنالهم يا محمد (والله يحكم) أي بما يشاء (لا معقب لحكمه) أي لا أحد يتتبع ما حكم به فيغيره والمعنى لا ناقض لحكمه ولا راد له (وهو سريع الحساب) المجازاة (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الخالية مكروا بأنبيائهم (فلله المكر جميعا) يعني ان مكر الماكرين له أي من خلقه فالمكر جميعا مخلوق له ليس يضر منه شيء الا باذنه (يعلم ما تكسب كل نفس) أي جميع الاكساب معلوم له (وسيعلم الكافر) وهو اسم الجنس (لمن عقبى الدار) أي لمن العاقبة بالجنة وقوله

الدالة على كوني صادقا في دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أي السماوي ككعب الأحبار وسلمان الفارسي وعبدالله بن سلام وتميم الداري وآصف بن برخيا فكل من كان عالما بالتوراة والانجيل علم أن محمدا مرسل من عندالله وقرئ ومن عنده علم الكتاب بمن الجارة التي لابتداء الغاية أي ومن عندالله حصل علم القرآن لان أحدا لايعلمه الامن تعليمه ثم على هذه القراءة قرئ أيضا علم الكتاب على البناء للمفعول أي لما أمر الله نبيه أن يحتج عليهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك الابإظهار القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن معجزا الا بعد العلم بما فيه من أسراره بين الله تعالى ان هذا العلم لايحصل الامن عندالله

﴿ سورة ابراهيم مكية وآياتها اثنان وخمسون. وكلماتها ثمانمائة واحدى وثلاثون.
وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب) أي السورة المسماة بالر كتاب (أنزلناه اليك) ياأشرف الخلق (لتخرج الناس) كافة بدعائك اياهم (من الظلمات) أي ظلمات الكفر والضلالة والجهل (الى النور) أي الايمان وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق واحد (باذن ربهم) أي بتسهيله فان الرسول لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله وتخليقه (الى صراط العزيز الحميد) أي الى دين الكامل القدوة المستحق للحمد في كل أفعاله (الله) قرأه نافع وابن عامر بالرفع (الذي له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي لما ترك الكفار عبادة الله الذي هو المالك للسموات والارض ولكل مافيهما وعبدوا مالايملك ضرا ولا نفعا فالويل ثم الويل لمن كان كذلك أي يولولون أي يصيحون من عذاب غليظ و يقولون ياويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أي يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (و يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله فهم مضلون (و يبغونها عوجا) أي يطلبون لسبيل الله زيغا و يقولون لمن يريدون اضلاله انها زائغة غير مستقيمة فهذا نهاية الضلال والاضلال (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (في ضلال) عن طريق الحق (بعيد) أي في غاية البعد عنه فلا يوجد ضلال أكمل من هذا الضلال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي الا متكلما بلغة من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة لغير سيدنا محمد خصوص عشيرة رسولهم و بالنسبة اليه كل من أرسل اليه من أصناف الخلق لان رسالته عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية لانه لم يصادف أنه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (ليبين لهم) ما كلفوا به بلغاتهم فيكون فهمهم لاسرار الشريعة أسهل ووقوفهم على المقصود أكمل (فيضل الله) عن دينه (من يشاء) أي بمنع ألطافه تعالى به (و يهدي) لدينه بمنح الألطاف (من يشاء) فتقوية البيان لاتوجب حصول الهداية فربما قوي البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية لان الهداية والضلال لايحصلان الا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يغالب في مشيئته ولا يفعل شيئا الا لحكمة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي معجزاته التي أظهرها لبني اسرائيل (أن أخرج قومك من الظلمات) أي ظلمات الكفر (الى النور) أي نور الايمان فان مفسرة لأرسلنا (وذكرهم بأيام الله) أي بنعم الله عليهم كانفلاق البحر وتظليل الغمام وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما سلف من الأيام و ببأس الله عليهم وهي أيامهم تحت قهر فرعون و بعذاب الله من كذب الرسل فيما سلف من الأيام كما نزل بعاد وثمود وغيرهم ليرغبوا في الوعد فيصدقوا وليحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب

(ومن عنده علم الكتاب) أي مؤمنو أهل الكتاب وكانت شهادتهم قاطعة لقول الخصوم ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه السلام ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الر) أنا الله أرى (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعني من الشرك الى الايمان (باذن ربهم) أي بقضاء ربهم لانه لايهتدي مهتد الا باذن الله ثم بين ماذلك النور فقال (الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون) أي يؤثرون و يختارون (الحياة الدنيا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله) أي و يمنعون الناس عن دين الله (و يبغونها عوجا) مضى تفسيره (أولئك في ضلال) أي في خطأ (بعيد) عن الحق (وما أرسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه) ليتفهموا عنه وهو معنى قوله (ليبين لهم فيضل الله من يشاء) أي بعد التبيين بايثاره الباطل (و يهدي من يشاء) باتباع الحق (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي بالبراهين التي دلت على صحة نبوته (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) يريد من الشرك الى الايمان (وذكرهم) أي وعظهم (بأيام الله) أي بنعمه ونقمه يعني بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد

( ان في ذلك ) أي في التذكير بالوقائع (لآيات) أي دلائل (لكل صبار شكور ) وهذا تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يخلو زمانه عن أحد الأمرين الصبر والشكر لأن الحال اما أن يكون حال بلية أو حال عطية فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه كان شكورا وان جرى بما لا يلائم طبعه كان صبورا فالانتفاع بهذا التذكير لا يكون الا لمن كان صابرا أو شاكرا (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم ) أي مستقرة عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون ) أي وقت انجائه اياكم منهم (يسومونكم سوء العذاب ) أي يطلبون منكم الأعمال الشاقة (ويذبحون) تذبيحا كثيرا (أبناءكم) صغارا ( ويستحيون نساءكم ) أي يستخدمونهن كبارا بالاستحياء و يبقونهن منفردات عن الرجال (وفي ذلكم) أي المذكور من الأفعال الفظيعة ( بلاء من ربكم عظيم ) لا يطاق وفي الخلاص من ذلك نعمة عظيمة (واذ تأذن ربكم) أي واذكروا حين أعلم ربكم في الكتاب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك بالايمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة وحقيقة الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه ومزيد النعم الجسمانية أن كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر ومزيد النعم الروحانية أن النفس اذا اشتغلت بمطالعة أنواع فضل الله واحسانه أوجب ذلك الاشتغال تأكد محبة العبد لله تعالى ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعم فالشكر مقام شريف يوجب السعادة في الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أي أنكرتم نعمتي فمسى يصيبكم عذابي (ان عذابي لشديد) وكفران النعمة لا يكون الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله تعالى والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال موسى ان تكفروا) نعمه تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جميعا) لم يرجع ضرر الكفر الا عليكم (فان الله لغني) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق للحمد في ذاته وان لم يحمده أحد بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده (ألم يأتكم) يا بني اسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعد هؤلاء المذكورين (لا يعلمهم الا الله) أي لا يعلم عددهم الا الله لكثرتهم وهذه الجملة حال من الذين أو من الضمير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسير لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي وعض الكفار أيديهم من الغيظ من شدة نفرتهم عن استماع كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين الى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكتوا (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على ادعائكم فانهم ما أقروا بأن أوامر الرسل ومنهيا تهم من الله تعالى (وانا لفي شك) عظيم (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) أي ذي قلق النفس (قالت رسلهم أفي الله شك) أي أفي وجود الله ووحدته شك وهو أظهر من كل ظاهر (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما وما فيهما (يدعوكم) الى التوحيد بارساله ايانا (ليغفر لكم) بسببه (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم الى وقت معين عند الله ان آمنتم والا عاجلكم الله بالاستئصال (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا) من غير فضل (تريدون) بالدعوة (أن تصدونا) أي تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته (فأتونا بسلطان مبين ) أي

لنعمه والآية الثانية مفسرة في سورة البقرة وقوله (واذ تأذن) معطوف على قوله اذ أنجاكم والمعنى واذ أعلم (ربكم لئن شكرتم) أي وحدتم وأطعتم (لأزيدنكم) أي مما يجب الشكر عليه وهو النعمة (ولئن كفرتم) أي جحدتم حقي وحق نعمتي ( ان عذابي لشديد ) تهديد بالعذاب على كفران النعمة (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ) يعني بعد هؤلاء الذين أهلكهم الله (لا يعلمهم الا الله) أي لكثرتهم فلا يعلم عدد تلك الأمم وتعيينها الا الله (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم) أي أيدي أنفسهم (في أفواههم) أي ثقل عليهم مكانهم فعضوا على أصابعهم من شدة الغيظ (قالت رسلهم أفي الله شك) أي في توحيد الله شك وهذا استفهام معناه الانكار أي لا شك في ذلك ثم وصف نفسه بما يدل على وحدانيته وهو قوله (فاطر السموات والارض يدعوكم) أي الى طاعته بالرسل والكتب (ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى) أي لا يعاجلكم بالعقوبة والمعنى ان لم تجيبوا عوجلتم و باقي الآية وما بعدها الى قوله لذلك لمن ظاهر ومعنى

(خاف مقامي) أي خاف مقامه بين يدي .  . (وخاف وعيد) أي ماأوعدته من العذاب (واستفتحوا) أي واستنصروا

وان كنتم رسلامن الله فأتونا بحجة ظاهرة تدل على صحة ماتدعونه من النبوة حتى نترك مالم نزل نعبده قالواذلك عنادا فان الرسل قد أتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسلهم) مجاراة معهم في أول مقالتهم (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة فانها عطية من الله من غير سبب (وماكان لنا )أي ما استقام لنا( أن نأتيكم بسلطان ) أي بحجة (الا باذن الله) أي بارادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ومقصود الرسل بهذا القول حمل أنفسهم على التوكل فان الكفار أخذوا في التخويف حتى قالوا للرسل توكلوا أتم على الله حتى تروا مايفعل بكم فقالت الرسل (ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي أي عذر لنا في ترك التوكل على الله والحال أنه قد هدانا طرقه التي نعرفه بها ونعلم أن الأموركلها بيده (ولنصبرن على ما آذيتمونا) بالعناد واقتراح الآيات وغيرذلك فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا أتباعهم بالتوكل بعد أمر أنفسهم به وذلك يدل على أن الآمر بالخير لايؤثر الابعد الاتيان به فالانسان اماأن يكون ناقصاأو كاملا فالناقص اماأن يكون ناقصا غير ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال واماأن يكون ساعيافي ذلك فهو مضل واماخاليا عن الوصفين فهو مهتد والكامل اماأن يكون غيرقادر على تكميل الغير فهو ولي واماقادرا على ذلك فهو نبي فالولي هو الانسان الكامل والنبي هو الانسان الكامل المكمل (وقال الذين كفروا) أي الغالون في الكفر (لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتصيرن داخلين في ملتنا (فأوحى اليهم) أي الرسل (ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض)أي أرض الظالمين وديارهم (من بعدهم) أي من بعد هلاكهم (ذلك ) أي اسكان الارض ثابت (لمن خاف مقامي) أي لمن خافني وخاف حفظي لأعماله (وخاف وعيد) أي عذابي الموعود للكفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه فنصر الله الرسل (وخاب كل جبار) أي خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عنيد) أي منحرف عن الحق (من ورائه جهنم) أي من بعد هذه الخيبة جهنم يلقى فيها (ويسقى من ماء صديد) أي مما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم (يتجرعه) أي يتناوله جرعة جرعة على الاستمرار لغلبة العطش والحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أي لا يكاد أن يجريه في الحلق بل يستمسكه فيه لمرارته ونتنه فوصوله الى الجوف ليس باجازة (ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت) أي يجد ذلك الكافر ألم الموت من كل مكان من أعضائه حتى من أصول شعره وابهام رجله والحال أنه لا يموت من ذلك العذاب (ومن ورائه عذاب غليظ) أي ومن بعد ذلك العذاب عذاب أشد مما هو عليه لاينقطع ولايخف بسبب الاعتياد كما في عذاب الدنيا (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) أي صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصلة رحم واعتاق رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والد واغاثة ملهوف (كرماد اشتدت) أي ذرت (به الريح في يوم عاصف) أي شديد الريح (لايقدرون مما كسبوا على شيء) أي لايجدون يوم القيامة أثر ماعملوا في الدنيا من ثواب أو تخفيف عذاب كما لا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح وذلك لفقد شرط الاعمال وهو الايمان (ذلك) أي عملهم (هو الضلال البعيد) أي الضياع البعيد عن نيل الثواب (ألم تر) أي قد أخبرت أيها المخاطب (أن الله خلق السموات والارض بالحق) أي ملتبسا بالحكمة وليس عبثا وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات على اسم الفاعل والاضافة (ان يشأ يذهبكم ) أي يهلككم بالمرة

الله سبحانه على قومهم ففازوا بالنصرة (وخاب كل جبار )أي متكبر عن طاعة الله سبحانه (عنيد) يعني مجانب للحق (من ورائه) أي أمامه (جهنم ) فهو يردها (ويسقى من ماء صديد) وهو مايسيل من الجرح مختلطا بالدم والقيح (يتجرعه) أي يتحساه بالتجرع لا بمرة واحدة لمرارته (ولا يكاد يسيغه ) أي لايجيزه في الحلق الابعد ابطاء (ويأتيه الموت ) أي أسباب الموت من البلايا التي تصيب الكافر في النار (من كل مكان) أي من كل شعرة في جسده (وما هو بميت) أي موتا تنقطع معه الحياة (ومن ورائه ) أي ومن بعد ذلك العذاب (عذاب غليظ ) يعني متصل الآلام ثم ضرب مثلا لأعمال الكافر فقال (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) يريد شديد هبوب الريح ومعنى الآية أن كل مايتقرب به الكفار فمحبط غير منتفع به لأنهم أشركوا فيه غير الله كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لاينتفع به فذلك قوله (لايقدرون مما كسبوا على شيء) أي لايجدون ثواب ماعملوا (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ضلال أعمالهم وذهابها والمعنى ذلك الخسران الكبير (ألم تر ) يامحمد (أن الله خلق السموات والارض بالحق) أي بقدرته وصنعه وعلمه وارادته وكل ذلك حق (ان يشأ يذهبكم) أي يميتكم أيها الكفار (ويأت

(ويأت بخلق جديد) سواكم أطوع لله منكم (وماذلك) أى اذهابكم والاتيان ببدلكم (على الله بعزيز) أى بمتعسر لأن القادر لا يصعب عليه شئ (وبرزوا لله جميعا) أى ويخرجون من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة (الذين استكبروا) عبادة الله وهم أكابرهم (انا كنا لكم تبعا) فى الدنيا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصيحتهم (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) أى فهل أنتم فى هذا اليوم دافعون عنا بعض شئ هو عذاب الله (قالوا) أى القادة (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو خلصنا الله من العقاب وهدانا الى طريق الجنة لهديناكم طريق النجاة ودفعنا عنكم بعض العذاب ولكن سد الله عنا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا) مالقينا (أم صبرنا) على ذلك أى الصياح فالتضرع والصبر مستويان علينا فى عدم الانجاء (مالنا من محيص) أى محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أى يقول ابليس رئيس الشياطين خطيبا فى محفل الاشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أى فرغ منه بأن استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقد قالوا له اشفع لنا فانك أضللتنا (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد بالبعث والجزاء على الأعمال فصدق فى وعده اياكم (ووعدتكم) أن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم (فأخلفتكم) أى كذبت لكم وتبين خلف وعدى (وما كان لى عليكم من سلطان) أى حجة تدل على صدقى أو قهر فأقهركم على الكفر والمعاصى (الا أن دعوتكم) أى الادعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى (فاستجبتم لى) أى أجبتمونى (فلا تلومونى) بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر (ولوموا أنفسكم) حيث أجبتمونى باختياركم حين دعوتكم بلا دليل فما كان منى الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا على فى هذا الباب (ما أنا بمصرخكم) أى بمغيثكم من عذابكم (وما أنتم بمصرخى) أى بمغيثى من عذابى (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) أى انى الآن تبرأت من اشراككم اياى مع الله فى الطاعة من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا أى لأن الكفار كانوا يطيعون ابليس فى أعمال الشركما يطاع الله فى أعمال الخير ومعنى اشراكهم ابليس بالله تعالى طاعتهم لابليس فى تزيينه لهم فى عبادة الأوثان (ان الظالمين لهم عذاب أليم) هذا تمام كلام ابليس قطعا لأطماع أولئك الكفار عن الاغاثة فالوقف على من قبل حسن أو ابتداء كلام من حضرة الله تعالى ايقاظا للسامعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقف على من قبل تام كما هو عند أبى عمرو (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم (تحيتهم فيها سلام) فان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملائكه يحيونهم بها والرب الرحيم يحييهم أيضا بهذه الكلمة وقرأ الحسن وأدخل على صيغة التكلم وعلى هذه القراءة فقوله باذن ربهم متعلق بتحيتهم أى تحييهم الملائكه بالسلام باذن ربهم (ألم تر) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) أى كيف جعل الله كلمة طيبة وهى لا اله الا الله مثلا وهى (كشجرة طيبة) وهى النخلة (أصلها ثابت) أى ضارب بعروقه فى الارض (وفرعها فى السماء) أى أعلاها فى الهواء (تؤتى أكلها) أى تعطى

---

(ويأت بخلق جديد) أى خير منكم وأطوع (وماذلك على الله بعزيز) أى بممتنع شديد (وبرزوا لله جميعا) أى خرجوا من قبورهم الى المحشر (فقال الضعفاء) وهم الاتباع لاكابرهم أى (للذين استكبروا) عن عبادة الله سبحانه (انا كنا) فى الدنيا (لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا) أى دافعون عنا (من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم) أى انما دعوناكم الى الضلال لأنا كنا عليه ولو أرشدنا الله لأرشدناكم (وقال الشيطان) يعنى ابليس (لما قضى الأمر) فصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وذلك أن أهل النار حينئذ يجتمعون باللائمة على ابليس فيقوم خطيبا ويقول (ان الله وعدكم وعد الحق) يعنى كون هذا اليوم فصدقكم وعده (ووعدتكم) أنه غير كائن (فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان) أى ما أظهرت لكم حجة على ما وعدتكم (الا أن دعوتكم) لكن دعوتكم (فاستجبتم لى) أى فصدقتمونى (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) حيث أجبتمونى من غير برهان (ما أنا بمصرخكم) أى بمغيثكم (وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون) أى باشراككم اياى مع الله فى الطاعة أى جحدت أن أكون شريكا فيما أشركتمونى (ان الظالمين لهم عذاب أليم) يريد المشركين وقوله (تحيتهم فيها سلام) أى يحييهم الله تعالى بالسلام ويحيي بعضهم بعضا بالسلام (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) بين شبها ثم فسره فقال (كلمة طيبة) يريد لا اله الا الله (كشجرة طيبة) يعنى النخلة (أصلها) أى أصل هذه الشجرة الطيبة (ثابت) أى فى الارض (وفرعها) أى أعلاها عال (فى السماء تؤتى أكلها) أى ثمرها

هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أى كل وقت وكل ساعة ليلا أونهارا شتاء أوصيفا فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب و بعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها دائم فى كل وقت (باذن ربها) أى بارادة خالقها كذلك كلمة التوحيد ثابتة فى قلب المؤمن بالبرهان وعمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء وفى كل حين يعمل خيرا بأمر ربه وحكمة تمثيل كلمة التوحيد بالشجرة أن الشجرة تكون بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك التوحيد يكون بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان (ويضرب الله الامثال) أى يبين الله صفات التوحيد (للناس لعلهم يتذكرون) أى يتعظون لأن فى ضرب الأمثال تصويرا للمعانى فيحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب (ومثل كلمة خبيثة) وهى الشرك بالله (كشجرة خبيثة) كالحنظل والكشوث وهى نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق فى الارض (اجتثت) أى استؤصلت (من فوق الارض) لكون عروقها فى وجه الارض أى ليس لها أصل ولا عرق يغوص فى الارض فتسميتها شجرة للمشاكلة فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة (مالها من قرار) أى ثبات على وجه الارض فلا يقبل مع الشرك عمل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الذى يثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو شهادة أن لا اله الا الله (فى الحياة الدنيا) فلا يزالون عن تلك الشهادة اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم أصحاب الاخدود (وفى الآخرة) أى فى القبر حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم وحكى أن سهل بن عمار العملى يقول رأيت يزيد بن هرون فى منامى بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتانى فى قبرى ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء فقلت لهما أمثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا وكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل فى دقائقها أتم وأكمل كان رسوخ هذه المعرفة فى قلبه بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة فى الحياة الدنيا يثبته الله عليها فى قبره ويلقنه اياها وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل فى أحكام الآخرة (ويضل الله الظالمين) أى يصرف الله المشركين عن قول لا اله الا الله فى الدنيا وفى القبر وعند خروجهم من القبور فانهم اذا سئلوا فى قبورهم قالوا لا ندرى (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والتثبيت ومن صرف منكر ونكير (ألم تر) أى ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كأهل مكة حيث أسكنهم الله حرمه الآمن ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين فقتلوا وأسروا يوم بدر (وأحلوا قومهم) أى أنزل بعض قريش المطعمون يوم بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم بقية قريش بسبب اضلالهم اياهم (دار البوار) أى دار الهلاك (جهنم يصلونها) أى يدخلونها يوم القيامة مقاسين لحرها (وبئس القرار) أى بئس المنزل جهنم (وجعلوا لله أندادا) أى أشباها وشركاء فى التسمية والحظ والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاللام للعاقبة والباقون بضمها فاللام اما للعاقبة لأن عبادة الاوثان سبب يؤدى الى الضلال أو للتعليل فالذين اتخذوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقيق لام

(كل حين) أى كل وقت فى جميع السنة ستة أشهر طلع رخص وستة أشهر رطب طيب فالانتفاع بالنخلة دائم فى جميع السنة كذلك الايمان ثابت فى قلب المؤمن وعمله وتسبيحه عال مرتفع الى السماء ارتفاع فروع النخلة وما يكتسب من بركة الايمان وثوابه كما ينال من ثمرة النخلة فى أوقات السنة كلها من الرطب والبسر والتمر (ويضرب الله الامثال للناس) يريد أهل مكة (لعلهم يتذكرون) أى لكى يتعظوا (ومثل كلمة خبيثة) يعنى الشرك بالله (كشجرة خبيثة) وهى الكشوث (اجتثت) أى انتزعت واستؤصلت والكشوث كذلك (من فوق الارض) أى لم يرسخ فيها ولم يضرب فيها بعرق (مالها من قرار) أى مستقر فى الارض يريد أن الشرك لا ينتفع به صاحبه وليس له حجة ولا ثبات كهذه الشجرة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وهو لا اله الا الله (فى الحياة الدنيا) على الحق (وفى الآخرة) يعنى فى القبر يلقنهم كلمة الحق عند سؤال الملكين (ويضل الله الظالمين) أى لا يلقن المشركين ذلك حتى اذا سئلوا فى قبورهم قالوا لا ندرى (ويفعل الله ما يشاء) من تلقين المؤمنين الصواب واضلال الكافرين (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله) أى بدلوا ما أنعم الله عليهم من الايمان ببعث الرسول اليهم (كفرا) حيث كفروا به (وأحلوا قومهم) أى الذين اتبعوهم (دار البوار) يعنى الهلاك ثم فسرها فقال (جهنم يصلونها وبئس القرار) أى المقر (وجعلوا لله أندادا) يعنى الأصنام (ليضلوا عن سبيله) أى ليضلوا الناس عن دين الله

العاقبة

العاقبة أن المقصود من الشئ لا يحصل الا فى آخر المراتب كما قيل أول الفكر آخر العمل وكل ما حصل فى العاقبة كان شبيها بالأمر المقصود فى هذا المعنى (قل تمتعوا) بعبادتكم الأوثان وعيشوا بكفركم وهذا الأمر تهديد لهم (فان مصيركم) أى مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) وهذان اما مجزومان فى جواب أمر محذوف أى قل لهم أقيموا الصلاة فان قلت لهم ذلك يقيموا الصلاة أو مجزومان بلام أمر مقدر أى ليقيموا الصلاة أى الواجبة (و ينفقوا مما رزقناهم) أى أعطيناهم (سرا وعلانية) أى أنفقوا انفاق سر وعلانية والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كما هو صنيع الكفرة (من قبل أن يأتى يوم لا بيع) أى معاوضة (فيه ولا خلال) أى مصادقة تنفع وهو يوم القيامة وانما الانتفاع فيه للمؤمن بالعمل الصالح أو الانفاق لوجه الله تعالى (الله الذى خلق السموات والأرض) وهما أصلان فى دلالة وجود الصانع (وأنزل من السماء) أى السحاب (ماء) فلولا السماء لم يصح انزال الماء منها ولولا الأرض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أى بذلك الماء (من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به فاذا علم المكلفون أن فى تحصيل هذه المنافع القليلة تحمل المتاعب فالمنافع العظيمة الدائمة فى الآخرة أولى بتحمل المشاق فى طلبها (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجرى) أى الفلك جريا تابعا لارادتكم (بأمره) أى بمشيئته التى نيط بها كل شئ فان الانتفاع بما ينبت من الأرض لا يكمل الا بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (وسخر لكم الأنهار) أى لتنتفعوا بها فى نحو الشرب وسقى الزراعات (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى جاريين فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران فى سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولاهما لاختلت مصالح العالم بالكلية (وسخر لكم الليل والنهار) لمنامكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى كل ما لم تصلح أحوالكم الا به فكأنكم سألتموه أو من كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمة الله) التى أنعم الله بها عليكم (لا تحصوها) أى لا تطيقوا على عد أنواعها فضلا عن عد أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظلوم كفار) أى فان الانسان مجبول على النسيان والملالة فاذا وجد نعمة نسيها فى الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان لم ينسها فانه يملها فيقع فى كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فمتى حاول الانسان التأمل فى بعضها غفل عن الباقى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) أى مكة (آمنا) من الخراب ومن الخوف لمن التجأ اليه (واجنبنى و بنى أن نعبد الأصنام) أى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام ومن البعد عن عبادة الاصنام أو المراد اعصمنا من الشرك الخفى وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط و بالأسباب الظاهرة (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أى ان الاصنام ضل بهن كثير من الناس أى لما حصل الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فمن تبعنى) فى دينى واعتقادى (فانه منى) أى فانه جار مجرى بعضى لقربه منى (ومن عصانى) أى خالف دينى (فانك غفور رحيم) أى فانك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام (ربنا انى أسكنت من ذريتى) أى بعض ذريتى اسمعيل ومن سيولد له (بواد غير ذى زرع) أى فى واد ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أى المعظم الذى يهابه كل جبار أو الذى منع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فلعله قال ذلك باعتبار ما سيؤول اليه أو باعتبار ما كان (ربنا ليقيموا الصلاة) أى يا ربنا انما أسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل وأولاده فى هذا الوادى الذى لا زرع فيه ليقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) أى فاجعل قلوب بعض

قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) يعنى لا فداء (ولا خلال) أى لا مخالة يعنى يوم القيامة وهو يوم لا بيع ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هى أعمال يثاب بها قوم و يعاقب بها آخرون (وسخر لكم الشمس والقمر) أى ذللهما لما يراد منهما (دائبين) أى مقيمين على طاعة الله فى الجرى (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا من فضله ومعنى لكم فى هذه الآية أى لأجلكم ليس أنها مسخرة لنا هى مسخرة لله لأجلنا و يجوز أن يكون مسخرة لنا لانتفاعنا بها على الوجه الذى نريد وقوله (وان تعدوا نعمة الله) أى انعام الله عليكم (لا تحصوها) أى لا تطيقوا عدها (ان الانسان) يريد الكافر (لظلوم) يعنى لنفسه (كفار) أى نعمة ربه وقوله (واجنبنى و بنى) أى بعدنى واجعلنى منهم على جانب بعيد (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أى ضلوا بسببها (فمن تبعنى) أى على دينى (فانه منى) أى من المتدينين بدينى (ومن عصانى) أى فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم

ربنا انى أسكنت من ذريتى) يعنى اسمعيل (بواد غير ذى زرع) يريد مكة (عند بيتك المحرم) أى الذى مضى فى علمك أنه يحدث فى هذا الوادى (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) تزيدهم وتحن اليهم لزيارتك

الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم بنقل المعاشات اليهم بسبب التجارات بالنسك والطاعة لله تعالى وقرأ العامة تهوى بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين علي وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد بفتح الواو أي تحبهم وقرئ على البناء للمفعول أي اجعل قلوب بعض الناس ممالة اليهم (وارزقهم) أي ذريتي (من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام انما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لاقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وافتقارا الى ما عندك (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله تعالى تصديقا لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالوقف على نعلن حسن كالوقف على في السماء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسماعيل واسحاق) روي أنه لما ولد اسماعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحاق كان سنه مائة واثنتي عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي لمجيب الدعاء وهو عالم بالمقصود (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي مثابرا عليها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وتقبل دعاء) وقال ابن عباس أي عبادتي (ربنا اغفر لي) ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك (ولوالدي) وهذا الاستغفار قبل تبين أمرهما وقرأ ابن حسين ولوالدي بسكون الياء وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ولولدي بفتحات وهما اسماعيل واسحق وقرأ ابن يعمر ولولدي بضم الواو وسكون اللام وكسر الدال جمع ولد فالقراآت الشاذة ثلاثة (وللمؤمنين) كافة أي من ذرية ابراهيم وغيرهم ففي هذا الدعاء بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي يوم يثبت محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل (ولا تحسبن الله) يا أشرف الخلق (غافلا عما يعمل الظالمون) أي تارك عقوبة المشركين بما عملوا والمراد تثبيته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من أنه ﷺ لا يحسب الله غافلا والمقصود تنبيه على أنه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم عليه تعالى أحد الأمور الثلاثة اما أن يكون غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بذلك الظلم وكل ذلك محال عليه تعالى فامتنع أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم (انما يؤخرهم) بلا عذاب الاستئصال (ليوم) أي لأجل يوم (تشخص فيه الأبصار) أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم للدهشة (مهطعين) أي مسرعين نحو البلاء ناظرين الى الداعي وهو جبريل حيث يدعو الى الحشر من صخرة بيت المقدس (مقنعي رءوسهم) أي رافعي رءوسهم الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أي يدوم شخوص أبصارهم لدوام الحيرة في قلوبهم (وأفئدتهم هواء) أي خالية عن جميع الأفكار لعظم ما ينالهم من الحيرة لما تحققوه من العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي وخوف الكفار يا أكرم الرسل أهوال يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أي كل من ظلم بالشرك (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أي أخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب (نجب دعوتك) لنا على ألسنة الرسل الى التوحيد (ونتبع الرسل) فيما جاءونا به أي نتدارك في الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم توبيخا (أولم تكونوا أقسمتم) أي أطلبتم هذا المطلوب وهل لم تكونوا حلفتم (من قبل) هذا اليوم أي في الدنيا (ما لكم من زوال) أي كانوا يقولون بالحلف لا زوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة

(وارزقهم من الثمرات) ذكر تفسيره في سورة البقرة (لعلهم يشكرون) يوحدونك ويعظمونك وقوله (الحمد لله الذي وهب لي) أي أعطاني (على الكبر اسمعيل) لأنه ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة (واسحق) ولد له وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقوله (ومن ذريتي) أي اجعل منهم من يقيم الصلاة وقوله (ولوالدي) استغفر لهما بشرط الايمان (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) يريد المشركين من أهل مكة (انما يؤخرهم) فلا يعاقبهم في الدنيا (ليوم تشخص) أي تذهب فيه أبصار الخلائق الى الهواء حيرة ودهشة (مهطعين) أي مسرعين منطلقين (مقنعي رءوسهم) أي الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة النظر فهي شاخصة (وأفئدتهم هواء) أي وقلوبهم خالية عن العقول مما ذهلوا من الفزع وقوله (فيقول الذين ظلموا) أي أشركوا (ربنا أخرنا الى أجل قريب) استمهلوه مدة يسيرة كي يجيبوا الدعوة فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتم في الدنيا أنكم لا تبعثون ولا تنقلبون الى الآخرة وهو قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الآية

اما

أمازوالهم من غنى الى فقر ومن شباب الى هرم ومن حياة الى موت فلا ينكرونه (وسكنتم) معطوف على أقسمتم (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية وهم قوم نوح وعاد وثمود لان من شاهد هذه الأحوال وجب عليه أن يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستحقا للتقريع (وتبين لكم) أى وظهر لكم حالهم بمشاهدة الآثار وبتواتر الأخبار (كيف فعلنا بهم) من الاهلاك بما فعلوا من الفساد وقرئ و بين على المجهول وقرئ أيضا ونبين بنون المتكلم أى أولم نبين لكم (وضربنا لكم الأمثال) أى بينا لكم الأمثال فى القرآن مما يعلم به أنه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل (وقد مكروا) أى الهلكون (مكرهم) حال من الضمير فى فعلنا بهم أى فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا فى ابطال الحق مكرهم الذى جاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم (وعند الله مكرهم) أى أخذه بهم بالعذاب الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون وهذه الجملة حال من الضمير فى مكروا (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أى وان كان مكرهم فى غاية العظم والشدة بحيث تزول منه الجبال فان وصلية وقيل ان نافية واللام لتأكيدها ويصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير فى مكروا أى ومكروا مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الشرائع والمعجزات وقيل هى مخففة من ان أى وانه كان مكرهم ليزول منه ما هو كالجبال فى الثبات من الشرائع والمعجزات وقرأ الكسائى وحده لتزول بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل فالجملة حينئذ حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى وعند الله المكر بهم والحال أن مكرهم فى غاية القوة بحيث تزول منه الجبال (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) تفريع على ولا تحسبن الله الخ فكأنه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد و بما يسألونه من الرد الى الدنيا و بما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا فمخلف اما متعد لاثنين مضاف لمفعوله الثانى واما متعد لواحد مضاف لمفعوله ورسله مفعول لوعده (ان الله عزيز) أى غالب لا يماكر (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) أى تغير فى صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت (والسموات) أى تبدل السموات غير السموات فتنتثر كواكبها وتكسف شمسها و يخسف قمرها وتكون السماء أبوابا وذكر شبيب بن ابراهيم بن حيدرة أن الارض والسموات يبدلان كرتين احداهما قبل نفخة الصعق فتنتثر أولا الكواكب وتكسف الشمس والقمر وتصير السماء كالمهل ثم تكشط عن رؤوسهم ثم تسير الجبال ثم تموج الارض ثم تصير البحار نيرانا ثم تنشق الارض من قطر الى قطر فاذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء و بدلت السماء سماء أخرى من ذهب ودحيت الارض أى مدت مد الأديم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفى بطنها وتبدل تبديلا ثانيا اذا وقفوا فى المحشر فتبدل لهم ساهرة يحاسبون عليها وهى أرض بيضاء من فضة وحينئذ يقوم الناس على الصراط وعلى متن جهنم وهى أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط فى الجنان وأهل النيران فى النار بدلت الارض خبزا نقيا فأكلوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الارض قرصا واحدا يأكل منه جميع من دخل الجنة وادامهم زيادة كبد ثور الجنة وزيادة كبد النون وحاصل كلام القرطبى أن تبديل هذه الارض بأرض أخرى من فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك مرفوعة فى أيدى ملائكة سماء الدنيا وأن تبديل الارض بأرض من خبز يكون بعد الصراط

(وسكنتم) أى فى الدنيا (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعنى الأمم الكافرة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) فلم تنزجروا (وضربنا لكم الأمثال) أى فى القرآن فلم تعتبروا (وقد مكروا مكرهم) يعنى مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وما هموا به من قتله أو نفيه (وعند الله مكرهم) أى هو عالم به لا يخفى عليه (وان كان مكرهم) أى وما كان مكرهم (لتزول منه الجبال) يعنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أى ما كان مكرهم ليبطل أمرا هو فى ثبوته وقوته كالجبال (فلا تحسبن الله) يا محمد (مخلف وعده رسله) أى بما وعدهم من النصر والفتح (ان الله عزيز) أى منيع (ذو انتقام) أى من الكفار بجازيهم بما كان من سيئاتهم (يوم تبدل الارض) أى بأرض كالفضة بيضاء نقية يحشر الناس عليها (والسموات) أى من ذهب

وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذه الارض خاصة بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازى لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو أنه تعالى يجعل الارض جهنم و يجعل السموات الجنة (وبرزوا لله الواحد القهار) أي واذكروا يوم يبرز الخلائق جميعا من قبورهم للحساب والجزاء (وترى المجرمين) أي وتبصر يا أكرم الخلق الكافرين (يومئذ) أي يوم اذ برزوا له تعالى (مقرنين) أي قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال (فى الأصفاد) أي القيود (سرابيلهم) أي قمصانهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الابهل فيطبخ و يطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحرارته وقد تصل الى الجوف والمراد أنه تطلى به جلود أهل النار ليجتمع عليهم الأنواع الاربعة من العذاب لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه واسراع النار فى جلودهم (وتغشى وجوههم النار) أي تعلوها النار وخص الله هذا العضو بظهور آثار العقاب كما خص القلب بذلك فى قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة لان الرأس محل الفكر والوهم والخيال والقلب موضع العلم والجهل ولا يظهر أثر هذه الأحوال الا فى الوجه ولانه مجمع الحواس ولخلوه عن القطران و يفعل الله بهم تلك الأمور الثلاثة (ليجزى الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصى جزاء موافقا لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذى يستحقونه (هذا) أي الموعظة التى فى هذه السورة (بلاغ) أي كفاية فى الموعظة (للناس ولينذروا به) عطف على مقدر متعلق ببلاغ أي كفاية لهم لينتصحوا ولينذروا به أي بهذا البلاغ (وليعلموا) بما فيه من الأدلة (أنما هو) أي الله (إله واحد) لا شريك له (وليذكر أولو الألباب) أي وليتعظوا بذلك وهذه الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواعظ يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح

## ﴿سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) قال ابن عباس أي أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا مفيدا للبيان لسبيل الرشد والغى وللفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذى وعد الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم كتعريف الكتاب فالمقصود الوصفان وقيل الواو للقسم أي أقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام و بالأمر والنهى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ان الكافر بالقرآن كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم تمنى كونه فى الدنيا منقادا لحكمه ومذعنا لأمره وذلك عند الموت وعند اسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار فرب للتكثير باعتبار مرات التمنى وللتقليل باعتبار أزمان الافاقة فأزمان افاقتهم قليلة بالنسبة لأزمان الدهشة وكونه للتقليل أبلغ فى التهديد ومعناه أنه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا العمل فكيف كثيره وأيضا انه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك الا فى القليل وقرأ نافع وعاصم ربما بتخفيف الباء والباقون بالتشديد (ذرهم) أي اترك كفار مكة يا أشرف الرسل عن النهى عما هم عليه بالنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بل مرهم بتناول ما يتناولونه (يأكلوا و يتمتعوا) أي يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك أخلاقهم ولا خلاق لهم فى الآخرة (و يلههم الأمل) أي يشغلهم الأمل عند الأخذ بحظهم عن الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) عند الموت وفى القبر و يوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن على رضى الله عنه أنه

(وبرزوا) أي خرجوا من القبور كقوله وبرزوا لله جميعا (وترى المجرمين) أي الذين زعموا أن لله شريكا وولدا (يومئذ) أي يوم القيامة (مقرنين) أي موصولين بشياطينهم كل كافر مع شيطان فى غل والأصفاد سلاسل الحديد والأغلال (سرابيلهم) أي قمصهم (من قطران) وهو الهناء الذى تطلى به الابل وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم (وتغشى) أي وتعلو (وجوههم النار ليجزى الله كل نفس) من الكفار (ما كسبت) أي ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا (هذا) أي القرآن (بلاغ للناس) أي أنزلناه اليك لتبلغهم (ولينذروا به) أي ولتنذرهم أنت يا محمد وليعلموا بما ذكر فيه من الحجج (أنما هو إله واحد وليذكر) أي وليتعظ (أولو الألباب) أي أهل اللب والعقول والبصائر

﴿تفسير سورة الحجر﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) أنا الله أرى (تلك) أي هذه (آيات الكتاب) أي الذى هو قرآن مبين يعنى للاحكام (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) نزلت فى تمنى الكفار الاسلام عند خروج من يخرج من النار (ذرهم يأكلوا و يتمتعوا) يقول دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم (و يلههم الأمل) أي يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظهم من الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) أي اذا وردوا

قال انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) من القرى بالخسف بها و بأهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن أهلها غب اهلاكهم بعذاب الاستئصال كما فعل ببعض آخر (الا ولها) في ذلك الشأن (كتاب معلوم) أي أجل مؤقت لهلاكها مكتوب في اللوح المحفوظ لايغفل عنه (ماتسبق من أمة) من الأمم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها فلا يجيء هلاكها ولا موتها قبل مجيء كتابها (وما يستأخرون) عن أجلها (وقالوا) أي كفار مكة عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه استهزاء للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه (انك لمجنون) أي انك لتقول قول المجانين حتى تدعي أن الله تعالى نزل عليك القرآن (لوما تأتينا بالملائكة) أي هلا أتيتنا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك و يعضدونك في الانذار (ان كنت من الصادقين) في مقالتك انك نبي وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (ماننزل الملائكة الا بالحق) أي فالحق في حق الكفار تنزيل الملائكة بعذاب الاستئصال كما فعل بأمثالهم من الأمم السالفة لا التنزيل بما اقترحوا من أخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لايكاد يفتح على غير الأنبياء من أفراد كمل المؤمنين فكيف على أولئك الكفرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ماننزل بنون المتكلم وبكسر الزاي المشددة والملائكة بالنصب وقرأ شعبة عن عاصم ماتنزل ببناء الفعل للمفعول والملائكة بالرفع والباقون تنزل الملائكة (وما كانوا اذا) أي اذ نزلت عليهم الملائكة بالعذاب (منظرين) أي مؤخرين ساعة أي ولو نزلنا الملائكة ماأخر عذابهم ونحن لانريد عذاب الاستئصال بهذه الأمة فلهذا السبب ما أنزلنا الملائكة (انا نحن نزلنا الذكر) الذي أنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون (وانا له) أي الذكر (لحافظون) من الشياطين حتى لايزيدوا فيه ولا ينقصوا منه ولايغيروا حكمه، ويقال وانا لمحمد لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا) رسلا (من قبلك) يا أكرم الرسل (في شيع الأولين) أي في أمم الأولين (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) أي عادة هؤلاء الجهال مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعله هؤلاء الكفرة بك وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم و بما جاءوا به من الكتاب نسلك الذكر في قلوب كفار مكة (لايؤمنون به) أي بالذكر وهذا حال من ضمير نسلكه أو لامحل له من الاعراب تفسير للجملة السابقة والمراد من هذا السلك هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن و يخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن و يخلق فيها العلم بمعانيه ومع هذه الاحوال لايؤمنون به عنادا منهم (وقد خلت سنة الأولين) أي وقد مضت سيرة الأولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة الله فيهم باهلاكه اياهم بعد التكذيب وهذه الجملة استئناف جيء بها تكملة للتسلية وتهديدا لكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أي كفار مكة الذين اقترحوا نزول الملائكة (بابا من السماء فظلوا فيه) أي في ذلك الباب (يعرجون) أي يصعدون و يرون ما فيها من العجائب عيانا (لقالوا) لفرط عنادهم (انما سكرت أبصارنا) أي غشيت بالسحر وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف والباقون بتشديدها فهو يوجب تكثيرا أو حيرت من السكر كما يعضده

---

القيامة و بال ماصنعوا (وما أهلكنا من قرية) يعني أهلها (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل ينتهون اليه يعني ان لاهل كل قرية أجلا مؤقتا لانهلكهم حتى يبلغوه (ماتسبق من أمة أجلها) أي ماتتقدم الوقت الذي وقت لها (وما يستأخرون) أي لايتأخرون عنه (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن قالوا هذا استهزاء (لوما) أي هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) أنك نبي فقال الله عز وجل (ماننزل الملائكة الا بالحق) أي بالعذاب (وما كانوا اذا منظرين) أي لو نزلت الملائكة لم ينظروا ولم يمهلوا (انا نحن نزلنا الذكر) أي القرآن (وانا له لحافظون) من أن يزاد فيه أو ينقص (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلا (في شيع الأولين) أي فرقهم (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم (كذلك) أي كما فعلوا (نسلكه) أي ندخل الاستهزاء والشرك والضلال (في قلوب المجرمين) ثم بين الشيء الذي أدخل في قلوبهم فقال (لايؤمنون به) أي بالرسول (وقد خلت) أي مضت (سنة الأولين) يريد بتكذيب الرسل فهؤلا المشركون يقتفون آثارهم في الكفر (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المشركين (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) أي فطفقوا فيه يصعدون لجحدوا ذلك و (لقالوا انما سكرت أبصارنا) أي سدت بالسحر فيتخايل بأبصارنا غير ما نرى

قراءة من قرأ سكرت أي جارت (بل نحن قوم مسحورون) أي قد سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور سائر المعجزات من انشقاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله (ولقد جعلنا في السماء بروجا) أي محال تسير فيها الكواكب السيارة وهي المريخ بكسر الميم وهو كوكب في السماء الخامسة وله الحمل والعقرب والزهرة بضم ففتح وهي في السماء الثالثة ولها الثور والميزان وعطارد بفتح العين وهي في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الأولى وله السرطان والشمس وهي في الرابعة ولها الاسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة وله الجدي والدلو وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو أن طبائع هذه البروج مختلفة فالفلك مركب من هذه الاجزاء المختلفة وكل مركب لابد له من مركب يركب تلك الاجزاء بحسب الاختيار والحكمة فثبت ان كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) بأبصارهم وبصائرهم فيستدلون بها على قدرة صانعها ووحدته (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي مرمي بالشهاب فلا يقدر أن يصعد اليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها (الا من استرق السمع) أي الامن اختلس المسموع سرا من غير دخول (فأتبعه شهاب) أي لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل من الكوكب (مبين) أي ظاهر أمره للمبصرين (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أي على الارض (رواسي) أي جبالا ثوابت لكيلا تميل بأهلها ولتكون دلالة للناس على طرق الارض لأنها كالاعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال (وأنبتنا فيها) أي الأرض (من كل شيء موزون) أي مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالمعادن كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص وغير ذلك والنباتات ترجع عاقبتها الى الوزن لان الحبوب توزن وكذلك الفواكه في الأكثر (وجعلنا لكم فيها) أي الارض (معايش) أي ماتعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا (ومن لستم له برازقين) أي وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها فالناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقونهم وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق الكل (وان من شيء الا عندنا خزائنه) أي ان جميع الممكنات مقدورة له تعالى يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر في كونها مستورة عن علوم العالمين وكونها مهيأة لايجاده بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية (وما ننزله) أي ما نوجد شيئا (الا بقدر معلوم) أي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة فقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى أن كل ما يدخل في الوجود منها فهو متناه ومتى كان الخارج الى الوجود منها متناهيا كان مختصا بوقت مقدر وبحيز معين وبصفات معينة بدلا عن أضدادها فتخصيص كل شيء بما اختص به لابد له من حكمة تقتضي ذلك وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال ان في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البحر والبر وهو تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) أي حوامل لانها تحمل الماء وتمجه في السحاب (فأنزلنا من السماء) أي السحاب (ماء فأسقيناكموه) أي جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا (وما أنتم له بخازنين) أي نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله في الأرض وما أنتم

(وزيناها) يعني بالنجوم للمعتبرين والمستدلين على توحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي مرجوم مرمي بالنجوم (الا من استرق السمع) أي الخطفة اليسيرة (فأتبعه) أي لحقه (شهاب) أي نار (مبين) ظاهر لاهل الأرض (والأرض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها (وأنبتنا فيها) يعني في الجبال (من كل شيء موزون) أي كالذهب والفضة والجواهر (وجعلنا لكم فيها معايش) يريد من الثمار والحبوب (ومن لستم له برازقين) يعني العبيد والدواب والانعام وتقديره وجعلنا لكم فيها معايش وعبيدا واماء ودواب نرزقهم ولا ترزقونهم (وان من شيء) يعني من المطر (الا عندنا خزائنه) أي في أمرنا وحكمنا (وما ننزله الا بقدر معلوم) أي لا ينقصه ولا يزيده غير أنه يصرفه الى من يشاء حيث شاء (وأرسلنا الرياح لواقح) يعني لواقح السحاب أي تمج الماء فيه فهي لواقح بمعنى ملحقات وقيل لواقح يريد حوامل لانها تحمل الماء والتراب والسحاب (فاسقيناكموه) أي جعلناه سقيا لكم (وما أنتم له بخازنين) يريد لذلك الماء المنزل من السماء

أنتم على ذلك بقادرين وقيل ماأنتم بخازنين له بعدماأنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم أي معدا لسقي أنفسكم ومواشيكم وأراضيكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور (وانا لنحن نحيي ونميت) أي لاقدرة على الاحياء ولاعلى الأماتة الا لنا (ونحن الوارثون) أي الباقون بعد فناء الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أي من تقدم منكم ولادة وموتا (ولقد علمنا المستأخرين) أي من تأخر ولادة وموتا وقال ابن عباس في رواية عطاء معنى المستقدمين أهل طاعة الله تعالى ومعنى المستأخرين المتخلفون عن طاعة الله تعالى (وان ربك هو يحشرهم) للجزاء (انه حكيم) أي متقن في أفعاله فيأتي بالافعال على ماينبغي وعالم بحقائق الاشياء على ماهي عليه (عليم) أي وسع علمه كل شيء (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من صلصال) أي من طين يابس غير مطبوخ يصوت عند نقره (من حمأ) أي كائن من طين متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أي مصور بصورة الآدمي قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالا كالخزف ولايدري أحد مايراد به ولم يروا شيئا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح (والجان) وهو أبو الجن والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فانه لايسمى بالشيطان وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من نار الحر الشديد النافذ في المسام أو من نار الريح الحارة (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا) أي جسما كثيفا يلاقي بخلاف الجن والملائكة فانهم لايلاقون للطف أجسامهم (من صلصال) أي من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) أي من طين منتن رطب (فاذا سويته) أي أتممت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أي جعلت الروح فيه وليس ثم نفخ ولامنفوخ وانما هو تمثيل لافاضة مايحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقعوا) أي خروا (له) أي لذلك البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الارض لابالانحناء تعظيما له فالسجود كان لآدم في الحقيقة أو المعنى اسجدوا لله تعالى بوضع الجبهة على الارض وآدم عليه السلام بمنزلة القبلة لذلك السجود حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أي فخلقه فسواه فجعل فيه الحياة فسجد الملائكة فمعنى كلهم أي لم يشذ منهم أحد ومعنى أجمعون أي لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد أي فالكل سجدوا دفعة واحدة (الا ابليس) رئيسهم (أبى أن يكون مع الساجدين قال) أي الله تعالى (يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) أي أي سبب لك في أن لا تكون مع الساجدين لآدم (قال) أي ابليس (لم أكن لأسجد) أي لايصح مني أن أسجد (لبشر) أي جسم كثيف لأنه مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها وأنا روحاني لطيف (خلقته) أي البشر (من صلصال) ناشيء (من حمأ مسنون قال) الله تعالى (فاخرج منها) أي من زمرة الملائكه المعززين ويقال من رحمتي والفاء في جواب شرط مقدر أي فحيث عصيت وتكبرت فاخرج منها (فانك رجيم) أي مطرود عن الرحمة (وان عليك اللعنة) أي الابعاد عن الرحمة (الى يوم الدين) أي الجزاء أي انك مدعو باللعنة في السموات والارض الى يوم الحساب من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا ينسى اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه (قال) ابليس (رب فأنظرني) أي أخرني ولاتمتني (الى يوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد اللعون بهذا السؤال أن لايذوق الموت لاستحالته بعد يوم البعث وأن يجد فسحة في اغوائهم (قال) الله تعالى (فانك من المنظرين) أي المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الاولى التي

بخازنين يعني بحافظين يريد ليست خزائنه بيدكم (وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) أي اذا مات جميع الخلائق (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول في الصلاة فازدحم الناس عليه فأنزل الله هذه الآية يقول قد علمنا جميعهم وانا نجزيهم على نياتهم (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) أي من طين منتن (من حمأ) أي طين أسود (مسنون) يعني متغير الرائحة (والجان) أبا الجن (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق آدم (من نار السموم) (وهي نار لا دخان لها (فاذا سويته) أي عدلت صورته (ونفخت فيه) يعني وأجريت فيه (من روحي) المخلوقة لي (فقعوا له) يعني فخروا له (ساجدين) أي سجود تحية وقوله (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) يقول يلعنك أهل السماء وأهل الارض الى يوم الجزاء فتحصل حينئذ في عذاب النار وقوله تعالى (الى يوم الوقت المعلوم) يعني النفخة الاولى حين تموت الخلائق

منهم المخلصين) أي المؤمنين الذين أخلصوا دينهم عن الشرك (قال هذا صراط على مستقيم) أي هذا طريق مرجعه الى فأجازي كلا بأعمالهم وهي طريق العبودية (ان عبادى) يعني الذين هداهم واجتباهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وحجة في اغرائهم ودعائهم الى الشرك والضلال (وان جهنم لموعدهم أجمعين) يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين (لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبعة أطباق طبق فوق طبق (لكل باب منهم) أي من أتباع ابليس (جزء مقسوم ان المتقين) للفواحش والكبائر (في جنات وعيون) يعني عيون الماء والخمر يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي بسلامة (آمنين) يعني من سخط الله وعذابه (ونزعنا ما في صدورهم من غل) ذكرناه في سورة الاعراف (اخوانا) أي متواخين (على سرر) جمع سرير (متقابلين) يريد لا يرى بعضهم قفا بعض (لا يمسهم فيها نصب) يعني لا يصيبهم اعياء (نبئ عبادى) أي أخبر عبادى (أني أنا الغفور) لأوليائي (الرحيم) بهم (وأن عذابي هو العذاب الأليم) أي لاعدائي (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) يعني الملائكة الذين أتوه في صورة الاضياف (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي سلموا سلاما ف (قال) ابراهيم (انا منكم وجلون) فزعون

علم أنه يموت كل الخلائق فيه (قال) ابليس (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض) أي أقسم باغوائك اياي لازينن لذرية آدم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بكسر اللام في كل القرآن أي الذين أخلصوا دينهم عن كل شائب يناقض التوحيد وقرأ الباقون بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة وعصمهم من كيد ابليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أي هذا الاخلاص طريق يؤدي الى كرامتي وثوابي من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتنوين على أنه صفة لصراط أي هذا الاخلاص طريق رفيع لا عوج فيه (ان عبادى) سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أي قدرة أصلا على الاغواء (الا من اتبعك من الغاوين) ولما أوهم ابليس في كلامه ان له على بعض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر أن اغواءه للغاوين ليس بطريق تصرفه بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لموعدهم) أي لمصير المتبعين (أجمعين لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب) أي دركة (منهم) أي الاتباع (جزء) أي حزب معين (مقسوم) أي مفرز من غيره ففي الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون. والحاصل ان الله تعالى يجزئ أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب في التجزئة ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان المتقين) من الكفر (في جنات وعيون) أي مستقرون فيهما لكل منهم عدة منهما (ادخلوها بسلام) أي ادخلوا الجنة سالمين من كل آفة (آمنين) من كل خوف أي لما ملكوا جنات كثيرة فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها بسلام آمنين وقرئ ادخلوها أمرا من الله تعالى للملائكة بادخالهم في الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي المزيد فيه (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي عداوة كانت بينهم في الدنيا (اخوانا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت تدور بهم الاسرة حيثما داروا (متقابلين) في الزيارة أي انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راكبه مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة التي يسير لها السرير وهذا أبلغ في الانس والاكرام (لا يمسهم فيها نصب) أي تعب لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلا (وما هم منها بمخرجين) لأن تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى) أي أخبر يا أشرف الرسل كل من كان معترفا بعبوديتي (أني أنا الغفور) للعصاة من المؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة ان عذبت (هو العذاب الأليم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون والنار بين أيديكم فنزل قوله تعالى نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم (ونبئهم) أي خبر يا سيد المرسلين عبادى (عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة على صور غلمان حسان منهم جبريل (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي سلم سلاما أي قالوه تحية لابراهيم (قال انا منكم وجلون) أي خائفون قال ابراهيم ذلك حين امتنعوا من أكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ

(قالوا لاتوجل) أي لاتفزع وقوله (على أن مسني الكبر) أي على حالة الكبر (فبم تبشرون) استفهام تعجب كأنه عجب من الولد على كبره (قالوا بشرناك بالحق) أي بما قضاه الله أن يكون (فلاتكن من القانطين)  يعني الآيسين (قال ومن يقنط) أي ييأس (من رحمة ربه الا الضالون) أي المكذبون (قال فما خطبكم) أي ماشأنكم وما الذي جئتم له (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (الا آل لوط) يريد أتباعه الذين كانوا على دينه وقوله (قدرنا) أي قضينا ودبرنا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك وقوله (منكرون) أي غير معروفين (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله (وأتيناك بالحق) أي بالأمر الثابت الذي لاشك فيه من عذاب قومك (فأسر بأهلك) مفسر في سورة هود (واتبع أدبارهم) أي وامش على آثار بناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحد (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم من العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) أي حيث يقول لكم جبريل (وقضينا اليه) يريد وأخبرناه (ذلك الأمر) الذي أخبر به الملائكة ابراهيم من عذاب قومه وهو (أن دابر هؤلاء) أي آخر من يبقى منهم (مقطوع) أي مهلك (مصبحين) أي داخلين في وقت الصبح يريد أنهم مهلكون هلاك الاستئصال في ذلك الوقت (وجاء أهل المدينة) أي مدينة قوم لوط وهي سذوم (يستبشرون) أي يفرحون طمعا منهم في ركوب الفاحشة حين أخبروا ان في بيت لوط قوما مردا حسانا فقال لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون)

الحنيذ لأن العادة أن الضيف اذا لم يأكل مما قدم له يكون خائنا (قالوا لاتوجل) أي لاتخف ياابراهيم منا (انا نبشرك بغلام) أي ولد هو اسحق (عليم) في صغره حليم في كبره (قال أبشرتموني) بذلك (على أن مسني الكبر) أي بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) أي فبأي أعجوبة تبشروني فما استفهام بمعنى التعجب أراد ابراهيم بهذا السؤال أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة أو بعد قلبه شابا فبينوا ان الله تعالى أعطاه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة قرأ نافع تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديدها والباقون بفتح النون خفيفة (قالوا بشرناك بالحق) أي بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى (فلا تكن من القانطين) أي من الآيسين من الولد فان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر (قال) ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي لايقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ربهم فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته ومراد سيدنا ابراهيم بهذا القول نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ شاذا بضم النون (قال) ابراهيم لجبريل وأعوانه (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير سوى البشارة (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) لاهلاكهم (الا آل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة (انا لمنجوهم) أي لوطا وآله (أجمعين) أي مما يصيب القوم (الا امرأته) واعلة المنافقة (قدرنا) أي قضينا عليها (انها لمن الغابرين) أي الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا بتخفيف الدال ههنا وفي النمل وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بسكون النون فخرجوا من عند ابراهيم وسافروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم الملائكة الذين ضافوا ابراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أي تنكركم نفسي فأخاف أن تصيبوني بشر ولا أعرف غرضكم لأي غرض دخلتم علي (قالوا) أي الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ماجئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بالعذاب الذي هددت قومك به فيشكون في مجيئه لهم ويكذبونك وهو مايشفيك من عدوك وما فيه سرورك (وأتيناك بالحق) أي بالأخبار بمجيء العذاب (وانا لصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أي فسر ببنتيك وامرأتك الصالحة في جزء من الليل عند السحر (واتبع أدبارهم) أي امش خلفهم جهة صعر لأجل أن تطمئن عليهم وتعرف أنهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) الى ورائه اذا سمع الصيحة لئلا ترتاعوا من عظيم مانزل بهم من البلاء (وامضوا حيث تؤمرون) أي سيروا الى المكان الذي أمركم الله بالذهاب اليه وهو صعر (وقضينا اليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وأخبرنا لوطا عن ذلك الأمر ان آخر هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم في الصبح أي يتم استئصالهم حال ظهور الصبح حتى لايبقى منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أي مدينة سذوم الى دار لوط (يستبشرون) أي يظهرون السرور بأضياف لوط وقالوا نزل بلوط ثلاثة من المرد مارأينا قط أصبح وجها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار لوط طلبا منه لأولئك المرد (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) أي فلا تظهروا عاري

عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتموهم بالسوء كان ذلك اهانة بي (واتقوا الله) في فعل الفاحشة (ولا تخزون) أي ولا تخجلوني (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أي ألسنا قد نهيناك عن أن تكلمنا في أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسعه (قال هؤلاء بناتي) فتزوجوهن (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام (انهم لفي سكرتهم) أي في شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم (يعمهون) أي يتحيرون فكيف يقبلون قولك و يلتفتون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) أي المدينة (سافلها) وكانت قراهم أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل (وأمطرنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل تمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجا عن المدينة بأن كان غائبا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوخ بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة ابراهيم وقصة لوط (لآيات) أي لعبرات (للمتوسمين) أي للمتفكرين (وانها) أي مدينة قوم لوط (لبسبيل مقيم) أي في طريق ثابت لم يخف والذين يمرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها (ان في ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم و إيابهم (لآية) أي لعبرة عظيمة (للمؤمنين) أي لكل من آمن بالله وصدق الأنبياء فانهم عرفوا أن ما حاق بهم من العذاب لمخالفتهم لرسل الله تعالى أما الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم (وان كان أصحاب الأيكة) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة الأشجار وكانوا يسكنونها وكان أكثر شجرهم الدوم (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا منهم) روي أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجأوا اليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا (وانهما) أي قريات لوط وقريات شعيب (لبامام مبين) أي لفي طريق واضح يمر أهل مكة عليهما (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) أي صالحا وجملة المرسلين فالقوم براهمة منكرون لكل الرسل والحجر واد بين المدينة الشريفة والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام في ذهابه الى الحجاز وكان ثمود يسكنونه (وآتيناهم آياتنا) أي أعطيناهم الناقة وكان فيها آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادتها عند خروجها من الصخرة وكثرة لبنها وشربها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين) فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلوا الناقة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم عند الصباح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فلم يدفع عنهم ما كانوا يعملون من نحت تلك الجبال بنقرها بالمعول وجمع الأموال ما نزل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي الا بسبب العدل

---

هندهم بقصدكم اياهم فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر (واتقوا الله ولا تخزون) مذكور في سورة هود (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أي عن ضيافتهم لأنا نريد منهم الفاحشة وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء (قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين) هذا الشأن يعني اللذة وقضاء الوطر يقول عليكم بتزوجهن أراد أن يقي أضيافه ببناته (لعمرك) أي بحياتك يا محمد (انهم) أي ان قومك (لفي سكرتهم يعمهون) أي في ضلالتهم يتمادون وقيل يعني قوم لوط (فأخذتهم



الصيحة) أي صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم (مشرقين) أي داخلين في وقت شروق الشمس وذلك ان تمام الهلاك كان مع الاشراق وقوله (للمتوسمين) يعني المتفرسين المتثبتين في النظر حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء (وانها) يعني مدينة قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني على طريق قومك الى الشام وهو طريق لا يندرس ولا يخفى (ان في ذلك لآية للمؤمنين) أي لعبرة للمصدقين يعني ان المؤمنين اعتبروا بها (وان كان أصحاب الأيكة) يعني قوم شعيب وكانوا أصحاب غياض أي أشجار ملتفة (فانتقمنا منهم) أي بالعذاب أخذهم الحر أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا (وانهما) يعني الأيكة ومدينة قوم لوط (لبامام مبين) أي لبطريق واضح (ولقد كذب أصحاب الحجر) يعني قوم ثمود والحجر اسم واد لهم (المرسلين) يعني صالحا وذلك ان من كذب نبيا فقد كذب جميع الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعني ما أظهر لهم من الآيات في الناقة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي لطول أعمارهم كان لا تبقى معهم السقوف فاتخذوا كهوفا في الجبال (آمنين) أي من أن تقع عليهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) يعني صيحة العذاب حين دخلوا في وقت الصبح (فما أغنى عنهم) أي ما دفع عنهم العذاب (ما كانوا يكسبون) يريد من الأموال والأنعام (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي للثواب والعقاب يعني أثيب من آمن بي وصدق رسلي وأعاقب من كفر بي والموعد لذلك الساعة وهو قوله

(وان الساعة لآتية) يقول ان القيامة تأتى فيجازى المشركون بقبيح أعمالهم (فاصفح) عنهم (الصفح الجميل) يقول أعرض اعراضا بغير فحش ولا جزع (ان ربك هو الخلاق العليم) أى بما خلق (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) يعنى الفاتحة وهى سبع آيات وتثنى فى كل صلاة امتن الله على رسوله بهذه كما امتن عليه بجميع القرآن حين قال (والقرآن العظيم) أى العظيم القدر (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به) نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة فى الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه اليها راغبة فيها وقوله (أزواجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار كالمشركين واليهود وغيرهم يقول لا تنظر الى ما متعناهم به من الدنيا (ولا تحزن عليهم) ان لم يؤمنوا (واخفض جناحك للمؤمنين) أى ألن جانبك لهم وارفق بهم (وقل انى أنا النذير المبين) أى أنذركم عذاب الله وأبين لكم ما يقربكم اليه (كما أنزلنا) أى عذابا (على المقتسمين) وهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله بهم خزيا فماتوا بشر ميتة (الذين جعلوا القرآن عضين) أى جزأوه أجزاء فقالوا سحر وقالوا أساطير الأولين وقالوا مفترى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أى يفترون من القول فى القرآن يريد لنسألنهم سؤال توبيخ وتقريع (فاصدع بما تؤمر) يقول أظهر ما تؤمر به واجهر بأمرك (وأعرض عن المشركين) أى لا تبال بهم ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية (انا كفيناك المستهزئين) وكانوا خمسة نفر الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث سلط عليهم جبريل حتى قتل كل واحد منهم بآفة وكفى نبيه شرهم

العدل فكيف يليق بحكمته اهمال أمرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لآتية) فان الله لينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك على حسناتك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصفح الصفح الجميل) أى أعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم والمقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق العليم) أى انه تعالى خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لمحض ارادته (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) أى سبع آيات هى المثانى وهى الفاتحة وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وأبى هريرة والحسن وأبى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هى السبع المثانى وقيل سميت الفاتحة مثانى لانها قسمان ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على البعض فبعض الشئ مغاير لمجموعه فيكفى هذا القدر من المغايرة فى حسن العطف ونقل عن ابن عباس وطاوس أن السبع المثانى هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الوصفين على الآخر مع وحدة ذات الموصوف وانما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن سبعة أسباع كل سبع صحيفة وكله مثان أمر ونهى ووعد ووعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم. وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من هذه القوافل السبع ويدل على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى لا تنظرن بالرغبة الى ما أعطيناه رجالا من الكفرة من متاع الدنيا وزخارفها فان ما فى الدنيا بالنسبة الى ما أعطيت مستحقر (ولا تحزن عليهم) أى لا تحزن لأجل عدم ايمانهم (واخفض جناحك للمؤمنين) أى تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) أى انى منذر آت بالبينات فأنذرتكم مثل ما نزل بالذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان ويقولون لمن سلكها لا تغتر وابهذا الخارج فينا يدعى النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فأماتهم الله شر ميتة (الذين جعلوا القرآن عضين) أى الذين جزأوا القرآن أجزاء فقالوا سحر وشعر وكهانة ومفترى وأساطير الأولين (فوربك لنسألنهم أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) فى الدنيا من قول وفعل وترك (فاصدع بما تؤمر) أى اظهر ما تؤمر به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن المشركين) أى لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا ليس بمنسوخ لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم (انا كفيناك المستهزئين) أى الذين يبالغون فى الاستهزاء بك وفى ايذائك

(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم فأهلكهم الله في يوم وليلة وكانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث فأما الوليد المخزومي فمر بنبال فأصاب النبل عرقا في عقبه فقطعه فمات وأما العاص السهمي فدخلت في أخمصه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا فمات وأما الحرث السهمي فانه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات وأما الأسود بن المطلب فرماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وأما الأسود بن عبد يغوث فانه خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فرجع الى بيته فلم يفتحوا عليه الباب فنطح رأسه ببابه حتى مات وكلهم كانوا يقولون قتلنا رب محمد ﷺ (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك) بحسب الطبيعة البشرية وان كان جميع أموره ﷺ مفوضا اليه (بما يقولون) أي بسبب ما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك (فسبح بحمد ربك) أي فافزع الى الله تعالى فيما نابك من الغم بالتسبيح ملتبسا بحمده تعالى (وكن من الساجدين) أي من المصلين وكان ﷺ اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق أي واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة عن هذه العبادة

﴿ سورة النحل وتسمى سورة النعم مكية الا ثلاث آيات في آخرها. مائة وثمان وعشرون آية وألف وثمانمائة واحدى وأربعون كلمة. وستة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله) أي العذاب الموعود للكفرة. والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئا نسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى أتى أمر الله أي قد حصل حكم الله بنزول العذاب من الأزل الى الأبد وانما لم يحصل المحكوم به لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين (فلا تستعجلوه) أي لا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما قالت الكفار انا سلمنا لك يا محمد صحة ما تقوله من أنه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا أنا نعبد هذه الأصنام فانها شفعاؤنا عند الله فهي تشفع لنا عنده فنتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الأصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) فنزه الله تعالى نفسه عن شركة الشركاء وأن يكون لأحد أن يشفع عنده الا باذنه ولما قال الكفار انه تعالى قضى على بعض عباده بالسراء وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك يا محمد أن تعرف هذه الأسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ينزل الملائكة) أي جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) أي بكلام الله تعالى (من أمره) أي ان الروح هي أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا فاتقون) بالاتيان بعبادتي. وتقرير هذا الكلام أنه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده ويأمر الله ذلك العبد الذي نزلت عليه الملائكة بأن يبلغ الى سائر الخلق أن اله العالم واحد كلفهم بمعرفة التوحيد وبالعبادة له وبين أنهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة وان تمردوا وقعوا في شر الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار ذلك العبد مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق فقوله تعالى لا اله الا أنا اشارة الى الأحكام الأصولية وقوله تعالى فاتقون

(الذين يجعلون مع الله الها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح بحمد ربك) قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) أي المصلين (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (أتى أمر الله) أي عذابه لمن أقام على الشرك أي قد قرب ذلك (فلا تستعجلوه) فانه نازل بكم لامحالة (سبحانه) أي براءة له من السوء (وتعالى) أي ارتفع بصفاته (عما يشركون) أي عن اشراكهم (ينزل الملائكة) يعني جبريل وحده (بالروح) أي بالوحي (من أمره) والوحي من أمر الله تعالى (على من يشاء من عباده) يريد النبيين الذين يختصهم بالرسالة (أن أنذروا) بدل من الروح أي أعلموا أهل الكفر (أنه لا اله الا أنا) مع تخويفهم ان لم يقروا (فاتقون)

اشارة الى الاحكام الفروعية (خلق السموات والأرض بالحق) أى أوجدهما على صفات خصصها بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والأرض على حدوثهما قال بعده (تعالى عمايشركون) فالقائلون بقدم السموات والارض كأنهم أثبتوا لله شريكا فى القدم فنزه تعالى نفسه عن ذلك و بين أنه لاقديم الاهو فالمقصود من قوله أولا سبحانه وتعالى عما يشركون ابطال قول من يقول ان الاصنام تشفع للكفار فى دفع عقاب الله عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول أجسام السموات والارض قديمة فنزه الله تعالى نفسه عن أن يشاركه غيره فى القدم (خلق الانسان من نطفة) منتنة (فاذا هو) بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصيم) لربه (مبين) أى ظاهر الخصومة منكر لخالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم وهذا اشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الانسان على وجود الصانع الحكيم فان الانتقال من الحالة الخسيسة الى الحالة العالية لايحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم (والأنعام) أى الابل والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دفء) أى مايتدفأ به من اللباس المتخذة من الاصواف والأوبار والأشعار (ومنافع) هى درها وركوبها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أى من لحومها (تأكلون ولكم فيها جمال) أى منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أى تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) أى تخرجونها من حظائرها الى المرعى بالغداة (وتحمل) أى الأبل (أثقالكم) أى أمتعتكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) أى واصلين اليه على غير الأبل (الا بشق الأنفس) أى الابتعب النفس أو الابذهاب نصف قوة البدن والشق بكسر الشين وفتحها معناه المشقة والنصف (ان ربكم لرءوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة و يسر لكم الأمور الشاقة (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) أى وخلق هذه الأشياء للركوب وللمنظر الحسن واحتج بهذه الآية من يحرم لحوم الخيل وقالوا لان الله تعالى خص هذه بالركوب فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لاللأكل وهو قول ابن عباس واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعى وأحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بماروى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة أخرجه البخارى ومسلم روى الشيخان عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن فى لحوم الخيل (ويخلق ما لاتعلمون) أى ويخلق فى الدنيا غير ماعدد من أصناف النعم. روى عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لايعودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) أى وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها) أى من السبيل (جائر) أى مائل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولوشاء لهداكم أجمعين) الى استقامة الطريق (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم) ولكل حى (منه) أى الماء (شراب ومنه شجر) أى من الماء ماينبت على الارض (فيه) أى فى الشجر (تسيمون) ترعون مواشيكم (ينبت لكم به) أى بالماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو اما أن يكون من الحيوان أومن النبات والغذاء الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتى

خلق الانسان من نطفة) يعنى أبى بن خلف (فاذا هو خصيم) أى مخاصم (مبين) ظاهر الخصومة وذلك أنه خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكاره البعث (والأنعام خلقها لكم فيها دفء) يعنى ما تستدفئون به من الاكسية والأبنية من أشعارها وأصوافها وأوبارها (ومنافع) أى من النسل والدر (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) أى توردونها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) أى تخرجونها الى المرعى بالغدوة (وتحمل أثقالكم) أى أمتعتكم (الى بلد) لو تكلفتم بلوغه على غير الابل لشق عليكم والشق المشقة (ان ربكم لرءوف رحيم) أى حيث من عليكم بهذه المرافق وقوله (ويخلق مالاتعلمون) لم يسمه فالله أعلم به (وعلى الله قصد السبيل) أى الى الاسلام والطريق المستقيم المؤدى الى رضى الله كقوله هذا صراط على مستقيم (ومنها) أى ومن السبيل (جائر) أى عادل مائل كاليهودية والنصرانية (ولوشاء لهداكم أجمعين) أى حتى لاتختلفوا فى الدين وقوله (ومنه شجر) يعنى ماينبت بالمطر وكل مانبت على الارض فهو شجر

فقسمان حبوب وفواكه فالحبوب هي مابه قوام بدن الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل والأعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجه وادام من وجه آخر لكثرة مافيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة فى الأكل والطلى واشتعال السرج وأماامتياز النخيل والأعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن كل الثمرات) ممالايمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان فى ذلك) أى فى انزال الماء وانبات ماذكر (لآية) دالة على تفرده تعالى بالألوهية (لقوم يتفكرون) ألاترى أن الحبة الواحدة اذاوضعت فى الارض ومرعليهامقدارمن الزمان مع رطوبة الارض فانها تنتفخ وينشق أعلاها فيصعدمنه شجرة الى الهواء وأسفلها تغوص منه عروق فى الارض ثم ينموالاعلى ويقوى وتخرج منه الأوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطباع والطعوم والألوان والروائح والاشكال والمنافع ومن تفكر فى ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لايمكن أن يشبهه أحد فى شئ من صفات الكمال (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ومسخرات خبرها وقرأ حفص عن عاصم والنجوم بالرفع والباقون بالنصب فى الجميع ومسخرات حال منه أى انه تعالى سخر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أى بارادته كيف شاء (ان فى ذلك) أى تسخير الليل ومابعده (لآيات لقوم يعقلون) أى يعلمون أن تسخيرها من الله تعالى (وماذرأ لكم فى الارض) أى وسخر لكم ماخلق لكم فى الارض من حيوان ونبات مختلفا ألوانه ان فى ذلك) أى اختلاف مافى الارض (لآية لقوم يذكرون) أى يتعظون فان اختلاف طبائع مافى الارض وأشكاله مع اتحادمواده انماهو بصنع حكيم عليم قادر مختار منزه عن كونه جسمانيا وذلك هو الله تعالى (وهو الذى سخر البحر) ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بهااما بالركوب أو بالغوص (لتأكلوا منه لحما) أى سمكا (طريا) والتعبير عن السمك باللحم مع كونه حيوانا لانحصار الانتفاع به فى الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على طلب المسارعة الى أكله لسرعة فساده (وتستخرجوا منه حلية) أى لؤلؤا ومرجانا (تلبسونها) أى تلبسها نساؤكم لاجلكم فان زينة النساء بالحلى انما هو لاجل الرجال فهى حلية لكم بهذا الاعتبار (وترى الفلك) أى تبصر السفن (فيه مواخر) أى جوارى فى البحر مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها (ولتبتغوا من فضله) أى لتركبوها للوصول الى البلدان الشاسعة فتطلبوا الرزق بالتجارة وغيرها من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد (وألقى فى الارض رواسى) أى جعل فيها جبالا ثوابت (أن تميد بكم) أى كراهة أن تميل بكم الارض وتضطرب (وأنهارا) أى جعل فى الارض أنهارا جارية لمنافعكم (وسبلا) أى جعل فيها طرقا (لعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوابها فى أسفاركم الى مقاصدكم (وعلامات) أى جعل فى الأرض أمارات الطرق التى يستدل بها المارون وهى الجبال والرياح والتراب فان جماعة يشمون التراب ويتعرفون بذلك الشم الطرق (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار وقال السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى (أفمن يخلق) هذه الأشياء وهو الله تعالى (كمن لايخلق) شيئا أصلا وهو الأصنام (أفلا تذكرون) أى ألاتلاحظون فلاتذكرون فان هذا القدر لايحتاج الى تفكر ولاالى شئ سوى التذكر فيكفى فيه أن تتنبهوا على مافى عقولكم من أن العبادة لاتليق الا بالمنعم الأعظم فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادة من لايستحق العبادة ويترك عبادة من يستحقها

(فيه تسيمون) أى ترعون مواشيكم وقوله (وما ذرأ لكم) أى وسخر لكم ماذرأ أى خلق (فى الارض مختلفا ألوانه) أى هيئاته ومناظره يعنى الدواب والأشجار وغيرها (وهو الذى سخر البحر) أى ذلله للركوب والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) أى السمك والحيتان (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) أى الدر والجواهر (وترى الفلك) أى السفن (مواخر فيه) يعنى شواق للماء تدفعه بجؤجؤها (ولتبتغوا من فضله) يريد لتركبوا للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله (وألقى فى الارض رواسى) يعنى جبالا ثوابت (أن تميد بكم) يريد لئلا تميد بكم أى تتحرك (وأنهارا) يعنى وجعل فيها أنهارا كالنيل والفرات والدجلة (وسبلا) أى وطرقا الى كل بلدة (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم من البلاد فلا تضلوا (وعلامات) يعنى الجبال وهى علامات للطرق بالنهار (وبالنجم) يعنى جميع النجوم (هم يهتدون) الى الطرق والقبلة فى البر والبحر (أفمن يخلق) يعنى ما ذكر فى هذه السورة وهو الله تعالى (كمن لايخلق) يعنى الأوثان يقول أهما سواء حتى يسوى بينهما فى العبادة (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون كما تعظ المؤمنون

(وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) أى انكم لاتعرفونها على سبيل التمام واذالم تعرفوها امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام ومما يدل قطعا على أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام نعم الله تعالى أن كل جزء من أجزاء البدن الانسانى لوظهر فيه أدنى خلل لتنغص العيش على الانسان ولتمنى أن ينفق كل الدنيا حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه الاكمل مع أن الانسان لاعلم له بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه فليكن هذا المثال حاضرا فى ذهنك ثم تأمل فى جميع ماخلق الله فى هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهيأة لانتفاعك بها حتى تعلم أن عقول الخلق تفنى فى معرفة حكمة الرحمن فى خلق الانسان فضلا عن سائر وجوه الاحسان ثم الطريق الى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلها ومجملها (ان الله لغفور) للتقصير الصادر عنكم فى القيام بشكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله يعلم ماتسرون) أى تضمرونه من العقائد والاعمال (وما تعلنون) أى تظهرونه منهما وهذه الاصنام جمادات لامعرفة لها بشئ أصلا فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا) أى والآلهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله لايقدرون أن يخلقوا شيئا قرأ حفص عن عاصم يسرون ويعلنون ويدعون بالياء على الغيبة لكن نقل عن السمين أن قراءة الياء التحتية شاذة فى الفعلين الأولين وقرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خاصة بالياء على الغايبة وقرئ على صيغة المبنى للمفعول (وهم يخلقون) أى أن الاصنام مخلوقة لله تعالى منحوتة من الحجارة وغيرها (أموات) أى جمادات لاروح فيها (غير أحياء) أى لاتأتيها الحياة أصلا (ومايشعرون أيان يبعثون) أى وما يشعر أولئك الآلهة متى يبعث عبدتهم من القبور وفى هذا تهكم بالمشركين فى أن آلهتهم لايعلمون وقت بعثهم فكيف وقت جزائهم على عبادتهم وقيل المعنى أن هذه الأصنام لاتعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بها الى النار (الهكم اله واحد) لايشاركه شئ فى شئ (فالذين لايؤمنون بالآخرة) ولايرغبون فى حصول الثواب ولايرهبون من الوقوع فى العقاب (قلوبهم منكرة) لوحدانية الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع من الباطل الى الحق (لاجرم) أى حقا (أن الله يعلم مايسرون) من قلوبهم (وما يعلنون) من استكبارهم (انه لايحب المستكبرين) على خلقه فمابالك بالمستكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أى واذا قال وفود الحاج لأولئك المنكرين المستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الأولين) أى هذا الذى تذكرون أنه منزل من ربكم هو أكاذيب الأولين ليس فيه شئ من العلوم والحقائق (ليحملوا أوزارهم) أى آثامهم الخاصة بهم وهى آثام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أى لم يخفف من عقابهم شئ يوم القيامة بمصيبة أصابتهم فى الدنيا فقوله ليحملوا متعلق بقالوا فاللام للعاقبة وقوله يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يضلونهم) أى وليحملوا أيضا من جنس آثام من ضل باضلالهم أى فيحصل للرؤساء مثل أوزار الأتباع (بغير علم) أى ان هؤلاء الرؤساء يقدمون على الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد فى مقابلته (ألا ساء مايزرون) أى بئس مايحملونه من الذنوب حملهم هذا (قد مكر الذين من قبلهم)

(وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) مر تفسيره (ان الله لغفور رحيم) أى غفور لتقصيركم فى شكر نعمته رحيم بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم وقوله (أموات) أى هى أموات لاروح فيها يعنى الاصنام (غير أحياء) تأكيد وقوله (ومايشعرون أيان يبعثون) وذلك أن الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح فيتبرؤن عن عبادتهم وهى فى الدنيا جماد لاتعلم متى تبعث وقوله (الهكم) ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته ثم أخبر أنه (اله واحد) ثم أتبع هذا انكار الكفار وحدانيته بقوله (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) أى جاحدة غير عارفة (وهم مستكبرون) أى ممتنعون عن قبول الحق (لاجرم) حقا (أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون) أى يجازيهم بذلك (انه لايحب المستكبرين) أى لايمدحهم ولايثيبهم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) نزلت فى النضر بن الحارث وذكرنا قصته (ليحملوا أوزارهم) هذه لام العاقبة لأن قولهم للقرآن أساطير الأولين أداهم الى أن حملوا أوزارهم (كاملة) لم يكفر منها شئ بنكبة أصابتهم فى الدنيا لكفرهم (ومن أوزار الذين يضلونهم) لأنهم كانوا دعاة الضلالة فعليهم مثل أوزار من اتبعهم وقوله (بغير علم) أى يضلونهم جهلا منهم بما كانوا يكسبون من الاثم ثم ذم صنيعهم فقال (ألا ساء مايزرون) أى يحملون (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء فيقاتل أهلها

(فأتى الله) أى أمر الله وهو الريح وخلق الزلزلة (بنيانهم) أى بناءهم (من القواعد) أى من أساطين البناء التى تعمده وذلك أن الزلزلة خلقت فيها حتى تحركت بالبناء وهدمته وهو قوله (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى وهم تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من حيث ظنوا أنهم فى أمان منه (ثم يوم القيامة يخزيهم) أى يذلهم (ويقول أين شركائى) الذين فى دعواكم أنهم شركائى أين هم ليدفعوا العذاب عنكم (الذين كنتم تشاقون) أى تخالفون المؤمنين (فيهم قال الذين أوتوا العلم) وهم المؤمنون يقولون حين يرون خزى الكفار فى القيامة (ان الخزى اليوم والسوء) عليهم لا علينا (الذين تتوفاهم الملائكة) مر فى سورة النساء وقوله (فألقوا السلم) أى انقادوا واستسلموا عند الموت وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) أى شرك فقالت الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) أى من الشرك والتكذيب ثم قيل لهم (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) الآية وقوله (فلبئس مثوى المتكبرين) أى مقام المتكبرين عن التوحيد وعبادة الله (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم) هذا كان فى أيام الموسم يأتى الرجل مكة فيسأل المشركين عما نزل على محمد فيقولون انه أساطير الأولين ويسأل المؤمنين عن ذلك فيقولون (خيرا) ثم فسر ذلك الخير فقال (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا) أى قالوا لا اله الا الله (حسنة) أى ثواب مضاعف (ولدار الآخرة) وهى الجنة (خير) أى من الدنيا وما فيها وقوله

وهذه

---

فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) أى قد رتبوا منصوبات ليمكروا بها أنبياء الله تعالى فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا شديدا ودعموه فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم سقف بنيانهم فأهلكهم شبهت حال أولئك الماكرين فى تسويتهم المكايد وفى ابطاله تعالى تلك الحيل وجعله تعالى اياها أسباب الهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدود بالاساطين فضعضعت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف فهلكوا فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على ألسنة الناس من حفر لأخيه قليبا وقع فيه قريبا (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى انهم اعتمدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها بأعيانها فهؤلاء الماكرون القائلون ان القرآن أساطير الأولين سيأتيهم العذاب العاجل من جهة لا تخطر ببالهم مثل ما أتاهم (ثم) الله تعالى (يوم القيامة يخزيهم) أى يذل الكفار بعذاب (ويقولون أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم) أى يقول الله لهم تفضيحا أين شركائى فى زعمكم الذين كنتم تخاصمون الانبياء والمؤمنين فى شأن الشركاء حين بينوا لكم بطلانها وقرأ نافع تشاقون بكسر النون (قال الذين أوتوا العلم) أى يقول المؤمنون الذين أوتوا علما بدلائل التوحيد حين يرون خزى الكفار وهم فى الموقف (ان الخزى) أى الفضيحة (اليوم والسوء) أى العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) أى عزرائيل وأعوانه (ظالمى أنفسهم) أى مستمرين على الكفار فانهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوها للعذاب المخلد وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء مع الامالة فى الموضعين (فألقوا السلم) أى أسلموا وأقروا لله بالعبودية عند الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أى شرك فى زعمنا فتقول الملائكة (بلى) كنتم تعملون أعظم الشرك (ان الله عليم بما كنتم تعملون) من الشرك فلا فائدة لكم فى انكاركم (فادخلوا أبواب جهنم) أى ليدخل كل صنف من الكفرة فى طبقة هو موعود بها والمراد دخولهم فيها فى وقته فان ذلك تخويف عظيم وان تراخى المخوف به لا دخول القبر الذى هو حفرة من حفر النيران (خالدين فيها) أى دركات جهنم لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء (وقيل للذين اتقوا) أى خافوا الشرك وأيقنوا أنه لا اله الا الله محمد رسول الله (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أى أنزل خيرا قال المفسرون كان فى أيام الموسم يأتى الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه ساحر وكاهن وكذاب فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا أى أنزل خيرا والذى قالوه من الجواب موصوف بأنه خير (للذين أحسنوا) أى قالوا لا اله الا الله مع الاعتقاد الحق (فى هذه الدنيا حسنة) أى ثناء ورفعة وتعظيم وهذه الجملة بدل من قوله خيرا أو تفسير له وذلك أن الخير هو الوحى الذى أنزل الله تعالى فيه قوله من أحسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة وقوله تعالى فى هذه الدنيا متعلق بقوله حسنة (ولدار الآخرة خير) مما حصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) والمخصوص بالمدح اما محذوف تقديره دار الآخرة أو هى دار الدنيا لأن المتقين يتزودون فيها للآخرة وأما قوله تعالى (جنات عدن) وهذه تدل على القصور والبساتين وعلى الدوام (يدخلونها) يوم القيامة صفة لجنات أو حال (تجرى من تحتها الأنهار) أى أنهار الخمر والماء والعسل واللبن وهذه تدل على أن هناك أبنية يرتفعون عليها وتكون الأنهار جارية من تحتهم (لهم فيها ما يشاؤن) من أنواع المشتهيات والتمنيات

وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الأوفى (يجزى الله المتقين) أى كل من يتقى من الشرك والمعاصى (الذين تتوفاهم الملائكة) أى قبضتهم (طيبين) أى طاهرين من الكفر مبرئين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أى الملائكة عند الموت وهذه حال من الملائكة وطيبين حال من المفعول (سلام عليكم) أى لا يلحقكم مكروه وعن محمد بن كعب القرظى قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة (ادخلوا الجنة) أى جنات عدن وهى خاصة لكم كأنكم فيها والمراد دخولهم فيها فى وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذى هو روضة من رياض الجنة فان الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أى بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أى ما ينتظر الكفار الذين طعنوا فى القرآن وأنكروا النبوة (الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتى أمر ربك) أى عذاب ربك فى الدنيا بهلاكهم (كذلك) أى مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب المعجل (وما ظلمهم الله) بذلك فانه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما نزل بهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى عقاب سيئات أعمالهم (وحاق) أى وأحاط (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى عقاب استهزائهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أى من أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم تكذيباله وطعنا فى الرسالة (لوشاء الله) عدم عبادتنا لشئ غيره (ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) الذين نقتدى بهم فى ديننا (ولا حرمنا من دونه من شئ) من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى واشراكنا بالله الأوثان وتحريمنا الأنعام والحرث بمشيئته تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة فى مجيئك الينا بالأمر والنهى وفى ارسالك (كذلك) أى مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من الأمم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم عن الخطأ وهدوهم الى الحق (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) أى ليس وظيفة الرسل الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا فهو واجب عليهم وأما حصول الايمان فلا يتعلق بالرسول (ولقد بعثنا فى كل أمة) من الأمم السالفة (رسولا) خاصا بهم كما بعثناك الى قومك (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) أى اجتنبوا عبادة ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان فى دعائه لكم الى الضلالة (فمنهم) أى من تلك الأمم (من هدى الله) الى الحق الذى هو عبادته (ومنهم من حقت) أى ثبتت (عليه الضلالة) فلم يجب الرسول الى الايمان فضل عن الحق وعمى عن الصدق ووقع فى الكفر (فسيروا) يامعشر كفار قريش (فى الأرض) أى فان كنتم فى شك من أخبار الرسل فسيروا فى الأرض (فانظروا) فى أكنافها واعتبروا (كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من عاد وثمود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم كما نزل بهم (ان تحرص على هداهم) أى ان تطلب ياسيد الرسل توحيد كفار قريش بجهدك فلا تقدر على ذلك

الذين من قبلهم) وهو التكذيب يعنى كفار الأمم الخالية (وما ظلمهم الله) أى بتعذيبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يريد باقامتهم على الشرك (فأصابهم) هذا مؤخر فى اللفظ ومعناه التقديم لأن التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم الآية وما ظلمهم الله الآية ومعنى أصابهم (سيئات ما عملوا) أى جزاؤها (وحاق) يعنى أحاط (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (وقال الذين أشركوا) يعنى أهل مكة (لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) أى ما أشركنا ولكنه شاء لنا (ولا حرمنا من دونه من شئ) أى من البحيرة والسائبة وانما قالوا هذا استهزاء قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعنى ليس عليهم الا التبليغ وقد بلغت وبلغوا وأما الهداية فهى الى الله وقد حقق هذا فيما بعد وهو

قوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كما بعثناك فى هؤلاء (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو شيطان وكل من يدعو الى الضلالة (فمنهم من هدى الله) أى أرشده (ومنهم من حقت) يعنى وجبت (عليه الضلالة) أى الكفر بالقضاء السابق (فسيروا فى الأرض) معتبرين بآثار الامم المكذبة ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدى وهو قوله (ان تحرص على هداهم

(فان الله لايهدى من يضل) أى لأنه تعالى لايخلق الهداية قسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره وقرئ لايهدى بالبناء للمفعول (ومالهم من ناصرين) أى وليس لهم أحد يعينهم على مطاوبهم فى الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف الذين أشركوا غاية ايمانهم واذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه فان الكفار كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا كان الأمر عظيما حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا اعلاما بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين (لايبعث الله من يموت) فانهم يجدون فى عقولهم أن الشئ اذا صار عدما محضا لايعود بعينه بل العائد يكون شيئا آخر ولقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد بقوله (بلى وعدا عليه حقا) أى بلى يبعثهم الله بالبعث وعدا حقا لاخلف فيه ثابتا على الله فينجزه لامتناع الخلف فى وعده (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لايعلمون) أنهم يبعثون لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناع البعث ولجهلهم بشئون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال (ليبين لهم) أى بلى يبعثهم ليبين لمن يموت (الذى يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرها من أمور الدين فيثيب المحق من المؤمنين ويعذب المبطل من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بالله بالاشراك وانكار البعث والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) فيما أقسموا فيه وفى كل مايقولون (انما قولنا لشئ) أى شئ كان (اذا أردناه) أى وقت ارادتنا لوجوده (أن نقول له كن) أى احدث وهو خبر المبتدأ (فيكون) أى فيحدث عقب ذلك من غير توقف وهذا تمثيل لنفى الكلام والتعب فليس هناك قول ولامقول له ولا أمر ولامأمور بل هو تمثيل لسهولة حصول المقدورات عند تعلق ارادته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها ولكن العباد خوطبوا بذلك على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا ومافيها فى قدر لمح البصر لقدر على ذلك فالمعنى انما ايجادنا لشئ عند تعلق ارادتنا به أن نوجده فى أسرع مايكون (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (فى الله) أى لاظهار دينه (من بعد ماظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) أى أرضا كريمة آمنة وهى المدينة وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وعلى هذا يكون نزول الآية فى أصحاب الهجرتين فيكون نزولها فى المدينة بين الهجرتين وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير أخذهم المشركون بمكة يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فيخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر وأعتقه وأما صهيب فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم وهاجر وأما سائرهم فقد قالوا بعض ماأراد أهل مكة من كلمة الكفر فتركوا عذابهم ثم هاجروا فبسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما أن بنصرة الأنصار قويت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله فى الدنيا ومااذخر لك فى الآخرة أكبر (ولأجر الآخرة أكبر) أى وللأجر الكائن فى الآخرة وهو النعيم الكائن فى الجنة أعظم من الأجر الكائن فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) أى لو علم الكفار ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم فى الدين (الذين صبروا) على أذية الكفار ومفارقة الأهل والوطن وعلى المجاهدة وبذل الأموال والأنفس فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى اليه خاصة يفوضون الأمر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) ياأكرم الرسل الى الأمم من طوائف البشر (الارجالا نوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من أن يكون

فان الله لايهدى من يضل) كقوله من يضلل الله فلا هادى له (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أغلظوا فى الأيمان تكذيبا منهم لقدرة الله على البعث فقال الله تعالى (بلى) لنبعثنهم (وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليبين لهم) بالبعث مااختلفوا فيه من أمره وهو أنهم ذهبوا الى خلاف ماذهب اليه المؤمنون (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) ثم أعلمهم سهولة خلق الأشياء عليه بقوله (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا) نزلت فى قوم عذبهم المشركون بمكة الى أن هاجروا وقوله (فى الله) أى فى رضى الله (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) أى دارا او بلدة حسنة وهى المدينة (ولأجر الآخرة) يعنى الآخرة (الذين صبروا) على أذى المشركين وهم فى ذلك واثقون بالله متوكلون عليه (وما أرسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم) ذكرنا تفسيره فى آخر سورة يوسف وقوله

(فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة فيخبروكم أن الأنبياء كلهم كانوا بشرا (بالبينات) أي أرسلناهم بالبينات والحجج الواضحة (والزبر) أي الكتب (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) في هذا الكتاب من الحلال والحرام والوعد والوعيد (ولعلهم يتفكرون) في ذلك فيعتبرون (أفأمن الذين مكروا



السيئات) أي عملوا بالفساد يعني عبدة الأوثان وهم مشركو مكة (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي من حيث يأمنون فكان كذلك لأنهم أهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك (أو يأخذهم في تقلبهم) للسفر والتجارة (فما هم بمعجزين) أي بممتنعين على الله (أو يأخذهم على تخوف) أي على تنقص وهو أن يأخذ الاول فالاول حتى يأتي الأخذ على الجميع (فان ربكم لرءوف رحيم) اذلم يعجل عليهم بالعقوبة (أولم يروا الى ماخلق الله من شيء) له ظل من جبل وشجر وبناء (يتفيؤا) أي يتميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) في أول النهار عن اليمين والشمائل وفي آخره عن الشمال اذا كنت متوجها الى القبلة (سجدا لله) قال المفسرون ميلانها وهذا كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر (وهم داخرون) أي صاغرون يفعلون مايراد منهم يعني هذه الأشياء التي ذكرها أنها تسجد لله (ولله يسجد) أي يخضع وينقاد بالتسخير له (مافي السموات وما في الارض من دابة) يريد كل مادب على الارض (والملائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لايستكبرون) في عبادة الله يعني الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) يعني الملائكة هم فوق مافي الارض من دابة ومع ذلك يخافون الله فلأن يخاف من دونهم أولى

رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثة رسول الينا لبعث ملكا (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل العلم بأخبار الماضين فاذا سألوهم فلابد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) أن الرسل من البشر (بالبينات والزبر) متعلق بمحذوف على أنه صفة لرجالا أي رجالا ملتبسين بالمعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وبالتكاليف التي يبلغونها من الله تعالى الى العباد أو متعلق بيوحي أي يوحي اليهم بالحجج الواضحة وبالكتب أو متعلق بذلك أي فاسألوا أهل العلم بالحجج وبالكتب القديمة من التوراة والانجيل أو متعلق بلاتعلمون أي ان كنتم لاتعلمون أن الله لم يرسل الرسل الا انسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق واسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن سمي ذكرا لان فيه تنبيها للغافلين (لتبين للناس) كافة (مانزل اليهم) في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال الأمم المهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجبة لذلك (ولعلهم يتفكرون) فيما نزل اليهم فيتنبهوا لما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي سعوا من أهل مكة ومن حول المدينة في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون وأصحابه (أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) أي في حال غفلتهم فيهلكهم بغتة كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم) بالعقوبة (في تقلبهم) أي في أسفارهم وحركتهم اقبالا وادبارا (فما هم بمعجزين) أي وهم لايعجزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا (أو يأخذهم على تخوف) أي على أن ينقص شيئا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على مخافة من العذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون (فان ربكم لرءوف رحيم) حيث لايعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها (أولم يروا الى ماخلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله) أي ألم ينظر أهل مكة ولم يروا بأبصارهم الى جسم قائم له ظل من جبل وشجر وبناء يرجع ظلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهم داخرون) أي منقادون لقدرة الله تعالى وتدبيره ولما وصفت الظلال بالانقياد لأمره تعالى أشبهت العقلاء فعبر عنها بلفظ من يعقل وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء على الخطاب وقرأ أبو عمرو وحده تتفيؤا بالتاء (ولله يسجد مافي السموات) من الشمس والقمر والنجوم (ومافي الارض من دابة والملائكة) عطف على مافي السموات ولما بين الله تعالى أولا أن الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى بين بهذه الآية أن الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشرفها الملائكة وذلك دليل على أن كل المخلوقات منقادة لله تعالى (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لايستكبرون) عن عبادته تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وهذه الجملة بيان لقوله لايستكبرون أو حال من ضميره أي خائفين لمالك أمرهم خوف هيبة واجلال وهو فوقهم

بالقهر (ويفعلون مايؤمرون) به من الطاعات والتدبيرات فبواطنهم وظواهرهم مبرأة من الأخلاق الفاسدة والأفعال الباطلة (وقال الله) لجميع المكلفين (لاتتخذوا الهين اثنين) أى لاتعبدوا الله والأصنام ولما بين الله تعالى أولا أن كل ماسوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى أتبعه فى هذه الآية بالنهى عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الاشراك بالله وتكميل وقوف العقل على مافيه من القبح (انما هو إله واحد) أى لما دلت الدلائل السابقة على أنه لابد للعالم من الاله وقد ثبت أن وجود الالهين محال ثبت أنه لااله الا الواحد الأحد (فاياى فارهبون) أى ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى لاغيرفانى ذلك الواحد الذى يسجد له مافى السموات والارض ولما كان الاله واحدا والواجب لذاته واحدا كان كل ماسواه حاصلا بتخليقه وايجاده فثبت أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان أفعال العباد من جملة مافى السموات والارض ووجب أن يكون جميع المخلوقات فى ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله مافى السموات والارض) أى خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أى لله تعالى الطاعة دائما فليس من أحد يطاع الا انقطعت تلك الطاعة بالموت أو بسبب فى حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفى الآية دقيقة أخرى فمعنى قوله تعالى له مافى السموات والارض أن كل ماسوى الله محتاج فى انقلابه من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم الى مخصص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصبا أن هذا الاحتياج الى المرجح حاصل دائما أبدا لان الممكن حال بقائه لايستغنى عن المرجح لان علة الحاجة هى الامكان وهو من لوازم الماهية فوجب أن تكون الحاجة حاصلة حال حدوثها وحال بقائها (أفغير الله تتقون) أى انكم بعد ماعرفتم أن اله العالم واحد وأن كل ماسواه محتاج اليه فى وقت حدوثه وفى وقت دوامه فبعد العلم بهذه الأصول كيف يعقل أن يكون للانسان رغبة فى غير الله أو رهبة من غير الله تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) أى أى شئ يصاحبكم من نعمة أية نعمة كانت فهى من الله فيجب على العاقل أن لايخاف الا الله وأن لايشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالأسقام (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة فى كشفه لا الى غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم) أى اذا فريق كافر وهم أنتم (بربهم يشركون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا بما آتيناهم) أى ان عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكروه عنهم وقيل ان هذه اللام لام الأمر الوارد للتهديد كقوله تعالى (فتمتعوا) أى عيشوا فى الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وماينزل بكم من العذاب (ويجعلون) أى المشركون (لما لايعلمون) أى للأصنام التى لايعلم المشركون أنها تضر من حيث عبادتها ولاتنفع (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والأنعام وغيرهما تقربا اليها (تالله لتسئلن) يوم القيامة سؤال توبيخ (عما كنتم تفترون) أى تكذبون على الله من أنه أمركم بذلك الجعل (ويجعلون لله البنات) أى يقول خزاعة وكنانة الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر الله تعالى الخلق بالتعجب من جراءتهم على وصف الملائكة بالأنوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى (ولهم مايشتهون) ويجعلون لأنفسهم مايختارون من البنين (واذا بشر أحدهم بالأنثى) أى والحال أنه اذا أخبر بولادة الأنثى (ظل وجهه مسودا) أى صار وجهه متغيرا تغير مغتم من الحياء من الناس (وهو كظيم) أى ممتلئ غما وحزنا وغيظا من زوجه فكيف ينسب البنات اليه تعالى وجملة واذا بشر حال من الواو فى ويجعلون (يتوارى من القوم) أى يختفى من قومه (من سوء مابشر به) أى من أجل كراهية الأنثى التى

---

يعنى الذى خلق كل شئ وأمر أن لايتخذ معه اله (تتقون ومابكم من نعمة فمن الله) أى مابكم من صحة جسم وسعة رزق أو متاع بمال أو ولد فكل ذلك من الله (ثم اذا مسكم الضر) والحاجة (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق) يعنى من كفر بالله وأشرك بعد كشف الضر عنه (ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا نعمة الله فيما فعل بهم (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (ويجعلون) يعنى المشركين (لما لا يعلمون) أى الأوثان التى لاعلم لها (نصيبا مما رزقناهم) يعنى ماذكر فى قوله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ (عما كنتم تفترون) أى على الله من أنه أمركم بذلك (ويجعلون لله البنات) يعنى خزاعة وكنانة زعموا أن الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم مايشتهون) أى البنين وهذا كقوله أم له البنات الآية (واذا بشر أحدهم بالأنثى) أى أخبر بولادة ابنة (ظل) أى صار (وجهه مسودا) أى متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم) أى ممتلئ غما (يتوارى) أى يختفى ويغيب مقدار مع نفسه

(أيمسكه على هون) أيستحييها على هوان منه لها (أم يدسه) أى يخفيه (فى التراب) فعل الجاهلية من الوأد (ألا ساء) أى بئس (ما يحكمون) أى يجعلون لمن يعترفون بأنه خالقهم البنات التى محاهن منهم هذا المحل ونسبوه الى اتخاذ الولد ويجعلون لانفسهم البنين (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) أى العذاب والنار (ولله المثل الاعلى) أى الاخلاص والتوحيد وهو



أخبر بها من حيث كونها لاتكتسب وكونها يخاف عليها الزنا وكان الرجل فى الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بامرأته اختفى عن القوم الى أن يعلم مايولد له فان كان ذكرا فرح به وان كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله تعالى (أيمسكه على هون) أى أيحفظ مابشر به من الانثى مع رضاه بذل نفسه (أم يدسه فى التراب) أى أم يخفيه فى التراب بالوأد فالعرب كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها فيها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وتارة خوفا من الفقر ولزوم النفقة (ألا ساء مايحكمون) حكمهم هذا حيث يجعلون له تعالى ماعادته عندهم حقارة والحال أنهم يتباعدون عنه (للذين لايؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أى الصفة القبيحة وهى احتياجهم الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وللاستعلاء به وكراهتهم الاناث خوف الفقر والعار مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الأعلى) أى الصفة المقدسة وهى صفة الألوهية المنزهة عن صفات المخلوقين وعن الولد (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال القدرة (الحكيم) أى الذى يفعل مايفعل بالحكمة البالغة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها) أى الأرض (من دابة) أى لو يؤاخذهم الله بما كسبوا من كفر ومعصية لايبقى لهم نسل فيلزم أن لايبقى فى العالم أحد من الناس فحينئذ لايبقى فى الارض أحد من الدواب أيضا لانها مخلوقة لمنافع البشر (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى معين عند الله تعالى لأعمارهم ليتوالدوا (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أى فذة (ولا يستقدمون) وانما ذكر الاستقدام مع أنه لايتصور عند مجيء الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستئخار بنظمه فى سلك مايمتنع (ويجعلون لله ما يكرهون) أى وينسبون اليه تعالى البنات التى يكرهونها لانفسهم (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) بدل من الكذب أى يصفون أنفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب اثبات البنات له تعالى وبأنهم على الدين الحق (لاجرم) أى ثبت (أن لهم النار) التى ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أى متروكون فى النار وقرأ نافع وقتيبة عن الكسائى بكسر الراء أى مفرطين على أنفسهم فى الذنوب (تالله لقد أرسلنا) رسلا (الى أمم من قبلك) فدعوهم الى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أى فالشيطان متولى أمورهم فى الدنيا باغوائهم وقرينهم فى النار (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) أى الا لتبين للناس بواسطة بيانات القرآن الأشياء التى اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والقدر وأحوال المعاد والاحكام كتحريم الميتة وتحليل نحو البحيرة (وهدى ورحمة) أى وللهداية من الضلالة وللرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم المغتنمون آثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) أى والله خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبات الزرع والشجر ولخروج النور والثمر (ان فى ذلك) أى فى انزال الماء واحياء الارض اليابسة (لآية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون)

شهادة أن لا إله إلا الله (ولو يؤاخذ الله الناس) أى المشركين (بظلمهم وافترائهم على الله) ماترك عليها) أى على الأرض (من دابة) يعنى أحدا من المشركين (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وهو انقضاء عمرهم (ويجعلون لله ما يكرهون) هم لانفسهم ذلك وهو البنات أى يحكمون له به (وتصف ألسنتهم الكذب) ثم فسر ذلك الكذب بقولهم (أن لهم الحسنى) أى الجنة والمعنى يصفون ان لهم مع قبح قولهم الجنة ان كان البعث حقا فقال الله تعالى (لا) أى ليس الأمر كما وصفوا (جرم) كسب قولهم هذا (أن لهم النار وأنهم مفرطون) أى متروكون فيها وقيل مقدمون اليها وقوله (فهو وليهم اليوم) يعنى يوم القيامة واطلق اسم اليوم عليه لشهرته وقوله (لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) أى تبين للمشركين ماذهبوا فيه الى خلاف مايذهب المسلمون



فتقوم الحجة عليهم ببيانك وقوله (وهدى) أى وللهداية والرحمة للمؤمنين وقوله (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) أى سماع اعتبار ظاهر يريد ان فى ذلك دلالة على البعث

هذه المواعظ سماع تفكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم (وان لكم فى الانعام لعبرة) عظيمة اذا تفكرتم فيها (نسقيكم مما فى بطونه) أى الانعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائى نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرث) أى روث فى الكرش (ودم لبنا خالصا) أى لايخالطه الفرث ولاالدم وقوله لبنا مفعول ثان وقوله من بين حال من ماالتى للتبعيض أو للابتداء أومن لبنا وعن ابن عباس أنه قال اذا استقر العلف فى الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضرع و يبقى الفرث كما هو (سائغا للشاربين) أى جاريا فى حلوقهم لذيذا فلايغص أحد باللبن (ومن ثمرات النخيل والاعناب) أى ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه سكرا) أى خمرا (ورزقا حسنا) كالدبس والخل والتمر والزبيب والله تعالى ذكر مافى هذه الأشياء من المنافع وخاطب بها المشركين والخمر من أشربتهم فهى منفعة فى حقهم ثم نبه فى هذه الآية على تحريمها لانه ميز بينها و بين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن لاتكون الخمر رزقا حسنا والخمر يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب الشريعة وهذه الآية جامعة بين العتاب والمنة وهذا اذا كانت الخمر محرمة قبل نزولها وان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فهى دالة على كراهتها (ان فى ذلك) أى فى اخراج اللبن من بين الروث والدم وفى اخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (لآية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالتأمل فى الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لايقدر عليها الاالله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) أى ألهم ربك النحل (أن اتخذى من الجبال بيوتا) أى أوكارا (ومن الشجر) أى مما يوافق مصالحك و يليق بك (ومما يعرشون) أى مما يرفعه الناس و يبنونه لك أى ان الله قدر فى أنفس النحل الاعمال العجيبة التى تعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لايزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أومثلثة أومربعة أو غيرذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة فالهام ذلك الحيوان الضعيف بهذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب والعقلاء من البشر لايمكنهم بناء مثل تلك البيوت الاباآلات مثل المسطر والفرجار (ثم كلى من كل الثمرات) أى من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها (فاسلكى سبل ربك) أى فاذا أكلتها فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك (ذللا) حال من السبل أى مسخرة لك أومن الضمير فى اسلكى أى فاسلكى منقادة لما أمرت به ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها فبعض يعمل الشمع و بعض يعمل العسل و بعض يستقى الماء و يصبه فى البيت و بعض يبنى البيوت (يخرج من بطونها شراب) أى عسل (مختلف ألوانه) من أبيض وأسود وأصفر وأحمر على قدر ماتأكل من الثمار والازهار أو بحسب اختلاف الفصل أوسن النحل فيستحيل المأكول فى بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب (فيه) أى فى ذلك الشراب (شفاء للناس) من الاوجاع لاسيما البلغمية فانه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن (ان فى ذلك) أى فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وفى اهتدائها الى جمع الاجزاء العسلية من أطراف الاشجار والأوراق (لآية) أى لعبرة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر فى شؤون النحل جزم قطعا بأن لها خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك (والله خلقكم) فان خالق الابدان هو الله تعالى (ثم يتوفاكم) أى يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم فان الحياة والموت انما حصلا بتخليق الله تعالى و بتقديره (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أحقره وهو الهرم قال العلماء عمر الانسان له أربع مراتب

---

(وان لكم فى الانعام لعبرة) أى لدلالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته (نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث) وهو سرجين الكرش (ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) أى جاريا فى حلوقهم (ومن ثمرات النخيل والأعناب) أى ولكم فيهما (تتخذون منه سكرا) وهو الخمر نزل هذا قبل تحريم الخمر (ورزقا حسنا) وهو الخل والزبيب والتمر (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) يريدعقلوا عن الله قدرته (وأوحى ربك الى النحل) أى ألهمها وقذف فى أنفسها (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر) وهى تتخذ لانفسها بيوتا اذا كانت لا أصحاب لها فاذا كان لها أرباب اتخذت بيوتا مما يبنى لها أربابها وهو قوله (ومما يعرشون) أى يبنون و يسقفون لها من الخلايا (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك) أى طرق ربك تطلب فيها المرعى (ذللا) أى منقادة مسخرة مطيعة (يخرج من بطونها شراب) وهو العسل (مختلف ألوانه) أى منه أحمر وأبيض وأصفر (فيه) أى فى ذلك الشراب (شفاء للناس) أى من الأوجاع التى شفاؤها فيه (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أردئه يعنى الهرم

أولها

أولهاسن النشوء وهومن أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وثانيهاسن الوقوف وهى من ذلك الى أربعين سنة وهوغاية القوةوكمال العقل وثالثها سن الانحطاط القليل وهوسن الكهولة وهو من ذلك الى ستين سنةورابعهاسن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة وهومن ذلك الى خمسة وستين سنةوفيه يتبين النقص والهرم.قال على بن أبى طالب أرذل العمر خمسةوسبعون سنةوقال قتادة تسعون سنةوقال السدى انه الخرف أى زوال العقل وقيل والمسلم لايزداد بسبب طول العمر الا كرامة على الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أى ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى نقصان العقل وسوء الفهم وفى النسيان (ان الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال الى حال وكان الانسان ميتا حين كان نطفة ثم صار حيا ثم مات فلما كان الموت الاول جائزا كان عود الموت جائزا فكذلك لما كانت الحياة الأولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزا فى المرة الثانية ومتى كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشر والحشر حق (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) أى فاوت بينكم فى الرزق كما فاوت بينكم فى الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فهم فيه سواء) أى فليس الذين فضلوا فى الرزق على غيرهم بجاعلى رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيه معهم سواء فى الملك وهم أمثالهم فى البشرية والمخلوقية والمرزوقية.قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم ابن الله فالمعنى أنكم لاتشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدى عيسى ابنالى وشريكالى فى الالهية (أفبنعمة الله يجحدون) فان من أثبت لله شريكا فقد أسند اليه بعض الخيرات فكان جاحدا لكونها من عند الله تعالى وأيضا ان أهل الطبائع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبائع والى النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر تجحدون بالتاء على الخطاب (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى زوجات لتأنسوا بها وتقيموا بها مصالحكم قال الاطباء والتفاوت بين الذكر والانثى ان الذكر أسخن مزاجا والانثى أكثر رطوبة فالمنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الأيمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تامافى الانوثة وان انصب الى الخصية اليمنى ثم انصب منها الى الجانب الأيسر كان الولد ذكرا فى طبيعة الاناث وان انصب الى الخصية اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد أنثى فى طبيعة الذكور (وجعل لكم من أزواجكم) أى من نسائكم (بنين وحفدة) أى خدما يسرعون فى طاعتكم وهم اما أولاد الاولاد واما البنات فانهن يخدمن البيوت أتم خدمة واما الاختان على البنات أى فيحصل لهم الاختان بسبب البنات (ورزقكم من الطيبات) أى بعض اللذائذ من النبات والحيوان فالمرزوق فى الدنيا أنموذج لمافى الآخرة وكل الطيبات فى الجنة (أفبالباطل يؤمنون) أى أيكفرون بالله الذى شأنه ذلك المذكور ويؤمنون بالباطل بأن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم مثل البحيرة والسائبة والوصيلة ويبيحوا لأنفسهم محرمات حرمها الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير وماذبح على النصب أى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أى وبانعام الله فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يجحدون (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) أى أيعبدون الاصنام التى لاتملك لعبدتهم رزقا من المطر والنبات لاقليلا ولا كثيرا فشيئا بدل من رزقا

(لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أى يصير كالصبى الذى لاعقل له قالوا وهذا لايكون للمؤمن لأن المؤمن لاينزع عنه علمه وان كبر (ان الله عليم) بما يصنع (قدير) على مايريد (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) حيث جعل بعضكم يملك العبيد وجعل بعضكم مملوكا (فما الذين فضلوا) وهم المالكون (برادى رزقهم) أى بجاعلى رزقهم لعبيدهم حتى يكون عبيدهم معهم فيه سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين فى تصييرهم عبادا لله شركاء له فقال اذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فى الملك فكيف تجعلون عبيدى معى سواء (أفبنعمة الله تجحدون) حيث تتخذون معه شريكا (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى النساء (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يعنى ولد الولد (ورزقكم من الطيبات) أى من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أفبالباطل يؤمنون) يعنى الاصنام (وبنعمة الله هم يكفرون) يعنى التوحيد (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات) يعنى الغيث الذى يأتى من جهتها (والارض) يعنى النبات والثمار (شيئا) أى قليلا ولا كثيرا

(ولا يستطيعون) أى وليس للاصنام استطاعة تحصيل الملك وهذا معطوف على مالا يملك وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبارا للحقيقة وبلفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة (فلا تضربوا لله الامثال) أى لاتشبهوا الله تعالى بخلقه فى شأن من الشؤون فان عبدة الاوثان كانوا يقولون ان إله العالم أعظم من أن يعبده الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب أو هذه الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم فان أصاغر الناس يخدمون أكابر خدم الملك وأولئك الاكابر يخدمون الملك فكذا ههنا فعند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة هذه الاصنام والكواكب ولا تجعلوا لله الامثال التى ذكرتموها وكونوا مخلصين فى عبادة الاله القدير الحكيم (ان الله يعلم) أن خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل فى التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لأن هذا الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنتم لاتعلمون) ذلك فتقعون فى مهاوى الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والحر (عبدا مملوكا لايقدر على شئ) من التصرفات (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) أى مستحسنا عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى حال السر والجهر (هل يستوون) أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن الفريقين سيان فى البشرية والمخلوقية لله تعالى وأن ماينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل فى ايجاده بل هو مما أعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل أذل منه وهو الاصنام والمعنى لو فرضنا عبدا مملوكا لايقدر على التصرف وحرا غنيا كريما كثير الانفاق فى كل وقت فصريح العقل يشهد بأنه لاتجوز التسوية بينهما فى التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما فى الصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أى يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الاصنام التى لاتقدر البتة (الحمد لله) أى كل الحمد له تعالى لأنه معطى جميع النعم لايستحقه أحد غيره فضلا عن استحقاق العبادة (بل أكثرهم لايعلمون) ان كل الحمد لله وحده فيسندون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لأجلها وبعض الكفار يعلمون ذلك وانما لايعلمون سبب الحمد عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) أى الذى لايحسن الكلام ولا يعقل (لايقدر على شئ) للعجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أى هذا الأبكم ثقيل على من يعوله (أينما يوجهه لايأت بخير) أى أينما يرسله من يلى أمره فى وجه معين لايأت بمطلوب لأنه عاجز لايحسن شيئا ولايفهم (هل يستوى هو) أى هذا الموصوف بهذه الصفات الاربع (ومن يأمر بالعدل) أى من هو منطيق فهم ينفع الناس بحثهم على العدل (وهو على صراط مستقيم) أى وهو عادل مبرأ عن العبث واذا ثبت فى بديهة العقل أن الابكم العاجز لايساوى الناطق القادر الكامل فى الفضل والشرف مع استوائهما فى البشرية فلأن نحكم بأن الجماد لايكون مساويا لرب العالمين فى المعبودية أولى (ولله غيب السموات والارض) أى ولله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة فان علمه تعالى حضورى وتحقق الغيب فى أنفسها علم بالنسبة اليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) أى وما أمر اقامة

الساعة

( ولا يستطيعون) أى لايقدرون على شئ (فلا تضربوا لله الامثال) أى لاتشبهوه بخلقه وذلك أن ضرب المثل انما هو تشبيه ذات بذات أو وصف بوصف والله تعالى عن هذا منزه (ان الله يعلم) ما يكون قبل أن يكون (وأنتم لاتعلمون) أى قدر عظمته حيث أشركتم به شبها فيه بيان للمقصود ثم ذكر ذلك فقال (عبدا مملوكا لايقدر على شئ) (ضرب الله مثلا) أى بين الله لأنه عاجز مملوك لا يملك شيئا وهذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دونه. ويقول العاجز الذى لا يقدر أن ينفق والمالك المقتدر على الانفاق لا يستويان فكيف يسوى بين الحجارة التى لاتتحرك وبين الله الذى هو على كل شئ قدير وهو رازق جميع خلقه ثم بين أنه المستحق للحمد دون مايعبدون من دونه فقال (الحمد لله) لأنه المنعم (بل أكثرهم لايعلمون) يقول هؤلاء المشركون لايعلمون أن الحمد لى لأن جميع النعمة منى والمراد بالاكثر ههنا الجميع. ثم ضرب الله مثلا للمؤمن والكافر فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ) من الكلام لأنه لايفهم ولايفهم (وهو كل) أى ثقل ووبال (على مولاه) أى صاحبه وقريبه (أينما يوجهه) أى يرسله (لايأت بخير) لأنه عاجز لايفهم مايقال له ولا يفهم عنه (هل يستوى هو) أى هذا الأبكم (ومن يأمر بالعدل) وهو المؤمن يأمر بتوحيد الله (وهو على صراط مستقيم) أى دين مستقيم يعنى بالأبكم أبى بن خلف وكان كلا على قومه لأنه كان يؤذيهم ومن يأمر بالعدل حمزة بن عبد المطلب (ولله غيب السموات والأرض) أى علم غيب السموات وهو ماغاب فيهما عن العباد (وما أمر الساعة) يريد القيامة (الا كلمح البصر) أى النظر بسرعة

(أوهوأقرب) من ذلك اذا أردناه يريد أنه يأتي بها في أسرع من لمح البصر اذا أراد (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) أي غير عالمين (وجعل لكم السمع والأبصار) أي خلق الحواس التي بها تعلمون  وتفهمون علم ماتجهلون (ألم يروا الى الطير مسخرات) أي مذللات (في جو السماء) يعني الهواء وذلك يدل على مسخر سخرها ومدبر مكنها من التصرف (مايمسكهن الا الله) في حال القبض والبسط والاصفاف (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) أي موضعا تسكنون فيه يستر عوراتكم وحرمكم وذلك أنه خلق الخشب والمدر الآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الأنطاع والادم (بيوتا) وهي القباب والخيام (تستخفونها يوم ظعنكم) أي يخف عليكم حملها في أسفاركم (ويوم اقامتكم) أي لايثقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها) وهي الضأن (وأوبارها) وهي الابل (وأشعارها) وهي المعز (أثاثا) أي طنافس وأكسية وبسطا (ومتاعا) أي ماتتمتعون به (الى حين) أي حين البلى (والله جعل لكم مما خلق) أي من البيوت والشجر والغمام (ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) يعني الغيران والأسراب (وجعل لكم سرابيل) أي قمصا (تقيكم الحر) والبرد فترك ذكر البرد لأن ماوقى الحر وقى البرد فهو معلوم (وسرابيل) يعني دروع الحديد (تقيكم) أي تمنعكم (بأسكم) أي شدة الطعن والضرب والرمي (كذلك) أي مثل ماخلق هذه الاشياء لكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمة الدنيا والخطاب لأهل مكة (لعلكم تسلمون)

الساعة وهي اماتة الاحياء واحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوان أجمعين الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها في سهولته (أوهوأقرب) أي بل أمر اقامة الساعة أقرب من طرف العين في السرعة بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة فالله تعالى يحيي الخلق دفعة وهي في جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (ان الله على كل شيء قدير) فان الله تعالى متى أراد شيئا ايجاده أواعدامه حصل في أسرع ما كان (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) أي غير عارفين شيئا أصلا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أي لكي تستعملوها في شكر ما أنعم الله به عليكم طورا غب طور فتسمعوا مواعظ الله وتبصروا دلائل الله وتعقلوا عظمة الله (ألم يروا الى الطير) أي ألم ينظر كفار مكة بأبصارهم اليها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تروا بالتاء على خطاب العامة (مسخرات) أي مذللات للطيران (في جو السماء) أي في الهواء المتباعد من الأرض قال كعب الأحبار ان الطير ترتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (مايمسكهن) في الجو حين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن (الا الله) بقدرته الواسعة فان جسد الطير ثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعامة تحته ولاعلاقة فوقه فبقاؤه في الجو معلقا فعله وحاصل باختياره فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى (ان في ذلك) أي تسخير الطير للطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذنابا كذلك فاذا بسطت أجنحتها وأذنابها تخرق ما بين يديها من الهواء (لآيات) أي لعلامات لوحدانية الله تعالى (لقوم يؤمنون) أي يصدقون أن امساكهن من الله تعالى فانه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى وخلق الهواء خلقة رقيقة يسهل الطيران بسبب خرقه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (والله جعل لكم من بيوتكم) التي تبنونها (سكنا) أي موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام (تستخفونها) أي تجدونها خفيفة عليكم في حملها ونقلها ونقضها في أسفاركم (يوم ظعنكم) أي وقت سيركم في أسفاركم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين (ويوم اقامتكم) أي وقت نزولكم في الضرب (ومن أصوافها) أي الأنعام (وأوبارها وأشعارها أثاثا) أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز أنواع متاع البيت من الفرش والأكسية (ومتاعا) أي ماينتفع به في البيت خاصة ويتزين به (الى حين) أي الى وقت البلاء (والله جعل لكم مما خلق) من غير صنع من جهتكم (ظلالا) أي مايستظلون به من شدة الحر وهي ظلال الجدران والأشجار والجبال والغمام. (وجعل لكم من الجبال أكنانا) أي مواضع تستكنون فيها من شدة البرد والحر من الكهوف والغيران والسروب (وجعل لكم سرابيل) أي ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) في الصيف والبرد في الشتاء ولم يذكر الله تعالى وقاية البرد لتقدمه في قوله تعالى فيها دفء (وسرابيل) أي جواشن (تقيكم بأسكم) أي الشدة التي تصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الطعن والضرب والرمي (كذلك) أي مثل ماخلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (يتم نعمته) في الدنيا (عليكم لعلكم) يا أهل مكة (تسلمون) أي تؤمنون به تعالى وتنقادون لأمره وقرئ تسلمون بفتح التاء واللام أي لكي تسلموا من

أى تنقادون لربوبيته فتوحدونه (فان تولوا) أى أعرضوا عن الايمان بعد البيان (فانما عليك البلاغ المبين) وليس عليك من كفرهم وجحودهم شئ (يعرفون نعمة الله) يعنى الكفار يقرون أنها كلها من الله ثم يقولون بشفاعة آلهتنا فهذا انكارهم (وأكثرهم) أى وجميعهم (الكافرون ويوم) أى



وأنذرهم يوم (نبعث) وهو يوم القيامة (من كل أمة شهيدا) يعنى الأنبياء يشهدون على الأمم بما فعلوا (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى فى الكلام والاعتذار (ولاهم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم أن يرجعوا الى ما يرضى الله (واذا رأى الذين ظلموا) أى أشركوا (العذاب) أى النار (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولاهم ينظرون) أى يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أى أوثانهم التى عبدوها من دون الله (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) وذلك أن الله يبعثها حتى يوردهم النار فاذا رأوها عرفوها فقالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا (الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول) أى أجابوهم وقالوا لهم (انكم لكاذبون) وذلك أنها كانت جمادا لا تعرف عبادة عابدها فتظهر عند ذلك فضيحتهم حين عبدوا من لم يشعر بالعبادة وهذا كقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم (وألقوا الى الله يومئذ السلم) أى استسلموا لحكم الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى بطل ما كانوا يأملون من أن آلهتهم تشفع لهم (ويوم

تحته

نبعث من كل أمة شهيدا) وهو يوم القيامة يبعث الله فى كل أمة شهيدا (عليهم من أنفسهم) وهو نبيهم لأن كل نبى يبعث من قومه (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أى على قومك وتم الكلام ههنا ثم قال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) أى بما أمر به ونهى عنه (ان الله يأمر بالعدل) شهادة أن لا اله الا الله

---

الجراحات أو من الشرك (فان تولوا) أى أعرضوا عن الاسلام وآثروا متابعة الآباء فلا نقص من جهتك (فانما عليك البلاغ المبين) أى لان وظيفتك هى البلاغ الواضح فقد فعلته (يعرفون نعمة الله) أى يقرون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أى لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا انما حصلت هذه النعم بشفاعة هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أى المنكرون بقلوبهم غير مقرين بأن هذه النعم من الله (ويوم نبعث) أى وخوفهم يوم نأتى (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالايمان وعليهم بالكفر وهو نبيها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار وفى كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى (ولاهم يستعتبون) أى لا يكلفون أن يرضوا ربهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وانما هى دار الجزاء (واذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (العذاب) أى عذاب جهنم بعد شهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولاهم ينظرون) أى يمهلون فعذابهم يكون دائما لأن التوبة هناك غير موجودة (واذا رأى الذين أشركوا) أى اذا أبصروا يوم القيامة (شركاءهم) أى الأصنام التى يسمونها شركاء الله تعالى (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا (الذين كنا ندعوا) أى نعبدهم (من دونك) أى هؤلاء الذين كنا نقول انهم شركاء الله فى المعبودية (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى فبادر شركاؤهم بالجواب الى المشركين بقولهم انكم لكاذبون فى قولكم انا نستحق العبادة وانكم عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم والمعنى أنه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا الى الله يومئذ السلم) أى أسرع المشركون الى الله يومئذ الانقياد لحكم الله فأقروا بالبراءة عن الشركاء وبربوبية الله بعد ان كانوا فى الدنيا متكبرين عنه لما عجزوا عن الجواب لكن الانقياد فى هذا اليوم لا ينفعهم لانقطاع التكليف فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن لله شريكا وبطل أملهم من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول فى الاسلام وحملوهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أى بحيات وعقارب وجوع وعطش وزمهرير وغير ذلك فيخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار (بما كانوا يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) وهو أعضاؤهم فالله تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى أنها تشهد عليه وهى العينان والأذنان والرجلان واليدان والجلد واللسان (وجئنا بك) ياسيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أى الأمم كلهم (ونزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (تبيانا لكل شئ) من أمور الدين ينص فيه على بعضها وباحالته لبعضها على السنة أو على الاجماع أو على القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدى ورحمة) للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثار الكتاب من تفريطهم لا من جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة لأنهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أى بالتوسط فى الأمور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج

تحته فضيلة القوة العقلية فالحكمة متوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية
فالعفة متوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية فالشجاعة متوسطة بين التهور
والجبن ويندرج فيه أيضا الحكم الاعتقادية فالتوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك فنفي الاله
تعطيل محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك والعدل هو اثبات الاله الواحد وهو قول لا اله الا الله
والقول بالكسب متوسط بين الجبر والقدر فان القول بأن العبد ليس له قدرة واختيار جبر محض
والقول بأن العبد مستقل بأفعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة
وداعية يخلقهما الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة
والقول بأنه تعالى يخلد في النار عبده الآتي بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بأنه تعالى
يخرج من النار كل من اعتقد أنه لا اله الا الله ويندرج تحته أيضا الحكم العملية فالتعبد بأداء الواجبات
متوسط بين البطالة والترهب والختان مأمور به في شريعتنا فان ابقاء الجلدة مبالغة في تقوية اللذة
والاخصاء وقطع الآلات كما عليه المانوية افراط فكانت الشريعة انما أمرت بالختان سعيا في تقليل تلك
اللذة حتى يصير ميل الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال ولئلا تصير الرغبة فيه غالبة على
الطبع ويندرج تحته أيضا الحكم الخلقية فالجود متوسط بين البخل والتبذير وشريعة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وسط بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي
متباعدين عن طرفي الافراط والتفريط في كل الأمور ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة قال تعالى أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا والمطلوب رعاية العدل بين طرفي الافراط والتفريط (والاحسان) أي المبالغة في أداء
الطاعات اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل واما بحسب الكيفية كالاستغراق في شهود مقامات
الربوبية والحاصل أن العدل عبارة عن القدر الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتاء
ذي القربى) أي اعطاء الأقارب ما يحتاجون اليه قال صلى الله عليه وسلم ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم
(وينهى عن الفحشاء) أي المعاصي كلها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في شريعة (والبغي) أي الاستعلاء
على الناس والترفع. والحاصل ان الفحشاء هي الافراط في متابعة القوة الشهوية فهي انما ترغب في
تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن اذن الشريعة وان المنكر هو الافراط في اظهار آثار القوة
الغضبية السبعية فهي انما تسعى في الايذاء الى سائر الناس وايصال البلاء اليهم فالناس ينكرون تلك
الحالة وأن البغي من آثار القوة الوهمية الشيطانية فهي انما تسعى في التطاول على الناس والترفع عليهم
واظهار الرياسة والتقدم (يعظكم) أي يأمركم بتلك الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة (لعلكم
تذكرون) أي لارادة أن تتذكروا طاعته تعالى وهذا يدل على أن الله تعالى يطلب الايمان من
الكل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وهو العهد الذي يلتزمه الانسان باختياره فيدخل فيه
المبايعة على الايمان بالله وبرسوله وعهد الجهاد وعهد الوفاء بالمنذورات والأشياء المؤكدة باليمين
(ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) بالقصد ففرق بين اليمين المؤكد بالعزم وبين لغو اليمين (وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شاهدا فان من حلف بالله قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك
الحلف وهذه واو الحال أي لا تنقضوا الأيمان وقد قلتم الله شاهد علينا بالوفاء (ان الله يعلم
ما تفعلون) من النقض والوفاء فيجازيكم على ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وفي هذا
ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي من بعد قوة الغزل بفتلها
وابرامها (أنكاثا) أي أنقاضا وهو مفعول ثان لنقضت بمعنى جعلت أو حال من غزلها مؤكدة لعاملها

(والاحسان) أداء الفرائض
وقيل بالعدل في الأفعال
والاحسان في الأقوال
(وايتاء ذي القربى) أي
صلة الرحم فتؤتي ذا قرابتك
من فضل ما رزقك الله
(وينهى عن الفحشاء)
أي الزنا (والمنكر) الشرك
(والبغي) الاستطالة على
الناس بالظلم (يعظكم) أي
ينهاكم عن هذا كله
ويأمركم بما أمركم به في
هذه الآية (لعلكم
تذكرون) أي لكي
تتعظوا (وأوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم) يعني كل عهد
يجب في الشريعة الوفاء به
(ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها) أي لا تحنثوا
فيها بعدما وكدتموها بالعزم
(وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا) بالوفاء حين
حلفتم فالواو واو الحال
(ولا تكونوا كالتي نقضت)
أفسدت (غزلها) وهي
امرأة حمقاء كانت تغزل
طول يومها ثم تنقضه
وتفسده (من بعد قوة) أي
للغزل بامراره وفتله
(أنكاثا) يعني قطعا وتم
الكلام ههنا ثم قال

(تتخذون أيمانكم دخلا) أى غشا وخديعة (أن تكون) أى بأن تكون أولان تكون (أمة هى أربى من أمة) أى قوم أغنى وأعلى من قوم وذلك أنهم كانوا يحالفون قوما فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف أولئك ويحالفون هؤلاء الذين هم



أعز فنهوا عن ذلك (إنما يبلوكم الله به) أى بما أمر ونهى (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا ثم نهى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عاهدوه على نصرة الاسلام عن أيمان الخديعة فقال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) أى تزل عن الايمان بعد المعرفة بالله وهذا إنما يستحق فى نقض معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرة الدين (وتذوقوا السوء) أى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) وذلك أنهم اذا نقضوا العهد لم يدخل غيرهم فى الاسلام فيصيروا كأنهم صدوا عن دين الله (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أى لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عوضا من الدنيا (إن ما عند الله) من الثواب على الوفاء (خير لكم إن كنتم تعلمون) ذلك (ما عندكم ينفد) أى يفنى وينقطع يعنى فى الدنيا (وما عند الله باق) يعنى من الثواب والكرامة دائم لا ينقطع (وليجزين الذين صبروا) يريد على دينهم وعما نهاهم الله (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يعنى الطاعات وقوله (فلنحيينه حياة طيبة) قيل هى القناعة وقيل هى حياة الجنة

المؤمن

---

أى منكوثا قيل المشبه به معين وهى امرأة فى مكة اسمها رائطة بنت سعد بن تيم وقيل تلقب بجعرانة وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل الصوف والوبر هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم دخلا) أى مكرا (بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة) وهو استفهام بمعنى الانكار والمعنى أتصيرون أيمانكم غشا بينكم بسبب ان أمة أزيد فى القوة والكثرة من أمة أخرى قال مجاهد كان قريش يحالفون الحلفاء ثم اذا وجدوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم مع الحلفاء وعاهدوا أعداء حلفائهم (إنما يبلوكم الله به) أى يعاملكم بالأكثر معاملة من يختبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله أم تغترون بكثرة قوم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا أى حين يجازيكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله) مشيئة قسر (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وروى الواحدى أن عزيرا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال ياعزير أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والا محوت اسمك من النبوة (ولتسئلن) جميعا يوم القيامة (عما كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا اشارة الى الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والضلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) أى خديعة (بينكم) أى لا تنقضوا عهدكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به و بشرائعه (فتزل قدم بعد ثبوتها) على الطريق الحق بالايمان أى فتزلوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع فى الضلالة (وتذوقوا السوء) أى العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) أى بامتناعكم عن دين الله و بصرفكم الناس عنه بأيمانكم التى أردتم بها خفاء الحق (ولكم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب عظيم) أى غير منفك اذا متم على ذلك (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلة بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أى عرض الدنيا وكانت قريش يعدون ضعفة المسلمين على الارتداد بحطام الدنيا أى انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لا تلتفتوا اليه وان كان كثيرا لان الذى أعده الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تجدونه فى الدنيا على نقض عهد الاسلام (ان ما عند الله) من ثواب الدارين الغنيمة والثواب الأخروى (هو خير لكم) مما يعدونه (ان كنتم تعلمون) تفاوت ما بين العوضين (ما عندكم ينفد) وان جم عدده (وما عند الله) من خزائن رحمته الدنيوية والأخروية (باق) لا نفاد له (ولنجزين الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بحسب أحسن أفراد أعمالهم والمعنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم ما نعطيه بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفى هذا من العدة الجميلة باغتفار ما قد يطرأ عليهم فى أثناء الصبر من بعض جزع وينظمه فى سلك الصبر الجميل وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزينهم بنون العظمة على طريقة الالتفات والباقون بالياء من غير التفات واللام لام قسم أى والله ليجزين الله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا فيعيش عيشا طيبا فالموسر ظاهر والمعسر يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فان قلب

المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان مملوءا من هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فانه خال عن معرفة الله تعالى فيصير مملوءا من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ولنجزينهم) فى الآخرة (أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) أى بجزاء أحسن من أعمالهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أى فاذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله ان يعصمك من وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله لئلا يوسوسك فى القراءة أى فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا الامر للندب عند الجمهور وللوجوب عند عطاء وحيث أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة عند قراءة القرآن فما ظنكم بمن عداه صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من الاعمال (انه) أى الشيطان (ليس له سلطان) أى تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى والى ربهم يفوضون أمورهم وبه يعوذون فى كل مايأتون ويذرون فان وسوسته لاتؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم (انما سلطانه) أى ولايته بدعوته (على الذين يتولونه) أى يطيعونه (والذين هم به) أى بربهم (مشركون) أى والذين هم بسبب حمل الشيطان اياهم على الشرك بالله صاروا مشركين (واذا بدلنا آية مكان آية) أى واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر (والله أعلم بما ينزل) من التغليظ والتخفيف فى مصالح العباد وما الشرائع الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد فالمصالح تدور. وهذه الجملة اعتراضية بين الشرط وجوابه لتوبيخ الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله الى الافتراء فى التبديل وللتنبيه على فساد رأيهم (قالوا) أى الكفار من أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (انما أنت مفتر) أى مختلق من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش والله ما محمد الا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه وانه لايقول هذه الأشياء الا من عند نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية (بل أكثرهم لايعلمون) ان الله لايأمر عباده الا بما يصلح لهم وان فى النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا (قل نزله) أى القرآن (روح القدس) أى الروح المطهر من الأدناس البشرية وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أى بالموافق للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بأن القرآن كلام الله فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا مافيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) وهذان معطوفان على ليثبت فهما منصوبان باعتبار محله ومجروران باعتبار المصدر المؤول (ولقد نعلم أنهم) أى كفار مكة (يقولون انما يعلمه بشر) أى انما يعلم محمدا القرآن بشر لا جبريل كما يدعى قال عبد الله بن مسلم الحضرمى عنوا عبدين لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرآنه فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى كلام الذى ينسبون اليه عبرانى لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصيح الكلام وهذا القرآن كلام عربى ذو بيان وفصاحة فكيف يعلم محمدا وهو جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذى عجزتم عنه وأنتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمى على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى تشيرون اليه فثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أوحاه الله الى محمد وليس هو من تعليم الذى تشيرون اليه ولا هو آت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى

(فاذا قرأت القرآن) أى اذا أردت ان تقرأ القرآن (فاستعذ بالله) فسئل الله أن يعيذك ويمنعك من الشيطان (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى حجة فى اغوائهم ودعائهم الى الضلالة والمعنى ليس له عليهم سلطان للاغواء (انما سلطانه على الذين يتولونه) أى يطيعونه (والذين هم به) أى بسنته وطاعته فيما يدعوهم اليه (مشركون) أى بالله (واذا بدلنا آية مكان آية) أى رفعناها وأنزلنا غيرها لنوع من المصلحة (والله أعلم) بمصالح العباد (بما ينزل) من الناسخ والمنسوخ (قالوا) يعنى الكفار (انما أنت مفتر) أى كذاب تقوله من عندك (بل أكثرهم لايعلمون) أى حقيقة القرآن وفائدة النسخ والتبديل (قل نزله) أى نزل القرآن (روح القدس) أى جبريل (من ربك) أى من كلام ربك (بالحق) أى بالأمر الحق (ليثبت الذين آمنوا) أى بما فيه من الحجج والآيات (وهدى) أى وهو هدى (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) يعنون عبدا لبنى الحضرمى كان يقرأ الكتب (لسان الذى يلحدون اليه) يعنى الذى يميلون اليه القول ويزعمون أنه يعلمك (أعجمى) لايفصح ولا يتكلم بالعربية (وهذا) يعنى القرآن (لسان) لغة (عربى مبين) أفصح مايكون من العربية وأبينه. ثم أخبر ان الكاذبين هم فقال

(ان الذين لايؤمنون بآيات الله) أى لايصدقون أنها من عند الله بل يسمونها افتراء أو معلمة من البشر (لايهديهم الله) الى طريق الجنة (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) أى بل يسوقهم الى النار (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) أى ان المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول انها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم انما أنت مفتر وقلب للأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون (وأولئك هم الكاذبون) أى الكاملون فى الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه) أى من تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى فعليه غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف لدلالة الخبر الآتى عليه (الا من أكره) على التلفظ بالكفر فتلفظ به بأمر لاطاقة له به كالتخويف بالقتل وكالضرب الشديد وكالايلامات القوية مما يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه (وقلبه مطمئن بالايمان) أى والحال أن قلبه لم تتغير عقيدته وهذا دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى ولكن من اعتقد الكفر وانشرح به قلبا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأباه ياسرا وأمه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة فى فرجها فماتت وقتل ياسر وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فقل لهم ماقلت فنزلت هذه الآية (ذلك) أى الكفر بعد الايمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة (وأن الله لايهدى القوم الكافرين) أى وبأنه تعالى ماهداهم الى الايمان وماعصمهم عن الكفر (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن التأمل فى الحق وادراكه (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم فى الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر عواقب الأمور (لاجرم) أى حق (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) حيث صرفوا أعمارهم فيما أفضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى المدينة أى ناصرهم (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا نزلت هذه الآية فى عياش بن ربيعة أخى أبى جهل من الرضاعة أو من أمه وفى أبى جندل بن سهل والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقرأ ابن عامر فتنوا بالبناء للفاعل أى عذبوا المؤمنين كعامر بن الحضرمى أكره مولاه جبرا الرومى حتى ارتد ثم أسلما وحسن اسلامهما وهاجروا (ثم جاهدوا) فى سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرازى (ان ربك من بعدها) أى من بعد هذه الاعمال الثلاثة (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فينعم عليهم مجازاة على ماصنعوا من بعد وهذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد أن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لايكره فلا اثم له فى ذلك وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له الغفران والرحمة ويزيلان العتاب (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) فالظرف منصوب برحيم أو بمحذوف أى ذكرهم يوم يأتى كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى فى خلاصه من العذاب كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وروى عكرمة عن

(أنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم يقولون لما لايقدر عليه الا الله هذا من قول البشر ثم سماهم كاذبين بقوله (وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه) هذا ابتداء الكلام وخبره فى قوله فعليهم غضب من الله ثم استثنى المكره على الكفر فقال (الا من أكره) على التلفظ بكلمة الكفر (وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى فتحه ووسعه لقبول ذلك الكفر (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) أى اختاروها (على الآخرة وأن الله لايهديهم ولايريد هدايتهم ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأنهم غافلون عما يراد بهم ثم حكم لهم بالخسارة وأكد ذلك بقوله (لاجرم) أى حقا (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) المغبونون (ثم ان ربك للذين هاجروا) يعنى المستضعفين الذين كانوا بمكة (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا وأوذوا حتى تلفظوا بما يرضيهم (ثم جاهدوا) مع النبى صلى الله عليه وسلم وصبروا أى على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أى من بعد الفتنة التى أصابتهم (لغفور رحيم) أى يغفر لهم ماتلفظوا به من الكفر تقية (يوم تأتى) أى ذكرهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة كل أحد لايهمه الا نفسه فهو مخاصم ومحتج عن نفسه حتى ان ابراهيم ليدلى بالخلة

عن ابن عباس فى هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى و به أبصرت عيناى و به مشت رجلاى فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناوله فحمل الاعمى المقعد فأصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال الله تعالى عليكما جميعا العذاب (وتوفى كل نفس ماعملت) أى وتعطى كل نفس جزاء ماعملت كاملا (وهم لا يظلمون) بالعقاب بغير ذنب و بالزيادة فى العقاب على الذنوب (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل الله مثلا أهل قرية مكة (كانت آمنة) أى كان أهلها ذوى أمن فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو (مطمئنة) أى كان أهلها صحاحا لأن هواء ذلك البلد لما كان ملائما لأمزجتهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه فلا يحتاجون الى الانتقال منه بسبب الامراض (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) أى يأتى أهل تلك القرية أقوات واسعة من نواحيها من بر و بحر فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب ضيق الرزق قالت العقلاء من بحر الرجز

ثلاثة ليس لها نهايه * الأمن والصحة والكفايه

(فكفرت بأنعم الله) أى كفر أهلها بنعمه تعالى وهى نعمة الامن والصحة والرزق الواسع (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أى أذاق الله أهلها ضرر الجوع والخوف من حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاحوال التى حصلت لهم عند الجوع والخوف نوعان أحدهما أنه لما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والخوف فأشبها الطعام وثانيهما أن أثر الجوع والخوف لما اشتد صار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس وقد ظهر أثرهما عليهم من الهزال وصفرة اللون ونهكة البدن وسوء الحال وكسوف البال ويشبه أيضا أثر الخوف باللباس فى الاحاطة واللزوم وأثر الجوع بالطعام المر البشع فى الكراهة (بما كانوا يصنعون) من تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم واخراجه من مكة والهم بقتله فالله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو وبر يخلط بالدم والقد وهو جلد الماعز الصغير حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وأما خوفهم فهو لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم السرايا فيغيرون على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ثم ان رؤساء مكة أرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب فى جماعة فقدموا المدينة عليه وقال له أبو سفيان يا محمد انك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وهذه الآية نزلت فى المدينة لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات موجودة فى أهل مكة فضربها الله مثلا لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم مثل ماأصابهم من الجوع والخوف والنبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث السرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة (ولقد جاءهم) أى جاء أهل تلك القرية وهى مكة (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون (فكذبوه) فى رسالته (فأخذهم العذاب) بالجوع الذى كان بمكة (وهم ظالمون) أى والحال انهم كافرون بتكذيب رسول الله (فكلوا) يامعشر المسلمين

---

(وتوفى كل نفس ماعملت) أى جزاء ماعملت (وهم لا يظلمون) أى لا ينقصون ثم أنزل فى أهل مكة وما امتحنوا به من القحط والجوع قوله (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) أى ذات أمن لا يغار على أهلها (مطمئنة) أى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لخوف أوضيق (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) كما قال يجبى اليه ثمرات كل شىء (فكفرت بأنعم الله) أى حين كذبوا رسوله) فأذاقها الله لباس الجوع) أى عذبهم الله بالجوع سبع سنين (والخوف) من سرايا النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يبعثهم اليها فيطوفون بهم (بما كانوا يصنعون) أى من تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم واخراجه من مكة (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) أى من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعنى الجوع (فكلوا) يامعشر المؤمنين

(مما رزقكم الله) أى من الغنائم (حلالا طيبا) أى انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهى الميتة والدم (واشكروا نعمة الله) أى واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران (ان كنتم اياه تعبدون) أى تطيعون (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات فى هذه الاربع فالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع داخلة فى الميتة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله تعالى وما أهل لغير الله به (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أى فمن دعته ضرورة المخمصة الى تناول شىء من ذلك غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز قدر الضرورة وسد الرمق فالله لا يؤاخذه بذلك (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل ذكر ألسنتكم الكذب ولتعودها به (لتفتروا على الله الكذب) وهذا بدل من التعليل الأول أى انهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى ويقولون ان الله أمرنا بذلك (أن الذين يفترون على الله الكذب) فى أمر من الأمور (لا يفلحون) أى لا يفوزون بخير لا فى الدنيا ولا فى الآخرة (متاع قليل) أى منفعتهم فى أفعال الجاهلية منفعة قليلة (ولهم فى الآخرة (عذاب أليم وعلى الذين هادوا) خاصة (حرمنا ما قصصنا عليك) يا أشرف المرسلين (من قبل) أى من قبل تحريمنا على أهل ملتك ما عدا ذلك من المحرمات وهو الذى سبق ذكره فى سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدى الى ذلك التحريم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) أى الكفر والمعاصى (بجهالة) أى بسبب جهالة لأن أحدا لا يختار الكفر ما لم يعتقد كونه حقا ولا يفعل المعصية ما لم تصر الشهوة غالبة للعقل فكل من عمل السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك) أى عمل السوء (وأصلحوا) بأن آمنوا وأطاعوا الله (ان ربك من بعدها) أى التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعتهم تركا وفعلا أى لما بالغ الله فى تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن من عند الله وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه بين الله أن أمثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا ندموا على ما فعلوا وآمنوا فالله يخلصهم من العذاب (ان ابراهيم كان أمة) على انفراده لكماله فى صفات الخير وجمعه الفضائل وهو رئيس أهل التوحيد ولأنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا ولذلك وصفه بتسع صفات (قانتا لله) أى مطيعا له تعالى قائما بأمره (حنيفا) أى مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق لا يزول عنه (ولم يك من المشركين) فى أمر من أمور دينهم فانه كان من الموحدين فى الصغر والكبر (شاكرا لأنعمه) روى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فأظهروا أن بهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكلتكم فلولا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء (اجتباه) أى اصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) أى هداه فى الدعوة الى طريق موصل الى الله تعالى وهو ملة الاسلام (وآتيناه فى الدنيا حسنة) أى ولدا صالحا وسيرة حسنة عند كل أهل الاديان فجميع الملل يترضون عن ابراهيم ولا يكفر به أحد (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى لمن أصحاب الدرجات العالية فى الجنة (ثم أوحينا اليك) يا سيد المرسلين مع علو طبقتك (أن اتبع ملة ابراهيم) أى فى كيفية الدعوة الى التوحيد وهو أن يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة واتيان الدلائل مرة بعد اخرى

(مما رزقكم الله) أى من الغنائم وهذه الآية والتى بعدها سبق تفسيرهما فى سورة البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أى لوصف ألسنتكم الكذب والمعنى لا تقولوا لأجل الكذب وبسببه لا لغيره (هذا حلال وهذا حرام) يعنى ما كانوا يحلونه ويحرمونه من الحرث والانعام (لتفتروا على الله الكذب) أى بنسبة ذلك التحليل والتحريم اليه ثم أوعد المفترين فقال (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل) أى لهم فى الدنيا متاع قليل ثم يردون الى عذاب أليم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى قوله فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (وما ظلمناهم) أى بتحريم ما حرمنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بأنواع المعاصى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) أى الشرك (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أى آمنوا وصدقوا وأقاموا لله بفرائضه وانتهوا عن معاصيه (ان ربك من بعدها) أى من بعد تلك الجهالة (لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة) أى كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار (قانتا) أى مطيعا (لله حنيفا) لأنه اختتن وقام بمناسك الحج وقوله (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الذكر والثناء الحسن فى الناس كلهم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) هذا ترغيب فى الصلاح ليصير صاحبه من جملتهم ابراهيم مع شرفه (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم

أخرى بأنواع كثيرة على ماهو الطريقة المألوفة فى القرآن (حنيفا) أى مائلا عن الباطل حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) وهذا تكرير لما سبق لزيادة تأكيد فى الرد على المشركين حيث زعموا انهم كانوا على ملة ابراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أى انما فرض تعظيم يوم السبت على الذين خالفوا نبيهم موسى عليه السلام لأجل يوم السبت فان أهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم فى ستة أيام و بدأ تعالى بالتكوين من يوم الأحد وتم فى يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى عليه السلام اليهود أن يعظموا يوم الجمعة كما هو ملة ابراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الأشغال فيكون عيدا فخالفوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا فى ترك الأعمال فاختاروا السبت فأذن الله تعالى لهم فيه وشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه وقالت النصارى مبدأ التكوين هو يوم الأحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا وقد جاءهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضا فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا واتخذوا الأحد عيدا لهم وقلنا معشر الأمة المحمدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فحصول التمام يوجب الفرح الكامل فهو أحق بالتعظيم و بجعله عيدا وأيضا ان الله تعالى خلق فى يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو أشرف خلقه وتاب عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولأن الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة ولم يختاروه لانفسهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فى الدين فانه تعالى سيحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب (ادع) يا أشرف الرسل من بعثت اليهم من الامة قاطبة (الى سبيل ربك) أى الى دينه (بالحكمة) أى الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وهذه أشرف الدرجات وهى التى قال الله تعالى فى صفتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (والموعظة الحسنة) أى الأمارات الظنية والدلائل الاقناعية (وجادلهم بالتى هى أحسن) أى بدليل مركب من مقدمات مقبولة فالناس على ثلاثة أقسام: الأول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها * والثانى أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان * والثالث الذين تغلب على طباعهم المخاصمة لا طلب العلوم اليقينية فقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها وهم خواص الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الاقناعية الظنية وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة وتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل وهى التى تفيد افحامهم والزامهم والجدل ليس من باب الدعوة بل المقصود منه قطع الجدل عن باب الدعوة لانها لا تحصل به أى ولما أمر الله محمدا ﷺ باتباع ابراهيم بين الشئ الذى أمره بمتابعته فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذى أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) اليه أى انك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بك فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس المظلمة الكدرة و باهتداء النفوس المشرقة الصافية (وان عاقبتم) أى ان أردتم المعاقبة (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أى بمثل ما فعل بكم ولا تزيدوا عليه وقد مر أنه تعالى أمر محمدا ﷺ أن يدعو الخلق الى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم و بالحكم عليه بالضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم و يحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعى بالقتل تارة و بالضرب ثانيا و بالشتم ثالثا ثم ان ذلك الداعى اذا عرف ذلك يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فعند هذا أمر الله الداعى فى هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهى

حنيفا) أمر باتباعه فى مناسك الحج كما علم جبريل ابراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده ونريد اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق فاختاروا السبت ومعنى اختلفوا فيه على نبيهم حيث لم يطيعوه فى أخذ الجمعة فجعل السبت عليهم أى غلظ وشدد الامر فيه عليهم (ادع الى سبيل ربك) أى دين ربك (بالحكمة) أى بالنبوة (والموعظة الحسنة) يعنى مواعظ القرآن (وجادلهم) أى انههم عما هم عليه (بالتى هى أحسن) أى بالكلمة اللينة وهذا قبل الامر بالقتال (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول هو أعلم بالفريقين فهو يأمرك فيهما بما هو الصلاح (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية نزلت حين نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى حمزة وقد مثل به فقال والله لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل بهذه الآية فصبر رسول الله ﷺ وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد وقوله

ظلم وهوممنوع فى عدل الله ورحمته والله تعالى أمر فى هذه الآية برعاية الانصاف فيدخل فيها ماروى أن النبي ﷺ لما رأى عمه حمزة قد مثل به المشركون فى أحد فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثييه وفجروا بطنه قال لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت هذه الآية فكفر عن يمينه وكف عما أراده (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل (لهو) أى الصبر (خير للصابرين) لأن الرحمة أفضل من القسوة والنفع أفضل من الايلام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب فى كيفية الدعوة الى الله تعالى وطلب ترك الزيادة من الظالم وهذا ليس بمنسوخ (واصبر) على ما أصابك من جهتهم من فنون الأذية (وماصبرك) بشىء من الأشياء (الابالله) أى بذكره وبالاستغراق فى مراقبة شئونه تعالى وبالتبتل اليه تعالى بمجامع الهمة (ولاتحزن عليهم) أى الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم (ولاتك فى ضيق) أى غم وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (مما يمكرون) أى من مكرهم بك فى المستقبل فالضيق اذا قوى صار كالشىء المحيط بالانسان من كل الجوانب (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للانسان فى هذين الأمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله والمراد بالمعية هى بالرحمة والفضل والرتبة

﴿ سورة بنى اسرائيل وتسمى سورة الاسراء وسبحان مكية غير قوله وان كادوا ليستفزونك الى قوله سلطانا نصيرا فهؤلاء الآيات الثمانية مدنيات. وعدد آياتها مائة وعشر. وكلماتها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى أسرى بعبده﴾ أى تبرأ عن الشريك من سير عبده محمدا صلى الله عليه وسلم (ليلا) أى فى جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أى من حرم مكة من بيت أم هانىء بنت أبى طالب (الى المسجد الأقصى) أى الأبعد من الأرض وأقرب الى السماء وهو مسجد بيت المقدس وسمى أقصى لأنه أبعد المساجد التى تزار ويطلب بها الأجر من المسجد الحرام وروى ان عبدالله بن سلام قال فى حضرة النبى ﷺ عند قراءته هذه الآية لأنه وسط الدنيا لايزيد شيئا ولا ينقص فقال ﷺ صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والزيتون ولايقال له الحرم اه والحكمة فى اسرائه ﷺ الى بيت المقدس ليحصل له العروج الى السماء مستويا من غير تعريج لما روى عن كعب ان باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل الحكمة فى ذلك ان الشام خيرة الله تعالى من أرضه كما فى حديث صحيح فهى أفضل الارض بعد الحرمين وأول اقليم ظهر فيه ملكه ﷺ وروى ان صخرة بيت المقدس من جنة الفردوس وقيل الحكمة فى ذلك لاظهار الحق على من عاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعانده سبيلا الى الايضاح فلما ذكر انه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا علموا أنه ﷺ لم يكن رآها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس فى ليلة واذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ذلك من خبر المعراج الى السموات وقيل الحكمة فى ذلك ليجمع الله له ﷺ بين القبلتين (الذى باركنا حوله) أى المسجد الأقصى من أرض الشام بركة دنيوية بالمياه والاشجار وبركة دينية لانه مهبط الوحى ومتعبد الأنبياء وأماكنهم أحياء وأمواتا وفى قوله تعالى سبحان الذى أسرى الخ معنى التنزيه والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بينه تعالى وبين أفضل خلقه (لنريه) أى

(ولئن صبرتم) أى عن المجازاة بالمثلة (لهو) أى الصبر خير (للصابرين) ثم أمره بالصبر عزما فقال (واصبر وماصبرك الابالله) أى بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) أى على المشركين باعراضهم عنك (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) أى ولا يضيق صدرك بمكرهم (ان الله مع الذين اتقوا) الفواحش والكبائر (والذين هم محسنون) أى فى العمل بالنصرة والمعونة

﴿تفسير سورة الاسراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى أسرى بعبده﴾ براءة له من السوء أسرى بعبده أى سير محمدا ﷺ (ليلا من المسجد الحرام) يعنى مكة ومكة كلها مسجد (الى المسجد الاقصى) وهو بيت المقدس وقيل له الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذى باركنا حوله) أى بالاشجار والانهار (لنريه

محمدا

محمدا صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أى بعض عجائب قدرتنا العظيمة التى من جملتها ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر وثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات فحصول الحركة البالغة فى السرعة الى هذا الحد فى جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن وحينئذ يلزم أن القول بثبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود فى نفسه لكن يبقى التعجب لانه حاصل فى جميع المعجزات فانقلاب العصا ثعبانا تبلع سبعين ألفا من الحبال والعصى ثم تعود فى الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل الأصم واظلال الجبل العظيم فى الهواء عجيب وكذا القول فى جميع المعجزات فان كان مجرد التعجب يوجب الانكار لزم الجزم بفساد القول باثبات المعجزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب لا يوجب الابطال فكذا ههنا فثبت أن المعراج ممكن غير ممتنع (انه هو السميع البصير) أى انه تعالى هو السميع لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلا اذن البصير بأفعاله بلا عين فيكرمه ويقربه بحسب ذلك أى فهو عالم بكونها مهذبة خالصة من شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء مستأهلة للقرب والزلفى ويقال انه تعالى هو السميع لمقالة قريش البصير بهم روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانىء وقال مثل لى النبيون فصليت بهم فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت هى بثوبه صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبونى فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره بحديث الاسراء فقال أبو جهل يامعشر كعب بن لؤى بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال الى أبى بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا وكذا فقال أبو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى أصدقه على أبعد من ذلك أى كأنه قال لما سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه فى هذا ثم جاء أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلما ذكر صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد أنك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد أنك الصديق حقا ويقال ان هذا العبد الذى اختصصناه بالاسراء هو خاصة السميع لكلامنا البصير لذاتنا فهو السميع أذنا وقلبا بالاجابة لنا والقبول لأوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسيط ضمير الفصل للاشعار باختصاصه صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتينا موسى الكتاب) أى التوراة أى لما ذكر الله تعالى تشريف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكر عقبه تشريف موسى عليه السلام بانزال التوراة عليه مع ما فيه من دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الأمرين المتحدين فى المعنى أى آتيناه التوراة بعد ما أسرينا به الى الطور (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) والضمير يعود الى الكتاب أو الى موسى أى جعلنا موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلا ناهية وان بمعنى أى التفسيرية أو زائدة وتتخذوا على اضمار القول أى فقلنا لا تتخذوا وقرأ أبو عمرو أن لا يتخذوا بالياء خبرا عن بنى اسرائيل فان مصدرية ولا نافية ولام التعليل مقدرة والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بنى اسرائيل لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) أى ربا تفوضون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص على قراءة النهى وعلى مفعول يتخذوا الاول ومن دونى حال من وكيلا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دونى وكيلا فالناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه فى السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافث فالناس كلهم من ذرية أولئك (انه) أى نوحا (كان عبدا شكورا) أى كثير الشكر فى جميع حالاته وفى هذا

من آياتنا) وهو ما رأى فى تلك الليلة من الآيات التى تدل على قدرة الله تعالى ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضا قبله بالكتاب فقال (وآتينا موسى الكتاب) أى التوراة (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) أى دللناهم به على الهدى (أن لا تتخذوا) أى فقلنا لا تتخذوا وأن زائدة والمعنى لا تتوكلوا على غيرى ولا تتخذوا من دونى ربا (ذرية) أى ياذرية (من حملنا مع نوح) يعنى بنى اسرائيل وكانوا من ذرية من كان فى سفينة نوح وفى هذا تذكير بالنعمة اذ أنجى أباهم من الغرق ثم أثنى على نوح فقال (انه كان عبدا شكورا) كان اذا أكل حمد الله واذا لبس ثوبا حمد الله

اعلام بأن انجاء من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك والمعنى ولا تشركوا بى لان نوحا كان عبدا شكورا وأنتم من ذريته فاقتدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وانما يكون العبد شكورا اذا كان موحدا لا يرى حصول شئ من النعم الا من فضل الله تعالى روى أن نوحا عليه السلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولو شاء حبسه واذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) أى أخبرناهم فى التوراة بحصول الفساد مرتين (لتفسدن فى الارض) أى أرض الشام (مرتين) الاولى مخالفة حكم التوراة وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله تعالى وقتل شعياء نبى الله فى الشجرة وذلك أنه لما مات صدقيا ملكهم تنافسوا فى الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى له قم فى قومك فلما فرغ مما أوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها والثانى قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن) أى لتغلبن الناس بغير الحق (علوا كبيرا) أى مجاوزا للحدود ويقال لكل متجبر قد علا (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتى الفساد (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس) أى قتال (شديد) عن حذيفة قال قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله تعالى لسليمان بن داود عليهم السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرذ وذلك أن سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرذ وسخر له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله كيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد (فجاسوا خلال الديار) أى فترددوا فى أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان فى بيت المقدس من هذه الأصناف فاحتملوها على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل فأقاموا يستخدمون بنى اسرائيل ويستملكونهم بالخزى والعقاب والنكال مائة عام (وكان) أى ذلك البعث (وعدا مفعولا) أى منجزا (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة (عليهم) أى على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم عن ذنوبكم ورجعتم عن الافساد بظهور كورش الهمذانى على بختنصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سبيت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) أى رجالا وعددا أى ثم ان الله عز وجل رحمهم فأوحى الى ملك من ملوك فارس وهو كورش الهمذانى أن تسير الى المجوس فى أرض بابل وأن تستنقذ من فى أيديهم من بنى اسرائيل فسار اليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقى من بنى اسرائيل من أيدى المجوس واستنقذ ذلك الحلى الذى كان من البيت المقدس ورده الله اليه كما كان أول مرة (ان أحسنتم) بفعل الطاعات (أحسنتم لأنفسكم) فان ببركة تلك الطاعات يفتح الله عليكم أبواب الخيرات (وان أسأتم) بفعل المحرمات (فلها) أى فقد أسأتم الى أنفسكم فان بشؤم تلك المعاصى يفتح الله عليكم أبواب العقوبات

(وقضينا الى بنى اسرائيل) أى أوحينا اليهم وأعلمناهم فى كتابهم (لتفسدن فى الأرض مرتين) أى بالمعاصى وخلاف أحكام التوراة (ولتعلن علوا كبيرا) أى لتتعظمن ولتبغن (فاذا جاء وعد أولاهما) يعنى أولى مرتى الفساد (بعثنا عليكم) أى أرسلنا عليكم وسلطنا (عبادا لنا) يعنى جالوت وقومه (أولى بأس) أى ذى قوة وبطش شديد (فجاسوا خلال الديار) أى ترددوا وطافوا وسط منازلهم ليطلبوا من يقتلونهم (وكان وعدا مفعولا) أى قضاء قضاه الله عليهم (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى نصرناكم ورددنا الدولة لكم عليهم بقتل جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين) حتى عاد أمركم كما كان (وجعلناكم أكثر نفيرا) أى أكثر عددا من عدوكم (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أى ان أطعتم الله فيما نهى عفا عنكم المساوى (وان أسأتم) أى بالفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم (فلها) أى فعليها يقع الوبال

(فاذا جاء وعد الآخرة) أى وعد المرة الآخرة بعثنا تطوس بن اسبيانوس الرومى مع جنوده (ليسوءوا وجوهكم) أى ليجعلوا آثار الحزن ظاهرة فى وجوهكم وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة ليسوء بالتوحيد أى ليحزن الله أو الوعد أو البعث وجوهكم وقرأ الكسائى لنسوء بنون العظمة (وليدخلوا المسجد) أى بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أى كما دخل الاعداء فيه فى أول مرة (وليتبروا ماعلوا) أى ليهلكوا البلاد التى علوا عليها (تتبيرا) أى اهلاكا أى فلما رجعت بنو اسرائيل الى البيت المقدس عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر فغزاهم فى البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع مافى بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعه فى كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدى ويرده الى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى ينقل الى بيت المقدس (عسى ربكم أن يرحمكم) أى لعل ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة أخرى من المعاصى يابنى اسرائيل (وان عدتم) الى الفساد مرة أخرى (عدنا) الى صب البلاء عليكم فى الدنيا مرة أخرى وان عدتم الى الاحسان عدنا الى الرحمة وقد عادوا الى فعل ما لا ينبغى وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ماورد فى التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدى العرب فجرى القتل والجلاء على قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع ويهود خيبر والباقى منهم مقهورون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سجنا لا يستطيعون الخروج منها أبدا (ان هذا القرآن) الذى آتيناكه (يهدى) كل الناس (للتى هى أقوم) أى للطريقة التى هى أقوم الطرائق وهى ملة الاسلام فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا كبيرا) أى بأن لهم فى مقابلة تلك الاعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم وهذا عطف على قوله أن لهم فالقرآن يبشر المؤمنين ببشارتين بأجر كبير وبتعذيب أعدائهم واعلم ان أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانيين وأن بعضهم قال لن تمسنا النار الا اياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للآخرة (ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير) فى الالحاح أى ان الانسان قد يبالغ فى الدعاء طلبا لشئ يعتقد أن خيره فيه مع أن ذلك الشئ يكون منبع ضرره وهو يبالغ فى طلبه لجهله بحال ذلك الشئ وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغترا بظاهر الامور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها روى أن النضر بن الحرث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الى آخره فأجاب الله تعالى دعاءه وضربت رقبته يوم بدر وقيل المراد ان الانسان فى وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له فى الشر كما يستجاب له فى الخير لهلك (وكان الانسان) بحسب جبلته (عجولا) أى ضجرا لا يتأنى الى أن يزول عنه ما يطرأ عليه فان كل أحد من الناس لا يخلو عن عجلة ولو تركها لكان تركها أصلح فى الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين دالتين على تمام علمنا وكمال قدرتنا فلما بين الله تعالى أن هذا القرآن يدل على الطريق الاقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوى والسفلى فالقرآن نعم الدين ووجود الليل والنهار نعم الدنيا فلولاهما لما حصل للخلق الراحة والكسب والقرآن ممتزج من المحكم والمتشابه فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار فالمحكم كالنهار والمتشابه كالليل فكما ان المقصود من التكليف

وهو أنه بعث عليهم بختنصر فسبا وقتل وخرب ومعنى (ليسوءوا وجوهكم) أى ليحزنوكم حزنا يظهر أثره فى وجوهكم بسبى ذراريكم واخراب مساجدكم (وليتبروا ماعلوا تتبيرا) أى ليدمروا ويخربوا ما غلبوا عليه (عسى ربكم أن يرحمكم) وهذا أيضا مما أخبروا به فى كتابهم والمعنى لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابنى اسرائيل (وان عدتم) بالمعصية (عدنا) بالعقوبة هذا فى الدنيا (و) أما فى الآخرة فقد (جعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سجنا ومحبسا (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى يرشد الى الحالة التى هى أعدل وأصوب وهى توحيد الله والايمان برسله (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) وأن أعداءهم معذبون فى الآخرة (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) الآية ربما يدعو الانسان على نفسه عند الغضب والضجر وعلى أهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير (وكان الانسان عجولا) أى يعجل بالدعاء فى الشر عجلته بالدعاء فى الخير (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين تدلان على قدرة خالقهما

(فمحونا آية الليل) أى طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى مضيئة يبصر فيها (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتبصروا كيف تتصرفون فى أعمالكم (ولتعلموا عدد السنين) بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يتبين العدد (وكل شئ) مما يحتاج اليه (فصلناه تفصيلا) أى بيناه تبيينا لا يلتبس معه غيره (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) أى كتبنا عليه مايعمل من خير وشر (ونخرج له) أى ونظهر له (يوم القيامة كتابا) صحيفة عمله منشورة (اقرأ كتابك) أى يقال له اقرأ كتابك (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى محاسبا يقول كفيت أنت فى محاسبة نفسك (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى ثواب اهتدائه لنفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى على نفسه عقوبة ضلاله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وذلك ان الوليد بن المغيرة قال اتبعونى وأنا أحمل أوزاركم فقال سبحانه ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل نفس ذنب غيرها

لايتم الابذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لايحصل الانتفاع به الابالليل والنهار (فمحونا آية الليل) وهى القمر لأنه يبدو فى أول الأمر على صورة الهلال ثم لايزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يشرع فى الانتقاص قليلا قليلا الى أن يعود الى المحاق (وجعلنا آية النهار) وهى الشمس (مبصرة) أى مضيئة ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة فالاضاءة سبب لحصول الابصار (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتطلبوا فى الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالكسب ومن الثواب الجزيل بأداء الطاعات والاحتراز عن المنهيات (ولتعلموا) بتعاقبهما (عدد السنين والحساب) أى حساب مادون السنين من الشهور والايام والساعات لاقامة مصالح الدينية والدنيوية (وكل شئ) تفتقرون اليه فى مصالح دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أى بيناه فى القرآن تبيينا بليغا لاشبهة فيه فظهر كون القرآن يهدى للتى هى أقوم ظهورا بينا (وكل انسان ألزمناه طائره) أى عمله الذى قدرناه عليه من خير وشر (فى عنقه) وذكر العنق كناية عن شدة اللزم أى ألزمناه عمله كلزوم القلادة أو الغل للصفة بحيث لايفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان زينة له كالطوق وان كان شرا كان شينا له كالغل على رقبته وانما يكنى العمل بالطير لان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متيامنا أو متياسرا أو صاعدا الى الجوالى غير ذلك فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذلك منهم سمى نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشئ باسم لازمه وقيل المراد بالطائر صحيفة الاعمال التى كتبتها الملائكة الحفظة فاذا مات العبد طويت تلك الصحيفة وجعلت معه فى قبره حتى تخرج له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال يارسول الله ما أول مايلقى الميت اذا أدخل قبره قال يا ابن مسعود ماسألنى عنه أحد الا أنت فأول ماينادبه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول ياعبد الله اكتب عملك فيقول ليس معى دواة ولا قرطاس ولا قلم فيقول كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب فى الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويعلقها فى عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه أى عمله فيه وقيل المراد بالطائر كتاب اجابته فى القبر لمنكر ونكير (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أى مكتوبا فيه عمله (يلقاه) أى يلقى الانسان وقرأ ابن عامر يلقاه بضم الياء وفتح اللام والقاف المشددة أى يعطاه (منشورا) أى مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا وقال بكر بن عبد الله يؤتى بالمؤمن يوم القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته فى ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته فى جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن أنها قد أوبقته قال الله تعالى اذهب فقد غفرتها لك فيما بينى وبينك فيعظم سروره (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى محاسبا قال الحسن ومن عدل الله فى حقك جعلك حسيب نفسك. وقال السدى يقول الكافر يومئذ له تعالى انك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما فى تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لاتتخطاه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله (ومن ضل فانما يضل عليها) أى ومن ضل عن الطريقة التى يهديه اليها فانما وبال ضلاله عليها لا على من لم يباشره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لاتحمل نفس حاملة للاثم اثم نفس أخرى بطيبة النفس حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن اثمها ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل أحد مختص بذنب نفسه وهذا اقطع لأطماع

الكفار حيث كانوا يزعمون أنهم ان لم يكونوا على الحق فالعقاب على أسلافهم الذين قلدوهم الدين الفاسد (وما كنا معذبين) قوما بالهلاك (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع وأهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسما ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة فأما السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده فى قلبه كقس بن ساعدة فانه كان اذا سئل هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذى لا يقدر على دفعه وقسم ألقى فى نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به فى عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق ممن تقدمه وقسم طالع فى كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به وقسم آمن بنبيه الذى أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران وأما الاشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعد ما أثبت بلا استقصاء نظر وقسم أشرك عن تقليد محض وقسم علم الحق وعانده وأما الذى تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود الاله عن نظر ناقص لضعف فى طبائعه وقسم أشرك عن نظر أخطأ فيه وقسم عطل بعد ما أثبت بغير نظر قوى ونقل عن السيوطى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) أى واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بعذاب الاستئصال أمرنا على لسان الرسول المبعوث الى أهلها رؤساءها بالاعمال الصالحات وهى الايمان والطاعة وروى برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس آمرنا مترفيها بمد الهمزة أى كثرنا أغنياءها وفساقها وعن أبى عمرو أمّرنا بتشديد الميم أى جعلنا جبابرتها أمراء (ففسقوا فيها) أى فخرجوا عما أمرهم الله وعملوا المعاصى فيها (فحق عليها القول) أى فثبت عليها ما توعدناهم به على لسان رسولنا من الاهلاك (فدمرناهم تدميرا) أى فأهلكناها اهلاك الاستئصال (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أى وكثيرا أهلكنا من الامم الماضية من بعد قوم نوح فان الطريق الذى ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم وانما قال تعالى من بعد نوح لأنه أول من كذبه قومه وخوف تعالى بهذه الآية كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) فانه تعالى عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات وثبت أنه قادر على كل الممكنات فكان قادرا على ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه فانه منزه عن الظلم وهذه بشارة عظيمة لأهل الطاعة وتخويف عظيم لأهل المعصية (من كان يريد) بالذى يعمله (العاجلة) أى الدار العاجلة فقط (عجلنا له فيها) أى فى تلك الدار (ما نشاء) تعجيله له من نعيمها (لمن نريد) تعجيل ما نشاء له وهذا بدل من الضمير باعادة الجار بدل بعض من كل فلا يجد كل واحد جميع ما يهواه فان كثيرا من الكفار يعرضون عن الدين فى طلب الدنيا ثم يبقون محرومين عن الدنيا والدين (ثم جعلنا له) فى الآخرة مكان ما عجلناه (جهنم) وما فيها من أنواع العذاب (يصلاها) أى يدخلها (مذموما) أى مهانا بالذم (مدحورا) أى مطرودا من رحمة الله تعالى قيل نزلت هذه الآية فى مرثد بن ثمامة (ومن أراد الآخرة) أى أراد بعمله ثواب الآخرة (وسعى لها) للدار الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أى عملهم (مشكورا) أى مقبولا عند الله أحسن القبول قيل نزلت هذه الآية فى بلال المؤذن (كلا) أى كل واحد من الفريقين مريد الدنيا ومريد

(وما كنا معذبين) أحدا (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه اقامة للحجة (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) أى أمرناهم على لسان رسول بالطاعة وعنى بالمترفين الجبارين والسلطين والملوك وخصهم بالأمر لأن غيرهم تبع لهم (ففسقوا فيها) أى تمردوا فى الكفر والفسق فى الكفر الخروج الى أفحشه (فحق عليها القول) أى وجب عليها العذاب (فدمرناها تدميرا) أى أهلكناها اهلاك استئصال (من كان يريد العاجلة) أى من كان يريد بعمله وطاعته واسلامه الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) أى القدر الذى نشاء (لمن نريد) أن نعجل له شيئا ثم يدخل النار فى الآخرة (مذموما) أى ملوما (مدحورا) أى مطرودا لانه لم يرد الله بعمله (ومن أراد الآخرة) أى الجنة (وسعى لها سعيها) أى عمل بفرائض الله (وهو مؤمن) لأن الله لا يقبل حسنة الا من مؤمن (فأولئك كان سعيهم مشكورا) أى تضاعف لهم الحسنات (كلا) أى من الفريقين

(نمد) نزيد ثم ذكرهما فقال (هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) يعنى الدنيا وهى مقسومة بين البر والفاجر (وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا فى الدنيا من المؤمنين والكافرين ثم يختص بالمؤمنين فى الآخرة (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق فمن مقل ومكثر (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) من الدنيا لأن درجات الجنة يقتسمونها على قدر أعمالهم (لاتجعل) أيها الانسان المخاطب (مع الله الها آخر فتقعد مذموما) أى ملوما (مخذولا) أى لا ناصر لك (وقضى) أى وأمر (ربك أن لاتعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا) وأمر احسانا بالوالدين (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) يقول ان عاش أحد والديك حتى يشيب و يكبر أوهما جميعا (فلا تقل لهما أف) أى لاتقل لهما رديا من الكلام ولا تستثقل شيئا من أمرهما (ولا تنهرهما) أى لاتواجههما بكلام تزجرهما به (وقل لهما قولا كريما) أى قولا لينا لطيفا (واخفض لهما جناح الذل) أى ألن لهما جانبك واخضع لهما (من الرحمة) أى من رقتك عليهما وشفقتك (وقل رب ارحمهما) أى مثل رحمتهما اياى فى صغرى حتى ربيانى (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) أى بما تضمرون من البر والعقوق (ان تكونوا صالحين) أى طائعين لله (فانه كان للاوابين) أى الراجعين عن معاصى الله (غفورا) أى يغفر لهم ما بدر منهم وهذا فيمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر عقوقا فاذا رجع عن ذلك غفر الله له ثم أنزل فى بر الاقارب وصلة أرحامهم بالاحسان اليهم قوله

الآخرة (نمد) أى نزيد بالعطاء (هؤلاء) أى الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أى الذين يريدون الآخرة وهذان بدلان من كلا فان الله يوسع عليهما فى الرزق من الأموال والاولاد وغيرهما من أسباب العز والزينة فى الدنيا (من عطاء ربك) أى من معطاه الواسع وهذا متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك) أى معطاه فى الدنيا (محظورا) أى ممنوعا من أحد مؤمنا كان أو كافرا لأن الكل مخلوقون فى دار العمل فأزاح تعالى العذر عن الكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى يقتضيه الصلاح (انظر) أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فيما أمددناهم به من العطايا فى الدنيا فمن وضيع و رفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك (وللآخرة أكبر درجات) من درجات الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا فانية متناهية (وأكبر تفضيلا) من تفضيل درجات الدنيا أى التفاوت فى الآخرة أكبر لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم ذكر الله تعالى من أنواع التكاليف خمسة وعشرين نوعا بعضها أصلى و بعضها فرعى وهى تفصيل لثلاثة شروط لأهل الثواب وهى ارادة الآخرة بالعمل وأن يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال (لاتجعل) أيها الانسان (مع الله الها آخر فتقعد) أى فتمكث فى الناس أو فتعجز عن سعادة الآخرة أو فتصير (مذموما) من الملائكة والمؤمنين (مخذولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمرا جزما وقرأ على وابن عباس وعبد الله و وصى ربك (أن لاتعبدوا الا اياه) فأن اما مفسرة أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا ناهية (و بالوالدين) أى أحسنوا بهما (احسانا) عظيما كاملا فان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لاتحصل المكافأة لأن انعامهما عليك كان على سبيل الابتداء وفى الأمثال المشهورة ان البادئ بالبر لايكافأ (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى أول العمر فلا تتضجر لواحد منهما بما تستقذر منه ولا تستثقل من مؤنه أى ولا تقل له كلاما رديئا اذا وجدت منه رائحة تؤذيك كما أنهما لايتقذران منك حين كنت تخرأ وتبول وقرأ حمزة والكسائى يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وقرأ ابن كثير وابن عامر أف بفتح الفاء من غير تنوين ونافع وحفص بكسر الفاء مع التنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تنهرهما) أى لاتغلظ لهما فى الكلام والمراد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير ومن قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولا كريما) أى لينا حسنا بأن يخاطبه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أى لين لهما جانبك المذلول والمراد أفعل التواضع لهما (من الرحمة) أى من أجل فرط عطفك عليهما و رقتك لهما بسبب ضعفهما لا لأجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) أى ادع لهما بالرحمة ولو خمس مرات فى اليوم والليلة بأن تقول رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والأخروية قرحمة مثل تربيتهما اياى فى صغرى و يجوز أن تكون الكاف للتعليل أى لأجل تربيتهما لى (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من الاخلاص وعدمه فى برهما (ان تكونوا صالحين) أى صادقين فى نية البر بالوالدين ان كنتم رجاعين الى الله تعالى (فانه) تعالى (كان للاوابين) أى للرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم (غفورا) فيكفر

عنهم سيئاتهم (وآت ذا القربى) أى أعط ذا القرابة من جهة الأب والأم وان بعد (حقه) من صلة الرحم بالمال أوغيره (والمسكين) أى أعط المسكين حقه من الاحسان اليه (وابن السبيل) أى أعط الضيف النازل بك حقه وهو اكرامه ثلاثة أيام (ولاتبذر تبذيرا) وهو انفاق المال فى المعصية وفى الفخر والسمعة (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى أتباعهم فى الصرف فى المعاصى (وكان الشيطان لربه كفورا) فانه يستعمل بدنه فى المعاصى والافساد فى الأرض وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالا أو جاها فصرفه الى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا لنعمة الله تعالى فكان المبذرون موافقين للشياطين فى تلك الصفة (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى ان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد لكونك كنت فقيرا فى وقت طلبهم منك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا سهلا بأن تعدهم بالاعطاء عند مجىء الرزق أو تقول لهم الله يسهل وروى ان النبى ﷺ كان بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده مايعطى وسئل يقول يرزقنا الله تعالى واياكم من فضله اهـ وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لأن فاقد المال يطلب رحمة الله فسمى الفقر بابتغاء رحمة الله من اطلاق اسم المسبب عن اسم السبب (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) أى لاتجعل يدك فى انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط أى لاتمسك عن الانفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك (ولاتبسطها) فى الانفاق (كل البسط) أى فى وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات أى ولاتتوسع فى الانفاق توسعا مفرطا بحيث لايبقى فى يدك شىء (فتقعد ملوما) أى فتصير ملوما عند الله وعند أصحابك فهم يلومونك على تضييع المال بالكلية وابقاء الأهل والولد فى الضر وتبقى ملوما عند نفسك بسبب سوء تدبيرك وترك الحزم فى مهمات معاشك (محسورا) أى نادما أو منقطعا عنك الأحباب بسبب ذهاب الأسباب (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ان الله يوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض الآخر وهو ربى المربوب ويدفع حاجاته على مقدار الصلاح فعلى العباد أن يقتصدوا فى الانفاق وان يستنوا بسنته تعالى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم ويعلم أن مصلحة كل انسان فى أن لايعطيه الا ذلك القدر فالتفاوت فى أرزاق العباد لأجل رعاية الصلاح لا لأجل البخل (ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق) أى خشية وقوع فقر بكم فقتل الأولاد ان كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعى فى تخريب العالم فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى والثانى ضد الشفقة على خلق الله قال بعضهم والذى حملهم على قتل الاولاد البخل وطول الامل (نحن نرزقهم وإياكم) أى نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شىء فيطرأ عليكم ماتخشونه من الفقر (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى ذنبا عظيما وقرأ الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء وقرأ ابن عامر بفتح الخاء والطاء مع القصر بمعنى ضد الصواب وقرأ ابن كثير بفتح الخاء والطاء مع المد (ولاتقربوا الزنا) باتيان مقدماته (انه) أى الزنا (كان فاحشة) أى ظاهرة القبح لاشتماله على فساد الانساب وعلى التقاتل فان الانسان لايعرف ان الولد الذى أتت به الزانية أهو منه أومن غيره فلايقوم بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وخراب العالم (وساء سبيلا) لانه لايبقى فرق بين الانسان والبهائم فى عدم اختصاص الذكران بالاناث فالله تعالى وصف الزنا فى آية أخرى بصفات ثلاثة فالذى

---

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) أى ماجعل الله لهما من الحق فى المال (ولاتبذر تبذيرا) أى لاتنفق فى غير الحق (ان المبذرين) أى المنفقين فى غير طاعة الله (كانوا اخوان الشياطين) لانهم يوافقونهم فيما يأمرونهم به ثم ذم الشيطان بقوله (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جاحدا لأنعمه وهذا يتضمن أن المنفق فى السرف كفور (وإما تعرضن عنهم) الآية كان رسول الله ﷺ اذا سأله فقراء أصحابه ولم يكن عنده مايعطيهم أعرض عنهم حياء منهم وسكت فهو قوله وإما تعرضن عنهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا سهلا فكان اذا سئل ولم يكن عنده مايعطى قال يرزقنا الله واياكم من فضله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) أى لاتمسكها عن البذل كل الامساك حتى كأنها مقبوضة الى عنقك لاتنبسط لخير (ولا تبسطها كل البسط) أى فى النفقة والعطية (فتقعد ملوما) يعنى تلوم نفسك وتلام (محسورا) يريد ليس عندك شىء من قولهم حسرت الرجل بالمسئلة اذا أفنيت جميع ماعنده نزلت هذه الآية حين وهب رسول الله ﷺ قميصه ولم يجد مايلبسه للخروج فبقى فى البيت (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) أى حيث أجرى رزقهم على مافيه صلاحهم (ولاتقتلوا أولادكم) سبق تفسيره فى سورة الانعام وقوله (خطأ) أى اثما

(ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) يعني بكفر بعداسلام أو زنابعد احصان أوقتل نفس بتعمد (ومن قتل مظلوما) أي بغير احدى
هذه الخصال (فقدجعلنا لوليه سلطانا) أي حجةير يدفي قتل القاتل (فلايسرف في القتل) ولايتجاوز
ماحدله وهوأن يقتل
بالواحداثنين أوغير القاتل
ممن هومن قبيلة القاتل
كفعل العرب في الجاهلية
(انه) أي ان الولي (كان
منصورا) بقتل قاتل وليه
والاقتصاص منه وقيل انه
أي ان المقتول ظلما كان
منصورا في الدنيا بقتل
قاتله وفي الآخرة بالثواب
(ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي أحسن) يعني
الأكل بالمعروف وذكرنا
هذا في سورة الأنعام
(وأوفوا بالعهد) وهوكل
ماأمر به ونهي عنه (ان
العهد كان مسئولا) عنه
(وأوفوا الكيل) أي أتموه
(اذاكلتم وزنوا بالقسطاس
المستقيم) أي بأقوم
الموازين (ذلك خير) أي
أقرب الى الله (وأحسن
تأويلا) أي عاقبة (ولا
تقف ماليس لك به علم) أي
لاتقولن في شيء بما لاتعلم
(ان السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسئولا)
أي يسأل الله تعالى العباد فيم
استعملوا هذه الحواس
(ولاتمش في الارض مرحا)
أي بالكبر والفخر (انك
لن تخرق الارض) أي لن
تنقبها حتى تبلغ آخرها ولا
أن تطاول الجبال والمعنى أن قدرتك لن تبلغ هذا المبلغ لتكون لك وصلة الى الاختيال يريدأنه ليس
ينبغي للعاجزأن يبذخ ويستكبر (كل ذلك) اشارة الى جميع ماتقدم ذكره مماأمر به ونهي عنه (كان سيئة) وهوماحرم الله ونهي عنه

لم يذكر هنا كونه مقتا فان المرأة اذا تمرنت على الزنا يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر سليم واذا
اشتهرت بالزنا تنفرعن مقارنتها طباع أكثر الخلق فحينئذ لاتحصل لها الالفة ولايتم الازدواج
(ولاتقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الابالحق) أي بسبب الحق وهوعند
القصاص فهومتعلق بلا تقتلوا (ومن قتل مظلوما) بغيرحق يبيح القتل للقاتل (فقدجعلنا لوليه)
من الوارث أوالسلطان عندعدم الوارث (سلطانا) أي استيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص أو
بالدية (فلايسرف في القتل) أي فلايسرف الولي في أمر القتل بأن يزيد على القتل المثلة وقطع
الأعضاء أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد أو بأن يقتل القاتل
مع أخذ الدية وقيل المعنى ولايسرف القاتل الظالم والاسراف هو اقدامه على القتل بالظلم وقرأ حمزة
والكسائي فلاتسرف بالتاء على الخطاب أي لاتسرف في القتل أيها الولي أي اكتف باستيفاء
القصاص ولاتطلب الزيادة أو لاتسرف أيها الانسان أي لاتفعل القتل الذي هوظلم محض فانك ان
قتلت مظلوما استولى في القصاص منك ويعضدهذاقراءة ولاتسرفوا (انه كان منصورا) قال
مجاهد ان المقتول المظلوم كان منصورا في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بكثرة الثواب له
وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله له القصاص
أوالدية وأمر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فليكتف بهذا القدر ولايطمع في الزيادة (ولاتقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهي حفظه وارباحه (حتى يبلغ أشده) أي حتى يبلغ الى حيث
يمكنه بسبب رشده القيام بمصالح ماله فحينئذتزول ولاية غيره عنه فان بلغ غيركامل العقل لم تزل
الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم وبين ربكم أوجرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان
مسئولا) أي مسئولا عنه فيسئل الناكث ويعاتب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أي أتموه
(اذاكلتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي بميزان العدل بحيث لايميل الى أحد الجانبين
(ذلك) أي الوزن بالميزان المعتدل وايفاء الكيل والعهد (خير) في الدنيا فانه يوجب الذكر
الجميل بين الناس (وأحسن تأويلا) أي عاقبة في الآخرة فانه يخلص من العقاب الشديد (ولا تقف
ماليس لك به علم) أي لاتكن أيها الانسان في اتباع مالاعلم لك به من قول أوفعل كمن يتبع مسلكا
لايدري أنه يوصله الى مقصده والمراد بالعلم هو الظن المستفاد من سند (ان السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك) أي كل واحد من تلك الأعضاء (كان عنه مسئولا) أي كان كل واحد منها مسئولا
عن نفسه أي عما فعل به صاحبه ولايبعد أن يخلق الله الحياة والعقل والنطق في هذه الأعضاء ثم انه
تعالى يوجه السؤال عليها وفي هذادليل على أن العبدمؤاخذ بعزمه على المعصية. روى عن شكل
ابن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يانبي الله علمني تعويذا أتعوذبه فأخذ بيدي
ثم قال قل أعوذبك من شرسمعي وشر بصري وشرلساني وشرقلبي وشرمنيي قال فحفظتها (ولاتمش
في الأرض مرحا) أي ذا شدة فرح أي لاتمش مشيا يدل على الكبرياء والعظمة (انك لن تخرق
الأرض) أي لن تنقبها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لن يبلغ طولك الجبال والمعنى
تواضع ولاتتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلايليق بك التكبر (كل ذلك) أي المذكور
من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) بضم الهمزة والهاء أي السيء منه وهي المنهيات

الاتنا

الاثنا عشر (عندر بك مكروها) أى محرما مبغوضا فاعله معاقبا عليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو سيئة بالتاء و بالنصب وهو خبر كان وعندر بك صفة لسيئة ومكروها خبر ثان لكان والمعنى كل ماتقدم من المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة كان سيئة أى ذنبا (ذلك مما أوحى اليك ربك) أى ذلك التكاليف الأربعة والعشرون نوعا بعض ما أوحى اليك ربك (من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به وهذا خبر ثان (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما) يلومك نفسك وغيرها (مدحورا) أى مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أى اختاركم ربكم فخصكم بالذكور (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) أى ان كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الأولاد البنون وأخسهم البنات ثم انهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية نقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وذلك يدل على نهاية جهلهم (انكم لتقولون) بسبب ذلك الاعتقاد (قولا عظيما) فى الفرية على الله حيث تجعلونه تعالى من نوع الأجسام ثم تنسبون اليه ما تكرهون من أخس الأولاد ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان (ولقد صرفنا) أى كررنا هذه الدلائل (فى هذا القرآن) أى فى مواضع منه (ليذكروا) بفتح الذال والكاف وتشديدهما أى ليعرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والكسائى ليذكروا ساكنة الذال مضمومة الكاف أى ليفهموا ما فى القرآن أو ليذكروه بألسنتهم فان الذكر باللسان قد يؤدى الى تأثر القلب بمعناه (وما يزيدهم) أى والحال ما يزيدهم ذلك التكرير (الا نفورا) أى تباعدا عن الايمان وهذا دليل على أن الله ما أراد الايمان من الكفار (قل) فى اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى (آلهة كما يقولون) أى كونا موافقا لما يقولون (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) أى لطلبوا الى من له الملك سبيلا بالمغالبة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض وقيل المعنى لو كانت هذه الأصنام تقربكم الى الله زلفى كما تقولون لطلبت لانفسها المراتب العالية فلما لم تقدر على ذلك فكيف يدرك فى العقل أن تقربكم الى الله منزلة (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) أى تنزه الله وارتفع بصفات الكمال عن الشركاء والنقائص ارتفاعا عظيما (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) أى تنزه الله تعالى السموات السبع والارض عن كل نقص بدلالة أحوالها على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك و يصير لها بمنزلة التسبيح وتسبح العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون و يسبح بالياء فى هذه الثلاثة وقرأ حمزة والكسائى كلها بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم فى الاول بالتاء على الخطاب وفى الثانى والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الأولين بالياء على الحكاية والأخير بالتاء وقرأ أبو عمرو الاول والاخير بالتاء والأوسط بالياء (وان من شىء الا يسبح بحمده) أى ما من شىء من الأشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا الا ينزهه تعالى متلبسا بحمده بلسان الحال عما لا يليق بذاته تعالى من لوازم الامكان فالاكوان باسرها شاهدة بتلك النزاهة (ولكن لا تفقهون) أيها المشركون (تسبيحهم) فان الكفار وان كانوا مقرين بألسنتهم باثبات اله العالم لم يتفكروا فى أنواع الدلائل ولم يعلموا كمال قدرته تعالى فاستبعدوا كونه تعالى قادرا على النشر والحشر فهم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركاء وزوجا وولدا وقرىء لا يفقهون على صيغة المبنى للمفعول مع فتح الفاء وتشديد القاف (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم ولذا كان (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك و بين

(ذلك) يعنى ما تقدم ذكره (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى من القرآن ومواعظه و باقى الآية مفسر فى هذه السورة ثم نزل فيمن قال من المشركين الملائكة بنات الله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أى آثركم وأخلص لكم البنين دونه وجعل لنفسه البنات (انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا) أى بينا (فى هذا القرآن) من كل مثل يوجب الاعتبار به والتفكر فيه (ليذكروا) أى ليتعظوا ويتدبروا (وما يزيدهم) أى ذلك البيان والتصريف (الا نفورا) عن الحق وذلك أنهم اعتقدوا أنها حيل وشبه فنفروا منها أشد النفور (قل) للمشركين (لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) أى اذا لابتغت الآلهة أن تزيل ملك صاحب العرش (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) المراد بالتسبيح فى هذه الآية الدلالة على أن الله خالق حكيم مبرأ من الاسواء والمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على هذا وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم مخاطبة للكفار لانهم لا يستدلون ولا يعتبرون (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين

الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن فحجبه الله عن أعينهم
عند قراءة القرآن حتى كانوا يمرون به ولا يرونه وقوله مستورا معناه ساترا (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) سبق
تفسيره في سور الأنعام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي قلت لا اله الا الله وأنت تتلو القرآن (ولوا على
أدبارهم نفورا) أي أعرضوا عنك نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) الآية نزلت حين دعا علي رضي الله عنه أشراف قريش الى طعام اتخذه لهم ودخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله وهم يقولون فيما بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور فأنزل الله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به أي يستمعونه أخبر الله أنه عالم بتلك الحال وبذلك الذي كانوا يستمعونه (اذ يستمعون) الى الرسول (واذ هم نجوى) أي يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء (اذ يقول الظالمون) أي المشركون (ان تتبعون) ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) أي مخدوعا ان اتبعتموه (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي بينوا لك الاشباه حتى شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر (فضلوا) بذلك عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) أي مخرجا (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت
(ورفاتا) يعني ترابا أنبعث ونخلق خلقا جديدا (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أنها
الآية معناها يقول قدروا انكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم لأماتكم الله ثم أحياكم لأن
القدرة التي بها أنشأكم بها يعيدكم وهذا معنى قوله

الذين لايؤمنون بالآخرة) أي المنكرين للبعث (حجابا مستورا) روى ابن عباس أن أباسفيان والنضر بن الحرث وأباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما ماأدري مايقول محمد غير اني أرى شفته تتحرك بشيء وقال أبو سفيان اني لاأرى بعض مايقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت هذه الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم يمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن ادراك ماعليه من النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الحجاب شيء لايراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي موانع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من سماعه اللائق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي اذا أراده بمكروه وهو يقرأ القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن ادراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي غير مقرون بآلهتهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أو على الظرف (ولوا على أدبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ماليس فيه ذكر الله بقوا متحيرين لايفهمون منه شيئا واذا سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى وذم الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (نحن أعلم بما يستمعون) الى قراءة القرآن (به) أي بسببه من الهزء والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي الى قراءتك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره رجلان من ولد قصي أو من بني عبد الدار فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهم ذوو نجوى اذ يقول المشركون بعضهم لبعض انكم ان اتبعتم محمدا فقد اتبعتم رجلا زال عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعو اليه أشراف قريش من المشركين ففعل علي ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لااله الا الله حتى تطيعكم العرب وتنقاد لكم العجم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور وماأشبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى بأنهم يقولون ماتتبعون ان وجدتم الاتباع الا رجلا مخدوعا من قبل الشيطان فانه يتخيل له فيظن أنه ملك ومن جهة الناس فان محمدا يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يخدعونه بهذه الحكايات (انظر) ياأشرف الرسل (كيف ضربوا لك الأمثال) فكل أحد شبهك بشيء آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) في جميع ذلك القول عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فيأتون بما لايرتاب في بطلانه أحد (وقالوا أئذا كنا) أي صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) أي ترابا رميما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي لمخلوقين تجدد الروح فينا بعد الموت (قل) لهم ياأكرم الرسل (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (مما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون حجارة مع

(فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم) أى خلقكم (أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم) أى يحركونها تكذيبا لهذا القول (ويقولون متى هو) أى الاعادة والبعث (قل عسى أن يكون قريبا) يعنى هو قريب  (يوم يدعوكم) أى بالنداء الذى يسمعكم وهى النفخة الأخيرة (فتستجيبون) أى تجيبون (بحمده) وهو أنكم تخرجون من القبور وتقولون سبحانك وبحمدك حمدوا حين لاينفعهم الحمد (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أوفى البرزخ مع مايعلمون من طول لبثهم فى الآخرة (وقل لعبادى) أى المؤمنين (يقولوا التى هى أحسن) نزلت حين شكى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اليه أذى المشركين بمكة واستأذنوه فى قتالهم فقيل له قل لهم يقولوا للكفار الكلمة التى هى أحسن وهو أن يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان) هو الذى يفسد بينهم (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أى يوفقكم فتؤمنوا (أوان يشأ يعذبكم) أى بأن يميتكم على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى ماوكل اليك ايمانهم فليس عليك الا التبليغ (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض) لأنه خالقهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) عن علم منا بشأنهم ومعنى تفضيل بعضهم على بعض تخصيص بعضهم على بعض بفضيلة دون الآخر (وآتينا داود زبورا) أى فلا ينكر تفضيل محمد واعطاؤه القرآن فقد جرت سنتنا بهذا فى النبيين

أنها لاتقبل الحياة بحال أوحديدا مع أنه أصلب من الحجارة أوخلقا غيرهما كائنا من الأشياء التى تعظم فى اعتقادكم عن قبول الحياة كالسموات والارض فلابد من ايجاد الحياة فيكم فان قدرته تعالى لاتعجز عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ممزقة وقد كانت طرية موصوفة بالحياة من قبل والشىء أقبل لما اعتيد فيه مما لم يعتد (فسيقولون) تماديا فى الاستهزاء (من يعيدنا) أى من الذى يقدر على اعادة الحياة الينا اذا صرنا كذلك (قل الذى فطركم أول مرة) أى قل ارشادا لهم الى طريقة الاستدلال فالذى ابتدأ خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم الى الحياة بالقدرة التى ابتدأكم بها فكما لم تعجز تلك عن البداءة لاتعجز عن الاعادة (فسينغضون اليك رءوسهم) أى فسيحركونها جهتك تعجبا وتكذيبا لقولك (ويقولون) استهزاء (متى هو) أى الذى وعدتنا من الاعادة (قل عسى أن يكون) ذلك (قريبا) اذ كل آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان اسرافيل بالنداء الذى يسمعكم من القبور وهو النفخة الأخيرة فان اسرافيل ينادى أيتها الاجسام البالية والعظام والنخرة والأجزاء المتفرقة عودى كما كنت بقدرة الله تعالى وباذنه (فتستجيبون بحمده) قال سعيد بن جبير أى فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال المفسرون حمدوا حين لاينفعهم الحمد وقال الزمخشرى بحمده حال منهم أى حامدين وهذا مبالغة فى انقيادهم للبعث (وتظنون) عندما ترون الاهوال الهائلة (ان لبثتم) أى ما مكثتم فى القبور أوفى الدنيا (الا قليلا) كالذى مر على قرية (وقل لعبادى) أى المؤمنين اذا أردتم اتيان الحجة على المخالفين فاذكروها غير مخلوطة بالشتم والسب فيقابلونهم بمثله ولايخاشنوهم بل (يقولوا) لهم الكلمة (التى هى أحسن) كأن يقولوا يهديكم الله وقيل نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو (ان الشيطان ينزغ بينهم) أى يهيج الشر بين الناس ويغرى بعضهم على بعض لتقع بينهم المخاصمة (ان الشيطان كان) فى قديم الزمان (للانسان عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم) أى بعاقبة أمركم (ان يشأ يرحمكم) بأن يوفقكم للايمان والمعرفة الى أن تموتوا فينجيكم من العذاب (أو ان يشأ يعذبكم) بأن يميتكم على الكفر فيعذبكم الا أن تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا أنتم فى طلب الدين الحق ولاتصروا على الباطل لئلا تصيروا محرومين عن السعادات الأبدية ويقال هذه تفسير التى هى أحسن أى قولوا لهم هذه الكلمة ولاتقولوا أيها المؤمنون للمشركين انكم من أهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع أن عاقبة أمرهم مغيبة عنكم فعسى يهديهم الله الى الايمان ويقال ان يشأ ينجكم منهم وان يشأ يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى موكولا اليك أمرهم فتقسرهم على الايمان وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة عليهم فان اللين عند الدعوة يؤثر فى القلب ويفيد حصول المقصود (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) أى بأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحق ذلك وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أبى طالب نبيا ولايجوز اطلاق يتيم على النبى صلى الله عليه وسلم لاشعاره بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كما فى الشفاء (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لابكثرة الأموال والاتباع وهذا اشارة الى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وآتينا داود زبورا) فيه ذكر فضل سيدنا محمد

(قل ادعوا الذين زعمتم) ابتلى الله قريشا بالقحط سنين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم أي ادعيتم انهم آلهة (من دونه)



ثم أخبر عن الآلهة فقال (فلا يملكون كشف الضر عنكم) يعني البؤس والشدة (ولا تحويلا) أي من السقم والفقر الى الصحة والغنى ثم ذكر أولياءه فقال (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) أي يتضرعون الى الله في طلب الجنة (أيهم) هو (أقرب) أي الى رحمة الله أي يبتغي الوسيلة اليه بصالح الأعمال (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) الآية أي مامن قرية الا ستهلك اما بموت أو بعذاب يستأصلهم أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي مكتوبا في اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات) لما سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوسع لهم مكة ويجعل الصفا ذهبا أتاه جبريل فقال ان شئت كان ماسألوا ولكنهم ان لم يؤمنوا لم ينظروا وان شئت استأنيت بهم وأنزل الله تعالى هذه الآية وسعناها انا لم نرسل بالآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب الذين من قبلهم ويستحقوا العاجلة بالعقوبة (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي آية مضيئة بينة (فظلموا بها) أي جحدوا أنها من الله (وما نرسل بالآيات) أي العبر والدلالات (الا تخويفا) أي للعباد لعلهم يخافون القادر على مايشاء

صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين وأمته خير الأمم وكون الأرض يرثها عباد الله الصالحون وهم محمد وأمته وهذا بيان أن تفضيل داود بايتاء الزبور لا بايتاء الملك والسلطنة ورد لقول اليهود لانبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة أي فاذا أعطى الله تعالى التوراة فلم يبعد أن يعطى داود زبورا وعيسى الانجيل ومحمدا القرآن ولم يبعد أن يفضل محمدا على جميع الخلق فكيف تنكر اليهود ذلك وكفار قريش فضل محمد واعطاءه القرآن (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أي قل يا أشرف الخلق للكفار ادعوا عند الشدة الذين عبدتم من دون الله كعيسى ومريم وعزير وطائفة من الملائكة وطائفة من الجن (فلا يملكون) أي لا يستطيعون (كشف الضر عنكم) أي رفع الشدة عنكم (ولا تحويلا) للضر الى غيركم (أولئك الذين يدعون) أي الذين يتألهونهم (يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أي يحرص من هو أقرب الى ربهم القربة بالطاعة اليه فأولئك مبتدا وخبره يبتغون والذين عطف بيان والوسيلة مفعول ليبتغون والى ربهم متعلق بالوسيلة وأي موصولة بدل من فاعل يبتغون وقيل ان اسم الموصول خبر لاسم الاشارة و يبتغون حال من فاعل يدعون والمعنى أولئك المعبودون لهم يعبدون ربهم يطلبون بتلك العبادة القربة الى ربهم والفضيلة عنده وهم أقرب اليه (ويرجون رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فكيف يكونون آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي يجب الحذر عنه (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) أي ومامن قرية طائعة أهلها أو عاصية الا وتهلك اما بالموت واما بالعذاب فالصالحة يكون اهلاكها بالموت والطالحة يكون اهلاكها بالعذاب بنحو السيف أو المعنى مامن قرية من قرى الكفار الا وتخرب اما بالاستئصال بالكلية أو تعذب بعذاب شديد دون ذلك كقتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال وأخذ الجزية و بفنون العقوبات الأخروية (كان ذلك) أي الاهلاك والتعذيب (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا وقد بين فيه أسباب ذلك ووقته وروى عن بعضهم أن خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون) أي مامنعنا من ارسال المعجزات التي طلبتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا وازالة الجبال عن مكة ليزرعوا أماكنها الا تكذيب الأولين بالمعجزات حين جاءتهم باقتراحهم فيستحقوا عذاب الاستئصال أي لو أظهر الله تلك المعجزات المقترحة لقريش ثم لم يؤمنوا بها صاروا مستحقين لعذاب الاستئصال لكن انزاله على هذه الامة غير جائز لان الله تعالى علم ان فيهم من سيؤمن أو يؤمن أولادهم فلهذه المصلحة ماأجابهم الله تعالى الى مطلوبهم (وآتينا ثمود) باقتراحهم (الناقة مبصرة) بكسر الصاد أي مبينة لنبوة صالح (فظلموا بها) أي ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وأقبلوا أنفسهم للهلاك بعقرها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل على المقترحين فان لم يخافوا ذلك نزل أوما نرسل بغير مقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان أمر المكذبين بها

(واذقلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أى فهم فى قبضة قدرته يمنعك منهم حتى تبلغ الرسالة و يحول بينك و بينهم أن يقتلوك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) يعنى ما أرى ليلة أسرى به وكانت رؤيا يقظة (والشجرة الملعونة فى القرآن) وهى شجرة الزقوم (الا فتنة للناس) وكانت الفتنة فى الرؤيا أن بعضهم ارتد حين أعلمهم بقصة الاسراء وازداد الكفار تكذيبا وكانت الفتنة فى الزقوم أنهم قالوا ان محمدا يزعم أن فى النار شجرا والنار تأكل الشجر وقالوا لانعرف الزقوم الا التمر والزبد فأنزل الله فى ذلك انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات (ونخوفهم) بالزقوم فما يزدادون الا كفرا وعتوا (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) أى أرأيت والكاف توكيد للمخاطبة (هذا الذى كرمت على) أى فضلته يعنى آدم (لئن أخرتنى الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) أى لأستأصلن بالاغواء ولأستولين عليهم الا قليلا يعنى من عصمه الله (قال) الله تعالى (اذهب) أى أنظرتك الى يوم القيامة (فمن تبعك) أى أطاعك (منهم) أى من ذريته (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أى وافرا (واستفزز من استطعت منهم) أى أزعجه واستخفه الى اجابتك بصوتك وهو الغناء والمزامير (وأجلب عليهم) أى وصح (بخيلك و رجلك) واحشهم عليهم بالاغواء وخيله كل راكب فى معصية الله و رجله كل ماش على رجليه فى معصية الله (وشاركهم فى الأموال) وهو كل مال أخذ بغير حق

مؤخر الى يوم القيامة (واذقلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أى واذكر يا أشرف الخلق اذ بشرناك بأن الله يغلب أهل مكة و يقهرهم و يظهر دولتك عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر وعبر الله بالماضى لأن كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) ليلة المعراج وهى ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم على اليقظة بعينى رأسه من عجائب الارض والسماء (الا فتنة للناس) أى الا امتحانا لأهل مكة لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء فمنهم من كذب به ومنهم من كفر بعد اسلامه ومنهم من نافق ومنهم من توقف فى حاله ومنهم من تردد فى قلبه ومنهم من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم وازداد المخلصون ايمانا (والشجرة الملعونة) أى المذمومة (فى القرآن) وهى الزقوم أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس حيث قالوا ان محمدا يزعم أن نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت فى النار شجرة رطبة وهى تحرق الشجر فينسبون لله العجز عن خلق شجرة فى النار غافلين عن قدرته تعالى على كل شىء فان النعامة تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها وان السمندل وهى دويبة فى بلاد الترك يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت طرحت فى النار فيذهب وسخها وتبقى هى سالمة لاتعمل فيها النار (ونخوفهم) بشجرة الزقوم و بعذاب الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) ذلك التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى الا تماديا فى المعصية وتجاوزا عن الحد فلو انا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لازدادوا تماديا فى العناد فأهلكوا بعذاب الاستئصال كعادة من قبلهم وقد حكمنا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة الى الطامة الكبرى (واذقلنا للملائكة) الذين كانوا فى الأرض (اسجدوا لآدم) بوضع الجبهة عليه اماهو المسجود له أوهو قبلة للسجود والمسجود له هو الله تعالى (فسجدوا الا ابليس) وكان داخلا تحت الأمر بالسجود لأنه مندرج تحت زمرتهم (قال) عندما و بخه الله تعالى (أأسجد لمن خلقت طينا) أى من طين (قال) أى ابليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذى كرمت على) أى أخبرنى عن هذا الذى فضلته على بأمرك لى بالسجود له لم فضلته على وأنا خير منه من حيث أنا مخلوق من العنصر العالى (لئن أخرتن) حيا (الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) أى لأستأصلنهم بالاغواء أو لأقودنهم الى المعاصى كما تقاد الدابة بحبلها (الا قليلا) لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم قرأ ابن كثير أخرتن باثبات ياء المتكلم فى الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى بالحذف وقرأ نافع وأبو عمرو باثباته فى الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أى امض لشأنك الذى اخترته واعلم (فمن تبعك منهم) أى ذرية آدم فى دينك (فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك ومن تبعك (جزاء موفورا) أى مكملا فكل معصية توجد يحصل لابليس مثل وزر ذلك العامل لأنه هو الأصل فيها فلذلك يخاطب بالوعيد (واستفزز) أى استزل (من استطعت منهم) استزلاله (بصوتك) أى بدعائك الى معصية الله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك و رجلك) أى واجمع عليهم مصحوبا بجنودك الركاب والمشاة فروى أبو الضحى عن ابن عباس أنه قال كل راكب أو ماش فى معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم و رجلك بكسر الجيم وقرأ غيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم فى الأموال) أى فى كل تصرف قبيح فيها

(والاولاد) وهوكل ولدزنا (وعدهم) أن لاجنة ولانار ولا بعث وهذه الانواع من الامر كلها أمر تهديد قال الله تعالى (ومايعدهم الشيطان الاغرورا ان عبادى) أى عبادى من المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) أى حجة فى الشرك (وكفى بربك وكيلا) أى لأوليائه يعصمهم من القبول من ابليس (ربكم الذى يزجى) أى يسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) أى فى طلب التجارة (انه كان بكم) أى بالمؤمنين (رحيما واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (فى البحر ضل) أى زال و بطل (من تدعون) أى من الآلهة (الاایاه) أى الاالله (فلما نجاكم)  من الغرق وأخرجكم (الى البر أعرضتم) أى عن الايمان والتوحيد

(والاولاد) أى فى الافعال القبيحة والحرف الذميمة والاديان الزائغة والاسماء المنكرة (وعدهم) أى بالامانى الباطلة (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) أى مايعدهم من الامانى الكاذبة الالأجل الغرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبادى) المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقدرة على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) أى حفيظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان الله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) أى الذى يسوق لمنافعكم السفن على وجه البحر (لتبتغوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحيما) حيث سهل عليكم مايعسر من أسباب ماتحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (فى البحر ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم تعبدون من دون الله (الاایاه) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لانكم تعلمون أنه لاينجيكم سواه (فلما نجاكم) من الغرق وأخرجكم من البحر (الى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد ورجعتم الى الاشراك (وكان الانسان كفورا) أى منكرا لنعم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم) أى أنجوتم من هول البحر فأمنتم أن نغور البر بكم (جانب البر) الذى أنتم فيه ونصيركم تحت الثرى كما خسف بقارون (أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أى ريحا ترمى حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) أى حافظا يحفظكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أى فى البحر تارة أخرى) بأسباب تلجئكم الى أن تركبوه وان كرهتم (فيرسل عليكم قاصفا) أى كاسرا (من الريح فيغرقكم) بعد كسر فلككم فى البحر (بما كفرتم) أى بسبب اشراككم وكفرانكم لنعمة الانجاء (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) أى ثائرا يطالبنا بما فعلنا بكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو هذه الخمسة أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بنون العظمة على سبيل الالتفات والباقون بياء الغيبة (ولقد كرمنا بنى آدم) بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على مافى الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات والعلم والنطق وتناول الطعام باليد وغير ذلك (وحملناهم فى البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أى من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والسمن واللبن والنباتية كالثمار والحبوب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى فضلناهم على غير الملائكة تفضيلا عظيما بالعقل والقوى المدركة التى يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم و يستعملوا قواهم فى تحصيل العقائد الحقة (يوم ندعو كل أناس بامامهم) أى بمن اقتدوا

(وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) أى لنعمة ربه جاحدا ثم بين أنه قادر أن يهلكهم فى البر فقال (أفأمنتم) يريد حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر (أن نخسف بكم) أى نغيبكم ونذهبكم فى جانب البر وهو الأرض (أو نرسل عليكم حاصبا) أى عذابا يحصبهم أى يرميهم بحجارة (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يعنى مانعا ولا ناصرا (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) أى فى البحر (تارة) أى مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا) أى ريحا شديدة تقصف الفلك وتكسره (فنغرقكم بما كفرتم) أى بكفركم حيث سلمتم فى المرة الأولى (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) أى ثائرا ولا ناصرا والمعنى لاتجدوا من يتبعنا بانكار مانزل بكم (ولقد كرمنا) أى فضلنا (بنى آدم) أى بالعقل والنطق والتمييز (وحملناهم فى البر) أى على الابل والخيل والبغال والحمير (والبحر) أى وفى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أى الثمار والحبوب والمواشى والسمن والزبد والحلاوى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) يعنى البهائم والدواب والوحش (يوم ندعوا) يعنى يوم القيامة (كل أناس بامامهم) أى نبيهم وهو أن يقال هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى هاتوا متبعى محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم أهل الحق فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال هاتوا متبعى الشيطان هاتوا متبعى رؤساء الضلالة وهذا معنى قول ابن عباس امام هدى أو امام ضلالة وقوله

(ولا يظلمون فتيلا) أى لا ينقصون فتيلا من الثواب وهى القشرة التى فى شق النواة (ومن كان فى هذه) أى فى الدنيا أعمى القلب عما يرى من قدرتى فى خلق السموات والأرض والشمس والقمر وغيرها (فهو فى الآخرة) أى فى أمر الآخرة مما يغيب عنه (أعمى) أى أشد عمى (وأضل سبيلا) أى وأبعد حجة (وان كادوا) الآية نزلت فى وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة فانا نحب ان تعرف العرب فضلنا  عليهم فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك وأقبلوا يلحون على النبى ﷺ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقدهم أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى (وان كادوا) أى هموا أوقاربوا (ليفتنونك) أى ليستزلونك (عن الذى أوحينا اليك) يعنى القرآن والمعنى عن حكمه وذلك ان فى اعطائهم ماسألوا مخالفة لحكم القرآن (لتفترى علينا غيره) أى لتختلق علينا غير ما أوحينا اليك وهو قولهم قل الله أمرنى بذلك (واذا) أى لو فعلت ماأرادوا (لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك) أى على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيئا قليلا) أى ركونا قليلا ثم توعده على ذلك لوفعله فقال (اذا لأذقناك ضعف الحياة) أى ضعف عذاب الدنيا (وضعف الممات) أى وضعف عذاب الآخرة يعنى ضعف ما يعذب به غيره (وان كادوا ليستفزونك) يعنى اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان الأنبياء انما بعثوا بالشام فان كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت اليها آمنا بك فوقع ذلك فى قلبه لحب ايمانهم فأنزل الله هذه الآية. معنى ليستفزونك ليزعجوك من الأرض يعنى المدينة (واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا) أعلم الله انهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا حتى يستأصلوا كسنتنا فيمن قبلهم وهو قوله

اقتدوا به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ينادى يوم القيامة ياأمة ابراهيم ياأمة موسى ياأمة عيسى ياأمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى ياأتباع فرعون ياأتباع نمروذ ياأتباع ثمود وقال الضحاك وابن زيد أى بكتابهم الذى أنزل عليهم فينادى فى القيامة ياأهل القرآن ياأهل التوراة ياأهل الانجيل وقال الربيع وأبو العالية والحسن أى بكتاب أعمالهم كأن يقال ياأصحاب كتاب الخير ياأصحاب كتاب الشر وقيل بمذاهبهم فيقال ياحنفى ياشافعى يامعتزلى ياقدرى ونحو ذلك وقرئ يدعى كل أناس على البناء للمفعول (فمن أوتى كتابه بيمينه) وهم أولو البصائر فى الدنيا (فأولئك يقرأون كتابهم) الذى أعطوه تبجحا بما سطر فيه من الحسنات (ولا يظلمون) أى لا ينقصون من أجور أعمالهم المكتوبة فى كتبهم (فتيلا) أى قدر فتيل وهو القشرة التى فى شق النواة (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) أى من كان فى الدنيا أعمى عما يرى من قدرة الله فى خلق السموات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب وعن الشكر عن النعم المذكورة فى الآيات المتقدمة فهو فى الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والدهشة على قلبه فيثقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلا) من الأعمى لتعطل الآلات بالكلية (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) أى ان الشأن قاربوا ان يزيلوك عن حكم القرآن (لتفترى علينا غيره) أى لتكذب علينا غير الذى أوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) أى لو اتبعت أهواءهم لكنت وليا لهم ولخرجت من ولايتى قال ابن عباس فى رواية عطاء قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى رسول الله ﷺ ذلك ولم يجبهم فكرروا ذلك الالتماس وقالوا انا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فان كرهت ما نقول وخشيت ان تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أى لولا تثبيتنا اياك على الحق بعصمتنا اياك لقاربت أن تميل اليهم شيئا يسيرا فيما طلبوك (اذا) لو قاربت الميل من قلبك (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لصار عذابك مثلى عذاب المشرك فى الدنيا ومثلى عذابه فى الآخرة (ثم) اذا أذقناك العذاب المضاعف (لاتجد لك علينا نصيرا) أى أحدا يخلصك من عذابنا (وان كادوا ليستفزونك) أى ليستزلونك (من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا) أى واذا لو أخرجوك لا يلبثون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى نهلكهم قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا ياأبا القاسم ان الأنبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة

وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام آمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت هذه الآية فرجع ثم قتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وعلى هذا فالآية مدنية والمراد بالأرض أرض المدينة وهذا قول الكلبى وقال قتادة ومجاهد هم المشركون أن يخرجوا رسول الله ﷺ من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه فأهلكوا ببدر بعد هجرته ﷺ وعلى هذا فالآية مكية والمراد بالأرض أرض مكة وهذا اختيار الزجاج وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباقون خلافك بكسر الخاء وفتح اللام مع المد (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى سننا سنته فيمن قد أرسلنا قبلك أى ان عادة الله أن يهلك كل قوم أخرجوا نبيهم من بينهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى تغييرا أى أن ما أجرى الله تعالى به العادة لا يقدر أحد أن يبدل تلك العادة (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أى لأجل زوال الشمس عن كبد السماء (الى غسق الليل) أى الى اجتماع ظلمة الليل وهو وقت صلاة العشاء والمعنى أقم الصلاة من وقت زوال الشمس الى ظلمة الليل بأن تديم كل صلاة فى وقتها فيدخل فى هذا الظهر والعصر والمغرب (وقرآن الفجر) أى أقم صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تحضره الملائكة الكاتبون والحفظة فانهم يتعاقبون على ابن آدم فى صلاة الصبح وصلاة العصر وتشهده شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء وتبدل النوم بالانتباه فتشهد العقول بأنه لا يقدر على تقليب كلية هذا العالم الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة وتشهده الجماعة الكثيرة (ومن الليل فتهجد به) أى وقم بعض الليل فاترك النوم فى ذلك الوقت للصلاة وقيل المعنى تهجد بالقرآن بعض الليل أى صل فى ذلك بالقرآن (نافلة لك) أى زيادة لك فى كثرة الثواب وارتفاع الدرجات مختصة بك فان كل طاعة يأتى بها النبى ﷺ سوى المكتوبة لا يكون تأثيرها فى كفارة الذنوب البتة لأن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الأمة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات لهم لتكفير الذنوب فلهذا السبب قال تعالى نافلة لك أى ان الطاعات هذه زوائد فى حقك لا فى غيرك كما نقل عن مجاهد والسدى ومن قال ان صلاة الليل كانت واجبة على النبى ﷺ قالوا معنى نافلة لك ان صلاة الليل فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أى ان يقيمك ربك مقاما محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) أى فى المدينة (وأخرجنى مخرج صدق) أى من مكة اليها وذلك حين أمر النبى بالهجرة كما قاله ابن عباس والحسن أو المعنى وأخرجنى من المدينة الى مكة غالبا عليها بفتحها وقيل الأكمل مما سبق أن يقال رب أدخلنى فى الصلاة وأخرجنى منها مع الصدق والاخلاص وحضور قلبى بذكرك ومع القيام بلوازم شكرك والأكمل من ذلك أن يقال رب أدخلنى فى القيام بمهمات أداء شرائعك وأخرجنى بعد الفراغ منها اخراجا لا يبقى على منها تبعة والأعلى مما سبق أن يقال رب أدخلنى فى بحار دلائل توحيدك وتنزيهك ثم أخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل فى آثار حدوث المحدثات الى الاستغراق فى معرفة الفرد المنزه عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلنى القبر ادخالا مرضيا

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) الآية يقول لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه الا أهلكوا (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى لا خلف لسنتى ولا يقدر أحد أن يقلبها (أقم الصلاة) أى أدمها (لدلوك الشمس) أى من وقت زوالها (الى غسق الليل) أى اقباله بظلامه فيدخل فى هذا صلاة الظهر والعصر والعشاءين (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سماها قرآنا لأن الصلاة لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهده ملائكة الليل والنهار (ومن الليل فتهجد) أى فصل (به) أى بالقرآن (نافلة لك) أى زيادة لك فى الدرجات لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة له من أجل انه لا يعمل ذلك فى كفارة الذنوب (عسى أن يبعثك) عسى من الله واجب ومعنى يبعثك (ربك) أى يقيمك ربك فى مقام محمود وهو مقام الشفاعة يحمده فيه الخلق (وقل رب أدخلنى) لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة أنزلت عليه هذه الآية ومعناها أدخلنى المدينة ادخال صدق أى ادخالا حسنا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجنى) أى من مكة اخراج صدق لا ألتفت اليها بقلبى

وأخرجنى

(واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى قوة بالقدرة والحجة حتى أقيم بها دينك (وقل جاء الحق) أى الاسلام (وزهق الباطل) اضمحل الشرك (ان الباطل) أى الشرك (كان زهوقا) أى مضمحلا زائلا أمر أن يقول هذا عند دخول مكة يوم الفتح (وننزل من القرآن) أى من الجنس الذى هو قرآن (ماهو شفاء) أى من كل داء لان الله يدفع به كثيرا من المكاره (ورحمة للمؤمنين) أى ثواب لا انقطاع له فى تلاوته (ولا يزيد) يعنى القرآن (الظالمين) أى المشركين (الاخسارا) لانهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه (واذا أنعمنا على الانسان) يريد الوليد بن المغيرة (أعرض) أى عن الدعاء والابتهال فلا يتبهل فى الدعاء كابتهاله فى البلاء والمحنة (ونأى بجانبه) أى بعد بنفسه عن القيام بحقوق الله (واذا مسه الشر) أى أصابه المرض والفقر (كان يؤسا) أى ييئس من رحمة الله لانه لايثق بتفضل الله على عباده (قل كل يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الاعراض عند الانعام واليأس عند الشدة والمؤمن يفعل مايشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر والاحتساب عند البلاء ألاترى أنه قال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى بالمؤمن الذى لايعرض عند النعمة ولاييأس عند المحنة (ويسألونك) يعنى اليهود (عن الروح) وهو مايحيى به البدن سألوه عن ذلك وحقيقته وكيفيته وموضعه من البدن وذلك مما لم يخبر الله به أحدا ولم يعط علمه أحدا من عباده فقال (قل الروح من أمر ربى) أى من علم ربى أى انكم لاتعلمونه وقيل من خلق ربى أى أنه مخلوق له (وما أوتيتم من العلم الاقليلا) وكانت اليهود تدعى علم كل شيء بما فى كتابهم فقيل لهم وما أوتيتم من العلم الاقليلا بالاضافة الى علم الله

واخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى اجعل لى فى هذا البلد من لدنك قوة ظاهرة فى تثبيت دينك واظهار شرعك أو اجعل لى من عندك حجة بينة تنصرنى بها على جميع من يخالفنى (وقل جاء الحق) أى ظهر الاسلام (وزهق الباطل) أى هلك الشرك وتسويلات الشيطان (ان الباطل) أى أى باطل كان (كان) بجبلته (زهوقا) زائلا على أسرع الوجوه (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من جميع الأمراض الظاهرة والباطنة (ورحمة للمؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم العالية والأخلاق الفاضلة التى يصل بها الانسان الى قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الاخسارا) أى لايزيد القرآن المشركين الاهلاكا بتكذيبهم (واذا أنعمنا على الانسان) بأن وصل الى مطلوبه (أعرض) أى اغتر وصار غافلا عن طاعة الله (ونأى بجانبه) أى تباعد من أهل الحق ولم يقتد بهم تعظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه الشر) أى أصابه بلاء (كان يؤسا) أى قنوطا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل كل) أى كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أى طريقته التى توافق حاله فى الهدى والضلالة فان كانت نفسه طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أصوب طريقا (ويسألونك عن الروح) الذى هو سبب حياة البدن بنفخه فيه (قل الروح من أمر ربى) أى من فعل ربى أو من علم ربى فانه مما اختص الله تعالى بعلمه روى أن اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصتين وأبهم شأن الروح وهو مبهم فى التوراة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة حقيقة الروح وقال بعضهم جاء فى الخبر فى بعض الروايات أن الله تعالى خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم ولكنه جعلها محصورة فى عالمين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين فعبر عن عالم الدنيا وهو مايدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو مايدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخفى بالأمر فعالم الأمر هو الأوليات التى خلقها الله تعالى للبقاء بمحض الأمر التكوينى من غير تحصيل من أصل وهى الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسى والجنة والنار وسمى عالم الأمر أمرا لان الله أوجده بلا واسطة شىء بل بأمر كن من لاشىء ولما كان أمره تعالى قديما فما يكون بالأمر القديم كان باقيا وان كان حادثا وسمى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بوسائط شىء مخلوق خلقه للفناء فمعنى الروح من أمر ربى انه من عالم الأمر والبقاء لامن عالم الخلق والفناء اه فلا يمكن تعريف الروح بمباديه ولايحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالى ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم

(ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) أى لنمحونه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر (ثم لاتجدلك به علينا وكيلا) أى لاتجد من تتوكل عليه فى رد شىء منه (الارحمة من ربك) أى لكن الله رحمك فأثبت ذلك فى قلبك وقلوب المؤمنين (ان فضله كان عليك كبيرا) أى حيث جعلك سيد ولد آدم وأعطاك المقام المحمود (قل لئن اجتمعت الانس والجن) الآية لما تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وعجزوا عن معارضته أنزل الله قل لئن اجتمعت الانس والجن (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) فى نظمه و بلاغته (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معينا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه (ولقد صرفنا) أى بينا (للناس) يعنى أهل مكة (فى هذا القرآن من كل مثل) أى من الأمثال التى يجب الاعتبار بها (فأبى أكثر الناس) أى أكثر أهل مكة (الا كفورا) أى جحدوا الحق واقترحوا من الآيات ماليس لهم وهو قوله (وقالوا لن نؤمن لك) أى لن نصدقك (حتى تفجر) أى تشقق (لنا من الارض ينبوعا) أى عينا وذلك أنهم سألوا أن يجرى لهم نهرا كأنهار الشام والعراق (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) هذا أيضا كان فيما اقترحوا عليه (أو تسقط السماء كما زعمت) أن ربك ان شاء فعل ذلك (علينا كسفا) أى قطعا (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) أى تأتى بهم حتى نراهم مقابلة وعيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى من ذهب وكان فيما اقترحوا عليه أن تكون لهم جنات وكنوز وقصور من ذهب (أو ترقى فى السماء) وذلك أن عبد الله بن أبى أمية قال لا أومن بك يا محمد أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فقال الله

الا قليلا أى وما أعطيتم من العلم فيما عند الله الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) من القرآن أى لنزيلن العلم به عن القلوب وعن المصاحف (ثم لاتجدلك به) أى القرآن (علينا وكيلا) أى من تتوكل عليه فى استرداد شىء منه محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك) أى لكن أبقيناه الى قرب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والمصاحف (ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن عليك و بجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطائك المقام المحمود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أى لئن اتفق الانس والجن والملائكة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يقدرون على اتيان مثله وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر فى كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معينا بضم أقوى ما فيه الى أقوى ما فى صاحبه (ولقد صرفنا) أى كررنا بوجوه مختلفة توجب زيادة بيان (للناس) أى لاهل مكة (فى هذا القرآن) المنعوت بالنعوت الفاضلة (من كل مثل) أى من كل معنى بديع يشبه المثل فى الغرابة ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أى فلم يرض أكثر أهل مكة (الا كفورا) أى جحودا للحق (وقالوا) عند ظهور عجزهم بالقرآن وغيره من المعجزات الباهرة (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أى أرض مكة (ينبوعا) أى عينا لا ينضب ماؤها (أو تكون لك) وحدك (جنة) أى بستان تستر أشجاره ما تحتها من العرصة (من نخيل وعنب) أى وأشجار عنب وعبر بالثمرة لان الانتفاع بغيرها من الكرم قليل (فتفجر) أى أنت (الأنهار خلالها) أى وسطها (تفجيرا) والمراد اجراء الأنهار فى وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها وتفجر الأولى تكون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم عند عاصم وحمزة والكسائى و بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة عند الباقين ولم تختلف السبعة فى تفجر الثانية أنها مشددة (أو تسقط السماء كما زعمت) بقولك ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (علينا كسفا) أى قطعا بالعذاب (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) أى مقابلين ومرئيين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى فى السماء) أى تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) أى لصعودك الى السماء أصلا (حتى تنزل علينا كتابا) من الله (نقرؤه) فيه أنك رسول الله الينا أى لما ظهر لهم كون القرآن معجزا التمسوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المعجزات كما حكى عن ابن عباس أن رؤساء أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فسير جبالها لننتفع بها وفجر لنا فيها عيونا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا فقال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من زخرف فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع أن تأتى قومك بما يسألونك

فقال

فقال لاأستطيع قالوا فاذا كنت لاتستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن أمية المخزومى وهو ابن عاتكة عمته صلى الله عليه وسلم لاأومن بك أبدا حتى تشد سلما الى السماء فتصعد فيه ونحن ننظر اليك فتأتى بنسخة منشورة معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لاأدرى أنؤمن بك أم لا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال بصيغة الماضى (سبحان ربى) أى أنزه ربى عن أن يكون له اتيان وذهاب وأتعجب من اقتراحاتهم (هل كنت الا بشرا رسولا) أى مأمورا من قبل ربى بتبليغ الرسالة كسائر الرسل لايأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات (ومامنع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبوتك (اذجاءهم الهدى) أى القرآن (الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الينا أى ومامنع الناس من الايمان وقت مجىء الوحى الا اعتقادهم ان الله تعالى لو أرسل رسولا الى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة وانكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهتنا جوابا لقولهم (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) عليها (مطمئنين) أى قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى لو كان أهل الأرض ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر لتمكنهم من الاجتماع والفهم منه لمماثلتهم له فى الجنس (قل) لهم (كفى بالله) وحده (شهيدا بينى و بينكم) بأنى رسوله اليكم (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) أى محيطا ببواطن أحوالهم وظواهرها أى فانكم انما أنكرتم هذا لمحض الحسد والاستنكاف من الانقياد للحق (ومن يهد الله فهو المهتد) بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف وأما فى النطق فقرأ نافع وأبو عمرو باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقون فى الحالين (ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (من دونه) تعالى يهدونهم الى طريق الحق أى فمن سبق لهم حكم الله بالايمان وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال استحال أن ينقلبوا عن ذلك الضلال وان يوجد من يصرفهم عنه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا) لايبصرون مايسر أعينهم (و بكما) لاينطقون مايقبل منهم (وصما) لايسمعون مايلذ مسامعهم (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهبها بعد أكل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم ماتتعلق به النار (زدناهم سعيرا) أى توقدا باعادة الجلود واللحوم ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا (ذلك) العذاب (جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة (وقالوا) منكرين لقدرتنا (أئذا كنا عظاما ورفاتا) أى ترابا رميما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى بعثا جديدا (أولم يروا) أى ألم يتفكروا ولم يبصروا بعيون قلوبهم (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق) أى يعيد بالاحياء (مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه) أى وقتا معلوما عند الله لاشك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأبى الظالمون) أى لم يقبل المشركون بعد هذه الدلائل الظاهرة (الا كفورا) أى جحودا للأجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى خزائن رزقه التى أفاضها على كافة الموجودات (اذا لأمسكتم) ماملكتم (خشية الانفاق) أى مخافة

(قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) أى ان هذه الأشياء ليس فى قوى البشر (ومامنع الناس) يعنى أهل مكة (أن يؤمنوا) أى الايمان (اذجاءهم الهدى) يعنى البيان وهو القرآن (الا أن قالوا) أى الا قولهم فى التعجب والانكار (أبعث الله بشرا رسولا) أى هلا بعث ملكا فقال الله تعالى (قل لو كان فى الأرض) بدل الآدميين (ملائكة يمشون مطمئنين) أى مستوطنين الأرض (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يريد ان الابلغ فى الاداء اليهم بشر مثلهم وقوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أى يمشيهم الله على وجوههم (عميا) لايرون شيئا يسرهم (و بكما) أى لاينطقون بحجة (وصما) أى لايسمعون شيئا يسرهم وقوله (كلما خبت) أى سكن لهبها (زدناهم سعيرا) أى نارا تتسعر (ذلك جزاؤهم) هذه الآية مفسرة فى هذه السورة (أولم يروا) أى أو لم يعلموا (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) أى يخلقهم ثانيا وأراد بمثلهم اياهم وتم الكلام ثم قال (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) يعنى أجل الموت وأجل القيامة (فأبى الظالمون) أى المشركون (الا كفورا) أى جحودا بذلك الاجل وهو البعث والقيامة (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى خزائن الرزق (اذا لأمسكتم) أى لبخلتم (خشية الانفاق) أى خشية أن تنفقوا فتفتقروا

(وكان الانسان قتورا) أي فقيرا ثم ذكر قصة موسى وما آتاه الله من الآيات فقال (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وهي اليد والعصا
وفلق البحر والطمسة وهي قوله ربنا اطمس على أموالهم والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (فاسأل) يا محمد (بني اسرائيل) أي
المؤمنين من قريظة والنضير (اذ  جاءهم) يعني جاء آباءهم وهذا سؤال استفهام ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد بقول
علمائهم (فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا) أي ساحرا (قال) موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) أي عبرا ودلالات (واني لأظنك) أي لأعلمك (يافرعون مثبورا) يعني ملعونا مطرودا (فأراد) يعني فرعون (ان يستفزهم) أي يخرجهم يعني موسى وقومه (من الأرض) يريد أرض مصر وقوله (فاذا جاء وعد الآخرة) يريد القيامة (جئنا بكم لفيفا) أي مجتمعين مختلطين (وبالحق أنزلناه) أي أنزل القرآن بالدين القائم والأمر الثابت (وبالحق نزل) يريد بمحمد نزل القرآن أي عليه كما تقول نزلت بزيد (وما أرسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا فرقناه) أي قطعناه آية آية وسورة سورة في عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) أي تؤدة وترسل ليفهموه (ونزلناه
تنزيلا) أي نجوما بعد نجوم وشيئا بعد شيء (قل) لاهل مكة (آمنوا به) أي بالقرآن (أو لا تؤمنوا) وهذا
تهديد أي فقد أنذر الله و بلغ رسوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي من قبل القرآن يعني ناسا من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على
محمد ﷺ خروا سجدا وقوله (اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا)

الفقر فلا فائدة في اسعافكم بذلك المطلوب الذي التمستموه (وكان الانسان قتورا) أي بخيلا
(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واضحات الدلالة على نبوته وهي اليد والعصا والجراد والقمل
والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات (فاسأل بني اسرائيل) أي فاسأل يا أشرف
الرسل بني اسرائيل الذين كانوا في زمانك عن موسى فيما جرى بينه و بين فرعون وقومه ليظهر صدق
ماذكرته عند المشركين فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد وهذه الجملة اعتراضية بين العامل
والمعمول (اذ جاءهم) أي حين جاء موسى بني اسرائيل الذين كانوا في زمانه عليه السلام وهذا الظرف
متعلق بآتينا فأظهر ما آتيناه من الآيات عند فرعون و بلغه ما أرسل به (فقال له فرعون اني
لاظنك ياموسى مسحورا) أي مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسائي بضم
التاء والباقون بفتحها فالضم قراءة علي والفتح قراءة ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على
(الا رب السموات والأرض بصائر) أي أدلة ظاهرة يستدل بها على صدقي ولكنك تنكرها للحسد
وحب الدنيا (واني لاظنك) أي لاعلمك (يافرعون مثبورا) أي ملعونا ممنوعا من الخير (فأراد أن
يستفزهم) أي أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الأرض) بالقتل (فأغرقناه ومن معه
جميعا) في البحر (وقلنا من بعده) أي من بعد اغراقه (لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض
الشام ومصر (فاذا جاء وعد الآخرة) أي البعث بعد الموت (جئنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لفيفا)
أي مختلطين أنتم وهم فيختلط جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من
أشقيائكم (و بالحق أنزلناه و بالحق نزل) أي ما أردنا بانزال القرآن الا اثبات الحق وكما أردناه هذا المعنى
فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد انزاله عليك ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا
ملتبسا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها
(وما أرسلناك) يا أفضل الخلق (الا مبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصي بالعقاب فهؤلاء الجهال
الذين اقترحوا عليك تلك المعجزات وتمردوا عن قبول دينك لا شيء عليك من كفرهم (وقرآنا
فرقناه) وقرأ العامة بتخفيف الراء أي بينا حلاله وحرامه أو فرقنا فيه بين الحق والباطل وقرأ علي
وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال
وقصص وأخبار ماضية ومستقبلة أو نزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف
في تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما (لتقرأه على الناس على مكث) بضم الميم وفتحها أي على تأن
لتكون الاحاطة على دقائقه وحقائقه أسهل (ونزلناه) من عندنا (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وثلاثا
وهكذا بحسب ما تقتضيه الحكمة وما يحصل من الواقعات (قل) للذين اقترحوا تلك المعجزات (آمنوا
به) أي القرآن (أولا تؤمنوا) فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عن الايمان به لا يورثه نقصا
(ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي من قبل نزول القرآن منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي (اذا يتلى) أي القرآن (عليهم يخرون للاذقان)
أي يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (سجدا) لله شكرا على انجاز وعده في تلك الكتب

من بعثتك ونزول القرآن (ويقولون) فى سجودهم (سبحان ربنا) أى تنزيها له عن خلف وعده (ان) أى ان الشأن (كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لمفعولا) أى منجزا (ويخرون للاذقان) للسجود لما أثر فيهم من مواعظ القرآن (يبكون) من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن أو البكاء أو السجود أو المتلو (خشوعا) أى تواضعا لله كما يزيدهم يقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أى سموا المعبود بحق بهذا الاسم قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الأية أى ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن (أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) أى أى هذين الاسمين سميتم فهو حسن لأن للمسمى بذلك الاسماء الحسنى ومعنى حسن أسماء الله كونها مفيدة لمعانى التحميد والتقديس والتمجيد والتعظيم وعلى صفات الجلال والكمال (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك (ولا تخافت بها) أى بقراءتها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) أى اطلب بين الجهر والمخافتة (سبيلا) أى أمرا وسطا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة وكان أبو بكر يخفى صوته بالقراءة فى صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لم تخفى صوتك فقال أناجى ربى وقد علم حاجتى وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل من له ولد يمسك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد أفاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان منقضيا فلا يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فلا يستحق الحمد على الاطلاق (ولم يكن له شريك فى الملك) أى فى الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة لأنه لو كان معه اله آخر لتصرف فى الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر (ولم يكن له ولى من الذل) أى ناصر منه لأنه لو جاز عليه ناصر من أجل الذلة لم يجب شكره لجواز أن يكون غيره تعالى حمله على الانعام أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتحميد يجب أن يكون مقرونا بالتكبير والتكبير يكون فى ذاته تعالى بأن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وانه غنى عن كل ماسواه وفى صفاته بأن يعتقد أن كل صفة له فهو من صفات الجلال والكمال والعز والعظمة وكل واحد من تلك الصفات لانهاية له وان كل صفة له قديمة سرمدية منزهة عن التغير وفى أفعاله كأن يقول انا نحمد الله ونكبره عن أن يجرى فى سلطانه شئ لا على وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته وارادته وفى أحكامه بأن يعتقد أنه ملك مطاع فلا اعتراض لأحد عليه فى شئ من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء وفى أسمائه بأن لا يذكر الا بأسمائه الحسنى ولا يوصف الا بصفاته المنزهة ثم ينبغى للعبد بعد أن يبالغ فى التكبير والتنزيه والتحميد والطاعة مقدار عقله وفهمه أن يعترف أن عقله وفهمه لا يفى بمعرفة جلال الله ولسانه لا يفى بشكره وأعضاءه لا تفى بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره وافيا بكنه مجده وعزته. وروى أن قول العبد الله أكبر خير من الدنيا ومافيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى

ويقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى وعده بانزال القرآن وبعث محمد (ويخرون للاذقان) كرر القول لتكرر الفعل منهم (يبكون ويزيدهم) القرآن (خشوعا قل ادعوا الله) الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه يا الله يا رحمن فسمع ذلك أبو جهل فقال ان محمدا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر مع الله يقال له الرحمن فأنزل الله (قل) يا محمد (ادعوا الله) يا معشر المؤمنين (أو ادعوا الرحمن) أى ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن (أيا ما تدعوا) أى أى أسماء الله تدعوا (فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمعها المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) يعنى ولا تخفيها من أصحابك فلا تسمعهم (وابتغ بين ذلك سبيلا) أى اسلك طريقا بين الجهر والمخافتة وقوله (ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يكن له ولى ينصره ممن استذله (وكبره تكبيرا) أى وعظمه عظمة تامة

عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت و بعد الموت انه تعالى ناشر العظام بعد الموت وسامع الصوت. حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

﴿سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيهما عيينة بن حصن الفزاري. وهي مائة واحدى عشرة آية. وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الاعلام بثبوت الحمد لله وانشاء الثناء بذلك (الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي القرآن (ولم يجعل له عوجا) أي اختلالا في النظم وتنافيا في المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيما) أي وجعله قائما بمصالح العباد وأحكام الدين وقيل هاتان الجملتان حالان من الكتاب متواليان أي غير مجعول له عوجا قيما (لينذر) تعالى بالكتاب الكافرين (بأسا شديدا من لدنه) أي عذابا شديدا نازلا من عنده تعالى (و يبشر المؤمنين) أي المصدقين به وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وسكون الموحدة وضم الشين (الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) في الجنة (ماكثين فيه أبدا) أي خالدين في الأجر من غير انتهاء (و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله (مالهم به من علم ولا لآبائهم) أي ليس لهم ولا لأحد من أسلافهم الذين قلدوه علم بهذا القول أهو صواب أو خطأ بل انما قالوه رميا عن جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز و بالرفع على الفاعلية فعلى النصب يكون فاعل كبرت مضمرا مفسرا بما بعده وهو للذم والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة الشنعاء والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون في ذلك الشأن الا مقولا كذبا (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) والمراد بالترجي النهي عن الغم أي لا تهلك نفسك بالغم من بعد اعراضهم عن الايمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي بهذا القرآن (أسفا) أي لفرط الحزن (انا جعلنا ما على الارض) حيوانا كان أو نباتا أو معدنا (زينة لها) أي الارض ليتمتع بها الناظرون من المكلفين و ينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان العقارب والحيات من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة من نوع المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته (لنبلوهم) أي لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أيهم أطوع لله وأشد استمرارا على خدمته (وانا لجاعلون ما عليها) أي الارض من المخلوقات قاطبة عند تناهي عمر الدنيا (صعيدا جرزا) أي ترابا لا نبات فيه (أم حسبت) أي أظننت (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا) أي من بين آياتنا (عجبا) أي آية ذات عجب وفي الآيات أي آثار قدرة الله تعالى ما هو أعجب من ذلك وهي السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار. وعجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقيم كتاب أصحاب الكهف وقيل هو لوح رصاصي

﴿تفسير سورة الكهف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) أي اختلافا والتباسا (قيما) أي مستقيما يريد أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (لينذر) الكافرين (بأسا) أي عذابا (شديدا من لدنه) أي من قبله وقوله (أجرا حسنا) يعني الجنة (و ينذر) أي بعذاب الله (الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم اليهود والنصارى (مالهم به) أي بذلك القول (من علم) لأنهم قالوا جهلا وافتراء على الله (ولا لآبائهم) أي الذين قالوا ذلك (كبرت) أي مقالتهم تلك (كلمة تخرج من أفواههم) كلمة تمييز للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أي مقالتهم المذكورة (ان) ما (يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) أي قاتلها (على آثارهم) أي على أثر توليهم واعراضهم عنك لشدة حرصك على ايمانهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفا) أي غيظا وحزنا (انا جعلنا ما على الارض) يعني ما خلق في الدنيا من الاشجار والنبات والماء وكل ذي روح دب على الارض (زينة لها) يقول زيناها بما خلقنا فيها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أي أزهد فيها وأترك لها ثم أعلم أنه مفن لذلك كله فقال (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) أي بلاقع ليس فيها نبات (أم حسبت) أي بل حسبت (أن أصحاب الكهف) وهو المغارة في الجبل (والرقيم) وهو اللوح الذي كتب فيه أسماؤهم وأنسابهم (كانوا من آياتنا عجبا) أي لم او يكونوا أعجب آياتنا ولم يكونوا العجب من آياتنا فقط فان آياتنا كلها عجب وكانت قريش سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن خبر فتية فقدوا في الزمان الاول بتلقين اليهود قريشا فأنزل الله على نبيه خبرهم فقال

( اذ أوى الفتية الى الكهف) أى واذكر اذ أوى الفتية الى الكهف هربوا اليه ممن يظلمهم واشتغلوا بالدعاء والتضرع (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أعطنا من عندك مغفرة ورزقا (وهيئ) وأصلح (لنا من أمرنا رشدا) ارشدنا الى مايقربنا اليك (فضربنا على آذانهم) سددنا آذانهم بالنوم (فى الكهف سنين عددا) معدودة (ثم بعثناهم)



أيقظناهم من نومهم (لنعلم) أى لنرى

أوحجرى كتبت فيه أسماؤهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم (اذ أوى الفتية الى الكهف) ظرف لعجبا أى حين التجأ الشبان الى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الأعداء (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) أى يسر لنا من أمرنا الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والثابرة على طاعتك اصابة للطريق الموصل الى المطلوب (فضربنا على آذانهم) أى فعقب هذا القول ألقينا على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل الى أسماعهم الأصوات الموقظة من نومهم (فى الكهف سنين عددا) أى معدودة وفى الكهف حال من المضاف اليه (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم الثقيل (لنعلم) أى لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أى الحزبين) أى المختلفين فى مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أى ضبط غاية لبثهم فيظهر لهم عجزهم ويفوضون ذلك الى العليم الخبير ويتعرفون ماصنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم فيزدادون يقينا بكمال قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفارهم فالمراد بالحزبين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به وقرئ ليعلم بالياء مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام أى ليعلم الله الناس أى الحزبين أحصى الخ (نحن نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم بالحق) أى على وجه الصدق (انهم فتية) أى جماعة من الشبان (آمنوا بربهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين (وربطنا على قلوبهم) أى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والاخوان واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) أى حين انتصبوا لاظهار شعار الدين أو وقت قاموا بين يدى الملك دقيانوس الكافر فانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها) أى لن نعبد أبدا معبودا آخر (لقد قلنا اذا شططا) أى والله لئن عبدنا غيره لقد قلنا حينئذ قولا زورا على الله قال أصحاب الكهف عند خروجهم من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخذوا) أى عبدوا (من دونه آلهة) فقومنا عطف بيان لاسم الاشارة أو خبره واتخذوا حال منه (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتعجيز وتبكيت لهم (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى فليس أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى فان الحكم بثبوت الشئ مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض الفتية لبعض وقت اعتزالهم (واذ اعتزلتموهم ومايعبدون) أى واذ أردتم اعتزالهم واعتزال الشئ الذى تعبدونه (الا الله فأووا الى الكهف) أى التجئوا اليه وهذا جواب اذ (ينشر لكم ربكم من رحمته) أى يبسطها عليكم فى الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أى ويسهل لكم من أمركم الذى أنتم عليه من الفرار بالدين ماتنتفعون به غدا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم فى رواية مرفقا بفتح الميم وكسر

(أى الحزبين) من المؤمنين والكافرين (أحصى) أعد (لما لبثوا) للبثهم فى الكهف نائمين (أمدا) وكأنه وقع اختلاف بين فرقتين من المؤمنين والكافرين فى قدر مدة فقدهم ومنذ فقدوهم فبعثهم الله تعالى من نومهم ليتبين ذلك (نحن نقص عليك نبأهم) أى خبرهم (بالحق) أى بالصدق (انهم فتية) يعنى شبابا وأحداثا (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أى ثبتناهم على ذلك (وربطنا على قلوبهم) أى ثبتناهم بالصبر واليقين (اذ قاموا) بين يدى ملكهم الذى كان يفتن أهل الايمان عن دينهم (فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا) أى كذبا وجورا ان دعونا غيره (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) يعنون الذين عبدوا الأصنام فى زمانهم (لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادتهم (بسلطان بين) أى بحجة واضحة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى فزعم ان معه إلها فقال لهم تمليخا وهو رئيسهم (واذ اعتزلتموهم) أى فارقتموهم (ومايعبدون) أى من الأصنام (الا الله) فانكم لن تتركوا عبادته (فأووا الى الكهف) أى صيروا اليه (ينشر لكم ربكم من رحمته) أى يبسطها عليكم (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أى ويسهل لكم غذاء تأكلونه

(وترى الشمس اذاطلعت تزاور ) أى تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أى فى ناحية اليمين (واذا غربت تقرضهم) تتركهم وتتجاوزعنهم (ذات الشمال) أى فى ناحية الشمال فلا تصيبهم الشمس البتة لأنها تميل عنهم طالعة وغاربة



الفاء والجمهور بالعكس (وترى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعدما صار والى الكهف وهذا ليس اخبارا بوقوع الرؤية تحقيقا بل الأخبار بكون الكهف بحيث لوأبصرته تبصر الشمس (اذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر تزور وساكنة الزاى مشددالراء ونافع وابن كثير وأبو عمرو تزاور بتشديد الزاى وبالألف وعاصم وحمزة والكسائى تزاور بالتخفيف والألف أى تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أى جانب الكهف الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذاغربت تقرضهم ذات الشمال) أى تعدل عن سمت رءوسهم الى جهة الشمال الذى يلى المشرق فان الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم فى فجوة منه) أى والحال انهم فى فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أى المذكور من انامتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم فى ذلك الغار تلك المدة الطويلة (من آيات الله) العجيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهوالمهتد) أى الذى أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضلل) الله (فلن تجدله) أبدا (وليا مرشدا) أى ناصرا يهديه الى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظا) أى لو رأيتهم أيها المخاطب لانفتاح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولئلا يتأثر مايلى الأرض منها بطول المكث فالله قادر على حفظهم من غير تقليب ولكن جعل لكل شىء سببا فى أغلب الأحوال (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أى بموضع الباب من الكهف وكان الكلب أنمر أوأصفر أوأصهب أوأحمر أوأسمر واسمه قطمير أو ريان أو تتوه أو قطمور أو ثور أو حمران وكان لواحد منهم فلما خرجوا تبعهم فمنعوه فأنطقه الله وتكلم وقال أنا أحب أحباب الله فمكنوه من الذهاب معهم فلما ناموا نام كنومهم ولما استيقظوا استيقظ معهم ولما ماتوا مات معهم (لواطلعت عليهم) أى لو شاهدتهم (لوليت منهم فرارا) أى لأدبرت عنهم هربا بما شاهدت منهم (ولملئت منهم رعبا) أى خوفا يملأ الصدر لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة فكل من رآهم فزع فزعا شديدا وقرأ نافع وابن كثير لملئت بتشديد اللام وروى أيضا عن ابن كثير بالتخفيف كالجمهور وقرأ السوسى بابدال الهمزة ياء وقفا ووصلا وحمزة فى الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائى رعبا بضم العين فى جميع القرآن والباقون بالاسكان (وكذلك) أى كما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بعثناهم) أى أيقظناهم من النوم بعد مضى ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضا فى مدة لبثهم (قال قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسلمينا (كم لبثتم) أى كم مقدار مكثكم فى منامكم فى هذا الغار (قالوا) أى بعضهم (لبثنا يوما) لأنهم دخلوا الكهف غدوة ثم ناموا وطلع الشمس وكان انتباههم آخر النهار فلما خرجوا فنظروا الى الشمس وقد بقى منه شىء قالوا (أو بعض يوم قالوا) أى بعض آخر منهم وهو مكسلمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأنتم لاتعلمون مدة لبثكم (فابعثوا أحدكم) هو تمليخا كما قاله ابن اسحاق (بورقكم هذه الى المدينة) وهى منبج أوأفسوس بضم الهمزة هذا فى الجاهلية وتسمى فى الاسلام طرسوس بفتح الراء (فلينظر أيها) أى أى أهلها (أزكى طعاما) أى أبعد عن كل حرام لأن ملكهم

فتكون صورهم محفوظة (وهم فى فجوة) متسع (منه) من الكهف ينالهم برد الريح ونسيم الهواء (ذلك) أى التزاور والقرض (من آيات الله) ودلائل قدرته ولطفه بأصحاب الكهف (من يهد الله فهو المهتدى) أشار الى أنه هو الذى تولى هدايتهم ولولا ذلك لم يهتدوا (وتحسبهم أيقاظا) لأن أعينهم مفتحة (وهم رقود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه) يديه (بالوصيد) أى بفناء الكهف (لو اطلعت) أى لو أشرفت (عليهم لوليت) أى أعرضت (منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) خوفا وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد (وكذلك) أى وكما فعلنا بهم هذه الأشياء (بعثناهم) أى أيقظناهم من تلك النومة (ليتساءلوا بينهم) أى ليكون بينهم تساؤل عن مدة لبثهم (قال قائل منهم كم لبثتم) أى كم مر علينا منذ دخلنا الكهف (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله آخر النهار لذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية فقال تمليخا (ربكم أعلم بما لبثتم) رد علم ذلك الى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) أى بدراهمكم (هذه الى المدينة فلينظر أيها) أى أى أهلها (أزكى طعاما)

أى أحل من جهة أنه ذبيحة مؤمن أو من جهة أنه غير مغصوب وقوله (وليتلطف) فى دخول المدينة وشراء الطعام حتى لا يطلع عليه (ولا يشعرن) أى ولا يخبرن (بكم) ولا بمكانكم (أحدا انهم ان يظهروا



عليكم) أى يطلعوا و يشرفوا عليكم (يرجموكم) أى يقتلوكم (أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يردوكم الى دينهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) أى لن تسعدوا فى الدنيا ولا فى الآخرة ان رجعتم الى دينهم (وكذلك) أى وكما بعثناهم وأنمناهم (أعثرنا عليهم) أى أطلعنا عليهم (ليعلموا) أى ليعلم القوم الذين كانوا فى ذلك الوقت (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق وأن الساعة) أى القيامة (لا ريب فيها) يعنى لا شك فيها وذلك انهم يستدلون ببعثهم على صحة أمر البعث (اذ يتنازعون) أى اذكر يا محمد اذ يتنازع أهل ذلك الزمان أمر أصحاب الكهف (بينهم) وذلك أنهم كانوا يختلفون فى مدة مكثهم وعددهم وقيل تنازعوا فقال المؤمنون نبنى عليهم مسجدا وقال الكافرون نحوط عليهم حائطا يدل على هذا قوله (قالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى استروهم عن الناس ببناء حولهم (و) قوله (ربهم أعلم بهم) يدل على أنه وقع تنازع فى عدتهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم المؤمنون وكانوا غالبين فى ذلك الوقت (لنتخذن عليهم مسجدا) فذكر فى القصة أنه جعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه (سيقولون

---

كان ظالما وعامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم (فليأتكم برزق) أى بطعام (منه) أى من ذلك الازكى (وليتلطف) أى وليرفق فى الشراء كى لا يغبن وفى دخول المدينة لئلا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) أى لا يخبرن بمكانكم أحدا من أهل المدينة فان ذلك يستلزم شيوع أخباركم (انهم ان يظهروا عليكم) أى ان يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (يرجموكم) أى يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصيروكم الى ملتهم كرها (ولن تفلحوا) أى لن تسعدوا (اذا) أى ان دخلتم فيها ولو بالكره (أبدا) أى فى الدنيا والآخرة (وكذلك) أى وكما أنمناهم و بعثناهم (أعثرنا عليهم) أى أطلعنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ مسلما يسمى يستفاد وذلك أن دقيانوس مات وانقضت قرون ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل مملكته فى الحشر و بعث الأجساد من القبور فشك فى ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الأرواح دون الأجساد فان الجسد تأكله الارض وقال بعضهم تبعث الأرواح والأجساد جميعا وكبر ذلك على الملك و بقى حيران لا يدرى كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابه ولبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله تعالى فى طلب حجة و برهان فأعثره الله على أهل الكهف فانهم لما بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لانه ظهرت فى بشرة وجهه آثار عجيبة تدل على أن مدته قد طالت طولا خارجا عن العادة لان ورقه كان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان صالحا قد آمن هو ومن معه فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم وسأل الفتى فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فرارا من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه لعل الله قد بعث لكم آية فلنسر الى الكهف فركب مع أهل المدينة اليهم فلما دنوا الى الكهف قال تمليخا أنا أدخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة أمة مسلمة فخرجوا الى الملك وأعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم ورجع من شك فى بعث الأجساد فهذا معنى أعثرنا عليهم (ليعلموا) أى الذين أعثرناهم وهم الملك ورعيته على أحوالهم العجيبة (أن وعد الله) بالبعث للروح والجثة معا (حق) أى صادق بطريق أن القادر على انامتهم مدة طويلة وابقائهم على حالهم بلا اغذاء قادر على احياء الموتى قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أى وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء (لا ريب فيها) أى لا شك فى قيامها (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) فى صحة البعث وهذا ظرف لقوله تعالى أعثرنا لا لقوله ليعلموا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف و يتبين الحق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى لما أعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فعاد الفتية الى كهفهم فأماتهم الله تعالى فقال بعضهم ابنوا على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربيتهم (ربهم أعلم بهم) كأن المتنازعين لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب والاسم ومن حيث العدد ومن حيث اللبث فى الكهف قالوا ذلك تفويضا للأمر الى علام الغيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون أو أولياء أصحاب الكهف أو رؤساء البلد (لنتخذن عليهم مسجدا) نعبد الله فيه ونستبقى آثارهم بسبب ذلك المسجد (سيقولون) أى يقول بعض المتنازعين لك يا أشرف

ثلاثة) الآية أخبر الله تعالى عن تنازع يجرى فى عدة أصحاب الكهف يجرى ذلك بالمدينة حين قدم وفد نصارى نجران فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة (رابعهم كلبهم) وقال النسطورية (خمسة سادسهم كلبهم) وقال المسلمون كانوا (سبعة وثامنهم كلبهم) فقال الله (قل



ر بى أعلم بعدتهم مايعلمهم الاقليل) أى من الناس قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من ذلك القليل ثم ذكرهم بأسمائهم فذكر سبعة (فلاتمار) أى فلاتجادل (فيهم) أى فى أصحاب الكهف (إلامراءظاهرا) أى بما أنزل عليك يعنى أفت فى قصتهم بالظاهر الذى أنزل اليك وقل مايعلمهم الاقليل كما أنزل الله مايعلمهم الا قليل (ولا تستفت فيهم) أى فى أصحاب الكهف (منهم) أى من أهل الكتاب (أحدا ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الاأن يشاء الله) هذا تأديب من الله لنبيه وأمرله بالاستثناء بمشيئة الله فيما يعزم ويقول اذاقلت لشئ انى فاعله غدا فقل ان شاء الله (واذكر ر بك اذا نسيت) أى اذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا تذكرت (وقل عسى أن يهدينى ر بى) أى يعطينى ر بى من الآيات والدلالات على النبوة مايكون أقرب فى الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف ثم فعل الله به ذلك حيث آتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم فى الكهف بقوله اى (ولبثوا فى كهفهم) أى من حين دخلوه الى أن بعثهم الله (ثلاثمائة سنين وازدادوا) بعدها تسع سنين (قل) يا محمد (الله أعلم بمالبثوا) أى ممن يختلف فى ذلك (له غيب السموات والارض) أى علم ماغاب فيهما عن العباد

الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم اليعقوبية من نصارى نجران هم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) أى النصارى أو العاقب وأصحابه وهم النسطورية منهم هم (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) أى ظنا بالغيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أى المسلمون أو الملكانية من النصارى هم (سبعة وثامنهم كلبهم قل) يا أشرف الخلق (ر بى أعلم بعدتهم مايعلمهم الاقليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماؤهم تمليخا مكشلينا مشليتيا هؤلاء الثلاثة أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش برنوش شاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشطيطيوش واسم كلبه قطمير وقال ابن عباس هم سبعة مكسلمينا تمليخا مرطونس نينونس سار بونس ذونوانس فليستطيوس وهو الراعى وعن ابن مسعود كانوا تسعة وسماهم ابن اسحق تمليخا مكسلمينا محسلينا مرطونس كسوطونس سورس يكر بوس بطسوس قالوس اه وقال ابن عباس رضى الله عنهما خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطف الحريق تكتب على خرقة وترمى فى وسط النار تطفأ باذن الله تعالى ولبكاء الطفل والحمى المثلثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللركوب فى البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين (فلا تمار فيهم) أى فلاتجادل معهم فى عدد الفتية (الامراء ظاهرا) بأن لاتكذبهم فى تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لادليل عليه (ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى لاتشاور أحدا من أهل الكتاب فى شأن الفتية (ولاتقولن) يا أكرم الرسل (لشئ) أى لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أى الاقائلا ان شاء الله أى لاتقل لشئ فى حال من الأحوال الا فى حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة بأن تقول ان شاء الله نزلت هذه الآية حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) بالتسبيح والاستغفار (اذا نسيت) كلمة الاستثناء وهذا مبالغة فى الحث على ذكر هذه الكلمة (وقل عسى أن يهدين ر بى لأقرب من هذا رشدا) أى لعل ر بى يؤتينى أعظم دلالة على صحة نبوتى من نبأ أصحاب الكهف (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا اخبار من الله عن مدة لبثهم ردا على أهل الكتاب المختلفين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة و بعضهم ثلاثمائة وتسع والسنون عندهم شمسية فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية فى كل مائة سنة ثلاث سنين لان السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة قرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة بغير تنوين فهو مضاف لسنين والباقون بالتنوين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه فى نومهم قبل بعثهم أى الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فارجعوا الى خبر الله دون مايقوله أهل الكتاب وهذا اشارة الى أن الاخبار من الله لامن عنده صلى الله عليه وسلم (له غيب السموات والأرض)

أي له تعالى علم ماخفي من أحوال أهلها لأنه موجدهما ومدبرهما (أبصر به وأسمع) أي ما أبصر الله وما أسمعه بكل شيء وهذا التعجب يدل على أن علمه تعالى بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول عنه حائل (مالهم) أي لأهل السموات والأرض (من دونه) تعالى (من ولي) يتولى أمورهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك) تعالى (في حكمه أحدا) فلما حكم تعالى أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول قولا بخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالتاء على الخطاب لكل أحد وبالجزم على النهي أي ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة لبثهم في الغار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا في طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله (لا مبدل لكلماته) أي لا قادر على تبديلها (ولن تجد من دونه) تعالى (ملتحدا) أي ملجأ تعدل اليه ان هممت بالتبديل للقرآن (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أي يعبدونه في كل الأوقات قرأ ابن عامر بالغدوة بضم الغين وسكون الدال (يريدون وجهه) أي مريدين بعبادتهم لرضاه تعالى (ولا تعد عيناك عنهم) أي لا تنصرف عيناك عنهم الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أي ترغب في مجالسة الاغنياء وجميل الصورة (ولا تطع) في تنحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أي وجدنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) أي عن توحيدنا (واتبع هواه) في عبادة الأصنام (وكان أمره) في متابعة الهوى (فرطا) أي ضائعا نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزاري فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادة مضر وأشرافها ان أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم هو رضي الله عنه وحسن اسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطى العباس ابن مرداس أربعين بعيرا وروى أبو سعيد رضي الله عنه قال كنت جالسا في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر بعضا من العري وقارئ يقرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خمسين ألف سنة (وقل الحق من ربكم) أي قل لأولئك الغافلين هذا الدين الحق انما أتى من عند الله فان قبلتموه عاد النفع اليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والخمول والشهرة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فالله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحا لأجل أن يدخل في الايمان جمع من الكفار وهذه الصيغة تهديد وليست بتخيير (انا أعتدنا للظالمين) أي هيأنا لمن أنف عن قبول الحق لاجل أن من قبلوه فقراء (نارا أحاط بهم سرادقها) أي فسطاطها فلا مخلص لهم منها (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) أي كدردي الزيت أو كالفضة المذابة (يشوي الوجوه) أي اذا قرب الى الفم ليشرب سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك الماء لان المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احتراق الاجسام

(من دونه من ولي) يريد من دون الله من ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) أي فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم به الله (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك) أي اتبع القرآن (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير للقرآن (ولن تجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ (واصبر نفسك) مفسر في سورة الانعام الى قوله (ولا تعد عيناك عنهم) أي لا تصرف بصرك الى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة (تريد زينة الحياة الدنيا) أي تريد مجالسة الاشراف (ولا تطع) أي في تنحية الفقراء عنك (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلناه غافلا وقوله تعالى (وكان أمره فرطا) أي ضياعا هلاكا لانه ترك الايمان والاستدلال بآيات الله واتبع هواه (وقل) يا محمد لمن جاءك من الناس (الحق من ربكم) يعني ما أتيتكم به من الاسلام والقرآن (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) تخيير معناه التهديد (انا أعتدنا) أي هيأنا (للظالمين نارا) أي الذين عبدوا غير الله (أحاط بهم سرادقها) وهو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة (وان يستغيثوا) أي مما هم فيه من العذاب والعطش (يغاثوا بماء كالمهل) أي كذاب الحديد والرصاص في الحرارة (يشوي الوجوه) حتى يسقط لحمها فيه ثم ذمه فقال (بئس الشراب) هو

(وساءت مرتفقا) يعنى النار أى ساءت منزلا ثم ذكر ماوعد المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيهامن أساور من ذهب) يحلى كل واحد بسوارين من ذهب وكانت الأساورة من زينة الملوك فى الدنيا (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) وهما نوعان من الحرير والسندس مارق والاستبرق ماغلظ (متكئين فيها على الأرائك) وهى السرر فى الحجال (نعم الثواب) أى طاب ثوابهم (وحسنت) أى على الأرائك (مرتفقا) يعنى موضع الارتفاق يريد اتكاء على المرافق (واضرب لهم مثلا رجلين) يريد ابنى ملك كان فى بنى اسرائيل توفى أبوهما وتركهما فاتخذ أحدهما القصور والأجنة والآخر كان زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة فكان اذا عمل أخوه شيئا من زينة الدنيا أخذ أخوه الزاهد مثل ذلك فقدمه لآخرته واتخذ به عند الله الأجنة والقصور حتى نفد ماله فضربهما مثلا للمؤمن والكافر الذى أبطرته النعمة وهو قوله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل) أى جعلنا النخل مطيفا بهما (كلتا الجنتين آتت أكلها) أى ريعها تاما (ولم تظلم منه شيئا) أى لم تنقص (وفجرنا خلالهما) أى أخرجنا وسط الجنتين (نهرا وكان له ثمر) وكان للأخ الكافر أموال كثيرة (فقال لصاحبه) أى لأخيه (وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام ويجاوبه وذلك أنه سأله عن ماله فيم أنفقه فقال قدمته بين يدى لأقدم عليه فقال (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى رهطا وعشيرة

الكافر

---

مبلغا عظيما (وساءت مرتفقا) أى وساءت النار منزلا ومجتمعا للرفقة مع الكفار والشياطين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا) أى لانبطل ثواب من أخلص عملا (أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم) أى من تحت مساكنهم (الأنهار يحلون فيهامن أساور من ذهب) ويسور المؤمن فى الجنة بسوار من ذهب وبسوار من فضة وبسوار من لؤلؤ فيكون فى يده هذه الانواع الثلاثة وفى الحديث الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو الديباج اللطيف (واستبرق) وهو الديباج الصفيق فان الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة (متكئين فيها على الأرائك) أى ويجلسون فى الجنة متربعين على السرر فى الحجال وهى بيوت تزين بأنواع الزينة أما السرير وحده فلايسمى أريكة (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أى الأرائك (مرتفقا) أى منزلا ومجتمعا للرفقة مع الأنبياء والصالحين (واضرب لهم مثلا رجلين) أى بين لهؤلاء الذين يطلبون طرد المؤمنين لضعفهم مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين شريكين فى بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا أو تمليخا لهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وانى أشترى منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بألف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم انى أشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى حشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال له فلان قال نعم فقال ماشأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتعيننى بخير قال فما فعل بمالك فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين فطرده ووبخه على التصدق بماله وآل أمرهما الى ماحكاه الله تعالى فنزل فى شأنهما قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر (جنتين من أعناب) أى بستانين من كروم متنوعة (وحففناهما بنخل) أى جعلنا النخل محيطا بالجنتين (وجعلنا بينهما) أى وسط أرض الجنتين (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه فتأتى هذه الأرض فى كل وقت بمنفعة فكانت منافعها متواصلة (كلتا الجنتين آتت أكلها) أى أخرجت ثمرها كل عام (ولم تظلم منه) أى لم تنقص من ثمرها (شيئا وفجرنا خلالهما) أى أجرينا فى داخل تلك الجنتين (نهرا) وفى قراءة يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له) أى لصاحب الجنتين (ثمر) قرأ عاصم بفتح الثاء والميم أى ثمر البستان وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون الميم والباقون بضم الثاء والميم فى الموضعين أى أنواع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك (فقال) أى صاحب الجنتين (لصاحبه) الذى جعل مثلا للفقراء المؤمنين (وهو) أى صاحب الجنتين (يحاوره) أى يراجع صاحبه بالكلام الذى فيه الإفتخار بالمال والناس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثر أصحابا من الأولاد وغيرهم ويقال وهو أى صاحبه المؤمن يراجع

(ودخل جنته) وذلك أنه أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته يطوف به فيها وقوله (وهو ظالم لنفسه) أى بالكفر بالله (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى) يريد ان كان البعث حقا (لأجدن خيرا منها منقلبا) أى



الكافر فى الكلام بالوعظ والدعاء الى الايمان بالله و بالبعث (ودخل جنته) أى بستانه مع صاحبه يطوف به فيها و يريه حسنها (وهو ظالم لنفسه) أى ضار لها بكفره وعجبه واعتماده على ماله (قال) استئناف بيان لسبب الظلم (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أى ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدا (وما أظن الساعة) أى القيامة التى هى وقت البعث (قائمة) أى حاصلة (ولئن رددت الى ربى) بالبعث عند قيامه كما تقول (لأجدن) يومئذ (خيرا منها) أى من هذه الجنة (منقلبا) أى عاقبة وسبب هذه اليمين الفاجرة اعتقاده انما أعطاه الله المال فى الدنيا لكرامته عنده تعالى وهى معه بعد الموت وقرأ نافع وابن كثير منهما أى الجنتين (قال له) أى لصاحب الجنة (صاحبه) الذى هو المؤمن (وهو) أى المؤمن (يحاوره) أى يجاوب الكافر بالتوبيخ على شكه فى حصول البعث (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لأبيك وأمك (ثم سواك رجلا) أى صيرك انسانا ذكرا وهيأك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز فى العقل مع هذه الحالة اهماله تعالى أمرك فان من قدر على بدء خلقه من تراب قادر أن يعيده منه وجعل الكفر بالبعث كفرا بالله لأن منشأه الشك فى كمال قدرة الله (لكنا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا) أى أنت كافر بالله لكنى مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولولا اذ دخلت جنتك) أى وهلا حين دخلت بستانك (قلت) عند اعجابك بها (ماشاء الله) أى الامر هو الذى شاءه الله (لاقوة الا بالله) أى لاقوة لأحد على أمر من الامور الا باعانة الله واقداره وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيئا فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما فى الدنيا (فعسى ربى أن يؤتين) أى يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) لايمانى (ويرسل عليها) أى على جنتك (حسبانا) أى نارا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أى فتصير جنتك أرضا ملساء لانبات فيها بحيث تزلق الرجل لكفرك (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائصا فى الارض (فلن تستطيع) أنت (له) أى الماء (طلبا) أى حيلة تدركه بها وقوله تعالى أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وان كان الحسبان بمعنى النار لأنها الحكم الالهى بتخريب الجنة فيتسبب عنه صيرورتها ترابا أملس أو صيرورة مائها غائرا ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) أى أهلك ثمر بستانه بالكلية وجميع أمواله (فأصبح يقلب كفيه) أى صار يضرب احداهما على الاخرى وانما يفعل هذا ندامة (على ما أنفق فيها) أى فى عمارة جنته لأنه أنفق ما يمكن ادخاره من الاموال الكثيرة فى مثل هذا الشئ السريع الزوال وقوله على ما أنفق متعلق بيقلب لأنه ضمن معنى يندم كأنه قيل فأصبح يندم على ماصنع فانه من عظمت ندامته يصفق احدى يديه على الاخرى (وهى) أى الجنة (خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوف الجنة وهى سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكلية (ويقول) أى الكافر تلهفا على تلف المال (يا) أى تنبهوا يا قومى (ليتنى لم أشرك بربى أحدا) وهذا الكافر تذكر كلام المؤمن وعلم انما هلكت جنته بشؤم شركه فتمنى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه (ولم تكن له) أى الكافر (فئة ينصرونه) بدفع الهلاك عن الجنة أو برد الهالك منها أو باتيان مثله (من دون الله)

كما أعطانى هذا فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة أفضل منه فقال له أخوه المسلم (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة) أى فى رحم أمك (ثم سواك رجلا) أى معتدل الخلق والقامة (لكنا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى احدا ولولا) يعنى وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) أى الامر ماشاء الله أى بمشيئة الله (لاقوة الا بالله) لايقوى أحد على مافى يديه من ملك ونعمة الا بالله وهذا توبيخ من المسلم للكافر على مقالته وتعليم له ما يجب أن يقول ثم رجع الى نفسه فقال (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين) أى فى الآخرة أو فى الدنيا (خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا) أى عذابا يرميها به من برد أو صاعقة (فتصبح صعيدا زلقا) أى أرضا لانبات فيها (أو يصبح ماؤها) يعنى النهر خلالها (غورا) أى غائرا ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طلبا) أى لايبقى له أثر تطلبه به (وأحيط بثمره) أى أهلكت أشجاره المثمرة (فأصبح يقلب كفيه) أى يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة (على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها) أى سقوفها وماعرش للكروم (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) تمنى أنه كان موحدا غير مشرك حين لم ينفعه التمنى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أى لم ينفعه النفر الذين افتخر بهم حين قال وأعز نفرا

(وما كان منتصرا) أى بأن يسترد بدل ماذهب منه ثم عاد الكلام الى ماقبل القصة فقال (هنالك) أى عند ذلك يعنى يوم القيامة (الولاية لله الحق) أى يتولون الله و يؤمنون به و يتبرأون مما كانوا يعبدون (هو خير ثوابا) أى أفضل ثوابا ممن ترجو ثوابه (وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره (واضرب لهم) أى لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء) أى هو كماء (أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) أى شرب منه فبدا فيه الرى (فأصبح) أى النبات (هشيما) أى كسيرا متفتتا (تذروه الرياح) أى تحمله وتفرقه وهذه الآية مختصرة من قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) أى قادرا على انشاء النبات ولم يكن ثم أفناه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) هذا رد على الرؤساء الذين يفتخرون بالمال والابناء أخبر الله ان ذلك مما يتزين به فى الحياة الدنيا لا مما ينفع فى الآخرة (والباقيات الصالحات) أى ما يأتى به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الصلوات والأذكار والاعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) أى أفضل ثوابا (وخير أملا) من المال والبنين (ويوم) أى واذكر يوم (نسير الجبال) عن وجه الارض كما تسير السحاب (وترى الارض بارزة) أى ظاهرة ليس عليها شئ (وحشرناهم) أى المؤمنين والكافرين (فلم

فانه وحده قادر على ذلك وقرأ حمزة والكسائى ولم يكن بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية (وما كان منتصرا) أى قادرا بنفسه على واحد من هذه الامور (هنالك الولاية) أى فى مثل ذلك الوقت وفى ذلك المقام النصرة (لله الحق) فلا يقدر عليها أحد وقرأ حمزة والكسائى الولاية بكسر الواو بمعنى الملك فالمعنى أى فى تلك الدار الآخرة السلطان لله والباقون بفتحها أى النصرة وقرأ أبو عمرو والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ الباقون بالجر صفة لله أى الثابت الذى لا يزول (هو) تعالى (خير ثوابا) أى اثابة فى الآخرة لمن آمن به والتجأ اليه (وخير عقبا) أى عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائى وابن عامر بضم القاف وعاصم وحمزة بتسكينها وقرئ عقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم) أى واذكر للذين افتخروا بأموالهم على فقراء المسلمين (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها العجيبة فى فنائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى اختلط بعض أنواع النبات ببعضها الآخر بسبب هذا الماء أى صار النبات فى المنظر فى غاية الحسن (فأصبح هشيما) أى فصار النبات بعد بهجتها يابسا مكسورا (تذروه الرياح) أى تفرقه ولم يبق منها شئ وقرأ حمزة والكسائى الريح بالتوحيد (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أى قادرا على الكمال بتكوينه أولا وتنميته وسطا وابطاله آخرا فأحوال الدنيا كذلك تظهر أولا فى غاية النضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تأخذ فى الانحطاط الى أن تنتهى الى الفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل أن يفرح به (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقراض فيقبح بالعاقل أن يفتخر به (والباقيات الصالحات) أى أعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبدا من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان والطيب من القول (خير عند ربك) أى فى الآخرة (ثوابا) فتعود الى صاحبها (وخير أملا) فينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يرجوه فى الدنيا لأن صاحب تلك الاعمال يأمل فى الدنيا نصيبه من ثواب الله فى الآخرة وللغزالى فى هذا وجه لطيف فقال روى أن من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله أكبر صارت أربعين. وتحقيق القول فى ذلك أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق فى معرفة الله وفى محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن كل ما لا يليق به فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة و بهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقر بأن الله تعالى مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغى فهو المبتدئ لافادة كل ما ينبغى ولافاضة كل خير وكمال فاذا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر بأنه ليس فى الوجود موجود منزه عن كل ما لا ينبغى مبتدئ لافاضة كل ما ينبغى الا الواحد فاذا قال والله أكبر ومعنى أكبر أى أعظم من أن يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة فكانت درجات الثواب أربعة فهذه الكلمات الاربع تسمى الباقيات الصالحات (ويوم نسير الجبال) أى واذكر لهم حين نسير أجزاء الجبال عن وجه الارض بعد أن نجعلها غبارا متفرقا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير الجبال بالتاء الفوقية بالبناء للمفعول و برفع الجبال (وترى الارض) خطاب لكل أحد وقرئ على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أى ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبال وأشجار و بناء وحيوان وظل و بحار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق الى الموقف من كل أوب للحساب

(فلم نغادر) فلم نترك منهم (أحدا وعرضوا على ربك) يعني المحشورين (صفا) أي مصفوفين كل زمرة وأمة صفا ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي حفاة عراة فرادى (بل زعمتم) خطاب لمنكري البعث (أن لن نجعل لكم موعدا) أي للبعث والجزاء (ووضع الكتاب) وضع كتاب كل امرئ بيمينه أو بشماله (فترى المجرمين) المشركين (مشفقين) خائفين مما فيه يريد من الأعمال السيئة (ويقولون) لوقوعهم في الهلكة (يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة) يعني من أعمالنا (ولا كبيرة الا أحصاها) أي أثبتها وكتبها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي في الكتاب مكتوبا (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا يعاقب أحدا بغير جرم ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يذكر هؤلاء المتكبرين قصة ابليس وما أورثه الكبر فقال (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) أي من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن أمر ربه الى معصيته في ترك السجود (أفتتخذونه وذريته) أي أولاده وهم الشياطين (أولياء من دوني) أي تطيعونهم في معصيتي (وهم لكم عدو) كما كان لأبيكم عدوا (بئس للظالمين بدلا) أي بئس ما استبدلوا بعبادة الرحمن طاعة الشيطان (ما أشهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني ابليس وذريته (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أخبر عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان فيما خلق (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي أنصارا وأعوانا لاستغنائي بقدرتي عن الأنصار (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) الآية يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم) أي بين المشركين وأهل لا اله الا الله (موبقا) أي حاجزا

(فلم نغادر منهم) أي لم نترك من الأولين والآخرين (أحدا) الا وجمعناهم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض الجند على السلطان ليقضي بينهم (صفا) أي مصطفين وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا وفي حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون اه مقولا لهم (لقد جئتمونا) كائنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلا بلا أموال وأعوان (بل زعمتم) في الدنيا (أن لن نجعل لكم موعدا) أي وقتا للبعث (ووضع الكتاب) أي وضع في هذا اليوم كتاب كل انسان في يده اليمنى ان كان مؤمنا وفي يده اليسرى ان كان كافرا فقد تطايرت الكتب الى أيدي الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) أي المشركين والمنافقين (مشفقين مما فيه) أي خائفين مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة أي يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم وخوف الفضيحة عند الخلق بظهور الجرائم لأهل الموقف (ويقولون) عند وقوفهم على ما في الكتاب من السيئات (يا ويلتنا) أي يا هلكتنا (مال هذا الكتاب) أي أي شيء له (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من أعمالنا (الا أحصاها) أي عدها (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات (حاضرا) أي مكتوبا في صحفهم (ولا يظلم ربك أحدا) فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزيد على سيئات أحد (واذ قلنا) أي واذكر لهم وقت قولنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) جميعا امتثالا بالأمر (الا ابليس) فانه لم يسجد بل تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله (كان من الجن) أي من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذي خلق من نار هو أبوهم (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته أولياء) أي أبعد ما وجد من ابليس ما وجد تتخذونه وذريته أصدقاء يا بني آدم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو) أي والحال أن ابليس وذريته لكم أعداء (بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى في الطاعة ابليس وذريته وعن مجاهد قال ولد ابليس خمسة بتر والأعور وزلنبور ومسوط وداسم فبتر صاحب المصائب والأعور صاحب الزنا وزلنبور الذي يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب غيره ومسوط صاحب الصخب والأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه واذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه (ما أشهدتهم) أي ما أحضرت ابليس وذريته (خلق السموات والأرض) فاني خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) للناس وهم الشياطين (عضدا) أي أعوانا في شأن الخلق حتى يتوهم شركتهم بي في بعض أحكام الربوبية والمعنى ما أطلعتهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فكيف تطيعونهم يا بني آدم (ويوم يقول) أي واذكر لهم يا أشرف الخلق أحوال المشركين وآلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله تعجيزا وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا شركائي) أي نادوا آلهتكم التي قلتم انهم شركائي (الذين زعمتم) أي عبدتم ليمنعوكم من عذابي (فدعوهم) للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم) الى ما دعوهم اليه (وجعلنا بينهم) أي المشركين وآلهتهم (موبقا) أي حاجزا بعيدا أو واديا في جهنم من قيح ودم وذلك ان

(ورأى المجرمون النار فظنوا) أى أيقنوا (أنهم مواقعوها) أى واردوها وداخلوها ولم يجدوا (عنها مصرفا) أى مهربا

المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا بأنفسهم ثم حيل بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عزيرا وعيسى ومريم الجنة وسار الملائكة الى حيث أراد الله من الكرامة وحصل بين الكفار ومعبوديهم هذا الحاجز وهو ذلك الوادى (ورأى المجرمون) أى الكافرون (النار) من مكان بعيد (فظنوا أنهم مواقعوها) أى مخالطوها فى تلك الساعة من غير تأخير لشدة مايسمعون من تغيظها وزفيرها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا الى غيرها لأن الملائكة تسوقهم اليها (ولقد صرفنا) أى ذكرنا على وجوه كثيرة (فى هذا القرآن للناس) أى لمنفعتهم (من كل مثل) أى من كل نوع من أنواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان التى هى فى الغرابة كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) بجبلته (أكثر شىء جدلا) أى وكان خصومة الانسان بالباطل أكثر شىء فيه (ومامنع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أى القرآن الهادى الى الايمان (ويستغفروا ربهم) عما فرط منهم من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة الأولين) أى الا طلب اتيان سنتنا فى الأولين وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) وقرأ حمزة وعاصم والكسائى بضم القاف والباء أى أنواعا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقون بكسر القاف وفتح الباء أى عيانا وقرئ بفتحتين أى مستقبلا (ومانرسل المرسلين) الى الأمم (الا مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية (ويجادل الذين كفروا) المرسلين (بالباطل) أى باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ليدحضوا به الحق) أى ليبطلوا بجدالهم الشرائع (واتخذوا آياتى) التى هى معجزات الرسل (وما أنذروا) أى وانذارهم بالعذاب (هزوا) أى سخرية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) أى ليس أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن (فأعرض عنها) أى فصرف عن تلك الآيات ولم يتدبرها (ونسى ماقدمت يداه) أى تغافل عن كفره وذنوبه ولم يتفكر فى عاقبته (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية (أن يفقهوه) أى مانعة من أن يفهموا القرآن (وفى آذانهم وقرا) أى صمما مانعا من استماعه (وان تدعهم الى الهدى) أى الى التوحيد (فلن يهتدوا اذا أبدا) أى فلن يوجد منهم اهتداء البتة مدة التكليف (وربك الغفور) أى البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها الى وقت آخر (ذو الرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لو يؤاخذهم) أى لو يريد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) فى الدنيا (بل لهم موعد) أى وقت لهلاكهم (لن يجدوا من دونه) أى العذاب (موئلا) أى مرجعا فمن يكون مرجعه العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أى وأهل قرى عاد وثمود وأمثالهما (أهلكناهم) فى الدنيا (لما ظلموا) أى حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معينا لايتأخرون عنه وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أى لهلاكهم وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام أى لوقت هلاكهم والباقون بضم الميم وفتح اللام أى لاهلاكنا اياهم (واذ قال) أى واذكر حين قال (موسى لفتاه) يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشراف بنى اسرائيل وانما سمى فتى موسى عليه السلام لأنه كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع فى قلبه ان ليس فى الأرض أحد أعلم منى فقال الله ياموسى ان لى فى الأرض عبدا أعبد لى منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يارب دلنى عليه فقال الله له خذ سمكا مالحا وامض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة فانضح على السمكة منها حتى تحيا السمكة فثم تلقى الخضر فأخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان (لاأبرح) أى

لاحاطتها بهم من كل جانب وقوله (وكان الانسان أكثر شىء جدلا) يعنى الكافر وهو أبى بن خلف وقيل النضر بن الحارث (ومامنع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا) الايمان (اذ جاءهم الهدى) أى محمد والقرآن (الا أن تأتيهم سنة الأولين) يعنى العذاب يريد أن الله قدر عليهم العذاب فذلك الذى منعهم الايمان (أو يأتيهم العذاب قبلا) أى عيانا يعنى القتل يوم بدر وقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) يريد المستهزئين والمقتسمين جادلوا فى القرآن (ليدحضوا) أى ليبطلوا (به) أى بجدالهم (الحق) أى القرآن (واتخذوا آياتى) يعنى القرآن (وما أنذروا) به من النار (هزوا ومن أظلم ممن ذكر) أى وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أى فتهاون بها ونسى ماقدمت يداه) أى ماسلف من ذنوبه وباقى الآية سبق تفسيره وقوله (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) أى ملجأ (وتلك القرى) يريد القرى التى أهلكها بالعذاب (أهلكناهم) يعنى أهلها (لما ظلموا) أى أشركوا وكذبوا الرسل (وجعلنا لمهلكهم لا
موعدا) أى لاهلاكهم (واذ قال موسى) واذكر اذ قال موسى لما فى قصته من العبرة (لفتاه) يوشع بن نون (لاأبرح) أى لاأزال أسير

لا أزال سائرا (حتى أبلغ مجمع البحرين) أى ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات الطلب أو أسير ثمانين سنة (فلما بلغا مجمع بينهما) أى بلغا موضعا يجتمع فيه موسى وصاحبه الذى كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أى نسيا خبر حوتهما وتفقد أمره وقد جعل فقدانه أمارة لوجدان المطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) أى فأدركته الحياة بسبب برد الماء الذى أصابه فتحرك فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر فاتخذ الحوت فى البحر مسلكا كالسرب قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملحة فطفرت وسارت (فلما جاوزا) أى موسى وفتاه مجمع البحرين وذهبا كثيرا وألقى على موسى الجوع (قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) الذى بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) أى تعبا قيل ان موسى لم يتعب ولم يجع قبل ذلك (قال) أى فتاه (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) أى أأبصرت حالنا اذ قمنا عند الصخرة (فانى نسيت الحوت) أى خبر الحوت (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) بدل اشتمال من الهاء أى وما أنسانى ذكر أمر الحوت لك الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ حفص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر عجبا) أى اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلتئم الماء وجمد ما تحت الحوت منه حتى رجع موسى اليه فرأى مسلكه وكون الحوت قد مات وأكل شقه الأيسر ثم حيى بعد ذلك (قال) أى موسى (ذلك) أى الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبغ) أى الذى كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالمطلوب وهو لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائى باثبات الياء وصلا لا وقفا وابن كثير أثبتها فى الحالين والباقون حذفوها فى الحالين اتباعا للرسم (فارتدا على آثارهما قصصا) أى فرجعا مفتشين آثارهما أو فاقتصا على آثارهما اقتصاصا حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) وهو الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا وروى أنهما وجدا الخضر وهو نائم على وجه الماء وهو مغطى بثوب أبيض أو أخضر طرفه تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك انى نبى بنى اسرائيل فقال الذى أدراك بى ودلك على. والصحيح أن الخضر نبى وذهب الجمهور الى أنه حى الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة (آتيناه رحمة من عندنا) أى أكرمناه بالنبوة كما قاله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم الغيوب (قال له موسى) على سبيل التأدب والتلطف فى ظرف الاستئذان (هل أتبعك) أى أصحبك (على أن تعلمن) أثبت الياء نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وابن كثير فى الحالين والباقون حذفوها (مما علمت رشدا) أى علما يرشدنى فى دينى وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كفى بالتوراة علما و ببنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ (قال) له الخضر ياموسى

---

(حتى أبلغ مجمع البحرين) أى حيث يلتقى بحر الروم وبحر فارس (أو أمضى حقبا) أى دهرا طويلا وذلك أن رجلا جاء موسى فقال هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله تعالى اليه بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فانطلق هو وفتاه حتى أتيا الصخرة التى عند مجمع البحرين فقال لفتاه امكث حتى آتيك فانطلق موسى لحاجته فجرى الحوت حتى وقع فى البحر فقال فتاه اذا جاء نبى الله حدثته فأنساه الشيطان فذلك قوله (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) أراد نسى أحدهما وهو يوشع (فاتخذ سبيله) أى اتخذ الحوت سبيله (فى البحر سربا) أى ذهابا والمعنى سرب سربا والآية على التقديم والتأخير لأن ذهاب الحوت كان قد تقدم على النسيان (فلما جاوزا) ذلك المكان الذى ذهب الحوت عنه (قال لفتاه آتنا غداءنا) أى ما نأكله بالغداة (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى عناء وتعبا ولم يجد النصب فى جميع سفره حتى جاوز الموضع الذى يريده فـ(قال) الفتى (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) يعنى حيث نزلنا (فانى نسيت الحوت) أى نسيت قصة الحوت أن أحدثك بها ثم اعتذر بانساء الشيطان اياه لأنه لو ذكر ذلك لموسى لم يجاوز ذلك الموضع وما ناله النصب ثم ذكر قصته فقال (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) أخبر عن تعجبه من ذلك فـ(قال) موسى (ذلك ما كنا نبغ) أى نطلب ونريد من العلامة (فارتدا على آثارهما) أى رجعا من حيث جاآ (قصصا) يعنى يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة التى فعل عندها الحوت ما فعل (فوجدا عبدا من عبادنا) يعنى الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) أى نبوة (وعلمناه من لدنا علما) أى أعطيناه علما من علم الغيب وقوله (رشدا) أى علما ذا رشد والتقدير على أن تعلمنى علما ذا رشد مما علمته (قال

(انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) أي على مالم تعلم به بيانا وحكمة أي انك ياموسى لاتصبر على أمور لم تعلم حقائقها ياموسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لاتعلمه أي وهو علم الكشف وأنت على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه أي وهو علم ظاهر الشريعة (قال) له موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) عطف على صابرا أي ستجدنى صابرا على ماأرى منك وغير مخالف لأمرك (قال) له الخضر (فان اتبعتنى) أي صحبتني (فلا تسألنى عن شئ) تشاهده من أفعالى ولو منكرا بحسب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أبتدئ باخبارك ببيان ذلك الشئ وقرأ ابن عامر فلا تسألن بالنون المثقلة و بغير ياء وروى عنه تسألنى مثقلة مع الياء وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتخفيف النون وقرأ أبو جعفر هنا تسلن بفتح السين واللام وتشديد النون من غير همز (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى الى بنى اسرائيل أو كان معهما وانما لم يذكر في الآية لانه تابع لموسى فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع فالمقصود ذكر موسى والخضر (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) أي ثقبها الخضر وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول فلما لجوا أي وصلوا الى الماء الغزير أخذ الخضر فأسا وأخرج بها لوحا من السفينة (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا إمرا) أي لقد فعلت شيئا عظيما شديدا على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق (قال) له الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) أي بما تركت من وصيتك أول مرة أو هذا من التورية وايهام خلاف المراد فيتقي موسى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وهو بسط عذره في الانكار فالمراد بما نسيه شئ آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها المنسية (ولا ترهقنى من أمري عسرا) أي لا تكلفنى مشقة في أمر صحبتي اياك فقبل الخضر عذر موسى فخرجا من السفينة (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما) بين قريتين لم يبلغ الحنث يلعب مع عشرة صبيان كان وضئ الوجه اسمه خيشور فأخذه الخضر (فقتله) بذبحه مضطجعا بالسكين أو بقتل عنقه (قال) له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الزاي و بتخفيف الياء والباقون بالتشديد و بدون ألف (لقد جئت شيئا نكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) ياموسى زاد الخضر لك هنا تقريعا لموسى وتحاملا في الخطأ (انك لن تستطيع معي صبرا) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يانبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى) أي لا تجعلنى صاحبك وقرئ لاتصحبنى بضم التاء وسكون الصاد (قد بلغت من لدنى عذرا) أي قد وجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم في بعض الروايات بتخفيف النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) بعد الغروب في ليلة باردة ممطرة وهي انطاكية أو أبرقة (استطعما أهلها) أي

فقال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) أي على مالم تعلمه من أمر ظاهره منكر فقال له موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) أي لاأسألك عن شئ حتى تكون أنت تحدثني به (ولا أعصى لك أمرا) أي ولا أخالفك في شئ (قال) له الخضر (فان اتبعتنى) أي صحبتني (فلا تسألنى عن شئ) أي مما أفعله (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أكون أنا الذي أفسره لك (فانطلقا) أي فذهبا يمشيان (حتى اذا ركبا) البحر (في السفينة خرقها) أي شقها الخضر وقلع لوحين مما يلي الماء (قال) موسى منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) أي عظيما منكرا (قال) الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت) أي تركت من وصيتك (ولا ترهقنى من أمري عسرا) أي لاتضيق على الأمر في صحبتي اياك وقوله (نفسا زاكية) يعني طاهرة ولم تبلغ حد التكليف (بغير نفس) بغير قود وقوله (ان سألتك) يعني سؤال توبيخ وانكار (عن شئ بعدها) بعد النفس المقتولة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) فيما بيني و بينك حيث أخبرتني أني لاأستطيع معك صبرا (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) وهي انطاكية (استطعما أهلها) أي سألوهما الطعام

طلبا

طلبا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فاقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح فى كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد وعن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربرة بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لنسائهم ولعنا رجالهم فقوله تعالى استطعما جواب اذا أو صفة لقرية (فأبوا أن يضيفوهما) عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما (فوجدا فيها) أى القرية (جدارا) مائلا (يريد أن ينقض) أى يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع (فأقامه) أى رفعه الخضر بيده فاستقام أو مسحه بيده فاستوى أو هدمه ثم بناه (قال) موسى (لو شئت) ياخضر (لاتخذت عليه أجرا) أى طلبت على عملك أجرة تصرفها الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات أى كان ينبغى لك أن تأخذ منهم جعلا على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا وليس لنا فى اصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا قيل فى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر أنها حجة على موسى وعتب عليه وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين انكارك هذا من وكزك للقبطى وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بينى وبينك) أى هذا الانكار على ترك الاجر سبب فراق حصل بينى وبينك (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) السين للتأكيد لا للاستقبال لعدم تراخى التنبئة أى أظهر لك بيان وجه مالم تصبر عليه أى حكمة هذه الأمور الثلاثة قبل فراقى لك (أما السفينة) التى خرقتها (فكانت لمساكين يعملون فى البحر) فيعبرون بالناس مؤاجرين للسفينة لحمل الامتعة ونحوها كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر فاما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثانى كان أعور والثالث كان أعرج والرابع كان آدر والخامس كان محموما لاتنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لايطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذى يعملون فيه مابين فارس والروم (فأردت أن أعيبها) أى أن أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم) أى أمامهم كما قرأ به ابن عباس وابن جبير (ملك) كافر اسمه هدد بن بدد أو جلندى ابن كركر (يأخذ كل سفينة) صحيحة كما قرأ بذلك ابن عباس وابن جبير (غصبا) من أصحابها ولم يكن عندهم علم به فلذلك ثقبتها فاذا جاوزوا الملك أصلحوها (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان أبواه مؤمنين) من عظماء تلك القرية اسم الأب كازبرا واسم الأم سهوا (فخشينا أن يرهقهما) أى فخفنا أن يحمل الوالدين المؤمنين (طغيانا وكفرا) لمحبتهما له وقرئ فخاف ربك أى كره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر أن يلحق الوالدين معصية وكفرا أو يقال فعلم ربك أن يوقعهما فى الكفر وقيل ان أبويه فرحا به حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلا كافرا لصا قتالا فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) أى صلاحا وطهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة (وأقرب رحما) أى عطفا بأبويه وأوصل رحما بأن يكون أبر بهما قال ابن عباس أبدلا بنتا ولدت نبيا وهو الذى كان بعد موسى الذى قالت له بنو اسرائيل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وكان اسمه شمعون وقرأ أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفى التحريم وفى القلم وقرأ ابن عامر فى احدى الروايتين عن أبى عمرو رحما بضم الحاء (وأما الجدار) الذى سويته

(فأبوا أن يضيفوهما) أى فلم يطعموهما (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى قرب أن يسقط لميلانه (فأقامه) أى فسواه (قال) موسى (لوشئت لاتخذت عليه) أى على اقامته (أجرا) أى جعلا حين أبوا أن يطعمونا (قال) الخضر (هذا) وقت (فراق بينى وبينك) أى لاأصحبك بعد هذا وأخبرك بتفسير مالم تصبر عليه وأنكرته على (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم) أمامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صالحة (غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى فكرهنا (أن يرهقهما) يعنى يكلفهما (طغيانا وكفرا) أى ويحملهما حبه على أن يتبعاه ويدينا بدينه وكان الغلام كافرا (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) أى صلاحا (وأقرب رحما) أى وأبر بوالديه وأوصل للرحم (وأما الجدار

(فكان لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم ابنا كاشح وأمهما دنيا (فى المدينة) وهى المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لها لخسة أهلها وعبر عنها هنا بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وأبيهما (وكان تحته كنزلهما) عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان ذهبا وفضة رواه البخارى فى تاريخه والترمذى والحاكم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لااله الاالله محمد رسول الله (وكان أبوهما صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء وقد روى أن الله يحفظ الصالح فى سبعة من ذريته (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى قوتهما وكمال رأيهما (ويستخرجا كنزهما) أى دفينهما من تحت الجدار ولولا انى أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته وضاع بالكلية (رحمة من ربك) مفعول له وعامله أراد أى نعمة لهما من ربك أوعامله مقدر أى فعلت هذه الأفعال وحيا من ربك (ومافعلته) أى مافعلت مارأيت من هذه الأحوال (عن أمرى) أى عن اجتهادى ورأيى (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) أى ذلك الاجوبة الثلاثة تفسير مالم تصبر عليه من الوقائع الثلاثة وحذف التاء بعد السين هنا للتخفيف روى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال له أوصنى قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به وقيل ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى قال كن بساما ولاتكن ضحاكا ودع اللجاجة ولاتمش فى غير حاجة ولاتعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك ياابن عمران (ويسألونك عن ذى القرنين) أى يسألك ياأشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذى القرنين اسمه اسكندر بن فيلفوس اليونانى كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وكان وزيره الخضر والصحيح أنه لم يكن نبيا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعيا الى الله (قل) لهم فى الجواب (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أى سأذكر لكم من حال ذى القرنين خبرا مذكورا والسين للتأكيد وللدلالة على التحقق (انا مكناله فى الارض) أى انا جعلنا له قدرة على التصرف فى الارض من حيث التدبير والرأى وعلى الأسباب حيث سخرله السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض (وآتيناه من كل شىء) يحتاج اليه فى اصلاح ملكه (سببا) أى طريقا يوصله الى ذلك الشىء المقصود كآلات السير وكثرة الجند (فأتبع سببا) أى فأخذ طريقا يوصله الى استقصاء بقاع الارض ليملأها عدلا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لايمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبدأ الأطوال (وجدها) أى الشمس (تغرب) فى رأى العين (فى عين) أى بحر محيط (حمئة) أى ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحمزة والكسائى وابن عامر حامية بألف بعد الحاء وبياء بعد الميم وهى قراءة ابن مسعود وطلحة (ووجد عندها) أى عند تلك العين (قوما) كفارا لباسهم جلود الوحوش وطعامهم مايلفظه البحر من السمك (قلنا) بالهام (ياذا القرنين اماأن تعذب) بالقتل (واما أن تتخذ فيهم حسنا) أى أمرا ذا حسن بأن تتركهم أحياء (قال) أى ذوالقرنين (أمامن ظلم) نفسه باستمراره على الكفر (فسوف نعذبه) بالقتل بعد طول الدعاء الى الاسلام (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أى شديدا وهو

فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) يعنى فى تلك القرية (وكان تحته كنزلهما) أى من ذهب وفضة ولوسقط الجدار أخذ الكنز (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى أراد الله أن يبقى ذلك الكنز الى بلوغ الغلامين حتى يستخرجاه (ومافعلته عن أمرى) أى انكشف لى من الله علم فعملت به ولم أعمل من عند نفسى (ويسألونك) يعنى اليهود وذلك أنهم سألوه عن رجل طواف بلغ شرق الارض وغربها (انا مكنا له فى الأرض) أى سهلنا عليه السير فيها وذللنا له طرقها (وآتيناه من كل شىء) يحتاج اليه (سببا) أى علما يتسبب به الى مايريد (فأتبع سببا) أى طريقا يوصله الى مغرب الشمس (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ذات حمأة وهو الطين الأسود (ووجد عندها) أى عند العين (قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب) أى اما أن تقتلهم ان أبوا ماتدعوهم اليه (واما أن تتخذ فيهم حسنا) أى تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين القتل والاسر (قال أمامن ظلم) أشرك (فسوف نعذبه) أى نقتله اذالم يرجع عن الشرك (ثم يرد الى ربه) أى بعد القتل (فيعذبه عذابا نكرا) يعنى فى النار

عذاب

عذاب النار (وأمامن آمن) بسبب دعوتى (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بنصب جزاء أى فله الجنة فى الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعه والاضافة أى فله فى الدارين جزاء الفعلة الحسنى التى هى الايمان والعمل الصالح (وسنقول له) أى لمن آمن (من أمرنا يسرا) أى قولا سهلا مما نأمره به من الزكاة والخراج وغيرهما ولا نأمره بالصعب الشاق (ثم أتبع سببا) أى ثم أخذ ذو القرنين طريقا نحو المشرق من جهة الجنوب (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى موضع طلوعها من معمورة الأرض (وجدها) أى الشمس (تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبدا فاذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم (كذلك) أى أمر ذى القرنين فيهم كأمره فى أهل المغرب فحكم فى أهل المطلع كما حكم فى أهل المغرب من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى وقد علمنا بما كان عند ذى القرنين من الخبر (ثم أتبع سببا) أى ثم سلك ذو القرنين طريقا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا نحو الروم من الجنوب الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدين) أى بين الجبلين العاليين الأملسين فلا يستطاع الصعود عليهما فى آخر بلاد الترك مما يلى المشرق و يسمى كل منهما سدا لأنه سد فجاج الأرض (وجد من دونهما) أى من ورائهما مجاوزا عنهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى أمة من الناس لا يقربون يفهمون قول غيرهم لقلة فطنتهم و فى قراءة حمزة والكسائى ضم الياء وسكون الفاء وكسر القاف أى لا يفهمون الناس كلامهم لغرابة لغتهم وهم من أولاد يافث وذو القرنين من أولاد سام. قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام و يافث أما سام فهو أبو العرب والعجم والروم وأما حام فهو أبو الحبشة والزنج والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر والصقالبة و يأجوج ومأجوج (قالوا) لذى القرنين بواسطة ترجمان ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم أو بغير ترجمان على أن فهم ذى القرنين كلامهم وافهام كلامه إياهم من جملة ما أعطاه الله تعالى من الأسباب (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض) أى فى أرضنا يأكلون كل شىء أخضر و يحملون كل شىء يابس و يقتلون أولادنا وسمى يأجوج ومأجوج لكثرتهم و روى حذيفة حديثا مرفوعا أن يأجوج أمة ومأجوج أمة فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال شجر الصنوبر طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم احدى أذنيه و يلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق و بحيرة طبرية (فهل نجعل لك خرجا) وفى قراءة حمزة والكسائى بفتح الراء مع مده والباقين بسكون الراء فقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما كان بالتبرع والخراج ما يلزم أداؤه (على أن تجعل بيننا و بينهم) أى يأجوج ومأجوج (سدا) أى حاجزا بين هذين الجبلين فلا يصلون الينا (قال) ذو القرنين (ما مكنى فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيه ربى قادرا من المال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب خير مما تعرضون على من الجعل فلا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى بفك الادغام (فأعينونى بقوة) أى بآلات الحدادين و بصناع يحسنون البناء والعمل (أجعل بينكم و بينهم ردما)

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) الجنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نقول له قولا جميلا (ثم أتبع سببا) أى سلك طريقا آخر يوصله الى المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) عراة (لم نجعل لهم من دونها) أى من دون الشمس (سترا) يعنى سقفا ولا لباسا (كذلك) القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس فى الكفر (وقد أحطنا بما لديه) أى من الجنود والعدة (خبرا) أى علما لأنا أعطيناه ذلك (ثم أتبع سببا) أى قطرا من أقطار الأرض (حتى اذا بلغ بين السدين) وهما جبلان سد بينهما ذو القرنين (وجد من دونهما) أى عندهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى لا يفهمون كلاما فاشتكوا اليه فساد يأجوج ومأجوج وأذاهم إياهم وهو قوله (ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) أى بالنهب والبغى (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (على أن تجعل بيننا و بينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير) أى الذى أعطانى وملكنى أفضل من عطيتكم (فأعينونى بقوة) أى بعمل تعملون معى (أجعل بينكم و بينهم ردما) أى سدا حاجزا

أى حاجزا حصيناو برزخامتيناوهوأ كبرمن السدوأوثق (آ تونى زبر الحديد) بمدالهمزةأى أعطونى قطع الحديد الكبيرةوقرأحمزة ائتونى بوصل الهمزةفى الموضعين ووافقه أبو بكرهناوخالفه فى الموضع الثانى والمعنى جيئونى بزبر الحديد فزبر على قراءةهمزة الوصل منصوبة على اسقاط الخافض وحفر ذو القرنين الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سدمابين الجبلين الى أعلاهماوكان طوله مائة فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى بين طرفى الجبلين بالبناء أى انهم جاءوا الى ذى القرنين بزبر الحديد فشرع يبنى شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان مساو يا لهاتى السمك وكان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قال) للعملة (انفخوا) بالكيران فى الحديد المبنى فنفخوا (حتى اذا جعله نارا) أى اذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونحوها (آ تونى) أى أعطونى نحاسا مذابا (أفرغ عليه قطرا) أى أصب على الحديد المحمى نحاسا مذابا فأفرغه عليه فدخل مكان الحطب والفحم فامتزج بالحديد والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وهذه كرامة عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين والمفرغين للقطر (فما اسطاعوا) بحذف تاء بعد السين أى فلم يقدر يأجوج ومأجوج (أن يظهروه) أى أن يعلوا ظهر الجبل لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أى خرقا من أسفله لصلابته وثخنه لانه كان خمسين ذراعا وكان ارتفاعه مائتى ذراع وكان طول السد على وجه الارض مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف (قال) أى ذوالقرنين لمن عنده (هذا) السد (رحمة) أى نعمة عظيمة (من ربى) على جميع الخلق (فاذا جاء وعد ربى) أى وقت وعد ربى بخروج يأجوج ومأجوج (جعله) أى هذا السد (دكاء) بالمد أى أرضا مستوية وقرئ دكا أى مكسورا حتى يصير ترابا (وكان وعد ربى) بخروجهم وقت قرب الساعة (حقا) أى صدقا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى صيرنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السد يختلط ببعضهم الآخر من شدة الازدحام عند خروجهم لكثرتهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين الى جبل الطور فرارا منهم روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن منهم بورد أوذكر ويحبس نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار فيتوجهون الى الله تعالى بالدعاء فيسلط الله تعالى دودا فى أنوفهم وآذانهم فيموتون به ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيتوجه نبى الله عيسى وأصحابه الى الله تعالى فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طيرا فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض حتى تصير كالمرآة ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الغنم والابل حتى ان اللقحة لتكفى الجماعة الكثيرة فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة (ونفخ فى الصور) نفخة ثانية للبعث (فجمعناهم) أى يأجوج ومأجوج وغيرهم (جمعا) أى جمعا عجيبا بعد ما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم فى صعيد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أى أظهرناها لهم مع قربهم منها يوم اذ جمعنا الخلائق كافة اظهارا هائلا فذلك يجرى مجرى عقابهم لحصول الغم العظيم بسبب رؤيتها وسماعها تغيظا وزفيرا (الذين كانت أعينهم) أى أعين



آتونى) أعطونى (زبر) أى قطع (الحديد) فأتوه به فبناه (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى جانبى الجبلين (قال انفخوا) أى على زبر الحديد بالكير والنار (حتى اذا جعله) أى جعل الحديد (نارا) أى كنار (قال آتونى) قطرا وهو النحاس الذائب (أفرغ عليه) أى أصب عليه فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى حتى التصق بعضه ببعض (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى ماقدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه واملاسه (وما استطاعوا) أن ينقبوه من أسفله لصلابته (قال) ذوالقرنين لما فرغ منه (هذا رحمة من ربى) يعنى التمكن من ذلك البناء والتقوية عليه (فاذا جاء وعد ربى) أى أجل ربى بخروج يأجوج ومأجوج (جعله دكاء) أى كسرا (وكان وعد ربى) أى بخروجهم (حقا) كائنا (وتركنا بعضهم) يعنى الخلق من الانس والجن (يومئذ) أى يوم القيامة (يموج فى بعض) أى يدخل ويختلط (ونفخ فى الصور) وهو القرن الذى ينفخ فيه للبعث (فجمعناهم) فى صعيد واحد (وعرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم

قلوبهم وهم فى الدنيا (فى غطاء) أى غشاوة كثيفة (عن ذكرى) على وجه يليق بشأنى وعن كتابى فلا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) الى قراءة القرآن فلا يؤمنون به (أفحسب الذين كفروا) أى كفروا بى مع جلالة شأنى فظنوا (أن يتخذوا عبادى من دونى) من الملائكة وعيسى وعزير (أولياء) أى معبودين ينصرونهم من عذابى والمعنى أفظنوا أنهم ينتفعون بمن عبدوه من عبادى مع اعراضهم عن تدبر الآيات السمعية والمشاهدة وقرأ أبو بكر أفحسب الذين كفروا بسكون السين ورفع الباء وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين على بن أبى طالب أى أفكافيهم اتخاذهم ذلك من دون طاعتى (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أى منزلا (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) فى الآخرة (الذين ضل سعيهم) أى بطل عملهم (فى الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بضل وذلك كالعتق والوقف واغاثة الملهوف لان الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أى والحال أنهم يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أى يحسنون فى أعمالهم بالاتيان بها على الوجه اللائق ويحسبون أنهم ينتفعون بآثارها قيل المراد بهم أهل الكتابين وقيل الرهبانية الذين يحبسون أنفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حالا من المضاف اليه (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) أى بدلائله الداعية الى توحيده عقلا ونقلا (ولقائه) أى وكفروا بالبعث بعد الموت وبرؤيته تعالى فى الآخرة (فحبطت أعمالهم) أى بطلت لانكارهم الدلائل (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى فلا نجعل لمن حبطت أعمالهم حبوطا كليا يوم القيامة قدرا بل نزدرى بهم فليس لهم عندنا قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أى ذلك الذى ذكرناه من أنواع الوعيد هو جزاؤهم (جهنم) عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتى) الدالة على وحدانيتى (ورسلى) المؤيدين بالمعجزات (هزوا) أى مهزوا بهما (ان الذين آمنوا) بآيات ربهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الأعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده (جنات الفردوس نزلا) أى منزلا خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف حال من نزلا (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أى لا يطلبون تحولا الى غيرها وهذا يدل على غاية الكمال فلا مزيد عليها فى خيرات الجنة حتى يريدوا أشياء غيرها فان الانسان فى الدنيا اذا وصل الى أى درجة كانت من السعادات فهو طامح الطرف الى ما هو أعلى منها وعن كعب أنه قال ليس فى الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) أى قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر مداد التحرير كلمات علم ربى وحكمته لنفد البحر مع كثرته فى كتابتها ولم يبق منه شئ لتناهيه من غير أن تنفد كلمات ربى لعدم تناهيها وقرأ حمزة والكسائى ينفد بالياء التحتية (ولو جئنا بمثله) أى بمثل ماء البحر (مددا) أى زيادة لنفد البحر ولم تنفد كلمات ربى وقيل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون وروى أن حيى بن أخطب قال فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية أى ان ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته

فى غطاء) أى فى غشاوة (عن ذكرى) أى كانوا لا يعتبرون بآياتى فيذكروننى بالتوحيد (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أى لعداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلى عليهم (أفحسب) أى أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادى) أى الشياطين (من دونى أولياء) أى أينفعهم ذلك ويدفع عنهم كلا (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أى منزلا (قل هل ننبئكم) أى نخبركم (بالأخسرين أعمالا) أى بالذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسرانا فيما عملوا (الذين ضل سعيهم) أى حبط عملهم (فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أى يظنون أنهم بعملهم مطيعون ثم بين من هم فقال (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) أى بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) يعنى البعث (فحبطت أعمالهم) أى بطل اجتهادهم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى نهينهم بعذاب النار ولا نعبأ بهم شيئا وقوله (جنات الفردوس) وهو وسط الجنة أعلاها درجة وقوله (لا يبغون عنها حولا) أى لا يريدون أن يتحولوا عنها (قل لو كان البحر مدادا) وهو ما يكتب به (لكلمات ربى) أى لكتابتها وهى حكمه وعجائبه والكلمات هى العبارات عنها (لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله) أى بمثل البحر (مددا) أى زيادة على البحر (قل

تعالى (انما أنا بشر مثلكم) لأدعي الاحاطة بكلماته تعالى التامة (يوحى الى) لمن تلك الكلمات (أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له فى الخلق ولا فى سائر أحكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك الوحى (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيزة (عملا صالحا) لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء روى أن جندب بن زهير العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت هذه الآية تصديقا له وروى أنه ﷺ قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية فالرواية الأولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به . والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثانى مقام الكاملين . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

آمين

(انما أنا بشر مثلكم) أى آدمى (يوحى الى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو) أى يأمل (لقاء ربه) ثواب ربه (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك) أى ولا يرائى (بعبادة ربه أحدا) نزلت هذه الآية فى النهى عن الرياء فى الأعمال

﴿ تم الجزء الأول من تفسير مراح لبيد . ويليه الجزء الثانى أوله سورة مريم ﴾

# فهرست

**﴿ الجزء الاول ﴾**

**﴿ من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبيد للشيخ محمد نووى ﴾**

صفحة



﴿ تمت ﴾


Bibliotheca Alexandrina
0588955